لينين

المختارات

في ١٠ مجلدات

المجلد

١٠

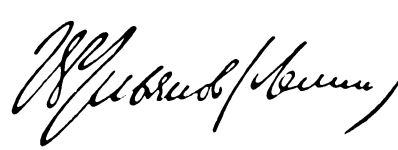

لينين

المختارات

فى ١٠ مجلدات

المجلد

١٠

(١٩٢٠-١٩٢٣)

دار التقدم . موسكو

ترجمة الياس شاهين

В. И. ЛЕНИН

Избранные произведения в 10-ти томах

ТОМ X

(1920—1923)

На арабском языке

© الترجمة الى اللغة العربية ، دار التقدم ، ١٩٧٨

طبع في الاتحاد السوفييتي

Л $\frac{10102—859}{014(01)—78}$ 520—78

من الدار

يشتمل المجلد العاشر من المختارات على مؤلفات كتبها لينين في المرحلـــة الممتدة من حزيران (يونيو) ١٩٢٠ الى آذار (مارس) ١٩٢٣ . وفيها يواصل لينين دراسة وحل أهم القضايا المتعلقة ببناء الاشتراكية والحركة العمالية والشيوعية العالمية .

كانت هذه المرحلة مرحلة نهوض جبار في الحركة الثورية العالمية ، مرحلة انجذاب جماهير جديدة وجديدة ابدأ من الشغيلة الى النضال ، مرحلة نمو سريع في وعي الطبقة العاملة السياســـي وتلاحمها ، مرحلة نشوء وتوطد العديد من الاحزاب الشيوعية .

وفي تلك المرحلة انعقد في روسيا السوفييتية المؤتمرات الثاني والثالث والرابع للكومنترن (الاممية الشيوعية) . وقد حلل لينين في خطاباته امام مؤتمرات الاممية ، وفي «الموضوعات الى المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية» ، وفي مقالتيه «من الافضل اقل ، شرط ان يكون احسن» و«لمناسبة مرور عشر سنوات على صدور «البرافدا»» وغير ذلك ، آفاق العملية الثورية العالمية وقواها المحركة بعد قيام اول دولة اشتراكية في العالم ، وعلل المبادئ البرنامجية التنظيميـــة والتكتيكية للحركة الشيوعية العالمية .

وفي المقالات المنشورة في هذا المجلد ، يكشـف لينين القناع بحدة عن وجه الانتهازية اليمينية ، والاصلاحية الاشتراكيـــة ،

والتحريفية ، بوصفها العدو الرئيسي في الحركة العمالية . وفي الوقت نفسه ، يعارض لينين قطعاً الانتهازية «اليسارية» ، والانعزالية في الاحزاب الشيوعية اللتين كانتا تدفعان الاحزاب الشيوعية في طريق الهلاك ، طريق الانفصال عن جماهير العمال .

ويتألف معظم المجلد من مؤلفات كتبها لينين بعد انتهاء الحرب الاهلية ، بعد ان دخلت البلاد السوفييتية في مرحلة جديدة من تطورها ، وبعد ان برزت مهمات البناء الاشتراكي في المقدمة .

كان التدخل الاجنبي المسلح والحرب الاهلية قد شددا بدرجة هائلة الخراب الذي تسببت به الحرب الامبريالية خلال اربع سنوات . كانت الصناعة والنقليات والزراعة في حالة مرهقة للغاية . وكان السكان يعانون الحرمانات الكبيرة والعوز ، وكانت الحبوب وسائر حاجات الضرورة الاولية لا تكفي .

وفي هذه الظروف ، طرح لينين مهمة بناء القاعدة المادية والتكنيكية للاشتراكية ، مشيراً الى ان الكهربة هي محور هذه القاعدة . وفي هذا الصدد يجب التنويه على الاخص بتقرير لينين امام مؤتمر السوفييتات الثامن لعامة روسيا في ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ . فقد طرح فيه لينين الموضوعة التالية الفائقة الاهمية : «الشيوعية انما هي السلطة السوفييتية مضافة اليها كهربة البلاد بأسرها» (ص ٢١٣ .) .

وقد قامت افكار لينين بشأن بناء القاعدة المادية والتكنيكية للاشتراكية ، وكهربة البلاد ، في اساس خطة غويلرو الشهيرة ، — وهي اول خطة بعيدة المدى لتطوير الاقتصاد الوطني في الجمهورية السوفييتية ، تشمل حقبة تتراوح بين ١٠ سنوات و١٥ سنة .

وقد كان رسم السياسة الاقتصادية الجديدة (بالروسية بايجاز «النيب») قسطاً كبيراً اسهم به لينين في تطوير الشيوعية العلمية على الصعيد النظري والتطبيقي . فلأجل بعث الاقتصاد الذي

دمرته الحرب ، وبناء الاشتراكية بنجاح ، كان لا بد من اقامة التحالف الاقتصادي بين شغيلة المدينة وشغيلة الريف ، واستثارة مصلحة الفلاحين المادية في نتائج عملهم . وعوضاً عن المصادرة العينية التي كانت تعني حرمان الفلاحين من جميع فوائض منتوجاتهم ، اقترح لينين فرض ضريبة عينية محددة سلفاً ويستطيع الفلاح بعد تسديدها للدولة ان يتصرف بحرية بفوائض منتوجه ، وان يبيعها ويبادلها بسلع الاستهلاك الواسع . وقد اوضح لينين ان الرأسمالية ستنتعش نوعاً ، وان البرجوازية ستنبعث في المدينة ، وان فئة الكولاك ستنمو في الريف من جراء توطد الاقتصاد الفلاحي الصغير وانبعاث الصناعة الخاصة الصغيرة ، ومن جراء حرية التداول التجاري ، ومن جراء التجارة الخاصة . ولكن ، كما اكد لينين ، من الممكن السماح بانتعاش الرأسمالية بدرجة معينة ، دون تقويض اسس ديكتاتورية البروليتاريا ، لأن الطبقة العاملة ، بامتلاكها السلطة السياسية وباعتمادها على ما يسمى بالذرى التوجيهية في الاقتصاد ، كالصناعة الثقيلة ، والارض ، والمصارف ، والسكك الحديدية ، والخ . ، تملك ما يكفي من الوسائل لابقاء العناصر الرأسمالية خاضعة لرقابتها .

ويسلط لينين النور على قضايا السياسة الاقتصادية الجديدة في تقريره حول الاستعاضة عن المصادرة بالضريبة العينية امام المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا ، وفي «موضوعات التقرير عن تكتيك الحزب الشيوعي في روسيا امام المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية» ، وفي مقالة «لمناسبة الذكرى الرابعة لثورة اكتوبر» ومقالة «حول اهمية الذهب اليوم وبعد انتصار الاشتراكية التام» ، وفي التقرير «السنوات الخمس من الثورة في روسيا وآفاق الثورة العالمية» امام المؤتمر الرابع للاممية الشيوعية ، وغير ذلك .

جرى الانتقال من الحرب الى السلام ، والانعطاف الى «النيب»

(السياسة الاقتصادية الجديدة) في ظروف نضال ضار ضد التكتلات المعارضة التي ما لبثت ان استغلت المصاعب وعارضت خط الحزب ، مختارة على سبيل الحجة مسألة ناقشها الحزب غير مرة وحلها ، وهي مسألة دور النقابات . وقد كان تروتسكي رائد هذه الحملة ، ودعا الى «شد براغي» الشيوعية الحربية ، والعمل في الحال على «استدالة النقابات» بتحويلها الى ذيل لجهاز الدولة . ولقيت تصرفات تروتسكي التكتلية المساندة والدعم من جانب بوخارين والفرق الاخرى المعادية للحزب ، بما فيها فريق «المعارضة العمالية» الذي كان يرأسه شليابنيكوف وكولونتاي . وكان هذا الفريق يروج آراء فوضوية – سنديكالية ، وكان يريد ان يجعل من النقابات مقابلاً ومعارضاً للحزب الشيوعي والدولة السوفييتية ، وكان يقترح تسليم النقابات ادارة الاقتصاد الوطني .

وقد نزع لينين القناع عن الانتهازية ، وابان جوهر منهج التكتلات المعارضة وكنهه المعادي للحزب ، وفضح طابع اعمالها وتصرفاتها التكتلية ، وذلك في خطاباته امام مؤتمرات الحزب ، وفي خطابه «عن النقابات ، وعن الوضع الراهن ، وعن اخطاء الرفيق تروتسكي» في الجلسة الموحدة لمندوبي مؤتمر السوفييتات الثامن ، وكذلك في مقالته «مرة اخرى عن النقابات ، وعن الظرف الراهن ، وعن اخطاء تروتسكي وبوخارين» . وفي الوقت نفسه طرح لينين وطور عدداً من الموضوعات المبدئية الفائقة الاهمية عن دور النقابات في نظام ديكتاتورية البروليتاريا ومهماتها في بناء الاشتراكية .

ان جميع خطابات لينين ومقالاته مفعمة بالحرص على توطيد الحزب ، وعلى وحدة صفوفه . وقد علّم لينين ان وحدة الحزب الفكرية والتنظيمية ليست قضية حزبية داخلية وحسب ؛ فان وحدة صفوف الحزب انما هي ايضاً اساس تلاحم الطبقة العاملة وجميع الشغيلة حول الحزب ، وشرط هام جداً لقوة الدولة السوفييتية ومتانتها ،

ولانتصار الاشتراكية . وتجدر الاشارة بخاصة الى القرار اللينيني «حول وحدة الحزب» الذي اتخذه المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا .

وتتناول جملة من المؤلفات الواردة في هذا المجلد مسائل السياسة الخارجية ، وفي المقام الاول بينها المسائل المتعلقة بمؤتمر جنوى ، وهو اول مؤتمر اقتصادي عالمي اشتركت فيه الدولة السوفييتية .

ففي تلك الظروف العصيبة ، انتهجت الحكومة السوفييتية وعلى رأسها لينين ، بانسجام وثبات ، سياسة السلام ، سياسة التعايش السلمي بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ، ساعية ابداً ودائماً الى اقامة علاقات الاعمال مع البلدان الرأسمالية والى عقد الاتفاقيات الاقتصادية معها ، ورافضة قطعاً في الوقت نفسه ما تتضمنه هذه الاتفاقيات من شروط مجحفة بالبلاد السوفييتية .

ويتضمن المجلد عدداً من المؤلفات التي تلقي النور على المسألة القومية والسياسة القومية ، وبينها «مسودة اولية للموضوعات في المسألة القومية ومسألة المستعمرات (الى المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية)» ، «تقرير اللجنة المختصة بالمسألة القومية ومسألة المستعمرات» (لاجل المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية) ، «الى الرفاق الشيوعيين في آذربيجان وجورجيا وارمينيا وداغستان والجمهورية الجبلية» ، «حول مسألة القوميات او «الحكم الذاتي»» والخ . .وقد كان تطبيق حق الامم في تقرير مصيرها بما فيه الانفصال ، وكذلك التقريب بين البروليتاريين وجميع الجماهير الكادحة من جميع الامم لأجل النضال الثوري المشترك ، حجر الزاوية في سياسة الحزب الشيوعي المتعلقة بالمسألة القومية ومسألة المستعمرات .

وقد علّق لينين اهمية بالغة على العلاقات المتبادلة الصحيحة بين شعوب الاتحاد السوفييتي ، وعلى الصداقة والتلاحم فيما بينها .

وعلل لينين ضرورة توحيد الجمهوريات السوفييتية المستقلة في دولة اتحادية واحدة . وفي صيف ١٩٢٠ صاغ بطريقة معممة الموضوعات الاساسية المتعلقة بهذه المسألة في «مسودة اولية للموضوعات في المسألة القومية ومسألة المستعمرات» . وقد اعتبر لينين ان الاتحاد (الفيديراسيون) يجب ان يكون شكل توحيد الجمهوريات السوفييتية . والشرط الذي لا غنى عنه لهذا الاتحاد هو الثقة والموافقة الطوعية من قبل الجمهوريات الداخلة فيه .

وتجدر الاشارة بخاصة الى اهمية الرسائل والمقالات الاخيرة التي كتبها لينين والتي تسمى عن حق وصواب بوصاياه السياسية : «رسالة الى المؤتمر» ، «حول مسألة القوميات او «الحكم الذاتي»» ، «اوراق من دفتر مذكرات» ، «حول التعاون» ، «حول ثورتنا (بصدد مذكرات ن . سوخانوف)» ، «كيف نعيد تنظيم التفتيش العمالي والفلاحي ؟» ، «من الافضل اقل ، شرط ان يكون احسن» . ان هذه الرسائل والمقالات المترابطة فيما بينها بصورة عضوية ، هي من حيث جوهر الامر عمل واحد ، طور فيه لينين الاستنتاجات والموضوعات الواردة في مؤلفاته وخطاباته السابقة وعرض فيه بصيغة معممة برنامج تحويل روسيا تحويلاً اشتراكياً على ضوء الآفاق العامة للحركة التحررية العالمية .

الى الجمعية الثورية الهندية (١)

سرني ما بلغني من ان المبادئ التي اعلنتها جمهورية العمال والفلاحين بصدد تقرير مصائر الشعوب المظلومة وتحريرها من استثمار الرأسماليين الاجانب والداخليين قد وجدت هذا الصدى الحي بين الهنود الواعين المناضلين ببطولة في سبيل حريتهم . ان جماهير الكادحين الروس تتبع بمزيد الانتباه استيقاظ العامل الهندي والفلاح الهندي . والنجاح النهائي يتوقف على حسن تنظيم الكادحين ، على نظام الطاعة في صفوفهم ، على رباطة جأشهم وتضامنهم مع الكادحين في العالم كله . اننا نحيي التحالف الوثيق بين المسلمين وغير المسلمين . ونرجو باخلاص ان يشمل هذا التحالف جميع الكادحين في الشرق . ان الانتصار الحاسم على المستثمرين لا يصبح مضموناً الا حينما يمد العمال والفلاحون الهنود والصينيون والكوريون واليابانيون والايرانيون والأتراك ايديهم بعضهم لبعض ويسيرون جنباً لجنب من اجل القضية المشتركة ، قضية التحرر . عاشت آسيا حرة !

«البرافدا» ، العدد ١٠٨ ، و«ازفيستيا فتسيك» («انباء اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا») العدد ١٠٨ ، ٢٠ ايار (مايو) ١٩٢٠

المجلد ٤١ ، ص ١٢٢

حديث مع المراسل الياباني ك . فوسه ، ممثل جريدتي «اوساكا ماينيتي» و«طوكيو نيتي – نيتي»

استقبل الرفيق لينين فوسه قائلاً انه يسره جداً ان يراه وانه ، رغم كل ما حدث في السنوات الاخيرة بين روسيا واليابان ، ورغم ان بعض اوساط اليابان لا تزال تشغل موقفاً متصلباً حيال روسيا السوفييتية ، ينظر مع ذلك بتفاؤل الى مستقبل العلاقات بين البلدين . ولقد اعترفت الحكومة السوفييتية باستقلال الدولة المصدّة (٢) ، وهذا ما سيساعد في المستقبل القريب العاجل ، كما آمل ، – قال لينين ، – على اعادة السلام في الشرق الاقصى .

وللمباشرة في اخذ الحديث ، طرح فوسه على لينين السؤال التالي : **«في خريف السنة الماضية قلت ان المصاعب قد ولت ، فهلا تتوقع ، يـــا** ترى ، المصاعب مستقبلاً ؟»

لقد قلت هذا بمعنى اننا اجتزنا اكبر المصاعب ، ولكن الكثير من المصاعب لا تزال تواجهنا بالطبع !

سؤال فوسه : «قلت ان الانتقال من الاقطاعية الى الرأسمالية اقتضى سنوات عديدة ، ولذا سيقتضي الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية هو ايضاً سنوات عديدة . فقل ، اية مدة ينبغي تقريباً لذلك ؟»

من الصعب تحديد المدة على العموم ، فلأجل دك النظام القديم ، لا داعي الى زمن طويل ، ولكنه يستحيل بناء النظام الجديد في وقت

قصير . لقد شرعنا في تحقيق خطة كهربة الصناعة والزراعة ، فبدون الكهربة لا يمكن بناء النظام الشيوعي ؛ وخطتنا للكهربة موضوعة لمدة عشر سنوات في حال توفر انسب الظروف (٣) . وهذه هي مدتنا الدنيا لأجل بناء نظامنا الجديد .

ثم طرح لينين على فوسه عدداً من الاسئلة عن العلاقات الزراعيـــة والطبقية في اليابان .

ماذا يمثل الملاكون العقاريون الاقطاعيون في اليابان ؟ ما هو في اليابان وضع الفلاح الذي لا يملك ارضاً ؟ هل توجـــد منظمات فلاحية ؟ والخ . . ثم اهتم لينين بحالة الكهربة والتعليم العام في اليابان ، وكذلك بالموقف من الاولاد في اليابان ، وعندما قال فوسه انهم يحرصون على الاولاد في اليابان اكثر مما في الغرب ، لاحظ لينين : هذا هام جداً لأن عادة ضرب الاولاد في المدارس فيما يسمى بالبلدان المتمدنة ، وحتى في سويسرا ، لم يقض عليها بعد تماماً .

بعد هذا ، طرح فوسه على الرفيق لينين عدداً من الاسئلة السياسية .
فوسه : «كيف تتصور علاقات حسن الجوار بين الدول الاشتراكية والرأسمالية ؟»

ان شروطنا للمساكنة مع البلدان الرأسمالية معروضـــة بالتفصيل في مشروع المعاهدة الذي نشره مؤخراً المندوب الاميركي بوليت في واشنطن (٤) . ان هذه الشروط مضرة جداً بنا ؛ اما دول الوفاق (٥) ، فقد افترضت من جراء ذلك اننا مستعدون للتنازلات لأننا ضعفاء ، وبدأت التدخل ولكنها جميعها منيت بنتيجته بالهزيمة التامة . ولقد سحقنا كولتشاك ويودينيتش ودينيكين سحقاً .

فوسه : «اين يمكن ان يتوفـــر للشيوعيـــة المزيد من احتمالات النجاح ، **في الغرب ام في الشرق ؟**»

لا يمكن بعد للشيوعية الحقيقية ان تحرز نجاحاً الا في الغرب ، ولكن الغرب يعيش على حساب الشرق ؛ ان الدول الامبريالية الاوروبية تبتز الارباح بصورة رئيسية في المستعمرات الشرقية ، ولكنها في الوقت نفسه تسلح مستعمراتها وتعلمها كيف يجب القتال ، وبذلك يحفر الغرب لنفسه بنفسه حفرة في الشرق .

فوسه : «ما هي اقرب مهام الحكومة السوفييتية ؟»

اولاً ، هزم الاقطاعيين البولونيين ، ثانياً التوصل الى سلام وطيد ، ثم ثالثاً ، تطوير حياتنا الاقتصادية .

أُرسل برقياً
في ٤ حزيران (يونيو) ١٩٢٠
صدر باللغة اليابانية في ١٠ حزيران ١٩٢٠
في جريـــدة «طوكيو نيتي – نيتي» ، العدد ١٥٦٨٦
صدر للمرة الاولى باللغـــــة الروسيـــة عام ١٩٢٤ في مجموعـــة مقالات «لينين والشرق» ، موسكو

المجلد ٤١ ،
ص‌ص ١٣٢–١٣٤

الموضوعات الى المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية

١

مسودة اولية للموضوعات في المسألة القومية ومسألة المستعمرات

اني ، اذ اعرض على انظار الرفاق مشروع الموضوعات المذكورة ادناه في مسألتي القوميات والمستعمرات ، وهي الموضوعات المعدة للمؤتمر الثاني للاممية الشيوعية ، ارجو جميع الرفاق ، ومنهم بوجه خاص المطلعون اطلاعاً وافياً على هذه او تلك من هذه القضايا المعقدة جداً ، ان يدلوا برأيهم او ان يقدموا تصحيحاً او اضافة او شرحاً لناحية من النواحي ، على أن يأتي ذلك **بشكل مختصر غاية الاختصار (لا يزيد على صفحتين او ثلاث صفحات)** وعلى أن يتناول بوجه خاص النقاط التالية :

التجربة النمساوية .

التجربة البولونية-اليهودية والاوكرانية .

الالزاس واللورين وبلجيكا .

ارلنده .

العلاقات الدانماركية -الالمانية والايطالية-الفرنسية والايطالية-السلافية .

التجربة البلقانية .

الشعوب الشرقية .

النضال ضد الجامعة الاسلامية .

العلاقات في القفقاس .
الجمهوريتان البشكيرية والتترية .
قرغيزستان .
تركستان وتجربتها .
الزنوج في اميركا .
المستعمرات .
الصين – كوريا – اليابان .

ن . لينين

٥ (حزيران – يونيو) سنة ١٩٢٠ .

١ – ان الديموقراطية البرجوازية تلازمها ، بحكم طبيعتهـا ، معالجة مسألـة المساواة بوجه عام ، بما في ذلك المساواة بين القوميات ، بصورة مجردة او شكلية . فبذريعة تساوي الشخصية البشرية بوجه عام تنادي الديموقراطية البرجوازيـة بالمساواة الشكلية او الحقوقيـة بين المالـك والمعدم ، بين المستثمِر والمستثمَر ، وتخدع بذلك الطبقات المظلومة اكبر خدعة . ان فكرة المساواة ، وهي نفسها انعكاس لعلاقات الانتاج البضاعي ، تحوّلها البرجوازيـة الى اداة نضال ضـد القضـاء على الطبقات ، بدعوى المساواة المطلقة بين الشخصيات البشرية . هذا في حين ان المغزى الحقيقي للمطالبة بالمساواة لا يعدو المطالبة بالقضاء على الطبقات .

٢ – ينبغي للحزب الشيوعي ، طبقاً لمهمته الرئيسية – النضال ضد الديموقراطية البرجوازية وفضح كذبها ونفاقها – وبوصفه المعبر الواعي عن نضال البروليتاريا من اجل اسقاط نير البرجوازية ، ان يضع في المقام الأول في المسألة القومية ايضاً لا المبادئ المجردة والشكلية ، بل اولا ، الحساب الدقيق لأوضاع الزمان والمكان وفي المقدمة الوضع الاقتصادي ؛ ثانياً ، الوضوح في فرز مصالح الطبقات المظلومة ، مصالح الطبقات الكادحة والمستثمرة من المفهوم

العام لمصالح الشعب بوجه عام ، وهو المفهوم الذي يعني مصالح الطبقة السائدة ؛ ثالثاً ، التفريق بالوضوح نفسه بين الأمم المظلومة والتابعة والمهضومة الحقوق والأمم الظالمة والمستثمِرة التي تتمتع بكامل حقوقها ؛ وذلك خلافاً لكذب الديموقراطية البرجوازية الذي يطمس السمة التي تطبع عصر رأس المال المالي والامبريالية – الاستعباد الاستعماري والمالي للاكثرية الكبرى من سكان الكرة الأرضية من قبل اقلية ضئيلة من البلدان الرأسمالية المتقدمة والغنية جداً .

٣ – كشفت الحرب الامبريالية (١٩١٤ – ١٩١٨) بوضوح كبير امام جميع الأمم وامام الطبقات المظلومة في العالم كله عن زيف العبارات البرجوازية الديموقراطية ، مبينة بصورة عملية ان معاهدة فرساي (٦) التي فرضتها الدول المدعوة بـ«الديموقراطيات الغربية» هي عنف حيال الأمم الضعيفة ابعد في الوحشية والحطة من معاهدة بريست-ليتوفسك (٧) التي فرضها اليونكر الألمان والقيصر . وجاءت عصبة الأمم (٨) مع كامل السياسة التي اتبعتها دول الوفاق بعد الحرب وبينت هذه الحقيقة بزيادة من الوضوح والبروز ، مشددة في كل مكان النضال الثوري الذي تشنه البروليتاريا في البلدان المتقدمة وكذلك جميع جماهير الكادحين في المستعمرات والبلدان التابعة ، معجلة انهيار الأوهام القومية البرجوازية الصغيرة بصدد امكانية التعايش السلمي والمساواة بين الأمم في ظل الرأسمالية .

٤ – يستنتج من الموضوعات الاساسية المذكورة اعلاه انه ينبغي للاممية الشيوعية ان تجعل من التقارب بين البروليتاريين وجماهير الكادحين في جميع الأمم والبلدان ، بغية النضال الثوري المشترك من اجل اسقاط الاقطاعيين والبرجوازية ، حجر الزاوية لكامل سياستها في مسألة القومية ومسألة المستعمرات . ذلك لأن هذا التقارب هو الأمر الوحيد الذي يضمن الانتصار على الرأسمالية ،

وبدون هذا الانتصار يستحيل القضاء على الظلم القومي وعدم المساواة القومية .

٥ – في الوقت الحاضر يطرح الوضع السياسي العالمي على بساط البحث ديكتاتورية البروليتاريا ، ولا مفر من ان تتركز جميع احداث السياسة العالمية حول نقطة رئيسية واحدة ، هي نضال البرجوازية العالمية ضد الجمهورية الروسية السوفييتية التي لا مناص من ان تجمع حولها ، من جهة ، الحركات السوفييتية للعمال المتقدمين في جميع البلدان ، ومن الجهة الأخرى جميع الحركات الوطنية التحررية للمستعمرات والأقوام المظلومة التي تقتنع بخبرتها المريرة انه لا خلاص لها الا بانتصار السلطة السوفييتية على الامبريالية العالمية .

٦ – وعلى ذلـــك لا يمكن في الوقت الحاضر الاكتفاء بمجرد الاعتراف او المناداة بالتقارب بين شغيلة الأمم المختلفة ، بل يتوجب ايضاً السير على سياسة تحقيق اوثق التحالف بين جميع الحركات التحررية الوطنية وجميع الحركات التحررية في المستعمرات وبين روسيا السوفييتية ، على ان تحدد اشكال هذا التحالف وفقاً لدرجة تطور الحركة الشيوعية في صفوف البروليتاريا في كل بلد من البلدان او حركة العمال والفلاحين التحررية البرجوازية الديموقراطية في البلدان المتأخرة او بين القوميات المتأخرة .

٧ – الاتحاد (فيديراسيون) هو شكل انتقال الى الوحدة التامة بين شغيلة الأمم المختلفة . وقد بين الاتحاد في الواقع فائدته سواء في علاقات جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية حيال الجمهوريات السوفييتية الأخرى (المجرية (٩) والفنلنديـــة (١٠) واللاتفية (١١) في الماضي والآذربيجانية والأوكرانية في الحاضر) او في داخل جمهورية روسيا الاتحادية حيال القوميات التي لم يكن لها في الماضي لا كيان دولة ولا حكم ذاتي (مثلا حيال جمهوريتي الحكم الذاتي

البشكيرية والتترية اللتين تشكلتا ضمن جمهورية روسيا الاتحادية في سنتي ١٩١٩ و١٩٢٠) .

٨ – وبهذا الصدد تتلخص مهمة الاممية الشيوعية في تطوير هذه الاتحادات الجديدة التي نشأت على اساس النظام السوفييتي والحركة السوفييتية وفي دراستها والتحقق منها بالاختبار . واذ نعترف بأن الاتحاد شكل انتقالي الى الوحدة التامة ، ينبغي لنا ان نطمح الى توثيق الاتحاد الفيديرالي اكثر فاكثر ، آخذين بعين الاعتبار ، اولا ، انه بدون التحالف الوثيق بين الجمهوريات السوفييتية يستحيل الذود عن كيان هذه الجمهوريات السوفييتية المطوقة من قبل جميع دول العالم الامبريالية التي تفوقها جداً من حيث قوتها العسكرية ؛ ثانياً ، ضرورة الاتحاد الاقتصادي الوثيق بين الجمهوريات السوفييتية ، الأمر الذي لا يمكن بدونه اعادة القوى المنتجة التي دمرتها الامبريالية وتأمين الرخاء للشغيلة ؛ثالثاً ، الميل الى انشاء اقتصاد عالمي واحد لا يتجزأ ، توجهه بروليتاريا جميع الامم وفق برنامج عام ، هذا الميل الذي ظهر بوضوح تام في ظل الرأسمالية والذي سيواصل تطوره وسيكتمل على التأكيد في ظل الاشتراكية .

٩ – وفي حقل العلاقات في داخل الدولة لا يمكن للسياسة في مسألة القوميات التي تسير عليها الاممية الشيوعية ان تقتصر على الاعتراف بالمساواة بين الامم اعترافاً مجرداً وشكلياً ذا طابع اعلاني صرف لا يلزم بشيء من الناحية العملية ، على غرار ما يفعل الديموقراطيون البرجوازيون سواء أكانوا يعترفون على المكشوف بأنهم ديموقراطيون برجوازيون او كانوا ينتحلون اسم الاشتراكيين كما يفعل اشتراكيو الاممية الثانية .

ينبغي للأحزاب الشيوعية ان تفضح على الدوام في كل دعايتها وتحريضها – من منبر البرلمان وخارج البرلمان – الاخلال الدائم بالمساواة بين الأمم وبضمانات حقوق الأقليات القومية في جميع الدول

الرأسمالية على الرغم من دساتيرها «الديموقراطية» ، وينبغي لها فضلا عن ذلك ، اولا ، ان تشرح بصورة دائمة ان النظام السوفييتي هو النظام الوحيد الذي يمكنه ان يعطي فعلاً المساواة بين الأمم في الحقوق ، موحداً في البدء البروليتاريين ، ومن ثـــم جمهور الكادحين بأكمله في النضال ضد البرجوازية ؛ ثانياً ، ينبغي لجميع الأحزاب الشيوعية ان تقدم المساعدة المباشرة للحركات الثورية في الأمـــم التابعة او المهضومة الحقوق (مثلا في ارلنده وبين زنوج اميركا الخ .) وفي المستعمرات .

وبدون هذا الشرط الأخير والهام منتهى الأهمية ، يظل النضال ضد ظلم الأمم التابعة والمستعمرات كمايظل الاعتراف بحقها بالانفصال في دولة مجرد اعلان كاذب ، كما هو الحال لدى احزاب الأمميـــة الثانية .

١٠ – الاعتراف بالأممية قولا والاستعاضة عنها فعلا في كامل الدعاية والتحريض والنشاط العملي بروح القومية البرجوازيـــة الصغيرة والمسالمة البرجوازية الصغيرة هو ظاهرة مألوفة تماماً ليس فقط بين احزاب الأممية الثانية ، انما هو ظاهرة مألوفة ايضاً بين الأحزاب التي خرجت من هذه الأممية وحتى ، في حالات غير نادرة ، بين الأحزاب التي تسمي نفسها الآن احزاباً شيوعية . والنضال ضد هذا الشر ، ضد الأوهام القومية البرجوازية الصغيرة الاكثر تأصلاً يبرز الى المقام الأول بمقدار ما تصبح من قضايا الساعة مهمة تحويل ديكتاتورية البروليتاريا من ديكتاتورية ذات طابع وطني (اي قائمة في بلد واحد وليس في طاقتها ان تقرر السياسة العالميـــة) الى ديكتاتورية ذات طابع عالمي (اي قائمة على الأقل في عدد من البلدان المتقدمة ويمكنها ان تكون ذات تأثير فاصل في كامل السياســـة العالمية) . ان القومية البرجوازية الصغيرة ترى الأممية في الاعتراف بالمساواة بين الأمم وحسب (بصرف النظر عن كون هذا الاعتراف لا

يعدو حد القول) ، وتبقي الأنانية القومية سليمة في حين ان الأممية البروليتارية تتطلب ، اولا ، اخضاع مصالح النضال البروليتاري في بلد من البلدان لمصالح هذا النضال في النطاق العالمي ؛ وتتطلب ، ثانياً ، كفاءة واستعداد الأمة المنتصرة على البرجوازية للاقدام على تحمل التضحيات الوطنية الكبرى من اجل اسقاط رأس المال العالمي .

وعلى ذلك فان النضال ضد التشويه الانتهازي البرجوازي الصغير المصبوغ بصبغة المسالمة لمفهوم وسياسة الأممية هو في الدول الرأسمالية تماماً والتي توجد فيها احزاب عمالية اصبحت حقاً طليعة للبروليتاريا الواجب الأول والهام غاية الاهمية .

١١ – وبالنسبة للدول والأمم الأقل تطوراً ، حيث تسود العلاقات الاقطاعية او البطريركية والبطريركية-الفلاحية ، ينبغي ان لا يغرب عن البال بوجه خاص :

اولا ، ضرورة مساعدة جميع الأحزاب الشيوعية للحركة التحررية البرجوازية الديموقراطية في هذه البلدان ؛ وواجب تقديم انشط المساعدة يلقى بالدرجة الأولى على العمال في البلاد التي توجد الأمة المتأخرة في وضع مستعمرة لها او في حالة تبعية مالية ؛

ثانياً ، ضرورة النضال ضد رجال الدين وغيرهم من عناصر الرجعية والقرون الوسطى ذوي النفوذ في البلدان المتأخرة ؛

ثالثاً ، ضرورة النضال ضد الجامعة الاسلامية وما شاكلها من التيارات التي تحاول ربط الحركة التحررية المناهضة للامبريالية الأوروبية والاميركية بتوطيد مراكز الخانات والاقطاعيين والشيوخ الخ . ؛

رابعاً ، ضرورة تأييد حركات الفلاحين الصرف المناضلة في البلدان المتأخرة ضد كبار ملاكي الأراضي والملكية العقارية الكبيرة وضد كل مظهر من مظاهر الاقطاعية او بقية من بقاياها ، والسعي لاعطاء حركة الفلاحين طابعاً ثورياً ما امكن مع تحقيق تحالف وثيق ما

امكن بين البروليتاريا الشيوعية في اوروبا الغربية وحركة الفلاحين الثورية في الشرق ، في المستعمرات والبلدان المتأخرة بوجه عام ؛ ومن الضروري جداً توجيه جميع الجهود لتطبيق المبادئ الأساسية للنظام السوفييتي حيال البلدان التي تسيطر فيها علاقات ما قبل الرأسمالية ، وذلك عن طريق انشاء «سوفييتات الشغيلة» وما شاكلها ؛

خامساً ، ضرورة النضال الحازم ضد صبغ التيارات التحررية البرجوازية الديموقراطية في البلدان المتأخرة بالصبغة الشيوعية ؛ وينبغي للأممية الشيوعية ان تؤيد الحركات الوطنية البرجوازية الديموقراطية في المستعمرات والبلدان المتأخرة شريطة ان تتجمع العناصر التي ستتكون منها غداً في جميع البلدان المتأخرة الأحزاب البروليتارية ، الشيوعية لا بالاسم وحسب ، وتتربى على ادراك واجباتها الخاصة ، واجبات النضال ضد الحركات البرجوازية الديموقراطية في داخل اممها ؛ ينبغي للأممية الشيوعية ان تقدم على تحالف موقت مع الديموقراطية البرجوازية في المستعمرات والبلدان المتأخرة ، على ان لا تمتزج بها وعلى ان تصون بصورة قاطعة استقلال الحركة البروليتارية حتى بشكلها البدائي ؛

سادساً ، ضرورة تبيان الخدعة التي تعمد اليها الدول الامبريالية بصورة دائمة اذ تشكل ، تحت ستار انشاء الدول المستقلة سياسياً ، دولا تابعة لها بصورة تامة من النواحي الاقتصادية والمالية والعسكرية ، وفضح هذه الخدعة دون كلل امام جماهير الكادحين الغفيرة في جميع البلدان ، ومنها بوجه خاص البلدان المتأخرة ؛ ففي الوضع الدولي الراهن لا خلاص للأمم التابعة والضعيفة عن غير اتحاد الجمهوريات السوفييتية .

١٢ – ظلم الدول الامبريالية للأقوام المستضعفة والمستعمرة خلال القرون لم يترك في جماهير الكادحين في هذه البلدان المظلومة

النقمة وحسب ، انما ترك فيها ايضاً عدم الثقة حيال الأمم الظالمة بوجه عام ، بما في ذلك بروليتاريا هذه الأمم . والخيانة السافلة التي اقترفتها حيال الاشتراكية اكثريـــة الزعماء الرسميين لهذه البروليتاريا في سنوات ١٩١٤ – ١٩١٩ ، عندما جعلوا من «الدفاع عن الوطن» ستاراً اشتراكياً-شوفينياً للدفاع عن «حق» برجوازية«هم» في ظلم المستعمرات ونهب البلدان التابعة مالياً ، كان لا بد لها من ان تشدد هذه الريبة المشروعة تماماً . ومن جهة اخرى ، بمقدار تأخر البلاد تكون متانة الانتاج الزراعي الصغير والعلاقات البطريركية والعزلـــة عن العمران ، مما يضفي القوة والرسوخ على الأوهام البرجوازية الصغيرة والعميقة جداً ، نعني : اوهام الأنانية القوميـــة وضيق الافق القومي ؛ ولما كان زوال هذه الأوهام امراً لا يمكن الا بعد زوال الامبريالية والرأسمالية في البلدان المتقدمة وبعد حدوث تغير جذري في جميع اسس الحياة الاقتصاديـــة للبلدان المتأخرة ، لا مناص من ان يكون اضمحلال هذه الأوهام بطيئاً جداً . وهذا يلزم البروليتاريا الشيوعية الواعية في جميع البلدان بأن تبدى بالغ الاحتراس وبالغ الانتباه حيال بقايا الشعور القومي في البلدان والأقوام التي رزحت اطول فترة تحت نير الظلم ، كما يلزمها بالاقدام على بعض التساهلات بقصد تعجيل تلاشي الريبة المذكورة والأوهام المذكورة . فبدون النزوع الطوعي الى التحالف والوحدة من جانب البروليتاريا ، ومن ثم من جانب جميع جماهير الكادحين في جميع البلدان والأمم بالعالم كله ، لا يمكن لقضيـــة الانتصار عـــلى الرأسمالية ان تنتهي الى النجاح .

صدر في ١٤ تموز (يوليـــو) ١٩٢٠ في مجلة «كومونيستيتشيسكى انترناسيونال» («الأممية الشيوعية») ، العدد ١١

المجلد ٤١ ، ص ص ١٦١–١٦٨

٢

المسودة الاولى للموضوعات المتعلقة بالمسألة الزراعية

اوضح الرفيق مارخليفسكي في مقال له (١٢) ، بصورة مفصلة رائعة ، الاسباب التي عجزت من جرّائها الاممية الثانية – وقد غدت الآن الاممية الصفراء (١٣) – لا عن تحديد تاكتيك البروليتاريا الثورية في المسألة الزراعية وحسب ، بل ايضا عن وضع هذه المسألة كما ينبغي . ثم رسم الرفيق مارخليفسكي أسسا نظرية لبرنامج الاممية الثالثة الزراعي الشيوعي .

وعلى هذه الأسس يمكن (ويجب كما يبدو لي) صياغة القرار العام حول المسألة الزراعية في مؤتمر الاممية الشيوعية الذي سينعقد في ١٥ تموز (يوليو) ١٩٢٠ .

وفيما يلي مسوّدة اولى لهذا القرار .

١ – فقط البروليتاريا الصناعية في المدن تستطيع ، بقيادة الحزب الشيوعي ، ان تحرر الجماهير الكادحة في الريف من نير الرأسمال والملكية العقارية الكبيرة ، ومن الخراب والحروب الامبريالية ، التي هي أمر محتم ما دام النظام الرأسمالي قائما . وليس ثمة من خلاص للجماهير الكادحة في الريف الاّ في التحالف مع البروليتاريا الشيوعية ، ودعم نضالها الثوري من اجل خلع نير الملاكين العقاريين (كبار ملاكي الاراضي) والبرجوازية دعما لا تحفظ فيه .

ومن جهـــة اخرى لن يتمكّن العمال الصناعيون من القيام برسالتهم التاريخية العالمية ، وهي تحرير الانسانيـــة من نير الرأسمال ومن الحروب ، اذا عزلوا انفسهم في اطار مصالحهم الحرفية والمهنية الضيقة ، واقتصروا ، راضين عن انفسهم ، على بذل جهود ترمي الى تحسين وضعهم الذي قد يكون احيانا مرضيا الى حدّ ما ويشبه وضع البرجوازية الصغيرة . تلك هي على وجه الضبط ، في كثير من البلدان المتقدمة ، حال «اريستوقراطية العمال» التي تشكل أساس الاحزاب الاشتراكية المزعومة المنضمة الى الاممية الثانية ، والتي تتألف بالفعل من ألدّ اعداء الاشتراكية ، من خونة الاشتراكية ، من برجوازيين صغار شوفينيين ، من عملاء للبرجوازيـــة في قلب الحركة العمالية . ولن تكون البروليتاريا طبقة ثورية حقا ، تعمل حقا في مصلحة الاشتراكية ، الاّ اذا عملت وسلكت بوصفها طليعة جميع الشغيلة والمستثمَرين ، بوصفها زعيمتهم في النضال من اجل اسقاط المستثمِرين ، الأمر الذي يستحيل دون ادخال النضال الطبقي الى الريف ، والتفاف الجماهير الريفية الكادحة حول حزب بروليتاريا المدن الشيوعي ، وقيام هذه البروليتاريا بتثقيف تلك الجماهير .

٢ – ان الجماهير الكادحة والمستثمَرة في الريف ، هذه الجماهير التي يترتب على بروليتاريا المدن ان تقودها الى المعركة ، أو ان تكسبها الى جانبها على الأقل ، تتمثل في جميع البلدان الرأسمالية بالطبقات التالية :

اولا ، البروليتاريا الزراعية ، اي العمال الاجراء (بالسنة ، لمدة معينة ، بالمياومة) ، الذين يحصلون على اسباب المعيشة من القيام بعمل مأجور في المشروعات الزراعية الرأسمالية . اما المهمـــة **الأساسية** الموضوعة على عاتق الاحزاب الشيوعية في جميع البلدان ، بالنسبة لهذه الطبقة ، فهي : تنظيم هذه الطبقة (سياسيا وعسكريا ، ونقابيا ، وتعاونيا ، وثقافيا ، الخ .) تنظيما مستقلا ومتميزا بالنسبة

لسائر فئات سكان الريف ، تعزيز الدعاية والتحريض في قلب هذه الطبقة ، السعي لاجتذابها الى جانب الحكم السوفييتي وديكتاتورية البروليتاريا .

ثانيا ، انصاف البروليتاريين ، أو الفلاحون ذوو القطع الصغيرة من الارض ، اي اولئك الذين يحصلون على قسم من اسباب المعيشة من القيام بعمل مأجور في المشروعات الرأسمالية الصناعية والزراعية ، وعلى القسم الآخر من استثمار قطعة الارض التي يملكونهـــا أو يستأجرونها والتي لا تنتج سوى جزء من المواد الغذائية الضرورية لأسرهم . ان هذه الفئة من سكان الريف الكادحين كثيرة العدد جدا في جميع البلدان الرأسمالية ؛ وممثلو البرجوازية و«الاشتراكيون» الصفر المنتمون الى الاممية الثانية يسعون الى ستر وجود هذه الفئة والى طمس وضعها الخاص ، وذلك من جهة ، بخداع العمال قصدا وعمدا ، ومن جهة اخرى بالسير سيرا اعمى وراء المفاهيم السطحية ، المطروقة ، بالخلط بين هؤلاء الشغيلة وبين سواد «الفلاحين» بوجه عام . ان هذه الطريقة البرجوازية لخداع العمال تتّبع بوجه خاص في ألمانيا وفرنسا ، ثم في اميركا وبلدان اخرى . واذا عرف الحزب الشيوعي كيف ينظم عمله بصورة صحيحة ، فانه يضمن لنفسه تأييد هذه الفئة من سكان الريف ، لأن اوضاع انصاف البروليتاريين هؤلاء هي من أصعب الاوضاع ولأن الفوائد التي يمنحهم اياها الحكم السوفييتي وديكتاتورية البروليتاريا هي كبيرة وفورية .

ثالثا ، الفلاحين الصغار ، اي الزرّاع الصغار الذين عندهم ، بالملكية أو بالاستئجار ، قطع صغيرة من الارض ، والذين يسدون حاجات أسرهم واستثماراتهم دون ان يلجأوا الى اليد العاملـــة المأجورة . ان هذه الفئة ، بوصفها فئة ، تكسب بكل تأكيد مـــن انتصار البروليتاريا ، الذي يؤمن لها حالا وتماما : (أ) الخلاص من بدلات الايجار أو الغاء تسليم نصف الغلّة بموجب عقود المحاصصة

(مثلا ، métayers ، المحاصّون في فرنسا ؛ وكذلك في ايطاليا ، الخ .) ، الى كبار ملاكي الاراضي ؛ (ب) الخلاص من الرهونات (التأمينات العقارية) ؛ (ج) الخلاص من شتى اشكال الاضطهاد الذي يمارسه كبار اصحاب الاراضي ، ومن التبعية لهم (الانتفاع بالغابات ، الخ .) ؛ (د) المعونة الفورية لاستثماراتها من جانب سلطة الدولة البروليتارية (جميع التسهيلات لاستعمال العتاد الزراعي ولاستعمال قسم من ابنية الاستثمارات الرأسمالية الكبيرة التي صادرتها البروليتاريا ؛ قيام سلطة الدولة البروليتارية فورا بتحويل التعاونيات الريفية والجمعيات الزراعية – وكلها منظمات افادت بوجه خاص الفلاحين الاغنياء والمتوسطين في ظل النظام الرأسمالي – الى منظمات مدعوة لمدّ يد المساعدة الى الفقراء بالدرجة الاولى ، اي الى البروليتاريين ، وانصاف البروليتاريين وصغار الفلاحين ، الخ .) ، والكثير من الفوائد الاخرى .

ومن جهة اخرى ، ينبغي على الحزب الشيوعي ان يدرك بوضوح انه ، خلال مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية ، اي في ظل ديكتاتورية البروليتاريا ، ستحدث في قلب هذه الفئة من الناس تأرجحات محتومة ، الى حدّ ما على الاقل ، نحو ما لا حد له من حرية التجارة وحرية ممارسة حقوق الملكية الخاصة ، لأن هذه الفئة التي تبيع سلع الاستهلاك (ولو بقدر ضئيل) قد افسدتها المضاربة وعادات الملكية . ولكن تأرجحات هذه الفئة من الناس لا يمكن لها ان تكون خطيرة ولا يسعها ان تغير شيئا في كونها ستقف بالنتيجة الى جانب الثورة البروليتارية ، اذا انتهجت البروليتاريا الظافرة سياسة حازمة ، واذا قضت تماما وبلا هوادة على كبار ملاكي الاراضي وكبار الفلاحين .

٣ – ان هذه الفئات الثلاث تؤلف معا اكثرية سكان الريف في جميع البلدان الرأسمالية . ولذا كان نجاح الثورة البروليتارية

مضمونا تماما في الارياف كما في المدن . اما الرأي المعاكس فهـــو واسع الانتشار ، غير انه لايقوم الاّ لاسباب ثلاثة : اولا ، ان العلم والاحصاء البرجوازيين يكذبان بدأب وانتظام ، ويبذلان قصارى الجهد على ان يسترا بجميع الوسائل الهوة العميقة التي تفصل هذه الطبقات الريفية عن المستثمِرين ، الملاكين العقاريين والرأسماليين ، والتي تفصـــل انصاف البروليتاريين وصغار الفلاحين عن كبار الفلاحين ؛ ثانيا : ان ابطال الاممية الثانية الصفراء و«اريستوقراطية العمال» في البلدان المتقدمة ، التي افسدتها الامتيازات الامبريالية ، ليسوا قادرين على القيام بين الفلاحين الفقراء بعمل بروليتاري وثوري حقا قوامه الدعاية والتحريض والتنظيم ، ولا يرغبون في ذلك ؛ فان الانتهازيين قد وجّهوا وما يزالون يوجهون كل جهودهم نحو تلفيق اتفاقات نظرية وعملية مع البرجوازية ، بما فيها الفلاحون الكبار والمتوسطون (الذين سنتحدث عنهـــم فيما بعد) ، لا نحو قيام البروليتاريا باسقاط الحكومة البرجوازية والبرجوازية نفسها بالطريق الثوري ؛ ثالثا : ثمة عدم تفهم شديد اصبحت له قوة وهم (مرتبط بمجمل الاوهام الديموقراطية البرجوازية والبرلمانية) ، هو عدم تفهم هذه الحقيقة التي اثبتتها النظرية الماركسية تماما والتي أكدتها تماما تجربة الثورة البروليتارية في روسيا ، ونعني بهذه الحقيقة ان سكان الريف من الفئات الثلاث المشار اليها آنفا ، الذين نراهم متعَبين ، ومقسَّمين ، ومظلومين ، ومحكوما عليهم في جميع البلدان المتقدمة بتحمل شروط معيشة شبه بربرية ، – والذين يهمهم ، اقتصاديـــا واجتماعيا وثقافيا ، ان يروا انتصار الاشتراكية – لا يستطيعون مساندة البروليتاريا الثورية بصورة حازمة الاّ **بعد** ان تستولي البروليتاريا الثورية على السلطة السياسية ، **بعد** ان تقضي بحزم على ملاكي الاراضي الكبار والرأسماليين ، **بعد** ان يتبيّن هؤلاء الناس المظلومون ، **عمليا** ، ان لهم زعيما وحاميا منظّما ، يتمتع بالقدر

الكافي من الثبات والقوة لكي يساعدهم ويقودهم ، لكي يدلّهم على السبيل القويم .

٤ – ينبغي لنا ان نفهم ان تعبير «الفلاحين المتوسطين» يعني ، من الناحية الاقتصادية ، الزرّاع الصغار الذين عندهم ايضا ، بالملكية او بالايجار ، قطع ارض صغيرة ، ولكنها تؤمن لهم في ظل النظام الرأسمالي ، وكقاعدة عامة ، اولا ، حاجات اسرتهم واستثمارتهم الريفية ، وان بصورة زهيدة ، وتتيح لهم امكانية ادخار فائض من شأنه ان يتحول الى رأسمال ، في خيرة السنين على الأقل ، والذين ، ثانيا ، يلجأون في احيان كثيرة نسبيا الى اليد العاملة المأجورة (في كل استثمارة من استثمارتين أو ثلاث ، مثلا) . ان المانيا تعطي المثال الملموس عن الفلاحين المتوسطين في بلد رأسمالي متقدم : فوفقا لاحصاء ١٩٠٧ ، تبيّن ان عدد الاستثمارات ذات العمال الاجراء في فئة الاستثمارات التي تتراوح مساحة اراضيها بين ٥ هكتارات و١٠ ، بلغ ما يقرب من ثلث عدد استثمارات هذه الفئة * . اما في فرنسا ، حيث تطورت الزراعات الخاصة ، كزراعة الكرمة ، التي تتطلب جهدا كبيرا جدا من اجل حراثة الارض ، فمن المحتمل ان تلجأ هذه الفئة الى استخدام اليد العاملة المأجورة بمقياس اوسع بعض الشيء .

---

* الارقام الدقيقة : الاستثمارات التي تتراوح مساحة اراضيها بين ٥ هكتارات و ١٠ – ٦٥٢٧٩٨ (من اصل ٥٧٣٦٠٨٢ ؛ وهي تستخدم ٤٨٧٧٠٤ اجراء من كل صنف و٢٠٣٦٣٣ شغيلا ينتمون الى اسر الزراع انفسهم (Familienangehörige) . وفي النمسا ، تبين من احصاء ١٩٠٢ ان هذه الفئة تعد ٣٨٣٣٣١ استثمارة منها ١٢٦١٣٦ استثمارة تستخدم اليد العاملة المأجورة ؛ العمال الأجراء : ١٤٦٠٤٤ ؛ الشغيلة الذين ينتمون الى أسر الزراع ، ١٢٦٥٩٦٩ . وبالاجمال كان في النمسا ٢٨٥٦٣٤٩ استثمارة ريفية .

ان البروليتاريا الثورية لا تستطيع ان تأخذ على عاتقها – على الأقل في مستقبل قريب وفي بداية عهد ديكتاتورية البروليتاريا – مهمة العمل على كسب هذه الفئة الاجتماعية الى جانبها ؛ انما ينبغي لها ان تكتفي بحمل هذه الفئة على لزوم موقف الحياد ، اي ان تحملها على لزوم موقف الحياد في النضال بين البروليتاريا والبرجوازية . ان تردّدات هذه الفئة الاجتماعية بين هذه الجهة وتلك ، هي امر محتوم ؛ وفي مطلع العهد الجديد ، سيكون الميل السائد لدى هذه الفئة في البلدان الرأسمالية المتقدمة ، الى جانب البرجوازية . وذلك لانه تسود هنا عقلية الملاكين وتفكيرهم ؛ وهذه الفئة الاجتماعية يهمها مباشرة أمر المضاربة ، و«حرية» التجارة ، والملكية ؛ وتناحرها مع العمال الاجراء مباشر . ان البروليتاريا الظافرة ستحسّن بالفعل وضع هذه الفئة الاجتماعية ، بالغائها بدلات الايجار والتأمينات العقارية . وفي معظم الدول الرأسمالية ، ينبغي على السلطة البروليتارية ألاّ تلجأ ابدا الى الغاء الملكية الخاصة الغاء فوريا كاملا ؛ ولكنها ، على كل حال ، تضمن للفلاحين الصغار والمتوسطين لا امتلاك قطع ارضهم الصغيرة وحسب ، بل ايضا امتلاك مجمل الارض التي يستأجرونها عادة (الغاء بدل الايجار) .

ان الجمع بين هذا النوع من التدابير ، وبين النضال بلا هوادة ضد البرجوازية سيضمن النجاح التام لسياسة حمل الفلاحين المتوسطين على لزوم الحياد . فبأعظم الاحتراس والحذر ، وتدريجيا ، ينبغي على سلطة الدولة البروليتارية ان تؤمن الانتقال الى الزراعة التعاونية ، باعطائها المثل الصالح ، ودون اللجوء الى اي عنف ازاء الفلاحين المتوسطين .

٥ – ان كبار الفلاحين („Großbauern“) هم ، في الزراعة ، ارباب عمل رأسماليون ؛ وهم يستخدمون عادة عدة اجراء ولا يمتون الى «الفلاحين» بصلة الاّ من حيث مستوى ثقافتهم المنحط ونمط

حياتهم ، وعملهم الشخصي ، اليدوي ، في استثماراتهم . وهم ، بين فئات البرجوازية المعادية بصراحة وحزم للبروليتاريا الثورية ، اكثر الفئات عددا . وعلى النضال ضد هذه الفئة وعلى تخليص اكثرية سكان الريف الكادحة والمظلومة من تأثير هؤلاء المستثمِرين الفكري والسياسي ، يجب ان تركز الاحزاب الشيوعية اعظم اهتمامها في كل عملها في الريف .

ان هذه الفئة الاجتماعية ستلجأ حتما ، بعد انتصار البروليتاريا في المدن ، الى جميع اشكال المقاومة والتخريب ، والى العمل المسلح المباشر ضد الثورة . ولهذا ينبغي على البروليتاريا الثورية ان تلجأ فورا ، في الميدان الفكري والتنظيمي ، الى تحضير القوى الضرورية لكي تنزع كليا سلاح هذه الفئة ولكي تنهال عليها بلا هوادة ، لدى اول محاولة للمقاومة ، وفي نفس الوقت الذي تسقط فيه الرأسماليين في الصناعة ، بأشد الضربات القاضية والحازمة . ولهذا الغرض ، ينبغي على البروليتاريا الثورية ان تسلّح البروليتاريا الريفية وان تنظّم السوفييتات في الارياف شرط ألا يكون فيها مكان للمستثمِرين ، شرط تأمين الاغلبية فيها للبروليتاريين وانصاف البروليتاريين .

ولكن حتى مصادرة املاك الفلاحين الكبار لا يمكن لها ابدا ان تكون المهمة المباشرة الموضوعة امام البروليتاريا الظافرة ، لأن الشروط المادية ، وبالاخص التكنيكية ، ثم الاجتماعية ايضا ، من اجل جعل هذه الاستثمارات الريفية استثمارات اجتماعية ، لم تتوافر بعد . وفي بعض الحالات ، الاستثنائية على الارجح ، ستصادر من كبار الفلاحين الاراضي التي يؤجرونها قطعا صغيرة او التي هي ضرورية بوجه خاص للفلاحين الصغار المجاورين ؛ ولهؤلاء الفلاحين الصغار المجاورين ، يجب ان يضمن ايضا ، ببعض الشروط ، استعمال قسم من آلات الفلاحين الكبار الزراعية مجانا ، الخ . . إلاّ انه ينبغي

على سلطة الدولة البروليتارية ، كقاعدة عامة ، ان تترك لكبار الفلاحين اراضيهم وأن لا تصادرها إلاّ في حال ابداء المقاومة بوجه حكم الشغيلة والمستثمَرين . ان تجربة الثورة البروليتاريـــة في روسيا ، حيث تعقّد النضال ضد كبار الفلاحين واستطال من جرّاء شتى الظروف الخاصة ، قد بيّنت مع ذلك ان هذه الفئة الاجتماعية ، عندما تلقت درسا قاسيا لدى ادنى محاولة للمقاومة ، قد غدت قادرة على القيام بولاء بالمهمات التي تلقيها الدولة البروليتارية على عاتقها ، بل انها بدأت تشعر ، ولو ببطء بالغ ، بالاحترام لسلطة تؤمن الدفاع عن جميع الشغيلة وقاسيـــة بلا رحمة ازاء الاغنياء الطفيليين .

ان الظروف الخاصة التي عقّدت وعرقلت نضال البروليتاريا ضد كبار الفلاحين في روسيا ، بعد ان تغلّبت البروليتاريـــا على البرجوازية ، انما تنحصر خصوصا في كون الثورة الروسية قـــد اجتازت ، بعد انقلاب ٢٥ تشرين الاول – اكتوبر (٧ تشرين الثاني – نوفمبر) ١٩١٧ ، مرحلة نضال «ديموقراطي عام» ، اي ديموقراطي برجوازي من حيث الأساس ، قام به جميع الفلاحين ضد الملاكين العقاريين ؛ ومردّ هذه الظروف ايضا الى ضعف بروليتاريا المدن ثقافة وعددا ، واخيرا ، اتساع البلاد الشاسع وسوء طرق مواصلاتها . ولما كانت البلدان المتقدمة تجهل هذه العراقيل ، فانه يترتب على البروليتاريا الثورية في اوروبا واميركا ان تهيئ انتصارها التام بمزيد من العزيمة وان تنهيه بسرعة اكبر بكثير وبعزم اشدّ بكثير ، وبنجاح اوفر بكثير ، لكي تتغلب على مقاومة الفلاحين الكبار وتحرمهم كل امكانيـــة للمقاومـــة . ذلك أمر بالغ الضرورة ، لأن جمهور بروليتاريي الريف وانصاف البروليتاريين وصغار الفلاحين لن يعتبروا سلطة الدولة البروليتارية راسخـــة تماما طالما لم يتم احراز هذا الانتصار الكامل النهائي .

٦ – ينبغي على البروليتاريا الثورية ان تصادر فورا وبلا تحفظ جميع اراضي الملاكين العقاريين ، كبار اصحاب الاراضي اي الاشخاص الذين يعمدون في البلدان الرأسمالية ، مباشرة أو بواسطة من يؤجرونهم اراضيهم ، الى استثمار اليد العاملة المأجورة وصغار الفلاحين المجاورين (وغالبا جدا الفلاحين المتوسطين) بدأب وانتظام ؛ والذين لا يشتركون ابدا في العمل اليدوي وينتمون في معظم الحالات الى سلالات الاقطاعيين (نبلاء روسيا والمانيا والمجر ، الاسياد الفرنسيون الذين استعادوا املاكهم وسيطرتهم ، اللوردات الانجليز ، مالكو الارقاء السابقون في اميركا) ، أو الى طبقة اساطين المال الذين اثروا فائق الاثراء ، أو الى خليط هاتين الفئتين معا من المستثمِرين والطفيليين .

ولذا لا يجوز للاحزاب الشيوعية ان تسمح لاعضائها في اي حال من الاحوال بان يدعوا الى التعويض على كبار ملاكي الاراضي الذين صودرت اراضيهم أو ان يدفعوا لهم هذا التعويض ، اذ ان ذلك سيعني في اوروبا وفي اميركا ، في الاوضاع الراهنة ، خيانة الاشتراكية وفرض جزية جديدة على الجماهير الكادحة المستثمَرة التي كانت اشد من عانى ويلات الحرب التي اكثرت من عدد اصحاب الملايين وضاعفت ثرواتهم .

اما فيما يتعلق بطريقة استثمار الاراضي التي صادرتها البروليتاريا الظافرة من كبار الملاكين ، فان روسيا ، بالنظر لتأخرها الاقتصادي ، قد اتبّعت بوجه خاص طريقة تقسيم هذه الاراضي وتوزيعها على الفلاحين للانتفاع بها . ولم تحتفظ الدولة البروليتارية لحسابها بالاستثمارات المسماة «الاستثمارات السوفييتية» الاّ في حالات نادرة نسبيا ، جاعلة من قدماء العمال الاجراء شغيلة يعملون بتكليف من الدولة واعضاء في السوفييتات التي تدير شؤون الدولة . ان الاممية الشيوعية تعتبر ان ثمة مجالا في البلدان الرأسمالية

المتقدمة **لأفضلية** الاحتفاظ بالمشروعات الزراعية الكبيرة واستثمارها على غرار «الاستثمارات السوفييتية» في روسيا .

غير انه من فادح الخطأ المبالغة في هذه القاعدة أو تعميمها ، وعدم القبول ابدا بتسليم صغار الفلاحين المجاورين ، مجانا ، واحيانا المزارعين المتوسطين **قسما** من اراضي المغتصبين الذين صودرت املاكهم .

اولا ، ان الاعتراض المألوف ، وقوامه ابراز تفوق الاستثمارات الزراعية الكبيرة التكنيكي ، ينحصر في غالب الاحيان في الاستعاضة عن حقيقة نظرية لا جدال فيها باسوأ انواع الانتهازية وبخيانة الثورة . فكما ان اخصام الرقّ البرجوازيين في الولايات المتحدة لم يتراجعوا امام الهبوط الموقت في انتاج القطن من جرّاء الحرب الاهلية في مرحلة ١٨٦٣ – ١٨٦٥ ، كذلك لا يحق للبروليتاريا ، رغبة منها في تأمين نجاح الثورة ، ان تتراجع امام اي هبوط موقت في الانتاج . ان الانتاج هو غاية في حدّ ذاتها بنظر البرجوازي . اما ما يهتم به بالدرجة الاولى السكان الكادحون والمستثمَرون ، فهو اسقاط المستثمِرين واقامة اوضاع تتيح للشغيلة ان يشتغلوا لانفسهم لا للرأسماليين . ان المهمة الاولى ، الرئيسية ، الموضوعة امام البروليتاريا ، انما هي تأمين انتصارها وتوطيده . والحال ، لا يمكن توطيد السلطة البروليتارية دون حمل الفلاحين المتوسطين على لزوم موقف الحياد ودون ضمان التأييد من قبل قسم كبير جدا من صغار الفلاحين ، ان لم يكن ضمان تأييدهم كلهم .

ثانيا ، ان زيادة الانتاج الزراعي الكبير ، بل الحفاظ عليه ايضا ، يفترضان وجود بروليتاريا ريفية متطورة تماما ، واعية ، ثورية ، متخرّجة من مدرسة جدّية للتنظيم السياسي والنقابي . وعندما لا يتوافر هذا الشرط ، أو عندما يستحيل الاعتماد على عمال صناعيين واعين واكفاء وتكليفهم بالمهمة بصورة مفيدة ، فان

المحاولات الرامية الى الاسراع في انشاء استثمارات زراعية كبيرة تديرها الدولة لا يمكن لها الا ان تسيء الى الحكم البروليتاري . وفي مثل هذه الظروف ينبغي التحضير الجدّي واقصى الاحتراس عند انشاء «الاستثمارات السوفييتية» .

ثالثا ، في جميع البلدان الرأسمالية ، بل في اكثرها تقدما ، ما تزال بقايا استثمار صغار الزرّاع المجاورين من جانـــب كبار اصحاب الاراضي على طريقة القرون الوسطى ، على الطريقة شبه الاقطاعية . مثلا : Instleute * في المانيا ، métayers ** في فرنسا ، والمحاصون المستأجرون في الولايات المتحدة (وهؤلاء ليسوا فقط الزنوج الذين يُستثمَرون في معظـــم الاحيان على هذا النحو في جنوب الولايات المتحدة ، بل البيض احيانا ايضا) . في مثل هذه الحالة ، ينبغي على الدولة البروليتارية اطلاقا ان تترك هذه الاراضي مجانا للزراع الصغار الذين كانوا يستأجرونها فيما مضى ، اذ ليس ثمة اي اساس اقتصادي وتكنيكي آخر ، ولا يمكن ايجاد أساس كهذا دفعة واحدة .

وينبغي بالضرورة مصادرة العتاد الزراعي في الاستثمارات الكبيرة وتحويله الى ملكية الدولة بأسرها شرط ان يتمكن الفلاحون الصغار المجاورون ، **بعد** تزويد الاستثمارات الزراعية الكبيرة التابعة للدولة بالعتاد الزراعي ، من استعماله مجانا وبالشروط التي تحددها الدولة البروليتارية .

اذا كان من الضروري اطلاقا ، على أثر الثورة البروليتارية ، لا مصادرة الملكيات العقارية الكبيرة بدون تأخر وحسب ، بل ايضا نفي أو اعتقال جميع كبار ملاكي الاراضي ، بوصفهم زعماء اعداء الثورة ومضطهدي جميع سكان الريف بلا رحمة ، فينبغي مع ذلك

---

* مستاجرو الاراضي . بالالمانية في النص الاصلي . **الناشر** .
** المحاصون . بالفرنسية في النص الاصلي . **الناشر** .

السعي بدأب وانتظام ، وبقدر ما يتوطد الحكم البروليتاري في المدن والارياف ، الى استخدام قوى هذه الطبقة الحائزة على تجربة ثمينة وعلى معرفة وكفاءات تنظيمية ، بغية انشاء الزراعة الاشتراكية الكبيرة (شرط ان يجري ذلك تحت رقابة اشدّ العمال الشيوعيين اهلا للثقة) .

٧ – ان الانتصار الذي احرزته الاشتراكية على الرأسمالية ورسوخ الاشتراكية لا يمكن اعتبارهما أمرا مكتسبا الاّ بعد ان تسحق سلطة الدولة البروليتارية نهائيا كل مقاومة من جانب المستثمرين وتضمن لنفسها الاستقرار الكامل والخضوع التام ، فتعيد تنظيم الصناعة كلها على أسس الانتاج الجماعي الكبير والقاعدة التكنيكية الحديثة (القائمة على كهربة الاقتصاد بكليته) . وهذا ما سيتيح للمدن ان تسدي الى الارياف المتأخرة المشتتة مساعدة حاسمة ، تكنيكية واجتماعية ، من شأنها ان توفّر القاعدة المادية لنمو مردود العمل نموا كبيرا في زراعة الاراضي والاقتصاد الزراعي بوجه عام ، وان تحفز بالمثال صغار الزرّاع على الانتقال ، لما فيه مصلحتهم ، الى الزراعة الكبيرة التعاونية والممكننة . ان هذه الحقيقة النظرية الثابتة التي لا جدال حولها ، والتي يعترف بها قولا جميع الاشتراكيين ، انما تشوّهها فعلا الانتهازية السائدة في اوساط الاممية الثانية الصفراء وبين زعماء «المستقلين» الالمان والانجليز (١٤) وكذلك بين اتباع لونغه الفرنسيين (١٥) ، الخ . . اما هذا التشويه ، فقوامه لفت الانتباه الى مستقبل جميل ، وردي ، بعيد نسبيا ، وصرف الانتباه عن المهام المباشرة التي يفرضها الانتقال العملي والصعب الى هذا المستقبل . وينحصر هذا عمليا في المناداة بالتفاهم مع البرجوازية ، والدعوة الى «السلام الاجتماعي» ، اي الخيانة التامة للبروليتاريا التي تناضل اليوم وسط الخراب والبؤس اللذين لا سابق لهما واللذين احدثتهما الحرب في كل مكان ، في حين أثرت ،

بفضل هذه الحرب ايضا ، وبصورة فاضحة ، حفنة من اصحاب الملايين الذين لم تعد لغطرستهم واثرائهم اية حدود .

ان الامكانية الفعلية المتوافرة في الريف على وجه الضبط لاحراز النصر في النضال من اجل الاشتراكية تفرض اولا على جميع الاحزاب الشيوعية ان تزرع في نفس البروليتاريا الصناعية الشعور بضرورة بذل التضحيات وارادة بذل التضحيات بغية اسقاط البرجوازية وتوطيد الحكم البروليتاري ، باعتبار ان ديكتاتورية البروليتاريا تفترض عند البروليتاريا القدرة على تنظيم جميع الجماهير الكادحة والمستثمَرة وعلى اجتذابها وراءها ، كما تفترض عند الطليعة القدرة على بذل الحد الاقصى من التضحيات والجهود البطولية في سبيل هذا الهدف . ولاجل النجاح ، ينبغي ، من جهة ثانية ، ان تتمكن اشد الجماهير الكادحة عرضة للاستثمار في الريف من ان ترى ، من جراء انتصار العمال ، ان وضعها قد تحسّن على الفور تحسنا كبيرا على حساب المستثمِرين . والاّ استحال على البروليتاريا الصناعية الاعتماد على تأييد الريف ، واستحال عليها بوجه خاص تأمين تموين المدن بالمأكولات .

٨ – ان الرأسمالية تقضي على سواد شغيلة الارض باحتمال اقصى ما يكون من الضنك والتشتت واحيانا من التبعية التي تشبه تبعية القرون الوسطى ؛ ولذا كانت هذه الصعوبة الفائقة التي ينطوي عليها تنظيم واعداد هذا السواد من أجل النضال الثوري ، توجب على الاحزاب الشيوعية ان تبذل أوفر ما يكون من العناية بالحركة الاضرابية في الريف ، وان تساند بحزم وقوة وتطوّر الى النهاية الاضرابات الجماهيرية التي يقوم بها البروليتاريون وانصاف البروليتاريين الزراعيين . ان تجربة الثورتين الروسيتين عام ١٩٠٥ وعام ١٩١٧ ، التي اكّدتها واكملتها اليوم تجربة المانيا وغيرها من البلدان المتقدمة ، تبيّن ان الحركة الاضرابية الجماهيرية المتسعة

(التي يمكن ويجب اجتذاب صغار الفلاحين اليها ، في بعض الظروف) من شأنها وحدها ان تنتشل الريف من سباته العميق ، وان توقظ الوعي الطبقي والشعور بضرورة التنظيم الطبقي لدى الجماهير الريفية المستثمَرة ، وان تبرز امام عيونها ، بصورة ساطعة عملية ، اهمية تحالفها مع عمال المدن .

ان مؤتمر الاممية الشيوعية يسم بالعار والخيانة اولئك الاشتراكيين الذين لا نجدهم مع الأسف في صفوف الاممية الثانية الصفراء وحسب ، بل ايضاً في صفوف الاحزاب الاوروبية الثلاثة الهامة على الاخص والتي انفصلت عن هذه الاممية ، والذين بوسعهم ان يقفوا موقف اللامبالاة من النضال الاضرابي في الريف بل ان يعارضوه (كما فعل كاوتسكي) ، خوفا من ان يؤدي الى انخفاض في انتاج سلع الاستهلاك . ان اروع البرامج والبيانات تفقد كل قيمة اذا لم يقدم الدليل في الواقع ، وبالاعمال ، على ان الشيوعيين وزعماء العمال يعرفون كيف يضعون في مكان الصدارة أمر تطوير الثورة البروليتارية وانتصارها وكيف يبذلون افدح التضحيات في سبيلها ؛ اذ ليس ثمة مخرج آخر ولا وسيلة اخرى من أجل اجتناب المجاعة والخراب والحروب الامبريالية الجديدة .

ان زعماء الاشتراكية القديمة وممثلي «اريستوقراطية العمال» يكثرون اليوم من التنازلات الشفوية للشيوعية أو ينتقلون شكلا الى جانبها بقصد الحفاظ على سمعتهم ومكانتهم بين جماهير العمال الذين يستوعبون اكثر فاكثر افكار الثورة . ولذا من المهم ان نشير بوجه خاص الى انه ينبغي على هؤلاء الزعماء والممثلين ان يدللوا على اخلاصهم لقضية البروليتاريا وعلى اهليتهم لتأمين مراكز المسؤولية خصوصا في مجال من النشاط يتطور فيه الوعي الثوري والنضال الثوري بصورة اكثر بروزا مما يتطوران في اي مجال آخر ؛ في مجال تبدو فيه مقاومة كبار اصحاب الاراضي والبرجوازية (كبار

الفلاحين ، الكولاك) في اشد درجاتهـا ، ويبرز فيـه الفرق بين الاشتراكي الداعي الى التوفيق والشيوعي الثوري على اشدّ وجه .

٩ – ينبغي على الاحزاب الشيوعية ان تبذل جميع جهودها قصد الشروع في اقرب وقت ، في الارياف ، بانشاء سوفييتات النواب الذين يمثلون بالدرجة الاولى العمال الاجراء وانصاف البروليتاريين . ولن تتمكن السوفييتات من اداء رسالتها وبلوغ ما يكفي من القوة والرسوخ من اجل التأثير في صغار الفلاحين (ثم من اجل ضمّهم اليها) الا اذا كانت وثيقة الارتباط بالحركة الاضرابية الجماهيرية وبالطبقة التي تعاني وطأة الاضطهاد اكثر من سائر الطبقات . ولكن ، اذا كانت الحركة الاضرابية غير متطورة حتى الآن ، واذا كانت القدرة التنظيمية لدى البروليتاريا الريفية ما تزال ضعيفـــة ، سواء من جرّاء نير كبار اصحاب الاراضي وكبار الفلاحين وشدة وطأته ، ام من جرّاء انعدام المساندة من جانب العمال الصناعيين وجمعياتهم ، فان انشاء سوفييتات النواب الريفية يتطلب تحضيرا طويلا عن طريق انشاء خلايا شيوعية ، حتى وان كانت صغيرة ، القيام بنشاط تحريضي شديد بغية العمل باوسع صورة شعبية على عرض مبادئ الشيوعية مع التعليق عليها بأمثلة صارخة عن الاستثمار والاضطهاد ؛ تنظيم جولات يقوم بها العمال الصناعيون بانتظام في الريف ، الخ . .

صدرت في ٢٠ تموز (يوليـــو) ١٩٢٠ في مجلة «كومونيستيتشيسكى انترناسيونال» («الاممية الشيوعية») ، العدد ١٢

المجلد ٤١ ، ص‌ص ١٦٩–١٨٢

٣

موضوعات
عن المهام الاساسية امام المؤتمر الثاني
للاممية الشيوعية

١ – ان الظرف الراهن في تطور الحركة الشيوعية العالمية يتصف بكون خيرة ممثلي البروليتاريا الثورية في جميع البلدان الرأسمالية قد ادركوا تمام الادراك مبدئي الاممية الشيوعية الاساسيين واعني بهما ديكتاتورية البروليتاريا والسلطة السوفييتية ، ووقفوا بحماسة لامتناهية الى جانب الاممية الشيوعية . وقد تحققت خطوة اهم واكبر الى امام ، هي ان العطف الأكيد على هذين المبدئين الاساسيين قد اتضح كلياً في كل مكان لا بين اوسع الجماهير من بروليتاريا المدن وحسب ، بل ايضاً بين القسم المتقدم من العمال الزراعيين .

ومن جهة اخرى ، ظهرت ناحيتا خطأ او ضعف في الحركة الشيوعية العالمية المتنامية بسرعة فائقة العادة . احداهما ، جدية جداً وتشكل خطراً مباشراً جسيماً على نجاح قضية تحرير البروليتاريا ، وقوامها ان قسماً من الزعماء القدامى ومن الاحزاب القديمة في الاممية الثانية يعمدون جزئياً عن نصف وعي الى النزول عند رغائب الجماهير الشعبية وضغطها ، وجزئياً عن وعي الى خداعها لكي يحتفظوا لانفسهم بدورهم السابق ، دور عملاء واعوان البرجوازية في داخل الحركة العمالية ، ويصرحون بانضمامهم المشروط او حتى غير المشروط الى الاممية الثالثة ولكنهم يظلون في الواقع على مستوى الاممية الثانية في كل ممارستهم لنشاطهم الحزبي والسياسي . ان هذا الحال لا يجوز

البتة ، لانه يفضي الى افساد الجماهير مباشرة ، ويقوض الاحترام للاممية الثالثة ، ويهدد بتكرر خيانات كخيانات الاشتراكيين-الديموقراطيين المجريين الذين تعمدوا على عجلة بالشيوعية (١٦) . اما الخطأ الثاني الذي هو اقل شأناً بكثير والذي هو بالاحرى مرض من امراض نمو الحركة ، فقوامه السعي الى «اليسارية» الذي يؤدي الى الخطأ في تقييم دور ومهام الحزب حيال الطبقة وحيال الجمهور وفي تقييم الزامية العمل في البرلمانات البرجوازية والنقابات الرجعية بالنسبة للشيوعيين الثوريين .

وواجب الشيوعيين ان لا يلزموا الصمت حول نواحي الضعف في حركتهم ، بل ان ينتقدوها علناً وصراحة ، بغية التخلص منها بمزيد من السرعة والجذرية . ولهذا الغرض من الضروري اولاً اعطاء تعريف ادق واوضح ،ولا سيما على اساس التجربة العملية الحاصلة حتى الآن ، لمضمون مفهومي «ديكتاتورية البروليتاريا» و«السلطة السوفييتية» ؛ ثانياً ، الاشارة الى ما يمكن ويجب ان يتلخص فيه على وجه الضبط في جميع البلدان العمل التحضيري الفوري والمنتظم لتحقيق هذين الشعارين ؛ ثالثاً ، الاشارة الى سبل ووسائل ازالة النواقص في حركتنا .

١

جوهر ديكتاتورية البروليتاريا والسلطة السوفييتية

٢ – ان انتصار الاشتراكية (بوصفها الدرجة الاولى من الشيوعية) على الرأسمالية يتطلب من البروليتاريا ، بوصفها الطبقة الوحيدة الثورية فعلاً ، اداء المهام الثلاث التالية . المهمة الاولى ، اسقاط المستثمرين ، وفي المقام الاول البرجوازية بوصفها الممثل الرئيسي لهم في الحقلين الاقتصادي والسياسي ؛ انزال الهزيمة النكراء بهم ؛ قمع مقاومتهم ؛ جعل كل محاولة من جانبهم ، ايا كانت ،

لاجل بعث نير الرأسمال والعبودية المأجورة امراً غير ممكن . المهمة الثانية ، عدم الاكتفاء باجتذاب وجرّ كل البروليتاريا او اغلبيتها الساحقة ، الهائلة وراء الطليعة الثورية للبروليتاريا ، وراء حزبها الشيوعي ، بل ايضاً اجتذاب وجر كل جمهور الشغيلة المستثمَرين الذي يستغله الرأسمال ؛ تنويرهم وتنظيمهم وتربيتهم وتعويدهم على الطاعة والانضباط في سياق النضال الجريء ، المتفاني ، الحازم ، الذي لا رحمة فيه ولا هوادة ضد المستثمِرين ؛ انتزاع هذه الاغلبية الساحقة من السكان في جميع البلدان الرأسمالية من تبعية البرجوازية ، وبث الثقة فى نفوسها ، على اساس التجربة العملية ، بدور البروليتاريا القيادي وطليعتها الثورية . المهمة الثالثة ، شل ومنع اذى الذبذبات المحتمة بين البرجوازية والبروليتاريا ، بين الديموقراطية البرجوازية والسلطة السوفييتية ، من قبل طبقة صغار المالكين في الزراعة والصناعة والتجارة ، هذه الطبقة التي لا تزال كثيرة العدد نسبياً في البلدان المتقدمة جميعها تقريباً ، رغم انها تشكل اقلية السكان ، وكذلك من قبل فئة المثقفين والمستخدمين وخلافهم المناسبة لهذه الطبقة .

ان المهمتين الاولى والثانية هما مهمتان مستقلتان تتطلب كل منهما اساليب خاصة بها للعمل فيما يتعلق بالمستثمِرين وفيما يتعلق بالمستثمَرين . والمهمة الثالثة تنبع من المهمتين الاولى والثانية ، ولا تتطلب غير الجمع الحاذق والمرن في الوقت المناسب بين الاساليب من النوع الاول والثاني ، تبعاً للظروف المحددة في كل حالة بعينها من التذبذب .

٣ – في هذا الوضع الملموس الذي نجم في العالم بأسره وبالدرجة الاولى في البلدان الرأسمالية الاكثر تقدماً وبأساً وثقافة وحرية عن العسكرية والامبريالية وخنق البلدان الضعيفة والمستعمرات والمجزرة الامبريالية العالمية ، و«صلح» فرساي ،

ليس كل ترويج للفكرة القائلة بخضوع الرأسماليين بصورة سلمية لارادة اغلبيـــة المستثمَرين ، بالانتقال السلمي ، الاصلاحي الى الاشتراكية بلادة ذهن في منتهى الابتذال وضيق الافق وحسب ، بل ايضاً خداع سافر للعمال وتزيين لوجـــه العبوديـــة المأجورة الرأسمالية واخفاء للحقيقة . وهذه الحقيقة هي ان البرجوازيـــة ، الاوفر ثقافة وديموقراطية ، لم تعد تتردد الآن عن اللجوء الى اي خديعة وجريمة ، الى ذبح ملايين العمال والفلاحين من اجل انقاذ الملكيـــة الخاصة لوسائل الانتاج . فقط اسقاط البرجوازية بالعنف ، ومصادرة املاكها ، وهدم جهاز الدولة البرجوازي كله من الاسفل الى الاعلى ، الجهاز البرلماني والقضائي والعسكري والدواويني والاداري والبلدي وما شابه ، بما في ذلك طرد المستثمِرين جميعهم بلا استثناء او اعتقال اشدهم خطراً وعناداً ، وفرض رقابة صارمة عليهم لاجل النضال ضد المحاولات المحتمة للمقاومة ولاعادة العبودية الرأسمالية ، فقط مثل هذه الاجراءات بمقدورها ان تؤمن اخضاع كل طبقة المستثمِرين اخضاعاً عملياً .

ومن جهة اخرى ، نرى التزيين نفسه لوجـــه الرأسماليـــة والديموقراطية البرجوازية والخداع نفسه للعمال في الترويج المألوف عند الاحزاب القديمة والزعماء القدامى في الاممية الثانيـــة للفكرة الزاعمة ان اغلبية الشغيلة والمستثمَرين تستطيع في ظرف العبودية الرأسمالية ، تحت نير البرجوازية الذي يرتدي اشكالاً لا نهايـــة لتنوعها ، وتزداد رقة ودقة وبالتالي قساوة وضراوة بقدر ما يكون البلد الرأسمالي المعني اوفر ثقافة ، – تستطيع ان تربي في نفسها الوضوح الكامل للوعي الاشتراكي ، وصلابة الطبع والمعتقدات الاشتراكية . اما في الواقع ، فلا يمكن تنوير اوسع الجماهير الكادحة والمستثمَرة وتربيتها وتنظيمها حول البروليتاريا ، وتحت نفوذها وقيادتها وانقاذها مما تولده الملكية الخاصة من انانية وتبعثر وعيوب

وضعف ، وتحويلها الى تحالف حرّ بين عاملين احرار الا بعد ان تعمد طليعة البروليتاريا ، بمساندة من كل هذه الطبقة الثورية الوحيدة او من اغلبيتها وتطيح بالمستثمِرين ، وتضيق عليهم الخناق ، وتحرر المستثمرين من وضعهم العبودي وتحسن ظروف حياتهم فوراً على حساب الرأسماليين المصادرة اموالهـــم ، الا بعد هذا وفي مجرى النضال الطبقي الحاد بالذات .

٤ – ان ضمان النصر على الرأسمالية يقتضي علاقة صحيحة بين الحزب القائد ، الشيوعي ، والطبقة الثورية ، البروليتاريـــا وبين الجمهور ، اي مجموعة الشغيلة والمستثمَرين كافة . فقط الحزب الشيوعي ، اذا كان فعلاً طليعة الطبقة الثورية ، اذا كان يضم في صفوفه جميع خيرة ممثلي هذه الطبقة ، اذا كان يتألف من شيوعيين واعين ومخلصين كلياً ، مستنيرين ومتمرسين بفضل تجربة النضال الثوري العنيد ، اذا عرف هذا الحزب كيف يربط نفسه بروابط لا انفصام لعراها بكل حياة طبقته ، وعن طريق طبقتـــه بكل جمهور المستثمَرين ، وكيف يبث في هذه الطبقـــة وهذا الجمهور الثقـــة التامة ، – فقط حزب كهذا بمستطاعه ان يقود البروليتاريا في النضال الاقسى ، الحاسم ، الاخير ، ضد جميع قوى الرأسمالية . ومن جهة اخرى ، فقط تحت قيادة حزب كهذا ، بمستطاع البروليتاريـــا ان تستغل كل قوة ضغطها الثوري وتقضي كلياً على اللامبالاة المحتمة وجزئياً على المقاومة من جانب اقلية ضئيلة ، افسدتها الرأسمالية ، من اريستقراطية العمال ، من زعماء التريديونيونات والتعاونيات القدماء ، وخلافهم ، – بمستطاع البروليتاريا ان تستغل كل قوتها التي هي اكبر بما لا يقاس من نسبتها بين السكان بحكم بنية المجتمع الرأسمالي الاقتصادية ذاتها . واخيراً ، لا يمكن ان يستغل للمرة الاولى في التاريخ كل مبادرة وكل طاقة عشرات الملايين من الناس الذين سحقتهم الرأسمالية ، غير الجمهور ، اي مجموع الشغيلـــة

والمستثمَرين كافة ، غير الجمهور المتحرر فعلاً من نير البرجوازية وجهاز الدولة البرجوازي ، غير الجمهور الذي توفرت له امكانيـــة الانتظام بصورة حرة فعلاً (من المستثمِرين) في سوفييتاته . فقط عندما اصبحت السوفييتات جهاز الدولة الوحيد ، تحقق اشتراك جمهور المستثمَرين كله اشتراكاً فعلياً في الادارة ، هذا الجمهور الذي بقي دائماً وعملياً ، في ظل اوفر الديموقراطيات البرجوازية ثقافة وحرية ، مقصياً بنسبة ٩٩ بالمئة عن الاشتراك في الادارة . وفقط في السوفييتات يبدأ جمهور المستثمَرين يتعلم فعلاً ، لا من الكتب ، بل من تجربته العملية الخاصة ، شؤون البناء الاشتراكي ، وانشاء انضباط اجتماعي جديد وتحالف حر بين عاملين احرار .

٢

فيم يجب ان يقوم الاستعداد الفوري والشامل لديكتاتورية البروليتاريا ؟

٥ – ان الظرف الراهن في تطور الحركة الشيوعية العالميـــة يتصف بكون استعداد البروليتاريا لبسط ديكتاتوريتها لم ينته – بل انه احياناً كثيرة جداً لم يبدأ بعد بصورة دائبة منتظمـــة – في الاغلبية الكبرى من البلدان الرأسمالية . وعن هذا لا ينجـــم ان الثورة البروليتارية غير ممكنة في المستقبل القريب العاجل ؛ فهي ممكنة تماماً لان كل الوضع الاقتصادي والسياسي غني فوق العادة بالمواد الملتهبة وبالدوافع لاجل التهابها فجأة . كذلك يتوفر شرط آخر للثورة ، عدا استعداد البروليتاريا ، واعني به حالة الازمة العامة في جميع الاحزاب الآمرة وفي جميع الاحزاب البرجوازية . ولكنه ينجم عما قيل ان مهمة الساعة بالنسبة للاحزاب الشيوعية لا تقتضي الآن تعجيل الثورة ، بل تقتضي تعزيز استعداد البروليتاريا . ومن

جهة اخرى ، تجبر الحالات المذكورة آنفاً في تاريخ العديد من الاحزاب الاشتراكيـــة على الاهتمام بالاّ يبقى «الاعتراف» بديكتاتوريـــة البروليتاريا مجرد كلام بكلام .

ولهذا تتلخص المهمة الرئيسية التي تجابه الاحزاب الشيوعية من وجهة نظر الحركة البروليتارية العالمية ، في الوقت الحاضر ، في رص القوى الشيوعية المبعثرة ، في تشكيل حزب شيوعي واحد (او في توطيد وتجديد الحزب القائم) في كل بلد من اجل مضاعفة العمل عشرة اضعاف على اعداد البروليتاريا للظفر بسلطة الدولة ، واعدادها على وجه الضبط للظفر بالسلطة بشكل ديكتاتورية البروليتاريا . فان العمل الاشتراكي العادي الذي تقوم به الجماعات والاحزاب التي تعترف بديكتاتورية البروليتاريا لا يزال ابعد من ان يكون خاضعاً بدرجة كافية لذلك التحويل الجذري ولذلك التجديد الجذري الضروريين لاعتبار هذا العمل شيوعياً ومناسباً لمهام عشيـــة ديكتاتوريـــة البروليتاريا .

٦ – ان استيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية لا يوقف نضالها الطبقي ضد البرجوازية ، بل ، بالعكس ، يجعل هذا النضال بالغ الاتساع والحدة والضراوة . فان جميع جماعات واحزاب وقادة الحركة العمالية ، الذين يتبنون كلياً او جزئياً وجهة نظر الاصلاحية او «الوسط» ، وما شابه ، يقفون حتماً ، من جراء تأزم النضال اقصى التأزم ، اما الى جانب البرجوازية ، واما في صفوف المتذبذبين ، واما (وهو الاشد خطراً) في صفوف اصدقاء البروليتاريا المظفرة غيـــر الموثوق بهم . ولهذا لا يتطلب اعداد ديكتاتورية البروليتاريا تقوية النضال ضد الميول الاصلاحية و«الوسطية» وحسب ، بل يتطلب ايضاً تغيير طابع هذا النضال . فلا يمكن ان يقتصر النضال عـــلى ايضاح خطأ هذين الميلين ، بل يجب كذلك ان يفضح ابداً ودائماً وبلا هوادة ولا لين كل قائد في قلب الحركة العمالية يظهر هذين

الميلين ، والا فان البروليتاريا لن تستطيع معرفة مع من تسير الى النضال الحاسم الفاصل ضد البرجوازية . ان هذا النضال لعلى نحو بحيث ان في وسعه ان يستعيض في كل لحظة – ويستعيض فعلاً كما اكدت ذلك التجربة – عن سلاح النقد بنقد السلاح (١٧) . وان اي تذبذب او ضعف في فضح اولئك الذين يتكشفون عن اصلاحيين او «وسطيين» ، انما يعني زيادة مباشرة من خطر الاطاحة بسلطة البروليتاريا من قبل البرجوازية التي ستستغل غداً لأجل الثورة المضادة ما يبدو اليوم لقصيري النظر مجرد «خلاف نظري» .

٧ – وعلى الخصوص ، لا يجوز الاكتفاء بالانكار المبدئي العادي لكل تعاون بين البروليتاريا والبرجوازية ، لكل «تعاون مع العدو» . ان مجرد الدفاع عن «الحرية» و«المساواة» ، في حال بقاء الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، يتحول في ظروف ديكتاتورية البروليتاريا التي لن يكون ابداً في مقدورها ان تقضي كلياً من الدفعة الاولى على الملكية الخاصة – يتحول الى «تعاون» مع البرجوازية يقوض مباشرة سلطة الطبقة العاملة . لأن ديكتاتورية البروليتاريا تعني تثبيت «اللاحرية» لأجل المستثمِر في مواصلة اضطهاده واستثماره و«اللامساواة» بين المالك (اي ذلك الذي استأثر لنفسه شخصياً بوسائل انتاج معينة خلقها العمل الاجتماعي) وغير المالك ، على صعيد الدولة والذود عنهما بكل قوة جهاز سلطة الدولة . وان ما يبدو قبل انتصار البروليتاريا مجرد خلاف نظري في مسألة «الديموقراطية» يصبح لا محالة غداً ، بعد الانتصار ، مسألة تُحَل بقوة السلاح . ولذا يستحيل حتى اعداد الجماهير اعداداً اولياً لاقامة ديكتاتورية البروليتاريا دون تغيير كل طابع النضال ضد «الوسطيين» و«حماة الديموقراطية» تغييراً جذرياً .

٨ – ان ديكتاتورية البروليتاريا هي الشكل الاوفر حزماً وثورية لنضال البروليتاريا الطبقي ضد البرجوازية . ولا يمكن لهذا النضال ان يحرز النجاح الا متى استطاعت الطليعة الاكثر ثورية في صفوف

البروليتاريا ان تسوق وراءها الاغلبية الساحقة من البروليتاريا . ولهذا فان اعداد ديكتاتورية البروليتاريا لا يتطلب وحسب توضيح الطابع البرجوازي للاصلاحية ايّاً كانت ، والدفاع عن الديموقراطية ايّاً كان ، في حال بقاء الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ؛ لا يتطلب وحسب فضح مثل هذه الميول التي تعني في الواقع ممارسة الدفاع عن البرجوازية في داخل الحركة العمالية ، – بل يتطلب ايضاً الاستعاضة عن الزعماء القدامى بالشيوعيين في جميع المنظمات البروليتارية على اختلاف انواعها اطلاقاً ، لا فقط في المنظمات السياسية ، بل ايضاً في النقابات والمنظمات التعاونية والتثقيفية ، الخ . . وبقدر ما كانت سيادة الديموقراطية البرجوازية في البلد المعني اطول واكمل وامتن ، بقدر ما افلحت البرجوازية واوصلت الى مناصب امثال هؤلاء الزعماء قادة من اربائها ، تشربوا آراءها واوهامها ، واشترتهم في احيان كثيرة جداً مباشرة او بصورة غير مباشرة . فمن الضروري عزل ممثلي اريستقراطية العمال هؤلاء او هؤلاء العمال المتبرجزين من جميع مناصبهم وعزلهم بصورة اجرأ بمائة مرة من ذي قبل ، والاستعاضة عنهم وان باقل العمال خبرة شرط ان يرتبطوا بالجمهور المستثمَر ويتمتعوا بثقته في النضال ضد المستثمِرين . ان ديكتاتورية البروليتاريا تقتضي تعيين مثل هؤلاء العمال الذين لا خبرة عندهم في اكثر مناصب الدولة مسؤولية والاّ فان سلطة الحكومة العمالية تصبح عاجزة ولن تحظى بمساندة الجمهور .

٩ – ان ديكتاتورية البروليتاريا هي اكمل ممارسة لقيادة جميع الشغيلة والمستثمَرين ، المظلومين ، المخبَّلين ، المضغوطين ، المخوَّفين ، المشتتين ، المخدوعين من قبل طبقة الرأسماليين ، لقيادتهم من جانب الطبقة الوحيدة التي اعدّها كل تاريخ الرأسمالية لاداء هذا الدور القيادي . ولهذا يجب البدء باعداد ديكتاتورية

البروليتاريا في كل مكان وعلى الفور بالاسلوب التالي في عداد غيره من الاساليب .

في جميع المنظمات والجمعيات والاتحادات بلا استثناء ، وفي المرتبة الاولى البروليتارية منها ، ثم التي تخص الجمهور الكادح والمستثمَر غير البروليتاري (اي المنظمات والجمعيات والاتحادات السياسية والنقابية والعسكرية والتعاونية والتعليمية والرياضية وخلافها وما اليها) ، يجب انشاء فرق او خلايا من الشيوعيين ، علنية على الاغلب ، وكذلك سرية ، ويجب انشاء السرية منها بالضرورة كلما امكن اغلاق الخلايا العلنية واعتقال او طرد اعضائها من قبل البرجوازية ؛ – ناهيك عن ان هذه الخلايا ، المرتبطة وثيق الارتباط فيما بينها ومع مركز الحزب انما يجب عليها ، بتبادلها التجربة وقيامها بعمل التحريض والدعاية والتنظيم وبتكيفها قطعاً لجميع ميادين الحياة الاجتماعية ولجميع فئات وطوائف الجماهير الشغيلة ، انما يجب عليها ، بواسطة هذا النشاط المتعدد الوجوه ،ان تربي نفسهـــا والحزب والطبقة والجمهور على السواء بدأب وانتظام .

وفي هذه الحال ، من المهم منتهى الاهمية ان يحدّد عملياً الفرق الضروري بين اساليب العمل كله ، من جهة ، عندما يتعلق الامر «بالزعماء» او «بالممثلين المسؤولين» الذين افسدتهم في احيان كثيرة الاوهام الامبريالية والبرجوازية الصغيرة بصورة لا امل في شفائهم منها ؛ هؤلاء «الزعماء» انما يجب فضحهم بلا هوادة وطردهم من الحركة العمالية ؛ – ومن جهة اخرى ، عندما يتعلق الامر بالجماهير التي تميل بمعظمها ، وخاصة بعد المجزرة الامبريالية ، الى سماع وتبني التعليم القائل بضرورة القيادة البروليتارية بوصفها المخرج الوحيد من العبودية الرأسمالية ؛ فمن الجماهير ينبغي تعلم الوقوف منها موقفاً يتسم ببالغ الصبر والاحتراس لأجل فهم ما تتميز به كل فئة ومهنة وما اليه في هذه الجماهير من الخصائص النفسانية .

١٠ – وعلى الخصوص تستحق احدى فرق او خلايا الشيوعيين ان يوليها الحزب انتباهاً خاصاً وعناية خاصة واعني بها الكتلة البرلمانية اي فرقة اعضاء الحزب ، النواب في المؤسسة التمثيلية البرجوازية (قبل كل شيء في المؤسسة على صعيد الدولة ، ثم كذلك في المؤسسات المحلية والبلدية وخلافها) . فمن جهة ، يتسم هذا المنبر على وجه الضبط باهمية كبيرة جداً بنظر اوسع فئات الجمهور الكادح ، المتأخر او المشبع بالاوهام البرجوازية الصغيرة ؛ ولهذا يجب على الشيوعيين من كل بد ان يقوموا من على هذا المنبر بالذات بعمل التحريض والدعاية والتنظيم وان يوضحوا للجماهير لماذا كان حل البرلمان البرجوازي من قبل مؤتمر السوفييتات الوطني العام محتماً في روسيا (وسيكون محتماً في حينه في اي بلد كان) (١٨) . ومن جهة اخرى ، جعل كل تاريخ الديموقراطية البرجوازية من المنبر البرلماني ، ولا سيما في البلدان المتقدمة ، الميدان الرئيسي او واحداً من الميادين الرئيسية للاختلاسات الفظيعة ، والالاعيب المالية والسياسية لخداع الشعب ، والوصولية ، والنفاق ، واضطهاد الشغيلة . ولهذا كان الكره الشديد الذي يضمره خيرة ممثلي البروليتاريا الثورية للبرلمانات مشروعاً تماماً . ولهذا يتعين على الاحزاب الشيوعية وعلى جميع الاحزاب المنتسبة الى الاممية الثالثة ، – ولا سيما عندما تكون هذه الاحزاب قد ظهرت عن طريق انتقال الاحزاب القديمة (انتقالاً شكلياً في كثير من الاحيان) الى موقف جديد ، لا عن طريق الانشقاق عن الاحزاب القديمة والنضال المديد والعنيد ضدها ، – ان تتخذ موقفاً من كتلها البرلمانية في منتهى الصرامة : خضوعها التام لرقابة لجنة الحزب المركزية ولتعليماتها ؛ ادراج العمال الثوريين على الغالب في قوامها ؛ تحليل خطابات البرلمانيين في الصحافة الحزبية وفي الاجتماعات الحزبية تحليلاً دقيقاً للغاية لمعرفة درجة صلابتهم الشيوعية ؛ تكليف النواب بالعمل

التحريضي بين الجماهير ؛ طرد الذين يبدون ميول الاممية الثانية من هذه الكتل ، الخ . .

١١ – من الاسباب الرئيسية التي تعيق الحركة العمالية الثورية في البلدان الرأسمالية المتطورة ، ان الرأسمال قد استطاع ، بفضل الممتلكات الاستعمارية وبفضل ارباح الرأسمال المالي الفاحشة ، وما شابه ، ان يفرز في هذه البلدان فئة اكثر اتساعاً واستقراراً نسبياً هي فئة اريستقراطية العمال التى تمثل اقلية ضئيلة . وهذه الفئة تتمتع بخير شروط الاجور ، وهي مفعمة اكثر من غيرها ، بروح ضيق الافق المشغلي وبالاوهام المبتذلة والامبريالية . وهي «السند» الاجتماعي الحقيقي للاممية الثانية والاصلاحيين و «الوسطيين» ، وهي في الظرف الراهن السند الاجتماعي الرئيسي او يكاد للبرجوازية . وانه ليستحيل اي اعداد للبروليتاريا لأجل اسقاط البرجوازية ، بما في ذلك الاعداد الاولي ، دون النضال العاجل ، الدائب ، المنتظم ، الواسع ، السافر ضد هذه الفئة التي ستقدم ، بلا ريب – كما اثبتت التجربة ذلك كلياً حتى الآن – عدداً لا بأس به من العناصر لأجل الحرس الابيض البرجوازي بعد انتصار البروليتاريا . فيجب على جميع الاحزاب المنتسبة الى الاممية الثالثة ان تطبق عملياً ، مهما كلف الامر ، الشعار التالي : «التعمق اكثر فاكثر بين الجماهير» ، «الاتصال اوثق فاوثق بالجماهير» ، شرط ان يُفهم بالجماهير مجموع الكادحين والمستثمَرين من قبل الرأسمال ، ولا سيما اقلهم تنظيماً وتثقيفاً ، واشدهم معاناة للاضطهاد وابعدهم منالاً للتنظيم .

ان البروليتاريا لا تصبح ثورية الا بقدر ما لا تنطوي على نفسها في الاطارات المشغلية الضيقة ، وبقدر ما تعمل في جميع ظاهرات الحياة الاجتماعية وفي جميع ميادينها كزعيم لجميع الجماهير الكادحة والمستثمَرة ؛ وانه ليستحيل عليها ان تحقق ديكتاتوريتها دون استعدادها ودون قدرتها على بذل اكبر التضحيات من اجل النصر

على البرجوازية . وفي هذا المضمار تتسم باهمية مبدئية وعملية تجربة روسيا حيث البروليتاريا ما كانت استطاعت ان تحقق ديكتاتوريتها ، وما كانت استطاعت ان تكسب ثقة الجمهور الكادح كله واحترامه لو لم تتحمل من التضحيات اكثر مما تحمل غيرها ، ولو لم تجع اكثر مما جاعت جميع الفئات الاخرى من هذا الجمهور ، في اشق اوقات الزحف والحرب والحصار من جانب البرجوازية العالمية .

ان التأييد الشامل والمتفاني من قبل الحزب الشيوعي والبروليتاريا الطليعية كلها ضروري بخاصة ، مثلا ، للحركة الاضرابية الجماهيرية العفوية الواسعة التي بمقدورها وحدها دون غيرها تحت نير الرأسمال ان توقظ الجمهور حقاً وفعلاً ، وتهزه هزاً ، وتثقفه وتنظمه ، وتبث فيه الثقة التامة بدور البروليتاريا الثورية القيادي . وبدون مثل هذا الاعداد ، تستحيل ديكتاتورية البروليتاريا ؛ واولئك الناس القادرون على الوقوف علناً ضد الاضرابات مثل كاوتسكي في المانيا وتوراتي في ايطاليا غير مقبولين اطلاقاً في صفوف الاحزاب المنتسبة الى الاممية الثالثة . وهذا اكثر انطباقاً ، بالطبع ، على اولئك الزعماء التريديونيونيين والبرلمانيين الذين يخونون العمال في كثير من الاحيان ويعلمونهم بالاستناد الى خبرة الاضرابات ، الاصلاحية لا الثورة (مثلاً ، في بريطانيا وفي فرنسا في السنوات الاخيرة) .

١٢ – بالنسبة لجميع البلدان ، بما فيها حتى اوفرها حرية و«شرعية» و«سلمية» بمعنى الحد الادنى من تأزم النضال الطبقي ، نضجت كلياً مرحلة يغدو فيها الجمع الدائب المنتظم بين العمل السري والعلني ، بين التنظيم السري والعلني واجباً الزامياً على كل حزب شيوعي . لأن الحكومات في اكثر البلدان ثقافة واوفرها حرية ، في البلدان ذات النظام البرجوازي الديموقراطي الاكثر «استقراراً» ، تلجأ منذ حين بدأب وانتظام ، وخلافاً لتصريحاتها الكاذبة والمنافقة ، الى وضع قوائم سرية باسماء الشيوعيين ، والى مخالفة دستورها

بالذات مراراً وتكراراً لأجل دعم الحرس الابيض بصورة سرية ونصف سرية واغتيال الشيوعيين في جميع البلدان ، والى التحضير سراً لاعتقال الشيوعيين ، والى دس الاستفزازيين في وسط الشيوعيين ، وهكذا دواليك وهلمجراً . ان ضيق الافق الاشد اغراقاً في الرجعية ، مهما كانت الجمل والتعابير التي يتستر بها «ديموقراطية» ومسالمة ، هو وحده الذي يستطيع ان ينكر هذا الواقع او الاستنتاج المحتم منه ، ونعني به اقدام جميع الاحزاب الشيوعية العلنية على تأليف المنظمات السرية في الحال لأجل العمل السري الدائب المنتظم والاستعداد التام لوقت ظهور الملاحقات البرجوازية . وان العمل السري في الجيش والاسطول والبوليس ضروري بخاصة لأن جميع الحكومات في العالم اخذت بعد المجزرة الامبريالية الكبرى تخاف من الجيش الشعبي المفتوح امام الفلاحين والعمال ، واخذت تنتقل سراً الى شتى الاساليب لتأليف وحدات عسكرية منتقاة خصيصاً من العناصر البرجوازيـــة ومجهزة خصيصاً باعتدة راقية بخاصة .

ومن جهة اخرى ، من الضروري كذلك في جميع الاحوال بلا استثناء عدم الاقتصار على العمل السري ، والقيام ايضاً بالعمل العلني مع تذليل جميع المصاعب لهذا الغرض ، وتأسيس الصحف العلنية والمنظمات العلنية باكثر الاسماء تبايناً ، وعند الاقتضاء باسماء تتغير احياناً كثيرة . هكذا تفعل الاحزاب الشيوعية السريـــة في فنلنده والمجر ، وجزئياً في المانيا ، وفي بولونيا ولاتفيا ، الخ . . وهكذا يجب ان تفعل «عمال العالم الصناعيون» (I.W.W.) في اميركا (١٩) ، وهكذا يجب ان تفعل جميع الاحزاب الشيوعية العلنية حالياً اذا تفضل المدعون العامون وشنوا الملاحقات بالاستناد الى قرارات مؤتمرات الاممية الشيوعية ، والخ . .

ان الضرورة المبدئية المطلقة القاضية بالجمع بين العمل السري والعمل العلني لا يشترطها مجمل خصائص المرحلة المعنية ، مرحلة

عشية ديكتاتورية البروليتارية وحسب ، بل تشترطها ايضاً ضرورة تقديم الدليل للبرجوازية على انه ليس هناك ولا يمكن ان يكون هناك ميدان ومجال للعمل لا يظفر به الشيوعيون ، ويشترطها اكثر ما يشترطها الواقع التالى ، وهو انه لا تزال توجد في كل مكان فئات واسعة من البروليتاريا ، وفئات اوسع من الجماهير الكادحة والمستثمَرة غير البروليتارية لا تزال تؤمن بالشرعية البرجوازية الديموقراطية ويشكل اقناعها بالعدول عن هذا الايمان أهم قضية بالنسبة لنا .

١٣ – وعلى الخصوص ، تبين حالة الصحافة العمالية في اكثر البلدان الرأسمالية تقدماً ، بجلاء خاص ، سواء كل كذب الحرية والمساواة في ظل الديموقراطية البرجوازية ام ضرورة الجمع بدأب وانتظام بين العمل العلني والعمل السري . وفي المانيا المغلوبة وفي اميركا الغالبة سواء بسواء ، تستغل البرجوازية كل قوة جهاز دولتها وجميع احابيل ملوكها الماليين لكي تنتزع من العمال صحافتهم : الملاحقات القضائية ، واعتقال المحررين (او اغتيالهم بواسطة القتلة المأجورين) ، ومنع الارساليات البريدية ، وانتزاع الورق ، وما شابه ذلك ، وهلمجراً . ناهيك عن ان المادة الاعلامية الضرورية للجريدة اليومية موجودة في ايدي وكالات الانباء البرقية البرجوازية وان الاعلانات التي بدونها لا تغطي جريدة كبيرة نفقاتها موجودة تحت تصرف الرأسماليين «الحر» . وبالنتيجة تنتزع البرجوازية من البروليتاريا صحافتها بواسطة الخداع وضغط الرأسمال والدولة البرجوازية .

وللنضال ضد هذا ، يجب على الاحزاب الشيوعية ان تنشئ طرازاً جديداً من الصحافة الدورية لأجل نشرها بصورة مكثفة بين جماهير العمال : اولاً ، مطبوعات علنية تعرف ، دون ان تعلن عن نفسها بانها شيوعية ودون ان تتحدث عن انتسابها الى الحزب ، كيف

تستغل اقل ظاهرة من الشرعية ، كما فعل البلاشفة في عهد القيصر بعد عام ١٩٠٥ ؛ ثانياً ، مناشير سرية حتى وان كانت باصغر حجم وان صدرت بصورة غير منتظمة ، ولكن على ان يعيد العمال طبعها في جملة من المطابع (سراً او بالاستيلاء على المطابع بطريقة ثورية اذا قويت الحركة) ، وعلى ان تعطي البروليتاريا معلومات حرة وثورية وشعارات ثورية .

فبدون النضال الثوري الذي يجتذب الجماهير من اجل حرية الصحافة الشيوعية ، يستحيل التحضير لديكتاتورية البروليتاريا .

٣

تقويم خط – وكذلك احياناً تعديل تركيب – الاحزاب المنتسبة او الراغبة في الانتساب الى الاممية الشيوعية

١٤ – ان درجة استعداد البروليتاريا في اهم البلدان على صعيد الاقتصاد العالمي والسياسة العالمية ، لتحقيق ديكتاتوريتها انما يمكن وصفها ، باكبر قدر من الموضوعية والدقة ، بكون اكثر احزاب الاممية الثانية نفوذاً : الحزب الاشتراكي الفرنسي (٢٠) والحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني المستقل وحزب العمال البريطاني المستقل والحزب الاشتراكي الاميركي (٢١) ، قد خرجت من هذه الاممية الصفراء وقررت الانضمام – الثلاثة الاولى بتحفظ ، والاخير حتى بدون تحفظ – الى الاممية الثالثة . وهذا يثبت ان اغلبيـــــة البروليتاريا الثورية ، لا طليعتها فقط ، قد بدأت تنتقل الى جانبنا وقد اقنعها كل سير الاحداث . والرئيسى الآن ، معرفة انجاز هذا الانتقال وتوطيد ما تم تحقيقه توطيداً متيناً ، تنظيمياً ، لكي يمكن المضى قدماً على طول الخط دون اقل تردد .

١٥ – ان كل نشاط الاحزاب المذكورة آنفاً (التي يجب ان يضاف اليها الحزب الاشتراكي السويسري (٢٢) اذا صدقت الانباء البرقية عن قراره بالانتساب الى الاممية الثالثة) يثبت – وكل مطبوعة دورية من مطبوعات هذه الاحزاب تؤكد بجلاء – ان هذا النشاط ليس بعد شيوعياً وانه يخالف رأساً ، في حالات غير نادرة ، مبدئي الاممية الثالثة الاساسيين ونعني بهما الاعتراف بديكتاتورية البروليتاريا وبالسلطة السوفييتية عوضاً عن الديموقراطية البرجوازية .

ولهذا يجب على المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية ان يقرر انه لا يرى من الممكن قبول هذه الاحزاب على الفور ؛ – وانه يؤكد الجواب الذي اعطته اللجنة التنفيذية للاممية الثالثة «للمستقلين» الالمان ؛ – وانه يؤكد استعداده لاجراء مفاوضات مع اي حزب كان ، يخرج من الاممية الثانية ويرغب في التقارب مع الاممية الثالثة ؛ – وانه يمنح مندوبي هذه الاحزاب حق حضور جميع مؤتمرات الاممية الشيوعية وكونفرنساتها بصوت استشاري ؛ – وانه يضع الشروط التالية لأجل انضمام هذه الاحزاب (وما شابهها) الى الاممية الشيوعية انضماماً تاماً :

١ – نشر جميع قرارات جميع مؤتمرات الاممية الشيوعية ولجنتها التنفيذية في جميع مطبوعات الحزب الدورية ؛

٢ – مناقشتها في اجتماعات خاصة لجميع فروع الحزب او لجميع منظماته المحلية ؛

٣ – عقد مؤتمر خاص للحزب ، بعد هذه المناقشة ، لأجل استخلاص النتائج ولأجل

٤ – تطهير الحزب من العناصر التي تواصل العمل بروح الاممية الثانية .

٥ – انتقال جميع صحف الحزب الدورية الى ايدي هيئات تحرير تتألف من الشيوعيين بوجه الحصر .

ويجب على المؤتمر الثاني للاممية الثالثة ان يكلف لجنته التنفيذية بان تقبل رسمياً الاحزاب المذكورة والاحزاب المماثلة لها في الاممية الثالثة ، على ان تتحقق مسبقاً من ان جميع هذه الشروط مطبقة فعلاً ومن ان طابع نشاط الحزب اصبح شيوعياً .

١٦ – فيما يتعلق بماهية السلوك الذي يجب ان يتبعه الشيوعيون الذين يؤلفون حالياً الاقلية في المناصب المسؤولة في الاحزاب المذكورة والاحزاب المماثلة لها ، يجب على المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية ان يقرر ان خروج الشيوعيين من هذه الاحزاب غير مرغوب فيه نظراً لتعاظم اخلص العطف على الشيوعية بكل جلاء بين العمال المنتسبين الى هذه الاحزاب ، ما دام في وسع الشيوعيين ان يعملوا داخل هذه الاحزاب بروح الاعتراف بديكتاتورية البروليتاريا وبالسلطة السوفييتية وما دام من الممكن انتقاد الانتهازيين والوسطيين الذين لا يزالون في هذه الاحزاب .

ومع ذلك ، يجب على المؤتمر الثاني للاممية الثالثة ان يؤيد انضمام الجماعات والمنظمات الشيوعية او التى تحبذ الشيوعية في بريطانيا الى «حزب العمال» (Labour Party) (٢٣) رغم ان هذا الحزب ينتسب الى الاممية الثانية . لأنه ، ما دام هذا الحزب يؤمن للمنظمات المنتسبة اليه حريتها الحالية في النقد وحريتها الحالية في بذل النشاط في حقل الدعاية والتحريض والتنظيم من اجل ديكتاتورية البروليتاريا ومن اجل السلطة السوفييتية ، وما دام هذا الحزب من حيث طابعه اتحاداً لجميع المنظمات المهنية للطبقة العاملة ، يتعين بالضرورة على الشيوعيين ان يقوموا بجميع الخطوات ويقبلوا بمساومات معينة لكى تتوفر لهم فرصة التأثير في اوسع جماهير العمال وفضح زعمائهم الانتهازيين من اعلى وابرز منبر بالنسبة للجماهير ، وتعجيل انتقال السلطة السياسية من ايدي ممثلي

البرجوازية المباشرين الى ايدي «وكلاء طبقة الرأسماليين بين العمال» لأجل شفاء الجماهير باسرع وقت من آخر الاوهام في هذا الصدد .

١٧ – فيما يخص الحزب الاشتراكي الايطالي (٢٤) ، يرى المؤتمر الثاني للاممية الثالثة ان انتقاد هذا الحزب المعروض في مجلة «النظام الجديد» («L'Ordine Nuovo») (٢٥) بتاريخ ٨ ايار (مايو) ١٩٢٠ هو صحيح من حيث الاساس ، وانها صحيحة كذلك المقترحات العملية المعروضة في العدد نفسه من المجلة كمقترحات مقدمة للمجلس الوطني للحزب الاشتراكي الايطالي باسم فرع تورينو (٢٦) لهذا الحزب والمتفقة كليا مع جميع المبادئ الاساسية للاممية الثالثة .

ولهذا يطلب المؤتمر الثاني للاممية الثالثة من الحزب الاشتراكي الايطالي عقد مؤتمر عاجل للحزب لأجل بحث هذه المقترحات ولأجل بحث جميع قرارات مؤتمري الاممية الشيوعية بغية تقويم خط الحزب وبغية تطهير صفوفه ، ولا سيما كتلته البرلمانية ، من العناصر غير الشيوعية .

١٨ – يرى المؤتمر الثاني للاممية الثالثة انها غير صحيحة تلك النظرات الى موقف الحزب من الطبقة ومن الجمهور والى عدم الزامية اشتراك الاحزاب الشيوعية في البرلمانات البرجوازية وفي النقابات الرجعية ، تلك النظرات التي دحضها المؤتمر الحالي بالتفصيل في قرارات خاصة ، اذ يدافع عنها على اكمل وجه «حزب العمال الشيوعي الالماني» (٢٧) ، وكذلك جزئياً «الحزب الشيوعي السويسري» (٢٨) لسان حال امانة اوروبا الشرقية للاممية الشيوعية «الشيوعية» («Kommunismus») في فيينا ، والامانة المحلولة حالياً في امستردام وبعض الرفاق الهولنديين ، ثم بعض المنظمات الشيوعية في بريطانيا ، مثل «اتحاد العمال الاشتراكي» (٢٩) وخلافه ، وكذلك «عمال العالم

الصناعيون» في اميركا و«لجنة وكلاء المصانع والمعامل» (Shop Stewards Committee) في بريطانيا (٣٠) ، وخلافها .

ومع ذلك ، يعتبر المؤتمر الثاني للاممية الثالثة من الممكن والمرغوب فيه ان تنضم فوراً الى الاممية الشيوعية تلك المنظمات التي لم تنضم اليها بعد رسمياً لأننا في هذه الحالة ، ولا سيما فيما يخص «عمال العالم الصناعيين» في اميركا وفي اوستراليا وكذلك فيما يخص «وكلاء المصانع والمعامل» في بريطانيا ، نواجه حركة بروليتارية وجماهيرية حقاً وفعلاً تتبنى عملياً ومن حيث الاساس ، المبادئ الجذرية للاممية الشيوعية . وفي مثل هذه المنظمات ، لا تتفسر النظرات الخاطئة حول الاشتراك في البرلمانات البرجوازية بدور المتحدرين من البرجوازية الذين يحملون معهم نظراتهم البرجوازية الصغيرة من حيث الجوهر ، كما هي عليه احياناً كثيرة نظرات الفوضويين ، بقدر ما تتفسر بانعدام التجربة السياسية لدى البروليتاريين الثوريين تماماً والمرتبطين تماماً بالجماهير .

ولهذا يطلب المؤتمر الثاني للاممية الثالثة من جميع المنظمات والجماعات الشيوعية في البلدان الانجلو-سكسونية ان تنتهج ، حتى وان لم يتحقق على الفور انضمام «عمال العالم الصناعيين» و«وكلاء المصانع والمعامل» الى الاممية الثالثة ، سياسة قوامها اخلص العلاقات الودية مع هاتين المنظمتين، والتقارب معهما ومع الجمهور المحبذ لهما ، وتوضيح خطأ نظراتهما المشار اليها اعلاه توضيحاً ودياً من وجهة نظر تجربة جميع الثورات ولا سيما الثورات الروسية الثلاث في القرن العشرين ، والاّ تعدل عن تكرار المحاولات للاندماج مع هاتين المنظمتين في حزب شيوعي واحد .

١٩ – ونظراً لذلك ، يلفت المؤتمر انتباه جميع الرفاق ولا سيما الرفاق في البلدان الرومانية والانجلو-سكسونية ، الى انه يجري انقسام فكري عميق في صفوف الفوضويين في العالم كله بعد الحرب ،

بصدد الموقف من ديكتاتورية البروليتاريا ومن السلطة السوفييتية . ناهيك عن انه يلاحظ على الخصوص فهم صحيح لهذين المبدئين بين العناصر البروليتارية التي دفعها الى الفوضوية في كثير من الاحيان الكره المشروع تماماً لانتهازية واصلاحية احزاب الاممية الثانية ، مع العلم ان هذا الفهم يزداد انتشاراً بقدر ما يزداد اطلاع هذه العناصر على تجربة روسيا وفنلنده والمجر ولاتفيا وبولونيا والمانيا .

ولهذا يعتبر المؤتمر انه يجب على جميع الرفاق ان يدعموا الى الحد الاقصى انتقال جميع العناصر البروليتارية الجماهيرية من الفوضوية الى جانب الاممية الثالثة . ويشير المؤتمر الى ان مدى نجاح عمل الاحزاب الشيوعية حقاً وفعلاً انما يجب ان يقاس بمدى نجاحها في صرف جميع العناصر البروليتارية الجماهيرية ، لا العناصر المثقفة ، لا العناصر البرجوازية الصغيرة ، عن الفوضوية وفي اجتذابها الى جانبها .

٤ تموز (يوليو) ١٩٢٠ .

صدرت في ٢٠ تموز (يوليو) ١٩٢٠ في مجلة «كومونيستيتشيسكى انترناسيونال» («الأممية الشيوعية») ، العدد ١٢

المجلد ٤١ ، ص ص ١٨٣–٢٠١

المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية

١٩ تموز (يوليو) – ٧ آب (اغسطس) ١٩٢٠ (٣١)

١

تقرير عن الوضع الدولي وعن المهام الاساسية التي تواجه الأممية الشيوعية ١٩ تموز

(**هتاف صاخب . القاعة كلها تقف وتصفق . الخطيب يحاول الكلام ، ولكن التصفيق والهتاف بجميع اللغات يستمران . الهتاف يدوم طويلا** .) ايها الرفاق ، ان الموضوعات بشأن المهام الاساسية التي تواجه الاممية الشيوعية * قد نشرت بجميع اللغات ، وهي (ولا سيما بالنسبة للرفاق الروس) ليست بالامر الجديد من حيث الجوهر ، لأنها تشمل الى حد ملحوظ جملة كاملة من البلدان الغربية ، تشمل اوروبا الغربية ببعض السمات الاساسية لتجربتنا الثورية وبدروس حركتنا الثورية . ولهذا سأتوقف في تقريري اكثر بقليل ، وان بصورة موجزة ، عند القسم الاول من الموضوع المعهود به اليّ ، واعني به الوضع الدولي .

ان العلاقات الاقتصادية للامبريالية هي اساس الوضع الدولي كله ، كما تكوّن الآن . ففي سياق القرن العشرين كله ، تحددت تماماً معالم هذه الدرجة الجديدة ، العليا والاخيرة من الرأسمالية . وانتم جميعكم تعرفون بالطبع ان اشد واخص ما ميّز الامبريالية انما هو كون الرأسمال قد بلغ مقاييس هائلة . فبدلاً عن المزاحمة الحرة ، قام الاحتكار بمقاييسه الهائلة . واستطاعت حفنة ضئيلة

---

* راجعوا هذا الكتاب ص ١٥ – ٦٠ . **الناشر** .

من الرأسماليين ان تحصر في ايديها احياناً فروعاً صناعية برمتها . وقد انتقلت هذه الفروع الى اتحادات وكارتلات وسنديكات وتروستات لا يندر ان تكون عالمية الطابع . وهكذا تبين ان فروعاً صناعية برمتها ، لا في بعض البلدان وحسب ، بل ايضاً في العالم اجمع ، قد استولى عليها الاحتكاريون على الصعيد المالي ، على صعيد حق الملكيـــة ، وجزئياً على صعيد الانتاج . وعلى هذا الاساس ، تطورت بشكل لا سابق له سيادة حفنة ضئيلة من المصارف الكبرى وملوك المال وطواغيت المال الذين حولوا بالفعل حتى اوفر الجمهوريات حرية الى مَلَكيات مالية . وقبل الحرب ، اعترف بذلك على المكشوف ، مثلا ، كتاب غير ثوريين اطلاقاً ، كالكاتب ليزيس في فرنسا .

وقد بلغت سيادة حفنة الرأسماليين هذه تطورها الكامل عندما أمست الكرة الارضية كلها مقسَّمة ، لا من حيث استيلاء اكبـــر الرأسماليين على مختلف مصادر الخامات ووسائل الانتاج وحسب ، بل ايضاً من حيث انتهاء تقاسم المستعمرات الاولي . فمنذ نحو ٤٠ سنة ، كان من المعتبر ان اكثر بقليل من ربع مليار نسمة هم من سكان المستعمرات ، وكانوا خاضعين لست دول رأسمالية كبر . وقبل حرب ١٩١٤ كان من المعتبر ان في المستعمرات قرابة ٦٠٠ مليون نسمة ، واذا اضفنا بلداناً كبلاد فارس وتركيا والصين التي كانت قد اصبحت آنذاك في وضع شبه مستعمرة ، حصلنا ، بارقام مبسطة ، على مليار نسمة اضطهدتها اغنى البلدان واوفرها حضارة واوفاها حرية بواسطة التبعية الاستعمارية . وانتم تعرفون ان التبعيـــة الاستعمارية تفترض جملة كاملة من علاقات التبعيـــة الماليـــة والاقتصادية فضلا عن التبعية الحقوقية المباشرة على مستوى الدولة ، تفترض جملة كاملة من الحروب لم تعتبر حروباً لأنها غالباً ما اقتصرت على المجازر والمذابح اذ ان القوات الامبريالية الاوروبية والاميركية

المسلحة بأتقن ادوات الابادة كانت تفتك بسكان البلدان المستعمرة الضعفاء والعزل من السلاح .

ومن هذا التقاسم للارض قاطبة ، من هذه السيطرة للاحتكار الرأسمالي ، من هذا السلطان الكلي لحفنة ضئيلة من كبريات المصارف – اثنان ، ثلاثة ، اربعة ، خمسة مصارف بكل دولة ، لا اكثر ، نجمت بصورة محتمة لا مناص منها الحرب الامبريالية الاولى لاعوام ١٩١٤ – ١٩١٨ . لقد دارت رحى هذه الحرب من اجل تقاسم العالم كله من جديد . لقد دارت رحى هذه الحرب لمعرفة اي من المجموعتين الضئيلتين من كبريات الدول ، المجموعة البريطانية ام المجموعة الالمانية ، ستنال امكانية وحق نهب الارض قاطبة وخنقها واستثمارها . وانتم تعرفون كيف حلت الحرب هذه المسألة في مصلحة المجموعة البريطانية . وبنتيجة هذه الحرب ، نرى ان جميع التناقضات الرأسمالية قد تأزمت اكثر من ذي قبل الى ما لا قياس له . وزجت الحرب دفعة واحدة بقرابة ربع مليار نسمة من سكان الارض في وضع يشبه الوضع الاستعماري . في هذا الوضع ، زجت بروسيا التي ينبغي ان نحسب ان عدد سكانها يبلغ حوالى ١٣٠ مليون نسمة ، وبالنمسا-المجر والمانيا وبلغاريا التي يبلغ عدد سكانها ١٢٠ مليون نسمة على الاقل . ربع مليار نسمة في بلدان تعتبر جزئياً ، كالمانيا ، في عداد اكثر البلدان تقدماً ، وعلماً ، وثقافة ، وتقف تكنيكياً في مستوى التقدم العصري . وبواسطة معاهدة فرساي ، فرضت عليها الحرب شروطاً بحيث ان الشعوب الطليعية وجدت نفسها في وضع من التبعية الاستعمارية والفقر والجوع والخراب والحرمان من الحقوق ، لأنها مقيدة بالمعاهدة لاجيال عديدة وموضوعة في ظروف لم يعش فيها اي شعب متمدن . لديكم صورة عن العالم : بعد الحرب ، يتعرض دفعة واحدة للنير الاستعماري ما لا يقل عن **مليار وربع مليار** نسمة ، يتعرض لاستثمار الرأسمالية الوحشية التي

تباهت بحبها للسلم ، والتي كان لها منذ حوالى خمسين سنة بعض الحق في التباهي بذلك طالما لم تُقَسَّم الارض ، طالما لم يبسط الاحتكار سيطرته ، طالما كان في مستطاع الرأسمالية ان تتطور بصورة سلمية نسبياً ، دون نزاعات حربية هائلة .

اما الآن ، فاننا نجد امامنا بعد هذه المرحلة «السلمية» استفحال الاضطهاد استفحالاً فظيعاً ، ونرى عودة الى الاضطهاد الاستعماري والحربي بشكل اسوأ مما مضى . وقد وضعت معاهدة فرساي المانيا وجملة كاملة من الدول المغلوبة سواء بسواء في وضع يستحيل فيه عليها مادياً الوجود الاقتصادي ، في وضع يتصف بالحرمان التام من الحقوق وبالاذلال الكامل .

ما هو عدد الامم التي استفادت من هذا ؟ لكي نجيب عن هذا السؤال ، ينبغي لنا ان نتذكر ان سكان الولايات المتحدة الاميركية التي كسبت وحدها كلياً من الحرب والتي تحولت كلياً من بلد تترتب عليه ديون كثيرة الى بلد له ديون على الجميع ، ان عدد سكان هذا البلد لا يربو على ١٠٠ مليون نسمة . وعدد سكان اليابان التي كسبت كثيراً جداً ، ببقائها في معزل عن النزاع الاوروبي الاميركي وباستيلائها على رقعة شاسعة من اراضي آسيا ، يبلغ ٥٠ مليون نسمة . وعدد سكان بريطانيا التي كسبت اكثر من الجميع بعد هذين البلدين ، يبلغ ٥٠ مليون نسمة . واذا اضفنا الدول المحايدة التي عدد سكانها قليل جداً والتي كسبت ابان الحرب ، حصلنا ، بارقام مبسطة ، على ربع مليار .

وهكذا تتوافر لكم لوحة العالم بخطوطها الاساسية ، كما تكوّنت بعد الحرب الامبريالية . مليار وربع مليار نسمة في المستعمرات المضطهدة — ، في بلدان يتقاسمونها حيّة مثل بلاد فارس وتركيا والصين ؛ في بلدان مغلوبة وزُجّ بها في وضع مستعمرات . لا اكثر من ربع مليار نسمة ، — هم سكان بلدان بقيت

على وضعها القديم ولكنها وقعت جميعها في تبعية اقتصاديـــة حيال اميركا وكانت جميعها ابان الحرب في تبعية حربية لأن الحرب شملت العالم كله ولم تسمح لاي دولة بالبقاء فعلا على الحياد . واخيراً ، لا اكثر من ربع مليار نسمة في بلدان من البديهي ان قمتها فقط ، ان رأسماليها فقط استفادوا من تقاســـم الارض . المجموع زهاء ١٣/٤ مليار نسمة تؤلف جميع سكان الارض . لقد اردت ان اذكركم بلوحة العالم هذه لأن جميع التناقضات الاساسية التي تلازم الرأسمالية والامبريالية والتي تفضي الى الثورة ، وجميع التناقضات الاساسية في الحركة العمالية ، التناقضات التي أفضت الى صراع في منتهـــى الضراوة ضد الاممية الثانية ، الامر الذي تحدث عنه الرفيق الرئيس ، ان كل هذا مرتبط بتقاسم سكان الارض .

ويقيناً انه لا يمكن بهذه الارقام عرض وتوضيح لوحة العالـم الاقتصادية الا بخطوطها الكبرى ، الاساسية . وطبيعي ، ايها الرفاق ، ان يكون استثمار الرأسمال المالي والاحتكارات الرأسمالية قـــد تفاقم مراراً عديدة على اساس هذا التقاسم لسكان الارض قاطبة .

ولا يقتصر الامر على ان البلدان المستعمرة والمغلوبة تقع في حالة التبعية ؛ ففي كل بلد غالب ، نشبت تناقضات أشد حدة ، وتأزمت جميع التناقضات الرأسمالية . وسأبين هذا بايجاز ببعض الامثلة .

خذوا ديون الدولة . نحن نعرف ان ديون اكبر الدول الاوروبية قد ازدادت من عام ١٩١٤ حتى عام ١٩٢٠ الى سبع مرات على الاقل . واشير الى مصدر اقتصادي آخر يرتدي اهمية كبيرة جداً ، هـــو كينس ، الديبلوماسي البريطاني ومؤلف كتاب «عواقب الصلـــح الاقتصادية» ، الذي اشترك بتكليف من حكومته في مفاوضات صلح فرساي وراقبها مباشرة من وجهـــة نظر برجوازيـــة صرف ، ودرس القضية بالتفصيل وخطوة فخطوة ، واشترك في المداولات بوصفه اقتصادياً . فقد خلص الى استنتاجات اقوى ، واوضح ، واكبر دلالة

من اي استنتاج يخلص اليه شيوعي ثوري ، لأنها استنتاجات يخلص اليها برجوازي قح ، وخصم لدود قاس للبلشفية ويرسم عنهـــا لنفسه ، بوصفه انجليزياً تافهاً ضيق الافق ، صورة مشوهة ، ضارية ، وحشية . لقد خلص كينس الى استنتاجات مفادهـــا ان اوروبا والعالم كله يسيران الى الافلاس بعد معاهدة فرساي . وقد استقال كينس وقذف كتابه في وجه الحكومة وقال : انتم تقومون بعمل جنوني . وسأسوق لكم ارقامه التي تتلخص اجمالا فيما يلي .

كيف تكونت علاقـــات الدين بين الدول الكبرى ؟ اني احول الجنيهات السترلينية الى روبلات ذهبية ، بمعدل جنيه لكل عشرة روبلات ذهبية . واليكم الحاصل : للولايات المتحدة الاميركيـــة موجودات قدرها ١٩ ملياراً ؛ الدين صفر . قبل الحرب كان هذا البلد مديناً لبريطانيا . وعن حق وصواب ، اشار الرفيق ليفي في تقريره ، في ١٤ نيسان (ابريل) ١٩٢٠ ، اثناء المؤتمر الاخير للحزب الشيوعي الالماني الى انه بقيت دولتان تتصرفان الآن في العالم تصرفاً مستقلا هما بريطانيا واميركا . واميركا وحدها تبين انها كانت مستقلة تماماً على الصعيد المالي . قبل الحرب كانت مدينة ، اما الآن فهي دائنة فقط . وجميع دول العالم الاخرى مدينة . وبريطانيا امست في حال بحيث ان موجوداتها بلغت ١٧ ملياراً وديونها ٨ مليارات ، فقـــد أمست الى النصف في حال مدينة . هذا مع العلم ان موجوداتها تشمل ٦ مليارات تترتب لها على روسيا . فالاحتياطيات الحربية التي كدستها روسيا ابان الحرب تدخل في دينها . ومنذ وقت قريب ، عندما سنحت الفرصة لكراسين وتحدث ، بوصفه ممثل الحكومة السوفييتيـــة الروسية ، مع لويد جورج في موضوع اتفاقيات الديون ، اوضح بجلاء للعلماء والساسة وزعماء الحكومة البريطانية انهم لعلى ضلال غريب اذا كانوا يحسبون ان يقبضوا ديونهـــم . وهذا الضلال سبـــق للديبلوماسي البريطاني كينس ان فضحه .

يقيناً ان القضية لا تنحصر ، بل لا تكمن اطلاقاً ، في كون الحكومة الثورية الروسية لا تريد ان تدفع ديونها . فان اي حكومة كانت لا تستطيع ان تدفع لأن هذه الديون فائض ربوي على ما تم تسديده الطاق عشرين ، وهذا ما يعترف به هذا البرجوازي كينس نفسه الذي لا يكن اطلاقاً اي عطف على الحركة الثورية الروسية : «مفهوم انه لا يجوز حسبان هذه الديون» .

وفيما يخص فرنسا ، يورد كينس الارقام التالية : ان موجوداتها تبلغ ثلاثة مليارات ونصف المليار ، وديونها عشرة مليارات ونصف ! وهذا بلد قال عنه الفرنسيون انفسهم انه مرابي العالم كله لأن «مدخراته» كانت هائلة ولأن النهب الاستعماري والمالي الذي شكل رأسماله الضخم مكّنه من منح القروض بالمليارات ، ولا سيما لروسيا . وكانت هذه القروض تدر دخلا هائلا . ورغم ذلك ، ورغم النصر ، أمست فرنسا في وضع مدينة .

ثم ان مصدراً اميركياً برجوازياً ، استشهد به الرفيق براون ، الشيوعي ، في كتابه «من يجب عليه ان يدفع الديون الحربية ؟» (لايبزيغ ، ١٩٢٠) يحدد نسبة الديون الى الملكية الوطنية على النحو التالي : في البلدان المنتصرة ، في بريطانيا وفرنسا ، تشكل الديون اكثر من ٥٠ بالمئة من عموم الملكية الوطنية . وفيما يخص ايطاليا ، تتراوح هذه النسبة بين ٦٠ و ٧٠ بالمئة ، اما فيما يخص روسيا فتبلغ ٩٠ بالمئة ، ولكن هذه الديون لا تشغل بالنا نحن ، كما تعرفون ، لأننا قبل ان يظهر كتاب كينس بوقت قليل ، عملنا بنصيحته الممتازة : فقد ألغينا جميع الديون . (**تصفيق عاصف** .)

الا ان كينس يبدي هنا غرابة تافهة ضيقة الافق ، عادية : فهو اذ ينصح بالغاء جميع الديون ، يقول ان فرنسا ، بالطبع ، تكسب وحسب ، وان بريطانيا ، بالطبع ، لا تخسر كثيراً جداً ، لأنه يستحيل على كل حال أخذ شيء من روسيا ؛ واميركا تخسر كثيراً ؛

ولكن كينس يأمل «بالشهامة» الاميركية ! وفي هذا الصدد ، نفترق في الرأي عن كينس وعن سائر المسالمين الضيقي الافق . فنحن نرى انه سيتأتى عليهم ، من اجل الغاء الديون ، ان ينتظروا شيئاً ما آخر وان يعملوا في اتجاه ما آخر ، لا في اتجاه الاعتماد على «شهامة» السادة الرأسماليين .

من هذه الارقام الوجيزة جداً ، يتضح ان الحرب الامبريالية خلقت كذلك للبلدان المنتصرة وضعاً مستحيلا . وهذا ما يبينه كذلك الفرق الهائل بين الاجرة وارتفاع الاسعار . ثم ان المجلس الاقتصادي الاعلى ،الذي هو عبارة عن مؤسسة تدافع عن النظام البرجوازي في العالم بأسره دون الثورة المتنامية ، قد اتخذ ، في ٨ آذار (مارس) من العام الجاري ، قراراً ينتهي بدعوة الى التقيد بالنظام وحب العمل والتوفير ، شرط ان يبقى العمال بالطبع ، عبيد الرأسمال . ان هذا المجلس الاقتصادي الاعلى ، هيئة دول الوفاق ، هيئة رأسماليي العالم كله ، قد استخلص النتائج التالية .

ان اسعار الاغذية قد ارتفعت بالمتوسط في الولايات المتحدة الاميركية ١٢٠ بالمئة ، بينا لم ترتفع الاجور في هذا البلد الا ١٠٠ بالمئة . وفي بريطانيا ، ارتفعت اسعار الاغذية ١٧٠ بالمئة والاجور ١٣٠ بالمئة . وفي فرنسا ، ارتفعت اسعار الاغذية ٣٠٠ بالمئة والاجور ٢٠٠ بالمئة . وفي اليابان ، ارتفعت اسعار الاغذية ١٣٠ بالمئة والاجور ٦٠ بالمئة (اني اقارن ارقام الرفيق براون في كراسه المذكور اعلاه مع ارقام المجلس الاقتصادي الاعلى الواردة في جريدة «التايمس» (٣٢) بتاريخ ١٠ آذار ١٩٢٠) .

وواضح ان يكون اشتداد استياء العمال ونمو الامزجة والافكار الثورية وتزايد الاضرابات الجماهيرية العفوية امراً محتماً لا ندحة عنه في مثل هذا الوضع . لأن وضع العمال يصبح وضعاً لا يطاق . ويقتنع العمال بالتجربة بان الرأسماليين قد اغتنوا من الحرب الى ما

لاقياس له ، وبانهم يلقون النفقات والديون على كواهل العمال . ولأمد قريب ، أنبأتنا البرقيات ان اميركا تريد ان تنفي الينا ، الى روسيا ، ٥٠٠ شيوعي آخر لكي تتخلص من «المحرضين الضارّين» .

ولكن الامور لن تتغير حتى ولو نفت الينا اميركا ، لا ٥٠٠ ، بل ٥٠٠٠٠٠ من «المحرضين» الروس والاميركيين واليابانيين والفرنسيين ، اذ يبقى هذا الفرق بين الاسعار والاجور الذي لا يستطيعون ان يجدوا له حلا . وهم لا يستطيعون ان يجدوا له حلا لأن الملكية الخاصة تصان عندهم بأشد الصرامة ، لأنها «مقدسة» عندهم . وهذا ما لا يجوز نسيانه لأن ملكية المستثمِرين الخاصة لم تحطم الا في روسيا . ان الرأسماليين لا يستطيعون ان يجدوا حلا لهذا الفرق بين الاسعار والاجور ، والعمال لا يستطيعون ان يعيشوا بالاجور السابقة . ولمكافحة هذه البلية ، لا تنفع الطرائق القديمة ايّاً كانت ، ولا تنفع مختلف الاضرابات ولا النضال البرلماني ولا التصويت ، لأن «الملكية الخاصة مقدسة» ولأن الرأسماليين كدسوا من الديون ما جعل العالم كله مستعبداً من قبل حفنة من الافراد ؛ ناهيك بان شروط حياة العمال تتفاقم اكثر فاكثر بشكل لا يطاق ولا مخرج غير القضاء على «ملكية» المستثمِرين «الخاصة» .

ان الرفيق لابينسكي يبين في كراسه «بريطانيا والثورة العالمية» الذي نشرت منه مطبوعتنا «نشرة مفوضية الشعب للشؤون الخارجية» (٣٣) مقتطفات قيمة في شباط (فبراير) ١٩٢٠ ، ان اسعار تصدير الفحم في بريطانيا كانت توازي ضعف الاسعار التي افترضتها الاوساط الصناعية الرسمية .

وفي لانكاشير ، بلغت الامور الى حد ان قيمة الاسهم ارتفعت ٤٠٠٪ بالمئة . ويتراوح الحد الادنى من دخل المصارف بين ٤٠ و٥٠ بالمئة ، ناهيك عن انه تجدر الاشارة ايضاً الى ان جميع رجالات المصارف يعرفون ، لدن تحديد دخل المصارف ، كيف يمررون حصة

الاسد من الدخل بطريقة سرية ، بحيث ان هذا لا يسمى دخلا ، بل يتستر بستار المكافآت ، والنسبة المئويـــة من الارباح لكبار الموظفين ، وخلافها . وهكذا ، هنا ايضاً ، تبين الوقائع الاقتصادية التي لا مراء فيها ، ان ثروة حفنة ضئيلة من الافراد قد تنامت الى حد لا يصدق ، وان البذخ الفاحش يتخطى جميع الحدود ، بينا يستفحل عوز الطبقة العاملة اكثر فاكثر . وعلى الخصوص ينبغي التنويه ايضاً بواقع اشار اليه الرفيق ليفي باقصى الوضوح في تقريره المذكور اعلاه ؛ هذا الواقع هو تغير قيمة النقد . فقد انخفضت قيمة النقد في كل مكان من جرّاء الديون واصدار النقود الورقية ، الخ . . والمصدر البرجوازي ذاته الذي سبق وذكرته ، اي تصريح المجلس الاقتصادي الاعلى بتاريخ ٨ آذار (مارس) ١٩٢٠ ، يورد حسابات يستفاد منها ان انخفاض قيمة النقد في بريطانيا بالمقارنة بالدولار يبلغ قرابة الثلث ؛ وفي فرنسا وايطاليا الثلثين ، بل انه يصل في المانيا الى ٩٦ بالمئة .

ان هذا الواقع يبين ان «ميكانيك» الاقتصاد الرأسمالي العالمي ينهار كلياً . فان تلك العلاقات التجارية التي يرتكز عليها في ظـــل الرأسمالية امر الحصول على الخامات وامر تصريف المنتوجات ، تستحيل مواصلتها ؛ وانه لتستحيل مواصلتها بالضبط على صعيد خضوع جملة كاملة من البلدان لبلد واحد ، – بحكم تغير قيمة النقد . وما من بلد ، مهما كان غنياً ، يملك امكانية العيش ويملك امكانية المتاجرة ، لانه لا يستطيع ان يبيع منتوجاته ولا يستطيع الحصول على الخامات .

وعليه يكون الحاصل ان اميركا ذاتها ، التي هي اغنى البلدان ، والتي تخضع لها جميع البلدان ، لا تستطيع ان تشتري وتبيع . بل ان كينس عينه ، الذي مر بتجارب ومحن مفاوضات فرساي ، قد اضطر الى الاعتراف بهذه الاستحالة ، رغم كل عزمه الراسخ على

الدفاع عن الرأسمالية ، رغم كل حقده على البلشفية . وللمناسبة يجدر القول اني لا اعتقد ان نداء شيوعياً او ثورياً على العموم ، ايا كان ، في وسعه ان يضاهي بقوته تلك الصفحات من كتاب كينس حيث يصف ويلسون و«الويلسونية» في الواقع والنشاط العملي . لقد كان ويلسون معبود المسالمين والتافهين الضيقي الافق من طراز كينس وجملة من ابطال الاممية الثانية (وحتى الاممية «الثانية والنصف» (٣٤)) الذين صلوا على «البنود الاربعة عشر» (٣٥) ، بل كتبوا ايضاً كتباً «علمية» عن «جذور» سياسة ويلسون آملين ان ينقذ ويلسون «السلام الاجتماعي» ، ويصلح بين المستثمِرين والمستثمَرين ويحقق الاصلاحات الاجتماعية . وبيّن كينس بكل وضوح كيف تكشف ويلسون عن غبي ، وكيف تبددت جميع هذه الاوهام هباء لدن اول اصطدام بسياسة الرأسمال العملية ، النفعية ، التجارية ، والمتجسدة بشخص السيد كليمانسو والسيد لويد جورج . والآن ترى جماهير العمال من تجربة حياتها بوضوح متزايد ابداً ، وفي وسع العلماء الادعياء ان يروا حتى من كتاب كينس ، ان «جذور» سياسة ويلسون قد انحصرت في غباوة كهنوتية ، في جملة برجوازية صغيرة ، في عدم فهم مطلق للنضال الطبقي .

وبحكم كل هذا ، ينبع بصورة طبيعية ومحتمة كلياً ظرفان ، وضعان جذريان . فمن جهة ، تفاقم عوز الجماهير وخرابها الى حد لم يسمع بمثله من قبل ، وفي المقام الاول فيما يخص ١/٤ مليار نسمة ، اي ٧٠ بالمئة من عموم سكان الارض . وهذه بلدان مستعمرة وتابعة لا يتمتع سكانها قانونياً باي حق ، بلدان «وضعت تحت انتداب» لصوص المال . ناهيك بان عبودية البلدان المغلوبة قد ثبتتها معاهدة فرساي والمعاهدات السرية المتعلقة بروسيا ، وان كانت احياناً ، من حيث قوتها ، واقعية وفعلية مثل الورق الذي كتب عليه انه يترتب علينا ان ندفع كذا من المليارات . وللمرة الاولى في

تاريخ العالم ، نرى تثبيتاً حقوقياً للنهب والعبودية والتبعية والفقر والجوع حيال مليار وربع مليار من البشر .

ومن جهة اخرى ، تبين ان وضع العمال في كل من البلدان الدائنة غدا وضعاً لا يطاق . فقد ادت الحرب الى تأزم جميع التناقضات الرأسمالية تأزماً لم يسمع بمثله من قبل ، ومن هنا ينبع ذلك الغليان الثوري الفائق الشدة الذي يتعاظم لأن الناس أُخضعوا في الحرب للانضباط العسكري ، وزج بهم الى شدق الموت ، او عُرِّضوا لخطر التنكيل العسكري الفوري . ان ظروف الحرب ما كانت تسمح برؤية الواقع الاقتصادي . وقد انصرف الكتاب والشعراء والكهنة والصحافة كلها الى تمجيد الحرب لا غير . والآن ، وقد انتهت الحرب ، بدأت الفضائح . فُضحَت الامبريالية الالمانية مع معاهدتها ، معاهدة بريست-ليتوفسك . فُضحَت معاهدة فرساي التي كان ينبغي ان تكون نصراً للامبريالية فجاءت هزيمة لها . ان مثال كينس يبين ، فيما يبين ، كيف كان لا بدّ لعشرات ومئات الآلاف من الناس من البرجوازية الصغيرة ، من المثقفين ، من عداد مجرد المتعلمين ، المتطورين نوعاً ما في اوروبا واميركا ان يسيروا في الدرب الذي سار عليه كينس الذي استقال ورمى في وجه حكومته كتاباً يشهّر بهذه الحكومة . فقد بيّن كينس ما يجري وما سيجري في ادراك الآلاف و مئات الآلاف من الناس عندما يفهمون ان جميع تلك الخطب عن «الحرب في سبيل الحرية» وخلافها كانت كذباً بكذب ، وانه بالنتيجة لم يغتن غير حفنة ضئيلة من الافراد بينما حل الخراب بالباقين ووقعوا في براثن العبودية . ذلك ان البرجوازي كينس يقول انه ينبغي على البريطانيين ، لأجل انقاذ حياتهم ، لأجل انقاذ الاقتصاد البريطاني ، ان يتوصلوا الى استئناف العلاقات التجارية الحرة بين المانيا وروسيا ! فباي طريقة يمكن التوصل الى هذا ؟ بطريقة الغاء جميع الديون ، كما يقترح كينس ! وهذه ليست فكرة العالم الاقتصادي

كينس وحده ! فالى هذه الفكرة تأتي وستأتي الملايين . وملايين الناس يسمعون ان الاقتصاديين البرجوازيين يقولون انه لا مخرج غير الغاء الديون ولهذا «فاللعنة على البلاشفة» (الذين الغوا الديون) وهيّا بنا نعول على «شهامة» اميركا !! – برأيي انه يصح توجيه رسائل شكر باسم مؤتمر الاممية الشيوعية الى امثال هؤلاء الاقتصاديين المحرضين في صالح البلشفية .

فاذا كان وضع الجماهير الاقتصادي لا يطاق ، من جهة ، واذا كان التفسخ الذي صوره كينس قد بدأ بين الاقلية الضئيلة من البلدان الظافرة الكلية الجبروت ، واذا كان هذا التفسخ يشتد ، من جهة اخرى ، فاننا نرى امامنا تعاظم شرطي الثورة العالمية ، على وجه الدقة .

فنحن نرى الآن امام عيوننا لوحة اكمل نوعاً عن العالم بأسره . ونحن نعرف ما تعنيه هذه التبعية لمليار وربع مليار من البشر وضعوا في حالة من العيش المستحيل ، ازاء حفنة ضئيلة من الاغنياء . ومن جهة اخرى ، عندما قدموا للشعوب معاهدة عصبة الامم ، التي اعلنت بموجبها عصبة الامم انها اوقفت الحروب وانها لن تسمح من الآن وصاعداً بالاخلال بالسلام ، وعندما اصبحت هذه المعاهدة سارية المفعول بوصفها الامل الاخير للجماهير الكادحة في العالم بأسره ، كان هذا اكبر انتصار لنا . وعندما لم تكن بعد قد اصبحت سارية المفعول ، آنذاك قالوا : لا يجوز الامتناع عن اخضاع بلد كالمانيا لشروط خاصة ؛ وعندما تعقد المعاهدة ، ترون ان الامور ستكون على خير ما يرام . وعندما نشرت المعاهدة ، كان لا بد لاعداء البلشفية الالداء ان يتنكروا لها ! وعندما بدأ يسري مفعول المعاهدة ، تبين انهم اجلسوا فئة ضئيلة جداً من البلدان الفائقة الغنى ، اجلسوا هؤلاء «الاربعة السمان» – كليمانسو ولويد جورج واورلاندو

وويلسون – لتدبير علاقات جديدة ! وعندما سَيَّروا آلة المعاهدة ، قادت الى الانهيار التام !

وهذا ما رأيناه في الحروب ضد روسيا . فان روسيا الضعيفة ، المخرَّبة ، المخنوقة ، البلاد الاكثر تأخراً ، تحارب ضد جميع الامم ، ضد حلف الدول الغنية الجبارة التي تسيطر على الكرة الارضية قاطبة ، وتحرز النصر . ونحن لم نستطع ان نجابهها بقوة موازية نوعاً ، ومع ذلك كنا الظافرين . لماذا ؟ لأنه لم يكن بينها اي ظل لوحدة ، لأن كل دولة كانت تعمل ضد الاخرى . فقد شاءت فرنسا ان تدفع لها روسيا ديونها وان تكون قوة رهيبة ضد المانيا ؛ وشاءت بريطانيا تقاسم روسيا ، وحاولت بريطانيا ان تستولي على بترول باكو وان تعقد معاهدة مع الدول الواقعة في اطراف روسيا . وفي عداد الوثائق الرسمية البريطانية كتاب يعدد بقدر خارق من العناية والاهتمام جميع الدول (وحسبوها ١٤) التي وعدت منذ نصف سنة تقريباً ، في كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٩ ، بأخذ موسكو وبتروغراد . وبالاعتماد على هذه الدول ، بنت بريطانيا سياستها ، ومنحتها القروض بالملايين والملايين . ولكن جميع هذه الحسابات اخفقت الآن وجميع القروض ذهبت هباء .

هذا هو الوضع الذي اوجدته عصبة الامم . ان كل يوم من وجود هذه المعاهدة انما هو خير تحريض في صالح البلشفية . لأن اقوى انصار «النظام» الرأسمالي يبيِّنون انهم في كل مسألة من المسائل يدبرون المقالب بعضهم ضد بعض . وبسبب من تقاسم تركيا وبلاد فارس وبلاد ما بين النهرين والصين ، تحتدم مشاجرة صاخبة مسعورة بين اليابان وبريطانيا واميركا وفرنسا . والصحافة البرجوازية في هذه البلدان حافلة باشد الحملات جنوناً ، باشد التهجمات حقداً ضد «زميلاتها» لأنها تنتزع الغنيمة من تحت انفها . ونحن نرى التفسخ التام في القمة بين هذه الحفنة الضئيلة للغاية من اغنى البلدان .

وانه ليستحيل العيش على مليار وربع مليار من البشر على النحو الذي تريده الرأسمالية «الطليعية» والمتمدنة الهادفة الى استعبادهم ، مع العلم ان هؤلاء يشكلون ٧٠ بالمئة من سكان الارض . والحال ، تعجز الحفنة الضئيلة للغاية من اغنى الدول ، اي بريطانيا واميركا واليابان (لقد امكن لليابان ان تنهب البلدان الشرقية ، الآسيوية ، ولكنه لا يمكنها ان تملك اي قوة مالية وعسكرية مستقلة دون دعم بلد آخر) ، يعجز هذان البلدان او الثلاثة عن ضبط العلاقات الاقتصادية ، وتوجه سياستها نحو احباط سياسة شريكاتها وزميلاتها في عصبة الامم . ومن هنا تنجم الازمة العالمية . وفي هذه الجذور الاقتصادية للازمة يكمن السبب الاساسي لكون الاممية الشيوعية تحرز النجاحات الباهرة .

ايها الرفاق ! لقد وصلنا الآن الى مسألة الازمة الثورية بوصفها اساس عملنا الثوري . وهنا تنبغي الاشارة قبل كل شيء الى خطأين منتشرين . فمن جهة ، يصور الاقتصاديون البرجوازيون هذه الازمة على انها «قلق» بسيط ، على حد تعبير الانجليز المنمق . ومن جهة اخرى ، يحاول الثوريون احياناً ان يثبتوا انه لا مخرج اطلاقاً من الازمة .

هذا خطأ . فلا توجد اوضاع لا مخرج منها اطلاقاً . ان البرجوازية تسلك سلوك وحش ضار تملكته الوقاحة وضيّع رأسه ، وهي ترتكب الحماقة تلو الحماقة ، مؤزمة الوضع ومعجلة هلاكها . كل هذا هو الواقع . ولكنه لا تمكن «البرهنة» على انه يستحيل اطلاقاً على البرجوازية ان تخدّر اقلية معينة من المستثمَرين بتنازلات صغيرة معينة ، وان تخنق حركة معينة او انتفاضة معينة لقسم معين من المظلومين والمستثمَرين . ان محاولة «البرهنة» مسبقاً على استحالة المخرج «اطلاقاً» انما هي ادعاء باطل او تلاعب بالمفاهيم والكلَيْمات . ففي هذه المسألة وما شابهها من المسائل لا يمكن

لغير النشاط العملي ان يكون «البرهـــان» الحقيقي . ان النظام البرجوازي في العالم كله يعاني ازمة ثورية كبيرة للغاية . وتنبغي الآن «البرهنة» ، بنشاط الاحزاب الثورية العملي ، على انها تملك ما يكفي من الوعي ، والتنظيـــم ، والصلات مع الجماهير المستثمَرة ، والتصميم ، والمهارة بحيث تستغل هذه الازمة من اجل نجاح الثورة ، من اجل انتصار الثورة .

ولأجل اعداد هذا «البرهان» بالذات ، اجتمعنا اساساً في مؤتمر الاممية الشيوعية الحالي .

ولكي اضرب مثلا يبين الى اي حد لا تزال الانتهازية سائدة بين الاحزاب الراغبة في الانتساب الى الاممية الثالثة ، والى اي حد لا يزال عمل بعض الاحزاب بعيداً عن تهيئة الطبقة الثورية لاستغلال الازمة الثورية ، استشهد بزعيم «حزب العمال المستقـــل» البريطاني ، رامسي ماكدونالد . فان ماكدونالد ، في كتابه «البرلمان والثورة» الذي يتناول على وجه التدقيق المسائل الجذرية التي تهمنا الآن نحن ايضاً ، يصف وضع الامور تقريباً بروح المسالمين البرجوازيين . وهو يعترف بانه توجد ازمة ثورية ، وبان المزاج الثوري يتعاظم ، وبان جماهير العمال تعطف على السلطة السوفييتية وديكتاتورية البروليتاريا (لاحظوا ان الكلام يتناول بريطانيا) ، وبان ديكتاتورية البروليتاريا افضل من ديكتاتورية البرجوازية البريطانية القائمة في الوقت الحاضر .

ولكن ماكدونالد لا يزال بكل جوارحه مسالمـــاً وتوفيقيـــاً برجوازياً ، وبرجوازياً صغيراً يحلم بحكومة لاطبقية . ان ماكدونالد لا يعترف بالنضال الطبقي الا «كواقع وصفي» ، مثله مثل جميع كذابي البرجوازية وسفسطائييها وادعيائها . ويلزم ماكدونالد الصمت حول تجربة كيرنسكي والمناشفة (٣٦) مع الاشتراكيين-الثوريين (٣٧) في روسيا ، والتجربة المماثلة في المجر والمانيا ، الخ . ، فيما يخص تأليف حكومة «ديموقراطية» ، ولاطبقية كما يزعم . ويخدّر ماكدونالد

حزبه واولئك العمال الذين لسوء حظهم يعتبرون هذا البرجوازي اشتراكياً وهذا السفسطائي زعيماً ، بالكلمات التالية : «نحن نعرف ان هذا (اي الازمة الثورية ، الغليان الثوري) سيمر ، سيهدأ» . وهو يقول ان الحرب قد استتبعت الازمة بالضرورة ، ولكن «كل شيء سيهدأ» بعد الحرب ، وان لم يكن دفعة واحدة !

هكذا بالذات يكتب انسان هو زعيم حزب يرغب في الانتساب الى الاممية الثالثة . وهنا نرى امامنا فضحاً نادراً من حيث صراحته ، وبالتالي اوفر قيمة ، لما يلاحظ في حالات ليست اقل حدوثاً في قمم الحزب الاشتراكي الفرنسي والحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني المستقل ، واعني به : لا عدم المعرفة وحسب ، بل ايضاً عدم الرغبة في استغلال الازمة الثورية استغلالا ثورياً ، او بتعبير آخر ، عدم المعرفة وعدم الرغبة على السواء في تهيئة الحزب والطبقة تهيئة ثورية فعلا لديكتاتورية البروليتاريا .

وهذا هو الشر الاساسي في عدد كبير جداً جداً من الاحزاب التي تبتعد في الوقت الحاضر عن الاممية الثانية . ولهذا السبب بالذات أتناول اكثر من اي شيء آخر ، في الموضوعات التي عرضتها على هذا المؤتمر ، تعريف مهام **التهيئة** لديكتاتورية البروليتاريـــا باكثر ما يمكن من الملموسية والدقة .

اليكم مثلا آخر . لأمد قريب ، صدر كتاب جديد ضد البلشفية . والآن تصدر الكتب من هذا النوع في اوروبا واميركـــا بكثرة فوق العادة ، وكلما ازداد عدد الكتب الصادرة ضد البلشفية ، تعاظم عطف الجماهير على البلشفية بمزيد من القوة والسرعة . وانا اقصد كتاب اوتو باور «البلشفية ام الاشتراكية-الديموقراطية ؟» . ان هذا الكتاب يبين للالمان بكل جلاء ما هي المنشفية التي يفهم عمال جميع البلدان دورها المخزي في الثورة الروسية فهماً كافياً . ان كتاب اوتو باور عبارة عن مقالة هجائية منشفية صرفاً ، رغم انه اخفى عطفه على

المنشفية . ولكنه ينبغي الآن ان يصار في اوروبا واميركا الى نشر معلومات ادق عن ماهية المنشفية لأن المنشفية مفهوم نوعي لجميع الاتجاهات التي يزعم انها اشتراكية واشتراكية-ديموقراطية وما شابه ، والتي تناصب البلشفية العداء . من المضجر لنا نحن الروس ان نكتب من اجل اوروبا ما تعنيه المنشفية . وقد بيّن اوتو باور هذا بالفعل في كتابه ونحن نشكر سلفاً الناشرين البرجوازيين والانتهازيين الذين سيصدرون هذا الكتاب ويترجمونه الى مختلف اللغات . ان كتاب باور سيكون ملحقاً نافعاً ، وان فريداً من نوعه ، للكتب الدراسية عن الشيوعية . خذوا اي فقرة كانت ، اي محاكمة كانت من كتاب اوتو باور وبينوا اين تكمن فيها المنشفية ، اين تكمن فيها جذور النظرات التي تؤدي الى القيام باعمال كاعمال خونة الاشتراكية واصدقاء كيرنسكي وشيدمان ، الخ . – هذه هي المسألة التي سيكون من الممكن طرحها بفائدة ونجاح في «الامتحانات» للتثبت من استيعاب الشيوعية . فاذا كنت لا تستطيع ان تحل هذه المسألة ، فلست بعد شيوعياً ، وخير لك ألا تنضم الى الحزب الشيوعي . (**تصفيق** .)

وقد افصح اوتو باور بصورة رائعة عن كل كنه نظرات الانتهازية العالمية في جملة ينبغي لنا ، جزاءً عليها ، ان نقيم له في فيينا تمثالا وهو حي لو كانت لنا حرية التصرف في هذه المدينة . فقد قال ا . باور ان استعمال العنف في النضال الطبقي الذي تخوضه الديموقراطيات المعاصرة سيكون «عنفاً ضد العوامل الاجتماعية للقوة» .

اغلب الظن انكم تجدون ان وقع هذا الكلام غريب وغير مفهوم ؟ فهذا نموذج يبين الى اي حد دفعوا الماركسية ، الى اي درجة من السفالة ومن الدفاع عن المستثمِرين **يمكن** دفع النظرية الاوفر ثورية . ينبغي لكم النوع الالماني من التفاهة وضيق الافق حتى تحصلوا على «نظرية» تقول ان «العوامل الاجتماعية للقوة» انما هي

عدد ، تنظيم ، مرتبة في عملية الانتاج والتوزيع ، نشاط ، تعليم . فاذا لجأ الاجير الزراعي في القرية والعامل في المدينة الى العنف الثوري ضد الملاك العقاري وضد الرأسمالي ، فليس هذا على الاطـــلاق بديكتاتورية البروليتاريـــا ، ليس هذا على الاطلاق بالعنف ضد مستثمري الشعب ومضطهديه . ولا شيء من هذا القبيل . انما هو «عنف ضد العوامل الاجتماعية للقوة» .

لربما جاء مثالي فكاهياً نوعاً . ولكن طبيعة الانتهازية المعاصرة لعلى نحو بحيث ان نضالها ضد البلشفية يتحول الى فكاهة . ان جر الطبقة العاملة وكل ما فيها من مفكر الى النضال الذي تخوضه المنشفية العالمية (اضراب ماكدونالد وا . باور وشركاهم) ضد البلشفية هو أنفع وألحّ أمر بالنسبة لاوروبا واميركا .

وهنا يجب ان نطرح السؤال التالي : ما الذي يفسر ثبات هذه التيارات في اوروبا ولماذا هذه الانتهازية اقوى في اوروبا الغربية مما عندنا . ذلك لأن البلدان الطليعية قد خلقت ولا تزال تخلق ثقافتها بفضل امكانية العيش على حساب مليار من البشر المظلومين . لأن رأسماليي هذه البلدان يحصلون اكثر بكثير مما كان في وسعهم ان يحصلوا عليه كربح من نهب عمال بلدانهم .

قبل الحرب كانوا يعتبرون ان اغنى البلدان الثلاثـــة ، اي بريطانيا وفرنسا والمانيا ، يتراوح دخلها السنوي من مجرد تصدير الرساميل الى الخارج بين ٨ و١٠ مليارات فرنك ، فضلا عن المداخيل الاخرى .

ومفهوم ان يكون من الممكن رمي نصف مليار على الاقل من هذا المبلغ الظريف صدقة لزعماء العمال واريستقراطية العمال ، من اجل الرشو بكل شكل وصورة . وكل الامور تتلخص بالضبط في الرشو . وهذا ما يتحقق بآلاف السبل المتنوعة : برفع مستوى الثقافة في اكبر المراكز ، وانشاء مؤسسات التعليم ، وانشاء آلاف المناصب لزعماء

التعاونيات وزعماء التريديونيونات والزعماء البرلمانيين . ولكن هذا يتحقق في كل مكان حيثما توجد علاقات رأسمالية حضارية عصرية . وهذه المليارات من الارباح الزائدة انما هي الاساس الاقتصادي الذي ترتكز عليه الانتهازية في الحركة العمالية . ونحن نجد في اميركا وبريطانيا وفرنسا عناداً اقوى بما لا يقاس من قبل الزعماء الانتهازيين ، والفئات العليا من الطبقة العاملة واريستقراطية العمال ؛ فهؤلاء يبدون مقاومة أشد في وجه الحركة الشيوعية . ولهذا يجب علينا ان نكون مستعدين للواقع التالي وهو ان تخلص احزاب العمال في اوروبا واميركا من هذا المرض سيكون اصعب مما عندنا . ونحن نعرف انه تحققت نجاحات كبيرة للغاية فيما يخص علاج هذا المرض منذ تأسيس الاممية الثالثة ، ولكننا لم نبلغ بعد النهاية الفاصلة : فان تطهير الاحزاب العمالية ، الاحزاب الثورية للبروليتاريا في العالم كله من التأثير البرجوازي ، من الانتهازيين في صفوفها بالذات ، ابعد من ان يكون قد انتهى .

لن اتوقف عند مسألة معرفة كيف ينبغي لنا ان نقوم بذلك بشكل ملموس . فهذه المسألة تتناولها موضوعاتي المنشورة . ومهمتي ان اشير هنا الى الجذور الاقتصادية العميقة لهذه الظاهرة . لقد استطال هذا المرض ، واستطال علاجه اكثر مما كان في وسع المتفائلين ان يأملوا . ان الانتهازية عدونا الرئيسي . والانتهازية في قمم الحركة العمالية ليست اشتراكية بروليتارية بل اشتراكية برجوازية . وقد أقيم الدليل عملياً على ان القادة ذوي الميل الانتهازي في الحركة العمالية ، يدافعون عن البرجوازية خيراً من البرجوازيين انفسهم . ولولا قيادتهم للعمال ، لما استطاعت البرجوازية البقاء . هذا ما يثبته تاريخ نظام كيرنسكي في روسيا ، وليس هذا التاريخ وحسب ، هذا ما تثبته الجمهورية الديموقراطية في المانيا

برئاسة حكومتها الاشتراكية-الديموقراطية ، هذا ما يثبتـــه موقف ألبر توما من حكومته البرجوازية . هذا ما تثبته التجربة المماثلة في بريطانيا وفي الولايات المتحدة .وهنا عدونا الرئيسي ، وعلى هذا العدو ينبغي لنا ان نحرز الغلبة . ينبغي لنا ان نخرج من المؤتمر بقرار حازم لكي تخوض جميع الاحزاب هذا النضال الى النهاية . وهذه هي المهمة الرئيسية .

وبالمقارنة مع هذه المهمـــة ، سيكون اصلاح اخطاء التيار «اليساري» في الشيوعية مهمة سهلة . ففي جملة كاملة من البلدان ، نلاحظ نزعة معادية للبرلمانية لا يحملها المتحدرون من البرجوازية الصغيرة بقدر ما يدعمها بعض الفصائل الطليعية من البروليتاريـــا بدافع الكره للبرلمانية القديمة ، بدافع الكره المشروع ، الضروري ، الصحيح لسلوك القادة البرلمانيين في بريطانيا وفرنسا وايطاليا ، بل في جميع البلدان . ينبغي اعطاء توجيهات مرشدة من الاممية الشيوعية ، وتعريف الرفاق بصورة اقرب واوثق على التجربـــة الروسية ، على دور الحزب السياسي البروليتاري الحقيقي . وفي حل هذه المهمة سيتقوم عملنا . وسيكون النضال ضد هذه الاخطاء في الحركة البروليتارية وضد هذه النواقص اسهل بألف مرة من النضال ضد تلك البرجوازية التي تدخل باشخاص الاصلاحيين في الاحزاب القديمة المنضمة الى الاممة الثانية وتوجه عمل هذه الاحزاب كلها بروح برجوازية لا بروح بروليتارية .

ايها الرفاق ، سأتناول في الختام جانباً آخر ايضاً من القضية . فقد قال الرفيق الرئيس هنا ان المؤتمر يستحق ان يسمى بالمؤتمر العالمي . وانا ارى انه على حق خصوصاً لأن عدد ممثلي الحركـــة الثورية في البلدان المستعمَرة ، في البلدان المتأخرة ليس قليلا هنا . وهذه بداية ضعيفة وحسب ، ولكن من المهم ان هذه البداية قـــد أُرسيت اسسهـــا . ان اتحاد البروليتاريين الثوريين من البلدان الرأسمالية ، من البلدان الطليعية ، مع الجماهير الثورية من تلك

البلدان التي لا توجد او تكاد لا توجد فيها بروليتاريا ، مع الجماهير المظلومة من البلدان المستعمَرة ، من البلدان الشرقية ، ان هذا الاتحاد يتحقق في هذا المؤتمر . وعلينا يتوقف توطيد هذا الاتحاد وانا واثق باننا سنفعل هذا . فلا بد ان تنهار الامبريالية العالمية متى تغلب الهجوم الثوري من جانب العمال المستثمَرين والمظلومين في داخل كل بلد على مقاومة العناصر البرجوازية الصغيرة وتأثير الحفنة الضئيلة العليا من اريستقراطية العمال ، واتحد مع الهجوم الثوري من جانب مئات الملايين من البشر الذين ظلوا حتى الآن على هامش التاريخ وكانوا يُعتبَرون موضوعاً له وحسب .

لقد ساعدت الحرب الامبريالية الثورةَ ، وانتزعت البرجوازية الجنود من المستعمرات ، من البلدان المتأخرة ، من ربقة الاهمال ، لكي يشتركوا في هذه الحرب الامبريالية . وقد اوهمت البرجوازية البريطانية الجنود من الهند بانه على الفلاحين الهنـــود ان يذودوا عن بريطانيا العظمى ضد المانيا ، واوهمت البرجوازية الفرنسية الجنود من المستعمرات الفرنسية انه على السود ان يذودوا عن فرنسا . وكانتا تعلمان فن امتلاك السلاح . وهذا علم جزيل النفع ، وبوسعنا ان نشكر البرجوازية على هذا اعمق الشكر ، ان نشكرها باسم جميع العمال والفلاحين الروس وباسم كل الجيش الاحمر الروسي على الخصوص . لقد جرّت الحرب الامبريالية الشعوب التابعة الى ميدان التاريخ العالمي . ومن أهم مهامنا الآن ان نمعن الفكر في كيف نضع الحجر الاول لتنظيم الحركة السوفييتية في البلدان غير الرأسمالية . فالسوفييتات امر ممكن هنـاك ؛ وهذه السوفييتات لن تكـــون سوفييتات للعمال ، بل سوفييتات للفلاحين او سوفييتات للكادحين .

ان المسألة ستتطلب الكثير من العمل ، وستقع الاخطاء حتماً ، وسيقوم الكثير من المصاعب في هذا الطريق . ومهمة المؤتمر الثاني الاساسية ان يضع او يرسم المبادئ العملية لكي يمكن للعمل الذي

سار حتى الآن بين مئات الملايين من البشر بصورة غير منظمة ان يسير بصورة منظمة ، متلاحمة ، دائبة .

بعد مرور سنة او اكثر بقليل على المؤتمر الاول للاممية الشيوعية ، نبرز نحن الآن الظافرين حيال الاممية الثانية . فان الافكار السوفييتية ليست منتشرة الآن بين عمال البلدان المتمدنة وحسب ، وليست مفهومة ومعروفة بينهم وحسب ؛ فان العمال في جميع البلدان يضحكون من اولئك الاذكياء ممن ليس قليلا بينهم عدد اولئك الذين يقولون عن انفسهم بانهم اشتراكيون والذين يحاكمون بطريقة علمية او علمية تقريباً بصدد «النظام» السوفييتي ، كما يطيب للالمان المحبين للنظام ان يقولوا ، او بصدد «الفكرة» السوفييتية كما يقول الاشتراكيون «الغيلديون» (٣٨) البريطانيون ؛ ولا يندر لهذه المحاكمات بصدد «النظام» السوفييتي و«الفكرة» السوفييتية ان توسِّخ عيون العمال وعقولهم . ولكن العمال يكنسون هذا الوسخ الادعائي ويأخذون السلاح الذي اعطته السوفييتات . ان فهم دور السوفييتات واهميتها قد شمل الآن بلدان الشرق ايضاً .

لقد أرسيت اسس بداية الحركة السوفييتية في الشرق كله ، في آسيا كلها ، بين جميع الشعوب المستعمَرة .

ان الموضوعة القائلة بانه لا بد ان ينتفض المستثمَر على المستثمِر وينشئ سوفييتاته ليست مفرطة في التعقد . فهي بعد تجربتنا ، بعد مرور سنتين ونصف السنة على الجمهورية السوفييتية في روسيا ، بعد المؤتمر الاول للاممية الثالثة ، تصبح في متناول مئات الملايين من ابناء الجماهير المظلومة من قبل المستثمِرين ، في العالم اجمع ؛ واذا كنا الآن في روسيا مضطرين في احوال غير نادرة الى عقد المساومات والى انتظار الوقت المناسب ، لأننا اضعف من الامبرياليين العالميين ، فاننا نعرف ان ملياراً وربع مليار من البشر هم ذلك الجمهور الذي ندافع نحن عن مصالحه . ولا تزال تعيقنا تلك

العقبات وتلك الاوهام وذلك الجهل ، التي تغيب في طيّ الماضي ساعة بعد ساعة ، ولكننا بقدر ما يمضي الوقت ، بقدر ما نمثل وندافع اكثر فاكثر في الواقع عن هؤلاء الـ٧٠ بالمئة من سكان الكرة الارضية ، عن هذا الجمهور من الكادحين والمستثمَرين . وفي وسعنا ان نقول باعتزاز : في المؤتمر الاول ، كنا ، من حيث جوهر الامر ، دعاة وحسب . ونحن لم نفعل غير ان طرحنا الافكار الاساسية على بروليتاريا العالم بأسره ، نحن لم نفعل غير ان طرحنا نداء الى النضال ، نحن لم نفعل غير ان تساءلنا : اين هم اولئك الذين يستطيعون السير في هذا السبيل ؟ اما الآن فعندنا بروليتاريا طليعية في كل مكان . وفي كل مكان يوجد جيش بروليتاري ، وإن كان احياناً سيئ التنظيم ، ويتطلب اعادة التنظيم ، واذا ساعدنا رفاقنا في العالم على ان ننظم الآن جيشاً موحداً واحداً ، فان اي نقص لن يحول دوننا ودون تحقيق قضيتنا . وهذه القضية هي قضية الثورة البروليتارية العالمية ، قضية انشاء جمهورية سوفييتية عالمية (**تصفيق متواصل .**)

«البرافدا» ، العدد ١٦٢ ، المجلد ٤١ ،
٢٤ تموز (يوليو) ١٩٢٠ ص‌ص ٢١٥ ـ ٢٣٥

٢

خطاب عن دور الحزب الشيوعي
٢٣ تموز (يوليو)

ايها الرفاق ، اود لو ابدي بعض الملاحظـــات بصدد خطابي الرفيقين تانّر وماك-لين . يقول تانّر انـــه يؤيد ديكتاتوريـــة البروليتاريا ، ولكنه يتصور ديكتاتورية البروليتاريا على غير ما نتصورها نحن . فهو يقول اننا نفهم بديكتاتورية البروليتاريا ، من حيث جوهر الامر ، ديكتاتورية اقليتها المنظمة الواعية .

وبالفعل ، ان اشد ما تتميز به الاحزاب السياسية العمالية في عهد الرأسمالية ، اذ تتعرض جماهير العمال للاستثمار المتواصل ولا تستطيع ان تطور كفاءاتها البشرية ، انما هو على وجه الضبط كون هذه الاحزاب لا تستطيع ان تشمل غير الاقلية في طبقتها . ان الحزب السياسي لا يستطيع ان يضم غير اقلية الطبقة ، مثله في ذلك مثل العمال الواعين فعلا الذين لا يؤلفون في كل مجتمع رأسمالي غير اقلية العمال كافة . ولهذا نحن مضطرون الى الاعتراف بان هذه الاقليـة الواعية هي وحدها التي يمكنها ان تقود جماهير العمال الواسعـــة وتجتذبها وراءها . واذا كان الرفيق تانّر يقول انه عدو الاحزاب ، ويطالب مع ذلك في الوقت نفسه بان تدل اقلية افضل العمال تنظيما واكثرهم ثورية البروليتاريا بأسرها على الطريق ، فاني اقول انه لا فرق بيننا بالفعل . فماذا تمثل الاقلية المنظمـــة ؟ اذا كانت هذه اقلية واعية فعلا ، اذا كانت تستطيع ان تجتذب الجماهير وراءها ،

اذا كان بمقدورها ان تجيب عن كل مسألة ترد في جدول الاعمال ، فهي ، من حيث جوهر الامر ، حزب . واذا كان الرفاق من امثال تانّر الذى نكنّ له اعتبارا خاصا كما لممثلي الحركة الجماهيرية ، – الامر الذي لا يمكن قوله بدون صعوبة عن ممثلي الحزب الاشتراكي البريطاني ، (٣٩) – اذا كان هؤلاء الرفاق يطالبون بوجود اقلية تناضل بحزم من اجل ديكتاتورية البروليتاريا وتربي جماهير العمال بهذه الروح ، فان هذه الاقلية ليست ، من حيث جوهر الامر ، غير الحزب . يقول الرفيق تانّر انه يجب على هذه الاقلية ان تنظم وتجتذب وراءها جمهور العمال كله . اذا كان الرفيق تانّر والرفاق الآخرون من فرقة Shop Stewards واتحاد عمال العالم الصناعيين (I.W.W.) يعترفون بهذا ، – وكل يوم نرى في الاحاديث معهم انهم يعترفون بهذا فعلا ، – واذا كانوا يحبذون الوضع الذي تجتذب فيه الاقلية الشيوعية الواعية من الطبقة العاملة البروليتاريا وراءها ، فانه يتعين عليهم ان يوافقوا كذلك على ان معنى جميع قراراتنا هو هكذا بالذات . وفي هذه الحال ، يتلخص الفرق الوحيد القائم بيننا في كونهم يتجنبون كلمة «الحزب» ، لانه يوجد بين الرفاق البريطانيين نوع معين من رأى مسبق ضد الحزب السياسي . وهم لا يتصورون الحزب السياسي الا بصورة احزاب من طراز حزبي غومبرس وهندرسون (٤٠) واحزاب رجال الاعمال البرلمانيين ، خونة الطبقة العاملة . واذا كانوا يتصورون البرلمانية على وجه الضبط بالصورة التي تبدو بها البرلمانية البريطانية والاميركية في الوقت الحاضر ، فاننا نحن ايضا اعداء مثل هذه البرلمانية وامثال هذه الاحزاب السياسية . نحن بحاجة الى احزاب جديدة ، الى احزاب اخرى . نحن بحاجة الى احزاب تكون دائما على صلة فعلية مع الجماهير وتستطيع ان تقود هذه الجماهير .

وانتقل الى المسألة الثالثة التي اردت ان اتناولها هنا لمناسبة كلمة الرفيق ماك-لين . فالرفيق ماك-لين يؤيد انضمام الحزب الشيوعي البريطاني الى حزب العمال . وقد سبق لي واعربت عن رأيي بهذه المسألة في موضوعاتي بشأن القبول في الاممية الثالثة * . وفي كراسي تركت هذه المسألة معلقة (٤١) . ولكني اقتنعت ، بعد ما تحادثت مع كثيرين من الرفاق ، بان قرار البقاء في حزب العمال هو التكتيك الصحيح الوحيد . ولكن ها هو ذا الرفيق تانّر يتكلم ويصرح : لا تبالغوا في الجمود العقائدي . ان هذا التعبير لا مكان له هنا على الاطلاق . يقول الرفيق رمسي : اسمحوا لنا ، نحن الشيوعيين البريطانيين ، ان نحل هذه المسألة بأنفسنا . وما عسى ان تكون الاممية اذا جاءت كل كتلة صغيرة وقالت : بعض منا يؤيد هذا وبعض آخر يعارض ؛ فاسمحوا لنا ان نقرر بانفسنا ؟ فاي حاجة في هذه الحال الى الاممية والمؤتمر وكل هذه المناقشة ؟ ان الرفيق ماك-لين لم يتكلم الا عن دور الحزب السياسي . ولكن الشيء نفسه يصح ايضاً على النقابات وعلى البرلمانية . من المؤكد تماماً ان القسم الاكبر من خيرة الثوريين يعارضون الانضمام الى حزب العمال لأنهم يقفون موقفاً سلبياً من البرلمانية بوصفها وسيلة للنضال . ولهذا كان خير ما يجب فعله ، اغلب الظن ، هو احالة هذه المسألة الى لجنة خاصة . وينبغي على هذه اللجنة ان تناقش هذه المسألة وتدرسها ، وينبغي حتماً على المؤتمر الحالي للاممية الشيوعية ان يحل هذه المسألة . ونحن لا يسعنا ان نوافق على انها تتعلق بالشيوعيين البريطانيين وحدهم . يجب علينا ان نقول بوجه عام اي تكتيك هو التكتيك الصحيح .

---

* راجعوا هذا الكتاب ص ٥٦ ــ ٥٧ . **الناشر** .

واتوقف الآن عند بعض حجج الرفيق ماك-لين المرتبطة بمسألة حزب العمال البريطاني . يجب القول صراحة : ان الحزب الشيوعي يستطيع ان ينضم الى حزب العمال ولكن شرط ان يحتفظ بحريته التامة في النقد وان يتمكن من انتهاج سياسته الخاصة . وهذا هو الأهم . وعندما يتحدث الرفيق سيراتي في هذا الصدد عن التعاون بين الطبقات ، فاني اقول : ان هذا ليس تعاوناً بين الطبقات . واذا كان الرفاق الايطاليون يصبرون على وجود انتهازيين في حزبهم من طراز توراتي وشركاه اي على وجود عناصر برجوازية ، فان هذا هو بالفعل تعاون بين الطبقات . ولكن المقصود في الحالة المعنية ، فيما يخص الموقف من حزب العمال البريطاني ، ينحصر في التعاون بين الاقلية المتقدمة من العمال البريطانيين وبين اغلبيتهم الساحقة . فان اعضاء حزب العمال انما هم جميع اعضاء النقابات . ان حزب العمال هو عبارة عن تركيب فريد جداً لا نجد له نظيراً في اي بلد آخر . فان هذه المنظمة تضم ٤ ملايين عامل من اصـــل ٦ او ٧ ملايين عضو في النقابات . ولا يسألونهم عن عقائدهم السياسية . فليثبت لي الرفيق سيراتي ان احداً يحول بيننا وبين استخدام حق النقد هناك . وعندما تثبتون هذا ، عند ذاك فقط تثبتون ان الرفيق ماك-لين على خطأ . بوسع الحزب الاشتراكي البريطاني ان يقول بحرية ان هندرسون خائن ، ومع ذلك يبقى هذا الحزب في صفوف حزب العمال . وهنا يتحقق تعاون طليعة الطبقة العاملـــة مع العمال المتأخرين ، مع المؤخرة . وهذا التعاون يتسم بأهمية على درجة من الكبر بالنسبة للحركـــة كلها بحيث اننـــا نلح قطعاً على ان يكون الشيوعيون البريطانيون حلقة الوصل بين الحزب ، اي بين اقلية الطبقة العاملة وكل الجمهور الباقي من العمال . واذا كانت الاقلية لا تستطيع ان تقود الجماهير وان ترتبط بها بروابط وثيقة ، فانها ليست حزباً ولا تساوي شيئاً على العموم حتى وان سَمَّت نفسها حزباً او لجنة وطنية

لمجالس وكلاء المصانع ، – وحسب علمي ، توجد لمجالس وكلاء المصانع والمعامل في بريطانيا لجنة وطنية ، قيادة مركزية ، وهذه خطوة نحو الحزب . وبالتالي ، اذا لم يدحض كون حزب العمـــال البريطاني يتألف من بروليتاريين فان هذا التعاون يكون تعاون طليعة الطبقة العاملة مع العمال المتأخرين ، واذا لم يتحقق هذا التعاون بدأب وانتظام ، فان الحزب الشيوعي لن يساوي آنذاك شيئاً ولن يكون بالامكان حتى الكلام عن ديكتاتورية البروليتاريا . واذا لم يكن لدى رفاقنا الايطاليين براهين اكثر اقناعاً ، فانه سيتعين علينا ان نبت في المسألة هنا نهائياً فيما بعد على اساس ما نعرفه ونخلص الى القول بان الانضمام هو التكتيك الصحيح .

يقول لنـــا الرفيقان تانّر ورمسي ان اغلبيـــة الشيوعيين البريطانيين لن يوافقوا على الانضمام ، ولكن هل يجب علينا ان نوافق ابداً ودائماً مع الاغلبية ؟ كلا ، ابداً . فاذا لم تفهم بعد اي تكتيك هو التكتيك الصحيح ، فمن الممكن ، اغلب الظن ، الانتظار . بل ان وجود حزبين في آن واحد خلال مدة من الزمن افضل من رفض الجواب عن مسألة معرفة التكتيك الصحيح . يقيناً انكم ، انطلاقاً من تجربة جميع اعضاء المؤتمر ، وعلى اساس البراهين المقدمة هنا ، لن تصروا على ان نتخذ هنا بالذات قراراً بانشاء حزب شيوعي واحد على الفور في كل بلد . فهذا مستحيـــل . اما ان نبدي رأينا صراحة وان نعطي توجيهات ، فهذا ممكن . ينبغي لنا ان ندرس في لجنة خاصة المسألة التي اثارها الوفد البريطاني ، وان نقول بعد ذلك : ان التكتيـــك الصحيح هو الدخول في حزب العمال . فاذا عارضت الاغلبية هذا ، تعين علينا ان ننظم الاقلية على حدة . وسيكون لهذا شأن تربوي . واذا كانت جماهير العمال البريطانيين لا تزال تؤمن بالتكتيـــك السابق ، فاننا سنتحقق من صحة استنتاجاتنا في المؤتمر القريب

القادم . ولكنه لا يسعنا ان نقول ان هذه المسألة تتعلق ببريطانيا وحدها ، والا كان هذا تقليداً لأسوأ عادات الاممية الثانية . يجب علينا ان نبدي رأينا بصراحـــة . فاذا لم يتوصـــل الشيوعيون البريطانيون الى الاتفاق فيما بينهم واذا لم ينشأ حزب جماهيري ، فان الانشقاق محتم بنحو او آخر .

«نشرة المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية» ، العدد ٥ ، ٥ آب (اغسطس) ١٩٢٠

المجلد ٤١ ، ص‌ص ٢٣٦–٢٤٠

٣

تقرير اللجنة المختصة بالمسألة القومية ومسألة المستعمرات
٢٦ تموز (يوليو) (٤٢)

ايها الرفاق ، سأكتفي بتوطئة وجيزة يقدم لكم بعدها الرفيق مارينغ ، الذي كان سكرتير لجنتنا ، تقريراً مفصلا عن التغييرات التي ادخلناها على الموضوعات . وبعده سيتكلم الرفيق روي الذي صاغ الموضوعات الاضافية . وقد اقرت لجنتنا بالاجماع الموضوعات الاولية * مع التغييرات كما اقرت الموضوعات الاضافية . وهكذا امكننا ان نصل الى الاتفاق التام حول جميع القضايا الهامة . وسأقدم الآن بعض الملاحظات الموجزة .

اولا ، ما هو الامر الاهم في موضوعاتنا ، ما هي فكرتها الأساسية ؟ انها الفرق بين الامم المظلومة والامم الظالمة . ونحن نبرز هذا الفرق ، على خلاف ما تفعل الأممية الثانية والديموقراطية البرجوازية . يهم البروليتاريا والأممية الشيوعية جداً في عصر الامبريالية الاشارة الى الوقائع الاقتصادية المعينة والانطلاق عند حل جميع قضايا المستعمرات والقضايا القومية لا من المبادئ المجردة ، بل من ظاهرات الحياة الواقعية .

ان السمة المميزة للامبريالية هي كون العالم كله منقسماً في الوقت الحاضر ، كما نرى ، الى عدد كبير من الامم المظلومة وعدد ضئيل من الامم الظالمة في حوزتها الثروات الطائلة والطاقة الحربية

---

* راجعوا هذا الكتاب ص ٢٤ ـ ٣٩ . **الناشر** .

الجبارة . والامم المظلومة التي توجد مباشرة في حالة المستعمرات او حالة دول في وضع يشبه وضـــع المستعمرات كبلاد فارس وتركيا والصين ، او في حالة دول اصبحت بموجب معاهدات الصلح في حالة تبعية شديدة لدولة امبريالية كبرى بعد ان هزمها جيش هذه الدولة ، تؤلف الاكثرية الكبرى وهي تزيد على مليار نسمة ، وتبلغ في اكبر الظن ملياراً وربع مليار نسمة اذا اعتبرنـــا مجموع سكان الأرض ملياراً وثلاثة ارباع المليار ، اي انها تؤلف حوالى ٧٠ في المئة من سكان الأرض . وفكرة الفرق ، فكرة تقسيم الامـم الى ظالمـــة ومظلومة ، بدت واضحة في جميـــع الموضوعات ، وليس فقط في الموضوعات الأولى التي سبق ظهورها وحملت توقيعي ، بل ايضاً في موضوعات الرفيق روي . وقد كتبت هذه الأخيرة بصورة رئيسية من وجهة نظر وضع الهند وغيرها من الشعوب الآسيوية الكبيرة التي تظلمها انجلترا ، وفي هذا تتلخص اهميتها الكبرى بالنسبة لنا .

والفكرة الموجهة الثانية في موضوعاتنا تتلخص في كون العلاقات بين الشعوب ، في كون نظام الدول العالمي يتسم ، في الوضع العالمي الراهن بعد الحرب الامبريالية ، بنضال مجموعة غير كبيرة من الأمم الامبريالية ضد الحركة السوفييتية والدول السوفييتية وعلى رأسها روسيا السوفييتية . واذا ما غاب عنا ذلك لا يمكننا ان نطرح على الوجه الصحيح اي قضية من القضايا القوميـــة او من قضايـــا المستعمرات ، حتى ولو كانت هذه القضية تخص ابعد زوايا العالـم . ولا يمكن للاحزاب الشيوعية سواء في البلدان المتمدنة او في البلدان المتأخرة ان تطرح القضايا السياسية على الوجه الصحيح وان تجد لها الحلول الصحيحة الا في حالة تبنيها لوجهة النظر المذكورة .

ثالثاً ، بودي لو اشير اشارة خاصة الى مسألـــة الحركـــة البرجوازية الديموقراطية في البلدان المتأخرة . فهذه المسألة بالذات قد اثارت بعض الخلافات . لقد دار بيننا الجدال عما اذا كان صحيحاً

من الناحيتين المبدئية والنظرية ان نعلن ان تأييد الحركة البرجوازية الديموقراطية في البلدان المتأخرة واجب مفروض على الأممية الشيوعية والاحزاب الشيوعية ام ان ذلك غير صحيح ؛ وبنتيجة هذا الجدال اتفق الرأي على ان نتحدث عن الحركة الوطنية الثورية بدلا عن الحركة «البرجوازية الديموقراطية» . وليس من شك في ان كل حركة وطنية لا يمكن ان تكون غير حركة برجوازية ديموقراطيـــة ، لأن الجمهور الأكبر من السكان في البلدان المتأخـــرة يتألف من الفلاحين الذين يمثلون العلاقات الرأسمالية-البرجوازية . ومن الوهم التصور ان الاحزاب البروليتارية تستطيع ان تطبق في هذه البلدان المتأخرة الخطة الشيوعية والسياسة الشيوعية – اذا امكنها بوجه عام أن تنشأ في هذه البلدان – دون ان تكون على علاقات معينة مع حركة الفلاحين ودون ان تؤيدها فعلا . غير انه قدمت هنا اعتراضات مآلها انه اذا ما تحدثنا عن الحركة البرجوازية الديموقراطية يندثر كل فرق بين الحركة الاصلاحية والحركة الثورية . ومع ذلك ، ظهر هذا الفرق في الآونة الأخيرة واضحاً كل الوضوح في البلدان المتأخرة وفي المستعمرات ، لان البرجوازية الامبريالية تبذل كل جهودها لتغرس الحركـــة الاصلاحية كذلك بين الشعوب المظلومة . لقد تم بعض التقارب بين برجوازية البلدان الاستثمارية وبرجوازية المستعمرات ، مما جعل برجوازية البلدان المظلومة ، – مع تأييدها للحركات الوطنيـــة ، تناضل في الوقت نفسه ، في حالات كثيرة ، بل قل في معظم الحالات ، ضد جميع الحركات الثورية والطبقات الثورية بالاتفاق مع البرجوازية الامبريالية ، اي معها . وقد اقيم على ذلك في اللجنة البرهان القاطع ، ورأينا ان الطريق الوحيد الصحيح هو ان نأخذ هذا الفرق بعين الاعتبار وان نبدل تقريباً في جميع الفقرات تعبير «البرجوازية الديموقراطية» بتعبير «الوطنية – الثورية» . ومغزى هذا التبديل يتلخص في انه لا يتوجب علينا ، بوصفنا شيوعيين ، ان نؤيد ، ولن نؤيد ، الحركات

التحررية البرجوازية في المستعمرات الا في الحالات التي تكون فيها هذه الحركات ثورية حقاً وفي الحالات التي لا يعيقنا فيها ممثلو هذه الحركات عن تربية وتنظيم جماهير الفلاحين والجماهير الغفيرة من المستثمَرين تربية ثورية وتنظيماً ثورياً . وفي حالة انعدام هذه الظروف يتوجب على الشيوعيين في هذه البلدان ان يناضلوا ضد البرجوازية الاصلاحية التي ينتمي اليها ابطال الأممية الثانية ايضاً . لقد تأسست الاحزاب الاصلاحية في المستعمرات ، ويحدث ان يسمي ممثلو هذه الاحزاب انفسهم بالاشتراكيين-الديموقراطيين والاشتراكيين . ان الفرق المشار اليه قد ذكر الآن في جميع الموضوعات ، واعتقد ان صياغة وجهة نظرنا قد اصبحت الآن من جراء ذلك ادق جداً .

ثم اريد ان اتقدم بملاحظة اخرى حول سوفييتات الفلاحين . ان نشاط الشيوعيين الروس العملي في المستعمرات القيصرية السابقة ، في بلدان متأخرة كتركستان وغيرها ، قد وضع امامنا المسألة التالية : كيف نطبق الخطة الشيوعية والسياسة الشيوعية في ظروف ما قبل الرأسمالية لأن السمة المميزة الهامة في هذه البلدان هي كون السيطرة فيها لعلاقات ما قبل الرأسمالية ، ولذلك لا مجال فيها لحركة بروليتارية صرفاً . تكاد البروليتاريا الصناعية تكون معدومة في هذه البلدان . وبالرغم من ذلك اضطلعنا فيها ايضاً بدور القادة ، وينبغي لنا ان نضطلع بهذا الدور . وقد اتضح لنا من عملنا انه ينبغي لنا في هذه البلدان تذليل صعوبات جسيمة ، غير ان النتائج العملية التي اسفر عنها عملنا قد بينت ايضاً انه بالرغم من هذه الصعوبات يمكن ان نوقظ في الجماهير النزوع الى التفكير السياسي المستقل والى النشاط السياسي المستقل حتى في البلدان التي تكاد البروليتاريا تكون فيها معدومة . وظهر ان هذا العمل اصعب بالنسبة الينا منه بالنسبة الى رفاقنا في بلدان اوروبا الغربية ، لأن البروليتاريا في

روسيا غارقة في اعمال ادارة الدولة . ومن الواضح كل الوضوح ان الفلاحين الموجودين في حالة تبعية شبه اقطاعية يمكنهم بكل تأكيد ان يتبنوا فكرة التنظيم السوفييتي وان يطبقوها فعلا . ومن الواضح ايضاً ان الجماهير المظلومة المستثمرة لا من قبل رأس المال التجاري وحده ، بل ايضاً من قبل الاقطاعيين والدولة القائمة على الاساس الاقطاعي ، تستطيع ان تستخدم هذا السلاح ، هذا النوع من التنظيم في ظروفها ايضاً . ان فكرة التنظيم السوفييتي بسيطة وممكنة التطبيق لا حيال العلاقات البروليتارية وحدهـــا ، بل ايضاً حيال العلاقات الفلاحية الاقطاعية وشبه الاقطاعية . وما تزال خبرتنا في هذا الحقل غير كبيرة جداً ؛ غير ان المناقشات التي دارت في اللجنـــة والتي اشترك فيها عدد من ممثلي البلدان المستعمَرة قد بينت بما لا يدع مجالا للشك ان موضوعات الاممية الشيوعية يجب ان تتضمن الاشارة الى ان سوفييتات الفلاحين ، سوفييتات المستثمَرين هي وسيلـــة صالحة لا في البلدان الرأسمالية وحسب ، انما هي صالحة ايضـــاً للبلدان التي تسيطر فيها علاقات ما قبل الرأسمالية ، وان واجب الاحزاب الشيوعية والعناصر المستعدة لتشكيل الاحزاب الشيوعية هو دونما شك الدعوة لفكرة سوفييتات الفلاحين ، سوفييتات الكادحين في كل بلد وقطر ، في البلدان المتأخرة وفي المستعمرات ؛ ومن واجبهم حيثما تنشـــأ الظروف ، ان يقومـــوا على الفور بمحاولات لانشاء سوفييتات الشعب الكادح .

وفي هذا الحقـــل ينكشف امامنا ميدان هام جداً من ميادين النشاط العملي يسترعي الانتباه . وما تزال خبرتنا المشتركة بهذا الصدد غير كبيرة جداً ؛ ولكن ستتجمع لدينا شيئاً فشيئاً مادة اغزر فأغزر . ولا جدال في انه يمكن للبروليتاريا في البلدان المتقدمة ويجب على هذه البروليتاريا ان تساعد جماهير الكادحين المتأخرة ، وفي ان تطور البلدان المتأخرة يمكن ان ينطلق من مرحلته الراهنة ، متى

مدت البروليتاريا الظافرة في الجمهوريات السوفييتيـــة يدها لهذه الجماهير وقدمت لها المساعدة .

وقد دارت في اللجنة حول هذه المسألة مناقشات حادة نوعاً ليس فقط بصدد الموضوعات التي تحمـــل توقيعي ، فقـــد كانت المناقشات اشد بصدد موضوعات الرفيق روي التي سيدافع عنها هنا والتي ادخلت عليها بعض التعديلات بالاجماع .

لقد طرحت المسألة بالشكل التالي : هل يمكننا ان نعتبر ان التأكيد القائل بأن المرحلة الرأسمالية في تطور الاقتصاد الوطنـــي محتومة بالنسبة للشعوب المتأخرة التى تتحرر الآن والتي تلاحظ في اوساطها بعد الحرب حركة في اتجاه التقدم ، هو تأكيد صحيح . وقد كان جوابنا على هذا السؤال سلبياً . فاذا ما قامت البروليتاريا الثورية الظافرة بدعاية منتظمة بين هذه الشعوب ، واذا ما ساعدتهـــا الحكومات السوفييتية بجميع الوسائل الموجودة تحت تصرفها ، عندئذ يصبح من غير الصحيح التأكيد بأن مرحلة التطور الرأسمالي هي مرحلة محتومة بالنسبة للأقوام المتأخرة . ان واجبنا في جميـــع المستعمرات والبلدان المتأخرة لا يقتصر على تكوين ملاكات مستقلة من المناضلين ، لا يقتصر على تشكيل المنظمات الحزبية والقيام حالا بالدعاية من اجل تنظيم سوفييتات الفلاحين والسعي كي تصبح هذه السوفييتات ملائمة لظروف ما قبل الرأسمالية ، انما يتوجب كذلك على الأممية الشيوعيـــة ان تقر وان تثبت نظرياً انه بمساعـــدة البروليتاريا في البلدان المتقدمة ، يمكن للبلدان المتأخرة ان تنتقل الى النظام السوفييتي والى الشيوعية عبر درجات معينة من التطور ، متجنبة مرحلة التطور الرأسمالي .

ويستحيل ان نشير سلفاً الى الوسائل اللازمة لهذا الامر . وستنبئنا بذلك الخبرة العملية . ولكن من الثابت ان جميع جماهير الكادحين بين ابعد الشعوب تفهـــم فكرة السوفييتات ، وان هذه

المنظمات ، هذه السوفييتات ، ينبغي ان تتكيف وفقاً للظروف الاجتماعية لنظام ما قبل الرأسمالية ، وان عمل الحزب الشيوعي في هذا الاتجاه ينبغي ان يبدأ على الفور في جميع انحاء العالم .

وبودي ايضاً لو انوه بأهمية عمل الاحزاب الشيوعية الثوري لا في بلدانها وحسب ، بل ايضاً في المستعمرات وبوجه خاص بين الجيوش التي تستخدمها الامم الاستثمارية لاخضاع الاقوام التي تقطن مستعمراتها .

وقد تحدث الرفيق كفيلتش ، من الحزب الاشتراكي البريطاني ، عن ذلك في لجنتنا . وقد قال ان العامل الانجليزي العادي يعتبر مساعدة الشعوب المستعبدة في انتفاضاتها على السيطرة الانجليزية من الخيانة . صحيح ان ارستوقراطية العمال المرباة في انجلترا واميركا بروح «الدجينغو» (٤٣) والشوفينية هي خطر جسيم على الاشتراكية ودعامة قوية للأممية الثانية ، وصحيح اننا هنا حيال اكبر خيانة من قبل الزعماء والعمال الذين ينتسبون الى هذه الاممية البرجوازية . لقد بحثت مسألة المستعمرات في الاممية الثانية ايضاً . وتحدث بيان بال (٤٤) ايضاً عن ذلك بوضوح تام . فقد وعدت احزاب الأممية الثانية بأن تعمل ثورياً ، ولكننا لا نرى عملا ثورياً حقاً ولا مساعدة للشعوب المستثمَرة والتابعة في انتفاضاتها على الامم الظالمة لدى احزاب الاممية الثانية وكذلك ، كما اعتقد ، لدى معظم الاحزاب المنسحبة من الأممية الثانية والراغبة بالانتساب الى الأممية الثالثة ، ومن واجبنا ان نعلن ذلك على مسمع من الملأ ،وهو امر لا يمكن دحضه ، وسنرى ما اذا كانوا سيقومون بمحاولة لدحض ما قلنا .

جميع هذه الاعتبارات كانت اساساً لقراراتنا المطولة جداً دونما ريب ، غير اني اؤمن بأنها ستكون مفيدة على كل حال وانها ستمهد لتطوير وتنظيم العمل الثوري حقاً في القضايا القومية وقضايا المستعمرات ، وفي هذا تتلخص مهمتنا الرئيسية .

«نشرة المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية» ، المجلد ٤١ ، العدد ٦ ، ٧ آب (اغسطس) ١٩٢٠ ص ص ٢٤١–٢٤٧

مهمات منظمات الشباب

(خطاب القي في المؤتمر الثالث لعامة روسيا
لاتحاد الشبيبة الشيوعي في روسيا في الثاني
من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٠)

(الحضور يستقبلون لينين بتصفيق عاصف وهتاف حماسي .)

ايها الرفاق ، اود اليوم لو احدثكم عن المهمات الاساسية الموضوعة امام اتحاد الشبيبة الشيوعي ، وبالتالي ، عما يجب ان تكون عليه ، بوجه عام ، منظمات الشباب في الجمهورية الاشتراكية .

يجدر بنا ان نتوقف عند هذه المسألة خاصة وانه يمكن القول ، بمعنى ما ، ان المهمة الحقيقية القاضية بانشاء المجتمع الشيوعي ستقع بالضبط على عاتق الشباب . فواضح ان جيل الشغيلة ، الذي تربى في المجتمع الرأسمالي ، قادر ، في احسن الحالات ، على سحق اسس النظام الرأسمالي القديم ، القائم على الاستثمار . واكثر ما يمكنه القيام به ، ان يحل مسألة انشاء نظام اجتماعي من شأنه ان يساعد البروليتاريا والطبقات الكادحة في الاحتفاظ بالسلطة وفي ارساء قاعدة متينة لا يستطيع ان يبني عليها غير الجيل الذي يبدأ العمل في ظروف جديدة ، في وضع لا وجود فيه لعلاقات الاستثمار بين الناس .

واذ اتناول مسألة مهمات الشباب من وجهة النظر هذه يترتب عليّ ان اقول ان المهمات الموضوعة امام الشباب بوجه عام وامام اتحادات الشبيبة الشيوعية وجميع المنظمات الاخرى بوجه خاص يمكن تحديدها بكلمة واحدة – تعلم .

بدهي ان تلك ليست سوى «كلمة» . ان هذه الكلمة لا تجيب على مسألتين رئيسيتين هما من اهم المسائل : ماذا ينبغي ان نتعلم

وكيف ؟ والحال ، ان النقطة الاساسية هنا ، هي انه ، مع تحويل المجتمع الرأسمالي القديم ، لا يمكن ان يظل تعليم الاجيال الجديدة التي ستنشئ المجتمع الشيوعي وتربيتها وتثقيفها كما كانت عليه فيما مضى . ان نقطة الانطلاق في تعليم الشباب وتثقيفهم وتربيتهم ينبغي ان تكون المواد التي تركها لنا المجتمع القديم . فليس بوسعنا ان نبني الشيوعية الا من مجمل المعارف والمنظمات والمؤسسات ، الا برصيد القوى البشرية والموارد ، التي بقيت لنا عن المجتمع القديم . ولن نتمكن من بلوغ ما نرمي اليه ، وهو ان تؤدي جهود الجيل الجديد الى انشاء مجتمع لا يشبه المجتمع القديم ، اي الى انشاء المجتمع الشيوعي ، الا بتحويل تعليم الشباب وتنظيمهم وتربيتهم تحويلاً جذرياً . ولهذا ينبغي لنا ان نبحث بالتفصيل مسألة معرفة ما ينبغي ان نعلم الشباب وكيف ينبغي لهم ان يتعلموا ، اذا شاؤوا فعلا ان يكونوا جديرين باسم الشباب الشيوعي ، وكيف ينبغي اعدادهم لكي يكونوا قادرين على انجاز المهمة التي بدأنا بها وتكليلها بالنجاح .

يجب عليّ ان اقول ان الجواب الذي يتبادر لاول وهلة الى الذهن ، حسبما يخيل الينا ، والذي يبدو طبيعياً اكثر من غيره ، هو انه ينبغي على اتحاد الشبيبة ، وبوجه عام ، على كل الشباب الذين يريدون الانتقال الى الشيوعية ، ان يتعلموا الشيوعية .

ولكن هذا الجواب : «تعلم الشيوعية» ذو طابع عام جداً . فماذا ينبغي لنا اذن لكي نتعلم الشيوعية ؟ ماذا ينبغي لنا ان نختار من مجمل المعارف لكي نكتسب معرفة الشيوعية ؟ في هذا المضمار ، تهددنا جملة كاملة من الاخطار التي تبدو في اغلب الاحيان ما ان يساء وضع مهمة تعلم الشيوعية ، او حين تفهم بصورة وحيدة الطرف الى حد كبير .

وطبيعي ان الفكرة التي تمر بالخاطر ، من الوهلة الاولى ، هي ان تعلم الشيوعية يعني اكتساب مجمل المعارف الواردة في الكتب والكراريس والمؤلفات الشيوعية . ولكن مثل هذا التعاريف لدراسة الشيوعية غير محكم ابداً وغير كاف . فلو كانت دراسة الشيوعية تنحصر في استيعاب ما هو وارد في الكتب والكراريس والمؤلفات الشيوعية ، لأنتجنا بفائق السهولة شراحاً سطحيين شيوعيين او مدعين مغرورين ، الامر الذي يسيء الينا في غالب الاحيان ويلحق بنا الاذى ؛ لان هؤلاء القوم ، الذين تعلموا وقرأوا ما في الكتب والكراريس الشيوعية ، يظهرون عاجزين عن تنسيق جميع هذه المعارف ولا يستطيعون التصرف والعمل كما تقتضيه الشيوعية فعلا .

من افدح الشرور ، ومن اسوأ المصائب التي خلفها لنا المجتمع الرأسمالي القديم ، القطيعة التامة بين الكتاب والحياة العملية . اذ كانت لدينا كتب تعرض الامور وكأنها على خير ما يرام ؛ والحال ، ان هذه الكتب لم تكن ، في معظم الاوقات ، سوى رياء وكذب كريهين ، يعطيان صورة كاذبة عن المجتمع الرأسمالي .

ولهذا كان من فادح الخطأ الاقتصار على استيعاب ما هو وارد في الكتب حول الشيوعية . فان خطاباتنا ومقالاتنا ليست ، اليوم ، مجرد تكرار لما كان يقال فيما مضى عن الشيوعية ، اذ ان خطاباتنا ومقالاتنا مرتبطة بعملنا اليومي ، بالعمل في جميع الميادين . فبدون عمل ، بدون نضال ، ليس ثمة اطلاقاً اية قيمة للمعرفة التي تستقى عن الشيوعية من الكتب والمؤلفات الشيوعية ، اذ انها ليست سوى استمرار للقطيعة السابقة بين النظرية والتطبيق العملي ، هذه القطيعة التي هي اكره سمة بين سمات المجتمع البرجوازي القديم .

وقد يشتد الخطر ايضاً اذا اقتصرنا على استيعاب الشعارات الشيوعية فقط . فاذا لم ندرك هذا الخطر في حينه ، واذا لم ترم جهودنا كلها الى اجتنابه ، فان وجود نصف مليون او مليون من

الفتيان والفتيات ، الذين سيسمون انفسهم شيوعيين بعد دراسة كهذه للشيوعية ، لن يؤدي الا الى الحاق ضرر كبير بقضية الشيوعية .

واذ ذاك ، يوضع امامنا السؤال التالي :كيف ينبغي لنا اذن ان نقرن كل ذلك لكي نعلم الشيوعية ؟ ماذا ينبغي علينا ان نأخذه من المدرسة القديمة ، من العلم القديم ؟ لقد كانت المدرسة القديمة تعلن انها تريد تنشئة اناس مثقفين ثقافة شاملة ، وانها تدرس العلوم بوجه عام . بيد اننا نعرف ان ذلك كان مجرد كذب ، اذ ان المجتمع كله كان مبنياً وقائماً على انقسام الناس الى طبقات ، الى مستثمرين ومظلومين مضطهَدين . وكان طبيعياً الا تمنح المدرسة القديمة المعارف الا لابناء البرجوازية ، لأنها كانت مفعمة تماماً بالروح الطبقي . وكل كلمة من كلماتها كانت مكيفة وفقاً لمصالح البرجوازية . وفي هذه المدارس كانوا يهتمون لا بتربية الجيل الفتي من العمال والفلاحين بل باعداده في مصلحة هذه البرجوازية نفسها . كانوا يربّونهم بحيث يجعلون منهم خدماً للبرجوازية يستجيبون لمتطلباتها ، قادرين على تأمين الارباح لها دون اقلاق راحتها وازعاج بطالتها . ولهذا ، نبذنا المدرسة القديمة ، ولكننا في الوقت نفسه اخذنا على انفسنا الا نقتبس منها الا ما هو ضروري لنا للتوصل الى تربية شيوعية حقيقية .

وهنا اصل الى تلك الملامات وتلك الاتهامات التي نسمعها دائماً بصدد المدرسة القديمة ، والتي تؤدي في غالب الاحيان الى تأويلات خاطئة اطلاقاً . يقولون ان المدرسة القديمة لم تكن لتعرف غير الدراسة المضنية ، والترويض ، والحشو الآلي . هذا صحيح ، غير انه ينبغي ان نعرف كيف نميز بين ما في المدرسة القديمة من سيئ وبين ما فيها من صالح لنا ؛ ينبغي ان نعرف كيف نختار منها ما هو ضروري للشيوعية .

لقد كانت المدرسة القديمة مدرسة لا تعرف غير الدراسة المضنية ، كانت تجبر التلاميذ على استيعاب طائفة من المعارف التي لا فائدة منها ولا غناء فيها ولا حياة وتحشو الرؤوس بها ، وتجعل من الجيل الفتي دواوينيين مصبوبين في نفس القالب . بيد انكم تقترفون خطأ جسيما اذا ما شئتم ان تستنتجوا من ذلك ان بالامكان ان يصبح المرء شيوعياً دون استيعاب المعارف التي كدسها العلم البشري . ومن الخطأ التفكير بانه يكفي استيعاب الشعارات الشيوعية ، واستنتاجات العلم الشيوعي ، لكي نعفى من استيعاب مجمل المعارف التي تعتبر الشيوعية نفسها حاصلها . ان الماركسية هي مثال على كيفية ظهور الشيوعية من مجمل المعارف التي اكتسبتها الانسانية .

لقد قرأتم وسمعتم ان النظرية الشيوعية ، ان العلم الشيوعي ، الذي انشأه ماركس بصورة رئيسية ، ان مذهب الماركسية هذا ، لم يبق من صنع اشتراكي واحد من القرن التاسع عشر ، مهما أ'وتي من العبقرية ، انما غدا مذهب الملايين وعشرات الملايين من البروليتاريين في العالم بأسره ، الذين يطبقون هذا المذهب في نضالهم ضد الرأسمالية . ولو طرحتم السؤال : لماذا استطاع مذهب ماركس ان يخلب ألباب الملايين وعشرات الملايين في صفوف الطبقة الاكثر ثورية ، لما استطعتم ان تسمعوا سوى جواب واحد : لقد كان الامر كذلك لان ماركس قد اعتمد على اساس مكين ، اساس من المعارف الانسانية المكتسبة في ظل الرأسمالية . فقد درس ماركس قوانين تطور المجتمع الانساني ، فادرك ان تطور الرأسمالية يؤدي حتماً الى الشيوعية ، والامر الاساسي هو انه أثبت هذه الحقيقية فقط على اساس دراسة المجتمع الرأسمالي الدراسة الاكثر دقة ، والاوفر تفصيلاً ، والاشد عمقاً ، بعد ان استوعب تماماً كل ما اعطاه العلم السابق . وكل ما انشأه المجتمع الانساني ، درسه

ماركس وانتقده ، دون ان يهمل منه نقطة واحدة . وكل ما ابدعه الفكر البشري ، عالجه ماركس بروح النقد ، بعد ان خبره في معمعان الحركة العمالية ، واستخلص منه استنتاجات لم يستطع ان يستخلصها الناس المحصورون في النطاق البرجوازي او المقيدون بالاوهام البرجوازية .

ينبغي لنا ألا ننسى ذلك حين نتكلم ، مثلاً ، عن الثقافة البروليتارية (٤٥) . فاذا لم نفهم بوضوح ان معرفة الثقافة التي ابدعها كل تطور الانسانية معرفة صحيحة ودراسة هذه الثقافة بصورة انتقادية هما وحدهما اللتان تتيحان بناء الثقافة البروليتارية ، اذا لم نفهم ذلك ، فاننا لن نتوصل الى حل هذه المسألة . ان الثقافة البروليتارية لم تنبثق من مكان مجهول ؛ ولم يخترعها الناس الذين يقولون عن أنفسهم أنهم اختصاصيون في ميدان الثقافة البروليتارية . كل ذلك سخف وهراء . ينبغي ان تكون الثقافة البروليتارية التطور المنطقي لمجمل المعارف التي صاغتها الانسانية تحت نير المجتمع الرأسمالي ، ومجتمع الملاكين العقاريين ، والمجتمع الدواويني . كل هذه الطرق والشعاب قادت وتقود وستظل تقود الى الثقافة البروليتارية ، تماماً كما بين لنا الاقتصاد السياسي ، الذي وضعه ماركس من جديد ، ما لا بدّ ان يبلغه المجتمع الانساني وكما بين لنا الانتقال الى النضال الطبقي ، الى بداية الثورة البروليتارية .

عندما نسمع ، في كثير من الاحيان ، ممثلي الشباب وبعض المدافعين عن التعليم الجديد ، يهاجمون المدرسة القديمة ، قائلين انها كانت مدرسة حشو آلي ، فاننا نقول لهم انه ينبغي لنا ان نأخذ من المدرسة القديمة ما كان صالحاً . ينبغي لنا ألا نأخذ عن المدرسة القديمة اسلوب ارهاق ذاكرة الشباب بكمية من المعارف لا حد لها ، تسعة اعشارها لا تفيد والعشر الباقي مشوه . غير ان ذلك لا يعني اننا نستطيع الاكتفاء بالاستنتاجات الشيوعية والشعارات الشيوعية

المحفوظة غيباً . ما هكذا تنشأ الشيوعية ، فلا يمكن للمرء ان يصبح شيوعياً الا بعد ما يغني ذاكرته بمعرفة جميع الثروات الفكرية التي ابدعتها الانسانية .

لسنا بحاجة الى الحشو الآلي ، انما ينبغي لنا ان ننمي ونحسن ذاكرة كل تلميذ بمعرفة الوقائع الاساسية ، لأن الشيوعية تمسي صفراً ، تمسي مجرد شعار خارجي ، لأن الشيوعي يمسي مجرد دعي سخيف ، اذا لم يتمثل وجدانه جميع المعارف التي اكتسبها كافة . هذه المعارف ، ينبغي لكم الا تكتفوا بمجرد استيعابها ، ينبغي لكم ان تستوعبوها بفكر نقاد ، لكي لا تلبكوا دماغكم بخليط لا فائدة منه ، لكي تغنوا دماغكم بعلم جميع الوقائع التي لا يمكن للمرء بدون معرفتهـــا ان يكون اليوم انساناً مثقفاً . ان الشيوعي الذي يدعي الشيوعية لأنه تعلم استنتاجات جاهزة ، دون ان يقوم بعمل كبير جدي كثيراً وصعب جداً ، دون ان ينظر بعين نافذة الى الوقائع التي يترتب عليه ان يتبصر بها بفكر ناقد نفاذ ، ان مثل هذا الشيوعي سيستحق الرثاء . وليس ثمة ما هو اشأم من موقف سطحي كهذا الموقف . فاذا كنت اعرف اني اعرف قليلاً ، بذلت كل ما في طاقتي لاعرف المزيد ، ولكن ، اذا زعم امرؤ يدعي انه شيوعي ، انه ليس بحاجة لأن يعرف اي شيء ثابت ، فانه لن يصبح ابداً ولو شبيهاً بالشيوعي .

كانت المدرسة القديمة تكوّن الخدم الضروريين للرأسماليين ، وكانت تجعل من رجال العلم اناساً ملزمين بان يكتبوا ويتكلموا وفقاً لاهواء الرأسماليين . وهذا يعني انه ينبغي لنا ان نتخلص مـــن المدرسة القديمة . ولكن ، اذا كان ينبغي لنا ان نتخلص منها ، اذا كان ينبغي لنا ان نهدمها ، فهل هذا يعني انه لا يترتب علينا ان نستخلص منها كل ما كدسته البشرية من ضروري للناس ؟ هل هذا يعني انه لا يترتب علينا ان نعرف كيف نميز بين ما كان ضرورياً للرأسمالية وما هو ضروري للشيوعية ؟

فبدلاً من الترويض الذي كان يطبق فيما مضى في المجتمع البرجوازي خلافاً لارادة الاغلبية ، ندخل الانضباط الواعي لدى العمال والفلاحين الذين يؤلفون بين حقدهم على المجتمع القديم وبين العزيمة والقدرة والارادة على توحيد قواهم وتنظيمها في سبيل هذا النضال ، بغية تكوين ارادة موحدة واحدة من ارادة الملايين ومئات الملايين من المبعثرين ، والمجزئين ، المشتتين في اصقاع البلاد الشاسعة ، اذ اننا ، بدون هذه الارادة الموحدة الواحدة ، نمني بالهزيمة حتماً . وبدون هذا التكاتف والتضامن ، وبدون هذا الانضباط الواعي لدى العمال والفلاحين ، تكون قضيتنا فاشلة . بدون ذلك ، لن نتمكن من التغلب على الرأسماليين والملاكين العقاريين في العالم بأسره . بل اننا لن نتمكن من توطيد اسس المجتمع الجديد ، الشيوعي ، بل اننا لن نتمكن بالاحرى من بناء هذا المجتمع الجديد على هذه الاسس . وهكذا ، مع نبذنا المدرسة القديمة ، مع الحقد عليها حقداً مشروعاً وضرورياً تماماً ، مع تقديرنا الرغبة في هدمها ، ينبغي لنا ان ندرك انه ، بدلاً من الدراسة المضنية القديمة ، بدلاً من الحشو الآلي القديم ، بدلاً من الترويض القديم ، يترتب علينا ان نتعلم كيف نتمثل كل حصيلة المعارف الانسانية ، وكيف نفعل ذلك بصورة لا تكون معها الشيوعية ، عندكم ، شيئاً محفوظاً عن ظهر قلب ، بل شيئاً فكرتم وتفكرون به بانفسكم ، شيئاً يمثل الاستنتاجات التي لا مناص منها من وجهة نظر التعليم الحديث .

هكذا ينبغي وضع المهمات الاساسية عندما نتحدث عن مهمة : تعلم الشيوعية .

ولكي اوضح لكم هذه النقطة واتناول في الوقت نفسه مسألة معرفة كيف ينبغي لنا ان نتعلم ، اورد مثلاً عملياً . تعلمون جميعكم ان القضية الاقتصادية توضع امامنا ، بعد القضايا العسكرية فوراً ، بعد القضايا المتعلقة بالدفاع عن الجمهورية . ونحن نعلم انه يستحيل

بناء المجتمع الشيوعي دون بعث الصناعة والزراعة ، مع العلم اننا لا نقصد بعثهما بشكلهما القديم . انما ينبغي بعثهمـــا على اساس حديث ، ينطبق على آخر منجزات العلـــم . وانتم تعلمون ان هذا الاساس ، انما هو الكهرباء ، ويوم تتم كهربة كل البلاد ، وجميع فروع الصناعة والزراعة ، ويوم تنجزون هذه المهمة ، يومذاك فقط تتمكنون من ان تبنوا لانفسكم المجتمع الشيوعي الذي لا يستطيع الجيل السابق ان يبنيه . وامامكم توضع مهمة بعث اقتصاد البلاد بأسرها ، واعادة تنظيم الزراعة والصناعة والنهوض بهما على اساس تكنيكي حديث يرتكز بدوره على العلم والتكنيك الحديثين ، وعـــلى الكهرباء . وانتم تدركون كل الادراك ان الكهربة لن يحققها الاميون ، وانها تتطلب غير المعرفة الاولية . ولا يكفي هنا ان نفهـــم ما هي الكهرباء : ينبغي ان نعرف كيف نطبقها عملياً في الصناعة والزراعة وفي مختلف فروعهما . كل ذلك ، ينبغي ان نتعلمه بانفسنا ، ينبغي ان نعلمه لكل الجيل الكادح الصاعد . تلك هي المهمة التي توضع امام جميع الشيوعيين الواعين ، امام جميع الشبان الذين يعتبرون انفسهم شيوعيين والذين يدركون كل الادراك انهم ، بانضمامهم الى اتحاد الشبيبة الشيوعي ، يقطعون عهداً على انفسهم بمساعدة الحزب في بناء الشيوعية ، وبمساعدة كل الجيـــل الفتي في خلق المجتمـــع الشيوعي . ينبغي ان يفهموا انهم لن يتمكنوا من انشاء هذا المجتمع الا على اساس الثقافة الحديثة فقط وان الشيوعية ستبقى مجرد امنية اذا لم يأخذوا بناصية هذه الثقافة .

كانت مهمة الجيل السابق تنحصر في اسقاط البرجوازية . وكانت المهمة الرئيسية حينذاك انتقاد البرجوازية ، وانماء شعور الحقـــد عليها بين الجماهير ، ومعرفة حشد قواها وتطوير الوعي الطبقي . اما الجيل الجديد ، فانه يواجه مهمة اكثر تعقيداً . ان واجبكم لا يقتصر على حشد كل قواكم في سبيل دعم حكـــم العمال والفلاحين ضد غزو

الرأسماليين . ذلك ما يترتب عليكم القيام به . وقد ادركتموه كل الادراك ، وكل شيوعي يدركه بوضوح . ولكن ذلك لا يكفي . عليكم ان تبنوا المجتمع الشيوعي . لقد تم النصف الاول من العمل ، في كثير من النواحي . لقد هدم النظام القديم ، كما كان ينبغي هدمه ، وحول ، كما كان ينبغي تحويله ، الى ركام من الخراب . والتربة ممهدة ، وعلى هذه التربة ينبغي على الجيل الشيوعي الفتي ان يبني المجتمع الشيوعي . امامكم مهمة ، هي مهمة البناء . ولن تتمكنوا من القيام بها الا اذا استوعبتم كل المعارف الحديثة ، الا اذا استطعتم تحويل الشيوعية من صيغ ونصائح ، وتوصيات ، وتعليمات ، وبرامج ، جاهزة ومحفوظة غيباً ، الى هذا الشيء الحي الذي ينسق عملكم المباشر ، الا اذا استطعتم ان تجعلوا من الشيوعية مرشداً في نشاطكم العملي .

تلك هي مهمتكم ، المهمة التي يترتب عليكم ان تستلهموها من اجل تعليم وتربية كل الجيل الفتي ، وحفز تقدمه . وعليكم ان تكونوا اوائل بناة المجتمع الشيوعي بين هؤلاء الملايين من البناة الذين ينبغي ان يكون منهم كل فتي وكل فتاة . واذا لم تجتذبوا الى عمل بناء الشيوعية كل العمال والفلاحين الشباب ، فانكم لن تبنوا المجتمع الشيوعي .

وهنا ، اصل بطبيعة الحال الى مسألة معرفة كيف ينبغي لنا ان نعلم الشيوعية واي طابع ينبغي ان تتخذه اساليبنا .

قبل كل شيء اتناول هنا مسألة الاخلاق الشيوعية .

ينبغي عليكم ان تربوا انفسكم تربية شيوعية . المهمة الموضوعة امام اتحاد الشبيبة ، هي ان يمارس نشاطه العملي بحيث ان هذه الشبيبة ، وهي تتعلم ، وتتنظم وتحتشد ، وتناضل ، تربي نفسها وجميع الذين يعترفون بها كمرشدة ، لكي تربي شيوعيين . ينبغي ان يرمي كل عمل تثقيف الشبيبة الحالية وتعليمها وتربيتها الى انماء الاخلاق الشيوعية عندها .

ولكن ، هل ثمة اخلاق شيوعية ؟ هل ثمة سلوك شيوعي ؟ اجل ، بكل تأكيد . غالباً ما يزعم البعض ان ليس لدينا اخلاق خاصة بنا ، وفي معظم الاحيان ، تتهمنـــا البرجوازية باننا ، نحن الشيوعيين ، ننكر كل اخلاق . وتلك طريقة لتشويه الافكار ، لذر الرماد في عيون العمال والفلاحين .

باي معنى ننكر الاخلاق وننكر السلوك ؟

بالمعنى الذي تبشر به البرجوازية ، التي كانت تشتق هذه الاخلاق من وصايا الله . وبهذا الصدد ، نقول ، بالطبع ، اننا لا نؤمن بالله ، ونعرف جيداً جداً ان رجال الدين والملاكين العقاريين والبرجوازية كانوا يتكلمون باسم اللـــه لكي يؤمنوا مصالحهـــم كمستثمرين . كذلك كانوا لا يشتقون هذه الاخلاق من قواعد السلوك ومن وصايا الله فقط ، وانما كانوا يستخلصونها ايضا من جمل مثالية او نصف مثالية ، تعني دائماً شيئاً يشبه كثير الشبه وصايا الله .

ان كل اخلاق من هذا النوع ، مستقاة من مفاهيم مفصولة عن الانسانية ، مفصولة عن الطبقات ، ان كل اخلاق كهذه ننفيها وننكرها . ونقول انها تخدع العمال والفلاحين وتغشهم ، وتحشو ادمغتهم حشواً ، وذلك في صالح الملاكين العقاريين والرأسماليين .

اننا نقول ان اخلاقنا خاضعة تماماً لمصالح نضال البروليتاريا الطبقي . ان اخلاقنا تنبثق من مصالح نضال البروليتاريا الطبقي .

لقد كان المجتمع القديم قائماً على اضطهاد جميع العمال وجميع الفلاحين من جانب الملاكين العقاريين والرأسماليين . كان علينا ان نهدم كل ذلك ، ان نسقط هؤلاء ؛ ولكن كان ينبغي تحقيق الاتحاد لأجل هذا الغرض . ولم يكن الله هو الذي سيحقق هذا الاتحاد .

ان هذا الاتحاد لم يكن من الممكن ان يأتي الا من المصانع والمعامل ، الا من بروليتاريا متعلمة ، استيقظت من سباتها الطويل .

وفقط عندما تشكلت هذه الطبقة ، بدأت الحركة الجماهيرية التي ادت الى ما نراه اليوم ، الى انتصار الثورة البروليتارية في بلد من اضعف البلدان ، في بلد يدافع عن نفسه منذ ثلاث سنوات ضد هجوم برجوازية العالم بأسره . وها نحن نرى الثورة البروليتارية تنمو وتتعاظم في العالم بأسره . ونقول اليوم ، بالاستناد الى تجربتنا ، ان البروليتاريا وحدها كانت تستطيع ان تنشئ قوة متراصة تراصاً كافياً لكي تجتذب وراءها الفلاحين المبعثرين المتشتتين ، قوة صمدت بوجه جميع هجمات المستثمرين . هذه الطبقة وحدها تستطيع ان تساعد الجماهير الكادحة في توحيد صفوفها وحشدها ، في صيانة المجتمع الشيوعي نهائياً ، في ترسيخه نهائياً ، في بنائه نهائياً .

ولهذا نقول : ليس ثمة اخلاق بنظرنا خارج نطاق المجتمع الانساني ، والقول بوجودها خارج المجتمع خداع وتضليل . فالاخلاق ، بنظرنا ، خاضعة لمصالح نضال البروليتاريا الطبقي .

ولكن ، ما هو قوام هذا النضال الطبقي ؟ قوامه اسقاط القيصر ، واسقاط الرأسماليين ، ومحو طبقة الرأسماليين .

وما هي الطبقات بوجه عام ؟ انها ما يتيح لقسم من المجتمع ان يستأثر بعمل الآخرين . فاذا استأثر قسم من المجتمع بكل الارض ، كانت طبقة الملاكين العقاريين وطبقة الفلاحين . واذا امتلك قسم من المجتمع المصانع والمعامل ، والاسهم والرساميل ، بينما القسم الآخر يشتغل في هذه المصانع ، كانت طبقة الرأسماليين وطبقة البروليتاريين .

ان طرد القيصر لم يكن صعباً ، — فقد كفت لذلك بضعة ايام . ولم يصعب صعوبة بالغة طرد الملاكين العقاريين — فقد استطعنا تحقيق ذلك في بضعة اشهر ؛ كذلك ليس من الصعب صعوبة كبيرة طرد الرأسماليين . ولكنه من الاصعب الى ما لا حد له محو الطبقات ؛ فان الانقسام الى عمال وفلاحين ما يزال قائماً . فاذا اقام الفلاح على

قطعة من الارض واستأثر بفائض حبوبه ، اي الحبوب التي لا يحتاج اليها ، لا لنفسه ، ولا لماشيته ، في حين يظل جميع الآخرين بـــلا حبوب ، فان هذا الفلاح يستحيل اذ ذلك الى مستثمر . وكلما احتفظ بحبوبه اكثر ، كلما رأى في ذاك فائدة اكبر ، ولا بأس ان يجوع الآخرون : «كلما جاعوا ، بعت حبوبي بسعر اغلى» . ينبغي ان يشتغل الجميع وفقاً لبرنامج مشترك واحد على ارض مشتركة ، وفي المصانع والمعامل المشتركة ، ووفقاً لنظام مشترك . فهل من السهل تحقيق ذلك ؟ انكم ترون ان الحل هذه المرة اصعب مما كان عليه حين كان يتعلق الامر بطرد القيصر والملاكين العقاريين والرأسماليين . فهذه المرة ، ينبغي ان تعيد البروليتاريا تربية وتعليم قسم من الفلاحين وان تجتذب اليها الذين هم فلاحون كادحون ، لكي تسحق مقاومـــة الفلاحين الاغنياء الذين يثرون من بؤس الآخرين . ولذا فان الهدف من نضال البروليتاريا لما يتحقق لكوننا اسقطنا القيصر ، وطردنا الملاكين العقاريين والرأسماليين ؛ والحال ، ان انجاز هذا النضال ، انما هو بالضبط مهمـــة النظام الذي نسميـــه ديكتاتوريـــة البروليتاريا .

ان النضال الطبقي لا يزال مستمراً ؛ ولم يتغير الا شكله . فالبروليتاريـــا تخوض هذا النضال الطبقي لكي تحول دون عودة المستثمرين السابقين ، ولكي توحد في حلف واحد جماهير الفلاحين المبعثرين الجاهلين . ان النضال الطبقي لا يزال مستمراً ، وواجبنا ان نخضع جميع المصالح لهذا النضال . ولهذه المهمة نخضع كل اخلاقنا الشيوعية . ونحن نقول : الاخلاق هي ما يتيح هدم مجتمع المستثمرين القديم وتوحيد جميع الشغيلة حول البروليتاريـــا التي تنشئ المجتمع الجديد ، الشيوعي .

ان الاخلاق الشيوعيـــة ، انما هي الاخلاق التي تخدم هذا النضال ، وتوحد الشغيلة ضد كل استثمار ، ضد كل ملكية صغيرة ،

لان الملكية الصغيرة تضع في يدي فرد واحد ما ابدعه عمل المجتمع بأسره . ان الارض ، عندنا ، ملكية مشتركة .

ولكن اذا اخذت قسماً من هذه الملكية المشتركة ، واذا انتجت منه كمية من الحبوب تزيد الضعفين عما هو ضروري لي ، واذا ضاربت بفائض هذه الحبوب ؟ واذا قلت في نفسي انه كلما ازداد عدد الجياع ، ارتفعت الاسعار التي تدفع لي ؟ فهل اتصرف على هذا النحو كشيوعي ؟ كلا ، اني اتصرف كمستثمر ، كمالك . ينبغي ان نناضل ضد هذا . فاذا تركت الامور على حالها فكل شيء يسير الى وراء نحو حكم الرأسماليين ، نحو حكم البرجوازية ، كما تبين مراراً عديدة في الثورات الماضية . ولاجل الحؤول دون عودة حكم الرأسماليين والبرجوازية ، ينبغي الحؤول دون المضاربة ، ينبغي الحؤول دون اثراء البعض على حساب الآخرين ، ولهذا الغرض ، ينبغي ان يتحد الشغيلة مع البروليتاريا ويكونوا المجتمع الشيوعي . ذلك هو الطابع الخاص ، الاساسي ، لما يشكل المهمة الاساسية الموضوعة امام اتحاد الشبيبة الشيوعية وتنظيمها .

كان المجتمع القديم قائماً على المبدأ التالي : اما ان تنهب قريبك ، واما ان ينهبك قريبك ؛ اما ان تشتغل في صالح شخص آخر ، واما ان يشتغل هو في صالحك ؛ اما ان تكون مالك عبيد ، واما ان تكون انت عبداً . ومفهوم ان يرضع الناس الذين تربوا في هذا المجتمع ، مع حليب امهاتهم ، اذا جاز القول ، نفسية وعادات ومفاهيم مالك العبيد او العبد ، او الملاك الصغير ، او المستخدم الصغير ، او الموظف الصغير ، او المثقف ، بكلمة موجزة ، انسان لا يفكر الا بامتلاك ما هو ضروري له ، ولا يبالي بمصير الآخرين .

اذا كنت استثمر قطعة ارضي ، فليس لي ان اهتم بالآخرين ، واذا جاع الآخر كان ذلك افضل : فاني سابيع حبوبي بسعر اغلى . واذا كان لي منصب صغير كطبيب او مهندس او معلم او مستخدم ،

فما همني من الغير . وربما تملقت المتسلطين على زمام الحكم ، وسعيت الى ارضائهم ، فاحافظ على منصبي ، بل قد انجح في شق طريقي ، واصبح انا نفسي برجوازياً . ان مثل هذه النفسية ، مثل هذه الحالة الفكرية ليستا من صفات الشيوعي . فعندما اثبت العمال والفلاحون اننا قادرون ، بقوانا الخاصة ، على ان ندافع عن انفسنا وان ننشئ مجتمعاً جديداً ، حينذاك بدأت تربية جديدة ، شيوعية ، تربية تمت في غمرة النضال ضد المستثمرين ، تربية بالتحالف مع البروليتاريا ، ضد الانانيين وصغار الملاكين ، ضد النفسية والعادات التي تحمل المرء على القول : اني اسعى وراء فائدتي انا ، والباقي لا يهمني ابداً .

ذلك هو الجواب على مسألة معرفة كيف ينبغي على الجيل الفتي الصاعد ان يتعلم الشيوعية .

ان الجيل الصاعد لا يستطيع ان يتعلم الشيوعية الا اذا ربط كل خطوة يخطوها في دراسته وتعليمه وتثقيفه ، بالنضال الدائب الذي يخوضه البروليتاريون والشغيلة ضد مجتمع المستثمرين القديم . وعندما يحدثوننا عن الاخلاق ، نقول : ان الاخلاق ، بنظر الشيوعي ، تقوم كلها في هذا الانضباط والتضامن والتراص وفي هذا النضال الواعي الذي تخوضه الجماهير ضد المستثمرين . اننا لا نؤمن بالاخلاق الابدية ، واننا نفضح جميع الخرافات والحكايات الكاذبة الملفقة حول الاخلاق . ان الاخلاق تتيح للمجتمع الانساني ان يرتفع الى اعلى ، ان يتحرر من استثمار العمل .

ولأجل بلوغ هذا الهدف ، ينبغي ان يكون هذا الجيل من الشبان الذين اخذوا يتحولون الى رجال واعين ، في جو من النضال النظامي ، الضاري ، ضد البرجوازية . وفي معمعان هذا النضال سيربي هذا الجيل شيوعيين حقيقيين ؛ ولهذا النضال وبه ينبغي على هذا الجيل ان يخضع ويربط كل خطوة يخطوها في دراسته وتربيته وتعليمه . ان

تربية الشبيبة الشيوعية لا تعني التكرم عليها بالخطب المعسولة وبقواعد الاخلاق . فليس هذا قوام التربية . فان الذين رأوا آباءهم وامهاتهم يقضون حياتهم تحت نير الملاكين العقاريين والرأسماليين ؛ والذين تحملوا قسطهم من الآلام التي عاناها اولئك الذين بدأوا المعركة ضد المستثمرين ؛ والذين رأوا اي تضحيات تقتضيها مواصلة هذا النضال دفاعاً عن المكتسبات ، واي اعداء الداء ضراة هم الملاكون العقاريون والرأسماليون ، — ان هؤلاء هم الذين يتربون ، في هذه الاحوال ، تربية شيوعية . ان ما يقوم في اساس الاخلاق الشيوعية ، هو النضال في سبيل ترسيخ الشيوعية ، وانجاز بنائها . ذلك هو ايضاً اساس التربية الشيوعية والتثقيف الشيوعي والتعليم الشيوعي . ذلك هو الجواب على مسألة معرفة كيف ينبغي ان نتعلم الشيوعية .

اننا لن نؤمن بالتعليم والتثقيف والتربية اذا انحصرت في المدارس وانفصلت عن الحياة المتدفقة . وما دام الملاكون العقاريون والرأسماليون يضطهدون العمال والفلاحين ، وما دامت المدارس في ايدي هؤلاء الملاكين والرأسماليين ، فلسوف يبقى الجيل الفتي اعمى وجاهلاً . والحال ، ينبغي لمدرستنا نحن ان تعطي الشباب اسس المعرفة ، وان تعلمهم كيف يكونون بانفسهم عقلية شيوعية ، ينبغي لها ان تجعل منهم اناساً متعلمين . ينبغي لها ، خلال مدة دراستهم ، ان تجعل منهم مشتركين في النضال لأجل التحرر من المستثمرين . ان اتحاد الشبيبة الشيوعي لن يكون جديراً بهذا الاسم ، لن يكون حقاً اتحاد الجيل الشيوعي الفتي ، الا متى ما ربط كل خطوة يخطوها في دراسته وتربيته وتعليمه ، بالنضال المشترك الذي يخوضه جميع الشغيلة ضد المستثمرين . وبالفعل ، انتم تعرفون جيداً انه ما دامت روسيا هي الجمهورية العمالية الوحيدة ، وما دام النظام البرجوازي القديم قائماً في باقي العالم ، فاننا سنظل اضعف منهم ، وسنظل

مهددين في كل لحظة بهجوم جديد ، واننا لن ننتصر في النضال اللاحق ولن ترسخ بالتالي اقدامنا ومواقعنا ، فيستحيل فعلاً قهرنا الا اذا تعلمنا كيف نتحد وكيف نعمل بقلب واحد . وهكذا ، ان يكون المرء شيوعياً ، فهذا يعني تنظيم وتوحيد كل الجيل الصاعد ، هذا يعني اعطاء المثال على التربية والروح النظامي في هذا النضال . واذ ذاك تستطيعون ان تباشروا وتتمموا بناء صرح المجتمع الشيوعي .

ولكي انيركم حول هذه النقطة ، اورد مثلاً . اننا نسمي انفسنا شيوعيين . فمن هو الشيوعي ؟ ان كلمة شيوعي آتية من اللاتينية (communis ، كومونيس . **المعرب**) . وكلمة كومونيس تعني مشترك . والمجتمع الشيوعي ، يعني : كل شيء مشترك – الارض مشتركة ، والمعامل مشتركة ، والعمل مشترك . تلك هي الشيوعية .

فهل يمكن ان يكون ثمة عمل مشترك اذا كان كل امرئ يستثمر قطعة ارض لحسابه الخاص ؟ ان العمل المشترك لا ينشأ دفعة واحدة . هذا غير ممكن . ولا يهبط من السماء . انما ينبغي اكتسابه ، انه ثمرة آلام طويلة . ينبغي انشاؤه . وهو ينشأ في غمرة النضال . فالمسألة الآن ليست مسألة الكتابات القديمة ، فليس ثمة من يصدق هذه الكتابات . تنبغي التجربة الشخصية في الحياة . عندما كان كولتشاك ودينيكين يتقدمان ، قادمين من سيبيريا والجنوب ، كان الفلاحون الى جانبهما . ولم تكن البلشفية لترضيهم ، لأن البلاشفة كانوا يأخذون الحبوب باسعار ثابتة . ولكن ، عندما عانى الفلاحون في سيبيريا واوكرانيا حكم كولتشاك ودينيكين ، ادركوا انه لا اختيار عندهم : فاما السير وراء الرأسمالي الذي يسلمهم الى عبودية الملاك العقاري ، واما السير وراء العامل الذي لا يعد ، والحق يقال ، بالمن والسلوى ، والذي يتطلب منهم الثبات والانضباط الحديدي في معركة قاسية ، ولكنه يحررهم من عبودية الرأسماليين والملاكين

العقاريين . بل حين ادرك الفلاحون الجهلة انفسهم هذه الحقيقة وتثبتوا منها بتجربتهم الخاصة ، اصبحوا من انصار الشيوعية الواعين الذين اجتازوا مدرسة صعبة . هذه التجربة ، ينبغي على اتحاد الشبيبة الشيوعي ان يضعها في اساس كل نشاطه .

لقد اجبت على مسألة معرفة ما يترتب علينا ان نتعلمه وما ينبغي لنا ان نأخذه من المدرسة القديمة والعلم القديم . وساحاول ان اجيب ايضاً على مسألة معرفة كيف ينبغي ان نتعلم كل هذه الامور : لن نتعلمها الا اذا ربطنا بصورة لا تنفصم عراها كل خطوة من العمل في المدرسة ، وكل خطوة من التربية والتعليم والدراسة ، بنضال جميع الشغيلة ضد المستثمرين .

ببعض الامثلة المستقاة من تجربة عمل هذه المنظمة او تلك من منظمات الشباب ، سأبين لكم بوضوح كيف ينبغي ان تجري هذه التربية الشيوعية . جميع الناس يتحدثون عن محو الامية . وانتم تعلمون انه يستحيل بناء مجتمع شيوعي في بلد من الاميين . فـــلا يكفي ان تأمر سلطة السوفييت ، او ان يلقي الحزب شعاراً معيناً ، او ان نعبئ لهذه المهمة قسماً من خيرة مناضلينا . لهذا الغرض ، ينبغي على الجيل الفتي نفسه ان يشرع في تنفيذ هذه المهمة . ان الشيوعية تقوم في كون الفتيان والفتيات المنتسبين الى اتحاد الشبيبة يعلنون : ان هذه قضيتنا ، وسنضم صفوفنا ونمضي الى القرى لمحو الامية ، لكي لا يبقى في صفوف جيلنا الصاعد اميون . ونحن نسعى لكي تنصب مبادرة الجيل الناشئ على هذه المهمة . وانتم تعلمون انه يستحيل تحويل روسيا الجاهلة الامية بسرعة الى بلد متعلم ؛ ولكن ، اذا اخذ اتحاد الشبيبة هذه المهمة على عاتقه ، واذا عملت الشبيبة كلها في صالح الجميع ، فان هذا الاتحاد ، الذي يضم ٤٠٠٠٠٠ من الفتيان والفتيات ، سيحق له ان يتسمى اتحاد الشبيبة الشيوعي . وعلى الاتحاد ايضا ، مع استيعابه هذه المعارف او تلك ، ان يساعد

الشباب الذين لا يستطيعون تحرير انفسهم بانفسهم من ظلمات الامية . وان يكون المرء عضواً في اتحاد الشبيبة ، يعني انه يترتب عليه ان يضع عمله وطاقته في خدمة القضية المشتركة . في هذا تنحصر التربية الشيوعية . فبالعمل على هذا النحو فقط ، يصبح الفتى او الفتاة شيوعيين حقيقيين . ولا يصبحان شيوعيين الا اذا حصلا بعملهما هذا على نتائج عملية .

خذوا ، مثلا ، العمل في بساتين الخضراوات قرب المدن . او ليست هذه مهمة ؟ انها من مهمات اتحاد الشبيبة الشيوعي . فالناس جياع والمجاعة سائدة في المعامل والمصانع . فلكي نتخلص من المجاعة ، ينبغي تطوير زراعة الخضراوات ؛ ولكن الزراعة ما تزال تتبع الاساليب القديمة . ينبغي اذا ان تنكب على هذا العمل العناصر الاكثر وعياً . وحينذاك ترون ان بساتين الخضراوات تتكاثر ومساحتها تزداد ، والنتائج تتحسن . ينبغي على اتحاد الشبيبة الشيوعي ان يشترك اشتراكاً نشيطاً في هذا العمل . ينبغي على كل منظمة او كل خلية في الاتحاد ان تعتبر هذه المهمة مهمتها الخاصة .

ينبغي على اتحاد الشبيبة الشيوعية ان يكون فصيلة الصدام التي تقدم مساعدتها في كل عمل وتعطي الدليل على روح المبادرة والمبادهة . ينبغي على الاتحاد ان يسلك سلوكاً يستطيع معه كل عامل ان يرى في اعضاء الاتحاد قوماً قد لا يفهم مذهبهم ، قوماً قد لا يؤمن فوراً بمذهبهم ، ولكن عملهم الحي ونشاطهم يقنعانه بانهم فعلا هم الذين يبينون له السبيل القويم .

فاذا لم يتوصل اتحاد الشبيبة الشيوعي الى تنظيم نشاطه على هذا النحو في جميع الميادين ، فهذا يعني انه يسلك السبيل القديم ، السبيل البرجوازي . ينبغي لنا ان نربط تربيتنا بنضال الشغيلة ضد المستثمرين ، لكي نساعد الشغيلة في انجاز المهمات الناجمة عن المذهب الشيوعي .

ينبغي على اعضاء الاتحاد ان يكرسوا كل ساعة من اوقات فراغهم لتحسين الزراعة في بساتين الخضراوات او في تنظيم تعليم الشبان في مصنع ما او معمل ما الخ . . اننا نريد ان نجعل من روسيا الفقيرة البائسة بلاداً غنية . ولذا ينبغي ان يربط اتحاد الشبيبة الشيوعي تعلمه ودراسته وتربيته بعمل العمال والفلاحين ، والا ينحصر في مدارسه والا يقتصر على قراءة الكتب والكراريس الشيوعية . فبالعمل فقط بصورة مشتركة مع العمال والفلاحين ، يستطيع المرء ان يصبح شيوعياً حقيقياً . وينبغي ان يرى جميع الناس ان المنتسبين الى اتحاد الشبيبة متعلمون وانهم يعرفون في الوقت نفسه كيف يشتغلون . وعندما يرى الجميع اننا نبذنا من المدرسة القديمة اساليب الترويض القديمة واننا استعضنا عنها بروح نظامي واع ، وان جميع شبابنا يشتركون في السبوت الشيوعية وانهم يستخدمون كل مزرعة قرب المدن لكي يساعدوا السكان ، فان الناس سيقفون من العمل موقفاً يختلف كل الاختلاف عن موقفهم السابق .

على اتحاد الشبيبة الشيوعي ان ينظم في القرية او في الحي المساعدة الضرورية – واضرب مثلاً صغيراً – لتأمين النظافة او لتوزيع المأكولات . ولكن ، كيف كان يتم ذلك في المجتمع الرأسمالي القديم ؟ كان كل امرئ لا يشتغل الا لنفسه ، ولم يكن احد ليهتم بمعرفة ما اذا كان ثمة شيوخ او مرضى ، او ما اذا كانت جميع الشؤون المنزلية تقع على كاهل المرأة التي كانت ، لهذا السبب ، مرهقة ومستعبدة . فمن يترتب عليه ان يناضل ضد هذا ؟ اتحاد الشبيبة . ينبغي عليه ان يقول : سنغير كل هذا ، وسننظم فصائل من الشبان تساعد في تأمين النظافة او في توزيع المأكولات ، وتزور البيوت بانتظام ، وتعمل بصورة منظمة في خير المجتمع كله ، موزعة القوى توزيعاً سديداً ، مبينة انه ينبغي ان يكون العمل عملا منظماً .

ان الجيل الذي بلغ ممثلوه اليوم ما يقرب من الخمسين من العمر لا يستطيع ان يأمل في رؤية المجتمع الشيوعي . فان هذا الجيل سينقرض قبل ان يأتي هذا المجتمع . اما الجيل الذي يبلغ اليوم الخامسة عشرة من العمر ، فسيرى المجتمع الشيوعي وسيعمل بنفسه في بنائه . ولذا ينبغي عليه ان يعرف ان كل هدف حياته هو بناء هذا المجتمع . ففي المجتمع القديم كان العمل تقوم به العائلات ، كل عائلة منعزلة منفردة عن الاخرى ، ولم يكن ثمة من ينسق هذا العمل الا الملاكون العقاريون والرأسماليون ، الذين كانوا يضطهدون سواد الشعب . اما نحن ، فينبغي علينا ان ننظم كل عمل ، مهما كان مرهقاً وصعباً ، بصورة يستطيع معها كل عامل وكل فلاح ان يقول في نفسه : اني عضو في هذا الجيش الكبير ، جيش العمل الحر ، وساستطيع ان انظم حياتي بنفسي دون الملاكين العقاريين والرأسماليين ، ساستطيع ان اقيم النظام الشيوعي . ينبغي على اتحاد الشبيبة الشيوعي ان يثقف الجميع ، منذ الصبا ، بروح العمل الواعي النظامي . وهكذا نستطيع ان نأمل في انجاز المهمات الموضوعة الآن امامنا . ينبغي ان نحسب انه يجب ان تنقضي عشر سنوات على الاقل حتى تتم كهربة البلاد ، ولكي تتمكن ارضنا التي أفتقرت ، من الاستفادة من آخر منجزات التكنيك . والحال ، ينبغي على الجيل الذي يبلغ اليوم الخامسة عشرة من العمر والذي سيعيش في المجتمع الشيوعي بعد عشر او عشرين سنة ان ينظم دراسته بصورة تستطيع معها الشبيبة في كل يوم ، في كل مدينة وفي كل قرية ، ان تقوم عملياً بهذه المهمة او تلك من العمل المشترك ، مهما كانت هذه المهمة ضئيلة وبسيطة . وبقدر ما يجري ذلك في جميع القرى وتتطور المباراة الشيوعية ، وتبرهن الشبيبة على انها تعرف كيف تنسق عملها ، بقدر ما يتأمن نجاح البناء الشيوعي . ولن يستطيع اتحاد الشبيبة الشيوعي ان يحشد نصف المليون من اعضائه في جيش واحد

للعمل ، ويكسب احترام الجميع ، الا اذا نظرنا الى كل عمل من اعمالنا من حيث نجاح هذا البناء ، الا اذا تساءلنا عما اذا كنا بذلنا كل ما في وسعنا لكي نكون شغيلة متحدين واعين . (**عاصفة من التصفيق** .)

«البرافـــــدا» ، الاعداد ٢٢١ ، ٢٢٢ ، و٢٢٣ ؛ ٥ و٦ و٧ مـــــن تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٠

المجلد ٤١ ، ص‌ص ٢٩٨–٣١٨

اضواء على تاريخ مسألة الديكتاتورية

(نبذة)

ان مسألة ديكتاتورية البروليتاريا هي مسألة جذرية في الحركة العمالية المعاصرة في جميع البلدان الرأسمالية بلا استثناء . ولأجل استيضاح هذه المسألة بصورة كاملة ، تنبغي معرفة تاريخها . فعلى الصعيد العالمي ، يتصادف تاريخ التعاليم عن الديكتاتورية الثورية على العموم وعن ديكتاتورية البروليتاريا على الخصوص مع تاريخ الاشتراكية الثورية وخاصة مع تاريخ الماركسية . ثم ان تاريخ جميع ثورات الطبقة المظلومة والمستثمَرة ضد المستثمرين – وهذا هو الاهم ، بالطبع – هو أهم مادة ومصدر لمعارفنا في مسألة الديكتاتورية . ومن لم يفهم ضرورة ديكتاتورية اي طبقة ثورية كانت لأجل انتصارها ، لم يفهم شيئاً في تاريخ الثورات او لا يريد ان يعرف شيئاً في هذا المجال .

وعلى الصعيد الروسي ، يتسم باهمية خاصة ، اذا تناول الكلام النظرية ، برنامج ح ع ا د ر (٤٦) الذي وضعته في عامي ١٩٠٢ و١٩٠٣ هيئة تحرير «زاريا» و«الايسكرا» (٤٧) ، او ، بالاصح ، الذي وضعه غ . ف . بليخانوف وحررته هيئة التحرير هذه وعدلته وصادقت عليه . فان مسألة ديكتاتورية البروليتاريا مطروحة في هذا البرنامج بوضوح ودقة ، ناهيك عن انها مطروحة بالارتباط على وجه

الضبط مع النضال ضد برنشتين ، ضد الانتهازيـــة . ولكن القدر الاكبر من الاهمية تتسم به ، طبعاً ، تجربة الثورة ، اي تجربة عام ١٩٠٥ في روسيا .

فان الاشهر الثلاثـــة الاخيرة من هذا العام – تشرين الاول (اكتوبر) وتشرين الثاني (نوفمبـــر) وكانون الاول (ديسمبر) – كانت مرحلة نضال ثوري قوي جداً ، جماهيري ، واسع ، مرحلة ترابط اقوى اسلوبين بين اساليب هذا النضال ، وهما اسلوب الاضراب السياسي الجماهيري واسلوب الانتفاضة المسلحة . (ونلاحظ بين هلالين انه سبق للمؤتمر البلشفي ، «المؤتمر الثالث ح ع ا د ر» ، ان اعتبر في **ايار (مايو)** ١٩٠٥ ، «مهمة تنظيم البروليتاريا لأجـــل النضال المباشر ضد الاوتوقراطية عن طريق الانتفاضة المسلحة» «مهمة من اكبر والحّ مهمات الحزب» وكلف جميع المنظمات الحزبية «بتوضيح دور الاضرابات السياسية الجماهيرية التي يمكنها ان تتسم باهمية كبيرة في بداية الانتفاضة وفي مجراها بالذات» (٤٨) .)

وللمرة الاولى في تاريخ العالم ، بلغ النضال الثوري مثل هذه الدرجة العالية من التطور ومثل هذا القدر من القوة بحيث ان الانتفاضة المسلحـــة ترابطت مع الاضراب الجماهيري ، مع هذا الســـلاح البروليتاري الصرف . وواضح ان لهذه التجربة اهمية عالمية بالنسبة **لجميع** الثورات البروليتارية . ولقد درس البلاشفة هذه التجربة بكل العناية والجهد ، سواء من جانبها السياسي ام من جانبها الاقتصادي . وهنا اشير الى تحليل المعطيات الشهرية عن الاضرابات الاقتصادية والسياسية في عام ١٩٠٥ ، وعن اشكال الصلة بين هذه وتلك ، وعن درجة علو تطور النضال الاضرابي التي تم بلوغها آنذاك للمرة الاولى في العالم ؛ وهذا التحليل نشرته انا في مجلة «بروسفيشينيه» (٤٩) في عام ١٩١٠ او في عام ١٩١١ ، واعيد نشره ، بخلاصات موجزة ، في المطبوعات البلشفية الصادرة في الخارج في ذلك العهد (٥٠) .

ان الاضرابات الجماهيرية والانتفاضات المسلحة قد طرحت من تلقاء ذاتها في جدول الاعمال مسألة السلطة الثورية ومسألة الديكتاتورية ، لأن اسلوبي النضال هذين قد اديا بصورة محتمة لا مناص منها – على الصعيد المحلي بادئ بدء – الى طرد السلطات القديمة ، واستيلاء البروليتاريا والطبقات الثورية على السلطة ، وطرد الملاكين العقاريين ، والاستيلاء احياناً على المصانع ، وهكذا دواليك وهلمّ جراً . وافضى النضال الثوري الجماهيري في المرحلة المذكورة الى ظهور منظمات لا سابق لها في تاريخ العالم ، **كسوفييتات (مجالس) نواب العمال** ، ومن بعدهـــا ، سوفييتات نواب الجنود ، ولجان الفلاحين ، وما اليها . والحاصل ان المسألتين الاساسيتين (السلطة السوفييتية وديكتاتورية البروليتاريا) اللتين تسترعيان الآن اهتمام العمال الواعين في العالم اجمع ، قد طُرحتا عملياً في اواخر عام ١٩٠٥ . واذا كان الممثلون البارزون للبروليتاريا الثورية وللماركسية غير المزيفة ، من امثال روزا لوكسمبورغ قد قدروا في الحال اهمية هذه التجربة العملية ، وعمدوا الى تحليلها بعين نقادة في الاجتماعات وفي الصحف ، فان الممثلين الرسميين للاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية والاشتراكية الرسمية ، بمن فيهم الاصلاحيون واولئك الذين هم من الطراز المقبل «للكاوتسكيين» و«اللونغيتيين» وانصار هيلكويت في اميركا ، وخلافهم ، قد ابدوا ، باغلبيتهم الساحقة ، عجزاً تاماً عن فهم اهمية هذه التجربة وعن اداء واجبهم **كثوريين** اي عن الانصراف الى دراسة ونشر دروس هذه التجربة .

اما في روسيا ، فقد انصرف البلاشفة والمناشفة على السواء ، فور هزيمة الانتفاضة المسلحة في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٥ ، الى استخلاص نتائج هذه التجربة . وقد تسارع هذا العمل عـــلى الاخص ، بسبب انعقاد مؤتمر ستوكهلم في نيسان (ابريل) ١٩٠٦ ، او ما يسمّى «المؤتمر التوحيدي ح ع ا د ر» الذي تمثل فيه واتحد

فيه شكلاً المناشفة والبلاشفـــــة معاً . وقد قامت هاتان الكتلتان بالتهيئة لهذا المؤتمر بفائق الهمة والعزم . ونشرت كل من الكتلتين قبل المؤتمر ، في مستهل عام ١٩٠٦ ، مشاريع قرارات في جميع اهم المسائل . وهذه المشاريع التي اعيد طبعها في كراسي «تقرير عن المؤتمر التوحيدي لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيـا (رسالة الى عمال بطرسبورغ)» ، موسكـــــو ، عام ١٩٠٦ (١١٠ صفحات ، يتألف حوالي نصفها من نصوص مشاريع قرارات الكتلتين ومن نصوص القرارات التي صادق عليها المؤتمر نهائياً) هي اهم مادة لأجل الاطلاع على طريقة وضع المسألة آنذاك .

فآنذاك كانت المجادلات حول اهمية السوفييتات ترتبط بمسألة الديكتاتورية . وكان البلاشفة قد طرحوا مسألة الديكتاتورية حتى **قبل** ثورة تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥ (٥١) (انظر كراسي «خطتا الاشتراكية-الديموقراطية في الثورة الديموقراطية» ، جينيف ، تموز (يوليو) ١٩٠٥ ، وقد اعيد نشره في مجموعة «في ١٢ سنة») . وقد وقف المناشفة من شعار «الديكتاتورية» هذا موقفاً سلبياً . واكد البلاشفة ان سوفييتات نواب العمال «**هي فعلاً اجنة سلطة ثوريـــة جديدة**» – فهكذا ورد حرفياً في مشروع القرار البلشفي (ص ٩٢ من «التقرير») . واعترف المناشفة باهمية السوفييتات ، وأيدوا «الاسهام في تأليفها» ، والخ . ، ولكنهم لم يعتبروها اجنة سلطة ثورية ، ولم يتحدثوا اطلاقاً عن «السلطة الثورية الجديدة» من هذا الطراز او من مثل هذا الطراز ، ورفضوا صراحة شعار الديكتاتورية . وليس من العسير ان نرى ان **جميع** الخلافات الحالية مع المناشفة تكمن بشكل جنيني في هذه الطريقة لطرح المسألة . وليس من الصعب ان نرى كذلك ان المناشفـــــة (الروس منهـــــم وغير الروس ، من طراز الكاوتسكيين واللونغيتيين وخلافهم) قد قدموا ويقدمون البرهان ، بطريقتهم في طرح هذه المسألة ، على انهم اصلاحيون او انتهازيون

يعترفون قولاً بالثورة البروليتارية ، وينكرون **فعلاً الجوهري والاساسي في مفهوم الثورة** .

وقد سبق لي وحللت قبل ثورة ١٩٠٥ ، في كراسي المذكور اعلاه «خطتان» ، حجة المناشفة الذين اتهموني باني «استبدلت خلسة مفهومي الثورة والديكتاتورية» («في ١٢ سنة» ، ص ٤٥٩) . وبرهنت بالتفصيل ان المناشفة يكشفون بهذا الاتهام على وجه الضبط عن انتهازيتهم وطبيعتهم السياسية الحقيقية ، كابواق للبرجوازية الليبيرالية ، وناشرين لنفوذها في صفوف البروليتاريا . وحين تصبح الثورة قوة لا مراء فيها ، حينذاك يشرع اخصامها في «الاعتراف بالثورة» ايضاً ؛ هكذا قلت انا مشيراً (في صيف ١٩٠٥) الى مثال الليبيراليين الروس الذين ظلوا ملكيين دستوريين . والآن ، في عام ١٩٢٠ ، يمكن ان نضيف ان البرجوازيين الليبيراليين او ، على الاقل ، اوفرهم تحصيلاً ودهاء ، في المانيا وايطاليا على السواء ، مستعدون «للاعتراف بالثورة» . ولكن الليبيراليين والمناشفة الروس في ذلك الوقت ، والليبيراليين الالمان والايطاليين والتوراتيين والكاوتسكيين في الوقت الحاضر ، اذ «يعترفون» بالثورة ويرفضون في الوقت نفسه الاعتراف **بديكتاتورية** طبقة معينة (او طبقات معينة) ، انما يكشفون على وجه الدقة بذلك عن **اصلاحيتهم** ، عن عدم صلاحهم كلياً كثوريين .

لأنه حين تصبح الثورة قوة لا مراء فيها ، وحين «يعترف» بها الليبيراليون ايضاً ، وحين لا ترى الطبقات الحاكمة وحسب ، بل تشعر كذلك ببأس الجماهير المظلومة الذي لا يقهر ، حينذاك تنحصر **المسألة كلها** – بالنسبة للنظريين وبالنسبة لقادة السياسة العمليين – في **تعريف طبقي دقيق للثورة** . ولكنه **يستحيل** بدون مفهوم «الديكتاتورية» اعطاء هذا التعريف الطبقي الدقيق . وبدون اعداد الديكتاتورية ، يستحيل على المرء ان يكون ثورياً **بالفعل** .

وهذه الحقيقة لم يفهمها المناشفة في عام ١٩٠٥ ، ولا يفهمها في عام ١٩٢٠ الاشتراكيون الايطاليون والالمان والفرنسيون وخلافهم الذين يخافون من «الشروط» الصارمة للاممية الشيوعية ؛ وهكذا يخاف اناس بمقدورهم ان يعترفوا بالديكتاتورية **قولا** ، ولكنهم عاجزون عن **اعدادها فعلاً** . ولهذا لن يكون من غير المناسب ان استنسخ بالتفصيل ما نشرته في تموز (يوليو) ١٩٠٥ ضد المناشفة الروس ، ولكن ما يصح كذلك على المناشفة الاوروبيين الغربيين عام ١٩٢٠ ، من توضيح لآراء ماركس (واستعيض عن اسماء الجرائد وغير ذلك بمجرد الاشارة الى ما اذا كان الكلام يتناول المناشفة او البلاشفة) :

«روى مهرينغ في الملاحظات التي اتبع بها طبعته لمقالات ماركس المنشورة عام ١٨٤٨ في «الجريدة الرينانية الجديدة» (٥٢) ان المطبوعات البرجوازية قد وجهت لهذه الصحيفة ، فيما وجهته ، اللوم التالي : فقد زعمت ان «الجريدة الرينانية الجديدة» طالبت ببسط الديكتاتورية فوراً بوصفها الوسيلة الوحيدة لتحقيق الديموقراطية» (Marx' Nachlaß * ، المجلد ٣ ، صفحة ٥٣) . ان مفهومي الديكتاتورية والديموقراطية يتنافيان في العرف البرجوازي المبتذل . فان البرجوازي لا يدرك نظرية النضال الطبقي ، وقد ألف ان يرى في المسرح السياسي المشاحنات الحقيرة بين مختلف فئات البرجوازية وكتلها ، ولذا فهو يفهم بالديكتاتورية الغاء جميع الحريات وجميع ضمانات الديموقراطية ، والتعسف على الوانه واستغلال السلطة في مصلحة شخصية الديكتاتور . ان هذا المفهوم البرجوازي المبتذل هو ، في الاساس ، المفهوم الذي يستشف ايضاً عند اصحابنا المناشفة الذين يفسرون ميل البلاشفة الى شعار «الديكتاتورية» بكون لينين «يرغب اشد الرغبة في تجريب حظه»

---

* ماركس . التراث الادبي . **الناشر** .

(«الايسكرا» ، العدد ١٠٣ ، صفحة ٣ ، عمود ٢) . ولن يكون من نافل الكلام ان نتناول بالبحث آراء «الجريدة الرينانية الجديدة» لكي نوضح للمناشفة مفهوم ديكتاتورية طبقة خلافاً لديكتاتورية فرد ، ومهام الديكتاتورية الديموقراطية خلافاً لمهام الديكتاتورية الاشتراكية .

فقد كتبت «الجريدة الرينانية الجديدة» في ١٤ ايلول (سبتمبر) ١٨٤٨ تقول : «ان كل نظام موقت للدولة بعد الثورة يتطلب الديكتاتورية ، وديكتاتورية حازمة . ولقد اخذنا منذ البدء على كامبهاوزن (رئيس مجلس الوزراء بعد ١٨ آذار – مارس – ١٨٤٨) انه لم ينهج نهجاً ديكتاتورياً ولم يحطم فوراً بقايا المؤسسات القديمة ولم يقض عليها . وهكذا بينما كان كامبهاوزن يعلل نفسه بالاوهام الدستورية ، عزز الحزب المغلوب على امره (اي حزب الرجعية) مواقعه في الدواوينية والجيش ، بل اخذ يتجاسر ، هنا وهناك ، على خوض النضال السافر» (٥٣) .

ان هذه الكلمات ، كما يقول مهرينغ على حق ، توجز ببعض الموضوعات ما استفاضت «الجريدة الرينانية الجديدة» ببحثه في مقالات طويلة حول وزارة كامبهاوزن . فماذا تقول لنا كلمات ماركس هذه ؟ انها تقول لنا انه **يجب** على الحكومة الثورية الموقتة ان تنهج نهجاً ديكتاتورياً (وهي موضوعة لم يستطع المناشفة ان يدركوها قط لرعبهم من شعار الديكتاتورية) ، وان مهمة هذه الديكتاتورية هي تحطيم بقايا المؤسسات القديمة (وهو بالضبط ما اشير اليه بوضوح في قرار المؤتمر الثالث لح ع اد ر (البلاشفة) حول النضال ضد الثورة المضادة ، وما اغفل ذكره في قرار المناشفة ، كما بيّنا اعلاه) . وثالثاً ، واخيراً ، ينجم من هذه الكلمات ان ماركس يسلط سياط النقد على الديموقراطيين بسبب من «اوهامهم الدستورية» في عهد الثورة والحرب الاهلية

السافرة . ويتضح بخاصة معنى هذه الكلمات من المقال المنشور بتاريخ ٦ حزيران (يونيو) ١٨٤٨ في «الجريدة الرينانية الجديدة» .

فقد كتب ماركس يقول : «يجب ان تكون الجمعية الشعبية التأسيسية ، بالدرجة الاولى ، جمعية نشيطة ، ثورية النشاط . والحال ، ان جمعية فرانكفورت (٥٤) تتلهى بتمارين مدرسية حول البرلمانية وتترك للحكومة مهمة العمل . لنفترض ان هذا المجمع الحكيم توصل ، بعد امعان في البحث ، الى اقرار خير جداول الاعمال وخير الدساتير . فما قيمة خير جداول الاعمال وخير الدساتير اذا كانت الحكومات الالمانية في هذه الاثناء قد وضعت الحراب في جدول الاعمال ؟» (٥٥)

هذا هو معنى شعار : الديكتاتورية . . .

ان القضايا الكبرى في حياة الشعوب لا تحلها الا القوة . والطبقات الرجعية نفسها هي عادة اول من يلجأ الى العنف ، الى الحرب الاهلية ، و«يضع الحراب في جدول الاعمال» ، كما فعلت الاوتوقراطية الروسية وما تنفك تفعله بدأب وانتظام ، ودائماً وفي كل مكان ، منذ التاسع من كانون الثاني (يناير) (٥٦) . وطالما قد نشأ مثل هذا الوضع ، ووردت الحراب فعلاً في رأس جدول الاعمال السياسية ، وتبين ان الانتفاضة ضرورية وملحة ، فان الاوهام الدستورية والتمارين المدرسية حول البرلمانية لا تبقى الا ستاراً لخيانة البرجوازية ازاء الثورة ، الا ستاراً للطريقة التي «تنصرف» فيها البرجوازية عن الثورة . واذ ذاك ، ينبغي على الطبقة الثورية حقاً ان ترفع شعار الديكتاتورية بالضبط» .

هذه هي آراء البلاشفة بصدد ديكتاتورية البروليتاريا قبل ثورة تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥ .

وبعد تجربة هذه الثورة ، تأتى لي ان ادرس بالتفصيل مسألة الديكتاتورية في كراس «انتصار الكاديت ومهمات حزب العمال» ،

بطرسبـــورغ ، عام ١٩٠٦ (الكراس مؤرخ في ٢٨ آذار – مارس – ١٩٠٦) . ومن هذا الكراس اورد جميع أهم الآراء ، متحفظاً باني استعيض عن عدد من الاسماء الخاصة بمجرد الاشارة الى ما اذا كان الكلام يتناول الكاديت (٥٧) او المناشفة . فالكراس موجه ، على العموم ، ضد الكاديت ، وجزئياً ضد الليبيراليين اللاحزبيين ، انصاف الكاديت وانصاف المناشفة . ولكن كل ما قيل عن الديكتاتورية يتعلق ، من حيث جوهر الامر ، وعلى وجه الضبط بالمناشفة الذين ينزلقون لدى كل خطوة صوب الكاديت في هذه المسألة .

«عندما همدت طلقات النار في موسكو ، وعندمـــا انفلتت الديكتاتورية العسكرية البوليسية من عقالها ، وعندما قامت في عموم روسيا عمليات العقاب الجسدي وعمليات التعذيب بالجملة ، – عند ذاك بالذات تعالت في صحافة الكاديت الخطابات ضد العنف مـــن اليسار ، ضد اللجان الاضرابية للاحزاب الثورية . ووصل الامـــر بالاساتذة الكاديت ، الذين يتاجرون بالعلم بفضـــل دوباسوف واضرابه ، الى حد انهم ترجموا كلمة «الديكتاتورية» بكلمة «الحماية المعزّزة» . بل ان «رجال العلم» شوهوا لغتهم اللاتينية المدرسية لكي يحطوا من شأن النضال الثوري . فان الديكتاتوريـــة تعني – وخذوا علماً بهذا مرة واحدة والى الابد ، ايها السادة الكاديت ، – سلطة غير محدودة ، تعتمد على القوة وليس على القانون . ففي زمن الحرب الاهلية ، لا يمكن لاي سلطة ظافرة ان تكون الا ديكتاتورية . ولكن المسألة انه توجد ديكتاتوريـــة الاقلية على الاغلبيـــة ، ديكتاتورية حفنة بوليسية على الشعب ، وانه توجد ديكتاتوريـــة اغلبية الشعب الساحقة على حفنة من العسّافين والنهابين ومغتصبي السلطة الشعبية . ولقد بيّن السادة الكاديت بكل وضوح ، بتشويههم المبتذل لمفهوم «الديكتاتورية» العلمي ، وزعيقهم ضد العنف من اليسار في عهد انفلات العنف بمنتهى اللاشرعية ومنتهى الخساسة من

اليمين ، – اي موقف يقفه «التوفيقيون» في غمرة النضال الثوري المتأزم . ان «التوفيقي» يختبئ بجبانة عندما يحتدم النضال . وعندما ينتصر الشعب الثوري (١٧ تشرين الاول) (٥٨) ، يخرج «التوفيقي» من جحره ، ويتهندم بتبجح ، ويثرثر بكل قواه ويصيح حتى النشوة الروحية : كان ذلك اضراباً سياسياً «مجيداً» . وعندما تنتصر الثورة المضادة ، يبدأ «التوفيقي» يصب سيولاً من المواعظ والنصائح المنافقة على المغلوبين . كان الاضراب الظافر «مجيداً» . وكانت الاضرابات المقهورة اجرامية ، وحشية ، سخيفة ، فوضوية . وكانت الانتفاضة المقهورة جنوناً ، انفلاتاً للعواطف ، بربرية ، حماقة . خلاصة القول ان ذمة «التوفيقي» السياسية وعقله السياسي يتلخصان في التزلف الى من هم اقوى الآن ، في التعثر بين اقدام المتصارعين ، في عرقلة هذا الجانب حيناً وذاك الجانب حيناً آخر ، في ثلم حدة النضال وتخبيـــل الوعي الثوري عند الشعب الذي يخوض نضالاً مستميتاً من اجل الحرية» * .

وبعد . سيكون من المناسب الى اقصى حدّ ايراد التوضيحات الموجهة ضد السيد ر . بلانك في مسألة الديكتاتورية . فان ر . بلانك هذا كان قد عرض ، في عام ١٩٠٦ في جريدة منشفية من حيث جوهر الامر ، ولكنها لاحزبية شكلاً (٥٩) ، آراء المناشفة ، وكال لهـــم المديح لانهم «يسعون الى توجيه الحركة الاشتراكية-الديموقراطية الروسية في ذلك السبيل الذي تسير فيه الاشتراكية-الديموقراطية العالميـــة وعلى رأسهـــا الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني العظيم» .

---

* راجعوا لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلـــد ١٢ ، ص ٢٨٨ – ٢٨٩ . الناشر .

وهذا يعني ، بتعبير آخر ، ان ر . بلانك ، شأنـــه شأن الكاديت ، قد عارض البلاشفة بوصفهم ثوريين غير عاقلين ، غير ماركسيين ، محبين للفتن ، وما الى ذلك ، بالمناشفة «العاقلين» ، مصوراً الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني ايضاً بصورة حزب منشفي . وهذا اسلوب عادي يلجـــأ اليه التيار العالمي مـــن الاشتراكيين-الليبراليين ، والمسالمين ، واضرابهم ، الذين يمدحون في جميع البلدان الاصلاحيين ، الانتهازيين ، الكاوتسكيين ، اللونغيتيين ، بوصفهم اشتراكيين «عاقلين» ، على خلاف «جنون» البلاشفة .

واليكم كيف رددت على السيد ر . بلانك في الكراس المذكور الصادر عام ١٩٠٦ :

«يقارن السيد بلانك بين مرحلتين في الثورة الروسية : الاولى تشمل ، تقريباً ، تشرين الاول – كانون الاول (اكتوبر – ديسمبر) ١٩٠٥ . وهذه مرحلة الاعصار الثوري . المرحلة الثانية هي المرحلة الراهنة التي يحق لنا ، بالطبع ، ان نسميها بمرحلة الانتصارات الكاديتية في الانتخابات الى الدوما (٦٠) ، او ، على الاغلب ، اذا جازفنا واستبقنا الامور ، بمرحلة الدوما الكاديتي .

وعن هذه المرحلة يقول السيد بلانك انه جاء من جديد دور الفكر والعقل ، وانه تمكن العودة الى النشاط الواعي ، المنهاجي ، المنتظم . اما المرحلة الاولى ، فان السيد بلانك يصفها ، على العكس ، بمرحلة التفارق بين النظرية والتطبيق . زالت جميع المبادئ والافكار الاشتراكية-الديموقراطية ، نسي التكتيك الذي كان يدعو اليه دائماً مؤسسو الاشتراكية-الديموقراطية الروسية ، بل حتى استؤصلت من الجذور دعائم العقيدة الاشتراكية-الديموقراطية بالذات .

ان زعم السيد بلانك الاساسي هذا يتسم بطابع الوقائـــع الصرف . فكل النظرية الماركسية افترقت عن «التطبيق» في مرحلة الاعصار الثوري .

فهل هكذا هو الحال ؟ فاية هي «الدعامة» الاولى والرئيسية بين دعائم النظرية الماركسية ؟ انها كون البروليتاريا الطبقة الوحيدة الثورية الى النهاية في المجتمع المعاصر وبالتالي الطبقة الطليعية في كل ثورة . وهنا نتساءل : أولم يستأصل الاعصار الثوري من الجذور هذه «الدعامة» من دعائم العقيدة الاشتراكيـــة-الديموقراطيـــة ؟ بالعكس . فان الاعصار قد اكدها بأروع نحو . ذلك ان البروليتاريا بالذات هي التي كانت **المناضل** الرئيسي في هذه المرحلة ، بل الوحيد تقريباً في البدء . وللمرة الاولى او يكاد في التاريخ العالمي تميزت الثورة البرجوازية باللجوء على نطاق واسع للغاية ، لا سابق له حتى في اكثر البلدان الرأسمالية تطوراً ، الى اداة بروليتارية صرفاً من ادوات النضال ، هي الاضراب السياسي الجماهيري . ولقد هبت البروليتاريا الى النضال الثوري المباشر ، في وقت كان فيه السيد ستروفه واضرابه والسيد بلانك واضرابه يدعون الى الذهاب الى دوما بوليغين (٦١) ، وكان فيـــه البروفسورات الكاديت يدعون الطلاب الى الدراسة . ولقد ظفرت البروليتاريا لروسيا باداة نضالها البروليتارية ، بكل ذلك «الدستور» – اذا جاز القول – الذي اعملوا فيه مذ ذاك فساداً وقصاً وبتراً وحسب . ولقد طبقت البروليتاريا في النضال في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥ ذلك الاسلوب التكتيكي الذي تحدث عنه **قبل نصف سنة** قرار المؤتمـــر الثالث **البلشفي** ل ح ع ا د ر ، موجهاً جل الانتباه الى اهميـــة الجمع بين الاضراب السياسي الجماهيري والانتفاضة ؛ وبهذا الجمع بالذات تتميز كل مرحلة «الاعصار الثوري» ، كل الربع الاخير من عام ١٩٠٥ . وهكذا شوه صاحبنا ايديولوجي البرجوازية الصغيرة الواقع بصورة وقحة وفاضحة للغاية . ولم يشر الى اي واقع يشهد على افتراق النظرية الماركسية عن تجربة «الاعصار الثوري» العملية ؛ وحاول ان يطمس سمة هذا الاعصار الاساسية التي اكدت بسطوع ما بعده سطوع

«جميع المبادئ والافكار الاشتراكية-الديموقراطية» ، «جميع دعائم العقيدة الاشتراكية-الديموقراطية» .

ولكن ما هو السبب الفعلي الذي حمل السيد بلانك الى استخلاص هذا الرأي الفظيع في خطئه والزاعم ان جميع المبادئ والافكار الماركسية قد زالت في مرحلة «الاعصار» ؟ ان دراسة هذا الامر طريفة ومفيدة جداً : فهي تكشف امامنا المرة تلو المرة الطبيعة الحقيقية لضيق الافق في السياسة .

فما هي السمة الرئيسية التي تميز مرحلة «الاعصار الثوري» عن المرحلة الراهنة ، «الكاديتية» ، من حيث مختلف اساليب النشاط السياسي ، من حيث مختلف طرائق ابداع الشعب التاريخي ؟ السمة المميزة الاولى والرئيسية هي انه طبقت في مرحلة «الاعصار» بعض الطرائق الخاصة لهذا الابداع ، الغريبة عن المراحل الاخرى في الحياة السياسية . اليكم أهم هذه الطرائق : ١ – «**استيلاء**» **الشعب على الحرية السياسية** ، – تطبيقها بدون اية حقوق وقوانين وبدون اية قيود (حرية الاجتماع وان في الجامعات ، حرية الصحافة والاتحادات والمؤتمرات ، والخ .) ؛ ٢ – انشاء هيئات جديدة **للسلطة الثورية** ، – سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين وشغيلة السكك الحديدية ، سلطات جديدة في الريف والمدينة وخلافها وهلم جراً . وهذه الهيئات انشأتها بوجه الحصر الفئات **الثورية** من السكان ، وانشأتها خارج اية قوانين وقواعد ، بالسبيل الثوري كلياً ، كنتاج للابداع الشعبي الاصيل ، كظاهرة لمبادرة الشعب الذي تحرر او يتحرر من القيود البوليسية القديمة . واخيراً كانت هذه الهيئات هيئات **للسلطة** على وجه الضبط ، رغم كل طابعها الجنيني ، العفوي ، المائع ، العديم الشكل من حيث القوام ومن حيث اداء الوظائف . ولقد عملت هذه الهيئات كسلطة ، باستيلائها ، مثلاً ، على المطابع (بطرسبورغ) واعتقالها رجال البوليس الذين

اعاقوا الشعب الثوري عن تطبيق حقوقه (وقد كانت هناك امثلة في بطرسبورغ ايضاً حيث كانت الهيئة المعنية للسلطة الجديدة في منتهى الضعف والسلطة القديمة في منتهى القوة) . وعملت كسلطة بتوجيهها الى الشعب كله نداء تهيب به فيه ان يرفض اعطاء النقود للحكومة القديمة . وصادرت نقود الحكومة القديمة (لجان الاضراب لشغيلة السكك الحديدية في الجنوب) وانفقتها على حاجات الحكومة الجديدة ، الشعبية ، — اجل ، لقد كانت ، بلا شك ، اجنة حكومة جديدة ، شعبية ، او اذا شئتم ، حكومة ثورية . ومن حيث طابعها الاجتماعي السياسي ، كانت ، بشكل جنيني ، ديكتاتورية العناصر الثورية من الشعب ، — وانتما تتعجبان ، يا سيد بلانك ويا سيد كيزيفيتّر ؟ ألا تريان هنا «الحماية المعزّزة» التي تعني الديكتاتورية بنظر البرجوازي ؟ لقد سبق وقلنا لكما انكما لا تملكان اي فكرة عن المفهوم العلمي : الديكتاتورية . وسنوضحه لكما الآن ، ولكننا سنشير في البدء الى طريقة العمل **«الثالثة»** في عهد «الاعصار الثوري» : **لجوء الشعب الى العنف حيال مستعملي العنف ضد الشعب** .

ان هيئات السلطة التي وصفناها كانت ، بشكل جنيني ، ديكتاتورية ، لأن هذه السلطة لم تعترف **باي** سلطة اخرى ، **وباي** قانون ، **وباي** قاعدة ، ايّاً كان مصدرها . ان السلطة غير المحدودة ، القائمة خارج القانون ، المعتمدة على القوة بمعنى الكلمة الاصلي المباشر ، انما هي الديكتاتورية . ولكن القوة التي اعتمدت عليها هذه السلطة الجديدة والتي سعت الى الاعتماد عليها لم تكن قوة الحراب التي تستولي عليها حفنة من العسكريين ولا قوة الشرطة ، ولا قوة المال ، ولا قوة المؤسسات السابقة ، المستقرة ، ايّاً كانت . لا شيء من هذا القبيل . لم يكن لدى الهيئات الجديدة للسلطة الجديدة لا سلاح ولا مال ولا مؤسسات قديمة . ان قوتها — وهل بوسعكما ان تتصورا هذا ، يا سيد بلانك ويا سيد كيزيفيتّر ؟ — لم تكن تمت

باي صلة الى الادوات القديمة للقوة ، لم تكن تمت باي صلة الى «الحماية المعزّزة» اذ لم يكن المقصود حماية الشعب المعزّزة من اضطهاده من قبل الهيئات البوليسية وغيرها من هيئات السلطة القديمة .

فعلامَ كانت تعتمد هذه القوة ؟ كانت تعتمد على جماهير الشعب . وهذه هي السمة **الاساسية** التي تميز هذه السلطة الجديدة عن جميع الهيئات السابقة للسلطة القديمة . فقد كانت هذه الهيئات السابقة هيئات سلطة الاقلية على الشعب ، على جمهور العمال والفلاحين . بينما كانت الهيئات الجديدة هيئات سلطة الشعب ، سلطة العمال والفلاحين ، على الاقلية ، على حفنة مستعملي العنف البوليسيين ، على حفنة من النبلاء والموظفين المميّزين . هذه هي السمة التي تميز الديكتاتورية **على** الشعب عن ديكتاتورية **الشعب** الثوري ، فتذكرا هذا جيداً ، يا سيد بلانك ويا سيد كيزيفيتّر ! ان السلطة القديمة ، بوصفها ديكتاتورية الاقلية ، استطاعت ان تبقى ، بوجه الحصر بفضل الحيل البوليسية ، بوجه الحصر بفضل اقصاء واستبعاد جماهير الشعب عن الاشتراك في السلطة ، عن المراقبة على السلطة . وابداً ودائماً كانت السلطة القديمة لا تثق بالجمهور ، وكانت تخاف النور ، وتبقى بالخداع . اما السلطة الجديدة ، بوصفها ديكتاتورية الاغلبية الساحقة ، فقد كان بوسعها ان تبقى وكانت تبقى ، بوجه الحصر بفضل ثقة الجمهور الضخم ، بوجه الحصر لكونها كانت تجتذب باكثر ما يكون من الحرية والسعة والقوة الجمهور كله الى الاشتراك في السلطة . لا شيء خفي ، لا شيء سري ، لا انظمة ، لا شكليات . هل انت عامل ؟ هل تريد ان تناضل لانقاذ روسيا من خفنة مستعملي العنف البوليسيين ؟ اذن ، انت رفيقنا . فانتخب نائبك ، الآن بالذات ، في الحال ؛ انتخب ، كما ترى مناسباً ، – فاننا سنقبله بسرور وطيبة خاطر عضواً كامل

الحقوق في سوفييتنا لنواب العمال ، ولجنتنا الفلاحية ، وسوفييتنا لنواب الجنود ، وهكذا دواليك وهلم جراً . ان هذه سلطة مفتوحة امام الجميع ، وتفعل كل شيء على مرأى من الجماهير ، وهي في منال الجماهير ، وتنبع مباشرة من الجماهير ، وهي هيئة مباشرة لجماهير الشعب وارادتها . – هكذا كانت السلطة الجديدة او ، بالاصح ، اجنتها ، لأن انتصار السلطة القديمة داست باكراً جداً افراخ النبتة الناشئة .

ولربما تسأل ، يا سيد بلانك او يا سيد كيزيفيتّر : وما الداعي هنا الى «الديكتاتورية» ، ما الداعي الى «العنف» ؟ هل يحتاج الجمهور الهائل ، يا ترى ، الى العنف ضد الحفنة ، هل يمكن لعشرات ومئات الملايين ، يا ترى ، ان يكونوا ديكتاتوريين على الف ، على عشرة الآف ؟

هذا السؤال يطرحه عادة اولئك الذين يرون للمرة الاولى مصطلح الديكتاتورية مستعملاً بمعنى جديد عليهم . فقد اعتادوا ان يروا السلطة البوليسية فقط والديكتاتورية البوليسية فقط . ولذا يبدو لهم من الغريب ان يكون بالامكان وجود سلطـــة بدون اي بوليس ، ان يكون بالامكان وجود ديكتاتورية غير بوليسية . انتما تقولان ان الملايين ليست بحاجة الى استعمال العنف ضد الآلاف ؟ انتما تخطئان ، وتخطئان لانكما لا تريان الى الظاهرة في تطورها . انتما تنسيان ان السلطة الجديدة لا تنزل من السماء ، بل تنشأ ، تنبثق الى جانب السلطة القديمة ، ضد السلطة القديمة ، في النضال ضدها . وبدون العنف حيال مستعملي العنف الذين يقبضون في ايديهم على ادوات وهيئات السلطة ، يستحيل انقاذ الشعب من مستعملي العنف .

اليكما ، يا سيد بلانك ويا سيد كيزيفيتّر ، مثالاً صغيراً بسيطاً جداً لكي تتمكنا من استيعاب هذه الحكمة ، المستحيلة المنال

على العقل الكاديتي ، «المدوخة» بالنسبة للفكر الكاديتي . تصورا ان افراموف يشوه ويعذب سبيريدونوفا . لنفترض ان الى جانب سبيريدونوفا عشرات ومئات من الناس غير المسلحين ، وان الى جانب افراموف حفنة من القوزاق . فما عسى ان يفعل الشعب اذا جرى تعذيب سبيريدونوفا خارج الزنزانة ؟ انه سيستعمل العنف حيال افراموف وحاشيته . وقد يضحي ببضعة مناضلين يقتلهم افراموف رمياً بالرصاص ، ولكنه مع ذلك يجرد بالقوة افراموف والقوزاق من السلاح ، علماً بانه من المحتمل جداً ان يقتل في مكان الحادث بضعة من هؤلاء الناس ، اذا امكن تسميتهم بالناس ، وان يزج بالباقين في سجن ما ، لكي يمنعهم من اقتراف اعمال الشقاوة لاحقاً ولكي يحيلهم الى المحاكمة امام محكمة الشعب .

اذن ، كما تريان ، يا سيد بلانك ويا سيد كيزيفيتّر : حين يعذب افراموف مع القوزاق سبيريدونوفا ، فان هذا هو الديكتاتورية العسكرية البوليسية على الشعب . وحين يستعمل الشعب الثوري (الشعب القادر على النضال ضد العسافين ، وليس فقط على الوعظ والنصح والأسف والتنديد والتشكي والدمدمـــة ، وليس الشعب المحدود الوعي والضيق الافق ، بل الثوري) العنف حيال افراموف والافراموفيين ، — فان هذا هو ديكتاتورية الشعب الثوري . ان هذا هو **الديكتاتورية** ، لأنه سلطة الشعب على افراموف ، سلطة لا تحدها اية قوانين (ان التافه الضيق الافق يعارض ، اغلب الظن ، في استعمال القوة لانقاذ سبيريدونوفـــا من افراموف بذريعة ان هذا مخالف «للقانون» ! وهل عندنا «قانون» يجيز قتل افراموف ؟ أوَلَمْ يلفق بعض ايديولوجيي التفاهة وضيق الافق نظريات تقول بعدم مقاومة الشر بالعنف ؟) . ان مفهوم الديكتاتورية العلمي لا يعني غير سلطة لا تحدها ولا تقيدها اية قوانين واية قواعد اطلاقاً ، سلطة تعتمد مباشرة على العنف . **وغير هذا لا** يعني مفهوم : «الديكتاتوريـــة» — ،

فتذكروا جيداً ، ايها السادة الكاديت . وبعد . في المثال الذي اخذناه ، نرى ديكتاتوريـــة **الشعب** على وجه الضبط ، لأن الشعب ، سواد السكان ، غير المنظم ، المجتمع «صدفة» في مكان معين ، يدخل الحلبة بنفسه مباشرة ، ويحاكم ويعاقب بنفسه ، ويستعمل السلطة ، ويخلق حقاً ثورياً جديداً . واخيراً ، ان هذا هو ديكتاتورية الشعب **الثوري** على وجه الضبط . لماذا الثوري فقط ، وليس الشعب كله ؟ لأنه يوجد في كل الشعب الذي يعاني على الدوام وباقسى الاشكال من مآثر الافراموفيين افراد مسحوقون جسدياً ، مذعورون ، افراد مسحوقون اخلاقياً ، مثلاً ، بنظرية عدم مقاومة الشر بالعنف ، او مسحوقون بكل بساطة ، لا بالنظرية ، بل بالوهم والعادة والرتابة ، افراد لامبالون ، يسمونهم بالتافهين وضيقي الافق ، افراد اقدر على التنحي عن النضال الحادّ ، وتجنبـــه او حتى التخفي (خوفاً من ان يصابوا بأذى في غمرة الشجار !) . ولهذا لا يطبق الشعب كلـــه الديكتاتورية ، بل يطبقها الشعب الثوري فقط ، الذي لا يخشى الشعب كله مع ذلك ، والذي يكشف امام الشعب كله اسباب اعماله وجميع تفاصيلها ، ويجتذب ، بطيبة خاطر ، الشعب **كله** الى الاشتراك ، لا في تصريف شؤون الدولة وحسب ، بل ايضاً في السلطة ، الى الاشتراك في بناء الدولة ذاته .

وهكذا ، ينطوي المثال البسيط الذي اخذناه على **جميع عناصر** المفهوم العلمي :«ديكتاتوريـــة الشعب الثوري» ، وكذلك مفهوم «الديكتاتورية العسكرية البوليسية» . ومن هذا المثال البسيط ، الذي هو في منال حتى البروفسور الكاديتي العالم ، يمكننا ان ننتقل الى ظواهر اكثر تعقداً بين ظواهر الحياة الاجتماعية .

ان الثورة ، بمعنى هذه الكلمة الضيق ، المباشر ، انما هي على وجه الضبط مرحلة من حياة الشعب ، يتفجر فيها الحقد المتراكم خلال قرون وقرون على مآثر الافراموفيين ، ويتجلى في **الاعمال** ، لا في

الاقوال ، في اعمال **الجماهير الشعبية التي تُعَدّ بالملايين** ، لا في اعمال بعض الافراد . ان الشعب يستيقظ وينهض لأجل تحرير نفسه من الافراموفيين . والشعب ينقذ مثيلات سبيريدونوفا اللواتي لا عدّ لهن في الحياة الروسية من الافراموفيين ، ويستعمل العنف ضد الافراموفيين ، ويأخذ السلطة على الافراموفيين . ويقيناً ان هذا لا يحدث ببساطة و«في الحال» كما في المثال الذي بسّطناه من اجل السيد البروفسور كيزيفيتّر ، – وهذا النضال الذي يخوضه الشعب ضد الافراموفيين ، هذا النضال بالمعنى الضيق والمباشر ، هذا الاسقاط للافراموفيين عن كاهل الشعب يمتد طوال شهور وسنوات «الاعصار الثوري» . ان هذا الاسقاط للافراموفيين عن كاهل الشعب ومن قبل الشعب انما هو المضمون الفعلي لما يسمى بالثورة العظيمة في روسيا . وهذا الاسقاط ، اذا نظرنا اليه على صعيد طرائق الابداع التاريخي ، يجري في تلك الاشكال التي وصفناها للتو في معرض الكلام عن الاعصار الثوري ، عنينا بها استيلاء الشعب على الحرية السياسية ، اي على الحرية التي حال الافراموفيون دون تطبيقها ؛ – انشاء الشعب لسلطة جديدة ، ثورية ، لسلطة على الافراموفيين ، لسلطة على مستعملي العنف من النظام البوليسي القديم ؛ – استعمال الشعب للعنف حيال الافراموفيين لأجل اقصاء هذه الكلاب البرية ، جميع اضراب افراموف ودورنوفو ودوباسوف ومين وخلافهم ومن لّف لفهم ، لأجل نزع سلاحهم ومنعهم عن الحاق الاذى .

وهل من الحسن ان يطبق الشعب اساليب للنضال غير شرعية ، وغير نظامية ، وغير منهاجية ، وغير منتظمة كالاستيلاء على الحرية ، وانشاء سلطة جديدة ، ثورية ، لم يعترف بها احد شكلاً ، ان يستعمل العنف ضد مضطهدي الشعب ؟ اجل ، هذا حسن جداً . هذا اسمى مظاهر نضال الشعب من اجل الحرية . هذا هو ذلك الزمن العظيم الذي تتحقق فيه احلام خيرة ابناء روسيا بالحرية في **الفعل** ،

في فعل الجماهير الشعبية بالذات ، لا في فعل ابطال منفردين . وهذا حسن كما هو عليه تحرير الجمهور (في مثالنا) لسبيريدونوفا من افراموف ، واستعمال العنف لتجريد افراموف من السلاح ولمنعه عن الحاق الاذى .

ولكننا نصل هنا الى النقطة المركزية في الافكار والمخاوف الكاديتية الخفية . ان الكاديتي هو ايديولوجي التفاهة وضيق الافق لأنه ينقل الى السياسة ، الى تحرير الشعب كله ، الى الثورة ، وجهة نظر ذلك التافه الضيق الافق الذي يقدم ، في مثالنا عن تعذيب افراموف لسبيريدونوفا ، على كبح الجمهور ، ونصحه بعدم مخالفة القانون ، وبعدم التسرع بتحرير الضحايا من يدي الجلاد العامل باسم السلطة الشرعية . يقيناً ان هذا التافه الضيق الافق سيكون في مثالنا دميماً اخلاقياً حقاً وفعلاً ؛ والحال ان دمامة التافه الضيق الافق الاخلاقية ، مطبقة على كامل الحياة الاجتماعية ، انما هي صفة — ونكرر هذا — غير شخصية اطلاقاً ، بل صفة اجتماعية ، محتومة ، اغلب الظن ، بالاوهام المترسبة بقوة في الرؤوس عن علم الحقوق البرجوازي التافه الضيق الافق .

لماذا يعتبر السيد بلانك ان جميع المبادئ الماركسية قد نسيت في مرحلة «الاعصار» ، وان هذا الامر لا يحتاج حتى الى برهان ؟ لأنه يشوه الماركسية ويحولها الى برينتانية (٦٢) ، لاعتباره ان هذه «المبادئ» كالاستيلاء على الحرية وانشاء سلطة ثورية ، ولجوء الشعب الى العنف ، ليست ماركسية . وهذه النظرة تتخلل كل مقالة السيد بلانك ، وليس مقالة بلانك وحده ، بل ايضاً مقالات جميع الكاديت ، وجميع كتاب المعسكر الليبيرالي والراديكالي ، بمن فيهم البرنشتينيون (٦٣) من «بز زاغلافيا» (٦٤) ، والسيد بروكوبوفيتش

والسيدة كوسكوفا و tutti quanti * ، الذين يمدحون الآن بليخانوف بسبب حبه للكاديت .

لنَر كيف انبثقت هذه النظرة ولماذا كان لا بدّ لها ان تنبثق .

لقد انبثقت مباشرة من الفهم البرنشتيني او ، بصورة اوسع ، من الفهم الانتهازي للاشتراكية-الديموقراطية الاوروبية الغربية . وان اخطاء هذا الفهم التي فضحها «الاورثوذكسيون» (٦٥) في الغرب بدأب وانتظام وعلى طول الخط ، تنقل الآن الى روسيا «في الخفاء» ، تحت صلصة اخرى ، وبمناسبة اخرى . ان البرنشتينيين قد قبلوا ويقبلون الماركسيـــة **باستثناء** جانبهـــا الثوري المباشر . وهـــم لا يعتبرون النضال البرلماني وسيلة من وسائل النضال تصلح على الاخص في مراحل تاريخية معينـــة ، بل يعتبرونه الشكل الرئيسي والوحيد تقريباً للنضال ، الشكل الذي يجعل من «العنف» و«الاستيلاء» و«الديكتاتورية» اموراً غير ضرورية . وهذا التشويه للماركسية الخسيس ، التافه والضيق الافق ، هو الذي ينقله الى روسيا الآن السادة بلانك واضرابه وسائر مداحي بليخانوف الليبيراليين . ولقد ألفوا هذا التشويه الى حد انهم لا يرون حتى من الضروري تقديم البرهان على نسيان المبادئ والافكار الماركسية في مرحلة الاعصار الثوري .

لماذا كان لا بدّ ان تنبثق هذه النظرة ؟ لأنها تتطابق بأعمق نحو مع وضع البرجوازية الصغيرة الطبقي ومع مصالحهـــا . فان ايديولوجي المجتمع البرجوازي «المصفّى» يجيز **جميع** طرائق نضال الاشتراكية-الديموقراطية ، **ما عدا تلك التي يطبقها الشعب الثوري في عهود «الاعصار»** والتي تحبذها الاشتراكية-الديموقراطية الثورية وتساعد في تطبيقهـــا . ان مصالح البرجوازيـــة تتطلب اشتراك البروليتاريا في النضال ضد الاوتوقراطية ، ولكن شرط ان يكون

---

* – وامثالهم . **الناشر** .

اشتراكاً لا يتحول الى زعامة للبروليتاريا والفلاحين ، شرط ان يكون اشتراكاً لا يقضي كلياً على هيئات السلطة القديمة ، الاوتوقراطية الاقطاعية والبوليسية . فان البرجوازية تريد الحفاظ على هذه الهيئات ، شرط ان تخضعها لرقابتها المباشرة ، – فهي ضرورية لها **ضد البروليتاريا** التي من شأن القضاء التام على هذه الهيئات ان يسهّل عليها كثيراً جداً نضالها البروليتاري . ولهذا تتطلب مصالح البرجوازية ، كطبقة ، المَلَكية والمجلس الاعلى سواء بسواء ، تتطلب عدم السماح بديكتاتورية الشعب الثوري . ان البرجوازية تقول للبروليتاريا : ناضلي ضد الاوتوقراطية ، ولكن لا تمسّي هيئات السلطة القديمة ، – فهي ضرورية لي . ناضلي «بطريقة برلمانية» ، اي ضمن الحدود التي اعينها بالاتفاق مع الملكية ، ناضلي بواسطة المنظمات ، – ولكن لا بواسطة منظمات من نوع اللجان الاضرابية العامة وسوفييتات نواب العمال والجنود وخلافها ، بل بواسطة منظمات يعترف بها ، ويقيدها ويشل ضررها على الرأسمال ، القانون الذي اصدرته بالاتفاق مع المَلَكية .

ومن هنا كان مفهوماً لماذا تتحدث البرجوازية عن مرحلة «الاعصار» بازدراء ، واحتقار ، وحقد ، وكره ، – وعن مرحلة الدستورية التي يحميها دوباسوف ، بابتهاج ، ونشوة ، وولوع تافه ضيق الافق لا حدّ له ... بالرجعية . وهذه هي صفة الكاديت الدائمة والثابتة ذاتها ، اي السعي الى الاعتماد على الشعب والخوف من مبادرته الثورية .

ومفهوم كذلك لماذا تخاف البرجوازية تكرار «الاعصار» اشد مما تخاف النار ، لماذا تتجاهل وتطمس عناصر الازمة الثورية الجديدة ، لماذا تدعم وتنشر الاوهام الدستورية في صفوف الشعب .

لقد فسّرنا تماماً الآن لماذا يعلن السيد بلانك وامثاله ان جميع المبادئ والافكار الماركسية قد نسيت في مرحلة «الاعصار» .

فان السيد بلانك ، مثله مثل جميع التافهين الضيقي الافق ، يعترف بالماركسية **باستثناء** جانبها الثوري ، – يعترف باساليب النضال الاشتراكية-الديموقراطية **باستثناء** الاساليب الاشد ثورية والاساليب الثورية المباشرة .

ان موقف السيد بلانك من مرحلة «الاعصار» هو واسع الدلالة الى اقصى حدّ بوصفه صورة بيانية عن عدم الفهم البرجوازي للحركات البروليتارية وعن الخوف البرجوازي من النضال الحادّ الفاصل ، عن الحقد البرجوازي على جميع مظاهر الاسلوب الحادّ الذي يحطم المؤسسات القديمة ، الاسلوب الثوري بمعنى الكلمة المباشر ، لحل القضايا الاجتماعية التاريخية . وقد فضح السيد بلانك نفسه ، وفضح دفعة واحدة كل محدوديته البرجوازية . فقد سمع وقرأ ان الاشتراكيين-الديموقراطيين اقترفوا «الاخطاء» في مرحلة الاعصار ، – فأسرع يستخلص ويعلن بعجرفة ، وبصورة قاطعة ، وبدون اي حجة ودليل ، ان جميع «مبادئ» الماركسية (التي لا يفهم منها شيئاً !) قد نسيت . ونلاحظ بصدد هذه «الاخطاء» قائلين : هل كانت ثمة في تطور الحركة العمالية ، في تطور الاشتراكية-الديموقراطية ، مرحلة لم تقترف فيها هذه او تلك من الاخطاء ؟ ولم تلاحظ فيها هذه الانحرافات او تلك الى اليمين او الى اليسار ؟ وتاريخ المرحلة البرلمانية من النضال الاشتراكي-الديموقراطي الالماني – تلك المرحلة التي تبدو للبرجوازيين المحدودين جميعاً في العالم اجمع حداً يستحيل تجاوزه ! – ألا يحفل ، يا ترى ، بمثل هذه الاخطاء ؟ ولو لم يكن السيد بلانك جاهلاً مطبقاً في مسائل الاشتراكية ، لكان تذكر بسهولة ميولبيرغر ودوهرينغ وقضية Dampfersubvention (٦٦) و«الشبان» (٦٧) ، والبرنشتينية ، وكثيراً كثيراً من الامور الاخرى . ولكن ما يهم السيد بلانك ، ليس دراسة المجرى الفعلي لتطور

الاشتراكية-الديموقراطية ؛ فهو لا يهتم الا بالطعن في نطاق النضال البروليتاري ، لكي يعظم تفاهة حزبه الكاديتي البرجوازية .

وبالفعل ، اذا نظرنا الى القضيـــة من وجهة نظر انحرافات الاشتراكية-الديموقراطية عن سبيلها العادي «الطبيعي» ، فاننا نرى ان مرحلـــة «الاعصار الثوري» تبين ، على هذا الصعيد ايضاً ، تلاحماً ووحدة فكرية في صفوف الاشتراكية-الديموقراطيـــة **اكبر** ، وليس اقل ، بالقياس الى المرحلة الماضية . فان تكتيك عهـــد «الاعصار» لم يباعد ، بل قرّب بين جناحي الاشتراكية-الديموقراطية . وعوضاً عن الخلافات السابقة ، ظهرت وحدة الآراء في مسألـــة الانتفاضة المسلحة . فان الاشتراكيين-الديموقراطيين من الكتلتين قد عملوا في سوفييتات نواب العمال ، في هذه الهيئات الاصيلـــة للسلطة الثوريـــة الجنينيـــة ، واجتذبوا الجنـــود والفلاحين الى هذه السوفييتات ، واصدروا البيانات الثورية مع الاحزاب الثوريـــة البرجوازية الصغيرة ، ومحل المجادلات السابقة في عهد ما قبل الثورة حلّ التضامن في القضايا العملية . وازاح تصاعد الموجة الثوريـــة الخلافات ، واجبر على الاعتراف بالتكتيك القتالي ، واستبعد مسألة الدوما ، وطرح في جدول الاعمال مسألة الانتفاضة ، وقرّب بين الاشتراكية-الديموقراطية والديموقراطية البرجوازية الثورية على اساس العمل القريب المباشر . وفي «سيفيرني غولوس» (٦٨) دعا المناشفة سوية مع البلاشفة الى الاضراب والانتفاضة ، دعوا العمال الى عدم الكف عن النضال طالما لم يقبضوا على زمام السلطة بايديهم . واوحى الوضع الثوري نفسه بالشعارات العملية . ولم تتناول المجادلات الا التفاصيل في تقييم الاحداث : فان «ناتشالو» (٦٩) ، مثلاً ، كانت تعتبر سوفييتات نواب العمال هيئات للادارات الذاتية الثورية ، بينما كانت «نوفايا جيزن» (٧٠) تعتبرها هيئات جنينية للسلطة الثورية تجمع بين البروليتاريا والديموقراطية الثوريـــة . وكانت

«ناتشالو» تميل الى ديكتاتورية البروليتاريا ، بينما كانت «نوفايا جيزن» تتبنى وجهة نظر ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية . ولكن ألا تبيّن لنا اي مرحلة في تطور اي حزب اشتراكي اوروبي هذه الخلافات ومثل هذه الخلافات في داخل الاشتراكية-الديموقراطية ؟

كلا . ان تشويه السيد بلانك للقضية ، وتحريفه الصارخ لتاريخ الامس يفسرهما سبب واحد وواحد فقط ، هو اننا نرى امامنا نموذجاً عن الخساسة البرجوازية المغرورة بنفسها ، تبدو له مراحل الاعصار الثوري جنوناً («نسيت جميع المبادئ» ، «الفكر نفسه والحكمة البسيطة يزولان تقريباً») ، بينما تبدو له مراحل قمع الثورة و«التقدم» التافه الضيق الافق (الذي يحميه دوباسوف واضرابه) عهداً من النشاط العاقل والواعي والمنهاجي . وهذا التقييم المقارن للمرحلتين (مرحلة «الاعصار» والمرحلة الكاديتية) يتبدى بكل جلاء في كل مقالة السيد بلانك . وعندما يسير تاريخ البشرية الى الامام بسرعة القاطرة ، فان هذا «اعصار» ، «سيل» ، «زوال» لجميع «المبادئ والافكار» . وعندما يسير التاريخ بسرعة عربة للنقل تجرها الماشية ، فهذا هو العقل بالذات والمنهاجية بالذات . وعندما تشرع الجماهير الشعبية نفسها ، بكل بدائيتها البكر ، بعزمها البسيط ، الفظ نوعاً ، بصنع التاريخ وبتطبيق «المبادئ والنظريات» مباشرة وفي الحال ، — عند ذاك يشعر البرجوازي بالخوف ، ويزعق بان «العقل يتراجع الى المؤخرة» (أليس بالعكس ، يا ابطال التفاهة وضيق الافق ؟ ألا يبرز في التاريخ ، وفي مثل هذه اللحظات بالذات ، عقل الجماهير ، وليس عقل بعض الافراد ؟ ألا يصبح العقل الجماهيري آنذاك بالذات قوة حية ، فعالة وليس قوة في البرج العاجي ؟) . وعندما تخنق عمليات القتل رمياً بالرصاص ، والعقوبات الجسدية ، وعمليات الجلد بالسياط ، والبطالة والمجاعة الحركة المباشرة

للجماهير ، وعندما تخرج زاحفة من الشقوق بقات العلم الاساتيذي الذي يعيش بالاموال الدوباسوفية وتبدأ تتصرف بالامور **بالنيابة** عن الشعب **باسم الجماهير** ، بائعة وخائنة مصالح الجماهير لحفنات المميَّزين ، – عند ذاك يخيل لفرسان التفاهة وضيق الافق ان عهد التقدم المهدَّأ والهادئ قد حلّ ، «ان دور الفكر والعقل قد حلّ» . ان البرجوازي مخلص لطابعه في كل زمان ومكان : فسواء أخذتم «بوليارنايا زفيزدا» (٧١) ام «ناشا جيزن» ، وسواء طالعتم ستروفه ام بلانك ، ففي كل مكان ترون الشيئ نفسه ، وفي كل مكان تجدون هذا التقييم المحدود ، الدعي على طريقة الاساتيذ ، الميت على طريقة الموظفين ، للمراحل الثورية والمراحل الاصلاحية . الاولى مراحل جنون ، Jahre tolle ، مراحل زوال الفكر والعقل . الثانية مراحل النشاط «الواعي ، المنتظم» .

لا تسيئوا تفسير اقوالي . لا تقولوا اني اقصد تفضيل السادة بلانك واضرابه لهذه المراحل او تلك . فالمسألة لا تكمن البتة في التفضيل ، – فعلى تفضيلنا الذاتي لا يتوقف تعاقب المراحل التاريخية . فالقضية ان السادة بلانك واضرابه **يشوهون الحقيقة** بلا ذمة ولا وجدان ، **عند تحليل خصائص** هذه المرحلة او تلك (بصرف النظر كلياً عن تفضيلنا او عن عواطفنا) . القضية ان المراحل الثورية بالذات هي التي تتميز بمزيد من السعة ، بمزيد من الغنى ، بمزيد من الوعي ، بمزيد من المنهاجية ، بمزيد من الانتظام ، بمزيد من الجرأة والسطوع في الابداع التاريخي بالقياس الى مراحل التقدم التافه ، الضيق الافق ، الكاديتي ، الاصلاحي . والحال ان السادة بلانك واضرابه يصورون القضية بالمقلوب ! فهم يصورون التفاهة بصورة غنى الابداع التاريخي . وهم يرون في خمول الجماهير المقموعة او المسحوقة انتصاراً «للانتظامية» في نشاط الموظفين ، في نشاط البرجوازيين . وهم يزعقون بزوال الفكر والعقل حين تحل ، عوضاً عن

تدبيج مشاريع القوانين من قبـــل شتى المأمورين الدواوينيين و penny-a-liner (الكويتبين الذين يعيشون باجرة بنس واحـــد للسطر الواحد) الليبيراليين ، مرحلة النشاط السياسي المباشر «للشعب البسيط» الذي يحطم بكل بساطة ، بصورة مباشرة وفورية ، هيئات اضطهاد الشعب ، ويستولي على السلطة ، ويأخذ لنفسه ما كان يعتبر ملكاً لشتى ناهبى الشعب ، – وخلاصة القول – عندمـــا يستيقظ على وجه الضبط فكر وعقل ملايين الناس المسحوقين ، عندما يستيقظ ، لا لقراءة الكتب وحسب ، بل ايضاً لأجل العمل ، لأجل العمل الانساني الحي ، لأجل الابداع التاريخي» * .

هكذا كانت المجادلات بصدد الديكتاتوريـــة في عامي ١٩٠٥ و١٩٠٦ في روسيا .

ان السادة ديتمان وكاوتسكي وكريسبين وهيلفردينغ واضرابهم في المانيا ، ولونغه وشركاه في فرنســـا ، وتوراتي واصدقاءه في ايطاليا ، وماكدونالد وسنودن واضرابهما في بريطانيا ، وخلافهـــم يحاكمون بصدد الديكتاتورية ، من حيث جوهر الامر ، كما حاكم بلانك والكاديت عام ١٩٠٥ في روسيا . وهم لا يفهمون الديكتاتورية ، ولا يعرفون كيف يمهدون لها ، ولا يستطيعون ان يفهموها ويطبقوها .

٢٠–١٠–١٩٢٠

صدر في ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠ في مجلة «كومونيستيتشيسكى انترناسيونال» («الاممية الشيوعية») ، العدد ١٤

المجلد ٤١ ، ص ص ٣٦٩–٣٩١

* راجعوا لينين . المؤلفات الكاملـــة ، المجلد ١٢ ، ص ٣١٥ – ٣٢٩ . الناشر .

مؤتمر السوفييتات الثامن لعامة روسيا

٢٢–٢٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠(٧٢)

١

تقرير عن الامتيازات أمام كتلة الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا في مؤتمر السوفييتات الثامن ٢١ كانون الأول (ديسمبر)

أيها الرفاق ، اظن انكم اتخذتم قراراً صحيحاً تماماً حين فضلتم الحديث عن الامتيازات فى الكتلة اولاً . ان مسألة الامتيازات قد استثارت في كل مكان ، بموجب المعلومات التي لدينا ، قدراً غير قليل من الانفعال ، وحتى من القلق لا في الأوساط الحزبية وفي صفوف جماهير العمال وحسب ، بل أيضاً بين جماهير الفلاحين الواسعة . ولقد أشار جميع الرفاق الى ان الأسئلة الشفوية والأسئلة الخطية عن الامتيازات هي أكثر ما دوت وتواردت في أغلبية الاجتماعات المخصصة لمختلف المواضيع بعد مرسوم ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) من العام الجاري (٧٣) ، وكانت اللهجة العامة السائدة سواء في هذه الأسئلة الخطية أم في الأحاديث هي التخوف : لقد طردنا رأسماليينا ، ونريد السماح بدخول الرأسماليين الأجانب . اني اعتقد بأن هذه المخاوف ، بان هذا الاهتمام الواسع بالامتيازات الذي أبداه آخرون كثيرون علاوة على الرفاق الحزبيين ، انما هو علامة طيبة تبين لنا ان سلطة العمال والفلاحين قد اشتد ساعدها خلال ثلاثة أعوام من نضال صعب الى ما لا قياس له ، وان التجربة حيال الرأسماليين قد رسخت الى حد ان الجماهير الواسعة تعتبر سلطة العمال والفلاحين على درجة من المتانة بحيث تستغني عن الامتيازات ، وانها قد تعلمت من تجربتها الى حد انها لا تقدم على عقد صفقة ما مع

الرأسماليين الا في حال الضرورة . ان هذا النوع من المراقبة من أسفل ، هذا النوع من المخاوف من قبل الجماهير ، هذا النوع من الانفعال في الأوساط غير الحزبية تدل على الانتباه الخارق الشدة حيال العلاقات بيننا وبين الرأسماليين . واني اعتقد بانه ينبغي لنا حتماً من هذه الناحية ان نرحب بمثل هذه المخاوف باعتبارها دليلاً على مزاج الجماهير الواسعة .

ومع ذلك ، اعتقد أننا نتوصل الى الاقتناع بأنه لا يجوز الاسترشاد في مسألة الامتيازات بهذه الغريزة الثورية وحدها . فنحن اذ نزن المسألة من جميع جوانبها ، نقتنع بصحة السياسة التي اتخذناها ، والتي تتلخص في اقتراح الامتيازات . وبوسعي أن أقول بايجاز ان الموضوع الرئيسي لتقريري ، أو بالأصح القول ، لتكرار الحديث الذي جرى منذ وقت غير بعيد جداً في موسكو مع بضع مئات من المسؤولين (٧٤) ، لأني لم أحضر تقريراً ولا أستطيع تقديمه ، ان الموضوع الرئيسي لهذا الحديث هو تقديم البرهان على فكرتين أساسيتين ، هما بالضبط ، أولاً ، ان كل حرب هي استمرار للسياسة القائمة في ظل السلام ولكن بوسائل أخرى ، ثانياً ، ان الامتيازات التي نمنحها والتي نضطر الى منحها ، هي استمرار للحرب بشكل آخر ، بوسائل أخرى . وللبرهان على هاتين الفكرتين الأساسيتين ، أو بالأصح ، الثانية منهما فقط ، لأن الأولى لا تحتاج بوجه خاص الى البراهين ، ابدأ بالجانب السياسي من المسألة . أني اتوقف عند العلاقات بين الدول الامبريالية المعاصرة ، العلاقات ذات الاهمية الجوهرية لفهم كامل السياسة الخارجية العصرية . وهذا جوهري لفهم الأسباب التي حملتنا على انتهاج هذه السياسة .

لقد وجه الاميركي فاندرليب رسالة الى مجلس مفوضي الشعب قال فيها : «نحن الجمهوريين ، الذين ننتسب الى حزب الجمهوريين في أميركا ، الى حزب الرأسمال المالي الضخم ، الحزب

المرتبط بذكريات الحرب من أجل التحرر ضد الولايات الجنوبية ، نحن الآن لسنا في الحكم» . وقد كتب هذا قبل الانتخابات التي جرت في تشرين الثاني (نوفمبر) وكتب أيضاً : «سننتصر في تشرين الثاني في الانتخابات (وقد انتصروا الآن) ، وفي آذار (مارس) سيكون الرئيس من حزبنا . ان سياستنا لن تكرر تلك الحماقات التي ربطت اميركا بالشؤون الأوروبية ، وسننصرف الى مصالحنا . ومصالحنا الاميركية تسوقنا الى الاصطدام باليابان ، وسنحارب اليابان . ولربما يهمكم ان تعرفوا ان أسطولنا سيكون في عام ١٩٢٣ أقوى من الأسطول البريطاني . ولكي نحارب ينبغي ان يكون البترول في ايدينا ، فبدون البترول لا نستطيع خوض الحرب العصرية . ولا يجب امتلاك البترول وحسب ، بل يجب كذلك اتخاذ التدابير لكي لا يملك الخصم البترول . وأحوال اليابان في هذا الصدد سيئة . في جوار كامتشاتكا ، خليج ما (نسيت اسمه) توجد فيه ينابيع بترول ، ونريد ان لا يحصل اليابانيون على هذا البترول . فاذا بعتمونا هذه الأرض ، فاني اضمن ان شعبنا ستستحوذ عليه الحماسة الى حد اننا نعترف على الفور بحكومتكم . واذا لم تبيعونا ، بل منحتمونا امتيازاً فقط ، فاني لا أستطيع القول اننا سنرفض النظر في هذا المشروع . ولكني لا أستطيع ان أعد بحماسة تضمن الاعتراف بالحكومة السوفييتية» .

ان رسالة فاندرليب عرضت بصراحة تامة وبصفاقة لم يسمع بمثلها من قبل وجهة نظر الامبريالي الذي يرى بوضوح ان الحرب ضد اليابان تقترب ، ويطرح المسألة صراحة ، على المكشوف : اعقدوا صفقة معنا ، تحصلوا آنذاك على فوائد معينة . وقد طرحت المسألة كما يلي : الشرق الأقصى وكامتشاتكا وجزء من سيبيريا موجودة الآن عملياً في ملكية اليابان ، لأن قواتها الحربية تأمر وتنهي هناك ، لأن الأوضاع ، كما تعرفون ، اجبرت على انشاء

الدولة المصدّة ، بشخص جمهورية الشرق الأقصى (٧٥) ؛ ونحن نعرف جيداً جداً أي مصائب لا تصدق يعانيهـــا الفلاحون السيبيريون من الامبريالية اليابانية ، واي عدد لا سابق له من الاعمال الوحشية ارتكبها اليابانيون في سيبيريـــا . وهذا ما يعرفـــه الرفاق السيبيريون : ان مطبوعاتهم الصادرة منذ وقت قريب تتحدث عن ذلك بالتفصيل . ولكننا لا نستطيع مع ذلك ان نخوض الحرب ضد اليابان ، ويجب علينا ان نفعل كل شيء ونحاول ، لا تأجيل الحرب ضد اليابان وحسب ، بل ، اذا امكن ، الاستغناء عنهـــا أيضاً ، لأننـــا عاجزون الآن عن خوضها نظراً للظروف المفهومة . وفي الوقت نفسه ، تلحق بنا اليابان ضرراً فادحاً جداً بقضائها على صلاتنـــا مع التجارة العالمية عبر المحيط الهادي . وفي مثل هذه الظروف ، اذ نجد أمامنا نزاعاً يتنامى ، اصطداماً يتنامى بين اميركا واليابان ، – لأن صراعاً ضارياً للغاية يحتدم بين اميركا واليابان منذ عقود عديدة من السنين بسبب من المحيط الهادي وامتلاك سواحله ، ولأن كل التاريـخ الديبلوماسي والاقتصادي والتجاري الذي يتناول المحيط الهـــادي وسواحله ، حافل كلياً باشارات واضحـــة تماماً تدل على ان هذا الاصطدام يتنامى ويجعل الحرب بين اميركا واليابان لا مناص منها ، – في مثل هذه الظروف ، نجد أنفسنا في نفس الوضع الذي كنا فيـــه في غضون ثلاثـــة أعوام : الجمهورية الاشتراكية مطوقـــة ببلدان امبريالية هي أقوى منا بما لا يقاس في المضمار الحربي ، وتلجأ الى جميـــع وسائل التحريض والدعاية لكي تشدد الكره للجمهوريـــة السوفييتيـــة ولا تدع فرصة تفوتها من أجل التدخل الحربي ، كمـــا يصرحون ، أي من أجل خنق السلطـــة السوفييتية .

واذا تذكرنا هذا والقينا نظرة عامة ، من وجهـــة نظر وضـــع الجمهورية السوفييتيـــة الدولي ، الى السنوات الثلاث التي عشناها ، اتضح لنا اننا لم نتمكن من الصمود ولم نتمكن من التغلب على حلف

دول الوفاق الذي لم يسمع من قبل بمثل جبروته ، والذي دعمه حرسنا الأبيض ، الا لانه لم تكن ثمة أي وحدة بين هذه الدول . ولم نتمكن من احراز النصر حتى الآن الا بفضل الخلافات الفائقة العمق بين الدول الامبريالية وبفضل ان هذه الخلافات لم تكن خلافات حزبية داخلية عرضية ، بل كانت هذا التنافر الفائق العمق الذي يستحيل استئصاله بين المصالح الاقتصادية للبلدان الامبريالية التي لا يسعها ، بسبب من وقوفها على صعيد الملكية الخاصة للارض والرأسمال ، ألا تنتهج تلك السياسة النّهابة الوحشية التي تبددت هباء في ظلها محاولات توحيد قواها ضد السلطة السوفييتية . لنأخذ ، مثلاً ، اليابان التي كانت تقبض في يديها على سيبيريا كلها تقريباً والتي كان في مقدورها بالطبع ان تساعد كولتشاك في أي وقت كان – فالسبب الرئيسي الذي حملها على الامتناع عن هذا ، يتلخص في كون مصالحها تختلف بصورة جذرية عن مصالح أميركا وفي كونها لم تشأ ان تسحب الكستناء من النار لأجل الرأسمال الاميركي . ونحن ، اذ كنا نعرف هذا الضعف ، لم يكن في وسعنا بالطبع ان ننتهج أي سياسة غير التي تضع نصب عينيها مهمة استغلال هذا التنافر بين اميركا واليابان بحيث نقوي أنفسنا ونستبعد امكانية اتفاق اليابان واميركا ضدنا ؛ اما ان هذا الاتفاق ممكن ، فهذا ما لدينا مثال عليه : لقد نشرت الجرائد الاميركية نص اتفاقية بين جميع البلدان التي وعدت بتأييد كولتشاك (٧٦) .

يقيناً ان هذا الاتفاق قد تفسخ ، ولكنه ليس ثمة ما يحول دون سعي هذه البلدان ، لدن أول فرصة سانحة ، الى بعث هذا الاتفاق . فبقدر ما تزداد الحركة الشيوعية عمقاً وبقدر ما تشتد رهبتها ، بقدر ما يكررون محاولاتهم لخنق جمهوريتنا . ومن هنا سياستنا القائلة باستغلال التنافر بين الدول الامبريالية من أجل تصعيب الاتفاق أو جعله ، اذا أمكن ، مستحيلاً لفترة من الزمن .

هذه هي الخطـــة الأساسية في سياق ثلاثة أعوام من سياستنا التي استتبعت ضرورة التوقيع على صلح بريست واستتبعت كذلك ضرورة التوقيع على المعاهدة مع بوليت ، وهي معاهدة بشأن الصلح والهدنة غير مفيدة لنا الى أقصى حد . وهذه الخطـــة نفسها تتحـدد بالنسبة لنـــا الآن بحيث يجب علينا ان نتمسك بكلتـــا اليدين باقتراح من نوع الامتيازات . اننا نعطي الآن اميركا كامتشاتكا التي ليست لنا على كل حال من حيث جوهر الأمر ، لأن القوات اليابانية موجودة هناك . وفي الوقت الحاضر ليس في مقدورنا محاربة اليابان . نحن نعطي اميركا أرضاً لأجل الاستثمار الاقتصادي ليست لنا فيها اطلاقاً لا قوات بحرية ولا قوات حربية ولا نستطيع ان نرسل اليها اطلاقـــاً قوات كهذه . ونحن باعطائنا هذه الأرض نجتذب الامبريالية الاميركيـة ضد الامبريالية اليابانية وضد البرجوازية اليابانية الموجودة على مسافة اقرب الينا والتي لا تزال تقبض على جمهورية الشرق الأقصى .

وهكذا كانت مصالحنا السياسية هي المصالح الرئيسيـــــة لدن المفاوضات بشأن الامتيازات . وقد أثبتت احداث الآونة الأخيرة بأكمل الوضوح اننا كسبنا من مجرد الأحاديث بشأن هذه الامتيازات . نحن لمّا نمنح امتيازات وليس في وسعنا ان نمنحها طالما لم يستلم الرئيس الاميركي مقاليد الحكم ، وهذا لن يتـم قبـــل شهر آذار (مارس) ، ناهيك عن اننا نحتفظ بامكانية الامتناع عن توقيـــع المعاهدة لدن صياغتها بصورة مفصلة .

وهذا يعني ان هذه المسألة هي ، اقتصاديـــاً ، من الدرجة الثانية تماماً ، وكل جوهرها يتلخص في الفائدة السياسية . امـــا اننا كسبنا فهذا ما تؤكده جميـع المنشورات في الصحافـــة التي تلقيناها . فقد ألح فاندرليب نفســـه على انه ينبغي ابقاء مشروع الامتيازات قيد الكتمان الى حين . ينبغي ابقاؤه قيد الكتمان طالما لم ينتصر الحزب الجمهوري . وقد وافقنا على عدم نشر رسالته وكل

المشروع التمهيدي سواء بسواء . ولكنه تبين انه يستحيل اخفاء هذا الضرب من السر زمناً طويلاً . فما ان وصل فاندرليب الى اميركا حتى بدأ الفضح على الفور بشتى الاشكال . وقبل الانتخابات في اميركا كان هاردينغ مرشحاً للرئاسة وقد فاز الآن . وقد نشر هاردينغ هذا في الجرائد تكذيباً للشائعة القائلة انه يقيم بواسطة فاندرليب علاقات مع السلطة السوفييتية . كان تكذيبه قاطعاً جداً ، ويتسم بالطابع التالي تقريباً : انا لا أعرف فاندرليب ولا اعترف بأي علاقات مع السلطة السوفييتية . ولكنه واضح تماماً ما الذي استدعى هذا التكذيب . عشية الانتخابات في أميركا البرجوازية ، كانت سمعة تأييد الاتفاق مع السلطة السوفييتية تعني بالنسبة لهاردينغ ، حسب كل احتمال ، خسارة بضعة مئات الآلاف من الاصوات ولهذا نشر بتسرع انه لا يعرف فاندرليب على الاطلاق . ولكن ما ان انتهت الانتخابات حتى بدأنا نتلقى من أميركا معلومات ذات طابع آخر تماماً . فان فاندرليب يوصي بكل شكل وأسلوب ، في جملة من المقالات في الجرائد ، بالاتفاق مع السلطة السوفييتية ، حتى انه كتب في احدى الجرائد انه يقارن بين لينين وواشنطن . وهكذا تبين ان لدينا في البلدان البرجوازية دعاة لاتفاق معنا ، وهؤلاء الدعاة لم نحصل عليهم في شخص السفير السوفييتي ولا في عداد الصحفيين ، بل في وسط ممثلي المستثمرين من الطراز الاردأ ، الذين فاندرليب منهم .

وعندما رويت في اجتماع المسؤولين ما أرويه الآن ، قام رفيق عاد من أميركا وكان يشتغل في مصانع فاندرليب وأعرب لنا عن ذعره وقال ان الاستثمار الذي رآه في مصانع فاندرليب لم ير مثيلاً له في أي مكان آخر . وهكذا نلنا في شخص مثل هذا الضاري من ضواري الرأسمالية داعية للعلاقات التجارية مع الاتحاد السوفييتي ، وحتى اذا كنا لا نحصل على شيء باستثناء المعاهدة المفترضة بشأن

الامتيازات ، فانه يمكننا القول حتى في هذه الحال بأننا كسبنا . فلدينا جملة كاملة من الأنباء ، السرية طبعاً ، وهي تفيد ان البلدان الرأسمالية لم تعدل عن عزمها على شن الحرب من جديد على روسيا السوفييتية في الربيع ، ولدينا جملة كاملة من المعلومات تفيد ان بعض الدول الرأسمالية تقوم بالخطوات التحضيرية ، بينا رجال الحرس الأبيض يقومون ، كما يمكن القول ، بعمل تحضيري في جميع الدول . ولهذا كانت مصلحتنا الرئيسية ان نتوصل الى بعث العلاقات التجارية ، ولهذا الغرض ينبغي ان يكون الى جانبنا وان قسم ما من الرأسماليين .

ان الصراع قائم في بريطانيا من زمان . وقد كسبنا لأننا استلمنا الى جانبنا من بين ممثلي الاستثمار الرأسمالي الأضرى أناساً يؤيدون سياسة بعث العلاقات التجارية مع روسيا . ان المعاهدة مع بريطانيا ، الاتفاقية التجارية مع بريطانيا لم توقع بعد . وفي هذا الصدد ، يجري كراسين في لندن مفاوضات مشتدة . لقد عرضت علينا الحكومة البريطانية مشروعها ، ونحن أعطينا مشروعاً مقابلاً من وضعنا ، ولكننا نرى مع ذلك ان الحكومة البريطانية تؤجل الاتفاقية ، وان الحزب الرجعي الحربي يعمل هناك بفائق الجهد ، وان هذا الحزب هو الذي انتصر حتى الآن وهو الذي يعيق عقد الاتفاقيات التجارية . ومصلحتنا المباشرة وواجبنا المباشر أن ندعم كل ما من شأنه ان يقوي الأحزاب والفئات التي تسعى الى عقد هذه المعاهدة معنا . وفي شخص فاندرليب ، حصلنا على نصير من هذا الطراز ، وهذا ليس مجرد صدفة ، ولا يمكن تفسيره فقط بكون فاندرليب ذا همة خاصة في القيام بالمشاريع ، أو بكون فاندرليب يعرف جيداً جداً سيبيريا . هنا تكمن أسباب أعمق مرتبطة بتطور مصالح الامبريالية البريطانية التي تملك عدداً

من المستعمرات لا يصدق . والتنافـــر بين الامبرياليتين الاميركية والبريطانية عميق هنا ، وواجبنا المحتم ان نعتمد على هذا .

لقد ذكرت بان فاندرليب يعرف سيبيريا جيداً جداً . وعندمـا بدأت احاديثنا تقترب من نهايتهـــا ، أشار الرفيق تشيتشيرين الى انه يجدر استقبال فاندرليب لأن هذا سيؤثر تأثيراً رائعاً في أعماله وأقواله اللاحقة في أوروبا الغربية . ومع ان احتمال الحديث مـــع مثل هذا الضاري الرأسمالي ليس بالطبع من عداد الاشياء المستطابة ، الا ان الحديث مع فاندرليب لم يعد بوسعه ، طبعاً ، ان يخيفني بعد ان ترتب علي ، بدافع الوظيفـــة والواجب ، ان اتحدث بفائق الأدب حتى مع المرحوم ميرباخ . ومن الطريف اننا عندما تبادلنا مع فاندرليب شتى اللطائف الكلامية وشرع يقول مازحاً ان الاميركيين شعب عملي فوق العادة ولا يصدقون أحداً طالما لم يروا بأم عيونهم ، أجبتـــه نصف مازح أيضا : «أنت سترى الآن ان الحال جيد في روسيـــا السوفييتية ، فطبق هذا في بلدك اميركا» . اجابني عن هذا ، لا بالانجليزية بل بالروسية : «ربما» . «كيف ؟ تعرف حتى الروسية ؟» . قال : «لقد قطعت في سيبيريا خمســـة آلاف فرسخ منـــذ سنوات عديدة ، وسيبيريا أثارت اهتمامي» . وانتهت مبادلـــة هذه اللطائف المازحة مع فاندرليب بأن قال فاندرليب قبل ذهابه : «اجل ، يجب الاعتراف بأن ليس للسيد لينين قرون ، وسيترتب عليّ ان أقول هذا لجميع معارفي في اميركا» . ولكان ذلك ، بالطبع ، أمراً تافهـــاً لو لم نتلق فيما بعد أنباء من الصحافـــة الأوروبية تفيد ان السلطـة السوفييتيـــة فظيعـــة وانه يستحيل اقامة العلاقات معها . وقـد أمكننا ان نرمي في هذا المستنقع حجراً بشخص فاندرليـب ، نصير بعث العلاقات التجارية معنا .

وهل كان ثمـــة نبأ واحد على الأقل من اليابان لا يفيد عن الانفعالات الخارقة العادة في الأوساط التجارية اليابانية ؟ ان الرأي

العام الياباني يقول انه لن يتراجع ابداً عن مصالحه وانه يعارض منح الامتيازات من جانب السلطة السوفييتية . وبكلمة ، حصلنا على تأزم هائل في العداوة بين اليابان واميركا ، وحصلنا بالتالي على زيادة ضعف لا ريب فيها في ضغط اليابان واميركا علينا .

في اجتماع المسؤولين عينه في موسكو ، حيث أبلغت هذا الواقع ، طرح أثناء النقاش السؤال التالي : «ينجم ، كما كتب أحد الرفاق ، اننا ندفع اليابان واميركا الى الحرب ، ولكن العمال والفلاحين هم الذين سيحاربون . صحيح انهما دولتان امبرياليتان ، ولكن هل يجوز لنا نحن الاشتراكيين ان ندفع دولتين الى الحرب ونعمل على اهراق دماء العمال ؟» . على هذا أجبت اننا اذا دفعنا فعلاً العمال والفلاحين الى الحرب ، ارتكبنا جريمة . ولكن كل سياستنا ودعايتنا موجهتان اطلاقاً لا نحو دفع الشعوب الى الحرب ، بل نحو وضع حد للحرب . وقد قدمت التجربة البرهان الكافي على ان الثورة الاشتراكية وحدها هي المخرج من الحروب الأبدية . وعلى هذا النحو لا تتقوم سياستنا في التحريض على الحرب . ونحن لم نفعل شيئاً من شأنه ان يبرر الحرب ، مباشرة أم بصورة غير مباشرة ، بين اليابان واميركا . ان كل دعايتنا وجميع مقالاتنا الصحفية حافلة بايضاحات للحقيقة القائلة ان الحرب بين اميركا واليابان ستكون حرباً امبريالية كما كانت حرب الفريق البريطاني ضد الفريق الألماني عام ١٩١٤ ، وانه سيترتب على الاشتراكيين ان يفكروا باسقاط حكم الرأسماليين وبثورة العمال لا بالدفاع عن الوطن . ولكن اذا كنا ، مع قيامنا بكل ما تستطيعه قوانا من أجل التعجيل بهذه الثورة ، نجد انفسنا في وضع جمهورية اشتراكية ضعيفة يهاجمها الامبرياليون اللصوص ، فهل تكون سياستنا الهادفة الى استغلال التنافر بينهم لكي نصعب عليهم الاتحاد ضدنا صحيحة ؟ يقيناً ان هذه السياسة صحيحة . ولقد انتهجناها خلال أربعة أعوام . وكانت معاهدة

بريست الواقع الرئيسي الذي تجلت به هذه السياسة . وطالما كانت الامبريالية الألمانية تقاوم ، فقد استطعنا ، باستغلال تناقضات الامبرياليين فيما بينهم ، ان نصمد حتى عندما لم يكن الجيش الأحمر قد تشكل بعد .

هذا هو الوضع الذي تكونت فيه سياستنا في ميدان الامتيازات فيما يخص كامتشاتكا . ان هذا النوع من الامتيازات هو استثنائي نسبياً . وسأتحدث فيما بعد عن كيف تتشكل المواضيع الأخرى للامتيازات . أما الآن فاكتفي بالجانب السياسي من المسألة . اريد ان أشير الى ان العلاقات بين اليابان واميركا تنطوي على تفسير اسباب منفعتنا من عرض الامتيازات أو من الاغراء بالامتيازات . فان الامتياز يفترض بعث الاتفاقات السلمية على هذا النحو أو ذاك ، بعث العلاقات التجارية ، يفترض امكان انفتاح الأسواق أمامنا على نطاق واسع وبصورة مباشرة لشراء الآلات الضرورية لنا . فينبغي لنا ان نوجه جميع جهودنا نحو تحقيق هذا . فان هذا لم يتحقق بعد .

ان الرفيق الذي يطرح سؤالاً عن بعث العلاقات التجارية مع بريطانيا يسأل لماذا يتأخر التوقيع على الاتفاقية مع بريطانيا ؟ اني أجيب : يتأخر لأن الحكومة البريطانية تتردد . ان أغلبية البرجوازية التجارية والصناعية في بريطانيا تؤيد بعث العلاقات وترى بوضوح ان القيام بخطوات تدعم الحرب انما يعني المجازفة مجازفة استثنائية وتعجيل الثورة . وأنتم تذكرون كيف أن الحكومة البريطانية هددتنا بانذار ابان زحفنا على فرصوفيا وقالت انها ستأمر الأسطول بالتحرك ضد بتروغراد . وانتم تذكرون كيف تغطت بريطانيا كلها «بلجان العمل» (٧٧) وكيف اعلن الزعماء المناشفة للطبقة العاملة الانجليزية انهم ضد الحرب وانهم لا يسمحون بهذه الحرب . ومن جهة أخرى ، يؤيد القسم الرجعي من البرجوازية البريطانية والزمرة الحربية من البلاط مواصلة الحرب . ولا ريب في انه يجب ان نعزو التأخر في

توقيع الاتفاقية التجارية الى نفوذهما . ولن اتحدث عن مختلف تطورات هذه العلاقات التجاريـــة مع بريطانيا ، هذه المعاهدة حول العلاقات التجارية مع بريطانيا لأن هذا يسوقنى بعيداً جداً . وفي الآونة الأخيرة ناقشت لجنة الحزب المركزية هذه المسألة الشائكة نقاشاً شديداً جداً . وقد عدنا اليها مراراً عديدة فوق العادة ، مع العلم ان سياستنا هنا تحددت الى جانب الحد الأقصى من التنازل . وهدفنـا الآن ان نحصل على اتفاقية تجارية مع بريطانيـا لكي نبدأ التبادل التجاري على نحو أصح ، لكي تتوافر لنا من أجل برنامجنا الواسع لبعث الاقتصاد الوطني امكانية شراء الآلات اللازمة بأسرع وقت ممكن . وبقدر مـــا نسرع ونفعل هذا ، بقدر ما تتكاثر عندنا الأسس للاستقلال الاقتصادي عن البلدان الرأسمالية . والآن على وجـــه الضبط ، اذ احترقوا في لهيب الزحف الحربي على روسيا ، لا يسعهم ان يفكروا فوراً باستئناف الحرب ؛ فيجب علينا استغلال الفرصة وتوجيـــه جميع القوى لكي نتوصل الى اقامة العلاقات التجارية ، وان بثمن الحـد الأقصى من التنازلات ، لأننا لا نؤمن ثانية واحدة بعلاقات تجارية متينـــة مـع الدول الامبريالية : فان هذه ستكون هدنة موقتة . فان تجربة تاريخ الثورات وتاريخ النزاعات الكبرى تعلم ان الحروب ، ان جملـــة من الحروب امر محتم لا مناص منه . اما مسألة وجود الجمهوريـــة السوفييتيـــة الى جانب البلدان الرأسمالية ، الجمهورية السوفييتية المحاطـــة بالبلدان الرأسماليـــة فانهـــا أمر غير مقبول بنظر الرأسمالية الى حد انهم يستغلون كل فرصة لاستئناف الحرب . ان الشعوب قد تعبت الآن من الحرب الامبريالية ، وهي تهدد بالتمرد في حال مواصلة الحرب ، ولكنـه ليس من المستبعـــد ان يتمكن الرأسماليون من استئنافها بعد مرور بضعة أعوام . ولهذا يجـــب علينا ان نوجه جميع القوى لأجل استغلال الفرصـــة ما دامت سانحة ، وعقد المعاهدات التجاريـــة . وبوسعي ان اقول هنا ما يلي (وارجو

عدم تسجيل هذا) . اني اعتقد اننا بموقفنا الثابت ، – وهو ان الاممية الشيوعية ليست مؤسسة حكومية ، – سنحرز الغلبة في آخر المطاف ، خصوصاً وانه لا بدّ لبرجوازية بريطانيا ان ترى بحكمتها خراقة محاولة الوقوف ضد الاممية الثالثة . فان الاممية الثالثة قد تأسست في آذار (مارس) ١٩١٩ . وفي تموز (يوليو) ١٩٢٠ انعقد المؤتمر الثاني ، وبعد ذلك اعلنت على المكشوف في جميع البلدان شروط موسكو (٧٨) . وعلى المكشوف يحتدم النضال من أجل الانضمام الى الاممية الشيوعية . وفي كل مكان ، تتوفر الاسس التنظيمية لحزب شيوعي . وفي مثل هذه الاحوال ، تكون محاولة طرح مسألة جدية علينا بصورة انذار – اسعوا جهدكم لتصفية الاممية الشيوعية – شيئاً غير مقبول . ولكن اصرارهم على هذا يبين اين تؤلمهم الجزمة وما لا يطيب في سياستنا . الا اننا ، حتى بدون ذلك ، كنا نعرف ما لا يطيب لهم في سياستنا . وهناك مسألة اخرى يمكن التحدث عنها في اجتماع حزبي وتقلق بريطانيا ، هي مسألة الشرق . فان بريطانيا تريد ان تلزمنا بعدم القيام بأي شيء ضد مصالح بريطانيا في الشرق . ونحن مستعدون بكل طيبة خاطر باعطاء هذا الالتزام . مثلاً ، انعقد مؤتمر شعوب الشرق (٧٩) ، مؤتمر شيوعي ، في باكو ، في جمهورية اذربيجان المستقلة ، وليس في جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية . ولن تفلح الحكومة البريطانية في تقديم البرهان ضدنا على اننا قمنا بشيء ما ضد مصالح انجلترا . وبما انهم لا يعرفون جيداً دستورنا ، فانهم يخلطون احياناً جمهورية اذربيجان مع جمهورية روسيا السوفييتية . الا ان قوانيننا دقيقة وواضحة في هذا الصدد ،ومن السهل دحض اكاذيب الوزراء البريطانيين . ولكن الخلافات في هذا الموضوع لا تزال قائمة ، وحول هاتين النقطتين الشائكتين يلف ويدور كراسين مع الوزراء .

في تموز (يوليو) ، عندما كانت الهزيمة التامة تحيق ببولونيا ،

عندما كان الجيش الأحمر يهدد بتحطيم بولونيا ، عرضت بريطانيا نصاً كاملاً لاتفاقية جاء فيه قوله : مبدئياً يجب عليكم ان تصرحوا بانكم لن تقوموا بدعاية رسمية ولن تتخذوا أي تدبير ضد مصالح بريطانيا في الشرق . فهذا سيكون موضع دراسة في مؤتمر سياسي لاحق ، أما الآن فاننا سنعقد الاتفاقية التجارية المعينة . فهل يناسبكم ان توقعوا ؟ أجبنا : مناسب . ونقول الآن ايضاً اننا سنوقع هذه الاتفاقية . وفي المؤتمر السياسي ، ستحدد مصالح بريطانيا في الشرق بمزيد من الدقة . ونحن أيضاً لنا بعض المصالح في الشرق ، وسنعرضها بالتفصيل عند الاقتضاء . ان بريطانيا لا تستطيع ان تقول صراحة انها تتراجع عن اقتراحها في شهر تموز (يوليو) ولهذا تماطل وتخفي عن شعبها بالذات الحقيقة بصدد المفاوضات . ان وضع المفاوضات غامض ، ونحن لا يسعنا ان نضمن ان هذه الاتفاقية ستوقع . فان النفوذ الأقوى في بريطانيا ، النفوذ البلاطي والعسكري ، يعمل ضد هذه الاتفاقية . ولكننا نقدم الآن على الحد الأقصى من التنازلات ونعتقد بانه من المفيد لنا ان نحصل على اتفاقية تجارية وان نشتري بأسرع ما يمكن بعض الأشياء الأساسية اللازمة لبعث النقليات أي القاطرات ، ولبعث الصناعة ، وللكهربة . وهذا بالنسبة لنا هو الأهم . فاذا حصلنا على هذا ، سنقوى في غضون بضعة أعوام بحيث ان التدخل العسكري سيتحطم ، حتى في أسوأ الحالات ، اذا ما وقع بعد بضعة أعوام ، لأننا سنكون أقوى مما نحن عليه اليوم . ان سياستنا في اللجنة المركزية تسير حسب خط الحد الأقصى من التنازلات في صالح بريطانيا . واذا كان هؤلاء السادة يظنون انهم سيمسكوننا بوعود ما ، فاننا نعلن ان حكومتنا لن تقوم بأي دعاية رسمية ، واننا لا نعتزم المساس بأي من مصالح بريطانيا في الشرق . واذا كانوا يأملون في ان يخيطوا لأنفسهم فروة من هذا ، فليجربوا ، فاننا لن نتضرر من هذا .

لقد اقتربت من مسألة موقف بريطانيا من فرنسا . العلاقات هنا مشوشة . فمن جهة ، تشترك بريطانيا وفرنسا في عصبة الأمم وهما ملزمتان بالعمل معاً ، ومن جهة أخرى ، لا تعملان معاً كلما تأزم الحال . وعندما كان الرفيق كامينيف في لندن وأجرى المفاوضات سوية مع كراسين ، تكشف هذا الأمر بوضوح . فان فرنسا كانت تقول بمساعدة بولونيا وفرانجل ، بينا أعلنت الحكومة البريطانية : «نحن لن نسير مع فرنسا» . ان الامتيازات مقبولة بالنسبة لبريطانيا أكثر مما هي مقبولة بالنسبة لفرنسا التي لا تزال تحلم بقبض الديون ، بينا كف الرأسماليون العمليون نوعاً في بريطانيا عن التفكير بهذا . ومن هذه الناحية أيضاً ، من المفيد لنا استغلال النفور بين بريطانيا وفرنسا ، ولهذا ينبغي الالحاح على الاقتراح السياسي بمنح بريطانيا امتيازات . والآن لدينا مشروع معاهدة فيما يتعلق بامتيازات الغابات والخشب في الشمال الأقصى . ونحن نجد أنفسنا في ظروف واجبنا فيها ، بفضل انعدام الوحدة بين بريطانيا وفرنسا ، ان لا نمتنع حتى عن المجازفة الى حد ما شرط التوصل الى تصعيب التحالف العسكري بين بريطانيا وفرنسا ضدنا . ان حرباً جديدة تدعمها بريطانيا وفرنسا ضدنا ، ستتسبب لنا (حتى ولو انهيناها نهاية مظفرة كما انهيناها الآن ضد فرانجل) بأعباء هائلة ، وتصعب تطورنا الاقتصادي ، وتؤزم وضع العمال والفلاحين . ولهذا ينبغي لنا ان نقدم على كل ما يعود علينا بخسائر أقل . والحال ، ما هي الخسائر من الامتيازات ؟ انها لا شيء بالقياس الى ما قد يؤول اليه تجميد بنائنا الاقتصادي وهلاك آلاف العمال والفلاحين اذا لم نتوفق ونعارض تحالف الامبرياليين . وهذا واضح . ومن الوسائل لمعارضة تحالفهم ، المفاوضات مع بريطانيا بشأن الامتيازات . هذا هو الجانب السياسي من المسألة .

وأخيراً لنأخذ موقف بريطانيا ودول الوفاق كله من ألمانيا . ان

ألمانيـــا هي البلد الأكثر تقدماً باستثناء أميركا . بل ان مستواها التكنيكي في ميدان تطور الكهربـــاء أعلى من مستوى اميركا . وهذا البلد ، المربوط بمعاهدة فرساي ، يجد نفسه في ظروف يستحيل فيهـــا الوجود . وفي مثل هذا الوضع ، تميل ألمانيـــا ، بالطبع ، الى التحالف مع روسيا . فعندما اقتربت القوات الروسية من فرصوفيـا ، كانت ألمانيا بأسرها تغلي غلياناً . ان تحالف هذا البلد المخنوق ، الذي في مقدوره ان يضع قيد العمـــل قوى منتجـــة هائلـة ، ان تحالف هذا البلـــد مـــع روسيـــا انمـــا هو الذي أدى الى الاختلاط السياســـــي في ألمانيـــا : فان المائـة الســـــود الألمان ساروا في صف واحـد مـــع السبارتاكيين (٨٠) في العطف على البلاشفـــــة الروس . وهـــذا مفهـــوم تمامـــاً لأن هذا ينبع من أسباب اقتصادية ، وهذا يشكـــل أساس كل الوضـــــع الاقتصادي وأساس سياستنا الخارجية .

ان سياستنا الخارجية ، طالما نحن وحدنا والعالـــم الرأسمالي قوياً ، تتقوم ، من جهة ، في انه ينبغي لنا ان نستغل الخلافات (ان التغلب على جميع الدول الامبرياليـــــة هو بالطبع أطيـــب الأمور ، ولكننا سنظل زمناً طويلاً نسبيـــاً غير قادرين على القيام بهذا) . ان وجودنا رهن بوجود الخلاف الجذري بين الدول الامبرياليـــة من جهـــة ، ورهن من جهـــة أخرى بكون انتصار الوفاق وصلح فرساي قد قذفا الأغلبية الهائلة من الأمة الألمانية في وضع يستحيل فيـــه العيش . فان صلح فرساي قد خلق وضعاً لا تستطيع فيه ألمانيـــا ان تحلم بفترة استراحة ، ان تحلم بان لا ينهبوها ، بان لا ينتزعوا منها وسائـل العيش ، بأن لا يحكموا على سكانها بالجوع والانقراض ؛ ان ألمانيا لا تستطيع ان تحلم بهذا ، وطبيعي ان الوسيلة الوحيدة لخلاصها ، انما تنحصر في التحالف مع روسيا السوفييتية ، التي تصوب ألمانيا انظارها اليها بالذات . انهم يسيرون ضد روسيا بجنون ،

انهم يكرهون البلاشفـــة ، انهم يطلقون الرصاص على شيوعييهم ، كما فعل رجال الحرس الأبيض الاقحاح . ان الحكومة البرجوازيـــة الألمانيـــة تكره البلاشفـــة كرهاً جنونياً ، ولكن مصالح الوضـــع الدولي تدفعهـــا ، ضد رغبتهـــا بالذات ، الى السلام مع روسيا السوفييتية . وهذا ، أيها الرفاق ، هو حوت سياستنا الدوليـــة ، الخارجية الثاني * : تقديم الدليل للشعوب الواعية على الاضطهاد البرجوازي ، على أنه لا خلاص لها بدون الجمهورية السوفييتية . وبما ان الجمهورية السوفييتية قد صمدت خلال ثلاثـــة أعوام لضغـــط الامبرياليين ، فان هذا يدل على انه يوجد في الدنيا بلد واحد ، بلد واحد فقط يصد بنجاح هذا الاضطهاد من جانب الامبريالية . ليكن هذا البلد بلد «اللصوص» ، «النهابين» ، «قطاع الطريق» ، البلاشفة ، والخ . ، ليكن كذلك ، ومع ذلك يستحيل بدون هذا البلد تحسين الوضع الاقتصادي .

وفي هذا الوضع ، تكتسب مسألة الامتيازات جانباً آخر أيضاً . اليكم هذه الكراســـة التي في يدي ؛ انها مرسوم ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) بشأن الامتيازات . هذه الكراسة ستوزع على جميع أعضاء المؤتمر . ونحن نعتزم طبع الكراســـة بشأن الامتيازات في الخارج ببعض اللغات (٨١) . وهدفنا ان نفعـــل على الفور كل شيء لاثارة الاهتمام بالامتيازات بين سكان أكبر عدد من البلدان ، وعلى وجـــه الضبط تلك البلدان التي تعاني من الاضطهاد أشده . ان الاختلاف بين مصالح اليابان وأميركا كبير جداً . فهمـــا لا تستطيعان تقاسم الصين وجملة من الجزر ، الخ . ، فيما بينهمـــا . أما الاختلاف بين

---

* اقتباسا من خرافـــة شعبية قديمة تزعم أن الارض ترتكـــز على ثلاثة حيتان . **المعرب** .

مصالح ألمانيا والوفاق ، فهو من نوع آخر . فان وجود ألمانيا يستحيل بحكم الشروط التي فرضها عليها الوفاق . ان الشعب هناك يموت ، لأن الوفاق يأخذ المحركات والمواشي . وهذا الوضع يدفع ألمانيا الى التقارب مع روسيا السوفييتية . أنا لا أعرف تفاصيل المعاهدة بين ألمانيا والوفاق ، ولكنه معلوم على كل حال ان هذه المعاهدة تمنع العلاقات التجارية المباشرة بين ألمانيا وروسيا السوفييتية . واذا كنا قد عقدنا صفقة بصدد القاطرات الألمانية ، فقد عقدناها بحيث ان اسوج ، وليس ألمانيا ، كانت المتعاقدة معنا . ومن المشكوك فيه ان يكون بمقدور ألمانيا ان تستأنف العلاقات التجارية معنا على المكشوف قبل نيسان (ابريل) ١٩٢١ . ولكن خطواتنا نحو العلاقات التجارية مع ألمانيا تسير بأسرع مما مع الوفاق . ان ظروف العيش تجبر شعب ألمانيا بكليته ، دون استثناء المائة السود الألمان والرأسماليين الألمان ، الى البحث عن علاقات مع روسيا السوفييتية . ان ألمانيا ترتبط معنا منذ حين ببعض العلاقات التجارية . ومن الممكن ان ترتبط ألمانيا معنا اكثر من ذلك لأننا نعرض عليها امتيازاً في ميدان المأكولات . وهكذا يتضح انه من الضروري لنا ان نعرض الامتيازات بوصفها أسلوباً اقتصادياً ، حتى بصرف النظر عن مدى النجاح في تحقيق المشروع . ان الاهتمام بالامتيازات لعلى درجة من الجلاء بحيث اننا حتى اذا لم نتوفق في منح أي امتياز ، حتى اذا لم تطبق أي معاهدة من معاهداتنا (وهذا أمر ممكن تماماً أيضاً) ، حتى اذا صار الوضع هكذا ، سنكسب مع ذلك ، وسيترتب علينا مع ذلك ان ننتهج هذه السياسة ، لأننا نصعب على هذا النحو زحف البلدان الامبريالية علينا .

وبصرف النظر عن هذا ، ينبغي لنا ان نتوجه الى جميع الشعوب المظلومة بمجملها بالاشارة – وهذا ينبع من معاهدة

فرساي – الى ان حفنة من البلدان تخنق الشعوب الأخرى ، وهذه الشعوب تطلب مساعدتنا بصورة مكشوفة أو مستورة ، عن وعي أو بلا وعي ، ولكنها تعتاد على ادراك الضرورة الاقتصادية القاضية بالتحالف مع روسيا السوفييتية ضد الامبريالية العالمية . ولهذا تتخطى الامتيازات في ميدان المأكولات نطاق الامتيازات البرجوازية القديمة ، ولم تعد تشبه الامتيازات الرأسمالية القديمة . انها لا تزال رأسمالية ما دمنا نقول للرأسماليين الألمان : هاتوا عدداً معيناً من الجرارات ، نعطيكم أرضاً بكراً وحبوباً . اننا نجتذب الرأسمال بربح طائل . وفي هذا المجال ، يبقى الامتياز مشروعاً رأسمالياً صرفاً ، ولكنه يكتسب أهمية أكبر بما لا يقاس لأن ألمانيا ، بوصفها امة ، والنمسا وغيرهما من البلدان يستحيل وجودها ، لأن مساعدتها بالمأكولات ضرورية ولأن الشعب كله ، بصرف النظر عما اذا كان الرأسمالي يربح مائة أو مائتين بالمائة ، لأن الشعب كله يرى ، رغم الأوهام ضد البلشفية ، ان البلاشفة يخلقون علاقات دولية مختلفة تماماً ، علاقات توفر لجميع الشعوب المظلومة أمكانية الخلاص من النير الامبريالي . ولهذا سيكون نجاحنا في غضون الأعوام الثلاثة الماضية نجاحاً اكبر في غضون السنة القادمة في سياستنا الخارجية . ان سياستنا تلف حول الجمهورية السوفييتية البلدان الرأسمالية التي تخنقها الامبريالية . ولهذا يتسم عرض الامتيازات هذا بأهمية ليست رأسمالية وحسب ، ولهذا كان بمثابة يد ممدودة لا للرأسماليين الألمان وحسب : «اجلبوا لنا مئات من الجرارات وخذوا وان ثلاثمئة بالمائة ربحاً بكل روبل» ، بل كان أيضاً بمثابة يد ممدودة الى الشعوب المظلومة ، كان حلفاً للجماهير المظلومة هو واحد من عوامل الثورة البروليتارية المقبلة . ان الشكوك والمخاوف التي لا تزال قائمة في البلدان المتقدمة التي تقول ان روسيا استطاعت ان تجازف

وتقوم بالثورة الاشتراكية لأنها بلد كبير وتملك وسائل العيش ، بينمـــا نحن ، البلدان الصناعية في أوروبا لا نستطيع القيام بهذا لأن لا حلفاءلنا ، هي شكوك ومخاوف باطلة ، ونحن نقول : «عندكم الآن حليف ، هو روسيا السوفييتية» . وبمـــا اننا نمنح الامتيازات ، فان هذا سيكون ذلك التحالف الذي يوطد التحالف ضد الامبرياليـــة العالمية . وهذه الموضوعة لا يجوز ان تغيب عن البال ، وهي تبرر سياستنا بشأن الامتيازات وتشير الى ضرورة عقد هذه الامتيازات .

ثم بعض الاعتبارات الاقتصاديـــة الصرف . انتقـل الآن الى الاعتبارات الاقتصادية واقرأ بعض أحكام القانون مع اني آمل بان الرفاق الحاضرين هـنا قد قرأوا هذا القانون الصادر في ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) . ولكني اذكره بايجاز ؛ انه يقول بان المستفيدين من الامتيازات سينالون على سبيل التعويض نصيباً من المنتوجات ، وباننا مستعدون لأن نمنح افضليات تجاريـــة في حال تحسينـــات تكنيكيـــة خاصـــة ، وبأن آجال الامتيازات ستكون طويلـة الى هذا الحد او ذاك تبعاً لحجم النفقات وطابعها . ونحن نضمن بانه لن يصار لا الى انتزاع ولا الى مصادرة الأموال الموظفـــة في المشروع .

وبدون هذا ، لا يمكن ان يكون للرأسمال الخاص والمالـك الخاص أي علاقات معنا . ولكن المسألة التي أثيرت في البدء بصدد المحاكم ، في مشروع المعاهدة ، غير واردة هنا . ثم رأينا ان هذا غير مفيد لنا . وعلى هذا النحو تبقى في ايدينا السلطـــة القضائية في أرضنا . ان قضاتنا هم الذين سيفصلون في القضايا في حال النزاع . ولن يكون هذا مصادرة ، بل تطبيقاً للحقوق القضائيـــة المشروعة التي تتمتع بها مؤسساتنا القضائية .

يتناول البند الخامس قوانين العمل . في مشروع المعاهدة الأولي ، ارتأينا مع فاندرليب استثناء الانحاء التي تعيش فيهـا القبائل الضعيفـــة التطور – مع اننا لا نعرف أي هي هذه القبائل –

من سريان مفعول قوانين العمل . ففي هذه الانحاء يستحيل تطبيق قوانين العمل . أما هذا الاستثناء ، فانه سيتقوم في عقد معاهدة خاصة بشأن ضمانات العمال بدلاً من قوانين العمل .

البند الأخير الذي نضمن به لصاحب الامتياز عدم جواز التغيير من جانب واحد . وبدون هذا بالطبع لا يمكن حتى ان يتناول الكلام منح الامتيازات . اما ما يعنيه عدم جواز التغيير من جانب واحد ، فهذه المسألة لا تزال معلقة . وهي رهن بنص المعاهدة بصدد كل امتياز . من الممكن تدخل شخص ثالث من دولة ما من الدول المحايدة . وهذا بند بوسعه ان يعطي حجة للخلاف ويفسح مجالاً معيناً لدن تحديد شروط الامتياز نفسها . فتنبغي الاشارة مثلاً الى ان الزعماء المناشفة للعمال يعتبرون في العالم الرأسمالي أناساً مأمونين . فهم يشتركون في الحكومات البرجوازية ومن الصعب جداً على الحكومات البرجوازية ان ترفض وسطاء أو حكاماً ثالثين كالمناشفة أو الاشتراكيين الخونة في البلدان الأوروبية . والحال ، بينت تجربتنا ان هؤلاء السادة المناشفة الاميركيين والأوروبيين يسلكون ، لدن أقل أزمة جدية ، سلوك المناشفة الروس ، أي انهم لا يعرفون كيف يسلكون فى هذه الحال ، ويضطرون الى الخضوع لضغط الجماهير الثورية ، مع بقائهم اخصاماً للثورة . هذه مسألة معلقة . ولن نفصل بها سلفاً .

من هذه الشروط التي تلوتها عليكم ، ترون ان العلاقات الاقتصادية بين أصحاب الامتيازات الرأسماليين والجمهورية الاشتراكية أبعد عن ان تكون متينة وثابتة . ومفهوم ان الرأسمالي الذي يحتفظ بالملكية الخاصة وعلاقات الاستثمار لا يمكن له ألا يكون جسماً غريباً في الجمهورية الاشتراكية . ومن هنا ينبع ما يشكل واحداً من مواضيع تقريري الرئيسية : وهو ان الامتيازات هي استمرار للحرب ولكن بشكل آخر . وسأنتقل الآن الى هذا

بالتفصيل ، واود بادئ بدء ان اعرض ثلاثة أنواع أو مواضيع رئيسية من الامتيازات .

في هذه الكراسة ، أوردنا لائحة المواضيع الرئيسية من الامتيازات ؛ والرفاق من المجلس الأعلى للاقتصاد الوطني الذين قدموا مادة هذه الكراسة وحرروها ، ارفقوا بها خرائط تبين بوضوح مواضيع الامتيازات هذه . فعلى هذه الخرائط يظهر ان مواضيع الامتيازات تنقسم الى ثلاثة أنواع رئيسية : امتيازات الغابات في الشمال الأقصى ، هذا أولاً ، وامتيازات المأكولات ، ثانياً ، والامتيازات المنجمية في سيبيريا ، ثالثاً .

ان مصلحتنا الاقتصادية جلية في امتيازات الغابات في الشمال الاقصى من روسيا الأوروبية حيث تمتد عشرات ومئات الملايين من ديسياتينات الغابات التي لا نستطيع اطلاقاً استغلالها نظراً لانعدام سبل المواصلات ووسائل الانتاج ، نظراً لانعدام امكانية نقل المأكولات للعمال هناك ، وحيث تتوافر للدولة التي تملك أسطولاً قوياً امكانية تحضير البضاعة الخشبية على نحو صحيح ونقلها بمقادير هائلة .

واذا أردنا التبادل التجاري مع الخارج ، ونحن نريده ، وندرك ضرورته ، فان مصلحتنا الأساسية الحصول بأسرع وقت ممكن من البلدان الرأسمالية على وسائل الانتاج (القاطرات ، الآلات ، الأجهزة الكهربائية) التي لا نستطيع بدونها ان نبعث صناعتنا بصورة جدية نوعاً ، وأحياناً لا نستطيع اطلاقاً ، نظراً لاستحالة الحصول على الآلات اللازمة من أجل مصانعنا . يجب اغراء الرأسمالية بربح كبير جداً . وهي تحصل على ربح طائل – ليوفقها الله بهذا الربح الطائل – ونحن نحصل على ما هو أساسي ونقوى به ونقف نهائيا على أقدامنا ونتغلب عليها اقتصادياً . وللحصول على آلات أحسن وخلافها ، ينبغي علينا ان ندفع . وما ندفع ؟ عندنا بضعة ملايين

في احتياطي الذهب الباقى لدينا . وانتم ترون في البرنامج الخاص لكهربة روسيا ان هذا البرنامج المحسوب لعشرات السنين ، مع العمل الاضافي لبعث الصناعة يستتبع ضرورة انفاق مبلغ يصل الى ١٧ مليار روبل ذهبي ، بموجب الحسابات التقريبية . وعلى الكهربة وحدها سينفق مباشرة أكثر من مليار روبل ذهبي . ونحن لا نستطيع ان نغطي هذا باحتياطنا الذهبي ، وتصدير المنتوجات الغذائية غير مرغوب فيه وخطر الى اقصى حد بالنسبة لنا لأننا لا نملك ما نؤمن به تماماً صناعتنا بالمنتوجات الغذائية ، مع انه ينبغي لنا ان نفعل هذا . وهنا ليس ثمة موضوع أوفق لنا اقتصاديا من الغابات في الشمال الأقصى التي نملك منها مقادير لا تصدق ، وهي هنا تهرأ ، وتضيع ، لأنه ليس في مستطاعنا اقتصادياً ان نستثمرها . والحال ، يحظى الخشب في السوق العالمية بقيمة هائلة . وفي هذا الصدد ، يوافقنا الشمال الأقصى سياسياً أيضاً ، لأنه طرف بعيد . وهذا الامتياز يوافقنا سياسياً واقتصادياً على السواء ، وهكذا ينبغي ان نعول عليه أكثر مما على أى شيء آخر . وقد أفاد ميليوتين فى الاجتماع الذي انعقد في موسكو والذي حدثتكم عنه (٨٢) ان المفاوضات مع بريطانيا بشأن هذا الامتياز في شمال روسيا الأوروبية تتقدم . هناك بضع عشرات الملايين من الديسياتينات من الغابات . فاذا اعطينا أصحاب الامتيازات ثلاثة أو خمسة ملايين ديسياتين بموجب نظام الشطرنج ، وأمنا بالتالي استعمال مؤسسات محسنة ، واستغلال امكانية التعلم ، وضمنا امكانية اشتراك تكنيكيينا ، فاننا نكسب الكثير لأنفسنا ، ونصعب على الدول الرأسمالية التي تقبل بعقد الصفقات معنا ، القيام بالمشاريع الحربية ضدنا ، لأن الحرب تقطع كل شيء ، وفي حال الحرب ، تعود لنا المنشآت والمباني وسبل المواصلات . ولن تسهل ضدنا مشاريع الجدد من اضراب كولتشاك ودينيكين ومن لف لفهم .

ان النوع الثانـــي من الامتيازات هـو امتيازات المأكولات . وباستثناء سيبيريا الغربيـة حيث توجد مساحات شاسعـة من الارض من الدرجـــة الأولى هي في غير منالنا لانهـا تقع بعيداً عن سبـــل المواصلات ، توجد في روسيـــا الأوروبيـــة وحدها وبمحاذاة نهر أورال – وقد أعطت مفوضيتنـــا للزراعة مهمة مناسبة وعينت مساحة الأرض التي لا نستطيع حرائتهـــا وهي لا تقل عن ٣ ملايين ديسياتين بمحاذاة نهر أورال تركهـــا القوزاق مع قراهم الكاملة نتيجـــة لمآل الحرب الأهلية المظفر – أرض ممتازة يجب استصلاحهـا ولا نستطيع حرائتهـــا نظراً للنقص في المواشي ونظراً لضعف القوى المنتجـة .

وفي سوفخوزات مقاطعة الدون نحو ٨٠٠٠٠٠ ديسياتين لا نستطيع حرائتها ، وتتطلـــب حرائتها عدداً جسيماً من المواشي أو فصائل كاملة من الجرارات لا نستطيع تشغيلها ، بينـا بعـــض البلدان الرأسماليـــة بما فيها بلدان تحتاج أمس الحاجـــة الى المأكولات – النمســـا ، ألمانيـــا ، بوهيميـا – تستطيع تشغيلهـا وتحصل على حنطـــة ممتازة في موسم الصيف . أما الى اي حد نتوفق ونحقق هذا ، فأمر لا نعرفه . عندنا الآن مصنعان عاملان ينتجـــان الجرارات ، في موسكو وبتروغراد ، ولكنهمـا عاجزان ، نظراً للظروف الصعبة ، عن انتاج كميـــة كبيرة من الجرارات . وبوسعنـــا ان نسهل الوضع بشراء عدد أكبر من الجرارات هي أهم وسيلة لتحطيم الطريقـــة الزراعية القديمـــة تحطيماً جذرياً ولتوسيـــع الأراضي المحروثة . وبهذه الامتيازات نستطيع ان نثبت لجملة كامـــة من البلدان ان في مقدورنا ان نطور الاقتصاد العالمي بمقاييس هائلة .

واذا لم تتكلل دعايتنا ولم يتكلل عرضنا بالنجاح ، واذا لـم يحظ عرضنا بالقبول ، فلن تبقى فائدته السياسيـــة وحسب ، بل ستبقى كذلك فائدته الاشتراكية . وما يجري في العالم الرأسمالي ليس تبديداً للثروات وحسب ، بل ايضاً جنون واجرام ، لاننا نجد

في بعض البلدان وفرة من المأكولات لا يمكن بيعها بسبب من ثورات النقد ، لأن النقد قد هبطت قيمته في جملة كاملة من البلدان التي منيت بالهزيمة . فتتعفن مقادير هائلة من المأكولات بينما عشرات الملايين من السكان في بلدان كألمانيا يتضورون جوعاً ويهلكون حقاً وفعلاً . هذه الحماقات ، هذا الاجرام من جانب الرأسمالية يمسي جلياً بالنسبة لجميع البلدان الرأسمالية وبالنسبة للبلدان الصغيرة التي تحيط بروسيا . واذا الجمهورية السوفييتية تنبري وتقول : «عندنا مئات الآلاف من الأراضي الممتازة التي يمكن استصلاحها بالجرارات ، وعندكم توجد جرارات ، وعندكم البنزين وعندكم التكنيكيون المتعلمون ؛ واننا لنعرض على جميع الشعوب ، بما فيها شعوب البلدان الرأسمالية ، ان تجعل من بعث الاقتصاد الوطني ومن انقاذ جميع الشعوب من الجوع حجر الزاوية» . فاذا لم يفهم الرأسماليون هذا ، فان هذا هو دليل على تعفن النظام الرأسمالي وجنونه واجرامه . ولن تكون لهذا أهمية دعائية وحسب ؛ فان هذا سيكون ايضاً نداء شيوعياً الى الثورة ، لأنه يبين بيقين يتغلغل أكثر فأكثر في ضمائر الشعوب ان الرأسمالية تتفسخ وانها لا تستطيع أن تلبي الحاجات . ان قلة ضئيلة من البلدان الامبريالية تبتز الأرباح ، بينما جملة كاملة من البلدان الأخرى تقف مباشرة على شفير الهلاك . ان الاقتصاد العالمي يتطلب اعادة تنظيمه . والجمهورية السوفييتية تتقدم بهذا البرنامج لاعادة التنظيم ، بهذا الاقتراح العملي اطلاقا ، الذي لا جدال فيه ، والقابل للتحقيق : «أنتم تموتون جوعاً في ظل الرأسمالية رغم ثروات التكنيك الهائلة – ونحن يمكننا ، بضم تكنيككم الى خاماتنا ، ان نحل الأزمة ، ولكن الرأسماليين هم العقبة . فنحن نقترح عليهم القيام بهذا أما هم فيعرقلون ويحبطون» . هذا هو النوع الثاني من الامتيازات ، امتيازات المأكولات أو امتيازات الجرارات .

النوع الثالث من الامتيازات ، الامتيازات المنجمية . وهي واردة على خريطة سيبيريا حيث أشير بالتفصيل الى كل محلة تقصدها الامتيازات . ان ثروات سيبيريا المنجمية لا تقاس ابداً ، ونحن لن نتمكن ، حتى في أحسن الأحوال ، وبنجاح كبير ، من استثمار جزء بالمئة منها في عدة أعوام . وهي في ظروف تقتضي تجهيزاً بأحسن الآلات . وهنا توجد مواد كالفلز النحاسي الذي تحتاج اليه البلدان الرأسمالية والصناعة الكهربائية أمس الحاجة من جراء الجوع الى هذه المواد . وهناك امكانية لبعث الاقتصاد العالمي وانهاض التكنيك العالمي اذا اقاموا اتصالات صحيحة معنا .

ان هذه الامتيازات صعبة بالطبع من حيث تحقيقها ، أي انها تنطوي على مصاعب أكبر من مصاعب امتيازات الغابات والمأكولات . فهناك ، في امتيازات المأكولات ، يتناول الكلام استعمال الجرارات لفترة من الوقت . وامتيازات الغابات ليست كذلك صعبة خصوصاً وان هذا الموضوع ليس في متناولنا ، ولكن الامتيازات المنجمية تقع جزئيا على مسافة غير بعيدة عن الطرق الحديدية ، وجزئيا في أماكن كثيرة السكان ، وهنا الخطر كبير ، وسوف نزن بمزيد من الدقة ما اذا كنا سنعطيها ، وسوف نضع شروطا معينة لأنه لا شك في ان الامتياز انما هو حرب جديدة . فان الرأسماليين يأتون الينا لخوض حرب جديدة ، بل ان مجرد وجود الرأسماليين هو حرب ضد العالم الاشتراكي . ان المؤسسات الاقتصادية الرأسمالية في الدولة الاشتراكية انما هي حرب من أجل حرية التجارة ، ضد سياسة المصادرة ، حرب من أجل الملكية الخاصة ، ضد الجمهورية التي ألغت هذه الملكية . وعلى هذا الجذر الاقتصادي ، تتنامى جملة كاملة من العلاقات المتبادلة (من نوع العلاقات الحربية بين «سوخاريفكا» (٨٣) ومؤسساتنا) . قد يقولون لنا انكم تغلقون «سوخاريفكا» وتفتحون جملة جديدة من «السوخاريفكات» اذ

تفسحون في المجال أمام الرأسماليين . نحن لا نغمض العين عن هذا ، ونقول اننا اذا كنا انتصرنا حتى الآن ، وانتصرنا عندما استعمل اعداؤنا جميع الوسائل من أجل احباط مشاريعنا ، وعندما كان يجري هذا الاحباط من الداخل مع الاحباط من الخارج ، فهل ترانا لا نستطيع في قطاعات معينة ، عندما تتوافر عندنا ظروف وعلاقات معينة ، ان نقوم بالمهمة ، ان نراقب ونتتبع . عندنا تجربة عملية في النضال ضد التجسس العسكري ، وضد التخريب الرأسمالي . لقد ناضلنا عندما تخفوا في مؤسساتنا بالذات ، فهل ترانا لا نستطيع ان نحرز الغلبة عندما سنسمح للرأسماليين بالعمل عندنا بموجب لوائح معينة وشروط معينة ؟ يقيناً اننا نعرف انهم سينتهكون هذه الشروط ، وسوف نناضل ضد هذه الانتهاكات . ولكن الامتيازات ذات الدعائم الرأسمالية ، انما هي الحرب ، ايها الرفاق . وطالما لم نطح بالرأسمال في البلدان الأخرى ، وطالما الرأسمال أقوى منا بكثير ، فانه سيتمكن في كل حين من ان يوجه قواه ضدنا ، ويشن علينا الحرب من جديد . ولهذا ينبغي لنا ان نقوي أنفسنا ، ولهذا الغرض ينبغي لنا ان نطور الصناعة الضخمة ، ينبغي لنا انهاض النقليات . ونحن اذ ننهج هذا النهج ، نقدم على مجازفة ، فهنا من جديد العلاقات الحربية ، والنضال من جديد ، واذا كانوا سيقوضون سياستنا ، فاننا سنحارب ضدهم . ومن الخطأ الفادح التفكير بأن معاهدة سلام بشأن الامتيازات هي معاهدة سلام مع الرأسماليين . هذه معاهدة بصدد الحرب ، ولكنها معاهدة أقل خطراً علينا وأقل وطأة على العمال والفلاحين على السواء ، أقل وطأة من وقت قذفوا ضدنا خيرة الدبابات والمدافع ، ولهذا ينبغي لنا ان نلجأ الى جميع الوسائل ، ان نتوصل الى تطوير قوانا الاقتصادية بثمن تنازلات اقتصادية ، الى تسهيل قضية بعثنا الاقتصادي . يقيناً ان الرأسماليين لن ينفذوا المعاهدات ، هكذا يقول الرفاق الذين يخافون من الامتيازات . وبديهي

انه لا يجوز اطلاقـــاً تعليـل النفس بأن الرأسماليين سينفذون المعاهدات . انها ستكون حربـاً ، والحجـــة الأخيرة التي تبقى على العموم حجـــة تدخل في نطاق علاقات الجمهورية الاشتراكية مع الخارج انما هي الحرب .

وهذه الحرب تتهددنـــا الآن ساعة بعد ساعة . نحن نجري مفاوضات صلح مع بولونيا ، وجميع الاحتمالات الى جانبنا وهي تدل على ان الصلح سيوقع أو على أقل تقدير ، وعلى سبيل المزيد من الدقة ، نقول ان أغلبيـــة الاحتمالات في صالح عقد هذا الصلح . ولكنـــه لا ريب ان سافينكوف وأضرابه والرأسماليين الفرنسيين يعملون من أجل احباط هذه المعاهدة . ان الحرب ممكنـــة بالنسبة للرأسماليين ان لم يكن اليوم فغداً ، وانهم ليبدأون بها الآن بالذات بكل طيبة خاطر لو لم يأخذوا العبر من تجربـــة ثلاثـة أعوام . ان الامتيازات انما هي مجازفـة الى حد ما ؛ والامتيازات انما هي خسارة ؛ والامتيازات انما هي استمرار للحرب . وهذا أمر لا شك فيه ولكن هذه الحرب افيد لنا . فعندما نحصل على حد أدنى معين من وسائـــل الانتاج والقاطرات والآلات ، عند ذاك لن نكون اقتصادياً كمـــا كنا عليه حتى الآن ، وعند ذاك ستغدو البلدان الامبرياليـــة أقل خطراً علينا .

قالوا لنا ان أصحاب الامتيازات سيخلقون شروطاً استثنائيـة من أجل عمالهم ، وسيجلبون لهم ألبســـة أحسن ، وأحذية أحسن ، ومأكولات أحسن . هكذا ستكون دعايتهم آنذاك بين عمالنـــا الذين ينبغي لهم ان يتحملوا الحرمانات وسيتحملونهـــا زمناً طويلاً أيضاً . ويكون الحاصل – جمهورية اشتراكية يعيش فيهـــا العمال بفقر ، والى جانبها جزيرة رأسمالية يعيش فيها العمال عيشـــة ممتازة . هذه المخاوف غالباً جداً ما نسمعها في اجتماعاتنا الحزبية . وطبيعي ان يبقى هذا الضرب من الخطر وهو يبين ان الامتيازات هي استمرار

للحرب ، وليست سلاماً ، ولكن اذا عانينا من الحرمانات أكثر بكثير ، ورأينا في الوقت نفسه أن العمال من البلدان الرأسمالية يأتون الينا مع ذلك ، رغم انهم يعرفون ان الظروف الاقتصادية التى تنتظرهم في روسيا اسوأ بكثير ، فهل ترانا لا نستطيع هنا ان نحمي أنفسنا من دعاية كهذه بدعاية معاكسة من جانبنا ، هل ترانا لا نستطيع ان نثبت للعمال ان الرأسمالية تستطيع بالطبع أن تؤمن لفئات معينة من عمالها شروطاً أحسن ، وان شروط الجمهور الباقي من العمال لا تتحسن من جراء هذا ؟ أخيراً ، لماذا كسبنا نحن دائماً من جميع الاتصالات مع أوروبا البرجوازية واميركا البرجوازية لا هم ؟ لماذا يخشون حتى الآن ارسال الوفود الينا ، ولا نخشى نحن ارسالها اليهم ؟ حتى الآن اجتذبنا دائماً الى جانبنا من الوفود التي أرسلوها الينا وان قسماً غير كبير ، مع العلم ان الوفود كانت تتألف بصورة رئيسية من العنصر المنشفي ، وانها كانت تتألف من اناس يأتون الينا لفترة من الزمن . وبعد هذا ، نخاف من اننا لن نعرف كيف نوضح الحقيقة للعمال ؟ ! اننا سنكون جد أردياء اذا خفنا من هذا ، اذا وضعنا هذه الاعتبارات فوق المصلحة المباشرة التي تتسم في الامتيازات بأكبر الأهمية .

ان وضع فلاحينا وعمالنا لا يزال صعباً . فيجب تحسينه . وفي هذا الصدد ، لا يمكن ان يقوم عندنا أي شك . اني اعتقد باننا سنتفق على ان سياسة الامتيازات هي كذلك سياسة استمرار الحرب ، ولكن مهمتنا ان نحافظ على وجود الجمهورية الاشتراكية الوحيدة ، المطوقة بالأعداء الرأسماليين ، ان نصون الجمهورية ، وهي أضعف بما لا يقاس من الأعداء الرأسماليين المحيطين بها ، ان نقضي بذلك على امكانية الأعداء لانشاء حلف بينهم من اجل النضال ضدنا ، ونعرقل سياستهم ، ولا نفسح لهم في المجال لاحراز النصر ؛ مهمتنا ان نؤمن لروسيا الأدوات والوسائل الضرورية لبعث الاقتصاد ،

لأننا عندما نحصل على هذا ، نقف على أقدامنا بدرجـــة من الرسوخ بحيث اننا لن نخشى أى أعداء رأسماليين . هذه هي وجهـــة النظر التي استرشدنا بها في سياستنا حيال الامتيازات والتي عرضتها .

نشر في أواخر كانون الاول (ديسمبـــــر) ١٩٢٠ ، في كراسة : ف . لينين . «عن الامتيازات (تقريـــر امام كتلـــة الحزب الشيوعي في روسيـــا في مؤتمر السوفييتات الثامن)» . موسكـــو ، غوس ايزدات (دار الدولة للنشر)

المجلد ٤٢ ، ص‌ص ٩١–١١٧

٢

تقرير اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا ومجلس مفوضي الشعب عن السياسة الخارجية والداخلية ٢٢ كانون الاول (ديسمبر)

(هتافات من المقاعد : «عاش الرفيق لينين !» . **عاصفة من التصفيق . هتاف عاصف .)** ايها الرفاق ، يترتب عليّ ان القي تقريرا عن سياسة حكومتنا ، الخارجية والداخلية . انا لا أرى غاية تقريري في اعطائكم لائحة وان باكبر وأهم ما تقدمت به سلطة العمال والفلاحين من مشاريع قوانين وما اتخذته من اجراءات . وانا اظن بانه لن يهمكم كذلك الكلام عن الاحداث التي وقعت فى هذه الحقبة من الزمن وبانه لن يتسم باهمية جوهرية . وبرأيي انه ينبغي ان احاول تعميم وتلخيص الدروس الرئيسية التي تلقيناها في هذا العام الذي لم يحفل بالانعطافات الحادة في حقل السياسة اقل مما حفلت الاعوام السابقة من الثورة ، وان استخلص من تعميم وتلخيص الدروس خلال السنة ألح المهام السياسية والاقتصادية التي تجابهنا والتي تعلق عليها السلطة السوفييتية الآن من الآمال اكثر مما تعلق على غيرها سواء بواسطة القوانين المعروضة عليكم من اجل البحث والمصادقة ، ام بواسطة مجمل ما اتخذته من اجراءات ، والتي تعلق عليها من الاهمية اكثر مما تعلق على غيرها ، والتي تتوقع من تنفيذها نجاحات جدية في مضمار بنائنا الاقتصادي . ولهذا اسمحوا لي بان كتفي بملاحظات وجيزة عن وضع الجمهورية الدولي وعن نتائج العام المنصرم الرئيسية فى ميدان السياسة الخارجية .

ويقيناً انكم جميعكـــم تعرفون كيف فرض الملاكون العقاريون والرأسماليون البولونيون الحرب علينا تحت ضغط واصرار البلدان الرأسمالية في اوروبا الغربيـة ، وليس في اوروبا الغربيـة وحسب . وانتم تعرفون كيف عرضنـــا الصلح على الحكومة البولونية فى شهر نيسان (ابريل) من العام الجاري بشروط افيد لها بما لا يقاس من الشروط الحالية ؛ وفقط تحت ضغط الضرورة القصوى ، وبعـــد اخفاق مفاوضاتنا مع بولونيـــا بشأن الهدنة اخفاقاً تاماً ، اضطررنا الى الاقدام على الحرب ؛ ورغم الهزيمـــة الشنعاء التي منيت بهـــا قواتنا في جوار فرصوفيـــا بسبب ما انزلته بها الحرب من ارهاق فائق لا شك فيه ، انتهت هذه الحرب مع ذلك بصلح أفيـد لنا من ذلك الصلح الذي عرضناه على بولونيا في نيسان (ابريل) . وقد تم التوقيع على الصلح التمهيدي مع بولونيـــا ، وتجري الآن مفاوضات للتوقيع على الصلح النهائي (٨٤) . ونحن لا نخفي عن انفسنا البتة ذلك الخطر الناجم عن ضغط بعض من اشد البلدان الرأسمالية عناداً وكذلك عن ضغط اوساط معينـــة من الحرس الابيض الروسي ، بغية الحيلولـــة دون انتهاء هذه المفاوضات بالصلح . ولكنـه يجب ان نقول ان سياســة دول الوفاق الراميـــة الى التدخل العسكري والى خنق السلطـة السوفييتية عسكرياً ، تصاب أكثر فأكثر بالافلاس ، واننا نجتذب الى جانب سياستنا ، سياســـة الصلح ، عدداً متزايداً ابداً من الدول التي تتبع حيال السلطـــة السوفييتية ، نهجاً لا مراء في عدائه . ان عدد الدول التي توقع معاهدة الصلح يتزايد ، وهناك احتمال كبير بان يتم التوقيع في القريب العاجل على معاهدة صلـــح نهائية مع بولونيـــا وعلى هذا النحو ستُسدَّد ضربـــة اخرى خطيرة جداً الى حلف القوى الرأسماليـــة التي تحاول ان تنتزع منا السلطة عن طريق الحرب .

ايها الرفاق ، انتم تعرفون كذلك ، بالطبع ، ان اخفاقاتنا الموقتة في الحرب ضد بولونيا وصعوبة وضعنا في بعض اوقات الحرب كانت رهناً بواقع انه كان ينبغي علينا ان نقاتل فرانجل الذي اعترفت به رسمياً دولة من الدول الامبريالية (٨٥) والذي تلقى وسائل هائلة من العون المادي والعسكري وغيره . ولأجل انهاء الحرب بأسرع ما يمكن ، كان ينبغي علينا ان نلجأ الى حشد القوات بسرعة لكي نسدد الى فرانجل الضربة القاضية . وانتم تعرفون بالطبع اية بطولة خارقة ابداها الجيش الاحمر ، بتذليله عقبات واستحكامات كان الاختصاصيون العسكريون وذوو الكلمة النافذة في الفن العسكري انفسهم يعتبرونها منيعة لا تؤخذ . ومن اسطع الصفحات في تاريخ الجيش الاحمر ، ذلك النصر التام ، الحاسم ، الرائع السرعة ، الذي احرزه على فرانجل . وهكذا صُفِّيَت الحرب التي فرضها علينا الحرس الابيض والامبرياليون .

بوسعنا الآن ان ننصرف بثقة وصلابة اكبر بكثير الى قضية البناء الاقتصادي القريبة الينا ، الضرورية لنا ، التي تجتذبنا من زمان ، واثقين بان ارباب العمل الرأسماليين لن يتوفقوا ، كما في السابق ، في تقويض هذا العمل بسهولة . ولكنه بديهي انه ينبغي لنا ان نكون على يقظة واستعداد . فنحن لا يسعنا في اي حال من الاحوال ان نقول اننا مضمونون الآن ضد الحرب . وهذا النقص في الضمانة لا يتقوم اطلاقاً في اننا لا نملك بعد معاهدات صلح رسمية . فنحن نعرف جيداً جداً ان بقايا جيش فرانجل لم يقض عليها ، بل هي متخفية في مكان غير بعيد جداً ، وانها تحت الوصاية والحماية ، وانها تنهض بمساعدة الدول الرأسمالية ، وان منظمات الحرس الابيض الروسية تبذل فائق الجهد محاولة ان تنشىء من جديد هذه الوحدات العسكرية او تلك ، وتعدها ، مع القوى التي يملكها فرانجل ، لزحف جديد على روسيا في اللحظة المناسبة .

ولهذا يجب ان نحتفظ بالاستعداد الحربي في مطلق الاحوال . ودون ان نتكل على الضربات التي سددناها الى الامبريالية ، ينبغي لنا ، مهما كلف الامر ، ان نحتفظ بجيشنا الاحمر على كامل الاهبة للقتال وان نعزز قدرته القتالية . وهذا ما لا يحول دونه بالطبع تحرير قسم معين من الجيش وتسريحه بسرعة . ونحن نحسب ان التجربة الضخمة التي اكتسبها الجيش الاحمر وقادته زمن الحرب ، ستساعدنا على تحسين صفاته الآن . وسنتوصل الى ما يلي : مع تخفيض الجيش ، سنحتفظ بنواته الاساسية بحيث لا تلقي عبئاً لا يطاق على الجمهورية بمعنى اعالتها ، ومع تقليل عدد افراد الجيش ، نؤمن في الوقت نفسه ، احسن من ذي قبل ، امكانية استنفار وتعبئة قوة حربية اكبر ، من جديد ، عند الاقتضاء .

ونحن واثقون بان جميع الدول المجاورة التي خسرت الكثير بسبب من دعمها ضدنا مؤامرات الحرس الابيض ، قد اخذت كفاية بعين الاعتبار درس التجربة القاطع وقدرت كما ينبغي تساهلنا الذي فسره الجميع بانه ضعفنا . كان لا بد لها ان تقتنع بعد تجربة ثلاثة اعوام باننا عندما نبدي مزاجاً ثابتاً وسلمياً ولا اكثر ، نكون في الوقت نفسه على استعداد في المضمار العسكري . وكل محاولة حرب ضدنا ستعني بالنسبة للدول التي تدخل في حرب كهذه تردي الشروط التي يمكنها ان تحصل عليها بدون حرب وقبل الحرب ، بالقياس الى الشروط التي تحصل عليها نتيجة للحرب وبعد الحرب . وهذا ما اقيم عليه البرهان فيما يخص بعض الدول . وهذا مكسب لنا لن نمتنع عنه ولن تنساه اي من الدول المحيطة بنا او الموجودة على اتصال سياسي مع روسيا . وبفضل هذا ، تتحسن علاقاتنا باستمرار مع الدول المجاورة . وانتم تعرفون ان الصلح قد وقع نهائياً مع جملة كاملة من الدول الواقعة على الحدود الغربية لروسيا والتي كانت داخلة سابقاً في قوام

الامبراطورية الروسية والتي نالت من السلطة السوفييتية اعترافاً باستقلالها وسيادتها لا قيد فيه ولا شرط ، وفقاً للمبادئ الاساسية لسياستنا . وللسلام على هذه الاسس جميع الاحتمالات لأن يكون أمتن من السلام الذي رغب فيه الرأسماليون وبعض الدول الاوروبية الغربية .

فيما يخص الحكومة اللاتفية ، يجب عليّ ان اقول انه كان يبدو لفترة من الزمن انه يتهددنا تردي العلاقات الذي بلغ حتى امكانية نشوء فكرة قطع العلاقات الديبلوماسية . ولكن التقرير الاخير الذي قدّمه ممثلنا في لاتفيا يشير بالضبط الى انه قد حدث تغير في السياسة ، وازيلت كثرة من مظاهر سوء التفاهم ومن الدوافع المشروعة للاستياء . وهناك أمل جدي في اننا سنكون في القريب العاجل على صلة اقتصادية وثيقة مع لاتفيا التي ستكون ، في حال التبادل التجاري مع اوروبا الغربية ، – وهذا مفهوم – أنفع لنا من استونيا وسائر الدول المتاخمة لجمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية .

كذلك ينبغي لي ان اشير ، ايها الرفاق ، الى ان سياستنا في الشرق قد احرزت هذا العام نجاحات كبيرة . ينبغي لنا ان نرحب بتشكل وتوطد الجمهوريات السوفييتية ، البخارية والاذربيجانية والارمنية ، التي لم تبعث استقلالها التام وحسب ، بل وضعت السلطة في ايدي العمال والفلاحين . ان هذه الجمهوريات دليل وتأكيد على ان افكار ومبادئ السلطة السوفييتية مفهومة وقابلة للتحقيق على الفور لا في البلدان المتطورة من الناحية الصناعية وحسب ، لا مع دعامة اجتماعية كما هي عليه البروليتاريا وحسب ، بل ايضاً مع اساس كما هم عليه الفلاحون . ان فكرة سوفييتات الفلاحين قد انتصرت . ان السلطة في ايدي الفلاحين مؤمنة ؛ وفي ايديهم الارض ووسائل الانتاج . ان علاقات الصداقة بين الجمهوريات

السوفييتية الفلاحية وجمهورية روسيا الاشتراكية قد وطدتهـــا النتائج العملية لسياستنا .

كذلك في وسعنا ان نرحب بالتوقيع العتيـــد على معاهدة مـــع بلاد فارس (٨٦) التي تتأمن علاقات الصداقة معها بحكم توافـــق المصالح الجذرية لجميع الشعوب التي تكابد نير الامبريالية .

كذلك ينبغي لنا ان نشير الى ان علاقاتنـــا الوديـــة تقام وتتوطد اكثر فاكثر مع افغانستان ، وعلى نحو اكبر مع تركيا . وفيما يخص الدولة الاخيرة ، فعلت دول الوفاق كل شيء من جانبها لكي تجعل من المستحيل قيام اي علاقات طبيعيـــة بين تركيا وبلدان اوروبا الغربيـــة . وهذا الظرف ، نتيجـــة لرسوخ السلطـــة السوفييتية ، يؤمن اكثر فاكثر واقع ان التحالف والعلاقات الودية بين روسيا والامم الشرقيـــة المظلومة تتوطد رغم كل معارضـــة البرجوازية وجميع دسائسها ، ورغم بقاء البلدان البرجوازيـــة حول روسيا ، لان اهم واقع في كامل السياســـة هو العنف الامبريالي حيال الشعوب التي لم يكن من حظهـــا ان تكون في عداد الظافرين ، وهذه السياســـة الامبريالية العالميـــة تستتبع التقارب والتحالف والصداقة بين جميع الشعوب المظلومة . والنجاح الذي احرزناه في هذا المضمار في الغرب ايضاً حيال دول اكثر اصطباغاً بالصبغـــة الاوروبيـــة ، يبين ان الاسس الحاليـــة لسياستنا الخارجية صحيحة وان تحسين وضعنا الدولي يرتكز على قاعدة متينـــة . ونحن واثقون من ان خط سياستنا الاساسي والمصالح الاساسيـــة التي تنبع من جوهر سياسة الامبرياليين ذاته ، في حال مواصلتنا انتهاج السياسة السلميـــة ، وفي حال التنازلات التي سنقوم بها (وينبغي لنا ان نقوم بها تحاشياً للحرب) ورغم جميع دسائس ونوايا الامبرياليين الذين يستطيعون دائماً ، بالطبع ، ان يثيروا الشجار بين هذه الدولـــة او تلك وبيننا ، رغم كل هذا ، هي التي تحرز الغلبة وتجبر اكثر فاكثر

على الترابط بمزيد من الوثوق بين جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية والدول المجاورة المتزايد عددها حولها . وهذه ضمانة على اننا سنستطيع ان ننصرف بصورة جذرية الى قضية البناء الاقتصادي ، سنستطيع ان نعمل باطمئنان وثبات زمناً اطول .

كذلك يجب عليّ ان اقول انه تجري في الوقت الحاضر مفاوضات مع بريطانيا بشأن توقيع اتفاقية تجارية . ومع الاسف ، تطول هذه المفاوضات اكثر بكثير مما نتمنى ، ولكننا في هذا الصدد غير مذنبين اطلاقاً . فحتى في تموز (يوليو) ، عندما عمدت الحكومة البريطانية في فترة اكبر نجاح احرزته القوات السوفييتية ، وعرضت علينا رسمياً نص اتفاقية تؤمن امكانية العلاقات التجارية ، اجبنا بالموافقة التامة ، ولكن الصراع بين التيارات في الحكومة البريطانية والدولة البريطانية اعاق هذه القضية منذ ذلك الوقت . نحن نرى ترددات الحكومة البريطانية والتهديدات بقطع العلاقات معنا تماماً وبتوجيه الاسطول فوراً على بتروغراد . لقد رأينا هذا ، ولكننا رأينا في الوقت نفسه كيف تغطت بريطانيا كلها «بلجان العمل» رداً على هذه التهديدات . ولقد رأينا كيف ترتب على اكثر انصار الاتجاه الانتهازي تطرفاً وعلى زعمائهم ، تحت ضغط العمال ، ان يسلكوا هذا السبيل ، سبيل السياسة «اللادستورية» اطلاقاً التي شجبوها هم انفسهم بالامس . وقد تبين ان قوة ضغط وادراك الجماهير الكادحة ، خلافاً لجميع الاوهام المنشفية السائدة حتى الآن في الحركة النقابية البريطانية ، قد شقت لنفسها الطريق الى حد انها حطمت حربة سياسة الامبرياليين الحربية النزعة . والآن ، مع مواصلتنا انتهاج السياسة السلمية ، نقف على صعيد مشروع تموز (يوليو) الذي عرضته الحكومة البريطانية . ونحن مستعدون للتوقيع فوراً على الاتفاقية التجارية ، واذا كانت هذه الاتفاقية لم توقع بعد ،

فالذنب يقع بوجه الحصر على عاتق تلك التيارات والميول في الاوساط الحاكمة البريطانيـــة التي تريد احباط الاتفاقية التجارية ، والتي تريد ، لا خلافاً لارادة اغلبيـــة العمال وحسب ، بل حتى خلافاً لارادة اغلبيـــة البرجوازية البريطانيـــة ، ان تكون مرة اخرى مطلقـــة اليدين للهجوم على روسيـــا السوفييتيـــة . هـذا شأنهـــا .

وبقدر ما يستمر انتهاج هذه السياســـة في بعض الاوساط النافذة في بريطانيا ، في اوســـاط الرأسمال المالي والامبرياليين ، بقدر ما توٴزم هذه السياســـة الوٴضع المالي وتوٴخر شبه الاتفاقية التي غدت ضروريـــة الآن بين بريطانيـــا البرجوازية والجمهورية السوفييتية وتقرب الامبرياليين من واقع انه سيترتب عليهـــم ان يقبلوا فيما بعـــد لا بنصف اتفاقيـــة ، بل باتفاقية كاملة .

ايهـــا الرفاق ، يجب عليّ ان اقول انه نظراً لهذه الاتفاقية التجارية مع بريطانيا ، توضع مسألة هي واحدة من أهـم المسائل في سياستنـــا الاقتصاديـــة ، عنيت بهـا مسألة الامتيازات . في عداد أهم القوانين التي اقرتها السلطـــة السوفييتيـــة في المرحلة التي يشملهـــا التقرير ، قانون ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) من العام الجاري بشأن الامتيازات . لقد اطلعتم جميعكـــم بالطبع على نص هذا القانون . وانتم جميعكـــم تعرفون اننـــا نشرنا الآن مواد اضافية من شأنها ان تقدم لجميع اعضاء موٴتمر السوفييتـــات اوفر المعلومات حول هذه المسألة . ولم ننشر كراساً خاصـــاً يتضمن نص هذا المرسوم وحسب ، بل ايضاً لائحـــة بأهم مواضيع الامتيازات ، اي بالضبط الامتيازات في ميادين المأكولات والغابات والمناجم . وقد اتخذنا الاجراءات لكي يصل النص المنشور لهذا المرسوم بأسرع وقت ممكن الى دول اوروبا الغربيـــة ، ونحـــن نأمل بان تلاقي سياستنا بشأن الامتيازات النجاح من الناحية العملية ايضاً . نحن لا نخفي اطلاقـــاً عن انفسنـــا الاخطار التي ترتبط بهذه

السياسة في الجمهورية الاشتراكية السوفييتية ، ناهيك في بلد ضعيف ومتأخر . وما دامت جمهوريتنا السوفييتيـــة طرفاً وحيداً منفرداً للعالم الرأسمالي كله ، يكون من باب الخيال والطوبوية المضحكين تماماً ان نفكر باستقلالنا الاقتصادي الكامل وبزوال هذه الاخطار او تلك . يقينـــاً انه ما دامت امثال هذه التناقضات الجذريـة قائمة ، فان الاخطار ستظل قائمة ايضاً ، ولا مفر منها . ينبغي لنـــا فقط ان نقف برسوخ لكي نصمد لهـــا ، وان نعرف كيف نميز الاخطار الكبيرة الشأن عن الاخطار الصغيرة الشأن ونفضل الاقل شأنـــاً منها على الاكبر شأناً .

منذ أمد قريب ، أبلغنا ان فلاحاً لاحزبياً صرح بشـــــأن الامتيازات في موٴتمر قضاء ارزاماس لسوفييتات محافظة نيجني نوفغورود ، فقال : «ايها الرفاق ، نحن نرسلكم الى موٴتمر عامـــة روسيـــا ونصرح اننا نحن الفلاحين مستعدون للجوع والبرد وتحمل الفرائض ثلاثـــة اعوام اخرى ، شرط ألا تبيعوا أمنا روسيـــا بالامتيازات» . يسرني فوق العادة ان احيي هذا الضرب من الامزجة المنتشرة على نطاق واسع جداً جداً . واني اعتقد انه لذو دلالـــة كبيرة لنـــا بالضبط ان تكون قد نضجت خلال ثلاثة اعوام بين جماهير الكادحين غير الحزبية ، لا بين العمال وحسب ، بل ايضاً بين الفلاحين ، تلك التجربـــة السياسية والاقتصادية التي تتيح وتجبر على تقدير التحرر من الرأسماليين اعظم التقدير ، والتي تجبر على النظر ببصيرة مثلثـــة وباحتراس استثنائي الى كل خطوة تحمل معهـــا اخطاراً جديدة محتملـــة بمعنى انبعاث الرأسماليـــة . لا ريب اننا نصغي بكل الانتباه الى امثال هذا التصريح ، ولكنـه يجب علينـــا ان نقول ان بيع روسيـــا للرأسماليين غير وارد اطلاقاً وان الحديث يتناول الامتيازات ، مع العلـــم ان كل معاهدة بشأن الامتيازات مشروطـــة بمدة معينة ، واتفاق معين ، ومرفقة بجميـــع

الضمانات التي اعملنا فيها الفكر بامعان والتي سنعمل فيها الفكر ونبحثها غير مرة معكم في هذا المؤتمر وفي جميع الاجتماعات اللاحقة ، وهذه المعاهدات الموقتة لا تشبه البيع . وهي لا تمت باي صلة الى بيع روسيا ولكنها عبارة عن تنازل اقتصادي معين للرأسماليين لكي نتمكن عن هذا السبيل من الحصول بأسرع وقت ممكن على الآلات والقاطرات الضرورية التي لا نستطيع بدونها ان نحقق بعث اقتصادنا . ولا يحق لنا ان نهمل اي شيء في وسعه ان يسهم ، وان بقسط زهيد ، في تحسين وضع العمال والفلاحين .

ينبغي ان نفعل الحد الاقصى مما يمكن لأجل بعث العلاقات التجارية بسرعة . وهذه المفاوضات تجري الآن بصورة نصف شرعية . ونحن نوصي على القاطرات والآلات باعداد ابعد من ان تكون كافية ، ولكننا بدأنا نوصي عليها . واذا اخذنا نجري المفاوضات بصورة شرعية ، طورنا هذه الامكانيات الى حد كبير جداً . وبواسطة الصناعة ، سنتوصل الى اشياء كثيرة ، وفي مدة أقصر ، ولكن حتى في حال النجاح الكبير ، تقاس هذه المدة بسنوات ، بجملة من السنوات . يجب ان نتذكر باننا اذا كنا قد احرزنا الآن النصر الحربي ، ونلنا السلام ، فان التاريخ يعلمنا ، من جهة اخرى ، انه ما من قضية كبيرة ، ما من ثورة وجدت حلا الا في جملة من الحروب . وهذا الدرس لن ننساه نحن . لقد حرمنا الآن جملة كاملة من الدول القوية الرغبة في محاربتنا ، ولكنه لا يسعنا ان نؤكد ما اذا كانت هذه الحالة ستدوم زمناً طويلاً . ينبغي ان نكون مستعدين لزحف الضواري الامبرياليين علينا من جديد لدن اقل تغير في الوضع . ينبغي ان نكون مستعدين لهذا الامر . ولهذا السبب ينبغي قبل كل شيء بعث الاقتصاد ، ينبغي ايقافه على قدميه برسوخ . وبدون تجهيزه ،

بدون آلات من البلدان الرأسمالية يستحيل تحقيق هذا في موعد قريب . ولا داعي الى الاسف اذا جنى الرأسماليون ارباحاً طائلة في هذه الحال شرط ان نحقق هذا البعث . ينبغي ان يكون مزاج العمال والفلاحين كمزاج اولئك الفلاحين اللاحزبيين الذين قالوا انهم لا يخشون التضحيات والحرمانات . فهم يدركون خطر التدخل الرأسمالي ولا يرون الى الامتيازات من وجهة نظر عاطفية ، بل يرون فيها استمراراً للحرب ، مع نقل النضال القاسي الى ميدان آخر فقط ، ويرون احتمال قيام البرجوازية بمحاولات جديدة لبعث الرأسمالية القديمة . وهذا رائع ، هذا يعطينا الضمانة على ان الاشراف على مصالحنا وحمايتها لن يكونا من شأن هيئات السلطة السوفييتية وحسب ، بل ستكونان كذلك من شأن كل عامل وكل فلاح . ونحن على ثقة باننا آنذاك سنعرف كيف نحمي مصالحنا ، حتى في حال تطبيق معاهدات الامتيازات ، على اساس لا يمكن معه حتى ان يتناول الحديث عودة سلطة الرأسماليين ؛ وسنتوصل الى تقليل هذا الخطر الى الحد الادنى ، الى ان يكون هذا الخطر اقل من خطر الحرب ، والى ان يصعّب هذا استئناف الحرب ويسهل لنا امكانية بعث وانماء اقتصادنا في مدة اقصر ، في عدد اقل من السنين (والمقصود هنا جملة طويلة نسبياً من السنين) .

ايها الرفاق ، ان المهام الاقتصادية ، الجبهة الاقتصادية تبرز امامنا الآن من جديد ومن جديد بوصفها الجبهة الاهم والجبهة الاساسية . وعندما تفحصت هذه المادة التشريعية التي يترتب عليّ ان اقدم لكم تقريراً عنها ، اقتنعت بان الاغلبية الكبرى من اجراءات وقرارات مجلس مفوضي الشعب ومجلس الدفاع (٨٧) على السواء هي الآن عبارة عن اجراءات جزئية ، تفصيلية ، تافهة تماماً في كثير جداً من الحالات ، ومرتبطة بهذا النشاط الاقتصادي . وانتم بالطبع لا تنتظرون مني تعداد هذه الاجراءات .

فان تعدادها ممل اشد الملل وغير شيق اطلاقاً . انما اريد فقط ان اعيد الى الاذهان اننا لا نعود للمرة الاولى الى هذه المسألة ، مسألة بروز جبهة العمل الى المرتبة الاولى . لنتذكر القرار الذي اتخذته اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا في ٢٩ نيسان (ابريل) ١٩١٨ (٨٨) . كان ذلك في الحقبة التي آل فيها صلح بريست المفروض علينا الى تقطيع روسيا اقتصادياً ، ووجدنا فيها انفسنا في ظروف خارقة القساوة من جرّاء معاهدة ضارية ضراوة لا قياس لها . آنذاك ظهرت امكانية الاعتماد على فترة استراحة تؤمن لنا الظروف لأجل استئناف النشاط الاقتصادي السلمي ، وآنذاك بالذات – مع اننا نعرف الآن ان فترة الاستراحة هذه كانت قصيرة جداً – نقلت اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا ، في قرارها بتاريخ ٢٩ نيسان ، كل الانتباه الى هذا البناء الاقتصادي . ان هذا القرار الذي لم يلغ والذي لا يزال قانوناً لنا يفتح امامنا آفاقاً صحيحة لكي نقدر كيف تناولنا هذه المهمة آنذاك ، وما ينبغي ايلاؤه الآن مزيداً من الانتباه من اجل عملنا ، ومن اجل السير به الى النهاية .

ومن تفحص هذا القرار ، يتضح ان كثرة من المسائل التي يتأتى لنا الآن ان نجهد على دراستها وحلها ، قد طرحت بجلاء تام واحكام وبما يكفي من الحزم في نيسان ١٩١٨ . ونحن اذ نتذكر هذا ، نقول : التكرار ابو التعلم . ونحن لا نرتبك لكوننا نكرر الآن هذه الحقائق الاساسية في البناء الاقتصادي . بل اننا سنكررها ايضاً مراراً عديدة ، ولكن انظروا اي فرق بين اعلان المبادئ المجردة في عام ١٩١٨ والعمل الاقتصادي الذي قد بدأ فعلاً . فرغم المصاعب الهائلة واحباط اعمالنا دائماً ، نقترب أكثر فأكثر وبصورة ملموسة أكثر فأكثر من طرح المهام الاقتصادية بطريقة عملية . وسنكرر ايضاً مراراً عديدة وعديدة . ففي البناء

يستحيل الاستغناء عن التكرار مراراً كثيرة جداً ، عن بعض العودة الى الوراء ، عن التحقق ، عن بعض الاصلاحات ، عن الاساليب الجديدة ، عن توتير القوى لأجل اقناع المتأخرين وغير المدربين .

والآن تقوم عقدة الوضع السياسي كلها في كوننا نمر على وجه التدقيق بمرحلة انعطاف ، بمرحلة انتقال ، بخط متعرج بعض الشيء ، – بمرحلة ننتقل فيها من الحرب الى البناء الاقتصادي . وقد حدث ذلك من قبل ايضاً ، ولكنه لم يكن على مثل هذا النطاق الشاسع . وهذا ما ينبغي له ان يعيد الى اذهاننا مرة اخرى اي هي المهام السياسية العامة التي تواجه السلطة السوفييتية ، واي هي سمات اصالة هذا الانتقال . لقد حالف النجاح ديكتاتورية البروليتاريا لأنها عرفت كيف تجمع بين الاكراه والاقناع . ان ديكتاتورية البروليتاريا لا تخشى الاكراه ولا التعبير الحاد ، الحازم ، الصارم عن اكراه الدولة ، لأنه يحق للطبقة الطليعية التي عانت من اضطهاد الرأسمالية اكثر مما عانى غيرها ، ان تطبق هذا الاكراه ، لأنها تطبقه لما فيه مصلحة جميع الشغيلة والمستثمَرين وتملك من وسائل الاكراه والاقناع ما لم تملكه اي من الطبقات السابقة ، رغم انه كانت تتوافر لها امكانية مادية للدعاية والتحريض اكبر بما لا قياس له من الامكانية المتوافرة لنا .

واذا طرحنا مسألة حاصل تجربتنا خلال ثلاث سنوات (لأنه من الصعب استخلاص حاصل سنة واحدة في بعض النقاط الجذرية) ، اذا تساءلنا عمّا تُفسر في آخر المطاف انتصاراتنا على عدو اقوى منا بكثير ، فلا بدّ من الجواب التالي : بكون تنظيم الجيش الاحمر قد تحققت فيه بصورة رائعة الاستقامة وصلابة القيادة البروليتارية في التحالف بين العمال والفلاحين الكادحين ضد جميع المستثمرين . كيف امكن ان يتحقق

ذلك ؟ لماذا اقدم جمهور غفير جداً من الفلاحين على هذا بطيبة خاطر ؟ لأنه ، وهو غير حزبي باغلبيته الساحقة ، كان على اقتناع بانه لا خلاص الا بدعم السلطة السوفييتية . ويقينا انه اقتنع بهذا ، لا بفضل الكتب ، لا بفضل الدعاية ، بل بفضل التجربة . فقد اقنعته تجربة الحرب الاهلية ، ومنها تحالف اصحابنا المناشفة والاشتراكيين-الثوريين ، وهو تحالف اكثر قرابة من السمات الاساسية الملازمة للاقتصاد الفلاحي الصغير . ان تجربة التحالف بين حزبي الملاكين الصغار هذين وبين الملاكين العقاريين والرأسماليين ، وكذلك تجربة كولتشاك ودينيكين قد اقنعت سواد الفلاحين بانه يستحيل قيام اي شيء وسط ، وان سياسة الاستقامة السوفييتية صحيحة وان قيادة البروليتاريا قيادة حديدية هي الوسيلة الوحيدة التي تنقذ الفلاحين من الاستثمار والعنف . ولأننا استطعنا ان نقنع الفلاحين بذلك ، لهذا السبب فقط ، امكن لسياستنا ، سياسة الاكراه القائمة على هذا الاقتناع الراسخ والمطلق ، ان تحرز مثل هذا النجاح الهائل .

والآن ينبغي لنا ان نتذكر ان المهمة نفسها تنتصب امامنا في وضع جديد ، وعلى نطاق اوسع لدن الانتقال الى جبهة العمل ، ولكنها نفس المهمة التي جابهناها عندما كنا نحارب الحرس الابيض ، وعندما كنا نرى من الحماسة ومن توتر الهمة بين جماهير العمال والفلاحين ما لم يكن له مثيل ولم يمكن ان يكون له مثيل فى اي دولة من الدول وابان اي حرب من الحروب . فان الفلاحين اللاحزبيين ، امثال الفلاح الارزاماسي الذي استشهدت بكلامه مؤخراً ، قد اقتنعوا فعلاً ، بفضل ملاحظة الحياة والاطلاع على الواقع ، بان المستثمرين هم عدو عديم الرحمة ، وانه لا بدّ من سلطة عديمة الرحمة من اجل قمعهم . ولقد اجتذبنا نحن

الى موقف واع من الحرب والى تقديم العون النشيط لها جمهوراً من الشعب اكبر مما في اي وقت مضى . ولقد عطف جميع العمال الحزبيين واللاحزبيين والفلاحين اللاحزبيين (والفلاحون بسوادهم لاحزبيون) على الحرب وفهموها ، وهذا ما لم يحدث في ظل اي نظام سياسي كان ، وان بجزء من عشرة ، كما حدث في ظل السلطة السوفييتية . وهنا كانت تكمن الاسباب الاساسية التي تفسر لماذا انتصرنا في آخر المطاف على عدو قوي . وهنا تتأكد واحدة من اعمق موضوعات الماركسية ، هي في الوقت نفسه ابسطها واسهلها على الفهم . فبقدر ما يكبر مجال الاعمال التاريخية وبقدر ما يتسع ، يتزايد عدد اولئك الذين يشتركون في هذه الاعمال ؛ وبالعكس ، بقدر ما كان التحويل الذي نريد اجراءه اعمق ، ينبغي استنهاض الاهتمام به والموقف الواعي منه ، واقناع الملايين وعشرات الملايين الجديدة والجديدة من الناس بهذه الضرورة . ان ثورتنا قد خلفت وراءها جميع الثورات الاخرى بعيداً عنها ، لأنها ، في آخر المطاف ، استنهضت ، بواسطة السلطة السوفييتية ، الى الاشتراك النشيط في بناء الدولة ، عشرات الملايين ممن ظلوا سابقاً لا يبالون بهذا البناء . والآن لنتناول من هذه الناحية مسألة المهام الجديدة التي جابهتنا ، والتي مرت امامكم ، في هذه الحقبة من الزمن ، في العشرات والمئات من مختلف مراسيم السلطة السوفييتية ، والتي شكلت تسعة اعشار عمل مجلس العمل والدفاع (وسنتكلم عن هذا فيما بعد) ، وعلى الارجح اكثر من نصف عمل مجلس مفوضي الشعب – اي مسألة المهام الاقتصادية : وضع خطة اقتصادية واحدة ، اعادة تنظيم اقتصاد روسيا من اسسه بالذات ، والاقتصاد الفلاحي الصغير من اسسه بالذات . وهذه مهمات تتطلب اجتذاب

جميع اعضاء النقابات بصورة تامة الى هذا العمل الجديد كلياً الذي كان غريباً عنهم في ظل الرأسمالية . واطرحوا الآن مسألة ما اذا كان يتوفر هنا شرط النصر السريع التام الاكيد ، الشرط الذي نشأ ابان الحرب ، الشرط الذي يتلخص في اجتذاب الجماهير الى العمل . فهل هم على اقتناع ، اعضاء النقابات واغلبية اللاحزبيين ، بضرورة اساليبنا الجديدة ومهامنا العظيمة في حقل البناء الاقتصادي ، هل هم على اقتناع بكل هذا كما كانوا على اقتناع بضرورة بذل كل شيء من اجل الحرب والتضحية بكل شيء من اجل النصر في جبهة الحرب ؟ اذا طرحتم المسألة على هذا النحو ، تعين عليكم ان تجيبوا : كلا ، بلا ريب . فانهم ابعد من ان يكونوا مقتنعين بالقدر المطلوب .

كانت الحرب امراً مفهوما وأليفاً في سياق المئات والآلاف من السنين . وكانت الاعمال القديمة من العنف الاقطاعي والوحشية الاقطاعية تظهر بدرجة من الوضوح بحيث كان من السهل الاقناع ، وبحيث لم يكن من الصعب اقناع حتى الفلاحين في اكثر المناطق انتاجاً للحبوب واقلها صلة بالصناعة ، باننا نخوض الحرب في سبيل مصالح الكادحين ، وبالتالي استثارة حماسة الجميع تقريباً . بيد انه سيكون من الاصعب ان نحمل الجماهير الفلاحية واعضاء النقابات على فهم هذه المهام الآن ، على ان يفهموا انه يستحيل العيش حسب النمط القديم ، وانه ينبغي التغلب على الاستثمار الرأسمالي مهما كانت ترسخت جذوره خلال عشرات السنين . ينبغي التوصل الى ان يفهم الجميع ان روسيا تخصنا ، واننا نحن ، جماهير العمال والفلاحين ، نحن وحدنا نستطيع تغيير شروط العيش الاقتصادية القديمة وتطبيق الخطة الاقتصادية العظيمة بنشاطنا ، بطاعتنا الصارمة في العمل . وبدون هذا ، لا خلاص . اننا نتأخر وسنتأخر عن الدول الرأسمالية ؛ وسنمنى

بالهزيمة اذا لم نتوصل الى بعث اقتصادنا . ولهذا ، فان الحقائق القديمة التي ذكرتكم بها للتو ، الحقائق القديمة عن اهمية المهام التنظيمية ، عن الطاعة والانضباط في العمل ، عن دور النقابات الهائل الى ما لا قياس له ، والفريد كلياً في هذا المضمار ، — لأنه لا وجود لمنظمة أخرى توحد الجماهير الواسعة ، — هذه الحقائق القديمة لا ينبغي لنا ان نكررها وحسب ، بل ينبغي لنا ايضاً ان ندرك بكل قوة ان مرحلة الانتقال من المهام الحربية الى المهام الاقتصادية قد حلت .

لقد احرزنا النجاح التام في الميدان الحربي ، ويجب علينا الآن ان نهيئ مثل هذا النجاح لمهام اصعب تقتضي الحماسة والتفاني من اغلبية العمال والفلاحين الكبرى . ينبغي ان نقنع بضرورة المهام الجديدة مئات الملايين ممن عاشوا من جيل الى جيل في ربقة العبودية والاضطهاد ، في ظروف خنق كل مبادرة ؛ ملايين العمال ممن انضموا الى النقابات ولكنهم لا يزالون بعد غير واعين سياسياً ولم يعتادوا ان يروا انفسهم اسياداً ؛ ينبغي تنظيمهم لا من اجل مقاومة السلطة ، بل من اجل دعم وتطوير اجراءات سلطتهم العمالية ، من اجل تطبيقها الى النهاية . ان هذا الانتقال مصحوب بالمصاعب ، وليس هذا بمهمة جديدة من حيث مجرد الصياغة . ولكنه مهمة جديدة لأن المهمة الاقتصادية توضع الآن للمرة الاولى على نطاق جماهيري ، وينبغي لنا ان ندرك ونذكر ان الحرب في جبهة الاقتصاد ستكون اصعب واطول ، ولأجل احراز النصر في هذه الجبهة ، سيتعين العمل لكي يصبح عدد اكبر من العمال والفلاحين اناساً ذوي مبادرة ونشاط واخلاص . وهذا ما يمكن القيام به ، — وهذا ما تشهد عليه تجربة البناء الاقتصادي التي اكتسبناها ، — لأن ادراك المصائب والبرد والجوع وشتى الحرمانات ، من جراء نقص القوى المنتجة ، تكمن عميقاً

في صفوف الجماهير . فينبغي لنا ان نوجه الانتباه الآن من اجل نقل التحريض كله والدعاية كلهـــا من المصالح السياسية والحربيـــة الى مجال البناء الاقتصادي . ولقد نادينا بهذا مراراً عديدة ، ولكن بنحو لا يزال بعد غير كاف ، وبرأيي ان هناك اجراء يبرز بشكل خاص في عداد الاجراءات التي طبقتها السلطـــة السوفييتيـــة خلال هذا العام ، هو انشاء المكتب المركزي للدعاية الانتاجية لدى مجلس النقابات المركزي لعامة روسيـــا (٨٩) ، والجمع بين عمله وعمـــل اللجنـــة المركزية للتثقيف السياسي (٩٠) ، وانشاء جرائد اضافية مبنيـــة على صعيد الانتاج ، ولا تكتفي بنقل الانتباه الى الدعايـــة الانتاجية ، بل تسهم كذلك في تنظيمها على نطاق الدولة بأسرهـــا .

ان ضرورة تنظيم الدعايـــة الانتاجية على نطاق الدولة بأسرها تنبع من جميع خصائص الظرف السياسي . وهذا ضروري للطبقـــة العاملة والنقابات والفلاحين على السواء ؛ وهذا ما هو من الضروري اكبر الضرورة ان يقوم به جهـاز دولتنا الذي لا نستغله بصورة كافيـــة من اجل هذا الغرض . ونحن نعرف كيف تنبغي ادارة الصناعة وكيف تنبغي اثارة اهتمام الجماهير ومصلحتهـا ، ولدينا من المعارف الكتبية عن هذا ما يزيد الف مرة عن تطبيق هذه المعارف عملياً . ينبغي لنا ان نتوصل الى ان يكون جميـع اعضاء النقابات ذوي مصلحة في الانتاج ، ان لا يغيب عن بالهم ان روسيا السوفييتيـــــة لن تتمكن من احراز النصر الا بزيادة الانتاج وزيادة انتاجيـــة العمل . وعن هذا السبيل فقط ، ستختصر روسيا السوفييتية ، عشر سنوات ، وجود هذه الظروف الرهيبـــة التي تتخبط فيهـــا الآن ، وذلـــك الجوع وذلك البرد اللذين تعانيهمـــا الآن . فاذا لم ندرك هـــذه المهمـــة ، فقد نهلك جميعاً ، لأنه سيترتب علينا ان نتراجع نظراً لضعف جهازنا ، لأن الرأسماليين يستطيعون في اي وقت كـــان ان يستأنفوا الحرب بعد ان استراحوا قليلاً ، بينا لن يكون في مقدورنا

آنذاك ان نواصل هذه الحرب . وآنذاك لن يكون في مقدورنا ان نظهر ضغط جماهيرنا التي تُعـــد بالملايين والملايين ، وفي هذه الحرب الاخيرة سنمنى بالهزيمـــة . ان المسألـــة توضع على هذا النحو بالضبط ، – فان جملـة طويلة من الحروب قد قررت حتى الآن مصير جميـــع الثورات ، مصير جميـــع كبريات الثورات . وثورتنا كذلك ثورة كبرى من هذا النوع . لقد انهينـــا جولة واحدة من الحروب ، وينبغي ان نستعد لجولة ثانيـــة ؛ ولكننا لا نعرف متى يحين حينها ، وينبغي ان نعمل بحيث نكون على المستوى اللازم عندما يحين حينها . ولهذا بالذات ينبغي لنا ألا نمتنع عن تدابير الاكراه ، وليس ذلـك فقط لأننا لا نزال نطبق الديكتاتوريـــة البروليتارية التي فهمتهـــا الآن جماهير الفلاحين وفهمها العمال اللاحزبيون ، الذين يعرفون كل شيء عن ديكتاتوريتنا البروليتاريـــة ، ناهيك عن انها لا ترهبهـم ، ولا تخيفهم ، وانهم يرون فيها السند والحزم ، اي ما يستطيعون به معارضة الملاكين العقاريين والرأسماليين وما يستحيل النصر بدونه .

وهذا الادراك ، هذا الاقتناع الذي ترسخ في لحم ودم جماهير الفلاحين ، فيما يخص المهام الحربيـــة والسياسيـــة ، انما لا يزال يترتب نقله الى المهام الاقتصادية . وهذا الانتقال قد لا يحالفـــه التوفيق دفعـــة واحدة . وقد لا يستغني عن بعض ذبذبات ونكسات الاستهتار القديم والعقلية البرجوازيـــة الصغيرة . فينبغي ان ننصرف الى هذا العمل بمزيد من التوتر والجهد ، متذكرين باننا سنقنـــع الفلاحين اللاحزبيين واعضاء النقابات القليلي الوعي لأن الحقيقة الى جانبنا ، لأنه يستحيل دحض الامر التالي وهو اننا لن ننتصر على اعدائنـــا في الجولة الثانيـــة من الحروب اذا لم نبعـــث الحياة الاقتصادية . لنتوصل فقط الى ان يقف الملايين والملايين مـــن الحرب في الجبهـــة الاقتصادية موقفاً اوعى . ففي هذا تقوم مهمـة المكتب المركزي للدعاية الانتاجية ، وفي هذا تقوم مهمة مجلس النقابات

المركزي لعامة روسيـــا ، وفي هذا تقوم مهمة جميع العاملين الحزبيين ، وفي هذا تقوم مهمـة جميع اجهزة السلطـة السوفييتية على اختلافهـــا ، وفي هذا تقوم مهمـــة كل دعايتنا التي احرزنا بها نجاحاتنا العالمية ، لأن دعايتنا في العالم كله قد قالت دائماً ولا تزال تقول الحقيقة للعمال والفلاحين ، بينما تقول لهـــم كل دعايـة اخرى الكذب . وينبغي لنا ان ننقل دعايتنا الآن الى ما هو اصعـب بكثير ، – الى ما يتعلق بعمل العمال اليومي في المشغل مهمـــا كانت عسيرة ظروف هذا العمل ، ومهما كانت قوية ذكريات النظـــام الرأسمالي الذي كان قائما في الامس القريب ، والذي يربـــي عدم الثقـــة بالسلطـــة في نفوس العمال والفلاحين . ينبغي اقناع العمال والفلاحين على السواء باننا ، دون جمع القوى على نحو جديد ، دون اشكال جديدة للتوحيد على صعيد الدولـــة ، دون اشكال جديدة مرتبطـــة بهذا الاكراه ، لن نخرج من ذلك المستنقع ، من تلـــك الهاويـــة ، هاويـــة التدهور الاقتصادي التي نقف على حافتهـــا ؛ والحال ، بدأنا نخرج من هذا .

وانتقل ، ايها الرفاق ، الى بعض المعطيات عن سياستنا الاقتصادية والى مهامنـــا الاقتصاديـــة التي تعطي ، كما يبدو لي ، مواصفات الوضع السياسي الحالي وكل ذلك الانتقال الذي يجابهنـــا . قبل كل شيء ، يجب عليّ ان اذكر مشروعنا الزراعي ، مشروع قانون مجلس مفوضي الشعب بتوطيـــد وتطوير الانتاج الزراعي ومساعدة الاقتصاد الفلاحي ، – مشروع القانون الذي طبـــع في ١٤ كانون الاول (ديسمبر) من العام الجاري والذي احيط جميـــع الموظفين المحليين علماً بأسســـه قبل ذاك ببرقيـــة خاصـــة توضح كنه مشروع القانون هذا وجوهره بالذات .

ينبغي منـــذ البدء تنظيم الامور على نحو يخضع معـــه مشروع القانون هذا – انطلاقاً من التجربـــة المحلية (وهو ينطلق منهـا) ،

وقد شعروا بهذا في القاعدة ، في المطارح – لادق البحث في المؤتمر وكذلك بين ممثلي اللجان التنفيذيـــة المحلية واقسام هذه اللجان . اغلب الظن انه لا يوجد الآن رفيق واحد يشك في ضرورة اجراءات العون الخاصـــة والحازمـــة جداً لا بمعنى التشجيع وحسب ، بل ايضاً بمعنى الاكراه ، من اجل انهـاض الانتاج الزراعي .

لقد كنا ولا نزال بلد فلاحين صغار ، ولذا كان الانتقال الى الشيوعية اصعب علينـــا بما لا يقاس مما في ظل ظروف اخرى ايـاً كانت . ولكي يتحقق هذا الانتقال ، ينبغي اشتراك الفلاحين انفسهم بمـــا يزيد عشر مرات عما في اثناء الحرب . لقد كان في وســـع الحرب وكان لا بدّ لهـــا ان تتطلب قسماً من السكـــان الذكور الراشدين . ولكن بلدنا الفلاحي الذي لا يزال منهوك القوى ، انمـــا يجب عليه ان يعبئ جميع السكان العمال والفلاحين رجالا ونساء دون اي استثناء . وليس من الصعب اقناعنـــا نحن الشيوعيين ، والعاملين في الاقسام الزراعية ، بانه ينبغي تكليف الفلاحين في صالح الدولـــة . وآمل بانه لن يقوم هنا في هذا الصدد اي ظل لخلافات مبدئية اثناء مناقشـــة مشروع القانون الصادر في ١٤ كانون الاول والمعروض على بساط البحث امامكم . انما ينبغي فهم صعوبـــة اخرى هي اقناع الفلاحين اللاحزبيين . فالفلاحون ليسوا اشتراكيين . واذا بنينا خططنـــا الاشتراكية كأنما هم اشتراكيون ، عنى ذلـك اننا نبني على الرمال ، عنى ذلك اننا لا نفهم مهامنا ، عنى ذلـــك اننا لم نتعلم في ثلاث سنوات كيف نضع برامجنـــا ونطبق اجراءاتنا وفقاً للواقع الفقير ، الحقير احياناً ، الذي نعيش فيه . وهنـــا ينبغي ان نتصور بوضوح المهام التى تجابهنـــا . المهمـة الاولى هي توحيد العاملين الشيوعيين في الاقسام الزراعية ، وتعميـــم وتلخيص تجربتهم ، وادراك ما تحقق محلّياً ، في المطارح ، وادراجه

في مشاريع القوانين التي ستصدر في المركز باسم مؤسسات الدولة ، باسم مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا . ونحن نأمل باننا سنفعل هذا معكم . ولكن هذه ليست سوى الخطوة الاولى . اما الخطوة الثانية ، فهى اقناع الفلاحين اللاحزبيين ، اللاحزبيين على وجه التدقيق ، لأنهم جمهور ، ولأن عمل ما في مقدورنا ان نعمله لا يمكن الا اذا ازداد ادراك هذا الجمهور ، الذي هو بحد نفسه ذو نشاط ومبادرة ، لضرورة الانكباب على هذا العمل . فمن المستحيل ان يعيش الاقتصاد الفلاحي حسب النمط القديم . واذا كنا استطعنا ان نخرج من الجولة الاولى من الحروب ، فاننا لن نخرج من الجولة الثانية من الحروب بنفس القدر من السهولة ، ولهذا ينبغي ايلاء هذه الناحية انتباهاً خاصاً .

ينبغي ان يفهم كل فلاح لاحزبى هذه الحقيقة التي لا مراء فيها ، ونحن واثقون بانه سيفهمها . فليس عبثاً عانى جميع هذه السنوات الست المعذبة والعسيرة . وهو لا يشبه ما قبل الحرب . لقد تألم شديد الألم ، وتأمل كثيراً وتحمل كثيراً اعباء سياسية واقتصادية حملته على نسيان الكثير من القديم . وبرأيي انه اصبح هو نفسه يفهم انه يستحيل العيش حسب النمط القديم ، وانه ينبغي العيش حسب نمط آخر ، وينبغي لنا ان نوجه جميع وسائل دعايتنا ، جميع امكانيات دولتنا ، وكل تعليمنا وجميع وسائلنا وقوانا الحزبية ، ينبغي لنا ان نوجه كل معاً وبسرعة فائقة نحو اقناع الفلاح اللاحزبي ، وآنذاك سنقيم قاعدة حقيقية تحت مشروع قانوننا الزراعي الذي ستوافقون عليه بالاجماع ، كما آمل ، وستوافقون عليه بالطبع بعد اجراء ما يلزم من التعديلات والاضافات . ولن يكون راسخاً كما هي راسخة سياستنا الا متى اقنعنا اغلبية الفلاحين واشركناها في هذا العمل لأن الفلاح المتوسط الكادح والفلاح الفقير الكادح – كما قال عن حق وصواب الرفيق كورايف في مقال له على اساس تجربة الجمهورية

التترية – هما صديقـــا السلطة السوفييتية بينا الكسالى اعداؤها . هذه حقيقـــة حقاً وفعلاً ، ليس فيهـــا ذرة من الاشتراكية ولكنهـا ثابتـــة وجلية الى حد انها تتسرب الى الفهـــم والادراك في اي اجتماع قروي ، في اي اجتماع للفلاحين اللاحزبيين ، وتصبح عقيدة عنـــد الاغلبية الساحقة من السكان الفلاحين الكادحين .

ايها الرفاق ، هذا ما اود ان اؤكد عليه امامكم اكثر من غيره الآن ، بعدما انعطفنا من مرحلة الحروب الى مرحلة البناء الاقتصادي . فان مهمتنا الرئيسية والاساسية في بلد من صغار الفلاحين ، ان نعرف كيف ننتقل الى اكراه الدولة لكي ننهض بالاقتصاد الفلاحي ، ابتداء من أحوج التدابير وألحّها ، المفهومـــة كلياً للفلاح ، التي في مناله كلياً . ولا يمكن ان نعرف كيف نتوصل الى هذا الا متى عرفنـــا كيف نقنع ملايين جديدة غير مهيأة له . ونحو هذا يجب تحريك جميع القوى والحرص على تأمين قاعدة لاجهزة الاكراه المنتعشـــة والمتوطدة وعلى اعدادهـــا كلياً من اجل الاقناع على نطاق جديد ، وآنذاك ننهي هذه الحملـــة الحربية بالنصر . فالآن تبدأ حملة حربية ضد بقايـــا الجمود والجهـــل والحذر بين جماهير الفلاحين . وفي هذا المجال لن ننتصر بالتدابير القديمـــة . اما تدابير الدعاية والتحريض والتأثير المنظم الذي تعلمناه ، فاننا سنحرز بهـــا النصر ونتوصل لا الى ان تتخذ المراسيـــم وتؤسس المؤسسات وتتحرك الاوراق وحسب – فقليل ان ترسل الاوامر – بل يجب ايضاً ان يتم بذر جميع الحقول في الربيع خيراً مما مضى ، ويطرأ بعض التحسن في اقتصاد الفلاح الصغير ، وان ابسط التحسن ، – فكلمـــا اشتد الاحتراس ، كلما كان الحال افضل ، – ولكن يجب ان يتحقق التحسن على نطاق شامل مهمـــا كلف الامر . واذا فهمنا مهمتنا فهماً صحيحاً ، واولينا الفلاح اللاحزبي الاهتمام كلـــه ، وركزنا على هذا الامر المهارة كلهـــا وكل الخبرة المكتسبة في ثلاث سنوات ، فاننـــا آنذاك سننتصر .

ودون هذا النصر ، دون تحسين اقتصاد الفلاحين الصغار على نطاق جماهيري وبصورة عملية ، لن يكون لنا خلاص ، لأنه دون هذه القاعدة ، يستحيل كل بناء اقتصادي ، وتمسي الخطط العظيمة ايا كانت ، صفراً بصفر . فليتذكر الرفاق هذا ويقنعوا الفلاحين به ؛ ليقولوا لفلاحي ارزاماس اللاحزبيين الذين يبلغ عددهم عشرة ملايين بل خمسة عشر مليوناً انه لا يمكن احتمال الجوع والبرد الى ما لا نهاية ، والا اطيح بنا في الجولة الثانية من الحروب . وهذه مصلحة الدولة ، مصلحة دولتنا . وان من يبدي هنا اقل ضعف ، اقل اهمال واستهتار ، كان اكبر مجرم بحق سلطة العمال والفلاحين وساعد الملاك العقاري والرأسمالي ؛ والحال يحتفظ الملاك العقاري والرأسمالي بجيشهما على مقربة ، وجيشهما مستعد للانقضاض علينا ما ان يلاحظ اننا نضعف . ولا سبيل لتقوية انفسنا غير النهوض بدعامتنا الرئيسية – الزراعة وصناعة المدن ، – ولا يمكن النهوض بها الا باقناع الفلاح اللاحزبي بضرورة انهاضها ، وبحشد جميع القوى من اجل مساعدته ، وبتقديم هذه المساعدة له حقاً وفعلاً .

نحن نعترف باننا مدينون للفلاح . فقد أخذنا منه الحبوب مقابل علائم نقدية ، واخذنا منه بالدين ، وينبغي لنا ان نفي بهذا الدين ، وسنفي به بعد ان نبعث صناعتنا . ولكن ، من اجل بعثها ، تنبغي لنا فوائض الانتاج الزراعي . ولهذا لا تقتصر اهمية مشروع قانوننا الزراعي على انه ينبغي لنا ان نتوصل الى اهداف عملية ، بل تقوم كذلك في كون المئات من مراسيم السلطة السوفييتية ومشاريع قوانينها تتجمع حوله كما حول بؤرة .

والآن انتقل الى المسألة التالية : كيف هي عندنا الآن القاعدة من اجل بنائنا الصناعي ، من اجل ان نشرع ببعث القوى الاقتصادية في روسيا . وهنا يجب عليّ قبل كل شيء ان الفت

انتباهكم ، في قلب تلك الكومة من التقارير التي تلقيتموهـــا او التي ستتلقونهـــا في هذه الايام في جميع المفوضيات ، الى مكان واحد في تقرير مفوضيتنا للتموين . وفي الايام القريبة القادمة ، ستعطيكم كل مفوضيـــة اكواماً من المواد التقريرية العملية التي ترهـــق بمجملهـــا لوفرتها ، ولكنه ينبغي ان نفرز ما هو الأهم ، لكي نحرز نجاحاً ، مهمـــا كان زهيداً ، وما هو الاساسي لتطبيق كل خطتنـــا الاقتصادية ، لكي نبعث اقتصادنا الوطني وصناعتنا . واليكم واحدة من هذه القواعد ، واعني بها وضع مخزوناتنا الغذائية . في هذه الكراســـة التي وزعت عليكم – واعني بهـــا تقرير مفوضية التموين عن ثلاث سنوات – يوجد جدول سأقرأ منه الارقام الاجمالية فقط ، وسأقرأهـــا مبسطـــة ، لأنه من الصعب قراءة الارقام ، وسماعها على الاخص . هذه الارقام حواصل المخزونات حسب السنين . من اول آب (اغسطس) ١٩١٦ الى اول آب ١٩١٧ ، تم تخزين ٣٢٠ مليون بود * ، وفي السنة التاليـــة ٥٠ ، ثم ١٠٠ و٢٠٠ مليون بود . ان هذه الارقام – ٣٢٠ ، ٥٠ ، ١٠٠ ، ٢٠٠ – تقدم الاساس لتاريخ السلطـــة السوفييتية الاقتصادي ، لعمل السلطة السوفييتية في الميدان الاقتصادي ، ولتحضير تلك القاعدة التي ، متى مـــا ملكناهـــا ، بدأنا حقاً وفعلاً ببنائنا . ٣٢٠ مليون بود قبل الثورة ، هذا هو الحد الادنى التقريبي الذي يستحيل بدونه البناء . السنـــة الاولى من الثورة ، ٥٠ مليون بود ، ومعهـــا الجوع والبرد والفقر الشديـــد ؛ السنـــة الثانية ، ١٠٠ مليون بود ؛ السنـــة الثالثة ، ٢٠٠ مليون بود . زيادة ١٠٠٪ كل سنة . ويستفـــاد من المعلومات التي قدمها لي سفيدرسكي امس ، انه كان يوجد نحو الخامس عشر من كانون الاول (ديسمبر) ١٥٥ مليون بود . وهكذا نقف للمرة

---

* البود يوازي ٣٨ر١٦ كيلوغراما . **المعرب** .

الاولى ثابتي الاقدام ، باذلين قصارى الجهد ، مجابهين مصاعب خارقة ، ملزمين في كثير من الاحيان بتأمين المأكولات بدون سيبيريا وبدون القفقاس وبدون الجنوب . والآن ، وقد اعطينا اكثر من مائة وخمسين مليون بود ، بوسعنا ان نقول دون مبالغة اننا قد نفذنا هذه المهمة مع ذلك رغم جميع المصاعب الهائلة . وسيبلغ صندوق الحبوب عندنا حوالي ٣٠٠ مليون بود ، ولربما اكثر ، وبدون صندوق كهذا يستحيل بعث صناعة البلاد ، يستحيل التفكير ببعث النقليات ، يستحيل حتى الاقدام على اداء المهام العظيمة المتعلقة بكهربة روسيا . ان اي بلد اشتراكي يستحيل وجوده بوصفه دولة السلطة فيه للعمال والفلاحين ، اذا لم يستطع بتضافر جهود العمال والفلاحين ان يجمع صندوقاً تموينياً يؤمن تغذية العمال العاملين في الصناعة ، ويمكن من ارسال عشرات ومئات الآلاف من العمال الى حيث تحتاجهم السلطة السوفييتية . وبدون هذا ، سيكون كل شيء كلاماً بكلام . ان اسس الاقتصاد الحقيقية انما هي الصندوق التمويني . وهنا كان النجاح المحرز هائلاً . وانطلاقاً من هذا النجاح ، بامتلاكنا هذا الصندوق ، نستطيع الشروع ببعث الاقتصاد الوطني . نحن نعرف ان هذه النجاحات قد تحققت بثمن الحرمانات الهائلة والجوع وقلة التغذية في صفوف الفلاحين ، مع العلم ان هذا الثمن قد تعاظم فيما بعد . ونحن نعرف ان الجفاف في هذه السنة قد شدد مصائب الفلاحين وحرماناتهم بصورة لا سابق لها . ولذا نعرض في المقام الاول اجراءات العون الواردة في مشروع القانون الذي اشرت اليه . ونحن نعتبر هذا الصندوق التمويني كصندوق لبعث الصناعة ، كصندوق لمساعدة الفلاحين . وبدون هذا الصندوق ، تغدو سلطة الدولة صفراً . وبدون هذا الصندوق ، تمسي السياسة الاشتراكية مجرد امنية .

وينبغي لنا ان نتذكر ان اسلوباً للتأثير من نوع آخر ينضم

الى اساليب الدعاية الانتاجية التي عزمنا صادق العزم على القيام بها ، وهذا الاسلوب هو المكافأة العينيـــة . فمن اكبر مراسيم وقرارات مجلس مفوضي الشعـب ومجلس الدفاع كان قانون المكافأة العينية . نحـن لم نفلح على الفور ودفعـــة واحدة في اصدار هذا القانون . فمن نيسان (ابريل) ، اذا نظرتم ، تنطلق سلسلـة طويلـــة كاملة من القرارات والمراسيم ، ولم يصدر القانون الا عندما نجحنا ، بفضل ما بذلته نقلياتنا من جهود هائلـــة ، في جمع صندوق تمويني قدره نصف مليون بود . ان نصف مليون بود لرقم متواضع جداً . وتلك التقارير التي قرأتموها على الارجح امس في جريدة «ازفيستيا» تبين انه تم حتى الآن انفاق ١٧٠٠٠٠ بود من اصل هذه الـ ٥٠٠٠٠٠ بود . ان هـذا الصندوق ، كمـــا ترون ، حقير وغير كاف ابداً ، ولكننا مع ذلك ، انخرطنـــا في السبيل الذي سنمضي عليه قدماً . وهذا دليل على اننـــا لن ننتقل عن طريق الاقناع وحده الى اساليب العمل الجديدة . فلا يكفي ان نقول للفلاحين والعمال : شددوا طاعة العمل . انما تنبغي ايضاً مساعدتهـــم ، تنبغي مكافأة اولئك الذين يواصلون بعد بلايا لا قياس لها ، ضرب آيات من البطولة في جبهـة العمـل . لقد تشكل عندنا صندوق ، ولكن استعماله لا يرضي بعد : فعندنا في مجلس مفوضي الشعب جملـــة كاملة من الادلـــة تفيـد ان المكافأة العينيـــة كثيراً ما تعني في الواقـــع مجرد علاوة على الاجرة . وهنا لا يزال يترتب بذل الكثير من الجهود . وفضلاً عن الاجتماعات والمشاريـــع الاضافيـــة في المركز ، ينبغي ان يقوم العمل الأهم واعني به العمل في القاعدة ، في المطارح ، وبين الجماهير الواسعـــة . وليس من الصعب ان يفهم المرء ان الدولـــة لا تقنع وحسب ، بل تكافئ كذلك العاملين الصالحين بشروط حياة افضل ؛ ولكي يفهم المرء هذا ، لا لزوم ان يكون اشتراكياً ؛ وهنـــا كان عطف الجماهير العماليـــة والفلاحية اللاحزبيـــة مضموناً لنا سلفاً .

انمـــا ينبغي لنا فقط ان ننشر هذه الفكرة على نطاق اوسع وان ننظم العمل في القاعدة ، في المطارح ، بشكل ملموس اكثر .

واذا انتقلنـــا الآن الى مسألة الوقود ، فانكـــم سترون من موضوعات الرفيق ريكوف ارقاماً يتجلى فيهـــا التحسن الحاصل ، لا فيما يخص الحطب وحسب ، بل البترول ايضـــاً . فالآن تسير امور البترول على ما يرام بفضل الحماســـة البالغـــة التي يبديها العمال في جمهورية اذربيجان ، وبفضل علاقات الصداقة التي قامـــت عندنا ، وبفضل القادة الماهرين الذين قدمهم مجلس الاقتصـــاد الوطني ؛ وهكذا بدأنا نقف ثابتي الاقدام في ميدان الوقود ايضـــاً . ونحن نرفع كميـــة الفحم الحجري التي ينتجها شهرياً حوض الدونيتس من ٢٥ مليون بود الى ٥٠ مليوناً بفضل عمل اللجنة ذات الصلاحيـة التي أرسلت الى الدونيتس برئاســـة الرفيق تروتسكي والتـــي اتخذت قراراً بتوجيه العاملين المسؤولين والمحنكين الى هنـــاك من اجل العمل . والى هناك أرســل الآن الرفيق بياتاكوف لأجـــل القيادة .

وهكذا اتخذنـــا بعض التدابير في مضمار الوقود لكي نحرز النجاحات . ان حوض الدونيتس ، وهو من اكبر القواعد ، اصبح الآن تحت تصرفنا . وبمقدورنا ان نجد في محاضر مجلس مفوضي الشعب ومجلس الدفاع قرارات تتعلـــق بحوض الدونيتس . وفي هـــذه القرارات ، يتناول الكلام مسألة ارسال اعلى اللجان ذات الصلاحيـــة الى القاعدة ، الى المطارح ، وتأليفهـــا من ممثلي السلطـــة المركزية ومن العاملين في المطارح . ينبغي لنا ان نتوصل الى تحسين العمل في المطارح ، ويخيل اليّ ان هذه اللجان بالذات ستفلح في التوصل الى هذا التحسين . وسترون نتائج عمل هذه اللجان ؛ وفيما بعـــد سننظم كذلك لجاناً من هذا النوع . فنحن بحاجـــة الى تركيز جهودنا بعض الشيء في فرع صناعتنا الرئيسي ، الا وهو الوقود .

يجب عليّ ان اقول اننا احرزنا في مضمار الوقود واحداً من اكبر النجاحات هو الاسلوب الهيدرولي لاستخراج الفحم النباتي . ان الفحم النباتي انما هو وقود توجد منه في بلادنا كميات كبيرة جداً جداً ، ولكننا لم نستطع استغلاله لأننا اضطررنا حتى الآن الى العمل في ظروف لا تطاق . ولكن هذا الاسلوب الجديد سيساعدنا على الخلاص من ربقة ذلك الجوع الى الوقود الذي هو من الاخطار الرهيبة في جبهتنا الاقتصادية . ولن يكون في مقدورنا خلال سنوات طويلة ان نخرج من هذا المأزق اذا بقيت عندنا الطريقة القديمة في ادارة الاقتصاد ، اذا لم نبعث الصناعة والنقليات . وقد ساعد العاملون في لجنة الفحم النباتي مهندسين روسيين على استكمال هذا الاختراع الجديد ، وبفضل جهود الطرفين ، يوشك هذا الاسلوب الجديد ان يصبح جاهزاً . وهكذا نرى انفسنا على عتبة ثورة كبيرة ستعطينا في المجال الاقتصادي سنداً كبيراً . يجب ألا يغيب عن البال اننا نملك ثروات طائلة من الفحم النباتي . بيد اننا لا نستطيع استغلالها لأننا لا نستطيع ان نرسل العمال الى هذا العمل الشاق . لقد كان في مستطاع النظام الرأسمالي ان يرسل الناس الى الاعمال الشاقة . وفي ظل الرأسمالية مضى الناس يشتغلون هناك بسبب من الجوع ؛ اما في ظل الدولة الاشتراكية ، فاننا لا نستطيع ارسال الناس الى هذه الاعمال الشاقة ، وما من احد يذهب طوعاً . لقد فعل النظام الرأسمالي كل شيء من اجل الاوساط العليا ، ولم يعن بالفئات الدنيا .

ينبغي في كل مكان ادخال المزيد من الآلات ، والانتقال الى استخدام التكنيك الآلي على اوسع نطاق ممكن . ان استخراج الفحم النباتي بالاسلوب الهيدرولي الذي دفعه المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني الى امام بفائق النجاح يؤمن امكانية استخراج الوقود بمقادير هائلة ويقضي على ضرورة تشغيل العمال المتعلمين لأن العمال غير

المتعلمين ايضاً يستطيعون العمل بواسطة هذا الاسلوب . لقد صنعنا هذه الآلات ، وقد انصح شخصياً الرفاق المندوبين بان يشاهدوا الفلم السينمائي لاعمال استخراج الفحم النباتي ، الذي عرض في موسكو والذي يمكن عرضه على مندوبى المؤتمر ؛ فان هذا الفلم يعطي فكرة ملموسة عن سبب من اسباب النصر على جوع الوقود . لقد صنعنا آلات تستخدم في ظل الاسلوب الجديد ، ولكننا اسأنا صنعها . ان البعثات الى الخارج ، في ظل التبادل التجاري الذي ينتظم مع الخارج ، وان في ظل العلاقات التجارية شبه الشرعية ، ستساعدنا في الحصول على هذه الآلات نفسها التي ابتكرها مخترعونا ، مصنوعة بصورة ممتازة . وبعدد هذه الآلات ، وبنجاح عمل لجنة الفحم النباتي المركزية والمجلس الاعلى للاقتصاد الوطني في هذا المضمار ، ستقاس جميع نجاحاتنا الاقتصادية ، لأنه يستحيل احراز النصر في الجبهة الاقتصادية دون احراز النصر على جوع الوقود . وبهذا ترتبط كذلك النجاحات الحيوية للغاية في مجال بعث النقليات .

ولقد سبق لكم ورأيتم ، فيما رأيتم ، من موضوعات الرفيقين امشانوف وتروتسكي اننا نواجه هنا في هذا المجال برنامجاً حقيقياً موضوعاً لسنوات عديدة . فان الامر رقم ١٠٤٢ قد وضع لمدة خمس سنوات (٩١) ، وفي مدة خمس سنوات نستطيع بعث نقلياتنا ، ونستطيع تقليل عدد القاطرات المعطلة ؛ ولعل اصعب شيء ، اود ان انوه به هو الاشارة الواردة في الموضوعة التاسعة والقائلة اننا قد خفضنا هذه المدة .

ولكن ، ما ان تظهر برامج كبيرة محسوبة لسنوات عديدة حتى يظهر في حالات غير نادرة متشككون يقولون : من اين لنا ان نحسب لسنوات عديدة ، فليساعدنا الله في ان نحقق على الاكثر ما هو ضروري الآن . ايها الرفاق ، ينبغي لنا ان نعرف كيف نجمع

بين هذا وذاك ؛ فلا يجوز العمل دون برنامج محسوب لمرحلة طويلة ولاحراز نجاح جدي . اما ان هذا هو الواقع ، فيبينه تحسن عمل النقليات تحسناً لا جدال فيه . واني الفت انتباهكم الى تلك النقطة من الموضوعة التاسعة حيث قيل ان المدة حددت بخمس سنوات من اجل بعث النقليات ، ولكن هذه المدة قد خفضت لأننا نعمل اكثر من المعدل ؛ ان المدة تحدد بثلاث سنوات ونصف السنة . وهكذا يجب العمل ايضاً في سائر الفروع الاقتصادية . وفي هذا تنحصر اكثر فاكثر مهمة مجلس العمل والدفاع العملية ، الفعلية . ومع تتبع تجارب العلم والتطبيق ، يجب السعي ابداً ودائماً في المطارح الى تنفيذ خططنا قبل الموعد المقرر لكي ترى الجماهير ان تلك المرحلة الطويلة التي تفصلنا عن بعث الصناعة بصورة تامة انما تستطيع الخبرة ان تقصّرها . وهذا رهن بنا . فلنحسّن الاقتصاد في كل مشغل ، وفي كل عنبر ، وفي كل مجال ، واذ ذاك ، نقصر المدة ، بل اننا نقصرها فعلاً . فلا تخافوا من الخطط المحسوبة لجملة طويلة من السنين : فبدونها يستحيل انهاض الاقتصاد ، وهيا بنا نركز الجهود في المطارح على تنفيذها .

من الضروري تنفيذ الخطط الاقتصادية حسب برنامج معين والتنويه بتسارع تنفيذ هذا البرنامج وتشجيعه : ذلك انه ينبغي للجماهير لا ان تعرف وحسب ، بل ان تشعر ايضاً بان تقصير مرحلة الجوع والبرد والفقر يتعلق كلياً بتنفيذها خططنا الاقتصادية في اسرع وقت . وينبغي ان تكون جميع خطط فروع الانتاج المختلفة منسقة ومترابطة بصرامة وان تشكل معاً تلك الخطة الاقتصادية الواحدة الموحدة التي نحن بأمس الحاجة اليها .

وتبعاً لذلك ، تجابهنا مهمة توحيد مفوضيات الشعب الاقتصادية في مركز اقتصادي واحد . وهذه المهمة واجهناها ، وقد عرضنا

على بساط البحث امامكم قراراً لمجلس مفوضي الشعب ولمجلس العمل والدفاع بشأن اعادة تنظيم مجلس العمل والدفاع .

انتم ستبحثون هذا المشروع وآمل بان يتخذ بالاجماع بعد اجراء التعديلات اللازمة . انه متواضع جداً من حيث مضمونه ، ولكنه يتسم بقدر غير قليل من الاهمية ، لأننا بحاجة الى جهاز يعرف وضعه معرفة أوضح وأوثق ، ويوحد كل العمل الاقتصادي الموضوع في المقام الاول .

وهذه المهمة ذاتها عالجها الرفيق غوسيف في احدى المطبوعات التي صدرت قبل المؤتمر ، اي في كراسته التي لم تكن موفقة – واقول هذا للمناسبة – كما كانت موفقة كراسته السابقة (٩٢) . وقد تضمنت هذه الكراسة خطة كبيرة مسهبة لتشكيل مجلس العمل والدفاع مع انتقال عدد كبير من العاملين البارزين اليه ؛ وفي عداد هؤلاء ، نجد اسمي تروتسكي وريكوف . قد اقول : اقل من التخيل من هذا القبيل . فاننا لا نستطيع القفز من جهاز انشئ في سياق ثلاث سنوات . نحن نعرف نواقصه الجسيمة ، وسنتكلم عنها بالتفصيل في هذا المؤتمر . وهذه المسألة واردة في جدول الاعمال بوصفها واحدة من أهم المسائل . وانا اقصد مسألة تحسين الجهاز السوفييتي . ولكنه يتعين علينا الآن ان نعمل باحتراس ، مغيّرين جهازنا عند الاقتضاء وبالاعتماد على التجربة العملية . ان الرفيق غوسيف يسخر من المشروع الذي تقدمنا به ويقول اننا نقترح ضم مفوضية الشعب للزراعة الى مجلس العمل والدفاع . وهذا صحيح ، اذ اننا نتقدم بمشروع كهذا على وجه التدقيق . وفي المشروع نخصص مكاناً متواضعاً جداً لمجلس العمل والدفاع ونعرضه بشكل لجنة العمل والدفاع لدى مجلس مفوضي الشعب . وحتى الآن ، عملنا في مجلس العمل والدفاع دون اي دستور . وكانت مجالات صلاحيات مجلس مفوضي الشعب ومجلس العمل والدفاع محددة تحديداً سيئاً .

واحياناً تجاوزنا الحدود وسلكنا كأننـــا مؤسســـة تشريعية . ولكن الخلافات لم تنشب مرة واحدة على هذا الصعيد . فكنـا نبت في هذه الحالات باحالتها فوراً الى مجلس مفوضي الشعب . وعندما اتضح انـــه ينبغي لنا ان ننشئ من مجلس العمل والدفاع جهازاً يوحـــد السياســـة الاقتصادية على نطاق اوسع ، طرحت امامنا مسألـــة تحديـــد هذه العلاقات بصورة قانونيـــة . وامامنا الآن مشروعان : اولاً ، تحديد مجال صلاحيات مجلس مفوضي الشعب ومجال صلاحيات مجلس العمل والدفاع . ولكن ، لأجل تطبيق هذا المشروع ، ينبغي تشغيل كثرة من قوى التشريع ، وصرف مقادير ضخمـــة من الورق ؛ ومع ذلك ، لن يضمن لنا هذا تجنب الاخطاء .

لنتبع سبيلاً آخر . كان مجلس العمل والدفاع يعتبر مساوياً او يكاد لمجلس مفوضي الشعب . لنتخل عن هذه الفكرة . ليكن هذا المجلس لجنـــة لدى مجلس مفوضي الشعب . وهكذا نقضي على كثرة من الاحتكاكات ونكسب سرعـة التطبيق العملي . واذا كان احد اعضاء مجلس مفوضي الشعب غير راض ، فأحيلوا الامر الى مجلس مفوضي الشعـــب ، اذ يمكن عقده خلال بضـع ساعات . وبذلك نقضي على الاحتكاكات بين الدوائر الحكوميـــة ونجعل من مجلس العمل والدفاع جهازاً يعمل بسرعـــة . ان هذه المهمـة غير سهلة . وهي ترتبـــط بوضع خطة اقتصادية واحدة بصورة عملية . ان المهمة التي عملنا من اجلهـــا بعض الشيء مع ذلك والتي جرى تحضيرهـــا خلال سنتين ، تتلخص في التوصل الى توحيد مفوضيات الشعب الاقتصاديـة . ولهذا بالذات الفت انتباهكم الى مشروع القانون هذا بصدد مجلس العمل والدفاع ، وآمل بانكم ستصادقون عليه مع الاضافات اللازمـــة ، وآنذاك سيسير العمل على توحيد مفوضيات الشعب الاقتصادية بمزيد من الملاســة والسرعة والثبات والحزم .

والآن اتناول النقطـــة الاخيرة : مسألة الكهربـــة الواردة في

جدول اعمال المؤتمر بوصفها مسألة خاصة ؛ وفي هذه المسألة ستستمعون الى تقرير . وبرأيي اننـــا نشهـــد هنا انعطافاً كبيراً جداً يدل في مطلق الاحوال على بداية نجاحات كبيرة تحرزها السلطة السوفييتية . وعلى منابر المؤتمرات لعامة روسيا ، لن يظهر من الآن وصاعداً الساســـة والاداريون وحســـب ، بل المهندسون والمهندسون الزراعيون ايضاً . وهذه بداية أسعـــد المراحل اذ ستقل فيها السياســة اكثر فاكثر ويتناول فيهـــا الكلام السياســة بصورة اندر واقصر ويتكلم فيها المهندسون والمهندسون الزراعيون اكثر . ولأجل الانتقال حقاً وفعلاً الى امر البناء الاقتصادي ، ينبغي الشروع بهذه العادة من مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا ، وتطبيقها من اعلى الى اسفل في جميع السوفييتـات والمنظمات ، وفي جميـــع الجرائد وفي جميع هيئات الدعاية والتحريض وفي جميـــع الدوائر والمؤسسات .

لا ريب اننا تعلمنا السياسة ، وهنا يستحيل تضليلنـــا ، هنا عندنا قاعدة . اما في الشؤون الاقتصادية ، فالحال سيىء . ان خير سياسة من الآن وصاعداً هي التالية : أقل من السياســـة . قدموا المزيد من المهندسين والمهندسين الزراعيين ، تعلموا منهـم ، تثبتوا من عملهـم ، حولوا المؤتمرات والاجتماعات لا الى هيئـــات للاجتماعات الحاشدة والخطب الطنانـــة ، بل الى هيئات للتثبت من النجاحات الاقتصاديـــة ، الى هيئات نستطيع فيها ان نتعلم حقـــاً وفعلاً البناء الاقتصادي .

ستستمعون الى تقرير لجنة الدولـة للكهربة ، المشكلة بموجب قرار اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيـــا بتاريخ ٧ شبـــاط (فبراير) ١٩٢٠ . وفي ٢١ شباط وقعت هيئـــة رئاســـة المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني على قرار نهائي بقوام هذه اللجنـــة ؛ وقـــد انكب كلياً على هذا العمل جملـــة كاملـــة من خيرة الاختصاصيين

والموظفين في المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني في الدرجة الاولى ، — وعددهم اكثر من مائة — بالاضافة الى خيرة القوى في مفوضية الشعب للمواصلات ومفوضية الشعب للزراعة . ونحن نرى امامنا نتائج اعمال لجنة الدولة لكهربة روسيا مجسدة في هذا المجلد الصغير الذي سيوزع عليكم جميعكم اليوم او غداً . وآمل ان لا تخافوا من هذا المجلد الصغير . واعتقد انه لن يصعب عليّ اقناعكم بما لهذا المجلد الصغير من اهمية خاصة . وبرأيي انه برنامج ثان لحزبنا . عندنا برنامج للحزب اوضحه الرفيقان بريوبراجنسكي وبوخارين ايضاحاً ممتازاً في كتيب اقل سماكة ولكنه قيّم للغاية . وهذا البرنامج هو برنامج سياسي ، هو قائمة بمهامنا ، هو توضيح للعلاقات بين الطبقات والجماهير . ولكنه ينبغي لنا كذلك ان نتذكر بانه آن الأوان للانخراط في هذه الطريق فعلاً وقياس نتائجها العملية . فلا يمكن لبرنامج حزبنا ان يبقى برنامج الحزب وحسب . بل ينبغي ان يتحول الى برنامج لبنائنا الاقتصادي ، والا كان عديم الجدوى بوصفه برنامج الحزب ايضاً . ينبغي ان يكتمل ببرنامج ثان للحزب ، بخطة اعمال لبعث الاقتصاد الوطني كله والسير به الى مستوى التكنيك العصري . وبدون خطة للكهربة ، لا نستطيع الانتقال الى البناء الفعلي . ونحن اذ نتكلم عن بعث الزراعة والصناعة والنقليات ، عن ربطها بعضها ببعض باتساق وانسجام ، لا بد لنا ان نتكلم عن خطة اقتصادية واسعة . ينبغي لنا ان ننتهي الى اقرار خطة معينة ؛ ويقيناً ان هذه الخطة ستكون خطة مقررة بصورة تقريبية جداً فقط . فان برنامج الحزب هذا لن يكون ثابتاً لا يتعدل مثل برنامجنا الحقيقي الذي لا يمكن تعديله الا في مؤتمرات الحزب . كلا . ان هذا البرنامج سيتحسن كل يوم ، في كل مشغل ، في كل ناحية ، ويتكامل ويترقى ويتغير . ونحن بحاجة اليه بوصفه مسودة اولى ستنتصب امام روسيا كلها ، بوصفه خطة اقتصادية

عظيمة محسوبة لعشر سنوات على الاقل وتبين كيف ينبغي نقل روسيا الى قاعدة اقتصادية حقيقية لازمة للشيوعية . ولئن كنا حاربنا وانتصرنا في جبهة الحرب ، فأياً كانت واحدة من الدفعات القوية الحافزة التي زادت قوانا وعزيمتنا عشرة اضعاف ؟ ادراك الخطر . كان الجميع يتساءلون : هل يستطيع الملاكون العقاريون والرأسماليون العودة الى روسيا ؟ واجابوا : يستطيعون . ولهذا شددنا عزيمتنا مائة مرة ، شددناها وانتصرنا .

خذوا الجبهة الاقتصادية واسألوا : هل يمكن من الناحية الاقتصادية ان تعود الرأسمالية الى روسيا ؟ لقد كافحنا «سوخاريفكا» . وفي الايام القليلة التي سبقت افتتاح مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا اغلق سوفييت نواب العمال والجنود الحمر بموسكو هذه المؤسسة التي قلما نستسيغها . **(تصفيق .)** لقد أغلقت «سوخاريفكا» ، ولكن الرهيبة ليست «سوخاريفكا» التي اغلقت . لقد أغلقت «سوخاريفكا» في ساحة سوخاريف ، واغلاقها ليس صعباً . الرهيبة انما هي «سوخاريفكا» التي تعيش في روح واعمال كل مالك صغير . وهذه «السوخاريفكا» يجب اغلاقها . هذه «السوخاريفكا» هي اساس الرأسمالية . وما دامت موجودة ، فقد يعود الرأسماليون الى روسيا وقد يصبحون اقوى منا . وهذا ما ينبغي ادراكه بوضوح . وهذا ما ينبغي ان يكون الحافز الرئيسي في عملنا وشرط ومقياس نجاحاتنا الفعلية . وما دمنا نعيش في بلد من صغار الفلاحين ، بقيت للرأسمالية في روسيا قاعدة اقتصادية امتن من قاعدة الشيوعية . فمن الضروري ان نحفظ هذا في ذاكرتنا . وكل من راقب بانتباه حياة القرية وقارنها بحياة المدينة يعرف اننا لم نستأصل جذور الرأسمالية واننا لم نقوض القاعدة ، الاساس الذي يملكه العدو الداخلي . ان هذا العدو يعتمد على الاستثمارة الصغيرة ، ولأجل

تقويضها ، توجد وسيلة واحدة هي نقل اقتصاد البلاد ، بما فيه الزراعة ، الى قاعدة تكنيكية جديدة ، الى قاعدة الانتاج الكبير العصري التكنيكية . وهذه القاعدة هي الكهرباء وحدها .

الشيوعية انما هي السلطة السوفييتية مضافة اليها كهربة البلاد بأسرها . والا ظلت البلاد بلاد الفلاحين الصغار وهذا ما ينبغي لنا ان ندركه بجلاء . نحن اضعف من الرأسمالية ، لا على الصعيد العالمي وحسب ، بل ايضاً داخل البلاد . وهذا معلوم للجميع . وهذا ما ادركناه ؛ ونحن سنسير بالامور الى ان تتحول القاعدة الاقتصادية من قاعدة فلاحية صغيرة الى قاعدة صناعية كبيرة . وعندما تتم كهربة البلاد ، وعندما ترتكز الصناعة والزراعة والنقليات على القاعدة التكنيكية للصناعة الكبيرة العصرية ، عند ذاك فقط سننتصر نهائياً .

لقد وضعنا خطة اولية لكهربة البلاد ، وعلى وضع هذه الخطة عمل مائتان من خيرة قوانا العلمية والتكنيكية . لقد وضعت خطة تعطينا ميزاناً مادياً وميزاناً مالياً لمرحلة طويلة تشمل عشر سنوات على الاقل . وهذه الخطة تبين كم مليوناً من براميل الاسمنت وكم مليوناً من الآجر نحتاج اليها لتنفيذ الكهربة . ولتنفيذ مهام الكهربة على الصعيد المالي ، وضع الميزان على اساس مبلغ يتراوح بين مليار ومليار ومائتي مليون روبل ذهبي . وانتم تعرفون اننا لا نستطيع ابداً ان نغطي هذا الرقم كله باحتياطينا من الذهب . كذلك احتياطينا من الاغذية غير كبير . ولهذا ينبغي لنا ان نغطي عجز هذين الميزانين بامتيازات حسب البرنامج الذي تكلمت عنه . وانتم سترون الميزان الذي يبين كيف يخطط على هذا الاساس بعث صناعتنا ونقلياتنا .

لقد سنحت لي الفرصة منذ وقت غير بعيد وحضرت عيداً فلاحياً في محلة بعيدة في محافظة موسكو ، في قضاء فولوكولامسك ،

حيث يتمتـــع الفلاحون بالنور الكهربائي . اقيـم اجتماع حاشد في الشارع ، واذا فلاح يصعد الى المنصـــة ويشرع في القاء خطاب حيا فيه هذا الحـــدث الجديد في حياة الفلاحين . وقال : اننا نحن الفلاحين كنا في ظلمـــة الجهل وها هو النور قد ظهر عندنا الآن ، «نور غير طبيعي سينير ظلامنا الفلاحي» . انا شخصياً لم ادهش لهـــذا القول . يقيناً ان النور الكهربائي هو نور «غير طبيعي» بالنسبـــة لجماهير الفلاحين اللاحزبيين ، ولكنه من غير الطبيعي بالنسبة لنا ان استطاع الفلاحون والعمال ان يعيشوا مئات السنين وآلاف السنين في مثل هذا الظلام ، في براثن الفقر ، تحت نير الملاكين العقاريين والرأسماليين . ومن هذا الظلام لا يمكن الخلاص في اجل قصير . ولكنـــه ينبغي لنا في الوقت الحاضر ان نعمل بحيث تتحول فعلاً كل محطـــة كهربائيـــة نبنيهـــا الى دعامة للتنوير والتثقيف ، بحيث تقوم ، اذا جاز القول ، بتعليـــم الجماهير الكهربائي . ينبغي ان يعرف الجميـــع لماذا كانت هذه المحطات الصغيرة التي نملك منها الآن العشرات ، لماذا كانـــت مرتبطة ببعث الصناعة . عندنا خطـــة مدروســـة للكهربـــة ، ولكن تنفيذ هذه الخطـــة محسوب لسنوات . وينبغي لنا ان ننفذ هـــذه الخطـــة مهمـــا كلف الامر وان نقصر مدة تنفيذها . وهنا يجـب ان يجري ما جرى لاحدى خططنا الاقتصادية الاولى ، لخطـة بعث النقليات – للامر رقم ١٠٤٢ الذي حسب لمدة خمس سنوات ، ولكنه قـــد قُصِّر ، الآن ، الى ثلاث سنوات ونصف السنـــة ، لأنه ينفذ علاوة على المعدل . ان تنفيذ خطـــة الكهربـــة سيتطلب منـــا ، اغلـــب الظن ، مدة عشر سنوات او مدة عشرين سنـــة ، لأجل اجراء التحويلات التي تستأصل جذور العودة الى الرأسمالية . وسيكون هذا مثالاً على سرعة التطور الاجتماعي لـم ير العالم بعد نظيراً لـــه . يجـــب علينا ، مهما كلف الامر ، ان ننفذ هذه الخطـــة وان نقصِّر مـــدة تنفيذها .

ونحن نشرع في القيام بالعمل الاقتصادي بحيث اننـــا ، علاوة على الخطط المنفردة التي ظهرت عندنا في مختلف اقسام الصناعـــة ، كما في النقليـات مثلاً ، والتي انتقلت الى اقسام اخرى من الصناعة ، نحصل كذلك على خطـــة عامـة محسوبـــة لجملة كاملة من السنين . ان هذا العمل صعب ؛ انه عمل يقصد انتصار الشيوعية .

بيد انه ينبغي لنا ان نعرف ونذكر انه يستحيل تحقيق الكهربة ما دام عندنا اميون . ولا يكفي ان تحاول لجنتنا تصفيـــة الامية . لقد حققت الكثير بالقياس الى ما كان عندنا ، ولكنهـــا حققت القليـــل بالقياس الى ما نحن بحاجـــة اليـه . وعلاوة على معرفة اصول القراءة والكتابة ، ينبغي لنا شغيلة مثقفون ، واعون ، متعلمون ؛ ينبغي ان تتصور اغلبية الفلاحين بوضوح تلك المهام التي تجابهنا . وينبغي ان يصبح برنامج الحزب هذا الكتاب الاساسي الذي يجب ان يدخل جميع المدارس . وفضلاً عن الخطـــة العامة لتطبيق الكهربة ، ستجدون فيه خططاً خاصـــة موضوعـة لكل من مناطق روسيا . وسيزود كل رفيق يمضي الى المطارح بدراســـة خاصة لتطبيق الكهربة في منطقتـــه وللانتقال من الظلام والجهل الى العيش الطبيعي . ومن الممكن ، ايها الرفاق ، ومن الواجب مقارنة الموضوعات المعطاة لكم وتطويرهـــا والتحقق منهـــا في المطارح ، مع السعى الى بلوغ النتيجـــة التالية ، وهي ان لا يكتفوا في كل مدرســـة وفي كل حلقـــة بما هو مكتوب في برنامج الحزب للجواب على السؤال عن ماهية الشيوعية ، بل ان يقولوا كذلك ما ينبغي عمله للخروج من الظلام والجهل .

ان خيرة الموظفين من الاختصاصيين الاقتصاديين ، قد نفـــذوا المهمة التي كلفوا بها ، مهمـــة وضع خطـة لكهربـة روسيـــا ولبعث اقتصادهـــا . والآن يجب التوصل الى ان يعرف العمـــال والفلاحون مدى عظمـــة هذه المهمـــة وصعوبتها ، وكيف ينبغـي الشروع بها والانصراف الى تنفيذها .

يجـــب التوصل الى ان تتحول كل فبركـــة وكل محطة كهربائية الى بؤرة للتنوير والتثقيف ، واذا ما تغطـــت روسيا بشبكة كثيفـــة من المحطات الكهربائيـــة والتجهيزات التكنيكية القويـــة ، فان بناءنا الاقتصادي الشيوعي سيصبح مثالاً لاوروبا وآسيـــا الاشتراكيتين المقبلتين . **(تصفيق عاصف يدوم فترة طويلة .)**

صدر عام ١٩٢١ في كتاب «المؤتمر الثامن لسوفييتات نواب العمال والفلاحين والجنود الحمر والقوزاق لعامة روسيـــا . محضر اختزالي» .

المجلد ٤٢ ، ص‌ص ١٢٨–١٦١

عن النقابات ، وعن الوضع الراهن ، وعن اخطاء الرفيق تروتسكي (٩٣)

خطاب في الجلسة المشتركة
لمندوبي مؤتمر السوفييتات الثامن ،
واعضاء مجلس النقابات المركزي لعامة روسيا
ومجلس النقابات بمدينة موسكو ـ
اعضاء الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا
٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠

ايها الرفاق ، يجب عليّ ، بادئ ذي بدء ، ان اعتذر عن مخالفتي للنظام ، لانه كان ينبغي ، بالطبع ، لاجل الاشتراك في المناقشات ، الاستماع الى التقرير ، والتقرير الثاني ، والمناقشات . ولكني ، مع الاسف ، اشعر بان حالتي الصحية سيئة الى حد انه ليس بمقدوري التقيد بهذا . بيد انه سنحت لي الفرصة امس لقراءة الوثائق المطبوعة الاساسية ، واعداد ملاحظاتي . وطبيعي ان تستتبع مخالفة النظام الذي تحدثت عنها انزعاجاً لكم : فاني ، حسب كل احتمال ، سأكررما قيل ، غير عالم بما قاله الآخرون ، غير مجيب عما تنبغي الاجابة عنه . ولكنه لم يكن بوسعي ان اتصرف تصرفاً آخر .

مادتي الاساسية هي كراس الرفيق تروتسكي «عن دور النقابات ومهماتها» . وعند مقارنة هذا الكراس مع الموضوعات التي عرضها في اللجنة المركزية وعند قراءتها بترو وامعان ، اعجب من كثرة ما تركز فيه من اخطاء نظرية واغلاط صارخة . فكيف أمكن ، عند الانتقال الى مناقشة حزبية كبيرة في هذه المسألة ، اعداد شيء غير موفق الى هذا الحد عوضاً عن اعطاء شيء مدروس بأقصى التعمق ؟ اني سأرسم بايجاز تلك النقاط الاساسية التي تتضمن ، باعتقادي ، الاغلاط النظرية الجذرية الاولية .

ان النقابات ليست منظمات ضرورية تاريخياً وحسب ، بل ايضاً تنظيم محتم تاريخياً للبروليتاريا الصناعية ، تشملها كلياً تقريباً في ظل ديكتاتورية البروليتاريا . وهذا هو الاعتبار الاساسي الاهم ، ولكن الرفيق تروتسكي ينساه على الدوام ، ولا ينطلق منه ، ولا يقدّره . ذلك ان الموضوع الذي طرحه : «دور النقابات ومهماتها» موضوع واسع الى ما لا حد له .

مما قيل ينجم ان دور النقابات هام للغاية في كل عملية تحقيق ديكتاتورية البروليتاريا . ولكن ما هو هذا الدور ؟ حين اعمد الى مناقشة هذه المسألة ، التي هي من أهم المسائل النظرية الاساسية ، اخلص الى القول اننا نواجه هنا دوراً خارق الاصالة . فمن جهة ، تشمل النقابات العمال الصناعيين جميعهم ، وتضمهم في صفوف التنظيم ، ولذا فهي منظمة الطبقة الحاكمة ، السائدة ، الحكومية ، الطبقة التي تطبق الديكتاتورية ، الطبقة التي تطبق القسر من جانب الدولة . ولكنها ليست منظمة الدولة ، ليست منظمة القسر ، انما هي منظمة تربوية ، منظمة اجتذاب وتعليم ، انما هي مدرسة ، مدرسة للادارة ، مدرسة لادارة الاقتصاد ، مدرسة للشيوعية ؛ انما هي مدرسة من طراز غير عادي ابداً ، لاننا لا نجد هنا معلمين وتلامذة ، بل نجد جمعاً خارق الاصالة نوعاً بين ما بقي من الرأسمالية وما لم يكن من الممكن ان لا يبقى وبين ما تقدمه الفصائل الثورية الطليعية من بيئتها ، او الطليعة الثورية للبروليتاريا ، كما يقال . ولذا كان التحدث عن دور النقابات دون اخذ هذه الحقائق بالحسبان انما يعني الانزلاق حتماً الى اقتراف بعض الاخطاء .

ان النقابات من حيث مكانها في نظام ديكتاتورية البروليتاريا ، تقف ، اذا جاز التعبير ، بين الحزب وسلطة الدولة . فان ديكتاتورية البروليتاريا محتمة عند الانتقال الى الاشتراكية ، ولكن هذه

الديكتاتورية لا يحققها تنظيم العمال الصناعيين الشامل الكلي . لماذا ؟ يمكننا ان نقرأ عن هذا في موضوعات مؤتمر الكومنترن الثاني بصدد دور الحزب السياسي على العموم . اما هنا فاني لن اتوقف عند هذا . هناك امر واقع مفاده ان الحزب يستوعب ، اذا جاز القول ، طليعة البروليتاريا ، وهذه الطليعة تطبق ديكتاتورية البروليتاريا . وبدون اساس كالنقابات ، يستحيل تطبيق الديكتاتورية ، يستحيل اداء وظائف الدولة . فان اداء هذه الوظائف يجري بواسطة جملة من مؤسسات خاصة هي كذلك من طراز جديد ما ، اي على وجه الضبط بواسطة الجهاز السوفييتي . ففيم تقوم اصالة هذا الوضع فيما يتعلق بالاستنتاجات العملية ؟ انها تقوم في كون النقابات تخلق **الصلة** بين الطليعة والجماهير ، في كون النقابات تقنع الجماهير بالعمل اليومي ، جماهير تلك الطبقة التي هي وحدها فقط قادرة على نقلنا من الرأسمالية الى الشيوعية . هذا من جهة . ومن جهة اخرى ، النقابات – «خزان» لسلطة الدولة . هكذا هي النقابات في مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية . وعلى العموم يستحيل تحقيق هذا الانتقال اذا لم تتوفر سيادة تلك الطبقة المرباة وحدها فقط على يد الرأسمالية من اجل الانتاج الكبير والمفصولة وحدها فقط عن مصالح المالك الصغير . ولكنه يستحيل تحقيق ديكتاتورية البروليتاريا بواسطة تنظيمها الشامل الكلي . لان البروليتاريا ، لا عندنا فقط ، في بلد من اشد البلدان الرأسمالية تخلفاً ، بل ايضاً في جميع البلدان الرأسمالية الاخرى ، لا تزال متفرقة ، ومهانة ، ومرشوة هنا وهناك (من قبل الامبريالية على وجه الضبط في مختلف البلدان) الى حد انه يستحيل على التنظيم الشامل الكلي للبروليتاريا ان يحقق الديكتاتورية مباشرة . فلا يمكن ان يحقق الديكتاتورية غير الطليعة التي استوعبت الطاقة الثورية للطبقة ، وعليه يكون الحاصل اشبه بعدد من العجلات المسننة .

وهكذا هي آلية اساس ديكتاتورية البروليتاريا ذاته ، آلية جوهر الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية ذاته . ومن هنا بالذات يتضح انه يوجد في الاساس شيء غير صحيح مبدئياً عندما يشير الرفيق تروتسكي في موضوعته الاولى الى «البلبلة الفكرية» ويتحدث عن ازمة النقابات على وجه الخصوص وعلى وجه التحديد . فاذا كان لا بد من الحديث عن الازمة ، فلا يمكن التحدث عنها الا بعد تحليل الوضع السياسي . ان «البلبلة الفكرية» تحصل عند تروتسكي على وجه التحديد لانه غاب عن باله في المسألة الاساسية بالذات ، مسألة دور النقابات ، ولم يأخذ بالحسبان من وجهة نظر الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية ، انه يتواجد هنا نظام معقد من بضع عجلات مسننة وانه لا يمكن ان يتواجد هنا نظام بسيط ، لانه يستحيل تحقيق ديكتاتورية البروليتاريا بواسطة تنظيم البروليتاريا الشامل الكلي ، يستحيل تحقيق الديكتاتورية بدون بضعة «اجهزة لنقل الحركة» من الطليعة الى جمهور الطبقة الطليعية ، ومنها الى جمهور الشغيلة . وهذا الجمهور في روسيا فلاحي ؛ ولا وجود لمثل هذا الجمهور في البلدان الاخرى ، ولكنه يوجد حتى في اكثر البلدان تقدماً جمهور غير بروليتاري او ليس بروليتارياً بحتاً . ومن هنا بالذات تنجم البلبلة الفكرية فعلاً . ولكن عبثاً يتهم تروتسكي بها الآخرين .

وحين آخذ مسألة دور النقابات الانتاجي ، ارى غلطة تروتسكي الجذرية ومفادها انه يتكلم طيلة الوقت عن هذا «من حيث المبدأ» ، عن «المبدأ العام» . ففي جميع موضوعاته ، يدور الكلام من حيث «المبدأ العام» . وان طرح المسألة على هذا النحو خاطئ بصورة جذرية . ناهيك عن ان مؤتمر الحزب التاسع قد تحدث عن دور النقابات الانتاجي ما يكفي ويزيد . ناهيك ايضاً عن ان تروتسكي نفسه يورد في موضوعاته ذاتها تصريحات لوزوفسكي وتومسكي الواضحة كل

الوضوح ، والتي يجب ان تظهر عنده ، كما يقال بالالمانية ، مثل «صبي لاجل الضرب» ، او مثل موضوع يمكن للمرء بواسطته ان يتمرن على المناظرة . فليست هناك خلافات مبدئية ، وقد جاء اختيار تومسكي ولوزوفسكي اللذين كتبا اشياء يستشهد بها تروتسكي نفسه اختياراً غير موفق لهذا الغرض . فنحن لا نجد اي شيء جدي في مضمار الخلافات المبدئية ، مهما بذلنا من الجهود في البحث عنها . وعلى العموم تتلخص الغلطة العملاقة ، الغلطة المبدئية في كون الرفيق تروتسكي يجر الحزب والسلطة السوفييتية الى الوراء ، بطرحه المسألة الآن بصورة «مبدئية» . لقد انتقلنا ، والحمد لله ، من المبادئ الى النشاط العملي ، التطبيقي . ففي سمولني (٩٤) تحدثنا عن المبادئ ، ولا ريب اننا تحدثنا اكثر مما كان ينبغي . والآن ، بعد ثلاث سنوات ، هناك مراسيم في جميع نقاط المسألة الانتاجية ، في جملة كاملة من العناصر المكونة لهذه المسألة – هناك مراسيم – ويا للشيء المؤسف هذه المراسيم – يجري التوقيع عليها ، ثم ننساها نحن انفسنا ونحن انفسنا لا ننفذها . وبعد ذاك تختلق محاكمات بصدد المبادئ ، تختلق خلافات مبدئية . وسأورد فيما بعد اشارات الى مرسوم يتعلق بمسألة دور النقابات الانتاجي* ، مرسوم نسيه الجميع ، بمن فيهم انا ، الامر الذي يجب ان اعترف به .

ان الخلافات الفعلية القائمة لا تتعلق البتة بمسائل المبادئ العامة ، هذا اذا لم نحسب تلك التي ذكرتها . اما «الخلافات» التي ذكرتها بيني وبين الرفيق تروتسكي ، فقد كان يتعين عليّ ان اشير اليها لان الرفيق تروتسكي ، اذ اخذ الموضوع الواسع : «دور النقابات ومهماتها» ، قد اقترف ،

* راجعوا هذا الكتاب ص ٢٤٦ . الناشر .

باعتقادي ، جملة من الاخطاء التي تمت بصلة الى كنه مسألة ديكتاتورية البروليتاريا ذاته . ولكن اذا ابقينا هذا جانباً ، فاننا نتساءل : لاى سبب لا يحصل عندنا بالفعل هذا العمل المتكاتف الذي نحتاج اليه امس الحاجة ؟ بسبب الخلاف في مسألة طرائق **التقرب** من الجمهور ، واكتساب الجمهور ، **والصلة** مع الجمهور . هنا بيت القصيد . وهنا بالذات اصالة النقابات بوصفها مؤسسة ، نشأت في ظل الرأسمالية ، ولا مناص منها لدن الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية ، وستكون في المستقبل موضع استفهام . ان هذا المستقبل مستقبل بعيد حين توضع النقابات موضع استفهام ؛ فان احفادنا سيتحدثون عنه . اما الآن ، فان القضية تنحصر في كيفية التقرب من الجمهور واكتسابه واقامة الصلة معه ، في كيفية ضبط الاجهزة المعقدة لنقل الحركة فى العمل (العمل على تحقيق ديكتاتورية البروليتاريا) . لاحظوا اني لا اقصد الافكار عن الجهاز السوفييتي حين اتكلم عن الاجهزة المعقدة لنقل الحركة في العمل . اما ما سيرد ايضاً في باب تعقد اجهزة نقل الحركة ، فان هذا موضوع آخر . وحتى ذاك ، لا اتكلم الا بصورة مجردة ومبدئية عن العلاقات بين الطبقات في المجتمع الرأسمالي . في هذا المجتمع ، توجد بروليتاريا ، وتوجد جماهير كادحة غير بروليتارية ، وتوجد برجوازية صغيرة ، وتوجد برجوازية . ومن وجهة النظر هذه وحدها ، وحتى اذا لم تكن هناك بيروقراطية في جهاز السلطة السوفييتية ، يظهر الآن في اجهزة نقل الحركة تعقد خارق بحكم ما خلقته الرأسمالية . وفي هذا قبل كل شيء يجب التفكير اذا طرحنا مسألة اين تكمن صعوبة «مهمات» النقابات . ان الخلاف الفعلي ، واكرر قولي ، لا يكمن البتة حيث يراه الرفيق تروتسكي ، بل في مسألة كيفية اكتساب الجمهور ،

في مسألة التقرب منه ، في مسألة الصلة معه . وعليّ ان اقول اذا درسنا ممارستنا بالذات ، تجربتنا ، وان بمقاييس صغيرة ، اذا درسناها بامعان وتفصيل ، لتجنبنا المئات من «الخلافات» النافلة والاخطاء المبدئية التي يحفل بها كراس الرفيق تروتسكي هذا . مثلاً . ان موضوعات بكاملها في هذا الكراس مخصصة للمناظرة مع «التريديونيونية السوفييتية» . لم تكن هناك شجون ، فاخترعوا بعبعاً جديداً ! ومن ذا الذي فعل هذا ؟ الرفيق ريازانوف . انا اعرف الرفيق ريازانوف منذ عشرين سنة ونيف . وانتم تعرفونه اقل مني من حيث المدة ، ولكن ليس اقل من حيث النشاط . وانتم تعرفون جيداً جداً ان تقييم الشعارات ليس من عداد الجوانب القوية التي يتحلى بها . وبعد هذا ، سنصور في الموضوعات بصورة «التريديونيونية السوفييتية» ، ما قاله احياناً الرفيق ريازانوف في غير محله ! وهل هذا جدي ، يا ترى ؟ اذا كان الحال هكذا ، فانه ستكون عندنا آنذاك «التريديونيونية السوفييتية» ، و «المعارضة السوفييتية لعقد الصلح» ، واشياء اخرى ايضاً ، والله اعلم ! وليست هناك نقطة يستحيل فيها اختراع شيء سوفييتي ينتهي بـ«ية» . (**ريازانوف** : «اللابريستية السوفييتية» .) . اجل ، صحيح تماماً ، «اللابريستية السوفييتية» .

ولكن ما ان اقترف الرفيق تروتسكي هذا الفعل غير الجدي حتى ارتكب من جهته خطأ . فهو يستنتج ان الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة ، المادية والروحية ، ليس دور النقابات في الدولة العمالية . هذا خطأ . ان الرفيق تروتسكي يتحدث عن «الدولة العمالية» . عفواً ، هذا تجريد . فعندما كتبنا في عام ١٩١٧ عن الدولة العمالية ، كان هذا مفهوماً . ولكن حين يقولون لنا الآن : «اي داع الى الدفاع عن الطبقة العاملة ، وضد من

يجب الدفاع عنهـــا ، طالما لا وجود للبرجوازية ، وطالما الدولة عمالية» ، فانهم يقترفون هنا خطأ بيناً . فالدولة ليست عماليـــة تماماً ، وهنا المشكلة . هنا بالذات يكمن احد اخطاء الرفيـــــق تروتسكي الاساسية . لقد انتقلنا الآن من المبادئ العامـــة الى المناقشة العملية والى المراسيـــــم ، ولكنهم يجروننـــا عن مباشرة القيام بالعملي والتطبيقي الى الوراء . هكـــذا لا يجوز فالدولـــة عندنـــا بالفعل ليست عمالية بل عمالية فلاحية . هذا اولاً . ومن هنا تنجم اشياء كثيرة جداً (**بوخارين** : اي دولـــة ؟ عمالية فلاحية ؟) . على الرغم من ان الرفيـــق بوخارين يصيح في الوراء : «اي دولة ؟ عمالية فلاحية ؟» ، لن اجيبه عن هذا . امـــا من يرغب ، فليتذكر مؤتمر السوفييتات الذي انتهى للتو ، وفي هذا سيكون الجواب .

ولكن هذا ليس كل مـــا في الامر . فمن برنامج حزبنـــا ، يتبين – والبرنامج وثيقة يعرفهـــا مؤلف «الفباء الشيوعية» جيداً جداً – من هذا البرنامج يتبين ان الدولة عندنـــا دولة عماليـــة **مرفقة بتشويه بيروقراطي** . وهذه – وكيـــف اسمـــي هذا ؟ – هذه اللصيقة المؤسفة ، كان يجب علينـــا ، يـــا ترى ، ان نلصقهـــا بهـــا . اليكم واقعيـــة الانتقال هذه . اذن ، ليس هناك ، مـــا تدافع عنه النقابات في دولة من هذا الطراز تكونت عملياً ، ويمكن الاستغناء عنها في الدفاع عن المصالح المادية والروحية للبروليتاريا المنظمة تنظيماً شاملاً كلياً ؟ هذه محاكمة غير صحيحة اطلاقاً مـن الناحية النظرية . انهـــا تنقلنا الى ميدان التجريد او المثل الاعلى الذي سنبلغه بعد ١٥ او ٢٠ سنة ، ولكني لست واثقاً من اننـــا سنبلغه في هذه المدة بالذات . فأمامنا واقع نعرفه جيداً اذا لـــم نسكر انفسنا ، اذا لم نسترســـل في الاحاديث المدعية بالذكاء او في المحاكمات المجردة ، او فيمـــا يبدو احياناً «نظرية» ولكنـــه

بالفعل خطأ ، حساب خاطئ لخصائص الانتقال . ان دولتنا الحالية هي دولة يتعين فيهـــا على البروليتاريـــا المنظمة تنظيماً شاملاً وكلياً ان تدافع عن نفسهـــا ، ويتعين علينـــا نحن ان نستخدم هذه المنظمات العمالية لاجل الدفاع عن العمال ضد دولتهم ولاجل الدفاع عن دولتنا من قبـــل العمال . وهذا الدفاع وذاك يتحققان بواسطة التشابك الاصيل بين اجراءات دولتنا وتوافقنا ، «تلاحمنا» مع نقاباتنا .

وعن هذا التلاحم ، سيتعين عليّ ان اتكلم ايضـــاً . ولكن هذه الكلمة وحدهـــا تبين ان اختلاق المرء لنفسه عدواً في شخص «التريديونيونية السوفييتيـــة» يعني ارتكاب خطأ ، لان مفهـــوم «التلاحم» يعني انه توجد اشياء **مختلفة يجب** الحمها ؛ ويعني مفهوم «التلاحم» انه تجب معرفة الاستفادة من اجراءات سلطة الدولة لاجل الدفاع عن المصالح المادية والروحية للبروليتاريا الموحدة بصورة شاملة وكلية **دون** سلطة الدولة هذه . وعندمـــا نحصل على **الالتحام والامتزاج** عوضاً عن التلاحم ، فاننا نجتمع آنذاك في مؤتمر تجري فيه مناقشة التجربة التطبيقية مناقشة عملية ، لا مناقشة «خلافات» مبدئية او محاكمات نظرية مجردة . وان محاولـــة ايجاد خلافات مبدئية مع الرفيق تومسكي والرفيق لوزوفسكي اللذيـــن يظهران عند الرفيق تروتسكي بصورة «بيروقراطيين» نقابيين ، — وسأتكلم فيما بعد لأبين عند اي طرف في هذا الجدال توجد ميول بيروقراطية ، — هي ايضاً محاولة غير موفقـــة . فنحن نعرف جيداً جداً انه اذا كان يبدو احياناً عند الرفيق ريازانوف جانب ضعـــف صغير يدفعه الى ابتداع شعار مـــا من كل بد ، شعار مبدئـــي تقريباً ، فان الرفيق تومسكي لا يضيف هذه الخطيئة الى خطاياه الكثيرة . ولهذا ، كما يبدو لي ، كان فتح معركة مبدئية هنا مـــع الرفيق تومسكي (مثلما يفعل الرفيق تروتسكي) يتجاوز كل حد .

وهذا مـــا اعجب منه حقاً . لقد كان زمن كنـــا نرتكب فيه جميعاً الكثير من الخطايـــا في ميدان الخلافات التكتلية والنظرية وغيرهـا من كل شاكلة – ، ولكننـــا فعلنـــا بالطبع ايضـــاً شيئاً مـــا نافعاً ، – وكأننـــا كبرنـــا مذ ذاك . ولقد آن الاوان للانتقال من اختلاق وتضخيم الخلافات المبدئية الى النشاط العملي . انـــا لـم اسمع يوماً ان النظري قد هيمن في تومسكي ، وان تومسكي ادعى بلقب النظري ؛ قد يكون هذا نقص فيه ؛ ولكن هذه مسألة اخرى . اما انه يجب على تومسكي الذي يعمل مع الحركة النقابية ان يعكس ، بصورة واعية او غير واعية ، – وهذه مسألة اخرى ؛ فانا لا اقول انه يفعل هذا دائماً بصورة واعية ، – انه يجب عليه ، بحكـــم وضعه ، ان يعكس هذا الانتقال المعقد ، واذا كان لدى الجمهور ما يؤلمـــه ولا يعرف الجمهور نفسه مـــا يؤلمـــه ، ولا يعرف تومسكي مـــا يؤلـم الجمهور (**تصفيق ، ضحك**) ، واذا اخذ تومسكـــي يولـــول في هذه الحـــال ، فاني اؤكـــد ان هذه مأثرة ، لا نقص . انـــا واثق تماماً انه يوجد الكثير مـــن الاخطاء النظرية الجزئية عند تومسكي . واذا جلسنا جميعاً الى طاولة وشرعنا نكتب بامعان في التفكير قراراً او موضوعات ، فاننا سنصلح كل شيء ، ولربما لن نقوم بالاصلاح ، لان العمل الانتاجي اطرف من اصلاح الخلافات النظرية الصغيرة جداً .

والآن انتقل الى «الديموقراطية الانتاجية» ؛ وهذا ، اذا جاز القول ، من اجل بوخارين . نحن نعرف جيداً جداً ان لكـــل انسان جوانب ضعف صغيرة ، وان لاعاظم الرجال ، بمن فيهم بوخارين ، جوانب ضعف صغيرة . واذا كانت الكلمة الصغيرة ذات التواءات ، فانه لم يبق بوسعه هنا ان لا يؤيد . فعن الديموقراطية الانتاجية ، كتب في دورة اللجنة المركزية في ٧ كانون الاول (ديسمبر) قراراً بطريقة شهوانية تقريباً . وكلما امعنت الفكر في هذه «الديموقراطية

الانتاجية» ، كلما رأيت الزيف النظري بمزيد من الوضوح ، كلما رأيت عدم التبصر . فلا شيء هنا غير الخبيص . وبنـــاء على هذا المثال ، يجب القول مرة اخرى ، في اجتماع حزبي على الاقل : «ايها الرفيقن . اي . بوخارين ، اقل من الالتواءات الكلامية ، — ففي هذا نفع لك ، وللنظرية ، وللجمهوريـــة» . (تصفيق .) ان الانتاج ضروري دائماً . والديموقراطية انمـــا هي احدى مقولات الميدان السياسي وحده . ولا يجوز الاعتراض على استعمال هذه الكلمة في خطاب او مقال . فالمقال يأخذ جانباً واحداً ويفصح عنه بوضوح ، وكفى . ولكنكم عندما تحولون هذا الى موضوعة ، وعندما تريدون ان تجعلوا من هذا شعاراً يضـــم «الموافقين» وغير الموافقين ، وعندما يقال ، كما عند تروتسكي ، انـــه سيتعين على الحزب ان «يختار بين اتجاهين» ، فان هذا يبدو غريباً تماماً . اني سأتكلـــم بخاصة عما اذا كان سيتعين على الحزب ان «يختار» ، وسأبين على من يقع الذنب في دفع الحزب الى وضع يتعين عليه فيه ان «يختار» . وبما ان هذا هو ما حدث ، فانه يترتب علينا ان نقول : «على كل حال ، اختاروا اقل من هذه الشعارات الخاطئة نظريـــاً ، والتي لا تحتوي شيئاً غير البلبلة ، كشعار «الديموقراطية الانتاجية»» . ان تروتسكي وبوخارين لم يمعنا الفكر في هذا التعبير بصورة نظرية واضحة ، واختلط عليهما الامر . ان «الديموقراطية الانتاجية» توحي بافكار لا ترد البتة في عداد تلك الافكار التي استهوتهما . لقد ارادا التأكيد على الانتاج ، وتركيز المزيد من الانتباه عليه . ان التأكيد في مقال ، في خطاب شيء ؛ ولكنهم عندما يحولون هذا الى موضوعات وعندمـــا يتعين على الحزب ان يختار ، فاني اقول : اختاروا ضد هذا ، لأن هذا بلبلة . ان الانتاج ضروري دائماً ، ولكن الديموقراطية ليست ضرورية دائماً . ان الديموقراطية الانتاجية تولد جملة من الافكار الزائفة من اصلها . فالجزمات لـــم يستهلكوها عندما كانوا يروجون

لوحدة القيادة . ولا يجوز التخبيص باثارة المخاوف من ان يختلط الامر على الناس : متى الديموقراطيـــة ، متى وحدة القيادة ، متى الديكتاتوريـــة . ولا ينبغي في اي حال من الاحوال التنازل عن الديكتاتورية ، — اني اسمع بوخارين يزأر من الوراء : «صحيح تماماً» . (**ضحك ، تصفيق .**)

وبعد . منذ ايلول (سبتمبر) ، ونحن نتحدث عن الانتقال من الصدامية الى السوائية ، ونتحدث عن هذا في قرار اتخذه كونفرنس حزبي وصادقت عليه اللجنة المركزية (٩٥) . المسألة صعبة . لانه ينبغي الجمع بين الصدامية والسوائية بنحو او آخر ، في حين ان هذين المفهومين يتنافيان . ولكننا تعلمنا مع ذلك قليلاً مـــن الماركسية ، تعلمنا كيف ومتى يمكن ويجب الجمع بين المتناقضات ، والرئيسي اننا جمعنا المتناقضات غير مرة خلال ثلاث سنوات ونصف السنة من ثورتنا .

واضح انه يجب تناول المسألة ببالغ الاحتراس والتبصر . ذلك اننا فى هاتين الدورتين المؤسفتين اللتين عقدتهما اللجنة المركزية * واللتين ظهـــر فيهمـــا فريق السبعـــة وفريـــق الثمانيـــة و «كتلة المصدة» الشهيرة ، كتلة الرفيق بوخارين (٩٦) ، تحدثنا هناك عن هذه المسائل النظرية ، تحدثنا وسجلنا هناك ان الانتقال من الصدامية الى السوائية عسير . ولأجل تنفيذ هذا القرار الذي اتخذه كونفرنس ايلول (سبتمبر) ، ينبغي علينـــا ان نبذل بعض

---

* المقصود هنا الدورتان اللتان عقدتهمـــا اللجنـــة المركزية في تشرين الثاني (نوفمبر) وكانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ . راجعوا نصوص القرارات التي اتخذتهـــا هاتان الدورتان في «البرافدا» ، العـــدد ٢٥٥ الصادر في ١٣ — ١١ — ١٩٢٠ والعدد ٢٨١ الصادر في ١٤ — ١٢ — ١٩٢٠ ، كذلك العرض المنشور في «ازفيستيا اللجنـــة المركزية للحزب الشيوعي في روسيا» ، العدد ٢٦ الصادر في ٢٠ — ١٢ — ١٩٢٠ .

الجهد . ذلك انه يمكن الجمع بين هذين المفهومين المتناقضين بحيث يكون الحاصل تنافر اصوات ، ولربما بحيث يكون الحاصل تآلف اصوات . ان الصدامية انما هي تفضيل فرع انتاجي من بين جميع الفروع الانتاجية الضرورية بسبب أمس الحاجة اليه . وفيم يقوم التفضيل ؟ والى اي حد يمكن ان يكون التفضيل كبيراً ؟ هذه مسألة عويصة ، ويجب عليّ ان اقول ان الاجتهاد وحده لا يكفي لحلها ، وانه لا يكفي هنا انسان باسل يتحلى ، اغلب الظن ، بكثرة من الخصال البديعة ولكنه يصلح في مكانه ؛ هنا تنبغي معرفة تناول مسألة اصيلة جداً . فاذا ما طرحنا مسألة الصدامية والسوائية ، فانه ينبغي بادئ ذي بدء تناولها بتبصر ، وهذا بالذات ما لا نلحظه في بحث الرفيق تروتسكي . وكلما استرسل في اعادة صياغة موضوعاته الاولية ، كلما ازدادت عنده الموضوعات الخاطئة . اليكم ما نقرأه في موضوعاته الاخيرة :

«. . . في ميدان **الاستهلاك** ، اي في ظروف وجود الشغيلة الشخصي من الضروري اتباع خط السوائية . اما في ميدان **الانتاج** ، فان مبدأ الصدامية سيظل زمناً طويلاً المبدأ الحاسم بالنسبة لنا . . .» (الموضوعة ٤١ ، الصفحة ٣١ في كراس تروتسكي) .

هذه بلبلة كلية من الناحية النظرية . وهذا خاطئ كلياً . فان الصدامية انما هي تفضيل ، والتفضيل بدون استهلاك لا يعني شيئاً . واذا كانوا سيفضلونني بحيث انال خمسين غراماً من الخبز ، فألف شكر على هذا التفضيل . ان التفضيل في الصدامية يعني التفضيل في الاستهلاك ايضاً . وبدون هذا ، تكون الصدامية حلماً ، سحابة ، ولكننا نحن ماديون مع ذلك . والعمال ماديون . فاذا تكلمت عن الصدامية ، فاعط الخبز والالبسة واللحم . هكذا فقط

فهمنا ونفهم عندما ناقشنا هذه المسائل مئات المرات ، في مناسبات ملموسة ، في مجلس الدفاع ، عندما يجهد احدهم للحصول على جزمة ويقول : «عندي صدامية» ، ويقول آخر : «الجزمة لي ، والا فان عمالك الصداميين لن يصمدوا وصداميتك تضيع» .

واذا بنا نجد ان مسألة السوائيـــة والصداميـــة ترد في الموضوعات بصورة خاطئة من الاساس . وعلاوة على هذا ، يظهر تراجع عما تم التحقق منه عملياً والظفر به عملياً . هكذا لا يجوز ، وفي مثل هذا السبيل لا يمكن ان يكون اي خير .

وبعد . مسألة «التلاحم» . الاصح لزوم الصمت في الوقـــت الحاضر عن «التلاحم» . الكلام من فضة ، اما الصمـــت فمن ذهب . لماذا ؟ لاننا انصرفنا عملياً الى اجراء التلاحم ؛ فليس عندنا مجلس كبير للاقتصاد الوطني في المحافظات ، او قســـم كبير في المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني او في مفوضية الشعب للطرق ، والخ . ، ليس فيه **عملياً** تلاحم . ولكن هل النتائج جيدة تماماً ؟ هنا العقدة . فادرس **التجربة العملية** لكيفية اجراء التلاحم ، وما تحقق بذلك . ان المراسيم التي طبق التلاحم بموجبها في هذه الدائرة او تلك كثيرة الى حد انه يستحيل تعدادها . اما ان ندرس عملياً ماذا نجم مـــن هذا ، ما اعطاه هذا التلاحم المعني في هذا الفرع المعني من الصناعة ، ومتى شغل هذا العضو المعني من النقابة في المحافظة هذه الوظيفة المعنية في مجلس الاقتصاد الوطني بالمحافظة ، والى ما ادى هذا ، وكم شهراً حقق هذا التلاحم ، والخ . ، — اما ان ندرس بروح عملية تجربتنا العملية بالذات ، فهذا مـــا لـــم نستطعه حتى الآن . لقد استطعنا ان نختلق خلافاً مبدئياً حول التلاحم وان نقترف خطأ في هذا المجال ، ونحن ارباب في هذا ؛ اما ان ندرس تجربتنا العملية ونتثبت منها ، فلا اثر لنا لاجل هذا الغرض . وعندما تنعقد عندنا مؤتمرات للسوفييتات ، تكون فيها علاوة على اقسام دراسة النواحي الزراعية

من وجهة نظر تطبيق قانون تحسين الزراعة على هذا النحو او ذاك ، اقسام لدراسة الالتحام ، ولدراسة نتائج الالتحام في صناعة الطحين في محافظة ساراتوف ، وفي صناعة المعادن في بتروغراد وفي صناعة الفحم في دونباس والخ . ، وعندما تعلن هذه الاقسام ، وقد جمعت كمية كبيرة من المواد : «لقد درسنا هذا وهذا» ، عند ذاك اقول : «اجل ، لقد شرعنا نقوم بعمل ، لقد كبرنا وتجاوزنا سن الطفولة !» . واذا كانوا ، بعد ان امضينا ثلاث سنوات على اجراء الالتحام ، يقدمون لنا «موضوعات» يختلقون فيها خلافات مبدئية حول الالتحام ، فما عسى ان يكون اشد مدعاة للاسف وافدح خطأ من هذا ؟ لقد ولجنا سبيل الالتحام ، وانا لا اشك في اننا قد سلكنا السبيل القويم ، ولكننا لم ندرس بعد ، كما ينبغي ، نتائج تجربتنا . ولهذا كان التكتيك الذكي الوحيد في مسألة التلاحم انما هو تكتيك الصمت .

تنبغي دراسة التجربة العملية . ولقد وقعت على مراسيم وقرارات تتضمن توجيهات بشأن الالتحام العملي ، ولكن التطبيق أهم مائة مرة من كل نظرية . ولهذا ، عندما يقولون : «لنتحدث عن «الالتحام»» ، اجيب : «لندرس ما فعلناه» . اما اننا اقترفنا اخطاء كثيرة ، فلا ريب في هذا . كذلك قد يكون من الضروري تعديل القسم الاكبر من مراسيمنا . وانا موافق على هذا ، وانا لست متولعاً بالمراسيم . ولكن اعطونا في هذه الحال مقترحات عملية : تعديل هذا وذاك . وهذا سيكون طرحاً عملياً للمسألة . وهذا لن يكون عملاً غير منتج . وهذا لن يؤدي الى الهوس الدواويني بوضع المشاريع . وعندما آخذ في كراس تروتسكي الباب السادس : «الاستنتاجات العملية» ، فاني ارى ان الاستنتاجات العملية تشكو على وجه الضبط من هذا العيب . لانه جاء فيها انه يجب ان يضم قوام كل من مجلس

النقابات المركزي لعامة روسيا وهيئة رئاسة المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني بين الثلث والنصف من الاعضاء المشتركين في هاتين المؤسستين ، وان تضم الهيئتان الاداريتان فيهما بين النصف والثلثين ، الخ . . لماذا ؟ هكذا بكل بساطة ، بين بين ، «على وجه التقريب» . يقيناً ان مثل هذه النسب تقرر غير مرة في مراسيمنا «على وجه التقريب» بالذات ، ولكن لماذا هذا محتم لا مناص منه في المراسيم ؟ انا لست من المدافعين عن جميع المراسيم ، ولا اريد ان اصور المراسيم خيراً مما هي في الواقع . فهي تحفل بمقادير اصطلاحية كنصف او ثلث الاعضاء المشتركين وما الى ذلك ، ومأخوذة على وجه التقريب . وحين يقول المرسوم شيئاً كهذا ، فان ذلك يعني : جربوا ان تفعلوا هكذا ، وبعد ذاك ، نزن حاصل «تجريبكم» . بعد ذاك نحلل ونتفهم ما حصل بالضبط . ومتى حللنا وتفهمنا ، فاننا سنتحرك الى الامام ؛ نحن نقوم بالالتحام وسنقوم به على نحو افضل فأفضل لأننا نصبح اكثر فاكثر اتساماً بالروح العملية والتطبيقية .

ولكن أتراني بدأت امارس «الدعاية الانتاجية» ؟ لا حول ولا قوة ! فعند الحديث عن دور النقابات في الانتاج ، ينبغي تناول هذه المسألة .

وها أنذا انتقل الى هذه المسألة ، مسألة الدعاية الانتاجية . انها هي ايضاً مسألة عملية ، ونحن نطرحها بطريقة عملية . هناك مؤسسات حكومية تم انشاؤها لاجل القيام بالدعاية الانتاجية . انا لا اعرف ما اذا كانت حسنة ام سيئة ؛ يجب تجربتها ؛ ولا داعي البتة الى كتابة «موضوعات» في هذه المسألة .

واذا تحدثنا بالاجمال عن دور النقابات في الانتاج ، فلا حاجة في مسألة الديموقراطية الى اي شيء ما عدا الديموقراطية العادية . ان البهلوانيات من طراز «الديموقراطية الانتاجية» خاطئة ، ولا

تؤدي الى اي نتيجة . هذا اولاً . ثانياً ، الدعاية الانتاجية . لقد انشئت الدوائر . وموضوعات تروتسكي تحكي عن الدعاية الانتاجية ، ولكن عبثاً ، لان «الموضوعات» هنا صارت شيئاً عتيقاً . ونحن لا نعرف ما اذا كانت الدوائر حسنة ام سيئة . لنجرب في الواقع ؛ وبعد ذاك نبدي رأينا . فهيا بنا ندرس ونستجوب . لنفترض انه يصار في المؤتمر الى تشكيل ١٠ اقسام كل قسم من عشرة اشخاص : «هل مارست الدعاية الانتاجية ؟ كيف جرت وعم اسفرت ؟» . بعد الدراسة ، لنكافئ من توفق بخاصة ، ولننبذ جانباً التجربة الفاشلة . عندنا الآن تجربة عملية ، ضعيفة ، صغيرة ، ولكنها موجودة ، ومنها يجروننا الى الوراء ، الى «الموضوعات المبدئية» . هذه حركة «رجعية» اكثر مما هي «تريديونيونية» .

وبعد . ثالثاً ، الجوائز . اليكم دور النقابات ومهمتها في الانتاج : انتاج جوائز **عينية** . هذا بدأ . القضية تحركت . خمسمئة الف بود من الحبوب اعطيت لهذا الغرض ؛ انفق منها مائة وسبعون الفاً . انا لا اعرف ما اذا كانت قد انفقت بصورة جيدة ، صحيحة . لقد اشير في مجلس مفوضي الشعب الى ما يلي : يسيئون التوزيع ؛ فعوضاً عن الجائزة ، يكون الحاصل علاوة على الاجرة . وهذا ما اشار اليه المناضلون النقابيون وموظفو مفوضية الشعب للعمل . عيناً لجنة لدراسة القضية ، ولكننا لم ندرسها بعد . اعطي مائة وسبعون الف بود من الحبوب ، ولكنه يجب الاعطاء بحيث يكافأ ذاك الذي قدم البرهان على بطولة المسؤول عن الشؤون الاقتصادية ، وموهبته ، واخلاصه وسرعة تنفيذه ، اي بكلمة ، على تلك الخصال التي ينشدها تروتسكي . ولكن القضية لا تقوم الآن في الانشاد في الموضوعات ، بل في اعطاء الحبوب واللحم . أوليس من الافضل ، مثلاً ، انتزاع اللحم من فئة معينة من العمال

واعطاؤه ، بصورة جائزة ، لعمال آخرين ، «صداميين» ؟ اننا لا نتخلى عن مثل هذه الصدامية ، فان هذه الصداميـــة ضروريـــة . وسندرس بامعان ودقة التجربة العملية لتطبيقنا مبدأ الصدامية .

ثم رابعـــاً ، المحاكم الانضباطيـــة . ان دور النقابات في الانتاج ، و «الديموقراطية الانتاجية» ، – وليس لاغضاب الرفيـق بوخارين سيقال هذا ، – انما هما مجرد ترهات اذا لـــم تكن لدينا محاكم انضباطية . ولكنه لا ذكر لها في موضوعاتكم . وعليـــه ، استنتاج واحد ، مبدئياً ونظرياً وعملياً على السواء – عن موضوعات تروتسكي وموقف بوخارين – كفي البكاء ، يا عين !

واني اتوصل اكثر من ذي قبـل الى هذا الاستنتاج حين اقول لنفسي : انتم تطرحون المسألة بطريقة غير ماركسية . والسبـب في ذلك لا يقتصر على كون الموضوعات تتضمن جملة من الاخطاء النظرية . فان طريقة تقييم «دور النقابات ومهامها» غير ماركسيـة لانه لا يجوز تناول مثل هذا الموضوع الواسع دون امعان الفكر في خصائص الظرف الراهن من جانبه السياسي . ذلك انه ليس عبثاً كتبنا الرفيق بوخارين وانا في قرار المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي في روسيا بصدد النقابات ان السياسة انمـــا هي التعبير الاكثر تكثفاً عن الاقتصاد .

واذا حللنا الوضع السياسي الراهن ، فانه سيكون بوسعنا ان نقول اننا نعيش مرحلة انتقالية في مرحلة انتقالية . فان كـــل ديكتاتورية البروليتاريا انما هي مرحلة انتقالية ، ولكننا نملك الآن ، اذا جاز القول ، كومة كاملة من المراحل الانتقالية الجديدة . تسريح الجيش ، نهاية الحرب ، امكانية فترة راحة سلميـــة اطول بكثير من ذي قبل ، امكانية انتقال اشد ثباتـاً من جبهة الحرب الى جبهة العمل . ومن جراء هذا وحده ، بسبب هذا فقط ، تتغير علاقة طبقة البروليتاريا مع طبقـة الفلاحين . كيف تتغير ؟ يجب تمحيص

هذا بانتباه ، وهذا لا ينجم من موضوعاتكم . وطالما لم نتمحص ، فانه تجب معرفة الانتظار حتى ذاك . الشعب تعب ، مرهق ؛ وجملة من الاحتياطيات التي كان يجب استعمالهـــا في بعض فروع الانتاج الصدامية تم استعمالها ، وعلاقة البروليتاريا مع الفلاحين تتغير . التعب من الحرب هائل ، والحاجات ازدادت ولكن الانتاج لـــم يزدد او ازداد بصورة غير كافية . ومن جهة اخرى ، سبق لي واشرت في تقريري امام مؤتمر السوفييتات الثامن الى الامر التالي ، وهو اننا طبقنا القسر بصورة صحيحة وناجحة عندما استطعنا في البدء ان نبني تحتـــه قاعدة الاقناع * . وعليّ ان اقول ان تروتسكـــي وبوخارين لم يأخذا البتة بالحسبان هذا الاعتبار الفائق الاهمية .

هل بنينا ، يا ترى ، قاعدة للاقناع ، على ما يكفي من السعة والرسوخ ، تحت جميع مهام الانتاج الجديدة ؟ كلا . بالكاد بدأنـــا ذلك . والجماهير لـــم نجتذبها بعد . وهل تستطيع الجماهير ان تنتقل دفعة واحدة الى هذه المهام الجديدة ؟ انها لا تستطيـــع لان مسألة مـــا اذا كان يجب خلع فرانجل – الملاك العقاري ، مثلاً ، ما اذا كان يجب عدم الضن بالتضحيات لاجل هذا ، لان مثل هذه المسألة لـــم تعد تتطلب دعاية خاصة . اما مسألة دور النقابات في الانتاج ، اذا لم يكن المقصود مسألة «مبدئية» ومحاكمات حول «التريديونيونية السوفييتية» وترهات من هذا القبيـــل ، اذا كان المقصود الجانب العملي من المسألة ، فاننا قد شرعنا للتو وحسب في دراستها ، وانشأنا للتو وحسب الدائرة لأجل الدعاية الانتاجية ؛ وحتى الآن ليست لدينا تجربة . لقد طبقنا الجوائز العينية ، ولكنه ليست لدينا تجربة حتى الآن . ولقد انشأنا محاكم انضباطيـــة ، ولكننا لا نعرف النتائج حتى الآن . والحال ، ان اعداد الجماهير على

---

* راجعوا هذا الكتاب ص ١٨٩–١٩٠ . **الناشر** .

وجه الضبط انما هو الاهم من وجهة النظر السياسية . فهل المسألة معدة ، ومدروسة ، ومشبعة درساً ، وموزونة من هذا الجانب ؟ كلا ابداً . وهنا يكمن خطأ سياسي جذري ، عميق ، وخطر جداً لانه يجب هنا ، اكثر ممـــا في اي مسألة اخرى ، العمل حسب القاعدة القائلة : «قس سبع مرات ، وقص مرة واحدة» ؛ ولكننا شرعنا نقص هنا دون ان نقيس ولا مرة واحدة . يقولون انه «يجب على الحزب ان يختار بين اتجاهين اثنين» ، ولكنهم لم يقيسوا بعد ولا مرة واحدة ، ناهيك عن انهم لفقوا شعاراً زائفـاً هو شعار «الديموقراطيـــة الانتاجية» .

يجب فهم دلالـــة هذا الشعار على الاخص في ظرف سياسي ظهرت فيه البيروقراطية امام الجماهير في مظهر جلي بالنسبة لها ، وطرحنا فيه مسألة البيروقراطية في جدول الاعمال . يقول الرفيق تروتسكي في الموضوعات انـــه لا يبقى للمؤتمر في مسألـــة الديموقراطية العمالية «غير التثبيت بالاجماع» . هذا غير صحيح . فلا يكفي التثبيت ؛ التثبيت يعني ترسيخ ما جرى وزنه وقياسه كلياً ؛ ولكن مسألة الديموقراطية الانتاجيـــة لا تزال ابعد من ان تكون موزونة الى النهاية ، ومجربة ، ومتحققاً منهـــا . فكروا اي تفسير يمكن ان يظهر بين الجماهير حين يرفعون شعار «الديموقراطية الانتاجية» .

«نحن ، متوسطي الحال ، العاديين ، نقول انه يجب التجديد ، يجب الاصلاح ، يجب طرد البيروقراطية ، اما انت ، فتموه الامر ؛ عليك ان تهتم بالانتاج ، ان تظهر الديموقراطية في نجاحات الانتاج ، ولكني اريد ان اهتم بالانتاج ، لا مع مثل هذا القوام البيروقراطي لمجالس الادارة ، والمديريات العامة ، وخلافها ، بل مع غيره» . انتم لـــم تدعوا الجماهير تتكلم وتدرك وتمعن الفكر ، انتم لـــم تدعوا الحزب يكتسب تجربة جديدة ، ومع ذلك تستعجلون وتغالون

وتلفقون صيغاً زائفة نظرياً . وكم مرة يشدد المنفذون المجتهدون اكثر من اللزوم هذا الخطأ ؟ ان القائد السياسي مسؤول لا عن كيف يقود وحسب ، بل ايضاً عما يفعله مرؤوسوه . وهذا ما لا يعرفه احياناً ، وهذا ما لا يريده احياناً كثيرة ، ولكن المسؤولية تقع على عاتقه .

وانتقل الآن الى دورتي اللجنة المركزية في تشرين الثاني (٩ تشرين الثاني – نوفمبر) وفي كانون الاول (٧ كانون الاول – ديسمبر) اللتين افصحتا عن جميع هذه الاخطاء ، لا بوصفها تقسيمات منطقية ، ومقدمات ، ومحاكمات نظرية ، بل في التطبيق . وقد حدث في اللجنة المركزية تخبيص وهرج ومرج ؛ وهذا للمرة الاولى في تاريخ حزبنا في زمن الثورة ، وهذا خطر . ولب المسألة انه حدث انقسام ، ظهرت كتلة «المصدّة» ، كتلة بوخارين وبريوبراجنسكي وسيريبرياكوف ، التي اضرت وشوشت اكثر من الجميع .

تذكروا قصة «غلاف بوليت بوت» (٩٧) و «التسيكتران» (٩٨) . فقد جاء في قرار المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي في روسيا في نيسان (ابريل) ١٩٢٠ انه سيصار الى انشاء «غلاف بوليت بوت» ، بوصفها دائرة «موقتة» ، علماً بانه من الضروري الانتقال «**في اقصر اجل ممكن**» الى الوضع العادي . وفي ايلول (سبتمبر) ، تقرأون : «انتقل الى الوضع العادي» * . وفي تشرين الثاني (٩

---

* راجعوا في «ازفيستيا اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في روسيا» ، العدد ٢٦ ، ص ٢ ، قرار دورة اللجنة المركزية في ايلول (سبتمبر) البند ٣ : «كذلك ترى اللجنة المركزية ان الوضع الشاق في نقابات النقليات الذي استتبع ظهور «غلاف بوليت بوت» و «بوليت فود» (٩٩) والحوافز الموقتة لدعم العمل وضبطه ، قد تحسن كثيراً في الوقت الحاضر . ولهذا يمكن ويجب الآن الشروع بالعمل على ادراج هذه المنظمات في نقابة بوصفها هيئات نقابية مكيفة ومدوبة في الجهاز النقابي» .

تشرين الثاني) ، تجتمع الدورة ، ويقدم تروتسكي موضوعاته ، ومحاكماته بصدد التريديونيونية . ومهما كانت جيدة بعض الجمل عنده بصدد الدعاية الانتاجية ، فانه كان يجب القول ان كل هذا في غير محله ابداً ، وخارج عن الموضوع ، وانه خطوة الى الوراء ، وانه لا يجوز الانصراف الى هذا الآن في اللجنة المركزية . يقول بوخارين : «هذا جيد جداً» . قد يكون هذا جيداً جداً ، ولكن هذا ليس جواباً عن المسألة . بعد مناقشات شديدة الوطيس ، يتخذ القرار بـ١٠ ضد ٤ ، وفيه يقال بشكل مهذب ورفاقي ان «التسيكتران» نفسها «قد وضعت في جدول الاعمال» مسألة «تعزيز وتطوير طرائق الديموقراطية البروليتارية في داخل النقابة» . وفيه يقال انه يجب على «التسيكتران» «ان تشترك بصورة فعالة في النشاط العام لمجلس النقابات المركزي لعامة روسيا ، بدخولها في قوامه بنفس الحقوق التي تتمتع بها الاتحادات النقابية الاخرى» .

اين تكمن الفكرة الاساسية لقرار اللجنة المركزية هذا ؟ انها واضحة : «ايها الرفاق من «التسيكتران» ! نفذوا قرارات المؤتمر واللجنة المركزية ، لا من حيث الشكل وحسب ، بل ايضاً من حيث الاساس ، لكي تساعدوا بعملكم جميع النقابات ، لكي لا يبقى اي اثر للبيروقراطية والتفضيل والغطرسة كأنما نحن افضل منكم ، واغنى منكم ، ونلقى من المساعدة اكثر منكم» .

بعد هذا ، ننتقل الى النشاط العملي . تشكل لجنة ، وتطبع قائمة اعضائها . ويخرج تروتسكي من اللجنة ، ويحبطها ، ولا يرغب في العمل . لماذا ؟ الدافع واحد . ان لوتوفينوف يلعب احياناً لعبة المعارضة . وكذلك اوسينسكي ، والحق يقال . هذه لعبة غير مستطابة ، واقول ذلك بذمة ووجدان . ولكن هل هذه حجة ، يا ترى ؟ لقد قاد اوسينسكي حملة البذار بصورة ممتازة . وكان ينبغي العمل معه ، رغم «حملة المعارضة» التي شنها ، وان

اسلوباً ، كاحباط اللجنة ، هو اسلوب دواويني ، غير سوفييتي ، غير اشتراكي ، غير صحيح ، وضار سياسياً . وعندما يتعين فصل السليم عن غير السليم في «المعارضة» ، يغدو هذا الاسلوب غير صحيح وضاراً سياسياً ثلاثة اضعاف . وحين يشن اوسينسكي «حملة معارضة» ، اقول له : «الحملة ضارة» ، ولكن حين يشن حملة البذار فانه بارع . اما ان لوتوفينوف يخطئ في «حملة المعارضة» التي يشنها ، فاني لن انكر يوماً هذا مثل ايشنكو وشليابنيكوف ، ولكنه لا يجوز احباط اللجنة بسبب هذا .

ولكن ، ماذا كانت تعني هذه اللجنة ؟ كانت تعني الانتقال من احاديث المثقفين حول الخلافات العقيمة الى النشاط العملي . الدعاية الانتاجية ، الجوائز ، المحاكم الانضباطية ، — عن كل هذا كان ينبغي الكلام وعلى كل هذا كان ينبغي للجنة ان تعمل . وهنا عمد الرفيق بوخارين ، رئيس «كتلة المصدّة» ، مع بريوبراجنسكي وسيريبرياكوف ، وقد رأى الازدواج الخطر في اللجنة المركزية ، الى انشاء مصدة ، مصدة من طراز بحيث اني اعجز عن ايجاد تعبير برلماني لوصف هذه المصدة . ولو كنت اعرف كيف ارسم رسوماً كاريكاتورية كما يعرف الرفيق بوخارين ، لرسمت الرفيق بوخارين على النحو التالي : رجل يحمل دلواً من الكاز ، ويصب هذا الكاز في النار ، ولكتبت : «الكاز الصاد» . لقد اراد الرفيق بوخارين ان يصنع شيئاً ما ؛ ولا ريب ان رغبته كانت صادقة و «صادة» ولا اكثر . ولكن الحاصل لم يكن «مصدة» ، بل كان الحاصل انه لم يأخذ الظرف السياسي بالحسبان ، وانه ، فضلاً عن ذلك ، اقترف اخطاء نظرية .

فهل كان ينبغي طرح جميع هذه المجادلات للمناقشة الواسعة ؟ والانشغال بهذه الترهات ؟ وصرف اسابيع ضرورية لنا قبل مؤتمر الحزب ؟ في هذه الفترة من الوقت ، كان بوسعنا ان

نحلل وندرس مسألة الجوائز ، ومسألة المحاكم الانضباطية ومسألة الالتحام ؛ وكان بوسعنا ان نحل هذه المسائل بطريقة عمليـــة في لجنة فرعية تابعة للجنة المركزية . ولو اراد الرفيق بوخارين ان ينشئ مصدة ، ولو لم يشأ ان يجد نفسه في وضع رجل يقال عنه : «راح الى غرفة ، فوصل الى غيرها» ، لكان تعين عليـــه ان يقول ويلح على ان يبقى الرفيق تروتسكي في اللجنة الفرعية . ولو انه قال وفعل هذا ، لكنا ولجنا سبيلاً عملياً ، ولكنا درسنا في هذه اللجنة ما هي بالفعل وحدة القيادة ، وما هي الديموقراطية ومن هم التعيينيون والخ . .

وبعد . في شهر كانون الاول (دورة ٧ كانون الاول) كان قد وقع انفجار مع شغيلة النقـــل المائي ادى الى تشديـــد النزاع ، وبالنتيجة تجمعت فى اللجنة المركزية ٨ اصوات ضد اصواتنا الـ٧ . وقد كتب الرفيق بوخارين على عجلة القســـم «النظري» من قرار دورة كانون الاول ، محاولاً ان «يوفق» وان يشغـــل «المصدة» ، ولكنه لم يكن من الممكن بالطبع ان يؤدي هذا الى اي نتيجة بعد احباط اللجنة .

ففيم يتلخص خطأ «غلاف بوليت بوت» و «التسيكتران» ؟ انه لا يتلخص البتة في كونهما استخدما الاكراه . ففي هذا ، على العكس ، مأثرة لهما . ان خطأهما قد تلخص في كونهما لـــم يعرفا كيـــف ينتقلان في الوقت المناسب ، وبدون نزاعات ، ووفقاً لمطلـــب المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي في روسيا ، الى العمل النقابي العادي ، لم يعرفا كيف يتكيفان مع النقابات كمـــا كان ينبغي ، لم يعرفا كيف يساعدانها باقامة علاقة معهـــا ترتكز على المساواة في الحقوق . هناك تجربة حربية قيمة : البطولـــة ، وسرعة التنفيذ ، وخلافهمـــا . وهناك شيء رديء في تجربـــة اردأ العناصر بين العسكريين : الدواوينية ، والغطرســـة . وقد تبين ان موضوعات

تروتسكي كانت ، خلافاً لادراكه وارادته ، تدعم ، لا الافضل بل الاردأ في ميدان الخبرة الحربية . يجب ان نتذكر ان القائد السياسي مسؤول لا عن سياسته وحسب ، بل ايضاً عما يفعله مرؤوسوه .

وآخر ما اردت ان اقوله لكم وما تعين عليّ بسببه ان انعت نفسي بالغباوة ، هو انه فاتتني موضوعات الرفيق رودزوتاك . ان رودزوتاك يتصف بنقيصة مفادها انه لا يعرف التكلم بصوت مدو ، مؤثر ، جميل ولهذا لا يلحظونه . وامس ، لم يتسن لي حضور الاجتماع ، فراجعت موادي ووجدت فيها منشوراً مطبوعاً صادراً لمناسبة كونفرنس النقابات الخامس لعامة روسيا الذي انعقد من الثاني الى السادس من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠ . وهذا المنشور عنوانه : «مهام النقابات في الانتاج» . وسأقرأ عليكم هذا المنشور كله ، فهو غير كبير .

الى كونفرنس النقابات الخامس لعامة روسيا

مهام النقابات في الانتاج
(موضوعات تقرير الرفيق رودزوتاك)

١ – بعد ثورة اكتوبر مباشرة ، صارت النقابات الهيئات **الوحيدة تقريباً** التي كان بامكانها وواجبها ، علاوة على بسط **الرقابة** العمالية ، ان تاخذ على عاتقها العمل على تنظيم **وادارة الانتاج** . ففي المرحلة الاولى من وجود السلطة السوفييتية ، لم يكن جهاز الدولة لادارة الاقتصاد الوطني قد انتظم ، وكان تخريب اصحاب المؤسسات وكبار العاملين التكنيكيين قد طرح بحدة امام الطبقة العاملة مهام الحفاظ على الصناعة وبعث العمل العادي لكل جهاز البلاد الاقتصادي .

٢ – في المرحلة التالية من عمل المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني ، اي عندما اقتصر قسم كبير من هذا العمل على تصفية المؤسسات الخاصة وعلى تنظيم ادارتها من قبل الدولة ، **قامت النقابات بهذا العمل الى جانب وبالتعاون مع هيئات الدولة** لادارة الاقتصاد .

ان ضعف هيئات الدولة لم يكن يفسر وحسب ، بل كان يبرر ايضاً مثل هذا **التوازي** ؛ وهذا التوازي كان يبرره تاريخياً واقع قيام اتصال تام بين النقابات وهيئات الادارة الاقتصادية .

٣ ــ ان ادارة هيئات الدولة الاقتصادية ، وامتلاكها تدريجياً ناصية جهاز الانتاج والادارة ، وتنسيق مختلف اقسام هذا الجهاز ، ــ كل هذا **نقل مركز ثقل العمل على ادارة الصناعة** ووضع برنامج الانتاج **الى هذه الهيئات** . ونظراً لذلك اقتصر عمل النقابات في ميدان تنظيم الانتاج على **الاشتراك في انشاء الهيئات الادارية** للمديريات العامة والمراكز ومجالس ادارة المصانع .

٤ ــ وفي الوقت الحاضر اقتربنا لصقاً من جديد من مسالة اقامة اوثق الصلة بين الهيئات الاقتصادية للجمهورية السوفييتية والنقابات ، اذ انه صار من الضروري الاستفادة بصورة عقلانية ، ومهما كلف الامر ، من كل وحدة عمل ، واجتذاب كل جمهور المنتجين برمته الى المشاركة الواعية في عملية الانتاج ؛ واذ ان جهاز الدولة للادارة الاقتصادية ، الذي يزداد نمواً وتعقداً بصورة تدريجية ، قد تحول الى آلة بيروقراطية غير متطابقة مع الانتاج نفسه ، هائلة بالنسبة له ، ويدفع النقابات بلا مناص الى المشاركة مباشرة في تنظيم الانتاج ، لا بالتمثيل الشخصي في الهيئات الاقتصادية وحسب ، بل ايضاً بالتنظيم برمته .

٥ ــ اذا تناول المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني مسالة وضع برنامج انتاجي عام ، انطلاقاً من **توفر عناصر الانتاج المادية** (الخامات ، الوقود ، حالة الآلات ، وما الى ذلك) ، فانه سيتعين على النقابات ان تتناول هذه المسالة **من وجهة نظر تنظيم العمل** لأجل مهام الانتاج ولاجل الاستفادة العقلانية من العمل . ولهذا **يجب ان يوضع البرنامج الانتاجي** العام ، **سواء باقسامه ام بكليته ، بمشاركة النقابات من كل بد** ، لاجل الجمع باكثر ما يكون من العقلانية بين الاستفادة من موارد الانتاج المادية وبين الاستفادة من العمل .

٦ ــ لا يمكن تطبيق انضباطية العمل الفعلية ، والنضال الناجح ضد التهرب من العمل ، والخ . ، الا بمساهمة كل جمهور المشتركين في الانتاج **مساهمة واعية** في اداء هذه المهام . ولا يمكن بلوغ هذا **بالطرائق**

البيروقراطية والاوامر من اعلى ، بل ينبغي ان يدرك كل من المشتركين في الانتاج ضرورة وعقلانية مهام الانتاج التي ينفذها ؛ ان يسهم كل من المشتركين في الانتاج ، لا في تنفيذ المهام الصادرة من اعلى وحسب ، بل ان يشترك ايضا اشتراكاً واعياً في اصلاح جميع النواقص التكنيكية والتنظيمية في ميدان الانتاج .

ان مهام النقابات في هذا الميدان هائلة . فعليها ان تعلم **اعضاءها في كل مشغل** ، في كل مصنع ، **ان تلاحظ وتأخذ بالحسبان جميع النواقص في الاستفادة من اليد العاملة ، النواقص الناجمة عن سوء استعمال** الوسائل التكنيكية او عن عيوب العمل الاداري . وتجب الاستفادة من **مجمل خبرة مختلف** المؤسسات وفروع الانتاج لاجل النضال بحزم ضد المماطلة والاستهتار والبيروقراطية .

٧ ــ لاجل التاكيد بخاصة على اهمية هذه المهام الانتاجية ، يجب طرحها بصورة تنظيمية في المكان المعني في سياق العمل المعني الجاري . ويجب على **الاقسام الاقتصادية** المنظمة لدى النقابات بموجب قرار المؤتمر الثالث لعامة روسيا ، ان تنير وتحدد تدريجياً ، اثناء قيامها بعملها ، طابع العمل النقابي كله . ففي الاوضاع الاجتماعية الراهنة ، اذ يتجه الانتاج برمته الى تلبية حاجات الكادحين انفسهم ، **يجب ان تكون التعريفة والمكافأة على اوثق الصلة والتبعية حيال درجة تنفيذ الخطة الانتاجية .** ويجب ان تتحول المكافاة العينية ودفع قسم من الاجرة عيناً ، بصورة تدريجية ، الى **نظام لتموين العمال** تبعاً لمستوى انتاجية العمل .

٨ ــ ان تنظيم عمل النقابات على هذا النحو ، انما ينبغي له ، من جهة ، ان يضع حداً لوجود **الهيئات المتوازية (الاقسام السياسية ، وما اليها)** ، ومن جهة اخرى ، ان يعيد الصلة الوثيقة بين الجماهير وهيئات الادارة الاقتصادية .

٩ ــ بعد المؤتمر الثالث ، لم تنجح النقابات في تحقيق برنامجها الى حد كبير ، فيما يتعلق باشتراكها في بناء الاقتصاد الوطني ، من جهة ، بسبب **ظروف الحرب** ، ومن جهة اخرى ، بسبب **ضعفها التنظيمي** وانفصالها عن نشاط الهيئات الاقتصادية القيادي والتطبيقي .

١٠ ــ ونظراً لذلك ، يجب على النقابات ان تأخذ على عاتقها المهام

العملية القريبة التالية : أ – الاشتراك بانشط نحو في حل مسائل الانتاج والادارة ، ب – الاشتراك مباشرة مع الهيئات الاقتصادية المعنية في **تنظيم الهيئات الصالحة** للادارة ؛ ج – احصاء مختلف **نماذج الادارة** احصاء دقيقاً ، ومعرفة تاثيرها في الانتاج ؛ د – الاشتراك الزاماً في وضع واقرار **الخطط** الاقتصادية والبرامج الانتاجية ؛ هـ – **تنظيم العمل** وفقاً لصداميـــة المهام الاقتصادية ؛ و – تطويـــر التنظيـــم الواســـع **للتحريض والدعايـــة** الانتاجية .

١١ – الاقسام الاقتصادية لدى **النقابات** والمنظمات النقابية ينبغـي تحويلها فعلاً الى آليات جبارة سريعة الفعـــل لاشتراك النقابات بصورة منهاجية في تنظيم الانتاج .

١٢ – فيما يتعلق بمنهاجيـــة ضمان العمال المادي ، ينبغي على النقابات ان تنقل **نفوذها الى هيئات التوزيع التابعة لمفوضيـــة التموين** ، سواء منها الهيئات المحلية ام الهيئة المركزية ، وذلك بممارسة المشاركة التطبيقية والعملية وبسط **الرقابة في** جميع هيئات التوزيع ، مع ايلاء انتباه خاص لنشاط **لجان التموين العمالي** في المراكز والمحافظات .

١٣ – بما ان ما يسمى «الصدامية» قد اكتسب طابعـــاً في منتهى التشوش من جراء المطامح الادارية الضيقة الصرف لدى مختلف المديريات العامة والمراكز والخ . ، فينبغي على النقابات ان تاخذ في كل مكان جانب الدفاع عن تطبيق الصداميـــة فعلاً في الاقتصاد وعن اعادة النظر في النظام القائم لتعريف الصدامية وفقاً لاهميـــة الانتاج وتوفر الموارد المادية في البلاد .

١٤ – ينبغي تركيز انتباه خاص على ما يسمى بالمجموعة النموذجية من المؤسسات ، وتحويلها الى مؤسسات نموذجيـــة فعلاً بانشاء ادارة صالحة وتامين انضباطية العمل ، وعمل المنظمة النقابية .

١٥ – وعلاوة على تحويل الاجراءات التعريفية الى نظام متناسق ، وعلى اعادة النظر في معدلات العمل من جميع النواحي ، يجب على النقابات فيما يتعلق بتنظيم العمل ، ان تاخذ بيدها بثبات كل قضية النضال ضـــد مختلف **اشكال التهرب من العمل** (التغيب ، التاخر ، والخ .) . ان المحاكم الانضباطية التي لم تول حتى الآن ما تستحقه من الانتباه ، انما يجـــب تحويلها الى وسيلة فعالة للنضال ضد انتهاك انضباطية العمل البروليتارية .

١٦ – يجب ان تتولى الاقسام الاقتصادية تنفيذ المهام المذكورة آنفاً ، مثله مثل وضع الخطة العملية للدعاية الانتاجية واتخاذ جملة من الاجراءات لتحسين اوضاع العمال الاقتصادية . ولهذا من الضروري تكليف القسم الاقتصادي في المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني بان يعقد في اقرب وقت **مداولة لعامة روسيا للاقسام الاقتصادية** لاجل دراسة قضايا البناء الاقتصادي العملية بالارتباط مع عمل هيئات الدولة الاقتصادية .

اني آمل بانكم ترون الآن لماذا تأتى لي ان اسبّ نفسي . هذا منهج ، وهذا افضل بمائة مرة مما كتبه الرفيق تروتسكي الذي فكر وامعن الفكر مراراً عديدة ، وافضل مما كتبه الرفيق بوخارين (قرار دورة ٧ كانون الاول) ، الذي لم يمعن الفكر اطلاقاً . ونحن جميعنا ، اعضاء اللجنة المركزية ، الذين لم نعمل سنوات عديدة في الحركة النقابية ، كان ينبغي لنا ان نتعلم من الرفيق رودزوتاك ، وكان ينبغي كذلك على الرفيق تروتسكي وعلى الرفيق بوخارين التعلم منه . وهذا المنهج تبنته النقابات .

لقد نسينا جميعاً المحاكم الانضباطية ؛ والحال ، ان «الديموقراطية الانتاجية» بدون الجائزة العينية ، بدون المحاكم الانضباطية ، مجرد هراء .

وانا اقارن موضوعات رودزوتاك مع موضوعات تروتسكي التي تقدم بها في اللجنة المركزية . في آخر الموضوعة الخامسة ، اقرأ ما يلي :

«... ينبغي الآن بالضبط الشروع باعادة تنظيم النقابات اي قبل كل شيء باختيار القادة من زاوية النظر هذه بالضبط . . .» .

هذه هي البيروقراطية الحقيقية ! ان تروتسكي وكريستينسكي سيختاران «قادة» النقابات !

مرة اخرى اقول : اليكـــم تفسير خطأ «التسيكتران» . ان خطأها لا يكمن في كونها لجأت الى الضغط ؛ ففي هذا مأثرتهـــا . الخطأ يكمن في كونها لم تعرف كيف تتناول المهام المشتركة لجميع النقابات ، لم تعرف كيف تنتقل هي نفسها وتساعد جميع النقابات على الانتقال الى استعمال المحاكم الانضباطية الرفاقية بصورة أصح واسرع وانجح . وعندما قرأت في موضوعات الرفيق رودزوتاك عن المحاكم الانضباطية ، فكرت في نفسي : اغلب الظن انه يوجد الآن مرسوم بهذا . وقد تبين انه يوجد مرسوم . «**لائحة** عن المحاكـــم الرفاقية الانضباطية العماليـــــة» الصادرة في ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٩ (مجموعة القوانين ، العدد ٥٣٧) .

في هذه المحاكم ، يعود الدور الاهم الى النقابات . انا لا اعرف ما اذا كانت هذه المحاكم جيدة ، وباي قدر من النجاح تعمل ، وما اذا كانت تعمل على الدوام . ولو اننا درسنا تجربتنـــا العمليـــة بالذات ، لكان هذا انفع بمليون مرة من كل ما كتبـــه الرفيقان تروتسكي وبوخارين .

وانهي كلامي . تلخيصاً لكل ما توفر في هذه المسألة ، يجب ان اقول ان طرح هذه الخلافات على المناقشة الحزبية الواسعـــة وعلى مؤتمر الحزب هو خطأ فادح جداً . هذا سياسياً خطأ . ففـــي اللجنة واللجنة وحدها ، كان من الممكن ان نقوم بمناقشة عملية ، وان نتحرك الى امام ؛ امـــا الآن ، فاننـــا نسير الى الوراء ، وسنسير الى الوراء بضعـــة اسابيـــع نحـــو الموضوعـــات النظرية المجردة عوضاً عن تناول المهمة بروح عملية . اما فيمـــا يخصني ، فقد مللت من هذا شديد الملل ، واني لاشعر باعظـــم المتعة لو تخلصت من هذا بصرف النظر عن مرضي ؛ واني لمستعد للهرب الى حيث يمكن .

الحاصل : تتضمن موضوعات تروتسكي وبوخارين جملة كاملة من الاخطاء النظرية ، وجملة من الاغلاط المبدئية . وطريقة تناول القضية تنم كلها ، من الناحية السياسية ، عن انعدام الذوق تماماً . ان «موضوعات» الرفيق تروتسكي هي شيء ضار من الناحية السياسية . وسياسته ، بالاجمال ، هي سياسة ازعاج النقابات بيروقراطياً . ومؤتمرنا الحزبي ، كما انا واثق ، سيندد بهذه السياسة وينبذها . (**تصفيق متواصل ، عاصف .**)

صدر عام ١٩٢١ في بتروغراد بكراس على حدة

المجلد ٤٢ ، ص‌ص ٢٠٢–٢١٦

مرة اخرى عن النقابات ، وعن الظرف الراهن ، وعن اخطاء الرفيقين تروتسكي وبوخارين

احتدم النقاش الحزبي والصراع التكتلي مـــا قبل المؤتمر ، اى قبل الانتخابات الى المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي في روسيا ولمناسبة الانتخابات العتيدة الى هذا المؤتمر . وعقب اول طلعـــة تكتلية ، واعني بها طلعة الرفيق تروتسكي باسم «جملة كاملة من العاملين المسؤولين» بـ«كراس-منهج» («دور النقابات ومهامهـا» ، المقدمة مؤرخـــة في ٢٥ كانون الاول – ديسمبر – ١٩٢٠) ، جاءت طلعة حادة (وسيرى القارئ فيما بعد انها كانت حادة عن حـــق وصواب) من منظمة بتروغراد للحزب الشيوعي في روسيا («رسالة الى الحزب» ، منشورة في ٦ كانون الثانـــي – يناير – ١٩٢١ في «بتروغرادسكايـا برافدا» (١٠٠) ، ثم في ١٣ كانون الثاني ١٩٢١ في لسان الحال المركزي للحزب ، في «برافدا» موسكو) (١٠١) . ثم انبرت لجنـــة موسكو (في التاريخ نفســـه في «البرافدا») تعارض منظمة بتروغراد . وفيما بعد ، ظهر تقرير اختزالي اصدره مكتب كتلة الحزب الشيوعي في روسيا في مجلس النقابات المركزى لعامة روسيا عن النقاش الذي جرى في ٣٠ كانون الاول ١٩٢٠ في اجتماع حزبي ضخم ومسؤول جداً ، واعني به اجتماع كتلة الحزب الشيوعي في روسيـــا في مؤتمر السوفييتات الثامن . وعنوان هذا التقرير الاختزالي هو التالي : «بصدد دور النقابات في الانتاج» (المقدمـة

مؤرخة في ٦ كانون الثاني ١٩٢١) . ومن المؤكد ان هذا ليس بعد كل مادة النقاش . والحال ، تجرى الاجتماعات الحزبية التي تناقش المسائل المختلف عليها في كل مكان تقريبـــاً . وقد تأتى لي ان تكلمت في ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠* في ظروف «مخالفـة للنظام» ، كما قلت ، اى بالضبط في ظروف لـــم استطع الاشتراك خلالها في المناقشات ، ولم استطع خلالها لا الاستماع الى الخطباء السابقين ولا الى الخطباء التالين . وسأحاول الآن ان اصلح النظام المخالف ، وابدي رأيي بمزيد من «الانضباط» .

خطر المساعي التكتلية على الحزب

هل كراس الرفيق تروتسكي «دور النقابات ومهامها» مسعى تكتلي ؟ وهل يحتوى مثل هذا المسعى ، بصرف النظر عن مضمونه ، خطراً مـــا على الحزب ؟ هذه المسألة يطيب بخاصة السكوت عنها (عدا تروتسكي ، بالطبع) لاعضاء لجنة موسكو الذين يرون تكتلية البتروغراديين وللرفيق بوخارين الذي اعتبر مع ذلك ، عندما تكلم في ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ باسم «كتلة المصدّة» ، انه مضطر الى القول :

. . . «**عندما يبدي القطار بعض الميل الى التهور فان المصدة لا تبقى** آنذاك شيئاً رديئاً» (ص ٤٥ من تقرير عن المناقشة في ٣٠ كانون الاول ١٩٢٠) .

وهكذا يوجد بعض الميل الى التهور . حسناً . هل يعقل وجود اعضاء واعين في الحزب لا يعنون بالسؤال التالي : اين بالضبط وبم بالضبط وكيف بالضبط بدأ هذا الميل ؟

---

* راجعوا هذا الكتاب ، ص ٢١٧ . **الناشر** .

ان تروتسكي يستهل كراسه بتصريحه ان الكراس «ثمرة عمل جماعي» ؛ وانه اشتركت في وضعه «جملة كاملة من العاملين المسؤولين ، ولا سيما من النقابيين (اعضاء هيئة رئاسة مجلس النقابات المركزي لعامة روسيا ، واللجنة المركزية لعمال التعدين و«التسيكتران» وغيرها)» ، وانه «كراس-منهج» . وفي آخر الموضوعة الرابعة نقرأ انه «سيترتب على مؤتمر الحزب العتيد ان **يختار** (التأكيد لتروتسكي) بين اتجاهين اثنين في ميدان الحركة النقابية» .

اذا لم يكن هذا تأسيساً لكتلة من قبل احد اعضاء اللجنة المركزية ، اذا لم يكن هذا «بعض الميل الى التهور» ، فليجرب الرفيق بوخارين او أياً من رفاقه بالفكر ان يفسّر للحزب اي معنى آخر تنطوي عليه الكلمات الروسية : «التكتلية» و«ميل» الحزب «الى التهور» ؟؟ وهل في وسع المرء ان يتصور عمى افظع من عمى هؤلاء الناس الذين يرغبون في «الصد» **ويغمضون عيونهم** عن **هذا** «الميل» الى التهور» ؟؟

فكروا فقط : بعد دورتين عقدتهما اللجنة المركزية (٩ تشرين الثاني و٧ كانون الاول) وخصصتهما لمناقشة حارة ، طويلة ، مفصلة بشكل لا سابق له ، للمسودة الاولية لموضوعات الرفيق تروتسكي ولكامل سياسة الحزب النقابية التي يدافع عنها ، يقوم عضو **واحد** لا يزال من اعضاء للجنة المركزية **الـ١٩** ، ويجمع لنفسه فرقة خارج اللجنة المركزية ، ويطلع «بعمل» هذه الفرقة «الجماعي» بوصفه «منهجاً» ويقترح على مؤتمر الحزب ان «يختار بين اتجاهين **اثنين**» ! ! ناهيك عن ان هذا الاعلان من الرفيق تروتسكي لاتجاهين اثنين فقط في ٢٥ كانون الاول ١٩٢٠ ، مع انه سبق لبوخارين في ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ان تكلم بوصفه «صاداً» ،يفضح بجلاء دور فرقة بوخارين على حقيقته ، بوصف هذه

الفرقة معاونة لأسوأ وأضرّ انواع التكتلية . واني اقول هذا عرضاً . ولكني اسأل ايّاً من اعضاء الحزب : ألا يذهل مثـــل هذا الاصرار والضغط على «الاختيار» بين اتجاهين في ميدان الحركة النقابيـــة بقوتهما المدوّخة ؟ وهل لا يبقى لنا غير ان نقف مبهورين اذا امكن بعد ثلاث سنوات من ديكتاتورية البروليتاريا ان يظهر في الحزب وان عضو واحد فقط من اعضائه قادر على «الضغط» **بهذا الشكل** عـلى مسألة الاتجاهين في ميدان الحركة النقابية ؟

وفضلاً عن ذلك ، انظروا الى الحملات التكتلية التي يزخر بها هذا الكراس . في الموضوعة الاولى بالذات ، نقرأ «تلويحاً» رهيباً على «بعض مناضلي الحركة النقابية» ممن يُدفعون «القهقرى ، الى المواقع التريديونيونية التي صفاها الحزب مبدئياً من زمان» (اغلب الظن ان واحداً فقط من اعضاء اللجنة المركزية الـ١٩ يمثل الحزب) . والموضوعة الثامنة تشجب ببلاغة «المحافظة النقابية في الفئة القائدة من المناضلين النقابيين» (لاحظوا هذا التوجيه البيروقراطي الصرف للانتباه الى «الفئة القائدة» !) . وفي مستهل الموضوعة الحاديـــة عشرة ، نرى . . . وكيف اعبّر عن ذلـــك بكلمـــة ألطف ؟ . . «تلميحاً» فطناً ، عملياً قوي الحجـــة الى ان «اغلبيـــة النقابيين» «يعترفون شكلاً **اي قولاً**» بقرارات المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي في روسيا .

اليكم اي حكام نافذي الكلمة نجدهم امامنـــا يحكمون بان **اغلبية** (!!) النقابيين يعترفون **قولاً** بقرارات الحزب !

في الموضوعة الثانية عشرة :

. . . **وان كثيرين مـــن النقابيين يعارضون باكثر فاكثر من الحدة** والتشدد احتمالات الالتحام . . . وفي عداد هؤلاء النقابيين نجد الرفيقين تومسكي ولوزوفسكي . وفضلاً عن ذلك ، يرفض كثيرون من النقابييـــن المهام والطرائق الجديدة ، ويطورون في وسطهم روح الانطواء الحرفي ، وروح

النفور من العاملين الجدد في الميدان المعني من الاقتصاد ، ويدعمون بالتالي عملياً رواسب الروح الحرفية المغلقة بين العمال المنظمين في النقابات» .

ليعد القارئ قراءة هذه المحاكمات باهتمام ، وليمعن الفكر فيها . ان وفرة «الدرر» هنا مذهلة . اولاً ، قدروا هذا القول من وجهة نظر تكتليته ! تصوروا مـــا كان قاله تروتسكي واي سلوك كان سلكه لو ان تومسكي نشر منهاجـــاً يتهم فيه تروتسكـــي و«كثيرين» من العاملين العسكريين بتطوير روح البيروقراطيـــة ، وبدعم رواسب الهمجية ، وما خلافه ؟ فاي هو «دور» بوخاريـــن وبريوبراجنسكي وسيريبرياكوف وغيرهـــم الذين لا يرون – لا يلحظون حقاً ، لا يلحظون اطلاقاً – الحدة والتكتلية **هنا** ، لا يرون كم مرة هذا اشد انطباعـــاً بالتكتلية من طلعـــة البتروغراديين ؟ ثانياً . تفحصوا هذه الطريقة في تناول المسألة : ان كثيرين مـــن النقابيين «يطورون في وسطهم روح» . . . ان الطريقة بيروقراطية صرف . وكل الحكايـــة ، كما ترون ، في اي «روح» يطور تومسكي ولوزفسكي «في وسطهما» ، وليست ابداً في مستوى تطور الجماهير ، الملايين وفي شروط حياتها .

ثالثاً . عن غير قصد ، اعرب الرفيق تروتسكي هنا عـــن **جوهر** الجدال كله الذي يتهرب منه ويطمسه بفائق الحرص سواء تروتسكي ذاته او «الصادّ» بوخارين وشركاه .

أيقوم جوهر الجدال كله ومصدر النضال في كون الكثيرين مـــن النقابيين يرفضون المهام والطرائـــق الجديدة ويطورون في وسطهم روح النفور مـــن العاملين الجدد ؟

ام يقوم في كون جماهير العمال المنظمين نقابياً تحتج بصورة مشروعة وتفصح بالضرورة عن استعدادها لطرد اولئـــك مـــن العاملين الجدد الذين لا يريدون اصلاح مظاهر الشطط البيروقراطي الضارة وغير اللازمة ؟

أيقوم جوهر الجدال في واقع ان احداً مـــا لا يريد ان يفهم «المهام والطرائق الجديدة» ؟

ام يقوم في واقع ان احداً مـــا يستر بصورة غير موفقـــة الدفاع عـــن بعض مظاهر الشطـــط البيروقراطي الضارة وغير اللازمة بستار مـــن الاقاويل بصدد المهام والطرائق الجديدة ؟

ليتذكر القارئ **جوهر** الجدال كله هذا .

الديموقراطية الشكلية والعقلانية الثورية

«الديموقراطية العمالية لا تعرف الاصنام» . هكذا يكتـــب الرفيق تروتسكي في موضوعاته التي هي «ثمرة عمـــل جماعي» . «انها لا تعرف غير العقلانية الثورية» (الموضوعة ٢٣) .

ولموضوعات الرفيق تروتسكي هذه ، حدثت حادثـــة غير مستطابة . فان ما فيها من صحيح ليس جديداً ، وفضلاً عن ذلك ، ينقلب على تروتسكي . وما فيها من جديد ، ليس صحيحاً ابداً .

لقد نقلت موضوعات الرفيق تروتسكي الصحيحـــة . وهي تنقلب عليه لا في المسألة (مسألة القســم السياسي المركزي في مفوضية الشعب لطرق المواصلات («غلاف بوليت بوت»)) التـــي لمستها الموضوعة ٢٣ وحسب ، بل في مسائل اخرى ايضاً .

من الناحية الديموقراطية الشكلية **كان يحق** لتروتسكي ان يتقدم بمنهج تكتلي وان ضد اللجنة المركزية كلها . وهذا امر لا جدال فيه . كذلك لا جدال في ان اللجنة المركزيـــة قد اكدت هذا الحق الشكلي بقرارهـــا الصادر في ٢٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ عن حرية المناقشة . وهذا الحق الشكلي يعترف به الصاّد بوخارين لتروتسكي ، ولكنه لا يعترف به لمنظمـــة بتروغراد — اغلب الظن لأن بوخارين تمادى في الكلام في ٣٠ كانون الاول ١٩٢٠

الى حد «شعار الديموقراطية العمالية المقدس» (ص ٤٥ من المحضر الاختزالي) . . .

طيب . والعقلانية الثورية ؟

فهل هناك وان انسان واحد لم يعمه حب الذات التكتلي لدى كتلة «لجنة النقل المركزية» او لدى كتلة «المصدة» يعتبر ، بعقل سليم وذاكرة صافية ، **مثل هذا** الموقف من مسائل الحركة النقابية من جانب زعيم نافذ الكلمة **مثل** تروتسكي موقفاً **عقلانياً ثورياً** ؟

وهل يمكن النكران انه حتى وان حدد تروتسكي «المهام والطرائق الجديدة» بصورة صحيحة للغاية بقدر ما حددها في الواقع بصورة غير صحيحة اطلاقاً (وعن هذا سيأتي الحديث فيما بعد) كان من شأن مثل هذا الموقف من جانب تروتسكي ان يتسبب بالضرر لتروتسكي نفسه وللحزب وللحركة النقابية ولتربية الملايين من اعضاء النقابات وللجمهورية ؟؟

واغلب الظن ، يسمي بوخارين الطيب واعضاء فرقته انفسهم بـ«الصادّين» لأنهم وطدوا العزم على **عدم التفكير** بالواجبات التي تفترضها هذه التسمية .

الخطر السياسي
من الانشقاقات في الحركة النقابية

ان كل امرئ يعرف ان الخلافات الكبيرة تنشأ احياناً من اصغر الخلافات ، وحتى من الخلافات التافهة في البدء . وكل امرئ يعرف ان كل جرح تافه او حتى كل خدشة ، يصاب به كل انسان في حياته عشرات المرات من شأنه ان يتحول الى مرض فادح الخطر وان يتحول حتماً في بعض الاحيان الى مرض فتاك ، **اذا** شرع الجرح يتقيح ، **اذا** اصيب الدم بالتسمم . هكذا يحدث في جميع النزاعات

ايّاً كانت ، حتى الشخصية الصرف منها . وهكذا يحدث في السياسة ايضاً .

ان اي خلاف ، وان تافهاً ، يمكن ان يصبح خطراً سياسياً ، اذا ظهر احتمال تناميه الى انشقاق ، وعلى وجه التدقيق الى نوع من انشقاق من شأنه ان يزعزع ويدمر كل الصرح السياسي ، ان يؤول – على حد تعبير الرفيق بوخارين – الى تهور القطار عن الخط .

واضح ان الانشقاق في وسط البروليتاريا او بين الحزب البروليتاري وجمهور البروليتاريا في بلد تقوم فيه ديكتاتورية البروليتاريا ليس خطراً وحسب ، بل فادح الخطر ايضاً لا سيما اذا كانت البروليتاريا تشكل في هذا البلد اقلية غيركبيرة من السكان . والحال ، تعني الانشقاقات في الحركة النقابية (التي هي ، كما بذلت قصارى جهدي ان اؤكد ذلك في خطابي بتاريخ ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ ، حركة البروليتاريا المنظمة كلياً تقريباً في النقابات*) انشقاقات في جمهور البروليتاريا بالذات .

ولهذا عندما «اشتعل البارود» في مؤتمر النقابات الخامس لعامة روسيا المنعقد في الفترة الممتدة من الثاني الى السادس من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠ (وقد اشتعل بالضبط في هذا المؤتمر) ، وعندما جاء الرفيق تومسكي بعد هذا المؤتمر مباشرة ... كلا ، انا على خطأ ، **اثناء** هذا المؤتمر ، الى المكتب السياسي منفعلاً فائق الانفعال وشرع ، بتأييد كلي من جانب الرفيق رودزوتاك المتمالك فائق التمالك ، يحكي كيف تحدث الرفيق تروتسكي في هذا المؤتمر عن «نفض» النقابات وكيف انبرى هو ، تومسكي ، يناظره في هذا ، – عندما حدث هذا ، قررت فوراً وقطعاً لنفسي ان جوهر الجدال يكمن بالضبط في السياسة (اي في

---

* راجعوا هذا الكتاب ، ص ٢١٧–٢١٨ . **الناشر** .

سياسة الحزب حيال النقابات) وان الرفيق تروتسكي مخطئ اصلاً في هذا الجدال بسياسته ، سياسة «النفض» ، ضد الرفيق تومسكي . لأن سياسة «النفض» **حتى وان تبررت جزئياً** «بالمهام والطرائق الجديدة» (الموضوعة ١٢ عند تروتسكي) هي سياسة غير مقبولة اطلاقاً في الظرف الراهن وفي الوضع الراهن ، لأنها تهدد بالانشقاق .

فالآن يبدو للرفيق تروتسكي ان نسبة سياسة «النفض من فوق» اليه «هي مجرد كاريكاتور» (ل . تروتسكي : «جواب على رفاق بتروغراد» في «البرافدا» ، العدد ٩ ، بتاريخ ١٥ كانون الثاني – يناير ١٩٢١) . ولكن كلمة «النفض» هي «كلمة مجنحة» حقاً لا فقط بمعنى انها ، وقد نطق بها الرفيق تروتسكي في مؤتمر النقابات الخامس لعامة روسيا ، قد «طارت» ، اذا جاز القول ، في الحزب والنقابات على السواء . كلا . انها لا تزال ، مع الأسف ، صحيحة الآن ايضاً بمعنى اعمق بكثير . واعني بذلك انها وحدها تعرب ، بأوجز شكل ، **عن كل روح ، كل اتجاه** الكراس-المنهج «دور النقابات ومهامها» . فان كل هذا الكراس-المنهج الذي وضعه الرفيق تروتسكي مفعم برمته ، من اول سطر الى آخر سطر ، وعلى وجه التدقيق ، بروح سياسة «النفض من فوق» . حسبنا ان نتذكر اتهام الرفيق تومسكي او «الكثيرين من النقابيين» بانهم «يطورون في وسطهم روح النفور من العاملين الجدد» !

ولكن اذا كان الجو الذي يهدد بالانشقاقات قد بدأ يتشكل لتوه في مؤتمر النقابات الخامس لعامة روسيا (٢–٦ تشرين الثاني – نوفمبر ١٩٢٠) ، فان انشقاق لجنة النقل المركزية («التسيكتران») اصبح امراً واقعاً في مطلع كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ .

هذا الحدث هو الامر الاساسي ، الجذري من اجل تقدير جوهر جدالاتنا السياسي ؛ وعبثاً يظن الرفيقان تروتسكي وبوخارين ان الصمت يقدم في هذا المضمار اي عون كان . ان الصمت لا «يصد» بل يؤجج في هذه الحالة ، لأن الحياة لم تطرح المسألة في جدول الاعمال وحسب ، انما اشار اليها ايضاً الرفيق تروتسكي في كراسه ـ المنهج . لأن هذا الكراس على وجه الدقة يطرح مراراً عديدة في الاماكن التي اوردتها ولا سيما في الموضوعة ١٢ ، السؤال التالي : أيقوم الجوهر في كون «الكثيرين من النقابيين يطورون في وسطهم روح النفور من العاملين الجدد» ام في كون «نفور» **الجماهير** مشروعاً نظراً لبعض مظاهر الشطط البيروقراطي الضارة وغير اللازمة ، مثلاً في لجنة النقل المركزية ؟

ان الرفيق زينوفييف قد طرح هذا السؤال صراحة وبكامل الحق والصواب في خطابه الاول بالذات في ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ وقال ان «انصار الرفيق تروتسكي غير المعتدلين» هم الذين قد ساروا بالامور الى حد الانشقاق . ربما لهذا سب الرفيق بوخارين خطاب الرفيق زينوفييف ، ناعتاً اياه بـ«سكب الماء» ؟ ولكن بعدم صحة هذا اللوم يقتنع الآن كل عضو من اعضاء الحزب يطالع المحضر الاختزالي عن مناقشة ٣٠ كانون الاول ١٩٢٠ ويرى ان الرفيق زينوفييف بالذات يستشهد بوقائع دقيقة ويعتمد على وقائع دقيقة وان «الكلامية» المثقفة تهيمن دون اي وقائع عند تروتسكي وبوخارين بالذات .

وعندما قال الرفيق زينوفييف : «تقف لجنة النقل المركزية على قدمين من خزف ، وقد انشقت الآن الى ثلاثة اقسام» ، قاطعه الرفيق سوسنوفسكي هاتفاً :

«وانتم شجعتم» (المحضر الاختزالي ، ص ١٥) .

هذه تهمة جدية . لو أقيم البرهان على صحتها ، لما كان ثمة ، بالطبع ، مكان للمذنبين **بتشجيع الانشقاق** وان في نقابة واحدة من النقابات ، لا في اللجنة المركزية ولا في الحزب الشيوعي في روسيا ولا في نقابات جمهوريتنا . ولحسن الحظ ان هذه التهمة الجدية قد تقدم بها بشكل غير جدي رفيق ضرب غير مرة ، مع الأسف ، الامثلة على «هوايته» غير الجدية للمناظرة . فان الرفيق سوسنوفسكي قد استطاع احياناً ان يزّود حتى مقالاته الممتازة ، مثلاً ، في ميدان الدعاية الانتاجية ، بنوع من «العلقم» يقضي الى حد كبير على جميع حسنات الدعاية الانتاجية نفسها . كذلك توجد طبائع حسنة الطالع (كبوخارين مثلاً) اقل ما تستطيعه هو ان تدس السم في حملاتها ، حتى ولو بلغ الصراع منتهى الضراوة ؛ وتوجد كذلك طبائع غير حسنة الطالع جدا تدس السم في حملاتها في احيان كثيرة اكثر من اللزوم . ومن المفيد للرفيق سوسنوفسكي ان يراقب نفسه في هذا الصدد بله ان يطلب من اصدقائه ان يراقبوه .

قد يقولون : ولكن التهمة وردت مع ذلك ، وان بشكل غير جدي ، غير موفق ، بشكل «تكتلي» بيّن . بيد ان قول الحقيقة بشكل غير موفق خير من السكوت عنها اذا كانت القضية جدية .

لا ريب ان القضية جدية لأن **عقدة** الجدال كله تكمن هنا — واكرر هذا — اكثر مما يظنون . ولحسن الحظ انه تتوافر لنا معطيات على درجة من الموضوعية وقوة الاقناع تكفي لاعطاء جواب عن السؤال الذي طرحه الرفيق سوسنوفسكي **من حيث جوهر الامر** .

اولاً . نقرأ في الصفحة عينها من المحضر الاختزالي تصريح الرفيق زينوفييف الذي لم يكتف بالجواب على الرفيق سوسنوفسكي : «غير صحيح !» ، بل اورد كذلك استشهادات دقيقة بوقائع حاسمة . فقد اشار الرفيق زينوفييف الى ان الرفيق تروتسكي حاول ان يوجه (واضيف من عندي : غارقاً بكل وضوح

في اندفاعه التكتلي) تهمة تختلف كثيراً عن التهمة التى وجهها الرفيق سوسنوفسكي ، وتتلخص في كونه ، هو زينوفييف ، **بخطابه في كونفرنس عامة روسيا للحزب الشيوعي في روسيا في شهر ايلول (سبتمبر)** ، أسهم في الانشقاق او استثار الانشقاق . (والاحظ بين هلالين ان التهمة باطلة وان للسبب التالي وهو ان خطاب زينوفييف في ايلول قد صادقت عليه من حيث الجوهر اللجنة المركزية والحزب ، ولم يحتج عليه احد مرة واحدة بصورة رسمية) .

وقد رد الرفيق زينوفييف بان الرفيق رودزوتاك برهن في جلسة اللجنة المركزية ، وبين يديه المحاضر ، ان «هذه المسألة (مسألة بعض مظاهر الشطط البيروقراطي الضارة وغير اللازمة في لجنة النقل المركزية) كانت موضع بحث في سيبيريا وعلى الفولغا وفي الشمال والجنوب على السواء قبل خطاباتي (اي خطابات زينوفييف) **بزمن طويل** وقبل كونفرنس عامة روسيا بزمن طويل» .

هذا تصريح واضح ، دقيق ، فعلي تماماً . وقد ادلى به الرفيق زينوفييف في خطابه الاول امام الآلاف من اعضاء الحزب الشيوعي الروسي الفائقي المسؤولية ، مع العلم ان **لا** الرفيق تروتسكي الذي تكلم **مرتين بعد** خطاب زينوفييف هذا ، **ولا** الرفيق بوخارين الذي تكلم **كذلك بعد** خطاب زينوفييف ، دحض استشهادات زينوفييف بالوقائع .

ثانياً . **ان قرار دورة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في روسيا** ، المتخذ في ٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ والمدرج في المحضر الاختزالي عينه ، **بصدد مسألة النزاع بين الشيوعيين من شغيلة النقليات المائية والكتلة الشيوعية في مداولة لجنة النقل المركزية** يدحض بمزيد من الدقة والرسمية تهمة الرفيق

سوسنوفسكي . فقد جاء في القرار في القسم المخصص للجنة النقل المركزية قوله :

«نظراً للنزاع القائم بين لجنة النقل المركزية وشغيلة النقليات المائية ، قررت اللجنة المركزية : ١ – انشاء قسم لشغيلة النقليات المائية في لجنة النقل المركزية الموحدة . ٢ – عقد مؤتمر لشغيلة السكك الحديدية وشغيلة النقليات المائية في شباط (فبراير) واجراء انتخابات عادية فيه الى لجنة النقل المركزية الجديدة . ٣ – وحتى ذاك ، ترك لجنة النقل المركزية بقوامها القديم تواصل عملها . ٤ – الغاء القسم السياسي المركزي لمفوضية الشعب للمواصلات المائية والقسم السياسي المركزي لمفوضية الشعب لطرق المواصلات على الفور واحالة جميع قواهما ومواردهما الى المنظمة النقابية على مبادئ الديموقراطية العادية» .

من هنا يرى القارئ ان شجب شغيلة النقليات المائية غير وارد ، وليس هذا وحسب ، بل ورد بالعكس اعتراف **بانهم على حق** في كل ما هو جوهري . هذا مع العلم انه لم يصوت بالموافقة على هذا القرار **اي** (باستثناء كامينيف) من اعضاء اللجنة المركزية الذين وقعوا المنهج المشترك في ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ («بصدد دور النقابات ومهامها» . مشروع قرار المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي في روسيا ، الذي قدمه في اللجنة المركزية فريق من اعضاء اللجنة المركزية ومن اعضاء اللجنة النقابية . وقعه لوزوفسكي ، عضو اللجنة النقابية لا عضو اللجنة المركزية . الباقون : تومسكي ، كالينين ، رودزوتاك ، زينوفييف ، ستالين ، لينين ، كامينيف ، بتروفسكي ، ارتيوم سرغييف) .

اتخذ هذا القرار **ضد** اعضاء اللجنة المركزية المذكورة اسماؤهم ، اي ضد فريقنا . والا كنا صوتنا ضد ابقاء لجنة النقل المركزية القديمة موقتاً . وقد اجبرت حتمية انتصار فريقنا تروتسكي على التصويت بالموافقة على قرار بوخارين والا اُتخذ

قرارنا ، ثـــم ان الرفيق ريكوف ، الذي كان في تشرين الثاني (نوفمبر) **يؤيد** تروتسكي ، قد اشترك في كانون الاول (ديسمبر) في اعمال اللجنة النقابية لفض النزاع بين شغيلة النقليات المائية ولجنة النقل المركزية واقتنع بصحة موقف شغيلـــة النقليات المائية .

الحاصل : تشكلت اغلبية اللجنة المركزية في كانون الاول (٧ كانون الاول) من الرفاق تروتسكي وبوخارين وبريوبراجنسكي وسيريبرياكوف وغيرهم ، اي من اعضاء اللجنة المركزية الذين لا يظن احد انهم متحيزون **ضد** لجنة النقل المركزية . وهذه الاغلبية لم تشجب شغيلة النقليات المائية ، من حيث جوهر قرارها ، بل شجبت لجنة النقل المركزية ، ممتنعة فقط عن اقالتها فوراً . وهذا يعني انه اقيم البرهان على بطلان التهمة التي وجهها سوسنوفسكي .

ولكي لا يبقى اي غموض ، يجب لمس نقطة اخرى ايضـاً . فبم تلخص «بعض مظاهر الشطط البيروقراطي الضارة وغير اللازمة» التي اشرت اليها غير مرة ؟ ألم تنطو **هذه** التهمة على كلام لا اساس له او على مبالغة ؟ ألا تنطوي على ذلك ؟

مرة اخرى ، جاء الجواب من الرفيق زينوفييف في خطابه الاول بالذات في ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ . وجـــاء الجواب شافياً وافياً من حيث الدقة . فقد اورد الرفيق زينوفييف مقتطفا من الامر المطبوع الذي اصدره الرفيـــق زوف بصدد النقليات المائية (بتاريخ ٣ ايار – مايو ١٩٢٠) جاء فيه قوله : «يلغى الروح اللجنوي» (١٠٢) . وعن حق وصواب ، نعت الرفيق زينوفييف هذا بانه خطأ جذري . وهذا بالذات مثال على الشطط الضار وغير اللازم في البيروقراطية و«التعيينية» . وهنا ابدى الرفيق زينوفييف على الفور تحفظاته قائلاً انه يوجد «رفاق» تعيينيون «اقل اختباراً بكثير واقل خبرة بكثير» من الرفيق زوف . وقد سمعت في اللجنة

المركزية تقديراً عن زوف بوصفه عاملاً جديراً جداً ، ومراقباتي في مجلس الدفاع تؤكد هذا التقدير كل التأكيد . وان احداً لا يفكر لا في تقويض مكانة امثال هؤلاء الرفاق ، ولا في جعلهم «كبش المحرقة» (كما ظن الرفيق تروتسكي في تقريره ، ص ٢٥ ، دون اي مبرر لهذا الظن) . ان مكانة «التعيينيين» لا يقوضها من يصلح اخطاءهم ، بل ذلك الذي يفكر في الدفاع عنهم حتى عندما يقترفون الاخطاء .

وهكذ نرى ان خطر الانشقاقات في الحركة النقابية لم يكن خطراً موهوماً ملفقاً ، بل خطراً فعلياً . كذلك نرى بوضوح فيما كان يقوم بالذات جوهر الخلافات غير المضخم : في النضال من اجل اصلاح بعض مظاهر الشطط الضارة وغير اللازمة في البيروقراطية والتعيينية ، لا من اجل الدفاع عنها وايجاد المبررات لها . وهذا فقط لا غير .

بصدد الخلافات المبدئية

قد يقولون لنا : ولكن ، اذا كانت هناك خلافات مبدئية عميقة وجذرية ، ترى ، ألا تبرر حتى اشد المساعي حدة واكثرها انطباعاً بطابع التكتل ؟ واذا اقتضى الامر قول شيء جديد لم يُفهم ، أفلا يبرر هذا احياناً الانشقاق نفسه ؟

طبعاً ، يبرر ، اذا كانت الخلافات بلغت فعلاً اقصى درجات العمق ، واذا استحال التوصل بسبيل آخر الى اصلاح الاتجاه غير الصحيح في سياسة الحزب او الطبقة العاملة .

ولكن المصيبة انه لا توجد خلافات كهذه . لقد حاول الرفيق تروتسكي ان يبينها ولكنه لم يستطع . ولئن كان يمكن – ويجب – **قبل** ظهور كراسه (٢٥ كانون الاول) التحدث بتحفظ او بلهجة مسالمة («لا يجوز تناول المسألة على هذا النحو وان بشرط وجود

مهام جديدة لم تُدرك ووجود خلافات»)، فقد كان لا بدّ من القول **بعد** ظهور هذا الكراس : ان الرفيق تروتسكي غير محق من حيث جوهر الامر فيما لديه من جديد .

ويتضح هذا اكثر ما يتضح من مقارنة موضوعات الرفيق تروتسكي بموضوعات رودزوتاك التي اقرها مؤتمر النقابات الخامس لعامة روسيا (٢-٦ تشرين الثاني - نوفمبر) . وقد اوردتها في خطابي في ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) وفي «البرافدا» في ٢١ كانون الثاني (يناير)* . ان هذه الموضوعات أصح واكمل على السواء من موضوعات تروتسكي . وما تتميز به موضوعات تروتسكي عن موضوعات رودزوتاك ، غير صحيح عند تروتسكي .

لنأخذ اولاً «الديموقراطية الانتاجية» السيئة الذكر التي أسرع الرفيق بوخارين وادرجها في مشروع قرار اللجنة المركزية بتاريخ ٧ كانون الاول . يقيناً انه من المضحك المماحكة بصدد هذا التعبير الاخرق والمصطنع على طريقة المثقفين («بهلونيات») لو ورد في خطاب او في مقال . ولكن الرفيقين تروتسكي وبوخارين بالضبط زجا بنفسيهما في مثل هذا الوضع المضحك ، وذلك **باصرارهما في الموضوعات** على هذا التعبير بالذات ، الذي يميز «منهجيهما» عن موضوعات رودزوتاك التي اقرتها النقابات !

ان هذا التعبير غير صحيح نظرياً . فان كل ديموقراطية ، مثلها على العموم مثل كل بناء فوقي سياسي (وهو محتم طالما لم ينته القضاء على الطبقات ، طالما لم ينشأ المجتمع اللاطبقي) تخدم الانتاج ، في آخر المطاف ، وتحددها ، في آخر المطاف ، علاقات الانتاج في المجتمع المعني . ولهذا لا يعني شيئاً تمييز

* راجعوا هذا الكتاب ، ص ٢٤١-٢٤٥ . **الناشر** .

«الديموقراطية الانتاجية» عن كل ديموقراطية اخرى . ان هذا تشويش وكلام فارغ . هذا اولاً .

ثانياً . انظروا الى التوضيح الذي اعطاه بوخارين نفسه عن هذا التعبير في مشروع القرار الذي كتبه لدورة اللجنة المركزية بتاريخ ٧ كانون الاول (ديسمبر) . فقد كتب بوخارين هناك يقول : «لهذا يجب ان تكون طرائق الديموقراطية العمالية طرائق الديموقراطية الانتاجية . وهذا يعني» – لاحظوا : «هذا يعني» ! ان نداء بوخارين الى الجماهير يبدأ بتعبير على درجة من التعقيد والصعوبة بحيث ينبغي **تفسيره بشكل خاص** : برأيي ان هذا ، من وجهة نظر الديموقراطية ، **غير ديموقراطي** ؛ فمن اجل الجماهير تنبغي الكتابة دون مثل هذه التعابير الجديدة التي تتطلب تفسيراً خاصاً ؛ وهذا ضار من وجهة النظر «الانتاجية» لأنه يجبر على تضييع الوقت سدى على تفسير تعبير لا لزوم له – «وهذا يعني ان جميع الانتخابات وترشيح المرشحين ، وتأييدهم ، الخ . ، يجب ان تجري لا من وجهة نظر الاستقامة السياسية وحسب ، بل ايضاً من وجهة نظر المؤهلات الاقتصادية ، ومدة الخدمة الادارية ، والصفات التنظيمية والعناية المتثبت منها عملياً بمصالح الجماهير الكادحة ، المادية والروحية» .

جلي ان هذه المحاكمة مصطنعة وغير صحيحة . فان الديموقراطية لا تعني «الانتخابات ، وترشيح المرشحين وتأييدهم ، الخ . » . هذا من جهة . ومن جهة اخرى ، ليس من اللازم ان تجري جميع الانتخابات من وجهة نظر الاستقامة السياسية والمؤهلات الاقتصادية . انما ينبغي كذلك ، خلافاً لرأي تروتسكي ، ان تكون هناك في المنظمة التي تضم مليون عضو ، نسبة معينة من الوسطاء والدواوينيين (فسنوات عديدة يستحيل

الاستغناء عن الدواوينيين الصالحين) . ولكننـــا لا نتحدث عن الديموقراطية «التوسطية» او «الدواوينية» .

ثالثاً . لا يصح النظر الى المنتخبين وحدهـم ، الى المنظمين والاداريين وخلافهم وحدهم . فان هؤلاء هم مع ذلك اقلية الناس البارزين . انما ينبغـــي النظر الى الناس العاديين ، الى الجمهور . وهذا ما اعرب عنه رودزوتاك لا بصورة ابسط واوضح وحسب ، بل ايضاً بصورة اصح نظرياً (الموضوعة السادسة) :

. . . «ينبغي ان يدرك كل مشترك في الانتاج ضرورة وعقلانيـــة المهام الانتاجيـــة التي يقوم بهـــا ؛ وان لا يكتفي كل مشترك في الانتاج بالاشتراك في تنفيذ المهام المعينة من فوق ، بل ان يشترك كذلك عن وعي في اصلاح جميع النواقص التكنيكية والتنظيمية في ميدان الانتاج» .

رابعاً . ان «الديموقراطية الانتاجية» هي تعبير يخلق امكانية التأويلات الخاطئة . فمن الممكن فهـــم هذا التعبير بمعنى انكار الديكتاتورية ووحدة الادارة . ومن الممكن تأويله بمعنى تأجيل الديموقراطية العادية او التنصل منهـــا . ان هذين التأويليـــن ضاران ، ولتجنبهما لا بدّ من تعليقات خاصة ومطولة .

ان عرض الافكار نفسها ببساطة في موضوعات رودزوتاك هو أصح ، كما انه يجنب جميع هذه المزعجات . ثم ان تروتسكي في مقاله «الديموقراطية الانتاجية» المنشور في «البرافدا» بتاريخ ١١ كانون الثاني (يناير) لا يدحض وجود هذه الاخطاء وهذه المزعجات (فهو يتهرب من هذه المسألة كلهـــا ، ولا يقارن موضوعاتـــه بموضوعات رودزوتاك) ، وليس هذا وحسب ، بل ، بالعكس ، يؤكد بصورة غير مباشرة ازعاج وخطأ تعبيره ، وذلك على وجه الدقة بايراد تعبير مواز له هو «الديموقراطية العسكرية» . لحسن الحظ اننا ، على ما اذكر ، لم نشر قط مجادلات تكتلية بسبب من مثل هذا التعبير .

ثم ان تعبير تروتسكي «الجو الانتاجي» ، اقل توفيقاً . وقد سخر منه زينوفييف عن حق وصواب . فغضب تروتسكي غضباً شديداً واعترض قائلاً : «كان عندنا جو حربي ... والآن يجب ان ينشأ في الجمهور العمالي ، في اعماقه ، لا على سطحه وحسب ، جو انتاجي ، اي توتر واهتمام عملي وانتباه للانتاج كما كان الحال بالنسبة للجبهات ...» . وهكذا اذن يكمن جوهر الامر في انه تنبغي مخاطبة «الجمهور العمالي ، اعماقه» كما جاء في موضوعات رودزوتاك ، لا باستخدام كلمات من نوع «الجو الانتاجي» التي تستتبع الدهشة او الابتسام . وباستخدام تعبير «الجو الانتاجي» ، يعبر الرفيق تروتسكي ، من حيث جوهر الامر ، عن نفس الفكرة التي يعبر عنها مفهوم الدعاية الانتاجية . ولكنه ينبغي القيام بالدعاية الانتاجية من اجل الجمهور العمالي بالذات ، من اجل اعماقه ، بطريقة تجتنب امثال هذا التعبير . ان هذا التعبير ينفع بشكل مثال يبين كيف **لا** ينبغي القيام بالدعاية الانتاجية بين الجماهير .

السياسة والاقتصاد .
الديالكتيك والاختيارية

غريب ان يترتب طرح مثل هذه المسألة البدائية ، البديهية من جديد . فمع الأسف ، يحمل تروتسكي وبوخارين على القيام بذلك . فكلاهما يلومني على انني «اغيّر» المسألة او على انني اقف موقفاً «سياسياً» بينما يقفان موقفاً «اقتصادياً» . بل ان بوخارين طرح هذا في موضوعاته وحاول ان «يرتفع فوق» المتجادلين الاثنين وكأنه يقول : أنا اجمع هذا وذاك معاً .

ان الخطأ النظري صارخ . فالسياسة انما هي تعبير مكثف عن الاقتصاد . هكذا كررت انا في خطابي لأني سمعت سابقاً هذا

اللوم الذي لا تعليل له ، والذي لا يجوز اطلاقاً صدوره عن لسان الماركسي ، على موقفي «السياسي» . لا يمكن للسياسة الا تعلو على الاقتصاد . وكل رأي آخر يعني نسيان الفباء الماركسية .

ألعل تقديري السياسي غير صحيح ؟ قولوا ذلك واثبتوه . اما القول (او حتى التسليم بهذا الرأي وان بصورة غير مباشرة) بان الموقف السياسي يوازي الموقف «الاقتصادي» وبانه يمكن اخذ «هذا وذاك» فان هذا يعني نسيان الفباء الماركسية .

وبكلمة اخرى . ان الموقف السياسي انما يعني ما يلي : اذا وقفنا من النقابات موقفاً غير صحيح ، فان هذا يهلك السلطة السوفييتية وديكتاتورية البروليتاريا . (ان الانشقاق بين الحزب والنقابات ، شرط ان يكون الحزب على غير حق ، من شأنه ، بالتأكيد ، ان يطيح بالسلطة السوفييتية في بلد فلاحي كما هي عليه روسيا .) فمن الممكن (ومن الواجب) التثبت من صحة هذا الرأي من حيث الجوهر ، اي التحليل والتمحيص والتقرير ما اذا كان هذا الموقف صحيحاً او غير صحيح . اما القول : انا «أقدّر» موقفك السياسي «**ولكن**» هذا موقف سياسي وحسب ، بينا نحن بحاجة الى الموقف «الاقتصادي **ايضاً**» ، فانه يعني تماماً القول : انا «أقدّر» رأيك بانك ستكسر رقبتك بقيامك بخطوة كهذه ، **ولكن** زن كذلك انه خير للمرء ان يكون شبعاناً ولابساً من ان يكون جائعاً وعارياً .

لقد انزلق بوخارين نظرياً الى **الاختيارية** بترويجه لجمع الموقف السياسي **مع** الموقف الاقتصادي .

ان تروتسكي وبوخارين يصوران الامر كأنما يقولان : نحن نعنى بانماء الانتاج ، اما انتم فتعنون بالديموقراطية الشكلية فقط . ان هذا التصوير غير صحيح لأن المسألة **لا** توضع (ولا **يمكن** ان توضع بالطريقة الماركسية) **الا** على النحو التالي : دون

موقف سياسي صحيح من القضية ، لن تحتفظ الطبقة المعنيـــة بسيطرتها ، **وبالتالي** لن تستطيع ان تحل **مهمتها الانتاجية ايضاً** .

وبصورة ادق واوضح . يقول زينوفييف : «انتـم تقترفون خطأ سياسياً يؤول الى الانشقاقات في النقابات . اما نمو الانتاج ، فقد تحدثت وكتبت عنـــه في كانون الثانـــي (يناير) ١٩٢٠ ، مستشهداً بمثال بناء الحمام» . ويجيب تروتسكي : «تصوروا اية مأثرة (ص ٢٩) ان تكتب كراساً تورد فيـــه مثالاً عن الحمام ؛ ولكنه لا توجد عندك «اي كلمة» ، «اي كلمة واحدة» (ص ٢٢) عما يجب ان تفعله النقابات» .

هذا غير صحيـح . ان مثال الحمام يساوي ، واعتذر لهذه القافية ، عشرة «اجواء انتاجيـــة» بالاضافة الى بضـــع مـــن «الديموقراطيات الانتاجية» . ان مثال الحمام يدل بوضوح وبساطة ، وبالضبط من اجل الجمهور ، بالضبط من اجل «الاعماق» ، على ما ينبغي ان تفعله النقابات ؛ اما «الاجواء الانتاجية» و«الديموقراطيات الانتاجية» فهي وسخ يوسخ عيون الجماهير العمالية **ويصعّب** عليها الفهم .

ان الرفيق تروتسكي قد لامني انا ايضاً زاعماً ان «لينين لم يقل اي كلمة» (ص ٦٦) عن «الدور الذي تلعبه ويجب ان تلعبه تلك الروافع التي تسمى بجهاز النقابات» .

عفواً ، يا رفيق تروتسكي : عندمـــا طالعـــت موضوعات رودزوتاك بكليتها ووافقت عليها ، قلت عن هذا الموضوع **اكثر واكمل واصح وابسط واوضح** من جميع موضوعاتك ومن كـــل تقريرك او تقريرك الاضافي ومن كلمتك الختامية . لأن المكافأة العينية ومحاكم الانضباط الرفاقية ، واكرر قولي ، تعني ، مـــن حيث امتلاك ناصية الاقتصاد ، من حيث ادارة الصناعة ، من حيث رفع دور النقابات الانتاجي ، مائة مرة اكثر مما تعنيـــه الكلمات

المجردة تماماً (وبالتالي الفارغة) عن «الديموقراطية الانتاجية» وعن «الالتحام» ، الخ . .

وبحجة تقديم وجهة نظر «انتاجية» (تروتسكي) او بحجة التغلب على الموقف السياسي المحدود والجمع بين هذا الموقف والموقف الاقتصادي (بوخارين) ، اعطونا :

١ – تناسياً للماركسية تجلى في تعريف اختياري ، غير صحيح نظرياً ، للعلاقة بين السياسة والاقتصاد ؛

٢ – دفاعاً او تستيراً عن ذلك الخطأ السياسي الذي تجلى في سياسة النفض التي تشرّب بها **كل** الكراس-المنهج الذى وضعه تروتسكي . وهذا الخطأ **يؤدي** الى سقوط ديكتاتورية البروليتاريا اذا لم ندركه ونصلحه ؛

٣ – خطوة الى الوراء في ميدان القضايا الانتاجية ، الاقتصادية الصرف ، المتعلقة بكيفية زيادة الانتاج ؛ وبالضبط خطوة الى الوراء من موضوعات رودزوتاك **العملية** التي تطرح مهام ملموسة ، عملية ، حياتية ، حية (طوروا الدعاية الانتاجية ، تعلموا كيف تجيدون توزيع المكافآت العينية وكيف تستخدمون الاكراه على نحو اصح بصورة محاكم الانضباط الرفاقية) الى **موضوعات** عامة ، مجردة ، «مفرغة» ، غير صحيحة نظرياً ، مصاغة بطريقة المثقفين ، **موضوعات تتناسى** ما هو اكثر اتصالاً بالعمل والتطبيق .

هذه هي ، في الواقع ، العلاقة بيننا ، اي انا وزينوفييف من جهة ، وبين تروتسكي وبوخارين من جهة اخرى في مسألة السياسة والاقتصاد .

ولهذا لم استطع ان اقرأ ، دون ابتسامة ، اعتراض الرفيق تروتسكي عليّ في ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) : «قال الرفيق لينين في كلمته الختامية امام مؤتمر السوفييتات الثامن بصدد التقرير عن وضعنا اننا بحاجة الى اقل من السياسة والى اكثر من

معرفة الادارة الاقتصادية ، بينا ابرز الى المرتبة الاولى في مسألة النقابات الجانب السياسي منها» (ص ٦٥) . وقد بدت هذه الكلمات للرفيق تروتسكي «صائبة للغاية». ولكنها تفصح بالفعل عن تشوش في المفاهيم في منتهى التشوش ، عن «بلبة فكرية» لا حدود لها حقاً وفعلاً . يقيناً اني اعربت دائماً ولا ازال اعرب وسوف اعرب عن امنيتي في ان نهتم اقل بالسياسة واكثر بالاقتصاد . ولكنه لا يصعب على الفهم ان تحقيق هذه الاماني يتطلب انعدام المخاطر السياسية **والاخطاء السياسية** . ان الاخطاء السياسية التي اقترفها الرفيق تروتسكي وعمقها وشددها الرفيق بوخارين **تصرف** حزبنا عن المهام الاقتصادية ، عن العمل «الانتاجي» **وتجبرنا ، مع الأسف ، على تضييع الوقت** على اصلاح هذه الاخطاء ، على الجدال ضد الميل السنديكالي (الذي يؤدي الى سقوط ديكتاتورية البروليتاريا) ، والجدال ضد الموقف غير الصحيح من الحركة النقابية (وهو موقف يؤدي الى سقوط السلطة السوفييتية) ، والجدال حول «الموضوعات» العامة بدلاً من الجدال «الاقتصادي» العملي ، الواقعي حول من ذا الذي امكنه على نحو احسن وبمزيد من النجاح ان يعطي المكافآت العينية وينظم المحاكم ويحقق الالتحام على اساس موضوعات رودزوتاك التي اقرها مؤتمر النقابات الخامس لعامة روسيا في الفترة الممتدة من ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) الى السادس منه : الطحانون من ساراتوف ، او عمال مناجم الفحم في حوض دونيتس ، او عمال التعدين في بتروغراد ، الخ . .

خذوا مسألة الفائدة من «النقاش الواسع» . هنا نرى ايضاً كيف تصرف الاخطاء السياسية عن المهام الاقتصادية . لقد كنت ضد ما يسمى النقاش «الواسع» ، واعتبرت احباط الرفيق تروتسكي

لنشاط اللجنة النقابية التي كان ينبغي ان يقوم فيها نقاش عملي ، ولا ازال اعتبره خطأ ، خطأ سياسياً اقترفه تروتسكي . واعتبر ان اعضاء فرقة المصدّة برئاسة بوخارين قد اقترفوا خطأ سياسياً لأنهم لم يفهموا مهام المصدّة (وهنا ايضاً استعاضوا عن الديالكتيك بالاختيارية) ؛ وقد كان عليهم ، من وجهة نظر «المصدة» بالضبط ، ان يقفوا بعزيمة مسعورة ضد النقاش الواسع ويطالبوا بنقل النقاش الى اللجنة النقابية . واليكم ما حصل .

في ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ، ذهب بوخارين الى حد القول «اننا رفعنا شعاراً مقدساً جديداً هو شعار الديموقراطية العمالية التي لا تقوم في بحث جميع المسائل في هيئات ضيقة ، في اجتماعات صغيرة ، في حرفة ما ، بل تقوم في نقل جميع المسائل الى الاجتماعات الواسعة . وهكذا ، اؤكد اننا ، اذ ننقل مسألة دور النقابات الى اجتماع كبير كاجتماع اليوم ، لا نخطو بالتالي خطوة الى الوراء ، بل خطوة الى الامام» (ص ٤٥) . وهذا الانسان اتهم زينوفييف بشسكب الماء وباستعظام الديموقراطية ! هنا بالذات سكب ماء و«زلة» تامة ، عدم فهم تام للامر التالي وهو انه ينبغي للديموقراطية الشكلية ان تخضع للعقلانية الثورية !

وحال تروتسكي ليس احسن اطلاقاً . فهو يدلي بالتهمة التالية : «يريد لينين ، مهما كلف الامر ، ان يرفع النقاش من حيث جوهر المسألة ، ان يحبطه» (ص ٦٥) . وهو يعلن : «لماذا لم ادخل اللجنة ؟ لقد أجبت عن ذلك بوضوح في اللجنة المركزية : طالما لم يسمح لي ، على قدم المساواة مع جميع الرفاق الآخرين ، بطرح المسائل بكل مداها في الصحافة الحزبية ، فاني لا اتوقع اي فائدة من بحث هذه المسائل ضمن حلقة ضيقة مغلقة ، وبالتالي من العمل في اللجنة» (ص ٦٩) .

الحاصل ؟ لم ينقض بعد شهر منذ ان بدأ تروتسكي «النقاش الواسع» في ٢٥ كانون الاول (ديسمبر) وبالكاد نجد واحداً من ١٠٠ من العاملين الحزبيين المسؤولين لم يتملكه «القرف» من هذه المناقشة ولم يدرك عقمها (ان لم يكن شراً من ذلك) . لأن تروتسكي انتزع من الحزب وقتاً بالجدال حول كلمات ، حول موضوعات سيئة ، شاتماً وناعتاً بالبحث «ضمن حلقة ضيقة مغلقة» بحثاً اقتصادياً **عملياً** على وجه الدقة في لجنة تأخذ على عاتقها دراسة التجربة العملية والتثبت منها لكي تتعلم من هذه التجربة **وتسير الى امام** في العمل «الانتاجي» الحقيقي ، **لا الى الوراء** من العمل الحي الى الكلامية الميتة حول شتى «الاجواء الانتاجية» .

خذوا «الالتحام» السيئ الذكر . لقد نصحت في ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) بلزوم الصمت حوله لأننا **لم نلمس** تجربتنا العملية بالذات ، ودون هذا الشرط ، تتحول حتماً المجادلات حول الالتحام الى سكب ماء ، الى صرف عقيم لقوى الحزب **عن** العمل الاقتصادي . وقد وصفت موضوعات تروتسكي حول هذه النقطة ، المتضمنة اقتراحات بادخال ممثلي النقابات في قوام مجالس الاقتصاد الوطني بنسبة تتراوح بين الثلث والنصف ، وبين النصف والثلثين ، بانها هوس دواويني بوضع المشاريع * .

ومن جرّاء هذا ، غضب عليّ بوخارين غضباً شديداً ، فحاول ان يبرهن لي باسهاب وتفصيل ، كما ارى من الصفحة ٤٩ من المحضر ، «انه لا ينبغي لمن يجتمعون ويتحدثون عن

---

* راجعوا هذا الكتاب ، ص ٢٣٢ . **الناشر** .

شيء ما ان يتظاهروا بالصم والبكم» (هكذا ورد حرفياً في الصفحة المذكورة !) . كذلك غضب تروتسكي فصاح :

«ارجو كلاً منكم ان يسجل في مفكرته ان الرفيق لينين نعت هذا بالبيروقراطية في يوم كذا ، واني اجرؤ على القول سلفاً ان ما سيؤخذ به علماً وسيؤخذ مرشداً على السواء خلال بضعة اشهر هو ان عدد الموظفين العامين في مجلس النقابات المركزى لعامة روسيا والمجلس الاعلى للاقتصاد الوطني واللجنة المركزية لعمال التعدين وقسم المعادن ، الخ . ، يجب ان يتراوح بين الثلث والنصف . . .» (ص ٦٨) .

بعدما قرأت هذا ، سألت الرفيق ميليوتين (نائب رئيس المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني) ان يرسل اليّ ما لديه من **محاضر** مطبوعة حول مسألة الالتحام وقلت في نفسي : يا الله ، لابدأ **بدراسة تجربتنا العملية** شيئاً فشيئاً ، لأنه من الممل بنحو لا يطاق الانصراف الى «كثرة الكلام في عموم الحزب» (تعبير بوخارين ، الصفحة ٤٧ ، الذي سيصبح ، اغلب الظن ، «كليمة مجنحة» مثل كليمة «النفض» الشهيرة ، على الاقل) ، بلا جدوى ، بلا مادة ، بلا وقائع ، مع اختلاق خلافات وتعريفات و«ديموقراطيات انتاجية» .

ارسل لي الرفيق ميليوتين بضعة كتب ، بينها «تقرير المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني الى مؤتمر السوفييتات الثامن لعامة روسيا» (موسكو ، ١٩٢٠ ؛ المقدمة مؤرخة في ١٩ كانون الاول ١٩٢٠) . في الصفحة ١٤ من هذا التقرير ، يرد جدول يبين درجة اشتراك العمال في الهيئات الادارية . وفيما يلي اسوق هذا الجدول (الذي لا يشمل غير قسم من مجالس الاقتصاد

الوطني في المحافظات ومن المؤسسات) :

الجهاز الاداري	العدد الاجمالي	منهم					
		العمال	٪٪	الاختصاصيون	٪٪	المستخدمون وغيرهم	٪٪
هيئة رئاسة المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني ومجالس الاقتصاد الوطني في المحافظات . . .	١٨٧	١٠٧	٥٧,٢	٢٢	١١,٨	٥٨	٣١,٠
هيئات الادارات المركزية والاقسام والمراكز واللجان الرئيسية الادارات الجماعية القيادة والاحادية القيادة للمصانع والمعامل . . .	١٤٠	٧٢	٥١,٤	٣١	٢٢,٢	٣٧	٢٦,٤
	١١٤٣	٧٢٦	٦٣,٥	٣٩٨	٣٤,٨	١٩	١,٧
الحاصل	١٤٧٠	٩٠٥	٦١,٦	٤٥١	٣٠,٧	١١٤	٧,٧

وهكذا ، تبلغ نسبة اشتراك العمال الآن ، بصورة وسطية ، ٦١,٦٪ اي انها اقرب الى الثلثين منهـــا الى النصف ! **وقد أعطي البرهان** على ما يتسم به ما كتبه الرفيق تروتسكي عن هذا في موضوعاته من طابع الهوس الدواويني بوضع المشاريع . ان القول والجدال وكتابة مناهج «بين الثلث والنصف» او «بين النصف والثلثين» ، — كل هذا «كثرة كلام في عموم الحزب» ، كلام فارغ تماماً وصرف للقوى والموارد والانتباه والوقت عن

العمل **الانتاجي** ، ومجرد جعجعة سياسيـــة بدون مضمون جدي . ولكن ، في لجنة تضم اناساً ذوي تجربة ولا يوافقون على كتابة موضوعات دون دراسة الوقائع ، يمكن ، لما فيه فائدة القضية ، القيام بالتثبت من التجربة ، – مثلاً ، القيام باستجواب بضع عشرات (من الف «موظف عام») ، وبمقارنة انطباعاتهم واستنتاجاتهم بمعطيات الاحصاء الموضوعية ، وبمحاولة التوصل الى توجيهات عملية تطبيقية من اجل المستقبل : في حال نتائـج معينـة من التجربة ، أيجب السير فوراً الى امام في الاتجاه نفسه ، ام يجب تغيير الاتجـاه والاساليب والموقف بعض الشـيء وكيف يجب التغيير بالضبط ، ام يجب ، لما فيه صالح القضية التوقف والتحقق من التجربة ايضاً وايضاً ، ولربما تعديل شيء ما ، وهلمجراً وهكذا دواليك .

ان «الاقتصادي» الحقيقي ، ايها الرفاق (واسمحوا لي ايضاً ان اقوم قليلاً «بالدعاية الانتاجية» !) ، يعرف ان الرأسماليين ومنظمي التروستات حتى في البلدان الاكثر تقدماً قد عكفوا ، خلال سنوات عديدة واحياناً عشر سنوات واكثر ، على دراسة تجربتهم (وتجربة الغير) العملية والتثبت منها ، فأصلحوا وعدلوا ما بدأوا به ، وعادوا الى الوراء ، واصلحوا مراراً عديدة ، لكي يتوصلوا الى نظام للادارة ولاختيار الاداريين الكبار ، والصغار ، والخ . ، يناسب تماماً القضية المعنية . هكذا كان الحال في ظل الرأسمالية التي اعتمدت في عملها الاقتصادي ، في العالم المتمدن كله ، على **تجربة وعادات القرون** . اما نحن فاننا نبني في تربة جديدة تتطلب عملاً طويلاً وعنيداً وصبوراً للغاية من اجل اعادة تربية العادات التي تركتها لنا الرأسمالية ارثاً والتي لا يمكن تعديلها الا بصورة تدريجية جداً . ان الوقوف من هذه المسألـــة كما يقف منها تروتسكي غير صحيح من جذوره . فقد صاح

في خطابه في ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) : «هل عند عمالنا وعند عاملي الحزب والنقابات تربية انتاجية ؟ اجل ام لا ؟ اني اجيب : لا» (ص ٢٩) . ان وقوف هذا الموقف من مثل هذه المسألة مضحك . فكأنك تتساءل : هل يوجد في هذه الفرقة ما يكفي من الجزمات اللبادية ؟ اجل ام لا ؟

اغلب الظن انه سيتعين علينا ان نقول بعد عشر سنوات ايضاً ان جميع عاملي الحزب والنقابات لا يملكون ما يكفي من التربية الانتاجية . كذلك لن يكون بعد عشر سنوات ما يكفي من التربية العسكرية لدى جميع عاملي الحزب والنقابات والادارة العسكرية . ولكن **بداية** التربية الانتاجية قد ارسيت عندنا بكون قرابة الف من العمال اعضاء النقابات ومندوبي النقابات يشتركون في ادارة المؤسسات واللجان الرئيسية وما فوقها ، ويديرونها . ان مبدأ «التربية الانتاجية» الاساسي ، تربيتنا **نحن بالذات** ، السريين القدماء والصحفيين المحترفين ، يقوم في انصرافنا بانفسنا وتعليم الآخرين الانصراف الى دراسة تجربتنا العملية ذاتها باكبر الانتباه واوسع التفاصيل ، وفقاً للقاعدة القائلة : «قس سبع مرات ، وقص مرة واحدة» . ان التثبت الملحّ ، البطيء ، المحترس ، العملي ، الجدي مما فعله هذا الالف ، وتصحيح عملهم بمزيد من الاحتراس والجد ، وعدم السير الى امام الا بعد التحقق كلياً من فائدة الاسلوب المعني ونظام الادارة المعني والنسبة المعنية واختيار الافراد المعني ، الخ . . هذه هي القاعدة الاساسية ، الجذرية ، المطلقة «للتربية الانتاجية» ، وهذه القاعدة بالذات يخالفها الرفيق تروتسكي بجميع موضوعاته وبكل موقفه من المسألة . فان جميع موضوعات الرفيق تروتسكي وكل كراسه ـ المنهج لعلى نحو بحيث

انها صرفت باخطائها انتباه الحزب وقواه عن النشاط «الانتاجي» العملي الى جدالات كلامية فارغة ، لا معنى لها .

الديالكتيك والاختيارية .
«المدرسة» و«الجهاز»

في عداد صفات الرفيق بوخارين العديدة الثمينة جداً ، كفاءته النظرية واهتمامه بالبحث في كل مسألة عن جذورها النظرية . وهذه صفة قيمة جداً لأنه يستحيل على المرء ان يستوضح لنفسه اي خطأ كان ، بما في ذلك الخطأ السياسي ، اذ لم يبحث الى النهاية عن جذور الخطأ النظرية عند من اقترفه منطلقاً من موضوعات معينة يتبناها عن معرفة ووعي .

ان الرفيق بوخارين ، تبعاً لسعيه هذا الى تعميق المسألة نظرياً ، ينقل الجدال الى الميدان المشار اليه بالضبط ، ابتداء من المناقشة في ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ، ان لم يكن قبل ذاك :

ففي ٣٠ كانون الاول ، قال الرفيق بوخارين : «اني اعتبر من الضرورى اطلاقاً – وفي هذا يكمن الجوهر النظري لما يسمى هنا «بكتلة المصدّة» او بايديولوجيتها ، – ويبدو لي مما لا جدال فيه انه لا يمكن لا طرح هذا العنصر السياسي ولا طرح هذا العنصر الاقتصادى ...» (ص ٤٧) .

ان الجوهر النظري لذلك الخطأ الذي يقترفه هنا الرفيق بوخارين يتقوم في كونه يستعيض عن العلاقة الديالكتيكية بين السياسة والاقتصاد (هذه العلاقة التي تعلمنا اياها الماركسية) بالاختيارية . «وهذا وذاك» ، «من جهة ، ومن جهة اخرى» ، هذا هو موقف بوخارين النظري . وهذا هو الاختيارية بالذات .

اما الديالكتيك فانه يتطلب حسبان العلاقات من جميع النواحي خلال تطورها الملموس ، لا انتزاع قطعة هنا وقطعة هناك . وقد سبق لي وبرهنت ذلك بمثال السياسة والاقتصاد .

كذلك لا ريب في هذا من مثال «المصدّة» . فالمصدة نافعة وضرورية اذا انطلق القطار الحزبي مائلاً الى التهور . ولا جدال . غير ان بوخارين طرح المهمة «الصادّة» بطريقة اختيارية ، آخذاً قطعة من عند زينوفييف ، وقطعة من عند تروتسكي . بيد انه كان ينبغي على بوخارين بوصفه «صادّاً» ان يعين من تلقاء نفسه اين ومتى وبما يقترف هذا او ذاك ، هؤلاء او اولئك ، خطأ ، خطأ نظرياً او خطأ لانعدام اللباقة السياسية ، او خطأ تكتلية في الخطبات والمساعي او خطأ استعظام ، وخلافه ، وان ينقضّ **بكل قوة** على **كل** من هذه الاخطاء . الا ان بوخارين لم يفهم مهمته هذه بوصفه «صادّاً» . ومن الادلة الجلية على ذلك :

كتلة الشيوعيين في مكتب بتروغراد للجنة النقل المركزية (اللجنة المركزية لنقابة شغيلة السكك الحديدية والنقليات المائية) – وهي منظمة تعطف على تروتسكي وتعلن جهاراً انها ترى «ان موقفي الرفيقين تروتسكي وبوخارين في المسألة الاساسية ، مسألة دور النقابات الانتاجي هما نوعان من وجهة النظر ذاتها» ، – اصدرت في بتروغراد بشكل كراس التقرير الاضافي الذي القاه بوخارين في بتروغراد في ٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ (ن . بوخارين : «بصدد مهام النقابات» . بتروغراد ، ١٩٢١) . وفي هذا التقرير الاضافي نقرأ ما يلي :

«بادئ بدء ، قال الرفيق تروتسكي بانه ينبغي تغيير قيادة النقابات ، ينبغي اختيار رفاق مناسبين ، وخلافه ؛ وقبل ذاك تبنى حتى وجهة نظر «النفض» التي تخلى عنها الآن ، ولهذا من السخف اطلاقاً اتخاذ «النفض» ذريعة ضد الرفيق تروتسكي» (ص ٥) .

لن اتوقف عند الاخطاء الكثيرة في سرد الوقائع هذا . (ان كليمة «النفض» قد استعملها تروتسكي في مؤتمر النقابات الخامس لعامة روسيا ، ٢–٦ تشرين الثاني (نوفمبر) . وعن «اختيار الذاتية القيادية» ، تحدث تروتسكي في المقطع ٥ من موضوعاته التي عرضها تروتسكي على اللجنة المركزية في ٨ تشرين الثاني ، والتي اصدرها ، والشيء بالشيء يذكر ، احد انصار تروتسكي بصورة منشور . ان كل كراس تروتسكي : «دور النقابات ومهامها» ، ٢٥ كانون الاول (ديسمبر) ، مفعم كلياً بطريقة التفكير ذاتها ، بالروح ذاتها ، الامر الذي اشرت اليه آنفاً . اما اين وفيما تجلى «التخلي» ، فهذا غير معلوم اطلاقاً .) وموضوعي الآن مختلف . اذا كانت «المصدة» اختيارية ، اهملت بعض الاخطاء وذكرت بعضها الآخر ؛ سكتت عن الاخطاء في ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ في موسكو امام الآلاف من عاملي الحزب الشيوعي من عامة روسيا ، وتحدثت عن الاخطاء في بتروغراد في ٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ . اما اذا كانت «المصدة» ديالكتيكية ، فانها تنقضّ بكل قوة على كل خطأ تراه عند كل من الطرفين او عند جميع الاطراف . وهذا بالذات ما لا يفعله بوخارين . بل انه لا يحاول ان يحلل كراس تروتسكي من وجهة نظر سياسة النفض . **فهو بكل بساطة يلزم الصمت عنه** . فلا غرابة اذا كان قيام المصدة بدورها على هذا النحو يستثير ضحك الجميع .

وبعد . في الخطاب ذاته الذي القاه بوخارين في بتروغراد ، نقرأ في الصفحة السابعة :

«ان خطأ الرفيق تروتسكي يتلخص في كونه يدافع بصورة غير كافية عن عنصر مدرسة الشيوعية» .

وفي مناقشة ٣٠ كانون الاول ، يحاكم بوخارين كما يلي :

«قال الرفيق زينوفييف ان النقابات مدرسة للشيوعية بينا قال تروتسكي انها جهاز اداري تكنيكي لادارة الانتاج . انا لا ارى اي اسس منطقية من شأنها ان تثبت ان الصحيحة ليست الموضوعة الاولى ولا الثانية : فان كلاً من هاتين الموضوعتين صحيحة ، وكذلك الجمع بين هاتين المضوعتين (ص ٤٨) .

والفكرة عينها في الموضوعة السادسة لبوخارين و«فرقته» او «كتلته» : «. . . هي (النقابات) ، من جهة ، مدرسة للشيوعية ، . . وهي ، من جهة اخرى ، وفضلاً عن ذلك بدرجة متعاظمة ، جزء عضوي من اجزاء الجهاز الاقتصادي وجهاز سلطة الدولة على العموم . . .» («البرافدا» ، ١٦ كانون الثاني – يناير) .

هنا بالذات يكمن خطأ الرفيق بوخارين النظري الاساسي : الاستعاضة عن ديالكتيك الماركسية بالاختيارية (المنتشرة على الاخص بين اصحاب مختلف النظم الفلسفية «الدارجة» والرجعية) .

يتكلم الرفيق بوخارين عن الاسس «المنطقية» . وكل محاكمته تبين انه يتبنى هنا – ولربما عن غير وعي – وجهة نظر المنطق الشكلي او الكلامي ، لا وجهة نظر المنطق الديالكتيكي او الماركسي . ولتوضيح هذا ، ابدأ بمثال بسيط جداً ساقه الرفيق بوخارين نفسه . ففي مناقشة ٣٠ كانون الاول ، قال :

«ايها الرفاق ، ان المجادلات التي تجري هنا تترك في نفوس الكثيرين منكم انطباعاً يتسم تقريباً بالسمة التالية : يلتقى رجلان ويسأل احدهما الآخر : ما هي الكاس الموجودة على المنبر . يقول احدهما : «هذه اسطوانة زجاجية ولتحل اللعنة على كل من يقول العكس» . ويقول الثاني : «الكاس انما هي اداة للشرب ، ولتحل اللعنة على كل من يقول العكس» » (ص ٤٦) .

بهذا المثال اراد بوخارين ، كما يرى القارئ ، ان يوضح لي بطريقة مبسطة ضرر وحدة الطرف . اني اقبل هذا التوضيح بالشكر والامتنان ، ولكي اقدم الدليل العملي على شكرى وامتناني ، اجيب موضحاً بطريقة مبسطة ما هي الاختيارية خلافاً للديالكتيك .

لا جدال ان الكأس اسطوانة زجاجية واداة للشرب . ولكن الكأس لا تنطوي على هاتين الخاصتين او الصفتين او الجهتين وحسب ، بل تنطوي كذلك على عدد لا نهاية له من الخواص ، من الصفات والجهات الاخرى ومن العلاقات و«الوساطات» مع بقية العالم كله . ان الكأس انما هي شيء ثقيل يمكن ان يكون اداة للرمي . ويمكن استعمال الكأس كمكبس للورق ، وكاناء للفراشة الملقوطة ، ويمكن ان تكون للكأس قيمة بوصفها سلعة ذات نقش فني او رسم فني ، بصرف النظر تماماً عما اذا كانت صالحة للشرب ، عما اذا كانت مصنوعة من الزجاج ، عما اذا كان شكلها اسطوانيا تماماً او لا ، وهكذا دواليك وهلمجراً .

وبعد . اذا كنت الآن بحاجة الى كأس بوصفها اداة للشرب ، فلا يهمني ابداً ان اعرف ما اذا كان شكلها اسطوانياً تماماً وما اذا كانت مصنوعة من زجاج فعلاً ، ولكنه من المهم بالمقابل ألّا تكون في قعرها شقوق ، وان لا تتجرح الشفتان باستعمال هذه الكأس ، وما شابه . اما اذا كنت بحاجة الى الكأس لا للشرب بل لاستعمالها كما تستعمل كل اسطوانة زجاجية ، فآنذاك تناسبني ايضاً كأس في قاعها شقوق او حتى بلا قاع على الاطلاق ، وهلمجراً .

ان المنطق الشكلي الذي يكتفون به في المدارس (ولا بد ان يكتفوا به – مع التعديلات – من اجل الصفوف الدنيا في المدارس) يأخذ التعريفات الشكلية مسترشداً بما هو عادي ولا اكثر او بما يفقأ العين باكثر التواتر ، ويكتفي بهذا . فاذا أخذنا في هذه

الحال تعريفين مختلفين او اكثر وجمعنا بينها بصورة عرضية تماماً (اسطوانة زجاجية واداة للشرب) ، حصلنا على تعريف اختياري يبين مختلف جوانب الشيء لا اكثر .

اما المنطق الديالكتيكي فانه يتطلب منّا ان نسير الى ابعد . فلكي نعرف الشيء فعلاً ، يجب ان نأخذ وندرس جميع جوانبه ، جميع علاقاته و«وساطاته» . ونحن لن نتوصل ابداً الى هذا بصورة كلية ، ولكن مطلب شمول جميع الجوانب يقينا من الوقوع في الاخطاء وفي الخمود . هذا اولاً . ثانياً ، يتطلب المنطق الديالكتيكي أخذ الشيء في تطوره ، في «حركته الذاتية» (كما يقول هيغل احياناً) ، في تغيره . ان هذا غير مفهوم من الوهلة الاولى فيما يخص الكأس ، ولكن الكأس ايضاً لا تبقى دون تغير ، بل يتغير على الاخص المقصد من الكأس ، استعمالها ، **صلتها** مع العالم المحيط . ثالثاً ، ينبغي ان تدخل الممارسة الانسانية كلها في «تعريف» الشيء تعريفاً كلياً سواء من حيث انها مقياس الحقيقة ام من حيث انها معرّف عملي لصلة الشيء مع ما يحتاجه الانسان . رابعاً ، يعلّم المنطق الديالكتيكي انه «لا وجود للحقيقة المجردة ، فالحقيقة دائماً ملموسة» ، كما كان يطيب للمرحوم بليخانوف ان يقول على غرار هيغل . (يبدو لي انه من المناسب الملاحظة بين هلالين ، من اجل اعضاء الحزب الشبان ، انه **يستحيل** على المرء ان يصبح شيوعياً واعياً ، **حقيقياً** اذا لم يدرس – وبالضبط اذا لم **يدرس** – كل ما كتبه بليخانوف في الفلسفة لأن هذا خير ما كتب في الادب الماركسي العالمي كله * .)

---

* وللمناسبة نقول انه لا يسعنا الا نتمنى ، اولاً ، ان تفرز الطبعة التي تصدر الآن لمؤلفات بليخانوف جميع مقالاته الفلسفية

وبديهي اني لم استنفد مفهوم المنطق الديالكتيكي . ولكن حتى هذا يكفي الآن . ويمكن الانتقال من الكأس الى النقابات والى منهج تروتسكي .

يقول بوخارين ويكتب في موضوعاته : «من جهة مدرسة ، ومن جهة اخرى ، جهاز» . وخطأ تروتسكي في انه «يدافع بصورة غير كافية عن عنصر المدرسة» . . . وعند زينوفييف نقص فيما يخص «عنصر» الجهاز .

لماذا كانت محاكمة بوخارين هذه اختيارية ميتة وعديمة المعنى ؟ لأنه لا يبدو عند بوخارين وان ظل محاولة لكي يحلل بصورة مستقلة ، من وجهة نظره ، سواء كل تاريخ هذا الجدال (الماركسية ، اي المنطق الديالكتيكي ، تقتضي ذلك بكل تأكيد) أم كل الموقف من المسألة ، كل وضع المسألة – او ، اذا شئتم ، كل اتجاه وضع المسألة – في الوقت الحاضر ، في الاحوال الملموسة الراهنة . لا يبدو عند بوخارين اي ظل لمحاولة القيام بذلك ! فهو يتناول المسألة دون اقل دراسة ملموسة ، وبتجريدات صرفاً ويأخذ قطعة من عند زينوفييف وقطعة من عند تروتسكي . وهذه هي الاختيارية .

ولتوضيح هذا بمزيد من الجلاء ، اضرب مثلاً . انا لا اعرف شيئاً عن المنتفضين والثوريين في الصين الجنوبية (عدا مقالين او ثلاثة لصن يات-صن وبعض الكتب وبعض المقالات الصحفية التي

في مجلد خاص او في مجلدات خاصة مع دليل مفصل للغاية وخلافه . لانه يجب ان يدخل هذا في سلسلة الكتب الدراسية الالزامية في الشيوعية . ثانياً ، برأيي انه يترتب على الدولة العمالية ان تطالب اساتذة الفلسفة بان يعرفوا عرض بليخانوف للفلسفة الماركسية وبان يعرفوا كيف ينقلون هذه المعرفة الى التلامذة . ولكن كل هذا انما هو انصراف عن «الدعاية» الى «الادارة» .

طالعتها منذ سنوات عديدة) . وبما ان الانتفاضات تنشب هناك ، فان الجدالات تنشب كذلك ، اغلب الظن ، بين صيني رقم ١ يقول ان الانتفاضة هي نتاج نضال طبقي بلغ منتهى التأزم وشمل الامة كلها ، وبين صيني رقم ٢ يقول ان الانتفاضة فن . وفي وسعي انا ان اكتب موضوعات مماثلة لموضوعات بوخارين ، دون ان اعرف شيئاً اكثر : «من جهة . . . ومن جهة اخرى» . احدهما أخذ بالحسبان بصورة غير كافية «عنصر» الفن ، والثاني – «عنصر التأزم» ، الخ . . ان هذا سيكون اختيارية ميتة وعديمة المعنى ، لأنه لا توجد دراسة **ملموسة** للجدال **المعني** ، للمسألة المعنية ، للموقف المعني منها ، الخ . .

النقابات ، من جهة ، مدرسة ؛ ومن جهة اخرى ، جهاز ؛ ومن جهة ثالثة ، منظمة للشغيلة ؛ ومن جهة رابعة ، منظمة للعمال الصناعيين وحدهم تقريباً ، ومن جهة خامسة ، منظمة حسب فروع الانتاج * ، الخ . ، الخ . . ولا يبدو عند بوخارين اي ظل لتعليل ، اي ظل لتحليل مستقل ، بغية تبيان الاسباب الداعية الى أخذ «الجهتين» الاوليين من المسألة او الشيء ، لا الجهة الثالثة او الرابعة او الخامسة ، الخ . . ولهذا كانت موضوعات الفرقة البوخارينية ايضاً تفاهة اختيارية صرفاً . وبصورة غير صحيحة اصلاً ، بصورة اختيارية ، يطرح بوخارين كل مسألة العلاقة بين «المدرسة» و«الجهاز» .

---

* وللمناسبة نقول ان تروتسكي اقترف خطأ في هذا المجال ايضاً . فهو يظن بان الاتحاد الانتاجي يعني اتحاداً من اجل امتلاك ناصية الانتاج . هذا غير صحيح . فالاتحاد الانتاجي يعني اتحاداً ينظم العمال حسب فروع الانتاج ، وهذا امر محتم لا ندحة عنه نظراً للمستوى المعني الذي بلغه التكنيك والثقافة (سواء في روسيا ام في العالم كله) .

ولأجل طرح هذه المسألة بصورة صحيحة ، ينبغي الانتقال من التجريدات الفارغة الى الجدال الملموس ، اي الى الجدال المعني . خذوا هذا الجدال ، كما تشاؤون ، سواء كما نشب في مؤتمر النقابات الخامس لعامة روسيا او كما طرحه **ووجهه** تروتسكي نفسه في كراسه ـ المنهج في ٢٥ كانون الاول ، تروا ان موقف تروتسكي **كله** ، ان اتجاهه كله غير صحيـــح . فهو لم يفهم انه ينبغي ويمكن لك اعتبار النقابات بمثابة مدرسة ، سواء عندما تطرح موضوع «التريديونيونية السوفييتية» او عندما تتكلم عن الدعاية الانتاجية على العموم او عندما تطرح مسألة «الالتحام» ، مسألة اشتراك النقابات في ادارة الانتاج ، **كما** طرحها تروتسكي . وفي هذه المسألة الاخيرة كمـا هي مطروحـة في كراس ـ منهـج تروتسكي ، يكمن الخطأ في عدم فهم ان النقابات هي **مدرسة لقيادة الانتاج اداريا وتكنيكيا** . فالنقابات ليست «من جهة مدرسة ، ومن جهة اخرى ، شيء آخر» ، انمـا **النقابات هي ، من جميـع الجهات** ، في الجدال المعني ، ونظراً للطريقة المعنية التي طرح بها تروتسكي المسألة ، **مدرسة** ، مدرسة للاتحـاد ، مدرسـة للتضامن ، مدرسة للدفاع عن مصالحها ، مدرسـة لتسييـر الاقتصاد ، مدرسة للادارة . وبدلاً من ان يفهم الرفيق بوخارين ويصلح هذا الخطأ الجذري الذي وقع فيه الرفيق تروتسكي ، يعطي تعديلاً مضحكاً : «من جهة ، ومن جهة اخرى» .

لنتناول المسألة بصورة ملموسة اكثر . لنر ما هي النقابات الحالية بوصفها «جهازاً» لادارة الانتاج . لقد رأينا بموجب معطيات غير كاملة ان زهاء ٩٠٠ عامل ، من اعضاء النقابات ومندوبي النقابات ، يديرون الانتاج . اضربوا هذا العدد ، اذا شئتم وان حتى بعشرة ، وان حتى بمائة ، — ولنفترض ، من باب التنازل لكم ولأجل ايضاح خطئكم الجذري ، سرعة لا تصدق «في الحركة الى

الامام» في المستقبل القريب ، – فاننا نحصل مع ذلك على جزء تافه لا يؤبه له **ممن يديرون** بصورة مباشرة ، بالنسبة الى مجمل اعضاء النقابات البالغ ٦ ملايين . ومن هنا يتبين بمزيد من الجلاء ان تصويب كل الانتباه الى «الفئة القيادية» ، كما يفعل تروتسكي ، والتحدث عن دور النقابات الانتاجي وعن ادارة الانتاج دون حسبان الحساب لكون ٩٨١/٢٪ **يتعلمون** (٦٠٠٠٠٠٠ – ٩٠٠٠٠ = ٥٩١٠٠٠٠ = ٩٨١/٢٪ من المجموع) **ويجب ان يتعلموا زمناً طويلاً** ، انما يعني اقتراف خطأ جذري . لا مدرسة **وادارة** ، بل **مدرسة للادارة** .

وعندما جادل الرفيق تروتسكي زينوفييف في ٣٠ كانون الاول واتهمه ، دون اي اساس ومبرر على الاطلاق وبصورة غير صحيحة على الاطلاق ، بانكار «التعيينية» ، اي بانكار حق وواجب اللجنة المركزية في التعيين ، زل لسانه بمعارضة ذات دلالة ، اذ قال :

«...ان زينوفييف يقف من كل مسألة عملية تطبيقية موقفاً مفرطاً بطابعه الدعائي ، وينسى ان المسألة المعنية ليست مادة للتحريض وحسب ، بل ايضاً مسألة ينبغي حلها بطريقة ادارية» (ص ٢٧) .

سأشرح الآن بالتفصيل اي موقف اداري من المسألة المعنية **يمكن ان يكون** . ولكن الخطأ الجذري الذي اقترفه الرفيق تروتسكي يكمن على وجه الضبط في كونه تناول (او بالاصح اندفع) **كاداري تلك المسائل** التي طرحها بنفسه في كراسه ـ المنهج ، في حين كان في وسعه ومن واجبه ان يتناول **هذه** المسائل **كدعائي بوجه الحصر** .

وبالفعل . ما هو الجيد عند تروتسكي ؟ لا ريب ان **الدعاية الانتاجية** هي الشيء الجيد والنافع ، لا في موضوعاته ، بل في

خطاباته وخاصة عندما ينسى مناظرته الفاشلة مع ما يزعم انه جناح النقابيين «المحافظ» . ولا ريب ان الرفيق تروتسكي يستطيع ان يعود (ولا ريب انه سيعود) بنفع غير قليل للقضية في حال قيامه بنشاط «اقتصادي» عملي ، في اللجنة النقابية ، في حال قيامه باعمال خطابية او ادبية ، وبوصفه مشتركاً وعاملاً في مكتب الدعاية الانتاجية لعامة روسيا . اما الخطأ فهو «الموضوعات-المنهج» . فبكل وضوح ، يظهر خلالها موقف الاداري من «الازمة» في المنظمة النقابية ، من «الاتجاهين الاثنين» في النقابات ، من تأويل برنامج الحزب الشيوعي في روسيا ، من «التريديونيونية السوفييتية» ، من «التربية الانتاجية» ، من «الالتحام» . لقد تناولت الآن جميع الموضوعات الرئيسية في «منهج» تروتسكي ؛ والموقف الصحيح من هذه الموضوعات بالضبط في الوقت الحاضر ومن استخدام المادة الموجودة عند تروتسكي لا يمكن ان يكون الا موقفاً دعائياً بوجه الحصر .

ان الدولة انما هي ميدان الاكراه . ومن الجنون الامتناع عن الاكراه وخاصة في عهد ديكتاتورية البروليتاريا . ان «الادارية» والموقف الاداري من القضية الزاميان هنا . ان الحزب انما هو طليعة البروليتاريا ، طليعتها الحاكمة مباشرة ، انما هو القائد . والطرد من الحزب ، لا الاكراه هو الوسيلة المميزة للتأثير ، الوسيلة لتطهير الطليعة وتصليب عودها . والنقابات هي خزان لسلطة الدولة ، مدرسة للشيوعية ، مدرسة لتسيير الاقتصاد . والمميز الرئيسي في هذا الميدان **ليس** الادارة**بل** «**الصلة**» «**بين** الادارة الحكومية المركزية» (والمحلية ايضاً بالطبع) «والاقتصاد الوطني وبين **الجماهير الواسعة** من الشغيلة» (كما يقول برنامج حزبنا ، المقطع الخامس من القسم الاقتصادي المخصص للنقابات) .

ان خطأ كل طريقة عرض هذه المسألة وعدم فهم هذه العلاقة

يظهران بكل وضوح خلال كل كراس-منهج تروتسكي .

تصوروا لو ان تروتسكي حلل هذا «الالتحام» السيئ الذكر نفسه بالارتباط مع موضوعات منهجه الاخرى ، متناولاً المسألة كلها من جهة اخرى . تصوروا لو ان كراسه كان مكرساً بكليته لمهمة دراسة ٩٠ حالة من ٩٠٠ حالة «التحام» ، مثلاً ، دراسة مفصلة ، اي حالات الجمع بين وظيفة لادارة الصناعة في المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني ووظيفة انتخابية في النقابات ، حالات الجمع من قبل اعضاء النقابات والعاملين الدائمين في الحركة النقابية . تصوروا لو ان هذه الحالات الـ٩٠ قد حلّلت الى جانب معطيات الدراسة الاحصائية المبنية على اختيار اعتباطي ، الى جانب تقارير ومحاضر المفتشين والمرشدين في رابكرين (١٠٣) ومفوضيات الشعب المعنية ، اي حللت على اساس معطيات المؤسسات الادارية ، حللت من وجهة نظر حواصل العمل ونتائجه ، ونجاحات الانتاج ، وخلافه . لو حدث هذا ، لكان هذا الموقف من القضية موقفاً اداريا صحيحاً ولبرر كلياً خط «النفض» اي تصويب الانتباه الى من يجب عزله ، الى من يجب نقله ، الى من يجب تعيينه والى المطالب التي يجب التقدم بها من «الفئة القيادية» . واذا كان بوخارين قد قال في خطابه الذي القاه في بتروغراد في ٣ كانون الثاني (يناير) واصدرته لجنة النقل المركزية ان تروتسكي تبنى من قبل وجهة نظر «النفض» وانه عدل عنها الآن ، فان بوخارين يقع هنا ايضاً في اختيارية مضحكة عملياً ، وغير جائزة اطلاقاً للماركسي نظرياً . فان بوخارين يتناول المسألة بصورة مجردة ، دون ان يعرف (او دون ان يرغب) كيف يتناولها بصورة ملموسة . وما دمنا نحن ، لجنة الحزب المركزية والحزب كله ، ندير ، اي نوجه الدولة ونديرها ، فاننا لن نتخلى ابداً وليس بوسعنا ان نتخلى عن «النفض» ، اي عن العزل والنقل والتعيين

والصرف وخلافه . ولكن كراس-منهج تروتسكي لم يتناول اطلاقاً تلك المادة التي كان يجب ان يتناولها ، ولم يطرح اطلاقاً «المسألة العملية التطبيقية» . فليس حول «المسألة العملية التطبيقية» جادل زينوفييف وتروتسكي ، ونجادل نحن ضد بوخارين ، ويجادل الحزب كله ، بل حول مسألة «**الاتجاهين في ميدان الحركة النقابية**» (الموضوعة الرابعة ، النهاية ، عند تروتسكي) .

ان هذه المسألة هي ، من حيث جوهرها ، مسألة سياسية . ان اصلاح خطأ تروتسكي بتعديلات صغيرة واضافات اختيارية ، كما يريد بوخارين ، المفعم ، طبعاً ، بأطيب المشاعر والنوايا الانسانية ، مستحيل من حيث جوهر القضية بالذات ، القضية المعنية ، الملموسة .

فهنا يمكن ان يكون الحل واحداً وواحداً فقط .

يجب ايجاد حل صحيح للمسألة السياسية المتعلقة «بالاتجاهين في ميدان الحركة النقابية» ، بالعلاقة بين الطبقات ، بالعلاقة بين السياسة والاقتصاد ، بالادوار الخاصة بكل من الدولة والحزب والنقابات – النقابات بوصفها «مدرسة» وجهازاً ، وما شابه . هذا اولاً .

ثانياً : على اساس الحل السياسي الصحيح ، يجب تحقيق – وبالاصح ، انتهاج – دعاية انتاجية طويلة النفس ، دائبة ، منتظمة ، ملحة ، صبور ، متنوعة ، متكررة ، وانتهاجها على صعيد الدولة ، باسم مؤسسة حكومية وبقيادتها .

ثالثاً : لا يجب خلط «المسائل العملية التطبيقية» بالمجادلات حول الاتجاهين ، التي (اي المجادلات) تشكل سمة طبيعية «لكثرة الكلام في عموم الحزب» وللمناقشات الواسعة ، بل يجب طرح هذه المسائل بطريقة عملية ، في لجان عملية واستجواب الشهود ودراسة التقارير والمحاضر والاحصاءات ، و«النفض» على اساس هذا كله ،

– فقط على اساس هذا كله ، وفقط في هذه الاحوال ، – فقط بموجب قرار من الهيئة السوفييتية او الحزبية المعنية او بموجب قرار من هيئتين من هذين النوعين .

اما عند تروتسكي وبوخارين ، فقد نجمت سلاطة من الاخطاء السياسية في الموقف ، ومن انقطاع صلة الوصل ، انقطاع الاحزمة النقالة في الوسط ، ومن الاندفاع او الهجوم على «الادارية» الفارغة ، بحركة باطلة . ان المصدر «النظري» للخطأ – ما دام بوخارين قد طرح مسألة المصدر النظري «بكأسه» – واضح . فان خطأ بوخارين النظري – العرفاني في هذه الحالة – يقوم في الاستعاضة عن الديالكتيك بالاختيارية . وبطرح المسألة بطريقة اختيارية ، تلبك بوخارين كلياً وذهب في اقواله الى حد القول بالسنديكالية . وعند تروتسكي خطأ : وحدة الطرف ، الانسياق ، الاستعظام ، العناد . ومنهج تروتسكي يتلخص في كون الكأس اداة للشرب بينا ظهر انه لا قاع لهذه الكأس المعنية .

الخاتمة

يبقى لي فقط ان المس بايجاز بعض النقاط التي من شأن الصمت عنها ان يفسح في المجال لسوء الفهم .

فان تروتسكي قد استنسخ في الموضوعة السادسة من «منهجه» المقطع الخامس من القسم الاقتصادي لبرنامج الحزب الشيوعي في روسيا ، الذي يتناول النقابات . وبعد صفحتين ، في الموضوعة الثامنة ، قال الرفيق تروتسكي :

«. . . ان النقابات ، وقد فقدت الاساس القديم لوجودها ، اي النضال الاقتصادي الطبقي» . . . – (هذا غير صحيح ، هذا تضخيم متسرع : فان النقابات قد فقدت اساساً كما هو عليه

النضال **الاقتصادي الطبقي** ، ولكنها لم تفقد قط ولن يكون في وسعها ، خلال سنوات طويلة ، مع الأسف ، ان تفقد اساساً كما هو عليه «**النضال الاقتصادي**» **اللاطبقي** بمعنى النضال ضد التشويهات البيروقراطية التي يقترفها الجهاز السوفييتي ، بمعنى حماية مصالح الكادحين المادية والروحية بسبل ووسائل ليست في منال هذا الجهاز ، وما شابه) . . . — «ان النقابات ، بحكم جملة من الظروف ، لم يتسنّ لها الوقت لكي تجمع في صفوفها القوى اللازمة ولكي تضع الطرائق اللازمة من اجل ان تصبح قادرة على حل المهمة الجديدة التي طرحتها الثورة البروليتارية امامها والتي صاغها برنامجنا الا وهي **تنظيم الانتاج**» (التأكيد لتروتسكي ، ص ٩ ، الموضوعة الثامنة) .

وهذا من جديد تضخيم متسرع ينطوي على جنين خطأ كبير . فان البرنامج لا يعطي صيغة كهذه ولا يطرح على النقابات مهمة «تنظيم الانتاج» . لنتتبع خطوة فخطوة كل فكرة ، كل موضوعة في برنامجنا الحزبي ، وبنفس التسلسل الذي وردت فيه هذه الموضوعات في نص البرنامج :

(١) «ينبغي ان يرتكز جهاز الصناعة المعممة المنظم» (وليس اي جهاز كان) «في المقام الاول» (وليس بوجه الحصر) «على النقابات» . (٢) «ينبغي ان تتحرر اكثر فاكثر من الضيق الحرفي» (وكيف تتحرر ؟ بقيادة الحزب وفي سياق تأثير البروليتاريا التربوي وكل تأثير آخر لها على الجمهور غير البروليتاري من الشغيلة) «وتتحول الى اتحادات انتاجية كبيرة تشمل اغلبية الشغيلة في الفرع الانتاجي المعني ثم تشملهم تدريجياً جميعهم بلا استثناء . . .» .

وهذا هو القسم الاول من الباب المخصص في برنامج الحزب للنقابات . ان هذا القسم ، كما ترون ، يطرح رأساً «شروطاً

صارمة» جداً وتقتضي عملاً طويلاً جداً من اجل ما سيأتي لاحقاً . ولاحقاً يأتي ما يلي :

«. . . بما ان النقابات قد اصبحت ، بموجب قوانين الجمهورية السوفييتية وبموجب العادة المتبعة ، مشتركة . . .» (الكلمة ، كما ترون ، محترسة جداً : فقط مشتركة) «. . . في جميع الهيئات المحلية والمركزية لادارة الصناعة ، فانه ينبغي عليها ان تتطور الى حد ان تركز فعلاً بين يديها كامل ادارة الاقتصاد الوطني كله بوصفه كلاً اقتصادياً واحداً . . .» (لاحظوا : ينبغي عليها ان تتطور الى حد ان تركز فعلاً بين يديها ، لا ادارة فروع من الصناعة ولا ادارة الصناعة ، بل الاقتصاد الوطني كله وبوصفه ، بالاضافة ، كلاً اقتصادياً واحداً : هذا الشرط ، بوصفه شرطاً اقتصادياً ، لا يمكن اعتباره محققاً قبل ان يبقى لصغار المنتجين سواء في الصناعة ام في الزراعة نصيب اصغر ، اصغر من النصف ، بين السكان وفي الاقتصاد الوطني) . . . «وان النقابات ، اذ تؤمن على هذا النحو» . . . (وبالضبط «على هذا النحو» الذي يحقق تدريجياً جميع الشروط المذكورة آنفاً) . . . «صلة لا تنفصم عراها بين الادارة الحكومية المركزية والاقتصاد الوطني والجماهير الواسعة من الكادحين ، ينبغي عليها ان تجتذب هذه الاخيرة» . . . (اي الجماهير ، اي اغلبية السكان) . . . «على اوسع نطاق الى العمل المباشر في ادارة الاقتصاد . ان اشتراك النقابات في ادارة الاقتصاد واجتذابها الجماهير الواسعة الى هذا يشكلان ايضاً الوسيلة الرئيسية للنضال ضد اصابة جهاز السلطة السوفييتية الاقتصادي بعدوى البيروقراطية ويجعلان من الممكن بسط رقابة شعبية فعلاً على نتائج الانتاج» .

وهكذا ، من جديد ، كلمة محترسة جداً في الجملة الاخيرة : «الاشتراك في ادارة الاقتصاد» ؛ ومن جديد ، الاشارة الى اجتذاب الجماهير الواسعة بوصفه الوسيلة الرئيسية (ولكن غير الوحيدة) لمكافحة البيروقراطية ؛ وفي الختام اشارة محترسة جداً : «**يجعلان من الممكن**» بسط «**رقابة شعبية**» ، اي عمالية وفلاحيـــة ، وليس ابداً بروليتارية فقط .

ان ايجاز كل هذا بصورة يبدو منها ان برنامج حزبنا قـــد «صاغ» مهمة النقابات بصيغة «تنظيم الانتاج» هو بيّن الخطأ . واذا اصرّ احد على هذا الخطأ وادرجه في موضوعات-مناهج ، فلن ينجـــم ابداً من هذا غيـــر انحراف سنديكـــالي ، مناهض للشيوعية .

وللمناسبة نقول ان الرفيق تروتسكي يكتب في موضوعاته «اننا لم نقترب في المرحلة الاخيرة من الهدف المطروح في البرنامج ، بل ابتعدنا عنه» (ص ٧ ، الموضوعة السادسة) . هذا لا اساس له ، واظنه غير صحيح . ومن المستحيل تقديم البرهان على صحة هذا ، كما فعل تروتسكي في المناقشات ، بالاستشهاد باعتراف النقابات «ذاتها» بهذا الواقع . فالنقابات ليست المرجع الاخير بالنسبة للحزب . وعلى العموم لا يمكن تقديم البرهان على صحة هذا الا بدراسة عدد كبير من الوقائع دراسة موضوعية في منتهى الجدء . هذا اولاً . وثانياً . حتى فيما لو اقيم البرهان على هذا ، فان السؤال التالي : لماذا ابتعدنا ؟ يبقى معلقاً . ألأنّ «الكثيرين من النقابيين» «يرفضون المهام والطرائق الجديدة» ، كما يظن تروتسكي ، ام لأننا «نحن» «لم يتسنّ لنا الوقت لكي نجمع القوى اللازمة في صفوفنا ونضع الطرائق اللازمة من اجل» ان نقطع دابر بعض مظاهر الشطط الضارة وغير اللازمـــة من البيروقراطيـــة ونصلحها ؟

ونظراً لذلك ، سيكون من المناسب تناول ذلك اللوم الذي وجهه الينا الرفيق بوخارين في ٣٠ كانون الاول – ديسمبر (وكرره تروتسكي امس ، في ٢٤ كانون الثاني – يناير ، اثناء مناقشتنا في الكتلة الشيوعية بالمؤتمر الثاني لعمال المناجم) ، واعني به اللوم «بالارتداد عن الخط الذي رسمه مؤتمر الحزب التاسع» (ص ٤٦ من المحضر عن مناقشة ٣٠ كانون الاول) . فقد قيل ان لينين دافع في المؤتمر التاسع عن وسم العمل بالسمة العسكرية وسخر من الاستشهادات بالديموقراطية ، وها هو ذا الآن «يرتدّ» عن هذا . وفي الكلمة الختامية في ٣٠ كانون الاول ، رش الرفيق تروتسكي على هذا اللوم ، اذا جاز القول ، فلفلاً خاصاً : «ان لينين يأخذ بعين الاعتبار واقع انه يجري في النقابات . . . تكتل الرفاق ذوي الامزجة المعارضة» (ص ٦٥) ؛ ولينين يرى «من زاوية ديبلوماسية» (ص ٦٩) ؛ «مراوغة داخل التكتلات الحزبية» (ص ٧٠) ، وما شابه . ان عرض الرفيق تروتسكي للامور على هذا النحو هو بالطبع مستحب بالنسبة للرفيق تروتسكي واسوأ من ان يكون غير مستحب بالنسبة لي . ولكن لنلق نظرة الى الوقائع .

في مناقشة ٣٠ كانون الاول ذاتها ، يثبت تروتسكي وكريستينسكي واقع ان «الرفيق بريوبراجنسكي طرح في اللجنة المركزية من زمان ، في شهر تموز – يوليو (١٩٢٠) مسألة مفادها انه يجب علينا ان ننتقل الى خطوط جديدة فيما يتعلق بالحياة الداخلية في منظماتنا العمالية» (ص ٢٥) . وفي آب (اغسطس) يكتب الرفيق زينوفييف مشروع رسالة ، وتصادق اللجنة المركزية على **رسالة اللجنة المركزية** بصدد النضال ضد البيروقراطية وبصدد توسيع الديموقراطية . وفي ايلول (سبتمبر) توضع المسألة في كونفرنس حزبي وتصادق اللجنة المركزية

على قرار هذا الكونفرنس . وفي كانون الاول (ديسمبر) ، طرحت مسألة النضال ضد البيروقراطية امام مؤتمر السوفييتات الثامن . وهذا يعني ان اللجنة المركزية كلها والحزب كله والجمهورية العمالية والفلاحية كلها قد اعترفت بضرورة طرح مسألة البيروقراطية والنضال ضدها في جدول الاعمال . فهل ينجم من هنا «ارتداد» عن المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي في روسيا ؟ كلا . لا ارتداد هنا . والقرارات بصدد وسم العمل بالسمة العسكرية وهلمجراً لا تقبل الجدل ، ولا حاجة لي على الاطلاق لسحب سخرياتي من الاستشهادات بالديموقراطية من جانب اولئك الذين عارضوا هذه القرارات . ولا ينجم من هنا غير امر واحد هو اننا سنوسع الديموقراطية في المنظمات العمالية دون ان نجعل منها في اي حال من الاحوال صنماً للعبادة ؛ واننا سنولي قضية النضال ضد البيروقراطية انتباهاً شديداً ؛ واننا سنصلح بعناية خاصة جميع مظاهر الشطط الضارة وغير اللازمة من البيروقراطية ، ايا كان الذي يشير اليها .

ثم ملاحظة اخرى اخيرة بشأن مسألة غير كبيرة هي مسألة الصدامية والسوائية . في مناقشة ٣٠ كانون الاول ، قلت ان صيغة موضوعة الرفيق تروتسكي الواحدة والاربعين في هذه النقطة غير صحيحة نظرياً ، لأنه نجم من قوله انه يجب ان تكون السوائية في الاستهلاك والصدامية في الانتاج . فأجبت انا ان الصدامية انما هي افضلية ، ولكن الافضلية دون الاستهلاك لا تعني شيئاً . ان الرفيق تروتسكي يلومني على هذا وعلى «النسيان الهائل» وعلى «تسليط الارهاب» (ص ٦٧ و٦٨) – وانا اعجب لماذا لا يلومني على المراوغة والديبلوماسية وما شاكلهما . فقد قام ، هو تروتسكي ، «بتنازلات» في صالح خطي السوائي ، ومع ذلك ، احمل انا على تروتسكي .

وبالفعل تتوافر للقارئ الذي يهتم بشؤون الحزب وثائق حزبية دقيقة : قرار دورة اللجنة المركزية في تشرين الثاني (نوفمبر) ، البند ٤ وموضوعات منهج تروتسكي ، الموضوعة الواحدة والاربعون . ومهما كنت «سريع النسيان» ، ومهما كانت ذاكرة الرفيق تروتسكي طيبة ، يبقى واقع مفاده ان الموضوعة الواحدة والاربعين تنطوي على خطأ نظري لم يرد في قرار اللجنة المركزية بتاريخ ٩ تشرين الثاني . وهذا القرار يقول : «ان اللجنة المركزية مع اعترافها بضرورة صيانة مبدأ الصدامية في تطبيق الخطة الاقتصادية ، ترى وفقاً تماماً لقرار الكونفرنس الاخير (اي في ايلول – سبتمبر) لعامة روسيا ، ان من الضروري الانتقال تدريجياً ولكن بدأب وثبات ، الى السوائية في اوضاع مختلف جماعات العمال والنقابات المعنية مع تقوية التنظيم النقابي العام باستمرار» . وواضح ان هذا موجه ضد لجنة النقل المركزية ، ناهيك عن انه يستحيل تماماً تأويل المعنى الدقيق لهذا القرار تأويلاً آخر . فالصدامية لا تلغى . تبقى الافضلية للمؤسسة الصدامية (في تطبيق الخطة الاقتصادية) ، للنقابة الصدامية ، للتروست الصدامي ، للمصلحة الوزارية الصدامية ، ولكن «الخط السوائي» الذي لم يدافع عنه «الرفيق لينين» ، بل **صادق عليه الكونفرنس الحزبي واللجنة المركزية ، اي الحزب كله** يتطلب بوضوح : **إنتقلْ** الى السوائية تدريجياً ولكن بدأب وثبات . اما ان لجنة النقل المركزية لم تنفذ هذا القرار الذي اتخذته اللجنة المركزية في تشرين الثاني (نوفمبر) ، فهذا ما يتضح من القرار الذي اتخذته اللجنة المركزية (والذي مرره تروتسكي وبوخارين) في كانون الاول (ديسمبر) والذي نقرأ فيه مرة اخرى تذكيراً «بمبادئ الديموقراطية العادية» . ان خطأ الموضوعة الواحدة والاربعين النظري يقوم في كونها تقول : في ميدان الاستهلاك –

السوائية ، في ميدان الانتاج – الصدامية . هذا محال اقتصادياً لأن هذا يعني القطيعة بين الاستهلاك والانتاج . وانا لم اقل ولم يكن بوسعي ان اقول شيئاً من هذا القبيل . المصنع غير اللازم ، يجب اغلاقه . يجب اغلاق جميع المصانع اللازمة بصورة غير مطلقة . وبين المصانع اللازمة بصورة مطلقة ، الافضلية للمصنع الصدامي . مثلاً ، الافضلية للنقل . لا جدال . ولكن لكي لا تتخطى هذه الافضلية كل حد ، ونظراً لانها تخطت كل حد عند لجنة النقل المركزية ، كان توجيه **الحزب** (لا لينين) : **إنتقلْ تدريجياً** ، ولكن بدأب وثبات ، الى السوائية . واذا عمد الرفيق تروتسكي بعد دورة تشرين الثاني التي اعطت قراراً دقيقاً وصحيحاً من الناحية النظرية ، واصدر كراساً تكتلياً بشأن «الاتجاهين الاثنين» وعرض في الموضوعة الواحدة والاربعين صيغته غير الصحيحة اقتصادياً ، فلا يلم الا نفسه .

اليوم ، في ٢٥ كانون الثاني (يناير) ، انقضى شهر بالضبط على كتابة الرفيق تروتسكي لكراسه التكتلي . اما ان الحزب قد صرف بهذه المداخلة غير العقلانية من حيث الشكل وغير الصحيحة من حيث الجوهر ، عن النشاط العملي ، التطبيقي ، الاقتصادي ، الانتاجي وصرف من اجل اصلاح اخطاء سياسية ونظرية ، فان هذا ظاهر الآن بوضوح كبير جداً . ولكن المثل القديم لا يقول عبثاً : «وفي المصيبة ما ينفع» .

لقد تناقلت الاشاعات اشياء فظيعة عن الخلافات داخل اللجنة المركزية . وقرب المعارضة ، كان يقبع (ولا يزال يقبع ، بلا ريب) المناشفة والاشتراكيون-الثوريون الذين يضخمون الاشاعات ويكبّرون صيغاً شريرة لا سابق لها ، ويلفقون قصصاً خرقاء بغية القدح والذم بكل الوسائل ، واعطاء تفسيرات قذرة ،

وتأزيم النزاعات ، وافساد عمل الحزب . وهذا اسلوب سياسي تلجأ اليه البرجوازية ، بمن فيها الديموقراطيون البرجوازيون الصغار ، المناشفة والاشتراكيون-الثوريون الذين يرغون ويزبدون بحقد مسعور على البلاشفة ولا يستطيعون ألا يرغوا ويزبدوا لاسباب مفهومة جداً جداً . وكل عضو واع من اعضاء الحزب يعرف اسلوب البرجوازية السياسي هذا ويعرف قيمته .

ان الخلافات داخل اللجنة المركزية قد اجبرت على الرجوع الى الحزب . فبينت المناقشة بجلاء جوهر هذه الخلافات ومداها . ووضع حد للاشاعات والافتراءات . ان الحزب يتعلم ويتمرس في النضال ضد المرض الجديد (بمعنى اننا نسيناه بعد انقلاب اكتوبر) ، الا وهو التكتلية . وهو ، من حيث جوهر الامر ، مرض قديم لا ندحة ، اغلب الظن ، عن نكساته خلال عدة سنوات ، ولكن الشفاء منه يمكن ويجب الآن ان يسير بمزيد من السرعة والسهولة .

ان الحزب يتعلم عدم استعظام الخلافات . ومن المناسب هنا ترديد ملاحظات الرفيق تروتسكي الصحيحة بصدد الرفيق تومسكي : «في أحدّ لحظات المناظرة ضد تومسكي ، كنت دائماً اقول انه من الواضح لي اطلاقاً ان ذوي التجربة والمكانة والنفوذ ، ومنهم الرفيق تومسكي ، هم وحدهم الذين يمكنهم ان يكونوا قادتنا في النقابات . وهذا قلته في كتلة مؤتمر النقابات الخامس ، وهذا قلته ايضاً في هذه الايام في مسرح زيمين . ان الصراع الفكري في الحزب لا يعني الصدَ المتبادل ، بل يعني التأثير المتبادل» (ص ٣٤ من محضر مناقشة ٣٠ كانون الاول) . وبديهي ان يطبق الحزب هذه المحاكمة الصحيحة على الرفيق تروتسكي ايضاً .

اثناء المناقشة ، تكشف الانحراف السنديكالي بوجه خاص عند الرفيق شليابنيكوف وفرقته المسماة «المعارضة العمالية» (١٠٤) . وبما ان هذا انحراف بيّن عن الحزب ، عن الشيوعية ، فلا بدّ من الاهتمام به بنحو خاص ، لا بدّ من التحدث عنه بنحو خاص ، ولا بدّ من ابداء انتباه خاص في الدعاية وفي توضيح خطأ هذه النظرات وخطر هذا الخطأ . ان الرفيق بوخارين ، الذي ذهب الى حد النطق بالتعبير السنديكالي : «الترشيحات الالزامية» (من النقابات الى هيئات الادارة) ، يدافع اليوم عن نفسه في «البرافدا» بصورة غير موفقة ابداً ، بصورة بيّنة الخطأ . فهو ، كما ترون ، يتكلم ، في بنود اخرى عن دور الحزب ! وكيف لا ! والا كان هذا خروجاً من الحزب . والا لما كان هذا مجرد **خطأ** يتطلب الاصلاح ويجيز اصلاحاً بسيطاً . ان القول «بالترشيحات الالزامية» دون الاضافة على الفور بانها **غير** الزامية بالنسبة للحزب ، انما هو انحراف سنديكالي ، وهو **لا** يتفق والشيوعية ، **لا** يتفق وبرنامج الحزب الشيوعي في روسيا . واذا اضفنا : «**غير** الزامية بالنسبة للحزب» ، نجم خداع للعمال اللاحزبيين بشبح زيادة ما لحقوقهم ، مع انه لن يحدث بالفعل اقل تغير بالنسبة لما هو موجود الآن . وكلما مضى الرفيق بوخارين في الدفاع عن انحرافه عن الشيوعية الجليّ الخطأ نظرياً والخدّاع سياسياً ، كلما كانت ثمار العناد مؤسفة . ولكن الدفاع عما يستحيل الدفاع عنه لن يحظى بالتوفيق . ان الحزب لا يعارض اي توسيع كان في حقوق العمال اللاحزبيين ، ولكن تأملاً غير كبير يكفي لفهم اي سبل يمكن اتباعها في هذه الحال واي سبل **لا يجوز** اتباعها .

اثناء المناقشة في الكتلة الشيوعية بمؤتمر عمال المناجم الثاني لعامة روسيا ، مني منهج شليابنيكوف بالهزيمة رغم ان الرفيق كيسيليف ذا الكلمة النافذة جداً في نقابة عمال المناجم ، قد دافع عنه : فقد بلغ عدد الاصوات في صالح منهجنا ١٣٧ ، وفي صالح منهج شليابنيكوف ٦٢ ، وفي صالح تروتسكي ٨ . ينبغي شفاء الانحراف السنديكالي وسيشفى .

في سياق شهر واحد ، اظهرت موسكو وبتروغراد وجملة من المدن الاقليمية على السواء ان الحزب استجاب للمناقشة ورفض باغلبيته الساحقة الخط الخاطئ الذي ينادي به الرفيق تروتسكي . واذا كانت الذبذبات والترددات قد ظهرت بكل تأكيد في «القمم» وفي «الاطراف» ، وفي اللجان ، وفي الدوائر ، فان سواد اعضاء الحزب العاديين ، السواد الحزبي العمالي قد عارض باغلبيته الساحقة على وجه الضبط هذا الخط الخاطئ .

لقد ابلغني الرفيق كامينيف ان الرفيق تروتسكي قد صرح اثناء المناقشة في دائرة زاموسكفوريتشيه بمدينة موسكو ، في ٢٣ كانون الثاني (يناير) انه يسحب منهجه ويتحد مع فرقة بوخارين حول منهج جديد . وللأسف ، لم اسمع عن هذا ، لا في ٢٣ كانون الثاني ولا ٢٤ كانون الثاني ، اي كليمة من الرفيق تروتسكي الذي تكلم ضدي في اجتماع الكتلة الشيوعية بمؤتمر عمال المناجم . اتغيرت من جديد نوايا الرفيق تروتسكي ومناهجه ، ام ان الامر تفسره اسباب اخرى ؟ انا لا اعرف . ولكن تصريح الرفيق تروتسكي في ٢٣ كانون الثاني يبين على كل حال ان الحزب ، الذي لم يتسنّ له الوقت حتى ليحشد جميع قواه ، والذي لم يتسنّ له الوقت الا للافصاح عن نظرات بتروغراد وموسكو والاقلية من المراكز الاقليمية ، قد اصلح مع ذلك على الفور خطأ الرفيق تروتسكي بصلابة وحزم وسرعة وثبات .

وعبثاً هلل اعداء الحزب بالنصر . فانهم لم يستطيعوا ولن يستطيعوا استغلال الخلافات المحتمة احياناً في داخل الحزب لما فيه ضرره وضرر ديكتاتورية البروليتاريا في روسيا .

٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ .

صدر في ٢٥ و٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ بكراس على حدة عن قسم الصحافة في سوفييت موسكو لنواب العمال والفلاحين والجنود الحمر

المجلد ٤٢ ، ص‌ص ٢٦٤–٣٠٤

بصدد الخطة الاقتصادية الواحدة

المقالات والاحاديث حول هذا الموضـــوع تترك في النفس انطباعاً ثقيل الوطأة . انظروا الى مقالات ل . كريتسمان في «الحياة الاقتصادية» (١٠٥) (المقال الاول ، ١٤ كانون الاول – ديسمبر – ١٩٢٠ ؛ المقال الثاني ، ٢٣ كانـــون الاول ؛ المقال الثالث ، ٩ شباط – فبراير ؛ المقال الرابع ، ١٦ شباط ؛ المقال الخامس ، ٢٠ شباط) . ثرثرة فارغة تماماً . هذر ادبي . عدم الرغبة في حسبان الحساب للشيء العملي الذي تحقـــق في هذا المضمار ، وفي دراسته . محاكمات – في خمسة مقالات طويلة ! – عن كيف ينبغي الشروع بالدراسة ، بدلا من دراسة المعطيات والوقائع .

خذوا موضوعات ميليوتين («الحيـاة الاقتصاديـة» ، ١٩ شباط) ولارين («الحياة الاقتصاديـــة» ، ٢٠ شباط) ، استمعوا الى خطابات الرفاق «المسؤولين» . النواقص الجذرية ذاتهـا كما عند كريتسمان . كلامية مملة للغاية تذهب الى حد الثرثرة حول قانون الصلة المتسلسلة وخلافه ، كلامية تارة متأدبة وطوراً بيروقراطية ، ولكن لا عمل حيّاً .

بل اسوأ من ذلك . الاهمال البيروقراطي المتعالي للعمل الحي الذي تحقق والذي تجب مواصلته . من جديد ومن جديد

«انتاج للموضوعات» فارغ كلياً او اختلاق للشعارات والمشاريع بدلا من الاطلاع بانتباه وامعان على تجربتنا العملية بالذات .

ان العمل الجدّي الوحيد في مسألة الخطة الاقتصادية الواحدة هو «برنامج كهربة جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية» ، والتقرير الى مؤتمر السوفييتات الثامن «غويلرو» (لجنة الدولة لكهربة روسيا) ، المطبوع في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ والموزع في المؤتمر الثامن . هذا الكتاب يعرض الخطة الاقتصادية الواحدة التي لم تضعها بالطبع خيرة القوى العلمية في جمهوريتنا بتكليف من هيئاتها العليا الا بصورة تقريبية اولية . ويتأتى شن النضال ضد غرور كبار الموظفين الجاهل وضد غرور الادباء الشيوعيين الملازم للمثقفين ، ابتداء من ابسط الامور ، بحديث بسيط عن قصة هذا الكتاب ومضمونه واهميته .

من ٢ الى ٧ شباط (فبراير) ١٩٢٠ ، اي منذ اكثر من سنة ، انعقدت دورة اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا واتخذت قراراً بالكهربة . وفي هذا القرار ، نقرأ ما يلي :

«. . . الى جانب المهام القريبة العاجلة ، الفائقة الاهمية ، الملحة ، الاولية ، المتعلقة بتنظيم النقليات والقضاء على الازمات في مضمار الوقود والتموين وفي مكافحة الاوبئة وتنظيم جيوش العمل الانضباطية ، — تتوافر لروسيا السوفييتية ، للمرة الاولى ، امكانية الشروع ببناء اقتصادي اكثر منهاجية ، بوضع خطة حكومية لعموم الاقتصاد الوطني بطريقة علمية وتطبيقها بدأب وانسجام . ان اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا ، وقد اخذت بعين الاعتبار ما للكهربة من اهمية مهيمنة . . . وقدّرت اهمية الكهربة بالنسبة للصناعة والزراعة والنقليات ... الخ . ، الخ . ، تقرر : تكليف المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني مع مفوضية الشعب للزراعة ، بوضع مشروع بناء شبكة من المحطات الكهربائية . . .» .

يبدو ان هذا واضح ؟ «وضع خطة حكومية لعموم الاقتصاد الوطني بطريقة علمية» ، – ترى ، هل يمكن عدم فهم هذه الكلمات ، هذا القرار الذي اتخذته اعلى سلطة في بلادنا ؟ اذا كان الادباء وكبار الموظفين الذين يتباهون امام الاخصائيين بشيوعيتهم لا يعرفون هذا القرار ، فلا يبقى الا ان نذكرهم بان عدم معرفة قوانيننا بالذات ليس حجة .

تنفيذاً لقرار اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا ، صادقت هيئة رئاسة المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني في ٢١ شباط ١٩٢٠ على لجنة الكهربة ، المؤلفة لدى قسم الكهرباء ، ثم صادق مجلس الدفاع على اللائحة بشأن «غويلرو» التي عهد الى المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني بتحديد قوامها والمصادقة عليه بالاتفاق مع مفوضية الشعب للزراعة . وفي ٢٤ نيسان (ابريل) ١٩٢٠ اصدرت «غويلرو» العدد الاول من «النشرة» (١٠٦) وفيه برنامج مفصل جداً للاعمال ، وقائمة بالاشخاص المسؤولين والعلماء والمهندسين والمهندسين الزراعيين ، والاحصائيين ، الداخلين في مختلف اللجان الفرعية ، والذين يقودون العمل في مختلف المناطق ، والذين يأخذون على عاتقهم مهمات متنوعة ، محددة بدقة . ان قائمة هذه الاعمال والمتعهدين بها تشغل وحدها في العدد الاول من «النشرة» عشر صفحات مطبوعة . وقد اجتذبت الى العمل كل خيرة القوى التي كانت في مجال رؤية المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني ومفوضية الشعب للزراعة ، وكذلك في مجال رؤية مفوضية الشعب لطرق المواصلات .

وكانت نتيجة عمل «غويلرو» البحث العلمي المسهب – والممتاز – المذكور اعلاه . وقد اشترك فيه اكثر من ١٨٠ من المعاونين الاختصاصيين . وتشتمل قائمة الابحاث التي قدموها الى «غويلرو» على اكثر من ٢٠٠ بحث . فلدينا اولا مجموعة

هذه الابحاث (القسم الاول من المجلد المذكور يحتوي اكثر من ٢٠٠ صفحة) : أ – الكهربة وخطة اقتصاد الدولة ؛ ثم ب – التزويد بالوقود (مع «ميزانية للوقود» موضوعة بتفصيل لجمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية في **حدود السنوات العشر القادمة** ، مع حسبان عدد العمال المطلوبين) ؛ ج – الطاقة المائية ؛ د – الزراعة ؛ هـ – النقليات ؛ و – الصناعة .

ان الخطة محسوبة لعشر سنوات تقريباً مع الاشارة الى عدد العمال والقدرة (بآلاف الاحصنة البخارية) . يقيناً ان هذه الخطة هي تقريبية وحسب ، اولية ، غير دقيقة ، مرفقة بالاخطاء ، خطة موضوعة «بصورة تقريبية اولية» ، ولكنها خطة علمية حقيقية . فلدينا حسابات دقيقة اجراها اختصاصيون في جميع المسائل الاساسية . ولدينا حساباتهم في جميع فروع الصناعة . ولدينا – مثال صغير واحد – حساب بمقادير انتاج الجلود والاحذية بنسبة زوجين للفرد الواحد (٣٠٠ مليون زوج) ، الخ . . ولدينا بالنتيجة ميزان مادي ومالي (بالروبلات الذهبية) على السواء للكهربة (قرابة ٣٧٠ مليون يوم عمل ، وعدد كذا من اكياس الاسمنت ، ووحدات الآجر وبودات الحديد والنحاس وخلافهما ، قدرة كذا من المولدات التوربينية ، الخ .) . والميزان محسوب لزيادة («بموجب تقدير غير دقيق جداً») صناعة التحويل والتكييف خلال ١٠ سنوات مقدار ٨٠٪ وصناعة الاستخراج مقدار ٨٠ – ١٠٠٪ . اما عجز الميزان الذهبي (+١١ ملياراً – ١٧ ، الحاصل ، عجز قدره زهاء ٦ مليارات) ، «فيمكن تغطيته بالامتيازات وعمليات الاستقراض» .

وقد اشير الى مكان ٢٠ محطة منطقية كهربخارية و١٠ محطات منطقية كهرمائية من الدفعة الاولى من المحطات ، مع وصف مفصل لاهمية كل محطة من الناحية الاقتصادية .

بعد العرض العام ، نجد في المجلد نفسه ، مع ترقيم خاص للصفحات ، اعمالا بكل منطقة : المنطقة الشمالية ، المنطقة الصناعية الوسطى (هذان البحثان جيدان جداً ، دقيقان ، مفصلان ، مرتكزان على مادة علمية فائقة الغنى) ، منطقة الجنوب ، منطقة الفولغا ، منطقة الاورال ، منطقة القفقاس (القفقاس مأخوذ بكليته ، افتراضاً لاتفاق اقتصادي بين مختلف الجمهوريات) ، منطقة سيبيريا الغربية ، منطقة تركستان . ونجد بالنسبة لكل منطقة حساباً للمحطات الكهربائية لا يقتصر على محطات الدفعة الاولى ؛ ثم نجد ما يسمى «برنامج آ غويلرو» اي خطة استخدام المحطات الكهربائية **الموجودة** باكبر قدر من العقلانية والتوفير . ثم مثال صغير آخر : فيما يخص منطقة الشمال (بتروغراد) ، من المحسوب ان وصل محطات بتروغراد بعضها ببعض من شأنه ان يؤمن وفراً يتحدد على النحو التالي : من الممكن (ص ٦٩ من التقرير عن منطقة الشمال) توجيه قسم من القدرة ، في حدود نصفها ، الى اماكن تعويم الخشب في الشمال ، الى مورمانسك وارخنجلسك ، الخ . . ومن الممكن في هذه احوال ان تعطي زيادة مخزونات الخشب وتعويمه الى الخارج «**حتى نصف مليار روبل بالعملة الصعبة في السنة في المستقبل القريب بالذات**» .

«وفي السنوات القريبة بالذات يمكن ان يبلغ الدخل السنوي من خشب الشمال مقدار احتياطنا من الذهب» (ص ٧٠ ، المرجع ذاته) ، اذا استطعنا ، بالطبع ، ان ننتقل من الاقاويل حول الخطة الى دراسة **وتنفيذ** الخطة التي وضعها العلماء فعلا !

يجب القول ايضاً اننا نملك في جملة من القضايا (ويقيناً ان ليس ابداً في جميع القضايا) بداية برنامج تقويمي ، اي اننا لا نملك خطة على العموم وحسب ، بل ايضاً حسابا لكل سنة ، من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٣٠ ، **يبين** كم محطة يمكن تشغيلها

والى اي مدى يمكن توسيع المحطات الموجودة (ومن جديد مع الشرط المشار اليه آنفاً الذي لا يمكن تحقيقه بفارط السهولة نظراً لاخلاقنا المميزة بغرور المثقفين المتأدبين وغرور كبار الموظفين البيروقراطي) .

ولتقدير كل جسامة وكل قيمة العمل الذي قامت به «غويلرو» ، لنلق نظرة الى المانيا . هناك قام العالم بالود وحده بعمل مماثل . فقد وضع خطة علمية لاعادة بناء كل الاقتصاد الوطني الالماني على الاسس الاشتراكية (١٠٧) . وفي المانيا الرأسمالية ، بقيت هذه الخطة معلقة في الهواء ، بقيت محاولة ادبية ، عمل رجل فرد . اما نحن ، فقد طرحنا مهمة على صعيد الدولة ، وحشدنا مئات الاختصاصيين ، وحصلنا في خلال عشرة اشهر (لا خلال شهرين ، طبعاً ، كما رسمنا سابقاً) على خطة اقتصادية واحدة موحدة مبنية علمياً . ومن حقنا المشروع ان نعتز بهذا العمل ؛ انما ينبغي لنا فقط ان **نفهم كيف** تصح الاستفادة منه ، وضد عدم فهم **هذا** على وجه الضبط ينبغي النضال الآن .

يقول قرار مؤتمر السوفييتات الثامن : «. . . ان المؤتمر . . . **يستحسن عمل المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني** والخ . ، ويستحسن على الاخص عمل «غويلرو» **في وضع برنامج كهربة روسيا** . . . يعتبر هذا البرنامج **الخطوة الاولى من مبادرة اقتصادية عظيمة** ، ويلزم اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا والخ . ، **بانجاز وضع هذا البرنامج والمصادقة عليه** حتماً في اقصر الآجال . . . يلزم باتخاذ جميع التدابير من اجل **الدعاية** لهذا البرنامج **على اوسع نطاق** . . . ينبغي ادخال دراسة هذا البرنامج **في جميع مؤسسات التعليم بالجمهورية بلا استثناء»** ، والخ . .

ولا شيء يصف بفائق الوضوح العلل التي يعاني منها جهازنا ولا سيما الجهاز الاعلى ، والعلل الدواوينية وعلل المثقفين على السواء كما يصفها الموقف الملاحظ في موسكو من هذا القرار ، ومحاولات «تأويله» بالطالع والنازل الى حد رفضه . ان الكتاب لا يروجون الخطة الموضوعة ، بل يكتبون موضوعات ويدبجون محاكمات فارغة حول طريقة وضع الخطة ! ويشدد كبار الموظفين ، بصورة دواوينية صرفاً ، على ضرورة «المصادقة» على الخطة ، فاهمين ، بهذه ، لا طرح مهام ملموسة (بناء هذا وذاك في موعد معين ، شراء هذا وذاك في الخارج ، وخلافه) ، بل شيئاً ما مشوشاً تماماً من نوع وضع خطة **جديدة** ! وينجم عدم فهم للامر فظيع ، وتسمع اقوال : لنبعث في البدء وان جزءاً من القديم قبل ان نبني الجديد ؛ الكهربة تشبه الوهم الكهربائي ؛ ولماذا لا نحقق اشاعة الغاز ؛ في «غويلرو» ، اختصاصيون برجوازيون ، والشيوعيون قلة ؛ ينبغي ان تعطي «غويلرو» ملاكات من الخبراء ، لا ملاكات للجنة تخطيطية عامة ، وخلافه .

وهذا التشوش بالذات في الآراء حافل بالخطر ، لأنه يبين عدم معرفة العمل ، وسيطرة غرور المثقفين والغرور الدواويني على العمل الحقيقي . ان التهكمات على خيالية الخطة ، والاسئلة بصدد اشاعة الغاز وخلافه تكشف غرور الجهل . اصلاح عمل المئات من خيرة الاختصاصيين بخفة وطيش ، والاكتفاء بنكيتات مبتذلة ، والتباهي بحق «عدم المصادقة» ، أوليس هذا مخزياً ؟

ينبغي اذن ان نتعلم كيف نقدّر العلم ، وننبذ التباهي «الشيوعي» لدى السطحيين والدواوينيين ، ينبغي اذن ان نتعلم كيف نعمل بدأب وانتظام ، مستغلين تجربتنا بالذات ، خبرتنا بالذات !

يقيناً ان «الخطط» شيء يتيح ، بحكم جوهره بالذات ، الحكي والجدال بلا نهاية . ولكنه لا يجوز السماح بالثرثرات

والمجادلات العامة حول «مبادئ» (بنيان الخطة) عندما ينبغي الانصراف الى دراسة الخطة المعنية ، الخطة العلمية الوحيدة ، واصلاحها على اساس توجيهات التجربة **العملية** وعلى اساس دراسة اكثر تفصيلا . يقيناً ان حق «المصادقة» و«عدم المصادقة» يبقى دائماً للموظف الكبير والموظفين الكبار . واذا فهم المرء هذا الحق فهماً معقولا وفسر تفسيراً معقولا قرارات المؤتمر الثامن بصدد المصادقة على الخطة التي استحسنها وأحالها الى الدعاية على اوسع نطاق ، ترتب عليه ان يفهم بالمصادقة جملة من الطلبات والاوامر : هذا يجب شراؤه في هذا الموعد وفي هذا المكان ،هذا يجب الشروع ببنائه ، هذه المواد يجب جمعها ونقلها ، وهلمجراً . اما اذا فسّر بطريقة دواوينية ، فان «المصادقة» تعني آنذاك استبداد الموظفين الكبار ، والمماطلة الورقية ، واللعب بلعبة لجان التحقيق ، وبكلمة ، قتل العمل الحي بطريقة بيروقراطية صرفاً .

لنر الى القضية من جانب آخر ايضاً . ينبغي ربط خطة الكهربة العلمية بنحو خاص بالخطط العملية الجارية وبتطبيقها العملي . وبديهي ان هذا امر لا جدال فيه اطلاقاً . ولكن كيف نربط على وجه التدقيق ؟ لكي نعرف هذا ، ينبغي على الاقتصاديين والادباء والاحصائيين ألا يثرثروا حول الخطة على العموم ، بل ان يدرسوا بالتفصيل تنفيذ خططنا ، واخطاءنا في هذه القضية العملية ، ووسائل اصلاح هذه الاخطاء . وبدون هذه الدراسة ، نكون عمياناً . وفي ظل هذه الدراسة ، والى جانبها ، شرط دراسة التجربة العملية ، – تبقى مسألة صغيرة جداً هي مسألة الفن الاداري . فعندنا من لجان التخطيط قدر ما تريد . اخذ شخصين من مصلحة معهود بها الى زيد ، وشخص من مصلحة معهود بها الى عمرو ، او بالعكس ، من اجل جمعهم ، وضمهم الى لجنة

فرعية تابعة للجنة التخطيط العام . واضح ان هذا هو الفن الاداري ، لا اكثر . اما ضرورة تجربة هذه الطريقة وتلك ، واختيار الافضل ، فالجدال عن هذا مضحك .

فكنه الامر انهم لا يعرفون عندنا كيف يطرحون المسألة ، ويستعيضون عن العمل الحي بولوع المثقفين والولوع الدواويني بوضع شتى المشاريع الخيالية . كانت عندنا ولا تزال مخططات جارية للاغذية والوقود . وقد اقترفنا خطأ جلياً في هذه وتلك على السواء . وفي هذا الصدد لا يمكن ان يقوم رأيان . ان الاقتصادي الجدي ، بدلا من ان يلفق الموضوعات التافهة ، يعكف على دراسة الوقائع والارقام والمعطيات ويحلل خبرتنا العملية بالذات ويقول : الخطأ هنا ، ويجب اصلاحه بالنحو التالي . والاداري الجدي ، بالاستناد الى هذه الدراسة ، يقترح او يجري بنفسه نقل الاشخاص ، وتغيير المحاسبة ، واعادة بناء الجهاز ، وهكذا دواليك . وانك لا ترى عندنا لا هذا ولا ذاك الموقف العملي الجدي من الخطة الاقتصادية الواحدة .

والعلة تكمن بالذات في كونهم يطرحون بصورة غير صحيحة مسألة موقف الشيوعي من الاختصاصيين ، وموقف الاداري من العلماء والادباء . ففي مسألة الخطة الاقتصادية الواحدة ، كما في كل مسألة اخرى ، توجد جوانب — ومن الممكن دائماً ان تظهر جوانب جديدة — تتطلب حلول الشيوعيين وحدهم او تتطلب موقفاً ادارياً فقط . وهذا لا مراء فيه . ولكن هذا تجريد محض . والحال ، ان الذين يقفون عندنا من المسألة المعنية موقفاً خاطئاً ، انما هم الادباء الشيوعيون والاداريون الشيوعيون الذين لم يستطيعوا ان يفهموا انه ينبغي في هذا المضمار ان يتعلموا المزيد من الاختصاصيين والعلماء البرجوازيين ، ويلعبوا اقل لعبة

اصدار الاوامر والنواهي الادارية . وليست هناك ولا يمكن ان تكون هناك اي خطة اقتصادية واحدة غير التي وضعتها «غويلرو» . وهذه الخطة يجب اكمالها ، وتطويرها باستمرار واصلاحها وتطبيقها على اساس ارشادات التجربة العملية المدروسة بانتباه . وليس الرأي المعاكس ، كما ورد في برنامج الحزب ، غير «رأي جذري موهوم ولكنه في الواقع غرور جاهل» (١٠٨) . وليست غروراً اقل جهلا تلك الفكرة التي تزعم انه يمكن قيام لجنة للتخطيط العام في جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية غير «غويلرو» ، الامر الذي لا ينفي بالطبع احتمال فائدة الاصلاحات الجزئية ، العملية ، في قوامها . ان بناء اي شيء جدي ، بمعنى تحسين خطة اقتصادنا الوطنى العامة ، لا يمكن الا على هذا الاساس ، لا يمكن الا بمواصلة ما بدأناه . والا كان ذلك لعبة اصدار الاوامر والنواهي الادارية ، او ، بتعبير ابسط ، كان ذلك استبداداً . ان مهمة الشيوعيين في داخل «غويلرو» ، ان يقللوا من اصدار الاوامر والنواهي ، وبالاصح ان يمتنعوا كلياً عن اصدار الاوامر والنواهي ، وان يقفوا من اختصاصيي العلم والتكنيك («فهم في اغلب الاحوال مفعمون حتماً بالمفاهيم والعادات البرجوازية» ، كما يقول برنامج الحزب الشيوعي في روسيا) بفائق الاحتراس والحذاقة ، ويتعلموا منهم ويساعدوهم على توسيع افقهم ، انطلاقاً من مكتسبات ومعطيات العلم المعني ، ذاكرين ان المهندس لا ينتهي الى الاعتراف بالشيوعية **كما** ينتهي اليه الداعي السري والكاتب ، **بل عبر معطيات علمه** ، وان المهندس الزراعي ينتهي **بطريقته** الى الاعتراف بالشيوعية ، وخبير الغابات بطريقته ، وهلمجراً . ان الشيوعي الذي لا يقدم الدليل على حذقه في توحيد عمل الاختصاصيين وتوجيهه بتواضع ، متغلغلا الى جوهر الامر ، دارساً اياه بالتفصيل ، ان

هذا الشيوعي ضار في كثير من الاحيان . وعندنا كثيرون من امثال هذا الشيوعي ، واني لعلى استعداد لاعطائهم بالدزينات مقابل اختصاصي برجوازي واحد قدير يدرس عمله بوجدان .

ان الشيوعيين الذين يقفون خارج «غويلرو» يستطيعون ان يساعدوا من جهتين قضية وضع وتطبيق خطة اقتصادية واحدة فاذا كانوا اقتصاديين واحصائيين وادباء ، ترتب عليهم ان يدرسوا في البدء تجربتنا العملية بالذات وان يوصوا باصلاح الاخطاء وتحسين العمل ، بالاستناد فقط الى دراسة الوقائع المعنية دراسة مفصلة . ان الدراسة هي شأن العالم ، وهنا ، ما دامت المسألة لا تتعلق عندنا من زمان بالمبادئ العامة ، بل بالتجربة العملية على وجه التدقيق ، فان «اختصاصياً في العلم والتكنيك» ، وان برجوازياً ولكنه يعرف العمل ، اثمن لنا عشر مرات ، في هذه الحال ايضاً ، من شيوعي متبجح ، مستعد لأن يدبج «الموضوعات» في اي لحظة من النهار والليل ، ويتقدم «بالشعارات» ، ويقترح التجريدات المحض . اكثر من معرفة الوقائع ، واقل من الجدالات اللفظية التي تدعي بالمبدئية الشيوعية .

ومن جهة اخرى ، اذا كان الشيوعي ادارياً ، كان واجبه الاول ان يحترس من الولوع باصدار الاوامر والنواهي ، وان يعرف كيف يأخذ بالحسبان اولا ما سبق للعلم وتوصل اليه ، وان يسأل اولا ما اذا كانت الوقائع ثابتة ، وان يتوصل اولا الى دراسة (في التقارير ، في الصحافة ، في الاجتماعات ، وهكذا دواليك) ، الى دراسة النقطة التالية وهي اين اخطاؤنا بالضبط ، وان يصلح على هذا الاساس فقط ما يتم فعله . اقل من اساليب تيت تيتيتش (١٠٩) («في وسعي ان اصادق ، وفي وسعي ألا اصادق») ، واكثر من دراسة اخطائنا العملية .

لقد لوحظ من زمان ان نواقص الناس ترتبط في معظم الحالات بفضائلهم . وهكذا هي نواقص الكثيرين من الشيوعيين القادة . فطيلة عشرات السنين ، قمنا بعمل عظيم : دعونا الى الاطاحة بالبرجوازية وعلمنا الحذر من الاختصاصيين البرجوازيين ، وفضحناهم وانتزعنا منهم السلطة وقمعنا مقاومتهم . انه لعمل عظيم ، تاريخي عالمي . ولكن حسبنا ان نضخم قليلا جداً حتى تتثبت الحقيقة القائلة بانه لا يفصل العظيم عن المضحك غير خطوة واحدة . لقد اقنعنا روسيا ، وانتزعنا روسيا من المستثمرين في صالح الشغيلة ، وقمعنا المستثمِرين – فيجب علينا ان نتعلم كيفية ادارة روسيا . ولهذا الغرض يجب ان نتعلم التواضع واحترام العمل الجدي الذي يقوم به «اختصاصيو العلم والتكنيك» ، لهذا الغرض ، يجب ان نتعلم تحليل اخطائنا **العملية** العديدة بانتباه وبشكل جدي ، واصلاحها تدريجياً ، ولكن بدأب ومثابرة . اقل من غرور المثقفين والغرور الدواويني ، واكثر من دراسة ما تعطيه تجربتنا العملية في المركز وتوابعه ، وما سبق واعطانا العلم اياه .

٢١ شباط (فبراير) ١٩٢١ .

«البرافدا» ، العدد ٣٩ ، ٢٢ شباط (فبراير) ١٩٢١

المجلد ٤٢ ، ص‌ص ٣٣٩–٣٤٧

يوم العاملات العالمي

ان الامر الجوهري ، الرئيسي في البلشفية وثورة اكتوبر الروسية ، انهما اجتذبتا الى السياسة اولئك الذين عانوا اشد الاضطهاد في ظل الرأسمالية . كان هؤلاء يسحقهم الرأسماليون ، ويخدعونهم وينهبونهم سواء في ظل الملكية ام في الجمهوريات البرجوازية الديموقراطية . وطالما كانت الملكية الخاصة للارض والمصانع والمعامل قائمة ، فقد ظل هذا النير ، هذا الخداع ، هذا النهب لعمل الشعب من جانب الرأسماليين امراً لا مناص منه .

ان جوهر البلشفية ، جوهر السلطة السوفييتية انما يقوم في حصر كل سلطة الدولة في ايدي الجماهير الكادحة والمستثمَرة ، الى جانب فضح كذب الديموقراطية البرجوازية ونفاقها والغاء الملكية الخاصة للارض والمعامل والمصانع . ان هذه الجماهير بالذات تأخذ بنفسها السياسة في ايديها ، اي مهمة بناء مجتمع جديد . ان المهمة لصعبة ، والجماهير اخبلتها الرأسمالية وسحقتها ، ولكنه ليس ثمة ، ولا يمكن ان يكون ثمة اية وسيلة اخرى للتحرر من عبودية العمل المأجور ، من العبودية الرأسمالية .

ويستحيل اجتذاب الجماهير الى السياسة دون اجتذاب النساء اليها . وبالفعل يعاني نصف الجنس البشري ، اي النساء اضطهاداً

مزدوجاً في ظل الرأسمالية . فالعاملة والفلاحة يضطهدهما الرأسمال ؛ وفضلاً عن ذلك لا تتمتعان بكل الحقوق حتى في اوفر الجمهوريات البرجوازية ديموقراطية ، اذ ان القانون لا يؤمن لهما نفس الحقوق التي يؤمنها للرجل ؛ ثم – وهذا هو الامر الاساسي – انهما تظلان تحت وطأة «العبودية البيتية» ؛ فهما «عبدتان بيتيتان» يرهقهما العمل الاكثر حقارة وكرهاً وثقلاً وتخبيلاً ، عمل المطبخ ، وبوجه عام اقتصاد البيت والاسرة المنفرد .

وما من حزب ، ما من ثورة في العالم تجاسرا على قطع جذور اضطهاد النساء ولامساواتهن بنفس العمق الذي تقطع به الثورة البلشفية ، السوفييتية هذه الجذور . فعندنا في روسيا السوفييتية لم يبق اي اثر للامساواة الحقوقية بين النساء والرجال . فقد الغت السلطة السوفييتية تماماً اللامساواة الكريهة الحقيرة المرائية جداً فيما يتعلق بحقوق الزواج والعائلة ، اللامساواة فيما يتعلق بالاولاد .

وليست تلك سوى الخطوة الاولى نحو تحرير المرأة . ومع ذلك لم تجرؤ اية من الجمهوريات البرجوازية حتى اوفرها ديموقراطية على ان تخطو هذه الخطوة الاولى . انها لم تجرؤ خوفاً من «الملكية الخاصة الكلية القداسة» .

اما الخطوة الثانية – الخطوة الاساسية – فهي الغاء الملكية الخاصة للارض والمعامل والمصانع . ان هذه الخطوة وحدها تفتح السبيل امام تحرر المرأة الكامل والحقيقي ، امام تحررها من «العبودية البيتية» وذلك بالانتقال من الاقتصاد البيتي الفردي الصغير الى الاقتصاد المعمم الكبير .

ان هذا الانتقال صعب اذ ان المقصود هنا تحويل «نظام» عميق الجذور ، مألوف ، متأصل ، متمكن الى اقصى حد (والصحيح

انه ليس «نظاماً» بل قباحة بربرية) . ومع ذلك ، فقد بدأ هذا الانتقال ، بدأ العمل ، وسرنا في السبيل الجديد .

ان العاملات من جميع بلدان العالم ، المجتمعات في احتشادات لا عد لها ، سيوجهن تحياتهن لمناسبة يوم العاملات العالمي الى روسيا السوفييتية التي باشرت عملاً صعباً ومضنياً الى اقصى حد ، ولكنه عمل جليل ذو شأن عالمي وعمل تحريري حقاً . وسترتفع النداءات الباسلة داعية الى عدم التخاذل امام الرجعية البرجوازية القاسية بل الوحشية في كثير من الاحيان . وكلما كان البلد البرجوازي اكثر «حرية» او «ديموقراطية» ، كلما اشتد طغيان عصابة الرأسماليين وكلما اقترفت مزيداً من الاعمال الوحشية ضد ثورة العمال ، ومثل ذلك – الجمهورية الديموقراطية المسماة بالولايات المتحدة الاميركية الشمالية . ولكن العامل من حيث هو جمهور قد استيقظ . ان الحرب الامبريالية قد ايقظت نهائياً الجماهير الجامدة النائمة او نصف النائمة في اميركا واوروبا وفي آسيا المتأخرة .

لقدتفسخ الجليد في جميع انحاء العالم .

ان تحرير الشعوب من نير الامبريالية ، ان تحرير العمال والعاملات من نير الرأسمال يسير الى الامام بصورة لا مرد لها . وهذه القضية يدفعها الى الامام عشرات ومئات الملايين من العمال والعاملات والفلاحين والفلاحات ، ولهذا فان هذه القضية ، قضية تحرير العمل من نير الرأسمال ، ستنتصر في العالم اجمع .

٤ – ٣ – ١٩٢١ .

صدر في ٨ آذار (مارس) ١٩٢١ في ملحق جريدة «البرافدا» ، العدد ٥١

المجلد ٤٢ ، ص ص ٣٦٨–٣٧٠

المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا

٨ ـ ١٦ آذار (مارس) ١٩٢١ (١١٠)

١

تقرير عن النشاط السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا ٨ آذار

ايها الرفاق ، تعرفون ولا شك ان مسألة نشاط اللجنة المركزية السياسي مرتبطة بمجموع نشاط الحزب ، بمجموع عمل الادارات السوفييتية وبالسير العام للثورة ارتباطاً وثيقاً لا يمكن معه ، في رأيي على الاقل ، ان تكون المسألة مسألة تقديم تقرير بالمعنى الدقيق ، الحرفي للكلمة . وانا افهم مهمتي على هذا النحـو : ان ابذل جهدي لالقـاء النـور على بعض الاحداث ذات الاهمية القصوى التي هي ، في نظري ، اشبه ما تكون بالنقاط المركزية في عملنا وفي سياسة السوفييتات خلال هذا العام ، والتي هي بين الاحداث التي عشناها الاكثر دلالة ومدعاة للتفكير في اسباب سير الثورة وفي اهمية الاخطاء المرتكبة – وقد ارتكبنا غير القليل منها – وفي الدروس التي يجب استخلاصها من اجل المستقبل . ذلك لانه مهما تكن طبيعية مهمة تقديم تقرير عن السنة المنصرمة ، مهما تكن هذه المهمة الزامية للجنة المركزية وموضع اهتمام الحزب بحد ذاتها ، فان مهمات النضال القادم ، والنضال الجاري الآن امامنا هي من الالحاح والخطورة والصعوبة وشدة الوطأة على كاهلنا نحن بحيث اننا نعمد اضطرارا الى توجيه كل

انتباهنا الى الاستنتاجات الواجب استخلاصها من الاحداث التي عشناها والى الحل الافضل لقضايا الساعة والمستقبل القريب التي تسترعي كل انتباهنا .

ان الانتقال من حالة الحرب الى حالة السلم هو النقطة الاولى من بين نقاط نشاطنا المركزية التي كانت اكثر ما استدعى انتباهنا خلال هذا العام والتي هي ، في نظري ، متصل بها اكبر عدد من اخطائنا . انتم جميعا ، او معظمكم على الاقل ، تتذكرون بلا شك اننا قد حاولنا تحقيق هذا الانتقال عدة مرات ، خلال ثلاث سنوات ونصف السنة ، واننا لم ننجح في ذلك ابداً ، وبدهي اننا الآن ايضاً لن نتوصل الى ذلك لأن المصالح الحيوية للرأسمالية العالمية متصلة اتصالاً عميقاً جداً بالحيلولة دون هذا الانتقال . اذكر اني في نيسان (ابريل) ١٩١٨ ، لثلاث سنوات خلت ، قد اتفق لي ان تكلمت امام اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا عن مهماتنا ، التي كانت اذ ذاك تصاغ على نحو يقول بان الامر الرئيسي في الحرب الاهلية قد انتهى ، في حين انها في الواقع لم تكن الا في بدايتها . وتذكرون جميعا اننا في المؤتمر الاخير لحزبنا قد بنينا كل حساباتنا على هذا الانتقال الى البناء السلمي ، اعتقاداً منا بان ما كنا في ذلك الحين قد وافقنا عليه من تنازلات ضخمة لبولونيا (١١١) من شأنه ان يؤمن لنا السلام . ولكن البرجوازية البولونية التي فسرت ، بالاشتراك مع امبرياليي البلدان الرأسمالية ، حرصنا على السلام بانه علامة ضعفنا ، شنت علينا في نيسان (ابريل) هجموماً وتلقت درساً قاسياً ، فقد اضطرت الى القبول بصلح اقل فائدة لها . ولكن ذلك منعنا من مباشرة العمل السلمي ، واضطررنا مرة اخرى لبذل كل جهودنا من اجل محاربة بولونيا ، وفيما بعد من اجل القضاء على فرانجل . هذا ما حدد مضمون نشاطنا اثناء السنة التى نحن بصددها . فقد اتجه كل عملنا مرة اخرى نحو المهمات العسكرية .

وبعد ذلك بدأ الانتقال من الحرب الى السلم بعد ان نجحنا في طرد آخر جندي من جيوش الاعداء من اراضي جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية .

وقد استتبع هذا الانتقال هزات كنا بعيدين جداً عن توقعها وهذا ، بلا شك ، احد الاسباب الرئيسية لمجموعة الاخطاء والاغلاط التي ارتكبناها في سياستنا خلال المرحلة التي يشملها التقرير ، والتي ما نزال حتى الآن نشعر بأثرها السيئ . ان تسريح الجيش ، هذا الجيش الذي وجب علينا تكوينه في بلد عانى وضعاً متوتراً في منتهى الارهاق ، الجيش الذي وجب علينا تكوينه بعد حرب امبريالية استمرت عدة سنوات ، — ان تسريح الجيش ، الذي كلف نقله ، نظراً لوضع نقلياتنا ، مصاعب لم يسمع بمثلها من قبل ، في الوقت الذي انضمت الى ذلك المجاعة الناجمة عن القحط ونقص الوقود ، الامر الذي شل وسائط النقل الى حد بعيد ، — ان هذا التسريح للجيش قد وضعنا ، كما نلمس اليوم ، امام مهمات استهنا في تقديرها الى اقصى درجات الاستهانة في التقدير . تلك هي ، بمقدار ملحوظ ، الاسباب التي ادت الى جملة كاملة من الازمات : اقتصادية ، واجتماعية ، وسياسية . ومنذ نهاية السنة الماضية اتيح لي ان اشير الى ان تسريح الجيش سيكون من مصاعب الربيع القادم الرئيسية . كما اشرت الى ذلك يوم ٣٠ كانون اول (ديسمبر) في مناقشة كبيرة * اشترك فيها على الارجح كثير منكم . ولا بد لي من القول اننا اذ ذاك بالكاد كانت لدينا فكرة عن خطورة هذه المصاعب . فما كنا قد توقعنا بعد لا الصعوبات التكنيكية الهائلة ولا كذلك ضخامة النكبات المنفلتة على الجمهورية السوفييتية المرهقة بالحرب الامبريالية

* راجعوا هذا الكتاب ، ص ٢٣٥ . **الناشر** .

الاخيرة وبالحرب الاهلية الجديدة ؛ لم نكن قد توقعنا كم ستتفاقم هذه الصعوبات التكنيكية وهذه الكوارث عند التسريح . ويكون صحيحاً الى درجة ما القول ان مفعولها سيتجلى اثناء التسريح بالضبط بمقياس اضخم . لقد بذلت البلاد كل جهودها ، طيلة عدة سنوات ، من اجل المهمات العسكرية حصراً ، ودعمت هذه المهمات بجميع الوسائل ، وما ترددت في ان تضحي في هذا السبيل بالفتات الاخيرة من احتياطياتها الهزيلة ومواردها الشحيحة ، فلم نشعر الا بعد نهاية الحرب بضخامة دمارنا وبؤسنا اللذين يقضيان علينا بلأم جراحنا فقط زمناً طويلاً . ولكننا لا نستطيع ان ننهمك بكليتنا حتى في لأم جراحنا هذه . ان الصعوبات التكنيكية في تسريح الجيش تبين لنا بمقياس كبير كل خطورة دمارنا الذى تتولد عنه حتما ، علاوة على غيرها ، جملة من الازمات ذات طابع اقتصادي واجتماعي . ان الحرب قد عوّدتنا ، عودت بلادنا كلها ، ومئات الآلاف من الناس على مهام الحرب وحسب ؛ وعندما يجابه قسم كبير من الجيش ، بعد اداء هذه المهام ، تردي الاوضاع الى ما لا قياس له ، ويجابه في الريف مصاعب لا تصدق ، ولا ينفسح امامه مجال العمل والكدح ، بحكم هذه الازمة وبحكم هذه الازمة العامة ، يحصل شيء ما وسط بين الحرب والسلم . ان الوضع الذي ترتسم معالمه لعلى نحو بحيث انه لا يكون ثمة داع ، من جديد ، الى الحديث عن السلام . وان تسريح القوات المسلحة على وجه الضبط ، ونهاية الحرب الاهلية على وجه الضبط تعنيان استحالة تركيز جميع مهامنا في البناء السلمي ، لأن التسريح يؤدى الى استمرار الحرب ولكن بشكل جديد . فعندما لا يستطيع عشرات ومئات الآلاف من المسرحين ان يجدوا مجالاً للعمل ، وعندما يعودون وقد حل بهم الفقر والخراب ، واعتادوا الانشغال بالحرب واعتبارها الحرفة الوحيدة

او يكاد ، فاننا نجد انفسنا منساقين الى شكل جديد من الحرب ، والى نوع جديد من الحرب يمكن جمعهما بكلمة واحدة هي الشقاوة .

ولا شك ان خطأ اللجنة المركزية هو في عدم حساب مدى صعوبات التسريح هذه . ومن المؤكد انه ينبغي القول ان هذا الحساب ما كان يمكن ان تكون له نقاط ارتكاز ، فقد بلغ من مشقة الحرب الاهلية ان كانت هنا القاعدة الوحيدة : كل شيء للنصر على جبهة الحرب الاهلية – ولا شيء غيرها . وما تمكنا من الانتصار على الامبرياليين الذين توغلوا في روسيا السوفييتية الا لأننا قد تقيدنا بهذه القاعدة ، والا لأن الجيش الاحمر قد بذل جهوداً منقطعة النظير في صراعه ضد كولتشاك ويودينيتش وغيرهما .

وقد كان بودي ، بعد الحديث عن هذا العامل الاساسي الذي ولّد جملة كاملة من الاخطاء وادى الى تفاقم الازمة ، ان ابين لكم جملة كاملة من العثرات والخطيئات هي اكثر عمقاً ، وذات صلة بالحساب او بالمخطط ، وقد تجلت في عمل الحزب وفي نضال البروليتاريا بمجموعها ؛ وليست المسألة مسألة اخطاء المخطط فقط ، بل كذلك مسألة اخطاء تحديد النسب بين قوى طبقتنا وقوى الطبقات التي يجب ان تقرر مصائر الجمهورية بالتعاون معها او بمحاربتها احياناً . وانطلاقاً من وجهة النظر هذه ، ينبغي ان ننظر الى حصيلة ما اجتزناه ، والى التجربة السياسية ، والى ما ينبغي للجنة المركزية ، ما دامت قد وجهت سياستنا ، ان تدركه وتبذل جهوداً لتعريف الحزب كله عليه . هما ظاهرتان متباينتان – مجرى حربنا مع بولونيا ومسألة التموين والوقود . اكيد اننا قد ارتكبنا خطأ اثناء هجومنا ، اثناء تقدمنا المفرط في السرعة الذي اوصلنا الى فرصوفيا تقريباً . ولن اتوسع الآن حول مسألة ما اذا كان هذا الخطأ ستراتيجياً او سياسياً ، فمن شأن هذا ان يذهب بي بعيداً جداً – واني

لاعتقد ان ذلك على مؤرخي المستقبل ؛ فالذين يشتركون في نضال مرير ويواصلون محاربة جميع الاعداء ، ليس لديهم فراغ من الوقت للقيام ببحوث تاريخية . ولكن الخطأ ، على كل حال ، قد ارتكب ، وقد نجم هذا الخطأ عن مبالغتنا في تقدير رجحان قوانا . اما الى اي حد كان رجحان القوى هذا متعلقاً باسباب اقتصادية ، والى اي مدى كان متعلقاً بواقع ان الحرب مع بولونيا قد ايقظت المشاعر الوطنية حتى لدى العناصر البرجوازية الصغيرة ، غير البروليتارية بتاتاً ، وغير المحبذة للشيوعية بتاتاً ، وغير المؤيدة لديكتاتورية البروليتاريا بدون تحفظ ، بل احياناً — ولا بد من قول ذلك — غير المؤيدة لها اطلاقاً ، — فان هذه مسائل جد معقدة لن نتوقف عندها . ولكن الواقع هو هذا : لقد ارتكبنا اثناء الحرب مع بولونيا بعض الخطأ .

واذا اخذنا ميداناً للعمل ، كالعمل التمويني فاننا نرى خطأ مماثلاً . فيما يتعلق بالمصادرة وبتنفيذها ، كانت السنة التي نحن بصددها اكثر مؤاتاة بما لا يقاس من السنة السابقة . لقد تم خلال السنة المنصرمة جمع اكثر من ٢٥٠ مليون بود من الحبوب . وفي اول شباط (فبراير) سجل ٢٣٥ مليون بود ، في حين ان السنة السابقة كلها لم تعط غير ٢١٠ ملايين ؛ وهكذا تجاوز الجمع في قسم اقل بكثير من السنة جمع السنة السابقة بكاملها . بيد اننا قد استهلكنا من هذه الـ٢٣٥ مليون بود ، التي جمعت في اول شباط (فبراير) ، قرابة ١٥٥ مليوناً في النصف الاول من العام ، اي ما متوسطه ٢٥ مليوناً في الشهر ، بل واكثر من ذلك . اكيد ان من الواجب الاعتراف باننا من حيث الموضوع لم نتمكن من توزيع مواردنا توزيعاً صحيحاً ، حين كانت افضل من موارد السنة السابقة . لم نتمكن من ان نقيس قياساً صحيحاً كل الخطر الذي كان يترصدنا ، بشكل ازمة ،

في الربيع فتركنا انفسنا ننساق مع الرغبة الطبيعية في زيادة الحصة الغذائية للعمال الجياع . صحيح انه ينبغي القول هنا ايضاً انه لم تكن لدينا نقطة ارتكاز لحساباتنا . ان نقطة الارتكاز لوضع خطة اقتصادية فى جميع الدول الرأسمالية ، برغم الفوضى والتشوش اللذين هما من طبيعة الرأسمالية ، هي تجربة عشرات السنين ، التجربة التي يمكن للدول الرأسمالية المتماثلة من حيث بنيانها الاقتصادي وغير المتميزة الا بالخصائص الجزئية ، ان تقارن ما بينها . وهذه المقارنة تسمح باستخلاص قانون علمي حقاً ، وبعض الانتظام والضبط . ونحن لم يكن لدينا ولا يمكن ان يكون لدينا مثل هذه التجربة لاجراء حسابات ، فكان طبيعياً تماماً ان لا نتمكن على الفور من اجراء قياس عقلاني ، حين توفرت لدينا بعد الحرب ، الامكانية لان نقدم اخيراً اكثر بعض الشيء للناس المنهوكين بالجوع . بدهي انه كان علينا ان نعتدل في زيادة الحصة الغذائية فنكوّن بذلك بعض الاحتياطي للايام العجاف التي ستأتي في الربيع ، وقد اتت . وهذا ما لم نفعله . فكانت تلك خطيئة من جديد ، خطيئة من نوع مماثل لتلك التي كانت تميز مجمل عملنا ، خطيئة تبرهن ان الانتقال من الحرب الى السلم قد وضع امامنا جملة من المهمات ومن الصعوبات لم تكن لدينا للتغلب عليها لا تجربة ولا استعداد ولا مواد ضرورية ، وهكذا بلغت الازمة اقصى درجات الاشتداد والتفاقم والسوء .

ومثل هذا ، بالتأكيد ، جرى في الوقود . وان هذه لمسألة اساسية من مسائل البناء الاقتصادي . فكل الانتقال من الحرب الى السلم ، كل الانتقال الى البناء الاقتصادي ، — وهو ما تناوله الحديث فى المؤتمر الاخير للحزب وما كان يشغل في السنة التي نحن بصددها مكان الصدارة في سياستنا — كل هذا ما كان

يمكن ، بالطبع ، ان لا يقوم وان لا يعتمد على اساس حساب كمية الوقود الذي ننتجه وعلى اساس توزيعه العقلاني . فبدون هذا لا يمكن ان يكون موضع بحث لا التغلب على الصعوبات ولا اعادة الصناعة . وبدهي اننا من هذه الناحية في ظروف افضل مما في السنة الماضية . ففي السابق كنا مقطوعين عن منطقتي الفحم الحجري والبترول . وبعد انتصارات الجيش الاحمر حصلنا على الفحم والبترول . وعلى كل حال ، ان مواردنا من الوقود قد ازدادت . نحن نعلم ان كمية الوقود التي افتتحنا بها السنة التي نحن بصددها كانت اضخم من ذي قبل . وارتكبنا خطأ بتوزيعنا الوقود توزيعاً كان من التوسع بحيث استنزفناه وجابهنا ازمة الوقود قبل ان تتم لنا اعادة تنظيم كل عملنا تنظيماً صحيحاً . وستقدم لكم هنا تقارير خاصة حول جميع هذه المسائل ، فليس في وسعي ان اقدم لكم الآن ، ولو على وجه التقريب ، المعطيات المتوفرة حول هذه النقطة . ومهما يكن الامر ، فان علينا ان نقول ، بناء على تجربة الماضي ، ان لهذا الخطأ صلة بفكرة غير صحيحة عن وضع الامور وبالانتقال السريع من الحرب الى السلم . فقد تبين ان هذا الانتقال كان ينبغي ان يجري على نحو ابطأ مما كنا نتصور . فلا بد من تهيئة اطول كثيراً ، ولا بد من وتيرة ابطأ كثيراً ، — ذلك هو الدرس الذي ينبغي لنا استخلاصه من نشاطنا هذا العام والذي سيكون من الواجب على الحزب كله ان يدرسه دراسة معمقة ، بغية التمكن من تحديد مهماتنا الاساسية في السنة المقبلة وبغية تحاشي هذه الاخطاء في المستقبل .

وما من شك في انه لا بد مع هذا من القول ان القحط قد ادى الى تفاقم هذه الاخطاء والى اشتداد الازمات الناجمة عنها بصورة خاصة . وقد سبق لي القول ان عملنا في ميدان التموين قد اعطانا في السنة التي نحن بصددها موارد غذائية اضخم الى

حد بعيد ؛ بيد ان هذا ايضاً هو من الاسباب الرئيسية للازمات ، ذلك لأن مركز المصادرات كان قائماً ، نتيجة لسوء الموسم الذي سبب انعدام الاعلاف وتلف الماشيـــة وخراب اقتصاد الفلاحين ، في اماكن لم يكن فيها فائض الحبوب كبيراً جداً . ان الفائض اضخم كثيـراً في مختلف اطراف الجمهوريـة – في سيبيريـا ، وفي القفقاس الشمالي ، – ولكن هناك بالضبط كان للجهاز السوفييتي النصيب الاقل من التنظيم ، وكانت السلطة السوفييتيـة هناك بالضبط اقل استقراراً ، وكان جلب الاغذية من هناك في اقصى درجات الصعوبة . ولهذا حدث ان جمعنا زيادة من الموارد الغذائية من المحافظات الاقل خصباً ، ومن جراء ذلك تفاقمت ازمة الاقتصاد الفلاحي الى درجة هائلة .

وهنا ايضاً ، كما هو ظاهـر جيداً ، لم نحسن الحســاب الصحيح . وصحيح ايضاً انه لم يكن امامنا مجال للاختيار ، ما دام وضعنا حرجاً . فطبيعي ان بلداً تحمل ، بعد حرب امبريالية فتاكة ، حرباً اهلية استغرقت عدة سنوات ، لم يكن في وسعه البقاء الا بتكريس كل قواه للجبهة . وطبيعي ان البلد الذي حل به الخراب ما كان يمكن ان يعمل غير ان يأخذ من الفلاحين الفائض من المواد الغذائية لديهم دون تقديم اي شيء بالمقابل . كان ذلك ضرورياً لانقاذ البلاد ، والجيش ، وسلطة العمال والفلاحين . وقد كنا نقول للفلاحين : «اكيد انكم تعطون حبوبكم قرضاً لدولة العمال والفلاحين ، ولكن هذه هي الوسيلة الوحيدة لديكم لانقاذ دولتكم من الملاكين العقاريين والرأسماليين» . وما كان يمكن ان نعمل غيـر ذلك في الظروف التي فرضهـا علينـــا الامبرياليـون والرأسماليون بشنهم الحرب علينا . لم يكن لدينا من خيار آخر . ولكن هذه الظروف ، بعد حرب بلغت كل هذا الطول ، قد جعلت الاقتصاد الفلاحي من الضعف بحيث ان القحط قد نجم

في الوقت نفسه عن نقصان المساحة المزروعة ، وعن تردي وسائل الانتاج ، وعن انخفاض مردود الارض ، وعن نقصان اليد العاملة ، الخ . . وبدا الجدب رهيبا ، وسار جمع الفوائض ، وان يكن خيراً مما كنا نتوقع ، الى جانب اشتداد الازمة اشتداداً قد يعدّ لنا صعوبات ونكبات اضخم في الشهور القادمة . ان هذا الظرف يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار بعناية عند تحليل ما اجتزناه في سياستنا في السنة التي نحن بصددها وعند تحليل المهمات السياسية التي يجب ان نأخذها على عاتقنا في السنة القادمة . لقد اورثت السنة المنصرمة السنة القادمة المهمات العاجلة ذاتها .

والآن ، اتناول النقطة التالية ، في ميدان مختلف كل الاختلاف : المناقشة حول النقابات ، هذه المناقشة التي اخذت من الحزب كل هذا الوقت الطويل . لقد اتيح لي اليوم التحدث عنها ، وقلت بالطبع في حيطة فقط ان كثيرين منكم سيرون بلا شك ان هذه المناقشة كانت ترفاً مفرطاً . اما انا فلست استطيع منع نفسي من ان اضيف ان هذا الترف كان ، في رأيي ، غير مغتفر حقاً ؛ فلا شك في اننا ، بقبولنا مثل هذه المناقشة ، قد ارتكبنا خطأ بنسياننا اننا قد ابرزنا في هذه المناقشة مسألة لا يمكن ان يعود لها مكان الصدارة نظراً للظروف الموضوعية ؛ لقد سمحنا لانفسنا بالترف ناسين الى اي حد نصرف بذلك الانتباه عن مسألة عاجلة ومنذرة وقريبة منا جداً ، هي مسألة الازمة نفسها دائماً . فما هي اذن النتائج الحقيقية لهذه المناقشة التي انفقنا عليها كل هذه الشهور الكثيرة والتي كادت تؤدى الى ضجر اكثرية الحضور ؟ ستقدم لكم بهذا الصدد تقارير خاصة ؛ اما انا فاود لو الفت انتباهكم في تقريري الى ناحية من المسألة ، الى واقع ان المثل القائل : «في كل شر خير» قد تأكد في هذا

الظرف كل التأكيد .

وللاسف الشديد ، كان ثمة كثير قليلاً من الشر وقليل قليلاً من الخير . **(ضحك .)** ومع ذلك ، كان ثمة شيء من الخير : فمع اضاعتنا الوقت ، ومع صرفنا انتباه رفاقنا الحزبيين عن المهمات المستعجلة في النضال ضد العناصر البرجوازية الصغيرة المحيطة بنا ، تعلمنا مع ذلك تبين بعض العلاقات المتبادلة التي لم نكن نلاحظها في السابق . والخير هو ان الحزب ما كان يمكن ان يفوته تعلم بعض الاشياء خلال هذا النضال . فمع اننا كنا جميعا نعلم اننا ، كحزب حاكم ، لا يمكن ألا ندغم «الاوساط القيادية» في الحزب مع «الاوساط القيادية» في السوفييتات – وهي مندغمة عندنا وستبقى كذلك – فقد تلقى الحزب في هذه المناقشة درساً لا بد من اخذه بالحسبان . ان «الاوساط القيادية» في الحزب قد صوتت لبعض المناهج على وجه التفضيل . اما البرامج التي كانت تسمى احياناً «برامج «المعارضة العمالية»» ، وباسم آخر احياناً ، فقد تبين انها تمثل انحرافاً سنديكالياً جلياً . وليس هذا رأيي الشخصي ، بل هو رأي الاكثرية العظمى من الحضور . **(اصوات** : «صحيح» .)

واذ لمس الحزب بعض الترددات في «الاوساط القيادية» التي كانت تقول : «اننا لم نتفاهم ، فحاكمونا» ، فانه قد ظهر خلال هذه المناقشة على درجة من النضج بحيث عبأ نفسه سريعاً ، وعلى الفور اجابتنا الاكثرية العظمى من اهم المنظمات الحزبية : «ان لنا رأينا ، وسنقوله لكم» .

وخلال هذه المناقشة تلقينا جملة من المناهج . وقد كانت من الكثرة بحيث اني انا ، مثلاً ، مع اني في منصبي ملزم بقراءتها ، اخاف ان اكون قد ارتكبت اثماً لاني لم اقرأها جميعاً . **(ضحك .)** ولست ادري ما اذا كان لدى جميع الاشخاص الحاضرين هنا المقدار

الكافي من فراغ الوقت للاطلاع عليها ؛ ومهما يكن الامر ، فلا بد من القول ان هذا الانحراف السنديكالي بل نصف الفوضوي ، الى حد ما ، الذى انكشف ، يعطي كثيراً من المواد الجديرة بالبحث . لقد كنا ، خلال بضعة شهور ، نسمح لانفسنا بمثل هذا الترف حتى لقد كنا نتحمس لدراسة التلاوين الدقيقة في الآراء . وفي هذه الاثناء ، كان تسريح الجيش يولد اعمال الشقاوة ، ويزيد من تفاقم الازمة الاقتصادية . وكان لا بد لهذه المناقشة ان تساعدنا على فهم ان حزبنا ، بوصفه حزباً قد يبلغ عدد المنتسبين اليه قرابة نصف مليون على الاقل ، بل يتجاوز هذا الرقم ، قد اصبح ، اولاً ، حزباً جماهيرياً ، واصبح ، ثانياً ، حزباً حاكماً ، وانه بوصفه حزباً جماهيرياً يعكس الى حد ما بعض الاشياء الجارية خارج صفوفه . ومن المهم الى اقصى حد فهم ذلك .

ان انحرافاً صغيراً سنديكالياً او نصف فوضوي ما كان ليثير الخوف : فثمة مجال لأن يشعر به الحزب سريعاً ويصححه . ولكن اذا كان هذا الانحراف ذا صلة برجحان الفلاحين الضخم في البلاد ، واذا كان الاستياء الناجم عن ديكتاتورية البروليتاريا يزداد لدى الفلاحين ، واذا كانت ازمة الاقتصاد الفلاحي تبلغ اوجها ، واذا كان تسريح الجيش المؤلف من فلاحين يلقي بالمئات والالوف من الناس المرهقين الذين لا يجدون شغلاً ، من الناس الذين لا يحسنون غير صنعة الحرب وينشرون اعمال الشقاوة ، — فليس الوقت والحالة هذه وقت نقاش حول الانحرافات النظرية . فعلينا في هذا المؤتمر ان نقول بصراحة : اننا لن نقبل بمناقشات حول الانحرافات ، وينبغي ان نضع حداً لها . هذا ما يمكن ويجب ان يفعله مؤتمر الحزب ، ويجب ان يستخلص منه الدرس اللازم ، وينبغي ان يضيفه الى التقرير السياسي للجنة المركزية ، وان

يدعّمه ، ويثبته ، ويجعل منه واجباً على الحزب ، ويجعل منه قانوناً . ان جو المماحكة يغدو خطراً الى ابعد حدود الخطر ، يغدو تهديداً مباشراً لديكتاتورية البروليتاريا .

حين كنت اقول منذ بضعة شهور : «حذار ، ان ثمة خطراً على سيطرة الطبقة العاملة وعلى ديكتاتورية الطبقة العاملة !» ، كان بعض الرفاق ، الذين تسنى لي ان التقي بهم واتناقش معهم في المناظرات ، يقولون : «هذه وسيلة للتهويل ، انك ترهبنا» (١١٢) . لقد طالما سمعت مثل هذه الاقاويل بشأن ملاحظاتي : — اني أرهبت بعضهم ، — وكنت اجيب انه لمن المضحك ان أرهب من جهتي ثوريين قدامى عانوا جميع انواع المحن . ولكن حين ترون ماذا تغدو صعوبات التسريح ، فان من البدهي الآن ان المسألة ليست مسألة ترهيب ، حتى ولا مسألة تحمس ، الامر الذي لا مناص منه في كل مناقشة . ان المسألة هي مسألة اشارة واضحة تماماً الى ما جرى ، الى ما يجعلنا في حاجة الى التلاحم ، والجلد ، والانضباط ، ليس فقط لأن الحزب البروليتاري لا يمكن ، بدون هذا ، ان يعمل يداً واحدة ، بل كذلك لأن الربيع قد جلب وسيجلب ظروفاً صعبة لا نستطيع العمل في غمارها بدون الحد الاقصى من التلاحم . وفي اعتقادي ان في وسعنا مع ذلك استخلاص هذين الدرسين الرئيسيين من المناقشة . ولهذا ، لا بد من القول ، كما يبدو لي ، اننا اذا كنا قد سمحنا لانفسنا بالترف وقدمنا للعالم المثال المدهش عن حزب يبدي ، وهو في ظروف نضال مرير بلغت اشد درجات المشقة ، انتباهاً خارقاً للفروق الدقيقة في المناهج — وذلك في ظروف الجدب والازمة ، في ظروف النكبات والتسريح ، التي كنا فيها — فاننا الآن سنستخلص من هذه الدروس استنتاجاً سياسياً ، ليس فقط استنتاجاً يبين هذا الخطأ او ذاك ، بل استنتاجاً سياسياً يتعلق بالعلاقات بين

الطبقتين ، بين طبقة العمال وبين الفلاحين . ان هذه العلاقات ليست كما كنا نتصور . انها تتطلب من البروليتاريا مزيداً لا حد له من التلاحم ومن تركيز القوى ، وهى تؤلف في ظل ديكتاتورية البروليتاريا خطراً اشد مرات عديدة من جميع امثال دينيكين وكولتشاك ويودينيتش مجتمعين معا . وحول هذا الامر لا ينبغي ان يكون ثمة وهم لدى احد ، فقد يكون اقتل شيء ! فكبيرة هي الصعوبات الناجمة عن هذه العناصر البرجوازية الصغيرة ، ولا بد للتغلب عليها من تلاحم كبير ، ليس شكلياً وحسب ؛ لا بد من كدح موحد ، مشترك ، ومن ارادة موحدة ، فليس غير هذه الارادة الموحدة للجمهور البروليتاري ما يمكّن البروليتاريا في بلد فلاحي من انجاز مهمات ديكتاتوريتها وقيادتها الضخام .

ان المساعدة ترد من البلدان الاوروبية الغربية ، الا انها لا تأتي بسرعة . انها ترد وتتزايد .

وقد سبق لي ان قلت في الجلسة الصباحية ان احد العوامل الكبرى في المرحلة التي نحن بصددها ، الوثيق الصلة ايضاً بنشاط اللجنة المركزية ، هو تنظيم المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية . اكيد ان الثورة العالمية قد خطت خطوة كبرى الى امام بالنسبة للسنة الماضية . واكيد ان الاممية الشيوعية التي لم يكن لها وجود ، اثناء مؤتمر السنة الماضية ، الا بشكل مناشير ، قد باتت اليوم موجودة بشكل احزاب مستقلة في كل بلد ، وليس فقط كأحزاب طليعية : لقد اصبحت الشيوعية النقطة المركزية في الحركة العمالية بمجموعها . وفي المانيا ، وفرنسا ، وايطاليا اصبحت الاممية الشيوعية ليس فقط مركز الحركة العمالية ، بل اصبحت ايضاً المركز الذي يجتذب انتباه الحياة السياسية كلها في تلك البلدان . ففي الخريف لم يكن المرء يفتح جريدة

المانية او فرنسية الا ويقع فيها بالف شكل على كلمتي موسكو والبلاشفة ، الا ويرى فيها ما لا يحصى من النعوت التي تطلق علينا ، الا ويلمس ان البلاشفة والشروط الواحد والعشرين للقبول في الاممية الثالثة (١١٣) ، قد اصبحت المسألة الرئيسية في الحياة السياسية لهذه البلدان . ذلك هو مكتسبنا الذي لن يستطيع احد انتزاعه منا ! وان في هذا لبرهاناً على ان الثورة العالمية صاعدة وعلى ان الازمة الاقتصادية في اوروبا تتفاقم الى جانب هذا . بيد انه ، على كل حال ، اذا افترضنا بناء على هذا ، ان المساعدة ، بصورة عامة ، سترد من هناك ، في مهلة وجيزة ، بشكل ثورة بروليتارية وطيدة ، فاننا نكون مجرد مجانين ، واني لموقن بان لا وجود للمجانين في هذه القاعة . لقد تعلمنا خلال ثلاث سنوات الفهم اننا اذا كنا نعتمد على الثورة العالمية فليس يعني هذا اننا ننتظرها في مهلة معينة ، وان وتيرة التطور المتزايدة السرعة ابداً قد تأتي بالثورة في الربيع ، ولكن من الممكن ايضاً ان لا تأتي بها . لذلك ينبغي ان نعرف كيف نوجه نشاطنا حسب النسب الطبقية داخل بلادنا وفي البلدان الاخرى ، لكي نتمكن من الابقاء على ديكتاتورية البروليتاريا زمناً طويلاً ، ولكي نتمكن ، ولو تدريجياً ، من معالجة العلل والازمات النازلة بنا . ان وضع المسألة على هذا النحو هو وحده الصحيح والمعقول .

اتناول الآن مسألة تتعلق بنشاط اللجنة المركزية في السنة الجارية وتتصل من قرب بالمهمات الموضوعة امامنا . انها مسألة علاقاتنا مع الخارج .

حتى المؤتمر التاسع للحزب كان انتباهنا وكل جهودنا موجهة الى الانتقال من علاقات الحرب مع البلدان الرأسمالية الى علاقات سلمية وتجارية . ولهذا القصد ، قمنا بخطوات ديبلوماسية

من جميع الانواع واحرزنا قصب السبق على ديبلوماسيين كبار ، ولا شك في ذلك . فحين كان ممثلو الولايات المتحدة او عصبة الامم ، مثلاً ، يعرضون علينا ، ببعض الشروط ، وقف القتال ضد دينيكين وكولتشاك ، كان يخيل اليهم انهم سيضعوننا في موقف حرج . والواقع هو انهم قد وضعوا انفسهم هم في موقف حرج ، وقد احرزنا انتصاراً ديبلوماسياً عظيماً . لقد وقعوا في الفخ ، واضطروا لسحب شروطهم ، الامر الذي افتضح فيما بعد في كل المطبوعات الديبلوماسية وفي صحافة العالم اجمع . ولكن الاكتفاء بنصر ديبلوماسي شيء صغير جداً لنا . فنحن في حاجة الى علاقات تجارية حقيقية لا الى انتصارات ديبلوماسية وحسب . وما اخذت العلاقات التجارية تتطور بعض الشيء الا خلال هذه السنة . وقد طرحت مسألة العلاقات التجارية مع انجلترا . فاصبح هذا النقطة المركزية منذ الصيف الماضي . وقد القت بنا الحرب مع بولونيا بعيداً الى وراء في هذا المجال . كانت انجلترا قد باتت على استعداد للتوقيع على اتفاق تجاري . وكانت البرجوازية الانجليزية تريد هذا الاتفاق ، ولكن اوساط القصر الملكي لم تكن تريد ذلك ، وكانت تعرقله ؛ وكان ان اجلت الحرب مع بولونيا الاتفاق . ونتيجة لذلك ، ما تزال المسألة حتى الآن معلقة .

ان الصحف ، ان لم اكن مخطئا ، قد اعلنت اليوم ان كراسين قد صرح للصحافة ، في لندن ، بانه يتوقع عقد معاهدة تجارية عما قريب (١١٤) . ولست ادري ما اذا كان لهذا الامل اساس تام . وليس في وسعي ان اعلم ما اذا كانت الامور ستجري على هذا النحو حقاً ، ولكن لا بد لي ، من جهتي ، ان اقول اننا في اللجنة المركزية قد افسحنا لهذه المسألة مكاناً عظيماً ، واننا اعتبرنا تكتيك التنازلات ، من جهتنا ، تكتيكاً صائباً ، بغية الحصول على اتفاق تجاري مع انجلترا . وليس ذلك لأن

بوسعنا ان نحصل من انجلترا على اكثر مما بوسعنا ان نحصل عليه من البلدان الاخرى – فان انجلترا في هذا الصدد ليست بلداً متقدماً بقدر ما هي عليه المانيا واميركا مثلاً . ان انجلترا بلد استعماري ، له مصلحة فائقة الحد في السياسة الاسيوية ، ومفرط الحساسية احياناً بنجاحات السلطة السوفييتية في بعض البلدان الواقعة غير بعيد عن مستعمراته . ومن هنا ينبع وهن خاص في علاقاتنا مع انجلترا . وهذا وهن ناجم عن مثل هذه الكبة الموضوعية من الاسباب ، ولذا لا جدوى هنا من فن الديبلوماسيين السوفييتيين الديبلوماسي . ولكنه من المهم لنا عقد معاهدة تجارية مع انجلترا بفضل الامكانية المتوفرة لعقد معاهدة مع اميركا التي تملك من الطاقات الانتاجية اكثر بكثير .

ان مسألة الامتيازات مرتبطة بذلك ، وقد اشتغلنا بهذه المسألة خلال السنة المنصرمة اكثر مما في السابق . ففي ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ، اصدر مجلس مفوضي الشعب مرسوماً يضع مسألة الامتيازات بشكل اكثر ما يكون اهلية للقبول لدى الرأسماليين الاجانب . وحين ظهر في اوساط الحزب شيء من سوء التفاهم ، في هذا الصدد ، او من عدم كفاية الفهم ، نظمت سلسلة من الاجتماعات للعاملين المسؤولين نوقشت فيها هذه المسألة . انها ، بالاجمال ، لم تثر خلافات ، مع اننا قد سمعنا احتجاجات كثيرة من قبل العمال والفلاحين . كان يقال : «لقد طردنا رأسماليينا ، والآن يريدون دعوة الرأسماليين الاجانب الينا» . اما الى اي حد كانت هذه الاحتجاجات غير واعية ، والى اي حد كان مبعثها القسم الكولاكي او الرأسمالي الصرف من اللاحزبيين ، الذين يعتقدون ان لهم الحق المشروع في ان يكونوا رأسماليين في روسيا ، بل وفوق ذلك ، رأسماليين مزودين بالسلطة ، وليس كالرأسمال الاجنبي المحروم من السلطة ،

الى اي حد بلغ الدور الذي لعبته هذه الامور ، – فان تلك مسألة لم يكن لدى اللجنة المركزية ، بالطبع ، اية معطيات احصائية عنها ؛ اجل ، وان من المشكوك فيه ، على العموم ، ان يكون في وسع احصاء ما في العالم ان يقدر ذلك ويقدم حساباً عنه . على كل حال ، لقد خطونا ، بفضل هذا المرسوم خطوة الى امام في سبيل اقامة علاقات الامتيازات . ولا بد من القول اننا ، عملياً ، – ولا ينبغي نسيان ذلك ابداً – لم نحصل على اي امتياز . فالنقاش يدور حول ما اذا كان علينا ان نجهد للحصول عليها مهما كلف الامر . ان كون الامتياز سيوقع عليه ام لا ، لا يتوقف على مجادلاتنا وقراراتنا ، بل يتوقف على الرأسمال العالمي . ففي الاول من شباط (فبراير) هذا العام ، اصدر مجلس مفوضي الشعب قراراً آخر يتعلق بمسألة الامتيازات ، تنص المادة الاولى منه على ما يلي : «التأييد المبدئي لمنح امتيازات بترولية في غروزني وباكو ، وفي استثمارات اخرى عاملة ، والدخول في مباحثات مع التعجيل فيها» .

ان هذه المسألة لم تمر دون اثارة بعض المناقشات . فقد كان يبدو للرفاق ان من الخطأ اعطاء امتيازات في غروزني وباكو ، على وجه الضبط ، وان هذا قد يثير معارضة بين العمال . ان اللجنة المركزية باكثريتها وانا نفسي قد اخذنا بوجهة النظر القائلة بان الشكاوى قد لا تنجم عن ضرورة .

ان اللجنة المركزية باكثريتها وانا نفسي قد اخذنا بوجهة النظر القائلة بضرورة هذه الامتيازات ، وانا لنطلب منكم تدعيم وجهة النظر هذه بالمكانة التي تتمتعون بها . فهذا التحالف مع تروستات الدولة في البلدان الاخرى المتقدمة ضروري لنا كل الضرورة ما دامت الازمة الاقتصادية التي نجتازها هي من الخطورة بحيث لا نستطيع بقوانا الخاصة اعادة بناء اقتصادنا

المهدم ، بدون تجهيزات معونة تكنيكية من الخارج ، وليس يكفي مجرد جلب هذه التجهيزات . ان في الوسع اعطاء امتيازات على اساس اوسع ، ربما لاضخم السينديكات الامبريالية : ربع باكو ، ربع غروزني ، ربع احسن مواردنا الحرجية ، بحيث نؤمن لانفسنا القاعدة الضرورية بفضل تجهيزات تتفق واحدث طراز من التكنيك ؛ ومن جهة اخرى ، سنحصل بالمقابل على التجهيزات التي نحن في حاجة اليها ، لقطاع آخر . وبهذه الصورة سيكون في وسعنا اللحاق بالسينديكات الحديثة المتطورة في البلدان الاخرى ، ولو قليلاً ، ولو الى الربع ، ولو الى النصف . وبدون ذلك سيكون وضعنا شديد الصعوبة ، ولن يكون في وسعنا اللحاق بها بدون جهود هائلة ؛ هذه الحقيقة بدهية بالنسبة لجميع الذين ينظرون الى وضعنا الراهن بشيء من التبصر . لقد دخلنا في مباحثات مع بعض من اضخم التروستات العالمية . وهي ، بالطبع ، حين تدخل في مباحثات معنا لا تفعل ذلك قط بقصد تقديم خدمة لنا ، بل ان الارباح الفاحشة هي مقصدها الوحيد . ان الرأسمالية المعاصرة هي – لدى التعبير بلغة ديبلوماسيين مسالمين – قاطع طريق ، هي تروست قطاع طرق ؛ انها ليست رأسمالية عهد الزمن الطبيعي القديمة : فهي تجني مئات بالمئة من الارباح ، مستغلة احتكارها السوق العالمية . يقينا ان هذا الشيء سيكلفنا غالياً جداً ، ولكنه لا مخرج آخر ، لان الثورة العالمية لا تزال في طيات المستقبل . ليست لنا اي امكانية اخرى لرفع تكنيكنا الى مستوى العصر . واذا ما تغيرت وتيرة تطور الثورة العالمية من جراء ازمة من الازمات تغيراً حاداً في اتجاه ملائم ، واذا ما نشبت هذه الثورة في مرحلة لما تنته فيها آجال الامتيازات ، فان شروط الامتيازات لن تكون مرهقة بالمقادير المرسومة به على الورق .

في الاول من شباط (فبراير) ١٩٢١ ، قرر مجلس مفوضي الشعب شراء ١٨٥٠٠٠٠٠ بود من الفحم من الخارج ، نظراً لكون ازمة الوقود كانت تتبدى عندنا في ذلك الحين . وكان جلياً اذ ذاك اننا سننفق رصيدنا من الذهب ليس فقط لشراء تجهيزات . وقد كان من شأن هذه ان تزيد من استخراج الفحم ؛ ولو اننا كنا قد جلبنا الآلات من الخارج لتطوير صناعة الفحم ، بدلاً من استيراد الفحم ، لكنا قد مارسنا ادارة الاقتصاد على نحو احسن ؛ ولكن الازمة ظهرت على درجة من الحدة بحيث اقتضى الامر العدول عن اسلوب العمل هذا ، وهو الافضل من وجهة النظر الاقتصادية ، والقبول بالاسوأ ، وانفاق اموال لشراء الفحم الذي كان يمكن ان نستخرجه في بلدنا . وسيكون علينا القيام بتنازلات اكبر ايضاً من اجل شراء مواد استهلاكية للعمال والفلاحين .

والآن ، اود التوقف عند احداث كرونشتادت (١١٥) . لم تصلني بعد آخر انباء كرونشتادت ، ولكني لا اشك في ان هذا العصيان الذي ظهر فيه على الفور وجه الجنرالات البيض المعروف لنا ، ستتم تصفيته بعد بضعة ايام ، ان لم يكن بعد بضع ساعات . فليس يمكن ان تكون ثمة شكوك حول هذا الامر . ولكن علينا ان ندرس بعناية ما ينجم عن هذا الحدث من الدروس السياسية والاقتصادية .

فما هو مدلوله ؟ ان مدلوله هو انتقال السلطة السياسية من البلاشفة الى ايدي تكتل مائع او حلف من عناصر مختلفة ، ابعد قليلاً الى اليمين من البلاشفة ، على ما يبدو ، بل ربما ابعد منهم «الى اليسار» ، — الى هذا الحد من الضخامة بلغ ميعان مجموعة الكتل السياسية التي حاولت اخذ السلطة بيدها ، في كرونشتادت . ومن المؤكد ايضاً — وتعرفون ذلك جميعا —

ان ثمة جنرالات بيضاً قد لعبوا هناك في الوقت نفسه دوراً هاما . هذا ثابت تماماً . وقبل اسبوعين من احداث كرونشتادت ، كانت الصحف الباريسية تعلن عن حدوث عصيان في كرونشتادت . وبدهي تماماً ان هذا من عمل الاشتراكيين-الثوريين والحرس الابيض في الخارج ، وان هذه الحركة قد اتخذت ، مع ذلك ، شكل ثورة مضادة برجوازية صغيرة ، شكل فوضى برجوازية صغيرة . ان في هذا لشيئاً جديداً . وهذا الواقع ، بالاتصال مع جميع الازمات ، يجب ان يدرس بكثير من الانتباه ، وان يحلل بكثير من الدقة على الصعيد السياسي . لقد شهدنا في كرونشتادت طابعاً برجوازياً صغيراً ، فوضوياً ، مطالبا بحرية التجارة وموجهاً دائماً ضد ديكتاتورية البروليتاريا . وقد تجلت هذه الحالة النفسية على نطاق واسع جداً لدى البروليتاريا . تجلت في مؤسسات موسكو ، وتجلت في مؤسسات جملة كاملة من الاقاليم . وما من شك في ان هذه الثورة المضادة البرجوازية الصغيرة اشد خطراً من دينيكين ويودينيتش وكولتشاك مجتمعين ، ذلك لأننا حيال بلد تؤلف فيه البروليتاريا الاقلية ، حيال بلد تجلى فيه الخراب في الملكية الفلاحية ؛ ونحن ، فضلاً عن ذلك ، حيال امر مثل تسريح الجيش الذي نجمت عنه كمية خارقة من العناصر التمردية . ومهما يكن الامر في البداية صغيرا او غير كبير ، فقد كان يبدو – وكيف اقول – ان زحزحة السلطة التي نادى بها بحارة كرونشتادت وعمالها ، – وقد كانوا يريدون اعادة البلاشفة الى جادة الصواب في مجال حرية التجارة – كان يبدو انها ليست كبيرة ، وان الشعارات كانت هي نفسها : «السلطة السوفييتية» ، مع تعديل طفيف او مجرد تصحيح ، – اما في الواقع ، فان العناصر اللاحزبية لم تكن هنا غير موطىء ، غير درجة ، غير جسر جاء عليه الحرس الابيض . ان هذا ، من الناحية

السياسية ، امر لا مناص منه . ففي الثورة الروسية ، شهدنا عناصر برجوازية صغيرة ، عناصر فوضوية كافحناها عشرات السنين . ومنذ شباط (فبراير) ١٩١٧ ، شهدنا هذه العناصر البرجوازية الصغيرة تعمل اثناء الثورة الكبرى ، وشهدنا احزاباً برجوازية صغيرة تحاول ان تعلن ان برنامجها قليلاً ما يختلف عن برنامج البلاشفة ، الا انها تحققه باساليب اخرى . ونحن نعرف ذلك لا بتجربة انقلاب اكتوبر وحسب ، بل كذلك بتجربة مناطق الاطراف ، الاجزاء المختلفة التي دخلت الامبراطورية الروسية السابقة ، والتي حل فيها ممثلو سلطة اخرى محل السلطة السوفييتية . لنتذكر اللجنة الديموقراطية في سامارا ! (١١٦) كانوا جميعاً يأتون بشعارات الحرية ، والمساواة ، والجمعية التأسيسية وتبين مراراً ، لا مرة واحدة ، انهم مجرد درجة وجسر للانتقال الى سلطة الحرس الابيض .

ومن كل هذه التجربة ، ينبغي لنا ان نستخلص جميع الاستنتاجات النظرية التي لا مناص منها بالنسبة للماركسي ، لأن السلطة السوفييتية تتأرجح من جراء الوضع الاقتصادي . ان تجربة اوروبا بأسرها تبين عملياً الى اي شيء تؤدي محاولة الجلوس بين كرسيين . لذلك ينبغي ان نقول حول هذا الامر بالضبط ان الاحتكاكات السياسية تؤلف هنا اشد الخطر . فينبغي ان نتأمل بانتباه في هذه الثورة المضادة البرجوازية الصغيرة التي تتقدم بشعارات حرية التجارة . ان حرية التجارة ، حتى وان لم تكن في البدء مرتبطة بالحرس الابيض مثلما كانت كرونشتادت مرتبطة به ، تؤدي مع ذلك ، بلا مرد ، الى فتنة الحرس الابيض هذه ، الى انتصار الرأسمال ، الى عودته كلياً . واكرر قولي انه ينبغي لنا ان ندرك بوضوح هذا الخطر السياسي .

ان هذا الخطر يؤكد ما قلته بصدد مجادلاتنا حول المناهج * ؛ وحيال هذا الخطر يجب ان ندرك اننا ملزمون ليس فقط بالكف شكلياً عن المناقشات داخل الحزب ، — واكيد اننا سنفعل ذلك ، — ولكن هذا قليل ! ان علينا ايضاً ان لا ننسى اننا ملزمون بمباشرة المسألة على نحو اكثر جدية .

ينبغي ان نفهم انه لا يسعنا ، في ظروف ازمة الاقتصاد الفلاحي ، ان نبقى قيد الوجود الا بالاستنجاد بهذا الاقتصاد الفلاحي من اجل مساعدة المدينة والقرية . ويجب ان نتذكر ان البرجوازية تعمل جاهدة لاثارة الفلاحين على العمال ، ولاثارة العناصر البرجوازية الصغيرة الفوضوية عليهم تحت شعارات العمال ، الامر الذي يؤدي مباشرة الى سقوط ديكتاتورية البروليتاريا ، وبالتالي الى اعادة الرأسمالية ، الى اعادة سلطة الملاكين العقاريين والرأسماليين السابقة . هنا الخطر السياسي واضح للعيان . وهذا هو الدرب الذي سارت عليه جملة من الثورات بصورة جلية تماماً ؛ لقد اشرنا الى هذا الدرب دائماً . وهذا الدرب مرتسم امامنا بوضوح . انه ، بلا جدال ، يتطلب من حزب الشيوعيين الحاكم ، ومن العناصر الثورية القيادية من البروليتاريا ، سلوكاً مختلفاً عن السلوك الذي اتخذناه دائماً وابداً خلال هذه السنة . ان هذا الخطر يتطلب ، بلا جدال ، مزيداً من التلاحم ، مزيداً من الانضباط ، مزيداً من التماسك في العمل ! فمحال ، بدون ذلك ، التغلب على الاخطار التي كتبت علينا .

وثمة بعد ذلك مسائل اقتصادية . ماذا يعني شعار حرية التجارة هذا ، الذي تتقدم به العناصر البرجوازية الصغيرة ؟

---

* راجعوا هذا الكتاب ، ص ٣٢٦ — ٣٢٨ . **الناشر** .

انه يدل على ان العلاقات بين البروليتاريا وصغار المزارعين تنطوي على مشاكل بالغة الصعوبة لم نأت بعد بحل لها . اني اتحدث عن العلاقات بين البروليتاريا الظافرة وصغار المزارعين في الوقت الذى تتطور فيه الثورة البروليتارية في بلد تؤلف فيه البروليتاريا اقلية ، وتتألف فيه اكثرية السكان من عناصر برجوازية صغيرة . ان دور البروليتاريا ، في مثل هذا البلد ، هو قيادة انتقال هؤلاء الملاكين الصغار الى العمل الذي يتسم بالطابع الاجتماعي ، الجماعي ، المشترك . نظرياً ، ليس في هذا الامر جدال . وقد باشرنا هذا الانتقال في جملة من الوثائق التشريعية ، ولكننا نعلم ان الامر امر تحقيق عملي ، لا امر وثائق تشريعية ، ونحن نعلم ان هذا ممكن التحقيق حين تكون ثمة صناعة ضخمة جبارة قادرة على ان تقدم للمنتج الصغير خيرات ، بحيث يرى ، عملياً ، ميزات هذا الاقتصاد الكبير .

هكذا وضعت دائماً هذه المسألة نظرياً من قبل الماركسيين وجميع الاشتراكيين الذين كانوا يفكرون في الثورة الاجتماعية وفي مهماتها . اما عندنا ، فان الصفة المميزة الاولى ، وعلى وجه التحديد تلك التي تحدثت عنهـا ، هي صفة خاصة بروسيا الى ابعد حد : فالبروليتاريا ليست في بلدنا اقلية وحسب ، بل اقلية زهيدة ، بينما تتألف اكثرية السكان العظمى من الفلاحين . اما الظروف التي وجب علينا فيها الدفاع عن الثورة ، فقد جعلت تحقيق مهماتنا في اقصى درجات الصعوبة . فنحن لم نستطع ان نظهر عمليا جميع ميزات الانتاج الكبير ، ما دام هذا الانتاج مهدّما ، ما دام يعيش حياة مزرية ، وليس في الامكان اعادة تكوينه الا بفرض تضحيات على هؤلاء المزارعين الصغار انفسهم . فمن الواجب انهاض الصناعة ، ولكن لا بد لذلك من وقود ، والوقود ، هو الحطب ، اذن ، لا بد من الرجوع الى الفلاح والى حصانه .

وفي ظروف الازمة ، وقلة الاعلاف وتلف الماشية ، لا بد للفلاح من تقديم قرض للسلطة السوفييتية – في سبيل الصناعة الكبيرة التي لا تقدم له حتى الآن شيئاً . ذلك هو الوضع الاقتصادي الذي يخلق صعوبات هائلة ، ذلك هو الوضع الذي يفرض علينا ان نفكر في شروط الانتقال من الحرب الى السلم بمزيد من الانتباه . ففي وقت الحرب لا نستطيع ممارسة ادارة الاقتصاد من غير ان نقول للفلاحين : «يجب ان تعطوا قرضاً لدولة العمال والفلاحين ، لتمكينها من الخروج من الوضع الصعب» . وحين نوجه كل انتباهنا الى ترميم الاقتصاد ، يجب ان نعرف اننا نتعلمل مع المزارع الصغير ، مع الملاك الصغير ، مع المنتج الصغير الذي سيشتغل من اجل التبادل البضاعي الى ان يتم الانتصار التام للانتاج الكبير ، الى ان يتم ترميمه . وهذا الترميم لن يكون في الوسع تحقيقه على الاساس القديم . وسيحتاج ذلك الى سنوات عديدة ، الى عشرات من السنين على الاقل ، واكثر من ذلك على الارجح ، نظراً لما نحن فيه من خراب . وبانتظار ذلك ، سيكون علينا ، خلال سنوات طوال ، ان نتعامل مع المنتج الصغير كما هو ، وسيكون شعار حرية التجارة شعاراً لا مناص منه . وخطر هذا الشعار ليس في انه يستر مرامي الحرس الابيض والمناشفة ، انما خطره في انه قد يتسع ، برغم حقد جمهور الفلاحين نفسه على الحرس الابيض . انه سينتشر على وجه الضبط لانه يتوفق والظروف الاقتصادية لحياة المنتجين الصغار . وانطلاقاً من هذه الاعتبارات اتخذت اللجنة المركزية قراراً وفتحت مناقشة حول موضوع الاستعاضة عن المصادرة بضريبة . وهي اليوم قد طرحت هذه المسألة على المؤتمر بصراحة ، وقد استحسنتموها بقراركم اليوم . ان مسألة الضريبة والمصادرة موضوعة في تشريعنا منذ وقت طويل ، منذ نهاية ١٩١٨ . ان

القانون المتعلق بالضريبة مؤرخ في ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ . وهذا القانون القاضي بجباية ضريبة عينية من الفلاحين قد تم اقراره ، الا انه لم يطبق . واعقبت سن هذا القانون عدة تعليمات صدرت خلال عدة شهور ، وظل هذا القانون غير مطبق . ومن جهة اخرى ، كانت مصادرة الفائض لدى استثمارات الفلاحين تدبيراً فرضته ظروف الحرب علينا فرضاً لا مفر منه ، الا انه لا يتفق قط وظروف حياة الاقتصاد الفلاحي السلمية بعض الشيء . فينبغي ان يكون الفلاح على يقين من انه ، بعد اداء قسم من انتاجه للدولة ، يستطيع التصرف بالباقي في السوق المحلية .

لقد كان اقتصادنا كله ، سواء بمجموعه ام بكل من اجزائه ، يحمل من اوله لآخره طابع ظروف زمن الحرب . وبناء على هذه الظروف ، كان علينا ان نجعل هدفنا جمع كمية معينة من المواد الغذائية من غير ان نهتم بما قد يؤدي اليه ذلك من تأثيرات على التداول العام . واليوم ، اذ ننتقل من مشاكل الحرب الى مسائل السلم ، اخذنا ننظر الى الضريبة العينية نظرة مغايرة تماماً : فنحن لا نأخذ فقط بوجهة نظر ضمان الدولة ، بل كذلك بوجهة نظر ضمان الاستثمارات الزراعية الصغيرة . فلزام علينا ان نفهم الاشكال الاقتصادية لنقمة صغار المزارعين على البروليتاريا ، الاشكال التي تجلت وتتفاقم مع الازمة الراهنة . يجب ان نحاول عمل الحد الاقصى في هذا الميدان . هذه اعظم مهماتنا شأنا . يجب ان نعطي الفلاح شيئا من حرية التداول المحلي ، يجب ان نستعيض عن المصادرة بالضريبة ، لكي يتمكن الملاك الصغير من حساب انتاجه حسابا احسن وتحديد مقدار انتاجه وفقا للضريبة . ونحن نعلم ، بالطبع ، ان تحقيق هذا صعب جداً ، في الوضع الذي نحن فيه .

فالمساحة المزروعة ، ومردود الارض ، ووسائل الانتاج ، — كل هذا قد نقص ؛ والفوائض اصبحت ، بلا شك ، اقل ضخامة ، وهي منعدمة تماماً في عدد كبير من الحالات . يجب اعتبار هذه الظروف بوصفها وقائع . فالفلاح لا بد ان يحتمل بعض الجوع لكي يجنب المعامل والمدن المجاعة الكاملة . وهذا ، من وجهة النظر العامة للدولة ، امر مفهوم تماماً ، ولكننا لا نحسب اننا قادرون على افهامه الفلاحين الملاكين المفتقرين ، المبعثرين . ونحن نعلم اننا لن نستطيع فعل شيء في هذا الميدان بدون ارغام ، الامر الذي يحدث رد فعل شديداً جداً من جانب الفلاحين الذين حل بهم الخراب . وليس ينبغي ايضاً ان نتصور ان هذا التدبير سيخلصنا من الازمة . ولكننا في الوقت نفسه نعتزم القيام باقصى التنازلات من اجل خلق ظروف مؤاتية قدر الامكان تتيح للمنتج الصغير اظهار قواه . لقد كنا ، حتى الآن ، نتماشى ومهمات الحرب . وعلينا الآن ان نتماشى وظروف زمن السلم . ان هذه المهمة قامت امام اللجنة المركزية ، انها مهمة الانتقال الى نظام الضريبة العينية ، في حال وجود السلطة البروليتارية ، وحلها مرتبط وثيق الارتباط بالامتيازات . وهذه المهمة ستناقش مناقشة خاصة من قبلكم ، وهي تتطلب انتباهاً خاصاً . فبالامتيازات تستطيع السلطة البروليتارية ان تؤمن لنفسها اتفاقاً مع حكومات البلدان الرأسمالية المتقدمة . وهذا الاتفاق سيمكن من تقوية صناعتنا ، الامر الذي لا نستطيع بدونه التقدم في الطريق المؤدية الى النظام الشيوعي ؛ ومن جهة اخرى ، لا بد في هذه المرحلة الانتقالية ، في بلد ترجح فيه كفة الفلاحين ، من القدرة على الانتقال الى تدابير لضمان الفلاحين اقتصادياً ، الى الحد الاقصى من التدابير في سبيل تحسين وضعهم الاقتصادي . فبما اننا لم نحول الفلاحين ، وبما ان الصناعة الكبيرة لم تحولهم ، فلا

بد من اعطائهم امكانية ادارة استثماراتهم بحرية . الوضع الذي نحن فيه الآن غير واضح المعالم ؛ ان ثورتنا مطوقة ببلدان رأسمالية . وما دمنا في هذا الوضع ، فنحن ملزمون بالبحث عن اشكال في غاية التعقيد للعلاقات المتبادلة . وما كان في وسعنا ، ونحن مثقلون باحمال الحرب ، تركيز انتباهنا على كيفية تنظيم العلاقات الاقتصادية بين سلطة الدولة البروليتارية التي تملك صناعة ضخمة مصابة بالخراب الى درجة لا يتصورها العقل ، وكيفية ايجاد اشكال التعايش مع صغار المزارعين الذين يظلون ، في هذه الاثناء ، مزارعين صغاراً ولا يمكن ان يوفروا لانفسهم البقاء اذا لم يؤمن لاستثماراتهم الصغيرة نوع ما من نظام المبادلات . وفي اعتقادي ان هذه الآن اهم مسألة اقتصادية وسياسية لدى السلطة السوفييتية . وفي اعتقادي ان هذه المسألة توجز النتائج السياسية لعملنا ، في الوقت الذي انتهينا فيه من مرحلة الحرب ، وبدأنا فيه ، خلال السنة التي نحن بصددها ، الانتقال الى حالة السلم .

ان هذا الانتقال ينطوي على مقدار من المصاعب الضخام ، ويكشف العنصر البرجوازي الصغير على قدر من الوضوح بحيث ينبغي ان ننظر اليه نظرة متبصرة . اننا ننظر الى هذه الظاهرات آخذين بوجهة نظر النضال الطبقي ، ونحن لم نذهب قط مع الاوهام بشأن واقع ان العلاقات بين البروليتاريا والبرجوازية الصغيرة مسألة صعبة تتطلب ، من اجل انتصار السلطة البروليتارية ، ان تتخذ تدابير معقدة او ، بتعبير اصح ، جملة كاملة من التدابير الانتقالية المعقدة . وواقع كوننا قد اصدرنا في نهاية عام ١٩١٨ مرسوماً يقرر الضريبة العينية يبرهن ان هذه المسألة كانت ماثلة في اذهان الشيوعيين ، الا اننا لم نستطع

تطبيقها نتيجة للظروف الحربية . ففي حالة الحرب الاهلية اضطررنا للجوء الى تدابير ايام الحرب . الا انه سيكون من اضخم الاخطاء ان يراد الاستخلاص من ذلك ان مثل هذه التدابير والعلاقات هي وحدها الممكنة . فمن شأن هذا ان يعني بالتأكيد انهيار السلطة السوفييتية وديكتاتورية البروليتاريا . فحين يتحقق الانتقال الى حالة السلم في ظروف الازمة الاقتصادية ، يجب التذكر بان بناء دولة بروليتارية في بلد مجهز بانتاج كبير اسهل من بنائها في بلد يسوده الانتاج الصغير . ان هذه المهمة تتطلب جملة كاملة من اساليب معالجة الامور ، ونحن لا نغمض عيوننا قط عن هذه الصعاب ، ولا ننسى قط ان البروليتاريا شيء والانتاج الصغير شيء آخر . اننا لا ننسى ان ثمة طبقات مختلفة ، وان الثورة المضادة البرجوازية الصغيرة الفوضوية هي درجة سياسية نحو الحرس الابيض . يجب ان ننظر الى هذه الامور وجها لوجه ، بفكر بصير ، معترفين بان الامر هنا يتطلب ، من جهة ، اقصى درجات التلاحم والجلد والانضباط ضمن الحزب البروليتاري ، ويتطلب ، من جهة اخرى ، جملة كاملة من التدابير الاقتصادية التي لم يكن في وسعنا تطبيقها حتى الآن نتيجة للظروف الحربية . يجب ان ندرك ضرورة الامتيازات ، وشراء الآلات والادوات تلبية لحاجات الزراعة ، لمبادلتهم مقابل الحبوب ، من اجل اقامة علاقات بين البروليتاريا والفلاحين تؤمن لنا وجودها في زمن السلم . واني لآمل بان نعود الى هذه المسألة التي لها في نظري ، واكرر ذلك ، اهمية كبرى . ان السنة المنصرمة التي يجب ان توصف بانها عهد انتقال من الحرب الى السلم ، تضع امامنا مهمات صعبة الى اقصى حد .

وفي الختام ، سأقول كلمة حول النضال ضد البيروقراطية ، المسألة التي استغرقت كثيراً جداً من الوقت . منذ صيف السنة الماضية ، كانت هذه المسألة موضوعة في اللجنة المركزية ؛ وفي آب (اغسطس) ، عالجتها اللجنة المركزية في رسالة موجهة الى جميع المنظمات ؛ وفي ايلول (سبتمبر) وضعت في المجلس العام للحزب ، واخيراً ، في كانون الاول (ديسمبر) وضعت على نطاق اوسع في مؤتمر السوفييتات . ان قرحة البيروقراطية موجودة بالتأكيد ؛ هذا امر معترف به ، ولا بد من النضال ضدها نضالاً حقيقياً . اكيد ان بعض المناهج ، خلال المناقشة التي لاحظناها ، كانت تضع هذه المسألة بخفة ، لكي لا نقول اكثر من هذا ، وغالباً ما كانت هذه المسألة تبحث من وجهة نظر برجوازية صغيرة . ومن المؤكد انه قد تبدى في الآونة الاخيرة الغليان والاستياء بين العمال اللاحزبيين . وبجلاء اظهرت اجتماعات اللاحزبيين في موسكو انهم كانوا يتخذون من الديموقراطية والحرية شعاراً يؤدي الى الاطاحة بالسلطة السوفييتية . وقد ناضل كثير من ممثلي «المعارضة العمالية» او بعض منهم على الاقل ، ضد هذا الشر ، ضد هذه الروح البرجوازية الصغيرة المعادية للثورة ، وكانوا يقولون : «سنتحد ضد هذا» . وقد برهنوا فعلاً على اقصى التلاحم . ولست ادري ما اذا كان جميع انصار زمرة «المعارضة العمالية» والزمر الاخرى التي لها منهج نصف سنديكالي ، هم على هذا النحو . من المهم ان نعرف في هذا المؤتمر عن هذا على وجه احسن ، فلا بد ان ندرك ان النضال ضد البيروقراطية ضروري كل الضرورة ، وان فيه من التعقيد قدر ما في النضال ضد العنصر البرجوازي الصغير . فقد اصبحت البيروقراطية في جهاز الدولة لدينا مرضاً هو من الخطورة بحيث

يتناوله برنامج حزبنا ؛ ذلك لان البيروقراطية ذات صلة بهذا العنصر البرجوازي الصغير وبتشتته . وليس يمكن التغلب على هذه الامراض الا باتحاد الشغيلة ، لكي يتعلموا ليس فقط الهتاف لمراسيم التفتيش العمالي والفلاحي – فلدينا الكثير واكثر من الكثير من المراسيم المستقبلة بالهتاف – بل لكي يتعلموا كذلك ممارسة حقهم عن طريق التفتيش العمالي والفلاحي ، الامر الذي لا يشاهد في هذه الاثناء لا في القرى وحسب بل في المدن ايضاً ، وحتى في العواصم ! وغالبا ما لا يعرفون ممارسته حتى في الاماكن التي يتعالى فيها اشد الصراخ ضد البيروقراطية . ان هذا الواقع يجب ان يكون موضع الانتباه الاشد .

ويحدث غالبا ما يلي : ان بعضاً من بين الذين يحاربون هذا الشر يريدون ، ربما باخلاص ، ان يساعدوا الحزب البروليتاري ، والديكتاتورية البروليتارية ، والحركة البروليتارية ، الا انهم في الواقع يساعدون العناصر الفوضوية البرجوازية الصغيرة التي انكشف امرها مراراً ، خلال الثورة ، بوصفها اشد اعداء ديكتاتورية البروليتاريا خطراً . واليوم – وهذا هو الاستنتاج الاساسي والدرس الرئيسي المستخلص من هذا العام – قد انكشف امر هذه العناصر مرة اخرى بوصفها العدو الاخطر ، القابل لاكتساب العدد الاكبر من الانصار ولأن يكون له السند الاكبر في بلد كبلدنا ، والقابل لتغيير مزاج الجماهير الواسعة ، والقابل حتى لكسب جزء من العمال اللاحزبيين . واذ ذاك يغدو وضع الدولة البروليتارية شديد الخطورة . فاذا لم ندرك ذلك ، اذا كنا لا نحسن استخلاص هذا الدرس ، اذا كنا لا نجعل من هذا المؤتمر نقطة انعطاف في سياستنا الاقتصادية وكذلك في اتجاه التلاحم الاوثق للبروليتاريا ، – فسيكون من الحق ان توجه الينا

كلمات كئيبة وان يقال اننا لم ننس شيئا من تلك الامور السخيفة الجوفاء احياناً التي يجدر ان يطويها النسيان ، ولم نتعلم شيئاً من الامور الكبار التي كان ينبغي ان نتعلمها خلال هذا العام من الثورة . وانـــي لآمـــل بان هذا لن يكون ! **(تصفيق عاصف .)**

«البرافدا» ، العدد ٥٣ ، و«ازفيستيـــا فتسيك» («انباء اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيـــا») ، العدد ٥٣ ، ١٠ آذار (مارس) ١٩٢١

المجلد ٤٣ ، ص‌ص ٧–٣٣

٢

تقرير حول الاستعاضة عن المصادرة بالضريبة العينية ١٥ آذار (مارس)

ايها الرفاق ، ان الاستعاضة عن المصادرة بالضريبة العينية هي ، قبل كل شيء ، وفوق كل شيء ، مسألة سياسية ، لأن جوهر هذه المسألة يكمن في موقف الطبقة العاملة من طبقة الفلاحين . واذا طرحنا المسألة على هذا النحو ، فان هذا يعني انه ينبغي لنا ان نعيد النظر ، بل قد اقول ان نعيد النظر بمزيد من العناية والسداد ، في العلاقات بين هاتين الطبقتين الرئيسيتين ، اللتين يقرر النضال او التفاهم بينهما مستقبل كل ثورتنا . ولا حاجة الى التوقف طويلاً حول اسباب اعادة النظر هذه . لا ريب انكم جميعكم تعلمون جيداً جداً اي تراكم من الاحداث ، ولا سيما على اثر استفحال البؤس الناجم عن الحرب والخراب وتسريح الجنود ورداءة الموسم القصوى ، — اي تراكم من الاحداث والظروف قد جعل وضع الفلاحين مضنياً جداً ، حرجاً جداً ، وعزز بصورة حتمية ميلهم عن البروليتاريا نحو البرجوازية .

كلمتان حول الاهمية النظرية لهذه المسألة او حول طريق بحثها من الوجهة النظرية . لا سبيل الى الشك في انه لا يمكن انجاز الثورة الاشتراكية في بلد تتكون فيه اغلبية السكان الساحقة

من منتجين زراعيين صغار الا بجملة من التدابير الانتقالية الخاصة ، التي لا حاجة اليها اطلاقاً في البلدان الرأسمالية المتطورة ، حيث العمال الاجراء في الصناعة والزراعة يشكلون الاغلبية الكبرى . ففي البلدان الرأسمالية المتطورة ، طبقة من الاجراء الزراعيين تشكلت خلال عشرات السنين . فقط مثل هذه الطبقة من شأنها ان تكون سنداً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً لدن الانتقال المباشر الى الاشتراكية . وفقط في البلدان التي بلغت فيها هذه الطبقة درجة كافية من التطور يمكن الانتقال مباشرة من الرأسمالية الى الاشتراكية ، دون اتخاذ تدابير انتقالية خاصة على صعيد الدولة . وقد اشرنا في عدد من مؤلفاتنا ، وفي جميع خطاباتنا واحاديثنا ، وفي عموم الصحافة ، الى ان الحالة تختلف في روسيا حيث عمال الصناعة اقلية وحيث صغار المزارعين اغلبية كبيرة . ففي بلد كهذا ، لا يمكن للثورة الاشتراكية ان تنتصر نهائياً الا بشرطين . الشرط الاول ان تدعمها ، في الوقت المناسب ، الثورة الاشتراكية في بلد او عدة بلدان متقدمة . وتعلمون اننا بذلنا من الجهود اكثر بكثير مما مضى من اجل تحقيق هذا الشرط ، ولكننا لم نبذل الجهود الكافية لكي يغدو هذا الشرط امراً واقعاً .

اما الشرط الثاني ، فهو التفاهم بين البروليتاريا التي تمارس ديكتاتوريتها او التي تتسلم زمام سلطة الدولة ، وبين اغلبية السكان الفلاحين . ان التفاهم فكرة واسعة جداً تشمل عدداً من التدابير والمراحل . ويجب القول هنا انه ينبغي لنا ان نطرح المسائل بصراحة في حقل الدعاية والتحريض . فالذين يفهمون بالسياسة اساليب حقيرة تقتصر احياناً حتى على الكذب ، انما ينبغي ان نوجه لهم اشد اللوم حزماً . ينبغي اصلاح اخطائهم . فلا يمكن خداع طبقات بكليتها . وقد فعلنا كثيراً

جداً في مدى ثلاث سنوات لكي نرفع وعي الجماهير السياسي . فالنضال الحاد هو الذي ينيرها على خير وجه . ووفقاً لمفهومنا عن العالم ، ولتجربتنا الثورية خلال عشرات السنين ودروس ثورتنا ، ينبغي لنا ان نطرح المسائل بصورة جبهية : ان مصالح هاتين الطبقتين مختلفة ، فالمزارع الصغير لا يريد ما يريده العامل .

ونحن نعلم ان التفاهم مع الفلاحين هو وحده القادر على انقاذ الثورة الاشتراكية في روسيا بانتظار ان تنفجر الثورة في البلدان الاخرى . على هذا النحو ينبغي ان نقول ذلك بكل وضوح ، في جميع الاجتماعات وفي جميع الصحف . نحن نعرف ان هذا التفاهم بين الطبقة العاملة والفلاحين غير مكين ، — هذا اذا شئنا ان نستخدم تعبيراً ملطفاً دون ان نسجل هذا التعبير «الملطف» في المحضر ، — واذا تكلمنا صراحة ، فهو اسوأ من ذلك بكثير . وفي كل حال ، ينبغي ألاّ نسعى الى اخفاء اي امر كان ، انما ينبغي لنا ان نقول بكل صراحة ان الفلاحين مستاؤون من شكل العلاقات القائمة عندنا ، انهم لا يريدون هذه العلاقات وانهم لا يريدون ان يعيشوا بعد اليوم على هذا النحو . هذا امر لا جدال فيه . وقد تأكدت ارادة الفلاح هذه بكل جلاء . وهي ارادة الجماهير الغفيرة من السكان الكادحين . وينبغي لنا ان نأخذها بعين الاعتبار ، ونحن ساسة على قدر كاف من صفاء الذهن والبصيرة كي نقول علنا : لنعد النظر في سياستنا ازاء الفلاحين . فلا يمكن ابقاء الوضع القائم حتى الآن اكثر من ذلك .

ينبغي ان نقول للفلاحين : الرغبة في العودة الى وراء ، الرغبة في اعادة الملكية الخاصة والتجارة الحرة بكليتهما ، انما تعني العودة حتماً وبكل تأكيد الى الرضوخ لسلطة الملاكين العقاريين والرأسماليين . والدليل ، عدد كبير من الامثلة التاريخية

ومن امثلة الثورات . ومما يؤكد ايضاً حتمية هذه العودة ، تحليل صغير جداً نستوحيه من الف باء الشيوعية ، من الف باء الاقتصاد السياسي . فلنحاول اذاً استجلاء المسألة . «أثمة فائدة للفلاحين ، ام ، لا في الانفصال عن البروليتاريا من اجل الرجوع ، – والافساح في المجال امام البلاد للرجوع – الى سلطة الرأسماليين والملاكين العقاريين ؟ احسبوا ، لنحسب معاً» .

نحن نعتقد ، من جهتنا ، اننا اذا حسبنا بصورة صحيحة ، جاء الحساب لصالحنا ، رغم اننا ندرك الخلاف العميق بين ما للبروليتاريا والمزارع الصغير من مصالح اقتصادية .

ومهما كان عليه وضعنا من صعوبة من حيث الموارد ، فينبغي ارضاء مطالب الفلاحين المتوسطين . لقد اصبح عدد الفلاحين المتوسطين اكثر بكثير مما مضى ، وامّحت التناقضات ، ووزعت الارض بصورة اعدل بكثير من ذي قبل ، وحصر الكولاكي ، وصودرت املاكه الى حد ملحوظ – في روسيا اكثر مما في اوكرانيا ، وفي سيبيريا اقل . ولكن ، بالاجمال ، تثبت الاحصاءات بما لا يقبل الجدل ان الريف قد غدا في مستوى واحد ، قد تساوى ، اي ان ميل الفلاحين القوي نحو ان يصبحوا اما كولاكاً واما فلاحين بلا ارض محروثة ، قد خف بصورة محسوسة . وكل شيء غدا متساوياً اكثر من ذي قبل ، وبلغ الفلاحون بالاجمال مستوى الفلاحين المتوسطين .

هل نستطيع ان نرضي هؤلاء الفلاحين المتوسطين بوصفهم فلاحين متوسطين ، وبما فيهم من خصائص اقتصادية وما لهم من جذور اقتصادية ؟ واذا كان وجد بين الشيوعيين من يحلم بتحويل اساس الزراعة الصغيرة الاقتصادي ، بتحويل جذورها الاقتصادية ، في مدى ثلاث سنوات ، فلا بد انه كان ، بالطبع ، من ذوي التفكير الخيالي . وبهذا الصدد ينبغي الاعتراف بان ذوي التفكير

الخيالي كانوا عديدين في وسطنا . وليس في هذا اي ضرر خاص . وبالفعل ، كيف كان بالامكان في بلد كهذا البلد البدء بالثورة الاشتراكية دون ذوي التفكير الخيالي هؤلاء ؟ يقيناً ان النشاط العملي قد بيّن اي دور هائل قد تلعبه شتى التجارب والمساعي في ميدان ادارة الاقتصاد الزراعي التعاوني . ولكن النشاط العملي بيّن ايضاً ان هذه التجارب ، بوصفها تجارب ، قد لعبت كذلك دوراً سلبياً ، حين كان يمضي بعض الناس الى الريف ، بدافع من اطيب النوايا ، لكي يؤسسوا كومونات ، تعاونيات ، دون ان يعرفوا كيف يديرون الامور ، اذ كانت تنقصهم التجربة التعاونية . ان تجربة هذه الاستثمارات التعاوتية لا تفعل غير ان تقدم المثال على الطريقة التي لا ينبغي اتباعها لادارة الامور : فان الفلاحين المجاورين يضحكون او يشمتون .

وتعلمون جيداً ان هذه الامثلة كانت متوفرة . واكرر قولي ان ليس في الامر ما يدعو الى الغرابة والدهشة ، لان تحويل المزارع الصغير ، تحويل كل ذهنيته وعاداته ، انما هو مهمة اجيال بكليتها . فقط الاساس المادي ، والتكنيك ، واستخدام التراكتورات والآلات في الزراعة على نطاق واسع ، والكهربة على نطاق كبير ، فقط هذه العوامل بوسعها ان تحل هذه المسألة بالنسبة للمزارع الصغير ، ان تصلح كل ذهنيته ، اذا جاز القول . تلك هي العوامل التي كان بوسعها ان تبدل المزارع الصغير رأساً على عقب وبسرعة كبيرة . وعندما اقول انه تنبغي اجيال بكليتها ، فاني لا اعني ابداً ان ذلك يتطلب قروناً . انكم تدركون جيداً انه تنبغي عشرات السنين على الاقل من اجل الحصول على تراكتورات وآلات ومن اجل كهربة بلاد شاسعة . ذلك هو الوضع الموضوعي .

ينبغي لنا ان نبذل جهدنا لتلبية مطالب الفلاحين غير الراضين ، المستائين والمستائين عن حق ، والذين لا يمكن لهم ألا يكونوا مستائين . ينبغي ان نقول لهم : «فعلاً ، هذا الوضع لا يمكن ان يستمر» . كيف العمل لارضاء الفلاح ، وما يعني ارضاؤه ؟ اين الجواب على هذا السؤال : كيف العمل لارضاء الفلاح ؟ انه ، بالطبع ، في مطالب الفلاحين بالذات . ونحن نعرفها . ولكن المقصود التثبت منها ، واعادة النظر ، على ضوء العلم الاقتصادي ، في كل ما نعرفه عن مطالب المزارع الاقتصادية . واذ ننكّب على هذه المسألة ، نقول في انفسنا حالاً : يمكن ، في الجوهر ، ارضاء المزارع الصغير بطريقتين . اولاً ، ينبغي نوع من حرية التبادل ، للمالك الصغير الخاص ، وثانياً ، ينبغي الحصول على بضائع ومنتجات غذائية . فما هي حرية التبادل هذه حين لا يكون ثمة ما يبادل به ، وما هي حرية التجارة هذه حين لا يكون ثمة ما يتاجر به ! ان هذه الحرية لن تكون سوى قصاصة من ورق ، لا يسعها ان ترضي الطبقات ، اذ ينبغي لها اشياء مادية . وهذان الشرطان ، ينبغي ادراكهما جيد الادراك . وسنتحدث فيما بعد عن الشرط الثاني : كيف العمل لكي نحصل على بضائع ، وما اذا كنا نستطيع الحصول عليها . اما الشرط الاول ، وهي حرية التبادل ، فينبغي ان نبحثه .

ما هي حرية التبادل ؟ انها حرية التجارة . والحال ان حرية التجارة ، انما تعني العودة الى الرأسمالية . ان حرية التبادل وحرية التجارة ، انما تعنيان تبادل البضائع بين صغار المالكين . فنحن جميعنا الذين درسنا الف باء الماركسية على الاقل ، نعرف ان من هذا التبادل ومن حرية التجارة هذه ينجم ، بلا مناص ، انقسام منتجي البضائع الى مالكي رأسمال ومالكي قوة عمل ، ينجم الانقسام الى رأسماليين وعمال اجراء اي اعادة

عبودية العمل المأجور الرأسمالية التي لا تهبط من السماء ، بل تولد في العالم بأسره من الاقتصاد الزراعي البضاعي على وجه الدقة . وهذا ما نعرفه جيداً جداً نظرياً ، وجميع الذين راقبوا في روسيا عن كثب حياة المزارع الصغير واوضاعه الاقتصادية لا بد انهم رأوا ذلك .

ثمة سؤال يوضع : ولكن ، هل يستطيع الحزب الشيوعي ان يقر بحرية التجارة وينتقل اليها ؟ أليس ثمة في ذلك تناقضات لا حل لها ؟ على هذا السؤال ، تنبغي الاجابة ان حل القضية عملياً هو ، بالطبع ، في اقصى الصعوبة . واني اتوقع ، واعرف من محادثاتي مع الرفاق ، ان المشروع التمهيدي للاستعاضة عن المصادرة بالضريبة ، وهو المشروع الذي وزّع عليكم ، يستثير اكثر ما يكون من المسائل ، المشروعة والمحتومة ، حول القبول بالتبادل في حدود التداول الاقتصادي المحلي . وقد ورد ذلك في آخر الفقرة الثامنة . فما معنى هذا القول ، كيف نحدد حدود هذا التبادل ، كيف نحققها ؟ اذا ظن المرء بانه سيتلقى في هذا المؤتمر جواباً عن هذا السؤال ، فهو على خطأ . فان تشريعنا هو الذي سيجيب ، ومهمتنا ان نرسم الخطة المبدئية ، ان نصوغ الشعار . ان حزبنا حزب يتسلم زمام الحكم ، والقرار الذي يتخذه مؤتمر الحزب يكون الزامياً في عموم الجمهورية ؛ انما ينبغي لنا ان نحل هنا هذه المسألة من حيث المبدأ . ينبغي لنا ان نحلها من حيث المبدأ ، وان نبلغ جماهير الفلاحين هذا الحل ، لاننا على ابواب اعمال البذر . ثم انه ينبغي هز وتحريك كل جهازنا ، وكل كفاءاتنا في حقل النظرية ، وكل تجربتنا العملية ، لكي نرى كيف ينبغي العمل . فهل يمكن ، نظرياً ، القيام بهذا العمل ، اي هل يمكن اعادة حرية التجارة ، حرية الرأسمالية ، الى حد ما ، في صالح صغار المزارعين ، دون نسف اسس سلطة

البروليتاريا السياسية ، هل يمكن القيام بهذا العمل ؟ اجل ، يمكن ذلك ، اذ ان المسألة تقتصر على معرفة كيف نلزم جانب الاعتدال ولا نتجاوز الحدود . فاذا كان بمقدورنا ان نحصل على كمية قليلة من البضائع على الاقل ، واذا ما وضعنا هذه البضائع في ايدي الدولة ، في ايدي البروليتاريا التي تمارس السلطة السياسية ، واذا استطعنا ان نضع هذه البضائع قيد التداول ، اضفنا الى سلطتنا السياسية ، بوصفنا الدولة ، السلطة الاقتصادية . ان وضع هذه البضائع قيد التداول من شأنه ان ينعش الزراعة الصغيرة ، التي تعاني الركود في الوقت الراهن بسبب عبء الاوضاع الصعبة الناجمة عن الحرب والخراب ، وبسبب انه يستحيل علينا تطويرها . وطالما بقي المزارع الصغير مزارعاً صغيراً ، فلا بدّ له من حافز ، من دافع ، من محرك ، يتناسب مع اساسه الاقتصادي ، اي مع استثمارته الصغيرة الخاصة . وفي هذا المضمار ، لا يمكن حل المعضلة دون حرية المبادلات المحلية . فاذا اعطت هذه المبادلات الدولة ، لقاء المنتجات الصناعية ، حداً ادنى معيناً من الحبوب يكفي لسد حاجات المدينة والمصانع والصناعة ، عادت المبادلات الاقتصادية بصورة تبقى معها سلطة الدولة وترسخ في ايدي البروليتاريا . ان الفلاحين يريدون ان يبيّن لهم عملياً ان العامل الذي يحوز المصانع والمعامل والصناعة ، قادر على تنظيم المبادلات مع الفلاح . ثم ان بلاداً زراعية شاسعة ، بطرق مواصلاتها الرديئة ، ومساحتها المديدة ، ومناخاتها المتنوعة ، واوضاعها الزراعية المختلفة ، الخ . ، تفترض بالضرورة نوعاً من حرية تبادل المنتجات الزراعية والصناعية المحلية ، على النطاق المحلي . لقد ارتكبنا الكثير من الاخطاء في هذا المضمار ، اذ مضينا بعيداً جداً : فقد تقدمنا كثيراً في طريق تأميم التجارة والصناعة ، بتجميدنا المبادلات المحلية . فهل هذا خطأ ؟ أجل ، بلا ريب .

وفي هذا المضمار ، ارتكبنا ، بكل بساطة ، الكثير من الاخطاء ، ومن فاحش الاجرام ألا نرى ، ألا ندرك اننا تجاوزنا الحد ، واننا لم نعرف كيف نعتدل . ومن جهة اخرى ، سلمنا لضرورة ملحة : فقد عشنا حتى الآن في اوضاع حرب صعبة قاسية الى حد انه لم يبق امامنا من طريق نسلكه غير الطريق التالي : اتباع الاسلوب العسكرى في الميدان الاقتصادي ايضاً . لقد كانت معجزة ان استطاعت بلادنا المدمرة الصمود لهذه الحرب . وهذه المعجزة لم تهبط من السماء ، بل ولدت من المصالح الاقتصادية للطبقة العاملة ولطبقة الفلاحين ، اللتين صنعتا هذه المعجزة بهبّة عامة جماهيرية ؛ وهذه المعجزة مكّنتهما من الصمود بوجه الملاكين العقاريين والرأسماليين . ولكننا مضينا ابعد مما كان ضرورياً من الناحية النظرية والسياسية ، وهذا امر لا جدال فيه وينبغي لنا ألا نخفيه في دعايتنا وتحريضنا . اننا نستطيع القبول ، الى حد ملحوظ ، بحرية المبادلات المحلية ، دون ان نهدم سلطة البروليتاريا السياسية ، بل اننا ، بالعكس ، نوطدها . اما كيف نطبق ذلك ، فهذا شأن عملي . فمهمتي انا ، ان ابيّن لكم ان ذلك ممكن من الناحية النظرية . اذا كانت البروليتاريا المتسلمة زمام السلطة تملك بعض الموارد ، استطاعت ان تضعها قيد التداول ، واستطاعت على هذا النحو ، ان ترضي الفلاح المتوسط ، الى حد ما ، على اساس المبادلات الاقتصادية المحلية .

والآن بعض كلمات حول المبادلات الاقتصادية المحلية . ينبغي لي اولاً ان اتناول مسألة التعاون . حيث اننا قبلنا بالمبادلات الاقتصادية المحلية ، فان التعاون كان ، بالطبع ، ضرورياً ، مع العلم انه الآن عندنا في حالة اختناق فائق . ان برنامجنا يوضح ان خير جهاز للتوزيع هو التعاون الذي ورثناه من

الرأسمالية ، وانه ينبغي لنا الحفاظ عليه . هذا ما يقوله البرنامج . فهل قمنا بهذه المهمة ؟ على نحو ناقص جداً ، ان لم نقم بها اطلاقاً ، سواء لسبب من اخطائنا ، ام لضرورات عسكرية . فان التعاون ، بابرازه عناصر اكثر اهلية للانتاج ، وأرفع من الناحية الاقتصادية ، قد أبرز التالي ، في ميدان السياسة المناشفة والاشتراكيين-الثوريين . هذا قانون كيميائي ، فلا حول ولا قوة ! (ضحك .) ان المناشفة والاشتراكيين-الثوريين اناس يعيدون الرأسمالية عن وعي او عن غير وعي ، ويساعدون انصار يودينيتش واضرابه . وهذا ايضاً قانون . ينبغي ان نشهر الحرب عليهم . والحال ، الحرب هي الحرب : كان ينبغي ان ندافع عن انفسنا ، وقد دافعنا عن انفسنا . ولكن ، هل يمكن البقاء في الاوضاع الراهنة باي ثمن كان ؟ كلا . لا ريب اننا نخطىء اذا ما قيّدنا ايدينا . ولذا اقترح ، فيما يتعلق بالتعاون ، قراراً موجزاً جداً ، اليكم نصه :

«حيث ان قرار المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي في روسيا حول الموقف من التعاون قائم بكليته على الاعتراف بمبدأ المصادرات التي استعيض عنها اليوم بالضريبة العينية ، فان المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي في روسيا (ح ش ر) يقرر :

إبطال هذا القرار .

ويكلف المؤتمر اللجنة المركزية بان تضع ، وتطبق عن طريق الحزب والسوفييتات ، قرارات ترمي الى تحسين وتطوير تركيب التعاونيات ونشاطها ، بالتوافق مع برنامج ح ش ر ، والتكيف وفقاً للاستعاضة عن المصادرات بالضريبة العينية» .

ستقولون لي ان هذا القرار تنقصه الدقة . بالضبط ، ينبغي ان تنقصه الدقة الى حد ما . لماذا ؟ لأنه ، لكي نكون دقيقين

تماماً ، ينبغي لنا ان نعرف الى النهاية ما يترتب علينا القيام به طوال السنة . ومن يعرف ذلك ؟ ما من احد يعرف ذلك او يستطيع معرفته .

ولكن قرار المؤتمر التاسع يقيّد ايدينا ، انه ينص على ما يلي : «تخضع لمفوضية التموين» . هذه المفوضية مؤسسة ممتازة ؛ ولكن ان نخضع لها التعاون ، مهما كلف الامر ، وان نقيّد ايدينا في فترة نعيد النظر فيها في علاقاتنا مع صغار المزارعين ، انما نرتكب ، من الناحية السياسية ، خطأ جلياً . ينبغي لنا ان نكلف اللجنة المركزية ، التي سننتخبها ، بوضع وسنّ التدابير والتغييرات المعنية ، وبالتثبت من الخطوات التي سنخطوها الى امام والى وراء ، والى اي حد ينبغي لنا ان نخطوها ، وكيف نتقيّد بالمصالح السياسية ، والى اي حد ينبغي التساهل من اجل تسهيل الامور ، وكيف نراقب نتائج التجربة . وبهذا الصدد نجد انفسنا ، من الوجهة النظرية ، امام عدد كبير من الدرجات الوسطية ومن التدابير الانتقالية . غير ان ثمة امراً واضحاً لنا : هو ان قرار المؤتمر التاسع كان يفترض اننا سنواصل السير في خط مستقيم . والحال ، كما يحدث ابداً في كل تاريخ الثورات ، سرنا في طريق معوجة . فالتقيد بمثل هذا القرار خطأ سياسي . ونحن ، اذ نلغيه ، نقول بانه ينبغي الاستيحاء من البرنامج ، الذى يشير الى اهمية الجهاز التعاوني .

ونحن ، اذ نلغيه ، نقول : تكيّفوا وفقاً للاستعاضة عن المصادرة بالضريبة . ولكن متى يتم هذا الاصلاح ؟ لن يتم قبل جمع الغلال ، اي قبل بضعة اشهر . فهل نسلك نفس السلوك في مختلف الأماكن ؟ كلا ، ابداً . فمن الحمق والغباوة تطبيق نفس التدبير في روسيا الوسطى ، وفي اوكرانيا ، وفي سيبيريا . واقترح اثبات هذه الفكرة الاساسية حول حرية المبادلات المحلية في قرار

يتخذه المؤتمر . واعتقد ان ستصدر بعد ذلك ، في الايام المقبلة القريبة ، رسالة للجنة المركزية تقول ، بالطبع ، خيراً مما اقول الآن (وسنجد ادباء افضل يكتبون هذا بنحو افضل) : لا تحطموا شيئاً ، لا تستعجلوا ، ينبغي الا تحذلقوا كثيراً ، فكروا ، حاولوا ارضاء الفلاح المتوسط الى اقصى حد دون الاضرار بمصالح البروليتاريا . امتحنوا هذا ، جرّبوا ذاك ، ادرسوا المسألة من الناحية العملية ، بالتجربة ، ثم اطلعونا على استنتاجاتكم ، وقولوا لنا ما نجحتم فيه ؛ اما نحن ، فاننا سنعين لجنة خاصة او حتى عدة لجان تأخذ بعين الاعتبار التجارب التي كدّستموها ، واعتقد اننا سنجتذب الى هذا الغرض بشكل خاص الرفيق بريوبراجنسكي ، صاحب كتاب : «النقود الورقية في عهد ديكتاتورية البروليتاريا» . وهذه المسألة على جانب كبير جداً من الاهمية ، اذ تتعلق بتداول النقود ، وهذا التداول من شأنه التحقق جيداً مما اذا كانت حالة التبادل مرضية في البلاد ؛ فاذا لم تكن مرضية ، اذا كانت مشوشة ، تحول النقد الى ورق لا فائدة منه . فلأجل السير الى امام ، وابداً على هدى التجربة ، ينبغي التحقق عشر مرات من التدابير المتخذة .

سيسألوننا ، سيريدون ان يعرفوا : من اين نأخذ البضائع ؟ ذلك ان حرية التجارة تتطلب بضائع ، ولا ينقص الفلاحين الذكاء ، وهم يعرفون تماماً كيف يتنادرون ويضحكون . هل بوسعنا الآن ان نحصل على البضائع ؟ اننا نستطيع ايجاد البضائع اليوم ، لأن وضعنا الاقتصادي قد تحسن كثيراً في الميدان العالمي . اننا نناضل ضد الرأسمال العالمي الذي رأى جمهوريتنا فاعلن قائلاً : «انهم قطاع طرق ، وتماسيح» (هذان التعبيران نقلتهما اليّ رسالة انجليزية عن لسان سياسي كبير النفوذ) (١١٧) . وبما انهم تماسيح ، فلا بدّ من احتقارهم . كان هذا

صوت الرأسمال العالمي ، صوت العدو الطبقي ، وكان صوتاً صحيحاً من وجهة نظر هذا العدو . ولكنه ينبغي التثبت من صحة استنتاجات كهذه . اذا قلت ، وانت قوة جبارة ، عالمية ، وانت الرأسمال العالمي ، اذا قلت : «تمساح» ، في حين تملك كل التكنيك ، فحاول اذن قتله ! ولكن الرأسمال هو الذي اشد ما يشعر بوقع ضربته حين يسددها . فالرأسمال ، الملزم بان يحسب الحساب للواقع السياسي والاقتصادي ، يعلن قائلاً : «تنبغي المتاجرة» . وفي هذا انتصارنا الاعظم . والآن اقول لكم ان ثمة عرضين لقرضنا قرابة مئة مليون روبل ذهباً . ففيما يتعلق بالذهب ، عندنا منه ، ولكنه من المستحيل ايجاد من يشتريه ، لأن الذهب ليس شيئاً يؤكل . فالخراب الشامل حل بالجميع ، وفي جميع البلدان قلبت الحرب رأساً على عقب العلاقات المالية بين الدول الرأسمالية . وفضلاً عن ذلك ، ينبغي لنا اسطول ، من اجل اقامة العلاقات مع اوروبا ، وليس عندنا اسطول . فالاسطول في ايدي الاعداء . وليس بيننا وبين فرنسا معاهدة ؛ وهي تزعم باننا مدينون لها . ولهذا ، اذا رأت باخرة ، قالت : «هذه الباخرة تخصني» . وعندهم اسطول حربي ؛ ونحن ليس عندنا اسطول حربي . ولذا لم يكن بامكاننا حتى الآن ان نستخدم من الذهب إلا كميات ضعيفة جداً ، لا يؤبه لها ، ضئيلة حتى السخرية . اما الآن ، فهناك عرضان صادران عن رأسماليين من اسياد المصارف : عقد قرض بمبلغ مئة مليون . طبيعي ان هذا الرأسمال سيتقاضى فوائد فاحشة . ولكنهم حتى الآن ، وبوجه عام ، لم يقولوا اية كلمة بهذا الصدد . لقد اعلنوا : «سنرديكم بالرصاص ، ونأخذ منكم كل شيء ، دون ان نفك كيس نقودنا» : والآن ، بما انهم لا يستطيعون ذلك ، فهم على استعداد للمتاجرة . فثمة معاهدة

تجارية مع اميركا وانجلترا ، في الطريق ، اذا جاز القول ؛ وكذلك منح امتيازات . وامس ، تلقيت رسالة من السيد فندرليب ، وهو هنا ، وقد عرض علينا ، الى جانب الكثير من الشكاوى ، عدة مشاريع تتعلق بالامتيازات والقرض . وهو يمثل الرأسمال المالي ، العملي ولا اكثر ، وهو على صلة مع الولايات الغربية في اميركا الشمالية ، التي هي اكثر عداء لليابان . اذن ، ثمة امكانية اقتصادية متوافرة لنا من اجل الحصول على بضائع . فكيف العمل ؟ هذه مسألة اخرى ، ولكن الامكانيات موجودة .

واكرر قولي ، ان نوع العلاقات الاقتصادية الذي يشبه ، في القمة ، كتلة مع الرأسمالية الاجنبية ، سيتيح للبروليتاريا المتسلمة زمام الحكم ان تقيم في القاعدة مبادلات حرة مع الفلاحين . واعرف – وقد سبق ان سنحت لي فرصة التحدث بهذا الامر – ان ذلك قد استثار بعض السخر . ففي موسكو ، فئة من المثقفين البيروقراطيين تحاول ان تكون «الرأي العام» . هؤلاء القوم بدأوا يضحكون بملء قلوبهم صائحين : «انظروا قليلاً الى الشيوعية ! فكأنها رجل قائم على عكازتين ، تلف وجهه عصبة كاملة ، الى حد انه لم يبق من الشيوعية الا صورة مبهمة كاللغز» . لقد سمعت ما فيه الكفاية من هذه السخريات ، لكنها اما بيروقراطية واما قليلة الجدّ ! لقد خرجت روسيا من الحرب وهي أشبه ما تكون برجل أُوسع ضرباً ونصف ميت : فقد تساقطت الضربات على روسيا مدى سبع سنوات ، وانه لمن حسن الحظ انها ما تزال تعرف كيف تمشي على العكازتين ! تلك هي حالنا الآن ! ان يتصور المرء اننا نستطيع التخلص من هذه الحالة دون اللجوء الى العكازات ، فذلك يعني انه لم يفهم شيئاً ! فما دامت الثورة لم تنفجر في بلدان اخرى ، فانه تقتضى لنا

عشرات السنين من اجـــل الخروج من هذه الحالـــة . ولذا ، سنضحي بمئات الملاين ، بل بالمليارات من ثرواتنا التي لا تحصى ، من احتياطياتنا الوفيرة ومن المواد الاولية ، لكي نستفيد من عون الرأسمالية الكبيرة المتقدمة . ولكننا سنستوفي كل ذلك فيما بعد الطاق طاقين . فمن المستحيل الحفاظ على السلطة البروليتارية في بلد اصيب بالخراب الشامل ، ويؤلف الفلاحون فيه اغلبية السكان ، وقد شملهم الخراب ايضاً ، دون مساعدة الرأسمال (هذه المساعدة التي سيبتـز الرأسمال ، بالطبـع ، لقاءها منا فوائد باهظة) . ينبغي ادراك ذلك . وبالتالي اما هذا النموذج للعلاقات الاقتصادية ، او لا شيء . ومن يطرح المسألة على غير هذا النحو ، لا يفهم اطلاقاً اي شيء في الاقتصاد العملي ويكتفي بالنكات . ينبغي الاعتراف بوقائع كاعيـاء الجماهيـر واستنزاف قواها . فكروا في عواقب سبع سنوات من الحرب في بلادنا ، حين ما تزال عواقب اربع سنوات من الحرب شديدة الوطأة في البلدان المتقدمة !

ان هذه السنوات السبع من الحرب في بلادنا المتأخرة قد سببت للعمال الذين بذلوا تضحيات لا مثيل لها ، وللفلاحين ، اعياء تاماً وحالتهم هذه اشبه بعجز تام عن العمل . ولذا يقتضي الامر هدنة اقتصادية . كنا نعتمد على استخدام احتياطياتنا من الذهب لكي نحصل على وسائل انتاج . ان خير طريقة نتبعها هي ان نصنع الآلات ، ولكننا اذا اشترينا آلات ، تمكنّا من تنظيم صناعتنا . غير انه ينبغي لذلك عمال ، وفلاحون اهل للعمل . والحال يستحيل عليهم العمل ، في معظم الاحيان : فهم منهكون ، اعياء . ينبغـي مساندتهـم ، ينبغـي استخدام احتياطيات الذهب لتأمين الاستهلاك ، خلافاً لما ورد في برنامجنا الاول . كان برنامجنا الاول صحيحـاً من الناحيـة النظريـة ،

ولكنه لم يكن قابلاً للتطبيق من الناحية العملية . سأطلعكم على نبأ ابلغني اياه الرفيق ليجافا ، ويتبين منه انه قد تم شراء مئات آلاف البودات من شتى المواد الغذائية ، وهي تصل بسرعة من فنلندا ولاتفيا وليتوانيا . وقد علمنا اليوم نبأ توقيع عقد في لندن لشراء ١٨٥٠٠٠٠٠ بود من الفحم قررنا شراءها بغية انعاش صناعة بتروغراد وصناعة النسيج . واذا تلقينا بضائع للفلاحين ، كان ذلك بالطبع خرقاً لبرنامجنا ، وامراً غير نظامي ولكنه ينبغي منح الشعب فرصة للراحة ، لأن اعياءه بلغ حداً لا يمكن له معه ان يعمل دون هذه الراحة .

وينبغي لي ايضاً ان اذكر التبادل الفردي . حين نتحدث عن حرية التجارة ، نقصد التبادل الفردي ، اي اننا نشجع الكولاك . فكيف العمل ؟ ينبغي ألا نغمض عيوننا عن الواقع التالي وهو ان الكولاك سيتكاثرون اكثر من ذي قبل ، مع الاستعاضة عن المصادرة بالضريبة . انهم سيبرزون حيث لم يكن بوسعهم ان يبرزوا حتى الآن . غير انه ينبغي لنا ألا نحارب هذا الوضع بتدابير زجرية ، بل بتنظيم تقوم به الدولة وسياسة تنتهجها الدولة . فاذا كنتم تستطيعون تزويد الفلاحين بالآلات ، قوّيتموهم ، ويوم تقدمون لهم الآلات او الكهربة ، يقضى على عشرات ومئات الآلاف من الكولاك الصغار . وبانتظار ان تفعلوا ذلك ، اعطوا كمية ما من البضائع . اذا امتلكتم البضائع ، امتلكتم السلطة ؛ ولكن ، اذا اوقفتم هذه الامكانية ، او خنقتموها ، او استبعدتموها ، استبعدتم كل امكانية للتبادل ، ولم ترضوا الفلاح المتوسط : ولن تكون ثمة وسيلة للتفاهم معه . لقد اصبح عدد الفلاحين المتوسطين في روسيا اليوم اكثر بكثير مما مضى وليس ثمةما يدعو الى التخوف من ان يصبح التبادل فردياً . فكل امرئ سيتمكن من ان يبادل الدولة بشيء ما . احدهم يبادل

بفائض حبوبه ، والآخر بالخضراوات ، والثالث بعمله . والوضع ، بالاجمال ، هو التالي : من واجبنا ان نرضي الفلاحين المتوسطين اقتصادياً وان نطلق حرية التبادل ، وإلا استحال ، مع تباطؤ الثورة العالمية ، استحال اقتصادياً الحفاظ على سلطة البروليتاريا في روسيا . هذا امر ينبغي ادراكه جيداً وعدم التخوف من قوله . سترون في مشروع القرار حول الاستعاضة عن المصادرة بالضريبة العينية (وقد وزّع نصه عليكم) ، ان العديد من النقاط لا يوافق بعضها بعضاً ، وانها تتناقض . ولذا ، كتبنا في الاخير : «ان المؤتمر ، اذ يؤيد ، من حيث الاساس (وتلك عبارة توحي باشياء كثيرة) ، اقتراح اللجنة المركزية حول الاستعاضة عن المصادرة بالضريبة العينية ، يكلف لجنة الحزب المركزية بتوفيق مختلف نقاطه في اقرب وقت» . ونحن نعلم ان هذا التوفيق لم يتم ، ولم يتوافر لنا الوقت للقيام بهذه المهمة ، للشروع بهذا العمل من التفاصيل . اما تفاصيل طرق تطبيق هذه الضريبة ، فان اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا ومجلس مفوضي الشعب هما اللذان سيضعان قانوناً بها . الاصول الواجب اتباعها هي التالية : اذا وافقتم على هذا المشروع اليوم ، امكن اتخاذ القرار منذ الدورة الاولى للجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا التي لا تسن بدورها قانوناً بل تقرّ فقط نصاً معدلاً ؛ ثم يحول مجلس مفوضي الشعب ومجلس العمل والدفاع هذا النص الى قانون ، ويعطيان التعليمات العملية ، وهو امر ايضاً . ومن الضروري ان يفهم الناس في مطارحهم اهمية التدبير المتخذ وان يسدونا عونهم .

لماذا اقتضى الامر الاستعاضة عن المصادرة بالضريبة ؟ كان القصد من المصادرات مصادرة جميع الفوائض وبسط احتكار الدولة الالزامي . ولم يكن بامكاننا ان نسلك غير هذا السبيل ،

بالنظر الى ما كنا نعانيه من بؤس مدقع . وليس من باب الموجبات المبدئية ان نعتبر احتكار الدولة مثالاً اعلى من وجهة نظر الاشتراكية . ولكنه من الممكن اقامة نظام الضريبة وحرية التبادل في بلد زراعي مزود بصناعة ، — والصناعة تشتغل ، — ويتصرف بكمية معينة من البضائع .

هذا التبادل تشجيع ، حافز ، دافع للفلاح . يمكن للمزارع ويجب عليه ان يجتهد لمصلحته الخاصة اذ لن تؤخذ منه بعد اليوم جميع فوائضه ، انما ستؤخذ منه ضريبة فقط ، مع العلم انه ينبغي تحديد مقدار هذه الضريبة مسبقاً قدر الامكان . والامر الاساسي ، ان يكون ثمة تشجيع ، حافز ، دافع للمزارع الصغير في ادارة شؤونه . ينبغي لنا ان نبني اقتصاد دولتنا مع تكييفه وفقاً لاقتصاد الفلاح المتوسط ، هذا الاقتصاد الذي لم نستطع تحويله في مدى ثلاث سنوات والذي لن نستطيعه حتى في مدى عشر سنوات .

كان على الدولة واجب للتموين واضح المعالم . ولذا ازدادت مصادراتنا في السنة الماضية . اما الضريبة ، فيجب ان تكون اقل . ان الارقام لم توضع بدقة ، فضلاً عن انه كان من المتعذر وضعها بدقة . ان كراس بوبوف «انتاج الحبوب في الجمهورية السوفييتية والجمهوريات المتحدة معها» ، يورد مستندات صادرة عن ادارة الاحصاء المركزية في بلادنا ، وتعطي ارقاماً دقيقة وتبين الاسباب التي ادت الى هبوط انتاجنا الزراعي .

اذا كان الموسم رديئاً ، فلن نأخذ فوائض ، اذ لن تكون ثمة فوائض . الا اذا انتزعناها من فم الفلاح . واذا كان الموسم طيباً ، فان كل امرئ سيحرم نفسه بعض الشيء ، وعلى هذا النحو تُنقذ الدولة ، والا فان الدولة ستهلك ، اذا لم نستطع ان نأخذ شيئاً من اناس لا يشبعون مهما اكلوا . تلك

هي المهمة التي توضع امام دعايتنا بين الفلاحين . اذا كان الموسم لا بأس به ، بلغت الفوائض نصف مليار . وهذا كاف لتغطية الاستهلاك ولانشاء بعض احتياطي . كل ما في الامر ان نعطي الفلاح حافزا ، دافعا ، في حقل الاقتصاد . ينبغي ان نقول للمستثمر الصغير : «انتج ، فالدولة لا تستوفي من الضرائب الا الحد الادنى» .

ان وقتي للكلام يوشك ان ينتهي ، واني لأنهي كلامي . واكرر : اننا لا نستطيع ان نسن في الحال قانونا . وعيب قرارنا انه لا يتمتع بقوة التشريع . فلا تسن القوانين في مؤتمر يعقده الحزب . ولهذا نقترح عليكم اتخاذ قرار اللجنة المركزية اساسا وتكليفها بصياغته . سنطبع القرار ، وسيسعى المناضلون المحليون لتصليحه واستكماله . فمن المتعذر وضع صيغة نهائية – وتلك قضية لا حل لها – لأن الحياة شديدة التنوع . وليس ثمة ما هو اصعب من البحث عن التدابير الانتقالية . واذا لم نتوصل الى ذلك بسرعة وبخط مستقيم ، فلن نفقد شجاعتنا ، اذ اننا سنتوصل الى ذلك في مطلق الاحوال . ومهما كان عليه الفلاح من وعي ، فلا بد له ان يدرك اننا ، بوصفنا حكومة ، نمثل الطبقة العاملة والشغيلة ، الذين يستطيع الفلاحون الكادحون (وهم تسعة اعشار الفلاحين) الاتفاق معهم ، وان كل تراجع سيكون بمثابة عودة الى الحكم القيصرى السابق . والدليل على ذلك تجربة كرونشتادت . انهم لا يريدون الحرس الابيض ، ولا يريدون سلطتنا ، – وليس ثمة سلطة اخرى ، – فاذا بالوضع الذى يجابهونه خير دعاية لصالحنا وضد كل حكومة جديدة .

بامكاننا اليوم ان نتفاهم مع الفلاحين . فلنحقق الاتفاق عمليا ، بمهارة وذكاء ومرونة . اننا نعرف جهاز مفوضية التموين ، ونعرف انه من خيرة اجهزتنا . واذ نقارنه بالاجهزة الاخرى ، نرى جيدا انه خيرها . ينبغي الاحتفاظ به . غير

انه ينبغي اخضاعه للسياسة . فاذا لم نستطع اقامة علاقات طيبة مع الفلاحين ، فان جهاز تموييننا الممتاز لن يصلح لشيء . وحينذاك لن يفيد هذا الجهاز الممتاز طبقتنا ، بل دينيكين وكولتشاك . وما دامت السياسة تتطلب تغييراً جذرياً ، تتطلب مرونة وانتقالاً حاذقاً ، فانه ينبغي ان يدرك القادة ذلك جيد الادراك . ينبغي ان يكون الجهاز المتين صالحاً لجميع العمليات والمناورات . ولكن ، اذا غدت المتانة تحجراً وعرقلت التطورات ، كانت المعركة امراً لا مناص منه . فلنبذل اذن كل جهودنا لكي نبلغ غاياتنا ولكي نخضع الجهاز بكليته للسياسة . ان السياسة هي العلاقة بين الطبقات ، هي ما يقرر مصير الجمهورية . والجهاز ، بوصفه وسيلة ثانوية ، يغدو اكثر فائدة واهلية للعمليات والمناورات بقدر ما هو متين . فاذا لم يكن صالحاً للقيام بهذه المهمة ، فلا فائدة منه اطلاقاً .

اني ادعوكم ألا تنسوا الامر الاساسي ، وهو ان الدراسة في تفاصيلها وتفسيراتها ستستغرق بضعة اشهر . اما الامر الاساسي في الوقت الحاضر ، فهو ان يعلن الراديو هذا المساء للعالم بأسره ان مؤتمر الحزب الحاكم يستعيض ، في الاساس ، عن المصادرة بالضريبة ، فيعطي بذلك المزارع الصغير عدة حوافز من اجل توسيع استثمارته وزيادة المساحات التي يزرعها حبوبا ؛ وان المؤتمر ، بسلوكه هذا السبيل ، يصلح العلاقات بين البروليتاريا والفلاحين ، ويعرب عن اليقين بان التحالف بين البروليتاريا والفلاحين سيتوطد بهذه الوسيلة .

(تصفيق حاد .)

«البرافدا» ، العدد ٥٧ ، و«ازفيستيا فتسيك» («انباء اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا») ، العدد ٥٧ ، في ١٦ آذار (مارس) ١٩٢١

المجلد ٤٣ ، ص ص ٥٧–٧٣

٣

مشروع اولي لقرار المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي في روسيا حول وحدة الحزب

١ – يلفت المؤتمر انتباه جميع اعضاء الحزب الى ان تحقيق الوحدة واللحمة في صفوف الحزب ، واشاعة الثقة التامة بين اعضائه ، وتأمين حسن تفاهم حقيقي في العمل يجسد فعلاً وحدة ارادة طليعة البروليتاريا ، الى ان كل هذا ضروري جداً في الظرف الراهن ، اذ تشدد جملة من الظروف الترددات بين السكان البرجوازيين الصغار في البلاد .

٢ – ومع ذلك ، ظهرت في الحزب ، حتى قبل النقاش العام في الحزب بشأن النقابات ، بعض علائم التكتلية ، اي انه ظهرت كتل لها مناهجها الخاصة وميل الى الانكماش على نفسها الى حد ما والى انشاء طاعتها الكتلوية الخاصة . فان علائم تكتل كهذه قد برزت ، مثلاً ، في احد المجالس العامة التي عقدتها منظمة الحزب في موسكو (في تشرين الثاني – نوفمبر – ١٩٢٠) وفي خاركوف (١١٨) ، سواء من جانب الكتلة المسماة «المعارضة العمالية» ام ، جزئياً ، من جانب الكتلة المسماة «المركزية الديموقراطية» (١١٩) .

من الضروري ان يدرك جميع العمال الواعين ادراكاً واضحاً ضرر وعدم جواز كل تكتل ايا كان وان هذا التكتل يؤدي حتماً في الواقع ، حتى خلافاً لرغبة ممثلي بعض الكتل في صيانة وحدة الحزب ، الى اضعاف حسن التفاهم في العمل والى اشتداد المحاولات المتكررة التي يقوم بها اعداء الحزب الذين يتعلقون بأذيال الحزب الحاكم ، والتي ترمي الى تعميق التفرقة واستغلالها لمآرب الثورة المضادة .

ان استغلال كل نوع من انواع الانحرافات عن الخطة الشيوعية القويمة من جانب اعداء البروليتاريا ، قد تجلى بأشد السطوع او يكاد في فتنة كرونشتادت ، حين اظهرت فوراً الثورة المضادة البرجوازية واظهر الحرس الابيض من جميع البلدان استعدادهم للقبول حتى بشعارات النظام السوفييتي شرط اسقاط ديكتاتورية البروليتاريا في روسيا ، حين استغل الاشتراكيون-الثوريون ، وبوجه عام الثورة المضادة البرجوازية ، في كرونشتادت شعارات الانتفاض باسم سلطة السوفييتات ، كما زعموا ، ضد الحكومة السوفييتية في روسيا . ان مثل هذه الوقائع تبرهن كفاية ان الحرس الابيض يريدون ويعرفون كيف يموهون انفسهم ويظهروا بمظهر الشيوعيين وحتى الشيوعين من اقصى اليسار ، وذلك لغاية واحدة ، هي اضعاف حصن الثورة البروليتارية في روسيا ودكه . كذلك تبين المناشير المنشفية في بتروغراد ، عشية فتنة كرونشتادت ، ان المناشفة قد استغلوا الخلافات وبعض بذور التكتلية في داخل الحزب الشيوعي في روسيا لكي يدفعوا ويدعموا بالفعل عصاة كرونشتادت ، من اشتراكيين-ثوريين وحرس ابيض ، مدعين بالقول انهم من اخصام الفتن ، ومن انصار سلطة السوفييتات ، مع تحفظات صغيرة ، كما يزعمون .

٣ – حول هذه المسألة ، ينبغي للدعاية ، من جهة ، ان توضح حتى الاسس ما ينطوي عليه التكتل من ضرر وخطر من وجهة نظر وحدة الحزب وتحقيق وحدة ارادة طليعة البروليتاريا ، بوصف هذه الوحدة الشرط الاساسي لنجاح ديكتاتورية البروليتاريا ، وينبغي لها من جهة اخرى ان توضح ما تنطوي عليه احدث الاساليب التكتيكية التي يلجأ اليها اعداء سلطة السوفييتات من خاص . ان هؤلاء الاعداء ، اذ اقتنعوا بأن الثورة المضادة القائمة بشكل سافر تحت راية الحرس الابيض محكوم عليها بالاخفاق ، يبذلون الآن جميع جهودهم لاستغلال الخلافات في داخل الحزب الشيوعي في روسيا ، وبالتالي لدفع الثورة المضادة الى امام ، بشكل او بآخر ، وذلك بتسليم السلطة لتلوين سياسي هو ، في الظاهر ، اقرب ما يكون للاعتراف بسلطة السوفييتات .

ينبغي للدعاية ان تلقي النور ايضاً على تجربة الثورات السابقة ، حيث كانت الثورة المضادة تدعم المعارضة الاقرب الى الحزب الثوري المتطرف ، قصد زعزعة الديكتاتورية الثورية ، والاطاحة بها ، وشق الطريق على هذا النحو من اجل ان تنتصر الثورة المضادة والرأسماليون والملاكون العقاريون انتصاراً تاماً فيما بعد .

٤ – في النضال العملي ضد التكتلية ، يجب على كل منظمة من منظمات الحزب ان تسهر بدقة على الاّ يقوم اي نشاط تكتلي . يجب تنظيم الانتقاد الضروري اطلاقاً لنواقص الحزب بحيث ان كل اقتراح عملي يحال فوراً ، بأوضح الاشكال الممكنة ، ودونما مماطلة ، الى هيئات الحزب القيادية ، المحلية والمركزية ، قصد البحث والتقرير . وكل من يدلي بانتقاد يترتب عليه فضلاً عن ذلك ان يأخذ بعين الاعتبار ، من حيث

شكل انتقاده ، وضع الحزب وسط الاعداء الذين يحيطون به ؛ اما من حيث محتوى انتقاده ، فيجب عليه ، باشتراكه مباشرة في نشاط السوفييتات والحزب ، ان يتحقق عملياً من تقويم الاخطاء التي ارتكبها الحزب او بعض اعضائه . ان كل تحليل لخطة الحزب العامة او اعتبار لتجربته العملية ، والتثبت من تنفيذ قراراته ، ودراسة طرائق تقويم الاخطاء ، الخ . ، ان كل هذا يجب الا يخضع بأي شكل كان لبحث مسبق من جانب كتل مشكلة على «منهج» ما ، الخ . ، بل يجب ان يخضع مباشرة لبحث يقوم به اعضاء الحزب كافة وحدهم دون غيرهم . ولهذا الغرض ، يقرر المؤتمر اصدار «ورقة المناقشة» (١٢٠) والمجموعات الخاصة بمزيد من الانتظام ، مع الحرص دائماً على ان يتناول النقد جوهر الامر ولا يأخذ ابداً شكلاً من شأنه ان يساعد اعداء البروليتاريا الطبقيين .

٥ – ان المؤتمر ، اذ ينبذ مبدئياً الانحراف نحو السنديكالية والفوضوية ، الانحراف الذي بحثه موضع قرار خاص ، واذ يكلف اللجنة المركزية بالعمل على الغاء كل تكتل الغاء تاماً ، يعلن في الوقت نفسه ان جميع الاقتراحات الجدية حول القضايا التي استرعت بوجه خاص ، مثلاً ، انتباه الكتلة المسماة «المعارضة العمالية» ، بصدد تطهير الحزب من العناصر غير البروليتارية والمشكوك فيها ، وبصدد النضال ضد البيروقراطية ، وبصدد تطوير الديموقراطية وروح المبادرة عند العمال ، الخ . ، انما يجب بحثها بأكبر العناية والتثبت منها في النشاط العملي . يجب على الحزب ان يعرف اننا لا نطبق في هذه القضايا جميع التدابير الضرورية بسبب جملة من شتى العقبات التي تواجهنا ، وان الحزب ، مع نبذه بلا هوادة الانتقاد المزيف ، غير الجدي والتكتلي ، سيواصل ابداً ودائماً النضال بجميع الوسائل ضد

البيروقراطية ، مجرباً اساليب جديدة ، ومن اجل توسيع الديموقراطية وروح المبادرة ، من اجل كشف الدخلاء على الحزب ، ونزع القناع عن وجوههم ، وطردهم من صفوفه ، الخ . .

٦ – ولهذا يعلن المؤتمر حل جميع الكتل بلا استثناء ، التي تشكلت على اساس هذا المنهج او ذاك (اي كتلة «المعارضة العمالية» ، وكتلة «المركزية الديموقراطية» ، الخ .) ويأمر بحلها فوراً . ان الامتناع عن تنفيذ هذا القرار الذي اتخذه المؤتمر يجب ان يستتبع الفصل الاكيد والفوري من الحزب .

٧ – رغبة في بسط طاعة دقيقة في داخل الحزب وفي كامل نشاط السوفييتات ، ورغبة في التوصل الى اكبر الوحدة عند ازالة كل نشاط تكتلي ، يخول المؤتمر اللجنة المركزية صلاحية تطبيق جميع العقوبات الحزبية ، بما فيها الفصل من الحزب ، في حال انتهاك الطاعة وفي حال استئناف النشاط التكتلي او القيام به ، وفيما يخص اعضاء اللجنة المركزية ، التنزيل الى فئة المرشحين ، وحتى الفصل من الحزب كعقوبة قصوى . ولتطبيق هذه العقوبة القصوى على اعضاء اللجنة المركزية وعلى المرشحين لعضوية اللجنة المركزية وعلى اعضاء لجنة الرقابة يجب عقد دورة اللجنة المركزية ، ودعوة جميع المرشحين لعضوية اللجنة المركزية وجميع اعضاء لجنة الرقابة لحضور هذه الدورة . واذا ما اقر هذا الاجتماع العام لاكبر قادة الحزب مسؤولية ، بأغلبية ثلثي الاصوات ، ضرورة تنزيل عضو من اعضاء اللجنة المركزية الى فئة المرشحين او فصله من الحزب ، تعين تطبيق هذه العقوبة دون اي ابطاء .

نشر للمرة الاولى في عام ١٩٢٣ في مجلة « بروجيكتور » ، العدد ٢٢

المجلد ٤٣ ، ص‌ص ٨٩–٩٢

٤

تقرير حول وحدة الحزب
وعن الانحراف السنديكالي – الفوضوي
١٦ آذار (مارس) (١٢١)

أيها الرفاق ، اعتقد انه لن تكون ثمة حاجة الى التكلم كثيراً في هذه المسألة ، لأن مؤتمرنا كله قد تناول في جميع المسائل تلك المواضيع التي ينبغي الآن التحدث عنها رسمياً باسم مؤتمر الحزب ، أي باسم الحزب كله . اما فيما يتعلق بالقرار «حول الوحدة» * ، فانه يتضمن في قسم كبير منه وصفاً للوضع السياسي . وانتم جميعكم قد قرأتم ، بالطبع ، نص هذا القرار المطبوع الموزع . ولا يجوز نشر البند السابع الذي ينص على تدبير استثنائي – هو حق الفصل من اللجنة المركزية شرط توفر أغلبية ثلثي الاجتماع العام لاعضاء اللجنة المركزية والمرشحين لعضوية اللجنة المركزية وأعضاء لجنة الرقابة المركزية . وقد تناول البحث هذا التدبير مراراً في المداولات الخاصة التي أعرب فيها ممثلو جميع التلاوين عن آرائهم . واننا لنأمل ، أيها الرفاق ، بان لا نضطر الى تطبيق هذا البند ، ولكن هذا البند ضروري في هذا الوضع الجديد الذي نقف فيه هنا امام انعطاف ، حاد جداً ، ونريد فيه ان نمحو آثار الانعزالية .

---

* راجعوا هذا الكتاب ، ص ٣٦٩ – ٣٧٣ . **الناشر** .

انتقل الى مشروع القرار عن الانحرافات السنديكالية والفوضوية . أمامنا هنا مسألة لمسها البند الرابع من جدول أعمال المؤتمر . ان تحديد موقفنا من بعض التيارات أو من انحرافات الفكر هو لب مشروع القرار كله . فنحن اذ نستعمل كلمة «الانحرافات» ، انما نؤكد بالتالي اننا لا نرى بعد هنا أي شيء متكون نهائياً ، أي شيء مطلق ومحدد تماماً ، اننا لا نرى غير بداية اتجاه سياسي لا يمكن أن يبقى دون تقييم الحزب . وفي البند الثالث من مشروع القرار عن الانحراف السنديكالي والفوضوي ، الذي هو في حوزتكم ، على الارجح ، يوجد ، بكل تأكيد خطأ طباعي (وهذا الخطأ قد لوحظ ، كما يظهر من الملاحظات) . يجب أن نقرأ : «ان موضوعتها التالية ، مثلاً ، لواسعة الدلالة» أي موضوعة «المعارضة العمالية» ، «موضوعة : «ان تنظيم ادارة الاقتصاد الوطني يعود أمره الى مؤتمر المنتجين في عامة روسيا ، المتحدين في نقابات انتاجية تنتخب هيئة مركزية تدير مجمل الاقتصاد الوطني في الجمهورية»» . وقد سبق لنا وتطرقنا غير مرة في المؤتمر الى هذا البند ، سواء في المداولات الخاصة أم في جلسات المؤتمر العامة العلنية . ويخيل اليّ اننا أوضحنا انه لا يمكن في أي حال من الاحوال الدفاع عن هذا البند بحجة انه توجد عند انجلس محاكمة بشأن توحيد المنتجين ، لأنه من الجلي تماماً ، ولان الرجوع بدقة الى المكان المعني يثبت ، ان الكلام يدور عند انجلس حول المجتمع الشيوعي حيث لن تكون ثمة طبقات . وهذا أمر لا جدال فيه بالنسبة لنا كلنا . فعندما لن تبقى طبقات في المجتمع ، فانه لن يبقى آنذاك في المجتمع غير المنتجين العاملين ، لن يبقى العمال والفلاحون . ونحن نعرف جيداً جداً من جميع مؤلفات ماركس وانجلس انهما يميزان بأدق نحو بين المرحلة التي لا تزال الطبقات

موجودة فيها وبين المرحلة التي لن تبقى فيها الطبقات . ولقد سخر ماركس وانجلس بلا رحمة من الافكار والاقوال والفرضيات عن زوال الطبقات قبل الشيوعية ، وقالا ان الشيوعية وحدها انما هي محو الطبقات (١٢٢) .

لقد وصلنا الى وضع كنا فيه أوائل من طرحوا عملياً مسألة محو الطبقات هذا وبقينا فيه الآن في بلد فلاحي مع الطبقتين الاساسيتين ، الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين . والى جانب هاتين الطبقتين ، توجد مجموعات كاملة من بقايا رواسب الرأسمالية .

ان برنامجنا يقول بوضوح اننا نخطو الخطوات الاولى ، واننا سنواجه جملة كاملة من الدرجات الانتقالية . ولكننا رأينا على الدوام ، بأجلى شكل ، في ممارسة عملنا السوفييتي وفي كل تاريخ الثورة ، انه من غير الصحيح اعطاء تعريفات نظرية كالتي تعطيها المعارضة في الحالة المعنية . ونحن نعرف جيداً ان الطبقات قد بقيت عندنا وستبقى زمناً طويلاً ، وانها ستبقى لا محالة سنوات طويلة ، كثيرة في بلد يهيمن فيه السكان الفلاحون . ان المدة الدنيا التي يمكن في غضونها تنظيم الصناعة الكبيرة بحيث تبني أساساً يتيح لها أن تخضع لنفسها الزراعة ، تقاس بعشر سنوات . هذه المدة هي الدنيا اذا توفرت شروط تكنيكية ملائمة بشكل لم يسمع بمثله من قبل . ولكننا نعرف اننا نجد أنفسنا في ظروف غير ملائمة بشكل لم يسمع بمثله من قبل . لدينا خطة لبناء روسيا على أسس الصناعة الكبيرة العصرية ، هي خطة الكهربة ، التي وضعتها القوى العلمية . هذه الخطة تحسب المدة الدنيا بعشر سنوات ، اذا افترضنا انه تتوفر أساساً ظروف قريبة نوعاً من الظروف العادية . ولكننا نعرف جيداً جداً ان هذه الظروف غير متوفرة .

وهذا يعني ان عشر سنوات مدة قصيرة جداً بالنسبة لنا ؛ ولا داعي الى الكلام بهذا الصدد . لقد دخلنا لب الموضوع : من الممكن قيام وضع تبقى فيه طبقات معادية للبروليتاريا ، ولذا لا نستطيع الآن عملياً أن نصنع ما يتحدث عنه انجلس . ستكون ديكتاتورية البروليتاريا . وبعد ذاك سيكون المجتمع اللاطبقي .

لقد ناضل ماركس وانجلس بلا هوادة ضد أولئك الذين كانوا ينسون الفوارق بين الطبقات ويتحدثون عن المنتجين ، عن الشعب ، أو عن الشغيلة بوجه عام . وان من يعرف مؤلفات ماركس وانجلس بعض الشيء ، لا يمكنه أن ينسى ان جميع هذه المؤلفات يتخللها السخر من اولئك الذين يتحدثون عن المنتجين ، عن الشعب ، عن الشغيلة بوجه عام . فليس هناك شغيلة بوجه عام ، وليس هناك عاملون بوجه عام ، انما هناك ، اما رب عمل صغير يملك وسائل الانتاج ، وكل نفسيته وجميع عاداته في الحياة رأسمالية ، — ولا يمكن ان تكون غير ذلك ، — واما عامل مأجور نفسيته مختلفة تماماً ، عامل مأجور في الصناعة الكبيرة ، يقف في تناحر ، في تناقض ، في صراع مع الرأسماليين .

واذا كنا نتناول هذه المسألة بعد ثلاث سنوات من نضالنا ، بعدما جربنا تطبيق حكم البروليتاريا السياسي ، وفي وقت نعرف فيه أي مصاعب هائلة تعترض العلاقات بين الطبقات ، ولا تزال قائمة فيه ، في وقت لا تزال تظهر فيه بقايا البرجوازية في جميع مسام حياتنا ، وداخل المؤسسات السوفييتية ، — فان ظهور منهج عندنا في مثل هذه الظروف ، يتضمن الموضوعات التي تلوتها أنا ، هو انحراف سنديكالي وفوضوي بيّن وجليّ . لا مبالغة في هذه الكلمات ؛ فهي مدروسة . ان الانحراف ليس

بعد تياراً مكتملاً . فالانحراف انما هو ما يمكن اصلاحه . فان بعضهم قد ضلوا السبيل قليلاً أو شرعوا يضلون السبيل ، ولكن الاصلاح لا يزال ممكناً . وهذا ما تعبر عنه ، بنظري ، الكلمة الروسية «اوكلون» («الانحراف») . وهذا يعني الاشارة الى أنه لا يوجد هنا بعد أي شيء نهائي ، وانه من اليسير اصلاح الأمر ، – وهذا يعني الرغبة في التحذير وفي طرح المسألة بكل مداها وبصورة مبدئية . واذا وجد أحد كلمة روسية أخرى أكثر تعبيراً عن هذه الفكرة ، فليتفضل . واني آمل باننا لن نعمد الى الجدال بسبب الكلمات ؛ أما من حيث جوهر الأمر ، فاننا نحلل هذه الموضوعة بوصفها الموضوعة الأساسية ، لكي لا نتلقف طائفة من الأفكار المماثلة التي تملك جماعة «المعارضة العمالية» الكثير الكثير منها . اننا ندع هذا لأدبائنا وكذلك لقادة هذا التيار لكي يحللوه ، لأننا نقول قصداً وعمداً في نهاية مشروع قرارنا انه من الممكن ومن الواجب ايلاء مكان في المنشورات الخاصة والمجموعات لتبادل أوسع في الآراء بين أعضاء الحزب حول جميع المسائل الواردة اعلاه . وليس في وسعنا الآن ان نؤجل هذه المسألة . نحن حزب يناضل في ظروف مصاعب متأزمة . يجب علينا ان نقول لأنفسنا : لكي تكون الوحدة متينة ، ينبغي التنديد بانحراف معين . فما دامت معالمه قد ارتسمت ، فلا بد من ابرازه والتنديد به . ولكن اذا كان لا بد من مناقشة مفصلة ، – فعلى الرحب والسعة ، اذ أنه سيتواجد عندنا أناس يستشهدون بالتفصيل بجميع المطبوعات ؛ واذا كان من الضروري والمناسب ، فاننا سنطرح المسالة على الصعيد العالمي أيضاً ، لأنكم سمعتم الآن في تقرير ممثل الكومنترن ، وانتم تعلمون بوجود انحراف معين نحو اليسارية في صفوف الحركة العمالية العالمية الثورية . ان الانحراف الذي نتكلم عنه

الآن ، انما هو نفس الانحراف الفوضوي في حزب العمال الشيوعي الألماني الذي ظهر النضال ضده بوضوح فى مؤتمر الكومنترن السابق (١٢٣) . ان الكلمات التي استعملت هناك لأجل تقييم هذا الانحراف كانت أحياناً أحد من كلمة «اوكلون» («الانحراف») . وانتم تعرفون ان هذه مسألة عالمية . ولهذا من غير الصحيح وضع حد لها بالمعنى التالي : كف عن المناقشة . ولكن المناقشة النظرية شيء ، والخط السياسي للحزب ، الصراع السياسي ، شيء آخر . نحن لسنا نادياً للمناقشة . يقيناً ان بوسعنا ان نصدر ولسوف نصدر مجموعات ، ومنشورات خاصة ، ولكنه يجب علينا ان نناضل قبل كل شيء في أصعب الظروف ، ولهذا يجب علينا ان نتلاحم في كل واحد . واذا ما تدخلت في المناقشة السياسية ، في الصراع السياسي مقترحات من طراز تنظيم «مؤتمر للمنتجين في عامة روسيا» ، فاننا لن نتمكن آنذاك من السير بصفوف متلاحمة ومتراصة ؛ فليست هذه هي السياسة التي رسمناها لأنفسنا لعدة سنوات . فان هذه سياسة من شأنها ان تقوض عمل الحزب بوئام وتكاتف ، وهذه السياسة ليست خاطئة نظرياً وحسب ؛ وهي خاطئة لأنها تحدد بصورة خاطئة العلاقات بين الطبقات ، – أي ذلك الشيء الجذري والأساسي الذي لا ماركسية بدونه والذي اتخذ بشأنه مؤتمر الكومنترن الثاني قراراً (١٢٤) . ان الظرف الآن لعلى نحو بحيث أن العنصر اللاحزبي يستسلم لتلك التأرجحات البرجوازية الصغيرة التي لا مناص منها في وضع روسيا الاقتصادي الحالي . ينبغي الا يغرب عن بالنا الأمر التالي ، وهو ان الخطر الداخلي أكبر ، بمعنى معين ، من خطر دينيكين ويودينيتش ، وينبغي علينا أن ندلل على تلاحم لا يكون شكلياً وحسب ، بل يمضي كذلك بعيداً في الأعماق . ولأجل توفير هذا التلاحم ، لا يمكننا ان نستغنى عن قرار كهذا .

ثم اني أعتبر الفقرة الرابعة من هذا القرار هامة جداً ، اذ أنها تعطي تفسيراً لبرنامجنا ، تفسيراً حقيقياً ، أي تفسيراً ينطلق من المؤلف . ان المؤتمر هو مؤلفه ، ولهذا يجب على المؤتمر ان يعطي تفسيراً لكي يضع حداً للذبذبات ، وأحياناً حتى للتلاعب الذي يجري ببرنامجنا : فكأن البرنامج يقول عن النقابات نفس ما يود بعضهم ان يروا فيه . لقد سمعتم من على هذا المنبر انتقاداً لهذا البرنامج من قبل الرفيق ريازانوف — فشكراً لصاحب هذا الانتقاد على ابحاثه النظرية ! لقد سمعتم الانتقاد الذي أعطاه الرفيق شليابنيكوف . فلا يجوز لزوم الصمت بشأنه . يبدو لي أننا نجد هنا ، في مشروع القرار هذا ، ما نحن بحاجة اليه الآن . ويجب القول باسم المؤتمر الذي يصادق على البرنامج والذي هو أعلى هيئة في الحزب : اليكم كيف نفهم هذا البرنامج . وأكرر ان المجادلات النظرية لا تنقطع بذلك . وقد ترد اقتراحات بتغيير البرنامج ، فليس هناك أي مانع يحول دون ذلك . ونحن لا نعتبر البرنامج بديعاً الى حد انه لا يصح تغيير أي شيء فيه ؛ ولكنه ليس لدينا الآن مقترحات صريحة ، ولم نخصص وقتاً لدراسة هذه المسألة . واذا قرأنا هذا البرنامج بانتباه ، نجد هنا ما يلي : «ينبغي على النقابات أن تتوصل الى تمركز فعلي ، والخ .» ، «ينبغي ان تتوصل الى تمركز فعلي» — هذا تجب الاشارة اليه . وقبل ذلك ، نقرأ أن «النقابات تشترك ، بموجب القانون ، في جميع الهيئات المحلية والمركزية لادارة الانتاج» . ونحن نعرف ان الانتاج الرأسمالي قد بني في غضون عشرات السنين ، بمساهمة جميع البلدان المتقدمة في العالم . فهل سقطنا في الصبيانية ، يا ترى ، لكي نظن ان بوسعنا أن ننهي هذه العملية بفائق السرعة في ظرف يتميز بأشد العوز والاملاق في بلد يشكل فيه

العمال الاقلية ، في بلد الطليعة البروليتارية فيه منهوكة القوى مستنزفة الدماء والفلاحون فيه جمهور لجب ؟! فنحن لم نرس بعد حتى القاعدة الأساسية ، انما بدأنا نرسم بالخبرة فقط كيف يجب تسيير ادارة الانتاج هذه بمشاركة النقابات . ونحن نعرف ان العقبة الرئيسية هي العوز . وليس من الصحيح القول أننا لا نشرك الجماهير ؛ بل بالعكس ؛ فان كل موهبة بارزة نوعاً ، وكل كفاءة بارزة في جمهور العمال ، مهما كانت صغيرة ، تلقى أصدق المساندة من جانبنا . كل ما ينبغي ، هو أن تخف وطأة الوضع قليلاً . تنبغي لنا سنة أو سنتا راحة من الجوع ، لا أقل . وهذه مدة تافهة على صعيد التاريخ ، ولكنها مدة كبيرة في ظرفنا . سنة أو سنتا راحة من الجوع ، سنة أو سنتان من التزود الصحيح بالوقود لكي تعمل المعامل ، فنلقى من الطبقة العاملة من المساندة ما يزيد مائة مرة ، ويبرز من صفوفها من المواهب أكثر بكثير مما لدينا الآن . وما من أحد يشك في هذا ، أو يمكنه ان يشك فيه . نحن لا نلقى الآن هذه المساندة ، وليس ذلك لاننا لا نريد . فنحن نفعل كل ما يمكن فعله لهذا الغرض . ولن يكون بمقدور احد ان يبين ان الحكومة والنقابات ولجنة الحزب المركزية قد فوتت ولو فرصة واحدة في هذا المجال ؛ ولكننا نعرف ان العوز رهيب ، وان الجوع والبؤس في كل مكان ، وأن الخمول غالباً ما يظهر في هذه التربة . ولن نخشى من تسمية الشر والمصيبة باسميهما الحقيقيين . هذا ما يعيق انطلاق عزيمة الجماهير . وانه لمن المستحيل اطلاقاً في وضع نعرف فيه من الاحصاءات ان نسبة العمال في الادارات تبلغ ٦٠٪ ان نحاول الآن تفسير كلمات البرنامج : «ينبغي على النقابات أن تتوصل الى تمركز فعلي» ، والخ . ، — أن نحاول تفسير هذه الكلمات على طريقة شليابنيكوف .

ان تفسير البرنامج تفسيراً صحيحاً سيتيح لنا الجمع بين اللحمة والوحدة التكتيكية الضرورية وبين حرية النقاش الضرورية ، الأمر الذى أشير اليه في نهاية مشروع القرار . ففيم يتلخص مشروع القرار ؟ لنقرأ البند السادس :

«وبالاستناد الى هذا كله ، ينبذ مؤتمر الحزب الشيوعي في روسيا بكل حزم الأفكار المنوه بها والتي تعبر عن انحراف سنديكالي وفوضوي . ويرى من الضروري : أولاً ، شن نضال دائب منتظم ضد هذه الافكار ؛ ثانياً ، يرى المؤتمر ان ترويج هذه الأفكار لا يتفق مع الانتساب الى الحزب الشيوعي في روسيا .

ويكلف المؤتمر لجنة الحزب المركزية بتطبيق هذين القرارين بأشد الحزم ، ويشير في الوقت نفسه الى أنه من الممكن ومن الواجب ايلاء مكان في المنشورات الخاصة والمجموعات ، الخ . ، لأوسع تبادل في الآراء ، بين أعضاء الحزب ، حول جميع المسائل الواردة أعلاه» .

اولا ترون ، — وأنتم جميعكم محرضون ودعاة بهذا الشكل أو ذلك ، — أولا ترون الفرق بين الدعاية للأفكار في داخل الأحزاب السياسية المتصارعة وبين تبادل الآراء في المنشورات الخاصة والمجموعات ؟ اني واثق بأن هذا الفرق يراه كل من يرغب في ادراك كنه مشروع القرار هذا . واننا لنأمل بأن ممثلي هذا الانحراف الذين نأخذهم في اللجنة المركزية ، سيقفون في اللجنة المركزية من قرار مؤتمر الحزب ، كما يقف منه كل عضو انضباطي واع من أعضاء الحزب ؛ ونأمل بأننا سنتفهم هذا الأمر بمساعدتهم في اللجنة المركزية دون أن نخلق وضعاً خاصاً ؛ سنتفهم ما يجري داخل الحزب ، — الدعاية للأفكار في داخل الحزب السياسي المناضل أو تبادل الآراء في المنشورات الخاصة والمجموعات . أما من يهتم بدراسة الاستشهادات من انجلس بكل دقائقها ، فليتفضل ! هناك نظريون

سيعطون الحزب دائماً نصيحة مفيدة . وهذا ضروري . سنصدر مجموعتين أو ثلاث مجموعات كبيرة ، – فهذا نافع وهذا ضروري اطلاقاً . ولكن هل هذا يشبه الدعاية للافكار والصراع بين المناهج ، هل يمكن خلط هذا ؟ ان أياً ممن يرغبون في ادراك كنه وضعنا السياسي لن يخلط هذا .

لا تعيقوا عملنا السياسي ، ولا سيما في الظرف الحرج ، ولكن لا تتخلوا عن البحوث العلمية ، فاذا شاء الرفيق شليابنيكوف ، على سبيل المثال ، ان يضيف في أوقات فراغه في الأشهر القريبة القادمة ، الى المجلد الذي أصدره مؤخراً عن خبرة نضاله الثوري في العهد السري مجلداً ثانياً يتضمن تحليلاً لمفهوم «المنتج» ، فليتفضل ! أما مشروع القرار المعني ، فانه سيكون بالنسبة لنا بمثابة معلم . لقد فتحنا مناقشة واسعة للغاية وحرة للغاية . وقد صدر منهج «المعارضة العمالية» في صحيفة الحزب المركزية بـ ٢٥٠٠٠٠ نسخة . وقد درسناه من جميع النواحي وبكل الطرق ، وانتخبنا ، على أساس هذا المنهج ، وعقدنا ، في آخر المطاف ، مؤتمراً يستخلص رصيد المناقشة السياسية ويقول : الانحراف تحدد ، لن نلعب بالغميضة ، لنقل على المكشوف : الانحراف هو الانحراف ، ويجب اصلاحه ؛ وسنصلحه ، اما المناقشة ، فستكون مناقشة نظرية .

ولهذا السبب ، أجدد وادعم الاقتراح القائل بأن نصادق على مشروعي القرارين هذين ونوطد وحدة الحزب ونعطي تعريفاً صحيحاً لما يجب ان تهتم به الاجتماعات الحزبية ولما يمكن ان يهتم به في أوقات الفراغ بعض الأفراد الماركسيين ، الشيوعيين ، الذين يريدون ان يساعدوا الحزب ويدرسوا هذه أو تلك من المسائل النظرية . **(تصفيق .)**

«البرافدا» ، العدد ٦٨ ، ٣٠ آذار (مارس) ١٩٢١

المجلد ٤٣ ، ص ص ٩٨–١٠٦

الى الرفاق الشيوعيين في آذربيجان وجورجيا وارمينيا وداغستان والجمهورية الجبلية

اني اذ احيي جمهوريات القفقاس السوفييتية بحرارة اسمح لنفسي بان اعرب عن الأمل بأن تحالفها الوثيق سيكون نموذجاً لسلام بين القوميات لم ير له نظير في ظل البرجوازية ويستحيل في النظام البرجوازى .

ولكن ، مهما بلغت اهميـة السلام القومـي بين العمال والفلاحين ابناء القوميات القفقاسية ، فان الحفاظ على السلطة السوفييتية وتطويرها بوصفها ممراً الى الاشتراكية ، امر ذو اهمية اكبر بما لا يقاس . ان المهمة عسيرة ، ولكن تحقيقهـا امر ممكن كل الامكان . واهم ما يطلب للقيام بها بنجاح هو ان يفهم الشيوعيون فيما وراء القفقاس **السمات الخاصة** التى تميز وضعهم ووضع جمهورياتهم عن وضع جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية وعن ظروفها ، وان يفهموا ان الضرورة لا تتطلب نسخ خطتنا ، بل تتطلب اعمال الفكر في تعديلهـــا حتى تصبح متلائمة مع الظروف الملموسة المختلفة .

ان الجمهورية السوفييتية في روسيا لم تجد في اي جهة تأييداً سياسيـاً وعسكريـاً . وهي ، بالعكس ، قـد ناضلت سنوات طويلة ضد حصار دول الوفاق وغزواتها العسكرية .

اما جمهوريات القفقاس السوفييتية فقد وجدت من جمهورية روسيا الاتحادية التأييد السياسي كما وجدت منها بعض التأييد العسكري . وهذا اول فرق اساسي .

ثانياً : لا ينتظر ان تقدم دول الوفاق الآن على الغزو وعلى تقديم المساعدة العسكرية للحرس الأبيض من الجورجيين والآذربيجانيين والأرمن والداغستانيين والجبليين . لقد «لدغت» دول الوفاق في روسيا ، وهذا سيحملها في اكبر الظن على التحوط بالحذر فترة من الزمن .

ثالثاً : ان الجمهوريات القفقاسيـــة هي بلدان فلاحين ذات طابع فلاحي اكبر بكثير مما هي عليه روسيا .

رابعاً : من الناحية الاقتصادية كانت روسيـــا ولا تزال الى حد كبير منعزلة عن البلدان الرأسمالية المتقدمة ؛ ويمكن للقفقاس ان يقيم «التعايش» والتبادل التجاري مع الغرب الرأسمالي بصورة اسرع واسهل .

وما ذكرناه لا يستنفد الفروق كلها . غير ان ما ذكرناه من الفروق كاف لفهم ضرورة خطة اخرى .

قدر اكبر من اللين والاحتراس والتساهل حيال البرجوازية الصغيرة ، حيال الانتلليجينسيا وبوجه خاص حيال الفلاحين . الاستفادة اقتصادياً بكل الوسائل وبكثـرة وسرعـة من الغرب الرأسمالي في سياســة الامتيازات والتبادل التجاري . فالنفط والمانغانيز والفحم (مقالع تكفارتشيلي) والنحاس تشكـــل جزءاً غير كبير من قائمة الثروات المطمورة الضخمة . ومن الممكن كل الامكان تطوير سياسة الامتيازات والتبادل التجارى مع الخارج على نطاق واسع .

ينبغي القيام بذلك على نطاق واسع وبحزم ومهارة واحتراس ، والاستفادة من ذلك بكل وسيلة لتحسين وضع العمال والفلاحين

ولجذب الانتلليجينسيا الى الاشتراك في البناء الاقتصادي . ومع الاستفادة من التبادل التجاري مع ايطاليا واميركا والبلدان الاخرى ينبغي بذل كل الجهود لتطوير القوى المنتجة في المنطقة الغنية ، الفحم الابيض والري . فللري اهمية كبيرة جداً للنهوض بالزراعة وتربية الماشية مهما كلف الأمر .

من الممكن والضروري لجمهوريات القفقاس ، خلافاً لجمهورية روسيا الاتحادية ، الانتقال الى الاشتراكية بانتظام اكبر واحتراس اشد وسرعة اضعف . هذا ما ينبغي فهمه ومعرفة تحقيقه خلافاً لخطتنا .

لقد قمنا بفتح الثغرة الاولى في الرأسمالية العالمية . لقد تم فتح الثغرة . وذدنا عن انفسنا في حرب عسيرة وقاسية ، في حرب خارقة ومسعورة ، في حرب ضروس منهكة ضد البيض والاشتراكيين-الثوريين والمناشفة المستندين الى تأييد دول الوفاق كلها وحصارها ومساعدتها العسكرية .

لا ينبغي لكم ايها الرفاق الشيوعيون في القفقاس ان تفتحوا الثغرة ، ينبغي لكم ان تحسنوا خلق الجديد بانتظام اكبر واحتراس اشد ، مستفيدين من وضع سنة ١٩٢١ الدولي الملائم لكم . ان اوروبا والعالم كله ليسا في سنة ١٩٢١ كما كانا في سنتي ١٩١٧ و١٩١٨ .

لا ينبغي لكم ان تنسخوا خطتنا ، بل ينبغي لكم ان تعملوا الفكر بانفسكم في اسباب النواحي التي تتفرد بها ، في ظروفها ونتائجها ، ينبغي لكم ان تطبقوا لا الحرف ، بل الروح والمغزى ، ودروس خبرة سنوات ١٩١٧ – ١٩٢١ . ومن الناحية الاقتصادية ، ينبغى لكم ان تستندوا فوراً الى التبادل التجاري مع بلدان الخارج الرأسمالي ، وان لا تكونوا بخلاء : فلا ضير ان تقع في ايدي هذه البلدان عشرات الملايين من منتجات صناعات الاستخراج الثمينة .

ينبغي لكم ان تبذلوا الجهد دون ابطاء لتحسين حالة الفلاحين والبدء بأعمال كبيرة للكهربة والري . ان الري هو امس ما تدعو اليه الحاجة ، وليس من شيء كالري يخلق المنطقة خلقاً جديداً ويبعثها ويدفن الماضي ويوطد الانتقال الى الاشتراكية .

اعتذر لما يبدو من عدم العناية في هذه الرسالة التي ترتب علي ان اكتبها على عجل كي ارسلها صحبة الرفيق مياسنيكوف وابعث مرة اخرى احسن التحيات والتمنيات للعمال والفلاحين في جمهوريات القفقاس السوفييتية .

ن . لينين

موسكو ، ١٤ نيسان (ابريل) سنة ١٩٢١ .

« برافدا غروزيي » ، العدد ٥٥ ، ٨ ايار (مايو) ١٩٢١

المجلد ٤٣ ، ص‌ص ١٩٨–٢٠٠

المؤتمر الثالث للأممية الشيوعية

٢٢ حزيران (يونيو) – ١٢ تموز (يوليو) ١٩٢١ (١٢٥)

١

موضوعات التقرير عن تكتيك الحزب الشيوعي في روسيا

١ – الوضع الدولي لجمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية

ان الوضع الدولي لجمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية يتصف في الوقت الحاضر بتوازن معين ، غير مستقر للغاية ، الا انه انشأ مع ذلك حالة خاصة في السياسة العالمية .

وهذه الخاصة هي ، من جهة ، ان البرجوازية العالمية ، بدافع من عدائها لروسيا السوفييتية وحقدهـــا الجنوني عليها ، مستعدة في كل حين لأن تنقض عليها لتخنقها . ومن جهة اخرى ، اخفقت كليا جميع محاولات التدخل العسكرى التي كلفت هذه البرجوازية مئات الملايين من الفرنكات ، مع ان سلطة السوفييتات كانت اضعف مما هي عليه اليوم ، ومع ان الملاكين العقاريين والرأسماليين الروس كانوا يملكون جيوشا كاملـة في اراضـي جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية . وفي جميع البلدان الرأسمالية ، اشتدت الى اقصى حد معارضة الحرب ضد روسيا السوفييتية ؛ وهذه المعارضة تغذي الحركة الثوريـــة للبروليتاريا ، وتكسب جماهير واسعة جدا من الديموقراطيـة البرجوازية الصغيرة . ولقد تفاقم تناحر المصالـح بين مختلف البلدان الامبريالية وهو يتفاقم كل يوم اكثر فاكثر ، والحركة

الثورية تتطور بشدة رائعة بين مئات الملايين من ابناء شعوب الشرق المظلومة . وبسبب من جميع هذه الظروف ، وجدت الامبريالية العالمية نفسها عاجزة عن خنق روسيا السوفييتية ، رغم انها اقوى منها بكثير ؛ فاضطرت لفترة من الزمن الى الاعتراف بها او الى شبه الاعتراف بها ، الى عقد المعاهدات التجارية معها .

وقد نشأ عن ذلك توازن ، صحيح انه يبلغ الحد الاقصى من الوهن ، الحد الاقصى من التقلقل ، ولكنه يتيح مع ذلك للجمهورية الاشتراكية – لا لزمن طويل ، بالطبع – ان تقوم في ظرف التطويق الرأسمالي .

٢ – نسبة القوى الطبقية على النطاق العالمي

بسبب من هذا الوضع ، تكونت نسبة القوى الطبقية على الصعيد العالمي على النحو التالي :

البرجوازية العالمية تتربص ، اذ حيل بينها وبين الحرب بشكل سافر على روسيا السوفييتية ، فهى تترصد اللحظة الملائمة لتستأنف هذه الحرب .

وفي كل مكان ، في البلدان الرأسمالية المتقدمة ، قدمت البروليتاريا طليعتها – الاحزاب الشيوعية ، التي تتطور وتسير بلا توقف نحو الظفر باغلبية البروليتاريا في كل بلد ، محطّمة نفوذ قدماء البيروقراطيين التريديونيونيين والفئات العليا من الطبقة العاملة ، التي افسدتها الامتيازات الامبريالية في اميركا وفي اوروبا .

وفي البلدان الرأسمالية ، نجد ان الديموقراطية البرجوازية الصغيرة التي تمثل الاممية الثانية والاممية الثانية والنصف

قسمها المتقدم ، هي في الوقت الحاضر السند الرئيسي للرأسمالية لانها لا تزال تبسط نفوذها على الاغلبية او على قسم كبير من العمال والمستخدمين في الصناعة والتجارة ، ممن يخشون ان يفقدوا ، في الثورة ، رفاههم البرجوازي الصغير النسبي ، القائم على امتيازات الامبريالية . ولكن وضع الجماهير الغفيرة يتردى في كل مكان من جراء الازمة الاقتصادية المتفاقمة ؛ وهذا الظرف ، بالاضافة الى هذا الواقع الذى يتضح اكثر فاكثر وهو ان الحروب الامبريالية الجديدة محتمة مع بقاء الرأسمالية ، يجعل السند المذكور واهيا اكثر فاكثر .

ان الجماهير الكادحة في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة ، التي تؤلف الاغلبية الكبرى من سكان الكرة الارضية ، قد أستيقظت على الحياة السياسية منذ مطلع القرن العشرين ، ولا سيما بفعل الثورات في روسيا ، وتركيا ، وبلاد فارس ، والصين . والحرب الامبريالية في ١٩١٤ – ١٩١٨ وسلطة السوفييتات في روسيا تحولان هذه الجماهير نهائيا الى عامل فعال في السياسة العالمية وفي تحطيم الامبريالية تحطيما ثوريا ، رغم ان البرجوازية الصغيرة المتعلمة في اوروبا واميركا ، بمن فيها زعماء الاممية الثانية والاممية الثانية والنصف ، يعاندون في عدم ملاحظة ذلك . وعلى رأس هذه البلدان ، تقف الهند البريطانية حيث الثورة تتصاعد ، من جهة ، بقدر ما تزداد البروليتاريا الصناعية وبروليتاريا السكك الحديدية عددا ، ومن جهة اخرى ، بقدر ما تشتد ضراوة الارهاب الذى يسلطه الانجليز الذين يلجأون اكثر فاكثر الى اقتراف المجازر الشاملة (امريتسار) (١٢٦) والجلد العلنى ، الخ . .

٣ – نسبة القوى الطبقية في روسيا

ان الوضع السياسي الداخلي في روسيا السوفييتية يحدده واقع اننا نرى فيها ، للمرة الاولى في تاريخ العالم ، وجود طبقتين فقط منذ عدة سنوات : البروليتاريا التي تولت تربيتها خلال عدة عقود ، صناعة آلية ضخمة عصرية ، وان فتية جدا ، وطبقة الفلاحين الصغار الذين يؤلفون الاغلبية الساحقة من السكان .

ان كبار الملاكين العقاريين والرأسماليين لم يزولوا من روسيا ولكن املاكهم صودرت بكليتها ، وانهزموا تماما سياسيا بوصفهم طبقة ، واختفت بقاياهم بين مستخدمي الدوائر العامة لسلطة السوفييتات . وقد احتفظوا بتنظيمهم الطبقي في الخارج : ونعني بذلك المهاجرين الذين يتراوح عددهم ، حسب كل احتمال ، بين مليون ونصف مليون نسمة ومليوني نسمة ، ويملكون اكثر من خمسين جريدة يومية تابعة لجميع الاحزاب البرجوازية و«الاشتراكية» (اي البرجوازية الصغيرة) ؛ ونعني ايضا بقايا الجيش ، وكذلك كثرة من الصلات مع البرجوازية العالمية . ان هؤلاء المهاجرين يعملون بجميع قواهم وبجميع الوسائل من اجل تحطيم السلطة السوفييتية واعادة الرأسمالية في روسيا .

٤ – البروليتاريا والفلاحون في روسيا

في هذا الوضع الداخلي لروسيا ، تتقوم مهمة الساعة الاسياسية بالنسبة لبروليتارياها ، بوصفها الطبقة السائدة ، في حسن رسم وتطبيق التدابير الضرورية لقيادة الفلاحين ، للتحالف معهم تحالفا متينا ، لتحقيق سلسلة طويلة من الانتقالات التدريجية نحو الزراعة الجماعية الممكننة الضخمة . وانها لمهمة في غاية

الصعوبة في روسيا ، نظرا لتأخر بلدنا ، فضلا عن الخراب التام الذى حل به من جراء سبع سنوات من الحرب الامبريالية والحرب الاهلية . ولكن المهمة المذكورة ، حتى بصرف النظر عن هذه الخاصة ، تعتبر من اصعب المهام التي ستواجه ، خلال البناء الاشتراكي ، جميع البلدان الرأسمالية ، وربما باستثناء انجلترا وحدها . ولكنه بالنسبة لانجلترا ايضا ، ينبغي لنا ألا ننسى انه اذا كانت طبقة صغار المزارعين مستأجري الاراضي قليلة جدا في هذا البلد ، الا ان النسبة المئوية من العمال والمستخدمين ممن يعيشون عيشة برجوازية صغيرة هي بالمقابل مرتفعة بشكل استثنائي ، من جراء العبودية الفعلية التي يعانيها مئات الملايين من الناس في المستعمرات التي «تخص» انجلترا .

ولذا فان مغزى العهد الذي تجتازه روسيا يتقوم ، من حيث تطور الثورة البروليتارية العالمية باعتبارها حركة موحدة ، في انه يترتب على روسيا ان تختبر وتتحقق عمليا من السياسة التي تنتهجها البروليتاريا المتسلمة زمام سلطة الدولة ازاء الجماهير البرجوازية الصغيرة .

٥ – التحالف الحربي بين البروليتاريا والفلاحين في جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية

ان حقبة ١٩١٧ – ١٩٢١ هي التي كوّنت اساس العلاقات الصحيحة بين البروليتاريا والفلاحين في روسيا السوفييتية ، حقبة ادى فيها غزو الرأسماليين والملاكين العقاريين ، بمساندة كل البرجوازية العالمية وجميع احزاب الديموقراطية البرجوازية الصغيرة

(الاشتراكيين-الثوريين والمناشفة) الى انشاء وتوطيد وبلورة التحالف الحربي بين البروليتاريا والفلاحين دفاعا عن سلطة السوفييتات . ان الحرب الاهلية هي أحدّ شكل من اشكال النضال الطبقي ؛ والحال ، بقدر ما تشتد حدة هذا النضال ، بقدر ما تحرق في نارها بمزيد من السرعة جميع الاوهام والخرافات البرجوازية الصغيرة ، ويبين الواقع ذاته بمزيد من الوضوح حتى لأشد فئات الفلاحين تأخرا ان ديكتاتورية البروليتاريا هي وحدها التي تستطيع ان تأتيها بالخلاص ، وان الاشتراكيين-الثوريين والمناشفة ليسوا في الواقع سوى خدم الملاكين العقاريين والرأسماليين .

ان التحالف الحربي بين البروليتاريا والفلاحين قد كان – ولم يكن بوسعه ألا يكون – الشكل الاول للتحالف الوطيد بين هاتين الطبقتين ولكنه ما كان في مقدوره ان يبقى حتى بضعة اسابيع دون تحالف اقتصادى معين بينهما . فمن دولة العمال ، تلقى الفلاحون كل الارض والحماية ضد الملاك العقارى وضد الكولاك ؛ ومن الفلاحين تلقى العمال قرضا من المنتجات الغذائية ، بانتظار بعث الصناعة الضخمة .

٦ – الانتقال الى علاقات اقتصادية صحيحة بين البروليتاريا والفلاحين

ان التحالف بين الفلاحين الصغار والبروليتاريا لن يصبح سليما وثابتا اطلاقا من وجهة النظر الاشتراكية ، الا يوم ترمم النقليات والصناعة الضخمة ترميما تاما فتتيحان للبروليتاريا ان تقدم للفلاحين ، مقابل المنتجات الغذائية ، جميع السلع الصناعية التي يحتاجونها لانفسهم ولتحسين استثماراتهم . وبما ان الخراب التام قد حل بالبلاد ، فقد استحال علينا اطلاقا القيام

بهذه المهمة من الدفعة الاولى . وكانت المصادرة التدبير الاسهل تطبيقا بالنسبة لدولة غير منظمة تنظيما كافيا ؛ وقد مكنتها من الصمود في حرب بمنتهى القساوة ضد الملاكين العقاريين . وجاء سوء الموسم والنقص في الاعلاف في عام ١٩٢٠ يزيدان الى حد كبير من تفاقم بؤس الفلاحين فوق ما هو عليه من تفاقم فادح ، ويجعلان من الضرورى اطلاقا الانتقال فورا الى الضريبة العينية .

ان الضريبة العينية ، اذا كانت معتدلة ، تتيح تحسين وضع الفلاحين على الفور تحسينا كبيرا ؛ وتحفز في الوقت نفسه مصلحة الفلاحين في زيادة المساحات المزروعة وتحسين حراثة الارض .

ان الضريبة العينية تعني الانتقال من مصادرة جميع فوائض الحبوب عند الفلاح الى تبادل المنتجات بين الصناعة والزراعة بطريقة اشتراكية منتظمة .

٧ – لماذا وباية شروط تقبل سلطة السوفييتات بالرأسمالية والامتيازات

ان الضريبة العينية تفترض ، بالطبع ، الحرية للفلاح في التصرف بالفوائض التي تتبقى لديه بعد ان يسدد الضريبة . وبما ان الدولة لن تستطيع ان تقدم للفلاح منتجات المصنع الاشتراكي مقابل جميع هذه الفوائض ، فان حرية بيع هذه الفوائض ستعني بالضرورة حرية تطور الرأسمالية .

ومع ذلك فان هذا لا ينطوي ، في الحدود المعينة ، على اي خطر على الاشتراكية ، ما دامت النقليات والصناعة الضخمة في يد البروليتاريا . بل بالعكس ؛ فان تطور الرأسمالية ، الذي

تراقبه وتضبطه الدولة البروليتارية (اي رأسمالية «الدولـــة» بهذا المعنى) ، مفيد وضروري (الى حد معين فقط ، طبعـــا) في بلد من صغار الفلاحين ، فاق فيه الخراب والتأخر كل حد ، لانه من شأن هذا التطور ان يعجل نهوض الزراعة الفلاحيـــة على الفور . وهذا أصح ايضا بالنسبة للامتيازات : فان دولة العمال ، دون ان تلجأ البتة الى ابطال التأميم ، تؤجر هذه المناجم او تلك ، هذه الغابات او تلك ، آبار البترول هذه او تلك ، الخ . ، من الرأسماليين الاجانب ، لكي تحصل منهم على مزيد من الاعتدة والآلات التي ستمكننا من انهاض صناعتنا السوفييتية الضخمة بأسرع وقت .

ان دولة العمال ، اذ تمنح اصحاب الامتيازات قسمـــاً من هذه الموارد الثمينة جداً على سبيل الاجرة ، تدفع بلا ريب جزية للبرجوازية العالمية . وعلينا ألا نطمس في شيء هذا الامر ، وان ندرك جيداً في الوقت نفسه انه مفيد لنا ان ندفع هـــــذه الجزية ، لكي نعجل بعث صناعتنا الضخمة وتحسين وضع العمال والفلاحين بصورة جدية .

٨ – نجاحات سياستنا التموينية

ان السياسة التي انتهجتها روسيا السوفييتية فيما يخص المواد الغذائية من عام ١٩١٧ الى عام ١٩٢١ قد كانت بلا ريب فظة جدا ، غير كاملة ؛ وفسحت في المجال لكثرة من التجاوزات وقد اقترفت جملة من الاخطاء لدن تطبيقهـا . ولكنها كانت بالاجمال ، في ظروف تلك الحقبة ، السياسة الوحيدة الممكنة . وادت رسالتها التاريخية : فقد صانت ديكتاتورية البروليتاريا في بلد خرب ومتأخر . ثم هناك واقع لا مراء فيه ، هو ان هذه

السياسة تحسنت شيئا فشيئا . فخلال السنة الاولى من تمتعنا الكامل بالسلطة (١-٨-١٩١٨-١-١٩١٩) جمعت الدولة ١١٠ ملايين بود من الحبوب ؛ وفي السنة الثانية - ٢٢٠ ؛ وفي الثالثة ،اكثر من ٢٨٥ مليونا . واليوم ، نضع نصب عيوننا ، بالاعتماد على التجربة المكتسبة ، مهمة الحصول على ٤٠٠ مليون بود (الضريبة العينية تشمل ٢٤٠ مليون بود) ونأمل جمع هذه الكمية . وحين يصبح في حوزة دولة العمال فعلا احتياطي كاف من المواد الغذائية ، حينذاك فقط ، تستطيع الاعتماد على نفسها في المجال الاقتصادى ، وتتمكن من تأمين انهاض الصناعة الضخمة بصورة بطيئة حقا ، ولكنها مستمرة ، وتتمكن من انشاء نظام مالي عادى .

٩ - القاعدة المادية للاشتراكية وبرنامج كهربة روسيا

ان القاعدة المادية للاشتراكية لا يمكن ان تكون الا الصناعة الضخمة الآلية ، التي من شأنها ان تعيد ايضا تنظيم الزراعة . ولكنه لا يجوز الاقتصار على اعلان هذا المبدأ العام . ينبغي تجسيده . ان صناعة ضخمة في مستوى التكنيك العصرى ومن شأنها ان تعيد تنظيم الزراعة ، انما هي كهربة البلاد بأسرها . كان ينبغي لنا ان نقوم بابحاث علمية لوضع برنامج كهذا لكهربة جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية ؛ وقد قمنا بها . وهذه الاعمال ، التي اشترك فيها اكثر من ٢٠٠ من خيرة العلماء والمهندسين والمهندسين الزراعيين في روسيا ، قد أنجزت وصدرت في مجلد ضخم ، وصادق عليها ، بخطوطها الكبرى ، مؤتمر السوفييتات الثامن لعامة روسيا ، في شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ . وفي الوقت الحاضر ، تمت

التحضيرات لعقد مؤتمر للفنيين الكهربائيين لعامة روسيـــا ، سيلتئم في آب (اغسطس) ١٩٢١ ويدرس هذا المؤلف دراسة معمقة . وحينذاك ، سيحظى هذا المؤلف بمصادقة الدولة النهائية (١٢٧) . ان اعمال الكهربة من الدفعة الاولى موزعـة على عشر سنوات ؛ وستتطلب قرابة ٣٧٠ مليونا من ايام العمل .

في عام ١٩١٨ ، بنينـا ٨ محطـات كهربائيـة (٤٧٥٧ كيلوواط) ؛ وفي ١٩١٩ ، ارتفع عدد المحطات المبنية حديثا الى ٣٦ محطة (١٦٤٨ كيلوواط) ؛ وفي ١٩٢٠ ، الى ١٠٠ (٨٦٩٩ كيلوواط) .

ومهما كانت هذه البداية متواضعة بالنسبة لبلدنا الشاسع ، الا ان العمل قد بدأ ، وهو يتقدم ، ويتحسن باستمرار . بعد الحرب الامبريالية ، بعد ان اطلع مليون من الاسرى في المانيا على التكنيك العصرى المتقدم ، بعد تجربة الحرب الاهلية التي دامت ثلاث سنوات ، بعد هذه التجربـة القاسيـة ، ولكنهـا الممرّسة ، بعد كل هذا ، لم يبق الفلاح الروسي على ما كان عليه فيما مضى . وان كل شهر يمضي يبين له بوضوح وجلاء متزايدين على الدوام ، ان قيادة البروليتاريا هي وحدها التي تستطيع ان تحرر جمهور صغار المزارعين من العبودية للرأسمال وتقودهم الى الاشتراكية .

١٠ – دور حلفاء الرأسمال : «الديموقراطية الخالصة» ، والأممية الثانية والأممية الثانية والنصف ، والاشتراكيين-الثوريين والمناشفة

ان ديكتاتورية البروليتاريا لا تعني وقف النضال الطبقي ؛ انما تعني مواصلتـه بشكل جديـد وبادوات جديدة . وهذه

الديكتاتورية ضرورية ما دامت الطبقات قائمة ، ما دامت البرجوازية المقلوبة في بلد واحد تضاعف هجماتها عشرة اضعاف ضد الاشتراكية على النطاق العالمي . ان طبقة صغار المزارعين معرضة حتماً لجملة من الترددات ابان مرحلة الانتقال . ومصاعب الحالة الانتقالية ، وتأثير البرجوازية يبعثان الذبذبات حتما ، من حين الى آخر ، في مزاج هذا الجمهور . وعلى البروليتاريا ، التي دب فيها الضعف والتي تفسخت طبقيا الى حد ما من جراء تدمير قاعدتها الحيوية ، — الصناعة الضخمة الآلية ، — تقع مهمة تاريخية صعبة جداً ، وهي اعظم المهمات : الصمود رغم هذه الذبذبات ، وتأدية رسالتها كليا ، رسالة تحرير العمل من النير الرأسمالي .

ان ذبذبات البرجوازية الصغيرة تتجلى سياسيا في سياسة الاحزاب الديموقراطية البرجوازية الصغيرة اى الاحزاب المنتسبة الى الاممية الثانية والى الاممية الثانية والنصف ، كحزبي الاشتراكيين-الثوريين والمناشفة في روسيا . ان هذين الحزبين اللذين يملكان الآن في الخارج هيئات اركانهما وصحفهما الرئيسية ، يتكتلان ، بالفعل ، مع كل الحركة البرجوازية المعادية للثورة ويخدمانها بامانة .

ان زعماء البرجوازية الروسية الكبيرة الاذكياء وعلى رأسهم ميليوكوف ، زعيم حزب «الكاديت» («الديموقراطيين الدستوريين») ، قد قدروا بتعابير دقيقة ، واضحة ، صريحة ، هذا الدور الذي تضطلع به الديموقراطية البرجوازية الصغيرة ، اي الاشتراكيون-الثوريون والمناشفة . فلمناسبة فتنة كرونشتادت ، حيث رأينا المناشفة والاشتراكيين-الثوريين والحرس الابيض يوحدون جهودهم ، اّيد ميليوكوف شعار : «السوفييتات بدون البلاشفة»

(«البرافدا» ، العدد ٦٤ ، ١٩٢١ ؛ استشهاد مستقى من «بوسلدنيه نوفوستي» الصادرة في باريس (١٢٨)) . وقد كتب في شرح هذه الفكرة قائلاً : «المكان والشرف» للاشتراكيين-الثوريين والمناشفة ، لأن عليهم تقع مهمة تأمين **اول انتقال** للسلطة من البلاشفة . ان ميليوكوف ، زعيم البرجوازية الكبيرة ، يحسب الحساب بدقة لعبر جميع الثورات ، وقد بينت هذه الثورات ان الديموقراطية البرجوازية الصغيرة عاجزة عن الاحتفاظ بالسلطة ؛ وانها دائماً مجرد اداة لتمويه ديكتاتورية البرجوازية ، مجرد درجة تقود الى حكم البرجوازية المطلق .

ان الثورة البروليتارية في روسيا تؤكد مراراً وتكراراً هذه التجربة من سنوات ١٧٨٩ – ١٧٩٤ و١٨٤٨ – ١٨٤٩ ؛ وتؤكد صحة اقوال فريدريك انجلس ، حين كتب في رسالة الى بيبل بتاريخ ١١ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٨٤ ، يقول :

« . . . ان الديموقراطية الخالصة . . . تكتسب ابان الثورة ، لفترة وجيزة ، اهمية موقتة . . . بوصفها مرساة الخلاص الاخير لكامل الاقتصاد البرجوازى ، وحتى الاقطاعي . . . وهكذا بالضبط دعم كل الجمهور البيروقراطي الاقطاعي الليبيراليين في عام ١٨٤٨ ، من شهر آذار (مارس) الى شهر ايلول (سبتمبر) ، بغية ابقاء الجماهير الثورية في حالة الخضوع . . . وفي كل حال ، سيكون خصمنا الوحيد ، ابان الازمة وبُعيد الازمة ، كل الجمهور الرجعي الملتف حول الديموقراطية الخالصة ؛ وهذا ما لا يجب ، برأيي ، اهماله في اي حال» (نشر بالروسية في صحيفة «كومونيستيشيسكي ترود» (١٢٩) ، عام ١٩٢١ ، العدد ٣٦٠ ، ٩ حزيران – يونيو – ١٩٢١ ، مقال الرفيق ف . ادوراتسكي : «ماركس وانجلس بصدد الديموقراطية» . بالالمانية ، في كتاب :

فريدريك انجلس : «الوصية السياسية» ، برلين ، ١٩٢٠ ، العدد ١٢ من «مكتبة الشباب العالمية» ، صفحة ١٩) .

ن . لينين

موسكو ، الكرملين ، ١٣ حزيران (يونيو) ١٩٢١ .

صدر عام ١٩٢١ في موسكو في كراس على حدة عن قسم الصحافة للاممية الشبوعيـة

المجلد ٤٤ ، ص‌ص ٣–١٢

٢

خطاب دفاعاً عن تكتيك الأممية الشيوعية في اول تموز (يوليو)

ايها الرفاق ! لأسفي الكبير ، يتعين علـّي ان اكتفي بالدفاع عن نفسي . (**ضحك** .) اقول لأسفي الكبير ، لأني رغبت شديد الرغبة في الانتقال الى الهجوم بعد الاطلاع على خطاب الرفيق تيراتشيني وعلى التعديلات التي تقدمت بها ثلاثة وفود ، اذ انه لا بد حقاً وفعلاً من اعمال هجومية ضد النظرات التي دافع عنها تيراتشيني وهذه الوفود الثلاثة (١٣٠) . فاذا لم يشن المؤتمر هجوماً حاسماً على مثل هذه الاخطاء ، على هذه الحماقات «اليسارية» ، هلكت الحركة كلها . وهذا هو اقتناعي العميق . ولكننا نحن ماركسيون منظمون ومنضبطون . فلا يسعنا ان نكتفي بالخطابات ضد بعض الرفاق . ونحن الروس ، شبعنا من هذه الجمل اليسارية الى حد الغثيان . نحن أهل تنظيم . وعند وضع خططنا ، ينبغي لنا ان نسير بطريقة منظمة ، ونحاول ان نجد الخط الصحيح . يقينا انه ليس سرا على احد ان موضوعاتنا هي ضرب من مساومة . ولكن لم لا يكون الحال هكذا ؟ فالمساومات ضرورية في ظروف معينة بين شيوعيين يعقدون مؤتمراً ثالثاً لهم ، ووضعوا مبادئ اساسية معينة . ان موضوعاتنا التي عرضها الوفد الروسي كانت

موضع دراسة واعداد باقصى العناية وجاءت نتيجة تأملات طويلة ومداولات مع مختلف الوفود . وهي تبتغي رسم خط اساسي للاممية الشيوعية ، وهي ضرورية الآن بوجه خاص بعدما لم نشجب الوسطيين الحقيقيين صراحة وحسب ، بل طردناهم كذلك من الحزب . هذه هي الوقائع . ولا بدّ لي ان آخذ جانب الدفاع عن هذه الموضوعات ، وعندما ينبرى تيراتشيني الآن ويقول انه يترتب علينا مواصلة النضال ضد الوسطيين ، ثم يقول كيف يعتزمون خوض هذا النضال ، فاني اقول : اذا كانت هذه التعديلات تعني اتجاهاً معيناً ، فمن الضرورى شن نضال لا هوادة فيه ضد هذا الاتجاه ، والا ، فلا شيوعية ولا اممية شيوعية . ويدهشني انا ان يكون حزب العمال الشيوعي الالماني (ح ع ش ا) (١٣١) لم يوقع على هذه التعديلات . (**ضحك** .) ذلك حسبكم ان تستمعوا الى ما يدافع عنه تيراتشيني والى ما تقوله هذه التعديلات . فهي تبدأ كما يلي : «في الصفحة الاولى ، العمود الاول ، السطر التاسع عشر ، ينبغي شطب : «اغلبية . . .»» . اغلبية ! هذا فادح الخطر ! (**ضحك** .) ثم فيما بعد : بدلا من كلمتي : «الموضوعات الاساسية» ، ينبغي وضع «الاهداف» . الموضوعات الاساسية والاهداف شيئان مختلفان : فان الفوضويين انفسهم سيوافقون معنا على الاهداف ، اذ انهم هم ايضاً يريدون القضاء على الاستثمار والفوارق الطبقية .

في حياتي التقيت وتحادثت مع عدد قليل من الفوضويين ، ولكني رأيتهم مع ذلك بصورة كافية . وقد سنحت لي الفرصة احياناً وتوصلت الى اتفاق معهم بصدد الاهداف ، ولكني لم اتوصل قط الى اتفاق معهم بصدد المبادئ . فالمبادئ ليست الهدف ولا البرنامج ولا التكتيك ولا النظرية . والتكتيك والنظرية ليسا المبادئ . فما الذى يميزنا عن الفوضويين من حيث المبادئ ؟ ان مبادئ الشيوعية تتلخص في اقامة

ديكتاتورية البروليتاريا وفي استعمال اكراه الدولة في المرحلة الانتقالية . هذه هي مبادئ الشيوعية ، ولكنها ليست هدفها . فالرفاق الذين تقدموا بهذا الاقتراح قد اقترفوا خطأ .

ثانياً ، قيل هناك : «ينبغي شطب كلمة «اغلبية»» . اقرأوا النص كله :

«يشرع المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية باعادة النظر في قضايا التكتيك في ظروف تازم فيها الوضع الموضوعي بالمعنى الثوري في جملة كاملة من البلدان . **وتنظمت فيها جملة كاملة من الاحزاب الجماهيرية الشيوعية ، مع العلم انها لم تاخذ بيدها ، في اى مكان ، وخلال نضالها** الثوري الفعلي ، القيادة الفعلية لاغلبية الطبقة العاملة» .

وها هم يريدون شطب كلمة «اغلبية» . فاذا كنا لا نستطيع ان نتفق حول امور بسيطة كهذه ، فانا لا افهم كيف نستطيع ان نعمل معا ونقود البروليتاريا الى النصر . وفي هذه الحال ، لا غرابة ابداً اذا كنا لا نستطيع التوصل الى اتفاق في مسألة المبادئ ايضاً . دلوني على حزب يمتلك اغلبية الطبقة العاملة . ان تيراتشيني لم يفكر حتى بايراد اي مثال كان . ناهيك عن ان مثالاً كهذا لا وجود له .

وهذا : بدلاً من «مبادئ» ، يجب وضع كلمة «اهداف» ، وشطب كلمة «اغلبية» . الف شكر ! اننا لن نقبل بهذا . فحتى الحزب الالماني وهو من خيرة الاحزاب — لا يملك اغلبية الطبقة العاملة . وهذا واقع . ونحن الذين نواجه نضالاً في منتهى الصعوبة والشدة ، لا نخشى من قول هذه الحقيقة ، بينما توجد هنا ثلاثة وفود ترغب في البدء بالباطل ، لأن المؤتمر ، اذا شطب كلمة «اغلبية» ، بيّن بذلك انه يريد الباطل . وهذا واضح تماماً .

ثم يأتي التعديل التالي : «في الصفحة الرابعة ، العمود الاول ، السطر العاشر ، «ينبغي شطب» كلمتي «الرسالة المفتوحة»

(١٣٢) والخ .» . لقد سمعت اليوم خطاباً وجدت فيه الفكرة ذاتها . ولكن ذلك كان طبيعياً تماماً هناك . كان ذلك خطاب الرفيق همبل ، عضو ح ع ش ا . وقد قال : «كانت «الرسالة المفتوحة» عملاً انتهازياً» . ولبالغ أسفي وشديد حيائي ، سبق لي وسمعت نظرات كهذه بشكل افرادي ، شخصي . ولكن عندما يقال بعد مناقشات مستطيلة جداً في المؤتمر بان «الرسالة المفتوحة» انتهازية ، فان هذا خزي وعار ! وها هو ذا الرفيق تيراتشيني يريد باسم ثلاثة وفود ، ان يشطب كلمتي «الرسالة المفتوحة» . فما الغرض آنذاك من النضال ضد ح ع ش ا ؟ ان «الرسالة المفتوحة» خطوة سياسية نموذجية . هكذا قيل في موضوعاتنا . وينبغي لنا ان ندافع عن هذا حتماً . فان «الرسالة المفتوحة» نموذجية بوصفها اول عمل من طريقة عملية لاجتذاب اغلبية الطبقة العاملة . ومن لا يفهم انه ينبغي لنا ان نظفر باغلبية الطبقة العاملة في اوروبا – حيث البروليتاريا كلها تقريباً منظمة – فهو مفقود بالنسبة للحركة الشيوعية ، وهو لن يتعلم ابداً اي شيء اذا لم يكن بعد قد تعلم هذا في سياق ثلاث سنوات من ثورة كبرى .

يقول تيراتشيني اننا انتصرنا في روسيا رغم ان الحزب كان صغيراً . وهو غير راض لكون ما ورد في الموضوعات يقال بصدد تشيكوسلوفاكيا . هنا ٢٧ تعديلاً ، واذا ما اعتزمت انتقادها ، ترتب علي ، شأن بعض الخطباء ، ان اتكلم ثلاث ساعات على الاقل ... لقد صرحوا هنا ان عدد اعضاء الحزب الشيوعي في تشيكوسلوفاكيا يتراوح بين ٣٠٠ و ٤٠٠ الف عضو ، وانه من الضروري اجتذاب الاغلبية ، وانشاء قوة لا تقهر والاستمرار على اجتذاب جماهير جديدة من العمال . ان تيراتشيني اصبح على اهبة الهجوم . وهو يقول : اذا كان في الحزب الآن ٤٠٠ الف عامل ، فلماذا ينبغي لنا المزيد ؟ اشطبوا ! (**ضحك** .) وهو يخاف من

كلمة «جماهير» ويريد محوها . ان الرفيق تيراتشيني قلما فهم في الثورة الروسية .

لقد كنا في روسيا حزباً صغيراً ، ولكنه كان معنا ، بالاضافة ، اغلبية سوفييتات نواب العمال والفلاحين في عموم البلاد . (**هتاف : «صحيح !»** .) فاين هذا عندكم ؟ وكان معنا حوالى نصف الجيش الذي كان يضم آنذاك ١٠ ملايين شخص على اقل تقدير . ترى ، هل اغلبية الجيش معكم ؟ دلوني على بلد كهذا ! واذا كانت نظرات الرفيق تيراتشيني هذه تشاطرها ثلاثة وفود ايضاً ، فليس كل شيء آنذاك على ما يرام في الاممية ! وآنذاك ، يجب القول : «قف ! النضال الحاسم ! والا هلكت الاممية الشيوعية» . (**حركة في القاعة** .)

وعلى اساس التجربة المتوفرة لي ، يجب ان اقول ، وان كنت اشغل موقف الدفاع (**ضحك**) ، ان الدفاع عن القرار والموضوعات التي اقترحها وفدنا هو هدف خطابي ومبدؤه . يقيناً انه من الادعاء والحذلقة القول انه لا يجوز تعديل اي حرف فيها . فقد تسنى لي وقرأت كثرة من القرارات وانا اعرف جيداً انه يمكن ادخال تعديلات ممتازة في كل سطر منها . ولكن هذا سيكون من باب الادعاء والحذلقة . اما اذا كنت اعلن الآن مع ذلك انه لا يمكن ، بالمعنى السياسي ، تعديل اي حرف ، فلأن التعديلات تتسم ، كما ارى ، بطابع سياسي محدد تماماً ، لأنها تقود الى سبيل ضار وخطر على الاممية الشيوعية . ولهذا ، يجب علي انا ويجب علينا جميعاً ويجب على الوفد الروسي ان نلح على عدم تعديل اي حرف واحد في الموضوعات . نحن لم نشجب وحسب عناصرنا اليمينية ، بل طردناها ايضاً . ولكن اذا حولوا النضال ضد اليمينيين الى رياضة ، كما فعل تيراتشيني ، ترتب علينا ان نقول : «كفى ! والا اصبح الخطر فادحاً للغاية !» .

لقد دافع تيراتشيني عن نظريـة النضال الهجومي (١٣٣) . وفي هذا الصدد ، تقترح التعديلات السيئة الذكر صيغة طويلـة بصفحتين او ثلاث . ولا حاجة لنا الى قراءتها . فنحن نعرف ما هو مكتوب فيها . وقد قال تيراتشيني بكامل الوضوح ما هو المقصود . ودافع عن نظرية الهجوم ، مشيراً الى «الميول الديناميـة» والى «الانتقال من الجمود الى النشاط» . نحن في روسيا نملك ما يكفي من التجربة السياسية في النضال ضد الوسطيين . فمنذ ١٥ سنة ، ناضلنا ضد انتهازيينا ووسطيينا ، وكذلك ضد المناشفة ، واحرزنا النصر ، لا على المناشفة وحسب ، بل ايضاً على انصاف الفوضويين .

ولو لم نفعل هذا ، لعجزنا عن الاحتفاظ بالسلطة في ايدينا ، لا خلال ثلاث سنوات ونصف السنة وحسب ، بل ايضاً خلال ثلاثة اسابيع ونصف الاسبوع ، ولعجزنا عن عقد مؤتمرات شيوعية هنا . «الميول الدينامية» ، «الانتقال مـن الجمود الى النشاط» ، كل هذا مجرد تعابير استعملها الاشتراكيون-الثوريون اليساريون ضدنـا (١٣٤) . اما الآن ، فانهم يقبعون في السجون ويدافعون هناك عن «اهداف الشيوعية» ويفكرون «بالانتقال من الجمود الى النشاط» . (ضحك .) ان التعليل على هذا النحو كما في التعديلات المقترحة غير ممكن لأنها خالية من الماركسية ومن الخبرة السياسية ومن الحجج . ترى ، هل طورنا نحن ، في موضوعاتنا ، النظرية العامـة بصدد الهجوم الثوري ؟ ترى ، هل اقترف رادك او اي آخر منا مثل هذه الغباوة ؟ لقد تكلمنا عن نظرية الهجوم بصدد بلد معين تمامـاً وبصدد مرحلة معينة تماماً .

في وسعنا ان نسوق من نضالنا ضد المناشفة وقائع تبين انه وجد حتى قبل الثورة الاولى افراد كانوا يشكون فيما اذا كان ينبغي على الحزب الثوري ان يهاجم . وعندمـا كانت تظهر شكوك كهذه عند اي من الاشتراكيين-الديموقراطيين – وآنذاك كنا جميعاً

نتسمى هكذا – كنا ندخل في نضال ضده ونقول انـــه انتهازي ، انه لا يفهم شيئاً في الماركسية ، وفي ديالكتيك الحزب الثوري . ترى ، هل يستطيع الحزب ان يجادل فيما اذا كان الهجوم الثوري جائزاً على العموم ؟ ولكي نجد امثلة كهذه عندنـــا ، ينبغي العودة حوالى خمسة عشر عاماً الى الوراء . واذا كان هناك وسطي او وسطي متقنع ينكر نظرية الهجوم ، توجب فصله على الفور . فـلا يمكن لهذه المسألة ان تثير المجادلات . ولكن واقع اننا لا نزال الآن ايضاً ، بعد مرور ثلاث سنوات على وجود الاممية الشيوعية ، نجادل بصدد «الميول الدينامية» وبصدد «الانتقال من الجمود الى النشاط» ، هو خزي وعار .

وفي هذا الصدد ، لا يقوم اي جدال بيننا وبين الرفيق رادك الذي وضع معنا هذه الموضوعات . ربما لم يكن من الصحيح تماماً ان تبدأ في المانيا الاحاديث **بصدد نظرية** الهجوم الثوري بعدمـــا تبين ان الهجوم الفعلي لم يكن محضراً . ومع ذلك كان هجوم آذار خطوة كبيرة الى امام ، رغم اخطاء قادتـــه (١٣٥) . ولكن هذا لا يعني شيئاً . ان مئات الآلاف من العمال قد ناضلوا ببطولـــة . ومهما كانت الرجولة التي ناضل بها ح ع ش ا ضد البرجوازية ، يترتب علينا ان نقول ما قاله الرفيق رادك في مقال روسي عـــن هلتس . اذا ناضل احد ما ، وان كان فوضوياً ، نضالاً باسلاً ضد البرجوازية ، كان هذا بالطبع عملاً كبيراً ؛ ولكن اذا ناضل مئات الآلاف ضد استفزاز خسيس حاكه الاشتراكيون الخونة وضـــد البرجوازية ، فان هذا خطوة حقيقية الى امام .

من المهم جداً ان ينظر المرء الى اخطائه نظرة انتقاديـــة . وهذا ما بدأنا منه . اذا عمد احد بعد نضال اشترك فيـــه مئات الآلاف ، ووقف ضد هذا النضال وسلك كما سلك ليفي ، ترتب فصله . وهذا ما تحقق بالذات . ولكنه ينبغي لنا ان نستخلص

العبرة من هنا : ترى هل حضّرنا الهجوم ؟ (**رادك** : «بل نحن لـــم نحضّر الدفاع ايضاً») . اجل ، لم يتناول الكلام الهجوم الا في مقالات الجرائد . ان هذه النظرية كانت غير صحيحة فيمـا يخص هجوم آذار (مارس) في المانيا عام ١٩٢١ ، — وينبغي لنا ان نعترف بهذا ، — ولكن نظرية الهجوم الثوري هي ، على العموم ، غير خاطئة ابداً .

لقد انتصرنا في روسيا وانتصرنا بفائق السهولة لأننا حضّرنا ثورتنا ابان الحرب الامبرياليـــة . وهذا هو الشرط الاول . كان عشرة ملايين من العمال والفلاحين مسلحين عندنا ، وكان شعارنا : الصلح الفوري ، بأي ثمن كان . وقد انتصرنا لأن مزاج اوســـع الجماهير الفلاحية كان مزاجاً ثورياً مناهضـــاً لكبار الملاكيـــن العقاريين . وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ ، كان الاشتراكيون-الثوريون ، انصار الاممية الثانية والاممية الثانية والنصف ، حزباً فلاحياً كبيراً . وقد طالبوا بوسائل ثورية ، ولكنهم ، بوصفهم من ابطال الاممية الثانية والاممية الثانية والنصف الحقيقيين ، لم يتحلوا بما يكفي من الرجولة لكي يعملوا بطريقة ثورية . ففي آب وايلول (اغسطس وسبتمبر) ١٩١٧ قلنا : «نظريـــاً نحن نناضل ضـــد الاشتراكيين-الثوريين كما من قبل ، ولكننا عملياً مستعدون لقبول برنامجهم ، لأننا نحن وحدنا نستطيع ان نطبق هذا البرنامج» . وكما قلنا فعلنا . ان الفلاحين الذين كان مزاجهـــم في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ ، بعد انتصارنا ، مناهضاً لنا ، والذين ارسلوا الى الجمعية التأسيسية اغلبية من الاشتراكيين-الثوريين ، انمـــا ظفرنا بهم ، ان لم يكن في سياق بضعة ايام — كمـــا افترضـــت وتنبأت خطأ ، — ففي سياق بضعة اسابيع على كل حال . ولم يكن الفرق كبيراً . دلوني في اوروبا على بلد تستطيعون فيه ان تجتذبوا الى جانبكم اغلبية الفلاحين في سياق بضعة اسابيع ؟ ربما ايطاليا ؟

(ضحك .) واذا قالوا اننا انتصرنا في روسيا مع ان حزبنا كان صغيراً ، فانهم لا يفعلون غير ان يبينوا بهذا انهم لم يفهموا الثورة الروسية وانهم لا يفهمون البتة كيف ينبغي تحضير الثورة .

كانت اول خطوة خطوناها هي انشاء حزب شيوعي حقيقي لكي نعرف مع من نتحادث ومن يمكننا ان نثق به ثقة تامة . وكان شعار المؤتمرين الاول والثاني : «ليسقط الوسطيون !» . فاذا لم نقض في طول الخط وفي العالم كلـــه على الوسطيين وانصاف الوسطيين الذين نسميهم في روسيا بالمناشفة ، فاننا لن نفهم آنذاك حتـــى الفباء الشيوعية . ان مهمتنا الاولى هي انشاء حزب ثوري حقـــاً والقطيعة مع المناشفة . ولكن هذه مدرسة اعدادية فقط . نحـــن نعقد المؤتمر الثالث ، ولكن الرفيق تيراتشيني يردد كما في السابق بان مهمة المدرسة الاعدادية تتلخص في طرد الوسطيين وانصاف الوسطيين وملاحقتهم وفضحهم . فالف شكر ! لقد فعلنا ذلك بقدر كاف . وقلنا في المؤتمر الثاني ان الوسطيين هم اعداؤنا . ولكنه ينبغي مع ذلك السير الى الامام . وستتلخص الدرجة الثانية في تعلم اعداد الثورة بعد الانتظام في حزب . فنحن ، في كثير مـــن البلدان ، لم نتعلم حتى كيف نمتلك ناصية القيادة . لقد انتصرنا في روسيا لأنه لم تكن الى جانبنا الاغلبية الاكيدة من الطبقة العاملة (ففي انتخابات عام ١٩١٧ ، كانت معنا اغلبية العمال الساحقة ضد المناشفة) وحسب ، بل ايضاً لانه انتقل الى جانبنا بعد استيلائنا على السلطة مباشرة ، نصف الجيش وتسعـــة اعشار جماهيـــر الفلاحين خلال بضعة اسابيع ؛ لقد انتصرنا لاننا لم نقبل برنامجنا الزراعي بل قبلنا برنامج الاشتراكيين-الثوريين وطبقناه عملياً . ان انتصارنا يكمن حقاً في كوننا طبقنا برنامج الاشتراكيين-الثوريين ؛ ولهذا كان هذا النصر سهلاً جداً . ترى هل يمكن ان تقوم عندكم في الغرب اوهام كهذه ؟ شـــيء مضحـــك ! قارنوا اذن الظروف

الاقتصادية الملموسة ، انت يا رفيق تيراتشيني وانتم جميعكم يا من وقعتم الاقتراح بالتعديلات ! ورغم ان الاغلبية وقفت بفائق السرعة الى جانبنا ، كانت المصاعب التي اعترضت سبيلنا بعد النصر كبيرة جداً . ومع ذلك ، اجتزناها ، لأننا كنا لا ننسى اهدافنا ولا مبادئنا ، ولم نكن نصبر في حزبنا على افراد يلزمون الصمت حول المبادئ ويتشدقون بالاهداف و«الميول الدينامية» و«الانتقال من الجمود الى النشاط» . قد يتهموننا باننا نفضل ابقاء امثال هؤلاء السادة في السجن . ولكنه تستحيل الديكتاتورية بنحو آخر . ينبغي لنا ان نهيئ الديكتاتورية ، وهذا ما يتحقق في النضال ضد مثل هذه التعابير ومثل هذه التعديلات . (**ضحك** .) في كل مكان من موضوعاتنا ، يتناول الكلام الجمهور . ولكنه ينبغي ، ايها الرفاق ، ان نفهم ما هو الجمهور . ان ح ع ش ا ، ايها الرفاق من اليسار ، يفرط في استعمال هذه الكلمة . ولكن الرفيق تيراتشيني وجميع الذين وقعوا على هذه التعديلات على السواء لا يعرفون كذلك ما ينبغي فهمه بكلمة «جمهور» .

لقد تماديت في الكلام ؛ ولهذا اود لو اقول فقط بضع كلمات عن مفهوم «الجماهير» . ان مفهوم «الجماهير» يتغير وفقاً لتغير طابع النضال . ففي بداية النضال كان يكفي وجود بضعة آلاف من العمال الثوريين الحقيقيين لكي يمكن التحدث عن الجمهور . واذا افلح الحزب واجتذب الى النضال اناساً من غير اعضائه علاوة على اعضائه ، اذا افلح وهز اللاحزبيين ايضاً ، كان هذا بداية الظفر بالجماهير . وخلال ثوراتنا كانت حالات شكل فيها بضعة آلاف من العمال جمهوراً . وفي تاريخ حركتنا ، في تاريخ نضالنا ضد المناشفة ، تجدون كثرة من الامثلة تبين انه كان يكفي ان يكون في المدينة بضعة آلاف من العمال حتى يغدو طابع الحركة الجماهيري واضحاً . واذا عمد بضعة آلاف من العمال اللاحزبين ، يعيشون

عادة عيشة حقيرة تافهة ويحيون حياة ضيق وعسر ، ولم يسمعوا يوماً اي شيء عن السياسة ، وشرعوا يعملون بطريقة ثورية ، فانتم امام جمهور . واذا انتشرت الحركة واشتدت ، تحولت تدريجياً الى ثورة حقيقية . وهذا ما رأيناه في عام ١٩٠٥ وعام ١٩١٧ ، ابان ثلاث ثورات ، وسيتأتى لكم ايضاً ان تقتنعوا بهذا . وعندما تكون الثورة مهيأة كفاية ، يصبح مفهوم «الجماهير» آخر : فان بضعة آلاف من العمال لا يشكلون من بعد جمهوراً . ان هذه الكلمة تبدأ في اتخاذ معنى آخر . ان مفهوم الجمهور يتغير بمعنى انهم يقصدون به الاغلبية ، لا اغلبية العمال البسيطة وحسب ، بل اغلبية جميع المستثمَرين ؛ وكل فهم آخر غير جائز بالنسبة للثوري ، وكل معنى آخر لهذه الكلمة يمسي غير مفهوم . من المحتمل ان يتوفق حزب صغير ايضاً ، – كالحزب البريطاني او الاميركي مثلاً ، – يدرس جيداً مجرى التطور السياسي ويعرف جيداً حياة الجماهير اللاحزبية وعاداتها ، فيثير في اللحظة المناسبة حركة ثورية (وقد اشار الرفيق رادك الى اضراب عمال المناجم (١٣٦) بوصفه مثالاً صالحاً) . فاذا تقدم حزب كهذا في لحظة كهذه بشعاراته وتوصل الى ان يسير وراءه ملايين العمال ، فانتم امام حركة جماهيرية . انا لا انفي قطعاً انه يمكن ان يبدأ بالثورة كذلك حزب صغير جداً ويسير بها الى نهاية مظفرة . ولكنه ينبغي له ان يعرف الطرائق التي يجتذب بها الجماهير الى جانبه . ولهذا الغرض ، لا بد من اعداد الثورة بشكل جدي . ولكن ها هم رفاق يدلون بالتصريح التالي : يجب العدول فوراً عن مطلب الجماهير «الكبيرة» . ينبغي شن النضال على امثال هؤلاء الرفاق . فبدون اعداد جدي لن تحرزوا النصر في اي بلد . حسبكم حزب صغير جداً لكي تجروا الجماهير وراءكم . ففي اوقات معينة لا حاجة الى منظمات كبيرة .

ولكنه لا بد من اكتساب عطف الجماهير لأجل احراز النصر . وليس على الدوام تنبغي الاغلبية المطلقة . ولكن لأجل احراز النصر ، لأجل الاحتفاظ بالسلطة ، لا تنبغي اغلبية الطبقة العاملة وحسب – وانا استعمل هنا تعبير «الطبقة العاملة» بمعناه الاوروبي الغربي ، اي بمعنى البروليتاريا الصناعية ، – بل تنبغي كذلك اغلبية المستثمرين والكادحين من سكان الريف . فهل فكرتم في هذا ؟ وهل نجد في خطاب تيراتشيني وان تلميحاً الى فكرة كهذه ؟ انه يكتفي بالتحدث عن «الميل الدينامي» وعن «الانتقال من الجمود الى النشاط» . وهل يمس ، وان بكلمة واحدة ، مسألة التموين ؟ والحال ، يطالب العمال بالاغذية ، مع ان في مقدورهم ان يتحملوا الكثير ويجوعوا ، كما رأينا هذا ، الى حد ما ، في روسيا . ولهذا ينبغي علينا ان نجتذب الى جانبنا ، لا اغلبية الطبقة العاملة وحسب ، بل ايضاً اغلبية سكان الريف الكادحين والمستثمرين . فهل اعددتم انتم هذا ؟ لم تعدوه في اي مكان تقريباً .

وهكذا اكرر : ينبغي علّي حتماً ان ادافع عن موضوعاتنا ، وهذا الدفاع اعتبره الزامياً علّي . نحن لم نشجب الوسطيين وحسب ، بل طردناهم ايضاً من الحزب . والآن يجب علينا ان نتوجه ضد طرف آخر نعتبره كذلك خطراً . يجب ان نقول الحقيقة للرفاق بألطف الاشكال (وهذا ما قيل في موضوعاتنا بلطف ورقة) ، بحيث لا يشعر احد بانه أهين : فامامنا الآن مسائل اخرى ، أهم من مطاردة الوسطيين . وهذه المسألة تكفينا ، بل مللنا منها قليلاً . وعوضاً عن هذا ، كان ينبغي على الرفاق ان يتعلموا كيف يخوضون النضال الثوري الحقيقي . ولقد شرع العمال الالمان بهذا . فان مئات الآلاف من البروليتاريين قد حاربوا ببطولة في هذا البلد . وكل من يعارض هذا النضال ، انما ينبغي فصله على الفور . ولكنه لا يجوز ، بعد هذا ، الانصراف الى الثرثرة الفارغة ،

بل ينبغي الشروع على الفور بالتعلم ، بالتعلم من الاخطاء المقترفة ، بتعلم كيفية تنظيم النضال تنظيماً افضل . ولا ينبغي لنـــا ان نخفي اخطاءنا امام العدو . ومن يخشى هذا ليس ثورياً وبالعكس ، اذا قلنا للعمال صراحة : «اجل ، لقد ارتكبنـــا اخطاء» ، فان هذا يعني ان الاخطاء لن تتكرر في المستقبل واننا سنعرف على نحـــو افضل كيف نختار اللحظة المناسبـــة . واذا حدث في غمرة النضال بالذات ووقفت اغلبية الكادحين الى جانبنا – لا اغلبية العمـــال وحسب ، بل اغلبية جميع المستثمرين والمظلومين ، – فاننا آنذاك سننتصر فعلاً . (**تصفيق عاصف متواصل .**)

صدر محضر صحفـــي في ٥ تموز (يوليو) ١٩٢١ في جريدة «البرافدا» ، العدد ١٤٤ وفي «ازفيستيا فتسيـــك» ، العدد ١٤٤ نشر بنصه الكامل في تموز ١٩٢١ في «نشرة المؤتمـــر الثالـــث للاميـــة الشيوعية» ، العدد ١١

المجلد ٤٤ ، ص ص ٢٣–٣٣

لمناسبة الذكرى الرابعة لثورة اكتوبر

تقترب الذكرى الرابعة للخامس والعشرين من تشرين الاول – اكتوبر (٧ تشرين االثاني – نوفمبر) .

بقدر ما يبتعد عنا هذا اليوم العظيم ، بقدر ما يزداد دور الثورة البروليتارية في روسيا اتضاحاً وبقدر ما نتأمل بمزيد من التعمق ايضاً تجربة نشاطنا العملية ، مأخوذة بمجملها .

ومن الممكن عرض هذا الدور وهذه التجربة بلمحات في غاية الايجاز – هي بالطبع ابعد من ان تكون كاملة ودقيقة – على النحو التالي .

ان مهمة الثورة في روسيا ، المباشرة والقريبة ، كانت مهمة برجوازية ديموقراطية قوامها القضاء على بقايا القرون الوسطى ، وازالتها الى الابد ، وتنظيف روسيا من هذه البربرية ، من هذا العار ، مما كان يعيق الى ما لا حد له كل ثقافة وكل تقدم في بلادنا .

ومن حقنا ان نفتخر لكوننا قمنا بهذا التنظيف باكثر بكثير من الحزم والسرعة والجرأة ، باكثر بكثير من النجاح والشمول والعمق ، – من حيث التأثير في جماهير الشعب ، في اعماقه ، – مما فعلت الثورة الفرنسية الكبرى منذ اكثر من ١٢٥ سنة .

لقد قال الفوضويون والديموقراطيون البرجوازيون الصغار (اي المناشفة والاشتراكيون – الثوريون ، بوصفهم الممثلين الروس لهذا النموذج الاجتماعي العالمي) ولا يزالون يرددون كثرة من الآراء المشوشة بصدد العلاقة بين الثورة البرجوازية الديموقراطية والثورة الاشتراكية (**اي البروليتارية**) . وحول هذه النقطة ، تأكدت كلياً ، خلال اربع سنوات ، صحة مفهومنا للماركسية ، صحة اعتبارنا لتجربة الثورات الماضية . ولقد سرنا ، كما لا احد ، بالثورة البرجوازية الديموقراطية **الى النهاية** . وبكل ادراك ، وبخطى ثابتة ، ودون اي انحراف ، نسير **الى امام** ، نحو الثورة الاشتراكية ، عارفين انها غير منفصلة عن الثورة البرجوازية الديموقراطية بسور صيني ، عارفين ان **النضال وحده** هو الذي سيقرر مقدار التقدم الذي سنتمكن من تحقيقه (في نهاية الامر) ، مقدار القسم الذي سننفذه من مهمتنا اللامتناهية الكبر ، مقدار النصيب الذي سنوطده من انتصاراتنا . من يعش ير . ولكننا نرى منذ اليوم ان عملاً جليلاً – بالنسبة لبلد خرب ، منهوك ، متأخر – قد أنجز فيما يتعلق بتحويل المجتمع على اسس اشتراكية .

ولكن لننه عرضنا حول مضمون ثورتنا البرجوازي الديموقراطي . يجب على الماركسيين ان يفهموا ما يعنيه هذا . وعلى سبيل التوضيح ، لنأخذ بضعة امثلة عملية .

مضمون الثورة البرجوازي الديموقراطي ، هذا يعني تنظيف العلاقات الاجتماعية (النظم ، المؤسسات) في البلد من خصائص القرون الوسطى ، من القنانة ، من الاقطاعية .

ايّاً كانت اهم الظاهرات ، البقايا ، الرواسب من القنانة في روسيا عشية ١٩١٧ ؟ الملكية ، انقسام المجتمع الى فئات مغلقة ، التملك العقاري والانتفاع بالارض ، وضع المرأة ، الدين ، اضطهاد القوميات . خذوا ايّاً من «اسطبلات اوجياس»

هذه (١٣٧) ، المتروكة – ، ونقول هذا للمناسبة – ، الى حد ملحوظ ، غير منظفة بصورة تامة من قبل جميع الدول المتقدمة حين قامت بثورتها البرجوازية الديموقراطية ، منذ ١٢٥ سنة و٢٥٠ سنة واكثر (عام ١٦٤٩ في انجلترا) ، – خذوا ايا من اصطبلات اوجياس هذه ، تروا اننا نظفناها كلياً . ففي نحو **عشرة اسابيع** ، لا اكثر ، منذ ٢٥ تشرين الاول – اكتوبر (٧ تشرين الثاني – نوفمبر) ١٩١٧ حتى حل الجمعية التأسيسية (٥ كانون الثاني – يناير ١٩١٨) ، فعلنا في هذا المضمار ما يزيد الف مرة عما فعل الديموقراطيون البرجوازيون والليبيراليون (الكاديت) والديموقراطيون البرجوازيون الصغار (المناشفة والاشتراكيون – الثوريون) **في ثمانية اشهر** من حكمهم .

ان هؤلاء الجبناء ، هؤلاء الثرثارين ، هؤلاء اشباه نرسيس المشغوفين بانفسهم ، هؤلاء اشباه هملت من قياس مصغر (١٣٨) ، كانوا يلوحون بسيف من كرتون ، – ولم يقضوا حتى على الملكية ! لقد افرغنا الزبالة الملكية كما لم يفعل احد في اي وقت مضى . ولم نترك حجراً على حجر ، وقرميدة على قرميدة ، من هذه العمارة التي دامت قروناً وقروناً ، عمارة نظام الفئات المغلقة (ان اكثر البلدان تقدماً ، كانجلترا وفرنسا والمانيا ، لم تتخلص بعد حتى الآن من بقايا هذا النظام !) . ان اعمق جذور هذا النظام ، اي بقايا الاقطاعية والقنانة في تملك الارض ، انما استأصلناها كلياً . «يمكن الجدال» (ففي الخارج ما يكفي من الادباء الكاديت ، والمناشفة ، والاشتراكيين – الثوريين لممارسة هذا الجدال) حول معرفة ما سينجم «في آخر المطاف» من الاصلاحات الزراعية التي تقوم بها ثورة اكتوبر الكبرى . اننا لا نرغب اليوم في تضييع الوقت على هذا الجدال ، لاننا بالنضال نحل هذا الجدال وكل طائفة الجدالات التي تتوقف عليه . ولكنه لا يمكن الجدال ضد واقع ان

الديموقراطيين البرجوازيين الصغار «قد تفاهموا» ، طوال ثمانية اشهر ، مع الملاكين العقاريين حفظة تقاليد القنانة ، بينا كنسنا نحن كلياً خلال بضعة اسابيع هؤلاء الملاكين العقاريين وجميع تقاليدهم على السواء من على وجه الارض الروسية .

خذوا الدين ، او انعدام الحقوق للمرأة ، او اضطهاد القوميات غير الروسية وعدم مساواتها في الحقوق . وكلها قضايا تتعلق بالثورة البرجوازية الديموقراطية . ان مبتذلي الديموقراطية البرجوازية الصغيرة قد ثرثروا حول هذه الموضوعة طوال ثمانية اشهر ؛ وليس ثمة **بلد واحد** ، بين ارقى البلدان في العالم ، حلّت فيه **هذه** المسائل **الى النهاية** بالروح **البرجوازية الديموقراطية** . اما عندنا فقد حلها الى النهاية تشريع ثورة اكتوبر . لقد حاربنا الدين ونحاربه حقاً ، ومنحنا **جميع** القوميات غير الروسية جمهوريات او مقاطعات مستقلة ذاتياً **خاصة بها** . ولم تعد روسيا تعرف هذه السفالة ، هذه الشناعة ، هذه الدناءة ، ونعني بها انعدام الحقوق او عدم المساواة في الحقوق بالنسبة للمرأة ، هذه البقية المنفرة المتبقية عن القنانة والقرون الوسطى ، والمجددة في جميع بلدان الكرة الارضية ، دون اي استثناء ، من جانب البرجوازية الجشعة والبرجوازية الصغيرة البليدة والمذعورة .

وكل هذا هو مضمون الثورة البرجوازية الديموقراطية . منذ مائة وخمسين سنة ومائتين وخمسين سنة ، وعد زعماء هذه الثورة (هذه الثورات ، اذا تناول الكلام كل نوع وطني من طراز عام واحد) التقدميون الشعوب بتحرير الانسانية من امتيازات القرون الوسطى ، وعدم مساواة المرأة ، والافضليات الممنوحة من جانب الدولة لهذا الدين او ذاك (او ««**لفكرة** الدين» ، «للنزعة الدينية» بوجه عام) ، وعدم المساواة بين القوميات .وعدوا ، ولم يفوا بهذا الوعد . ولم يكن في مقدورهم ان يفوا به ، لانه حال بينهم وبين

الوفاء به «احترام» ـ ـ ـ «الملكية الخاصة الكلية القداسة» . ان ثورتنا البروليتارية لم تكن هذا «الاحترام» الملعون لهذه البقايا من القرون الوسطى ، الملعون ثلاثاً ، ولهذه «الملكية الخاصة الكلية القداسة» .

ولكنه توطيداً لمكتسبات الثورة البرجوازية الديموقراطية في صالح شعوب روسيا ، كان يتعين علينا ان نمضي الى ابعد . وهذا ما فعلناه . فقد حللنا قضايا الثورة البرجوازية الديموقراطية عرضاً ، خلال السير ، بوصفها «نتاجاً ثانوياً» لعملنا الرئيسي والحقيقي ، لعملنا الثوري **البروليتاري** ، الاشتراكي . فالاصلاحات ، كما قلنا دائماً ، نتاج ثانوي للنضال الطبقي الثوري . والاصلاحات البرجوازية الديموقراطية ، كما قلنا واثبتنا بافعالنا – نتاج ثانوي للثورة البروليتارية ، اي الاشتراكية . ونقول بالمناسبة ان جميع اضراب كاوتسكي وهيلفردينغ ومارتوف وتشيرنوف وهيلكويت ولونغه وماكدونالد وتوراتي وسائر ابطال الماركسية «الثانية والنصف» لم يستطيعوا ادراك **هذه** العلاقة بين الثورة البرجوازية الديموقراطية والثورة البروليتارية الاشتراكية . ان الاولى تتحول الى الثانية . والثانية تحل ، عرضاً ، قضايا الاولى . والثانية توطد عمل الاولى . والنضال ، النضال وحده ، هو الذي يقرر الى اي حد تنجح الثانية في تجاوز الاولى .

ان النظام السوفييتي هو ، على وجه الدقة ، من التأكيدات او الظاهرات الساطعة لهذا التحول ، تحول ثورة الى اخرى . فان النظام السوفييتي هو الحد الاقصى من الديموقراطية للعمال والفلاحين ؛ وهو يعني في الوقت نفسه القطيعة مع الديموقراطية **البرجوازية** وظهور ***طراز جديد*** من الديموقراطية في التاريخ العالمي ، عنيت الديموقراطية البروليتارية او ديكتاتورية البروليتاريا .

فليصب علينا كلاب وخنازير البرجوازية المحتضرة والديموقراطية البرجوازية الصغيرة التي تسير في ذيلها ، اكواماً من اللعنات والشتائم والسخر بسبب من الاخفاقات التي نمنى بها والاخطاء التي نرتكبها في بناء نظامنا السوفييتي . فاننا لا ننسى لحظة انه وقعت ولا تزال تقع عندنا كثرة من الاخفاقات والاخطاء . وما الوسيلة لعدم وقوع الاخفاقات والاخطاء في عمل جديد في تاريخ العالم كما هو عليه انشاء طراز غير معروف سابقاً لتنظيم الدولة ! اننا سنناضل بلا كلل من اجل اصلاح اخفاقاتنا واخطائنا ، من اجل تحسين تطبيقنا للمبادئ السوفييتية ، البعيد جداً جداً عن الكمال . ولكنه يحق لنا ان نفتخر ، ونحن نفتخر فعلاً ، بانه كان من حظنا البدء ببناء الدولة السوفييتية ، البدء هكذا بعهد جديد في التاريخ العالمي ، عهد سيطرة طبقة جديدة ، مضطهدة في جميع البلدان الرأسمالية وسائرة في كل مكان نحو حياة جديدة ، نحو الانتصار على البرجوازية ، نحو ديكتاتورية البروليتاريا ، نحو تحرير الانسانية من نير الرأسمال ، من الحروب الامبريالية .

ان مسألة الحروب الامبريالية ، مسألة السياسة الدولية التي ينتهجها الرأسمال المالي والتي تهيمن اليوم في العالم كله ، وهي سياسة تولد حتماً حروباً امبريالية جديدة وتؤدي حتماً الى اشتداد لا سابق له في الاضطهاد القومي والنهب واللصوصية وخنق القوميات الصغيرة الضعيفة والمتأخرة من جانب حفنة من الدول «المتقدمة» ، – هذه المسألة غدت ، منذ ١٩١٤ ، حجر الزاوية في كامل السياسة في جميع بلدان الكرة الارضية . انها مسألة حياة او موت بالنسبة لعشرات الملايين من الكائنات البشرية . انها مسألة معرفة ما اذا كان سيباد ٢٠ مليوناً من الناس (بدلاً من العشرة ملايين من القتلى ابان حرب ١٩١٤ – ١٩١٨ والحروب «الصغيرة» التي تستكملها والتي لم تنته بعد حتى الآن) في الحرب

الامبريالية المقبلة التي تحضرها البرجوازية امام انظارنا والتي نراها تنبثق من الرأسمالية ؛ ما اذا كان سيظهر ٦٠ مليوناً من المشوهين (بدلاً من الثلاثين مليوناً من المشوهين في ١٩١٤ – ١٩١٨) ابان الحرب القادمة المحتمة (اذا بقيت الرأسمالية) . وفي هذه المسألة ، دشنت ثورتنا ، ثورة اكتوبر ، عهداً جديد في التاريخ العالمي . ان خدم البرجوازية واعوانها – بشخص الاشتراكيين – الثوريين والمناشفة ، بشخص كل الديموقراطية البرجوازية الصغيرة و«الاشتراكية» المزعومة في العالم بأسره – قد تهكموا من شعار «تحويل الحرب الامبريالية الى حرب اهلية» . ولكنه تبين ان هذا الشعار هو **الحقيقة** الوحيدة – المزعجة ، الفظة ، العارية ، القاسية ، فليكن ! ولكنها **حقيقة** في هذه الكثرة الكثيرة من انعم الاكاذيب الشيوفينية والمسالمة . ان هذه الاكاذيب تنهار . وصلح بريست – ليتوفسك يكشف القناع عنها . وكل يوم يكشف القناع بصرامة متزايدة ابداً عن دور وعواقب صلح اسوأ من صلح بريست – ليتوفسك ، هو صلح فرساي ، وامام الملايين والملايين من الناس الذين يفكرون في اسباب حرب الامس وحرب الغد الزاحفة ، تزداد هذه الحقيقة الرهيبة وضوحاً ودقة والحاحاً على الدوام ، وهي انه يستحيل التخلص من الحرب الامبريالية والعالم الامبريالي (لو كانت الكتابة السابقة لا تزال قائمة عندنا ، لكنت استعملت كلمتي «مير» بمفهوميهما*) الذي يولدها حتماً ، – يستحيل التخلص من هذا الجحيم **بغير النضال البلشفي والثورة البلشفية** .

فليغضب المسالمون والبرجوازية ، والجنرالات والبرجوازيون الصغار ، الرأسماليون والتافهون الضيقو الافق ، وجميع المسيحيين

---

* «مير» بالروسية تعني «العالم» و«السلام» . كانت هذه الكلمة تكتب ، وفق طريقة الكتابة القديمة ، بشكلين مختلفين ، حسبما تعني «السلام» او «العالم» . **الناشر** .

المؤمنين وجميع فرسان الاممية الثانية والاممية الثانية والنصف وليشتموا هذه الثورة بجنون . فليس ثمة سيول من الحقد والافتراءات والاكاذيب تستطيع ان تعكّر هذا الواقع ذا الاهمية التاريخية العالمية ، وهو ان العبيد ، لاول مرة منذ المئات والآلاف من السنين ، قد ردوا على الحرب بين مالكي العبيد ، باعلان الشعار التالي امام الملأ : لنحول هذه الحرب بين مالكي العبيد من اجل اقتسام غنيمتهم الى حرب يخوض غمارها عبيد جميع الامم ضد مالكي العبيد من جميع الامم .

ولاول مرة منذ المئات والآلاف من السنين ، تحول هذا الشعار من انتظار غامض وعاجز الى برنامج سياسي واضح ودقيق ، الى نضال فعال يشنه ملايين المظلومين تحت قيادة البروليتاريا ، تحول الى اول انتصار تحرزه البروليتاريا ، الى اول انتصار تحرزه قضية ازالة الحروب ، قضية اتحاد العمال من جميع البلدان على اتحاد البرجوازية من مختلف الامم ، هذه البرجوازية التي تسالم وتحارب على حساب عبيد الرأسمال ، على حساب العمال الاجراء ، على حساب الفلاحين ، على حساب الشغيلة .

ان هذا الانتصار الاول **ليس بعد انتصاراً نهائياً** ، وثورتنا ثورة اكتوبر ، احرزته لقاء مصاعب وحرمانات لم يسمع بمثلها من قبل ، وآلام لا توصف ، واثر جملة من الاخفاقات والاخطاء الفادحة من جانبنا . فاين الوسيلة لشعب متأخر لكي يتغلب بمفرده ، بلا اخفاقات ولا اخطاء ، على الحروب الامبريالية التي تشنها اقوى بلدان الكرة الارضية وارقاها ! نحن لا نخشى الاعتراف باخطائنا وسننظر اليها بصفاء ذهن لكي نتعلم اصلاحها . ولكن هناك امراً ثابتاً : لاول مرة منذ المئات والآلاف من السنين ، **حقق الى النهاية** الوعد «بالرد» على الحرب بين مالكي العبيد بثورة

العبيد **على** مالكي العبيد من كل شاكلـــة وطراز ـ ـ ـ ولا يزال يحقق رغم جميع المصاعب .

ونحن بدأنا هذا العمل . اما بروليتاريو اي امة ، ومتى ، وفي اي مدة سينجزون هذا العمل ، فليس هذا المهم . فالمهم ان الجليد قد تفسخ ، والطريق قد فتح ، والسبيل قد رسم .

فواصلوا نفاقكم ، ايها السادة الرأسماليون من جميع البلدان الذين «تدافعون عن الوطن» الياباني ضد الوطن الاميركي ، وعن الوطن الاميركي ضد الوطن الياباني ، وعن الوطن الفرنسي ضـــد الوطن البريطاني ، وهكذا دواليك ! واصلوا ، ايها السادة فرسان الاممية الثانية والاممية الثانية والنصف مع جميـــع البرجوازيين الصغار والتافهين الضيقي الافق المسالمين في العالم بأسره ، ـ واصلوا التهرب من مسألـــة وسائل النضال ضـــد الحروب الامبريالية ، باصدار «بيانات بال» جديدة (على طراز بيان بال الصادر عام ١٩١٢) . ان **الثورة البلشفية الاولى** قد انتزعت مـــن الحرب الامبريالية ، من العالم الامبريالي ، **المئة مليون الاولى من الناس** في الارض . وستنتزع الثورات المقبلة الانسانية بأسرهـا من هذه الحروب ومن هذا العالم .

والمهمة الاخيرة ، وهي اهم المهام واصعبها واقلها تنفيذاً ، انما هي مهمة البناء الاقتصادي ، ارساء الاسس الاقتصادية للصرح الجديد ، الاشتراكي ، مكان الصرح الاقطاعـــي المتهدم والصرح الرأسمالي نصف المتهدم . وهنا ، اثناء انجاز هذه المهمة التي هي اهم واصعب مهمة ، منينا باكثر الاخفاقات وارتكبنا اكثر الاخطاء . واين الوسيلة للشروع بمثل هذا العمل الجديد العالمي الاهمية ، دون اخفاقات ولا اخطاء ! والحال اننا شرعنا به . ونحن نقوم به . واليوم على وجه الدقة ، نصلح جملة كاملة مـــن اخطائنـــا ، «بسياستنا الاقتصادية الجديدة» ؛ ونتعلم كيف يجب مواصلة بناء

الصرح الاشتراكي ، في بلد من صغار الفلاحين ، دون ارتكاب هذه الاخطاء .

والمصاعب هائلة . وقد تعودنا ان نكافح المصاعب الهائلة . وليس عبثاً يقول اعداؤنا عنا اننا «ثابتون كالصخر» ، وانهم لقبونا بممثلي «سياسة تكسر العظام» . ولكننا تعلمنا ايضاً ، — الى حد ما على الاقل ، — فناً آخر لا غنى عنه في الثورة : فـــن ان نكون مرنين ، ان نعرف كيف نغير تكتيكنا بسرعة ، بفجأة ، آخذيـــن الظروف الموضوعية المتغيرة بعين الاعتبار ، مختارين سبيـــلاً جديداً للوصول الى هدفنا ، اذا تبين السبيل القديـــم ، في هذه الفترة من الزمن ، غير ملائم ، غير صالح .

لقد كنا نحسب ، نحن الذين ايقظنا الحماسة الشعبية ، — السياسية العامة اولاً ثم العسكرية ، — كنا نحسب ، وقد حملتنا موجة الحماسة ، باننا سنتمكن من ان نحقق ، بفضل هذه الحماسة مباشرة ، مهمات اقتصادية جليلة (كما هي عليه المهمات السياسية العامة ، والمهمات العسكرية) . كنا نحسب ، —وقد يكون مـــن الاصح القول : كنا نفترض ، دون حساب كاف ، — باننا سنتمكن بالاوامر الصريحة تصدرها الدولة البروليتارية ، من ان ننظم على الطريقة الشيوعية ، في بلد من صغار الفلاحين ، انتاج وتوزيع المنتجات من جانب الدولة . الا ان الحياة بينت خطأنا . وتبين انه لا بد من سلسلة من الدرجات الوسطية : رأسماليـــة الدولـــة والاشتراكية ، بغية تحضير الانتقال الى الشيوعية وتحضيره بعمل يدوم سنوات طويلة . فليس بالاعتماد على الحماسة مباشرة ، بل بواسطة الحماسة التي تولدها الثورة الكبرى ، وبتحريك المصلحة الشخصية والفائدة الشخصيـــة ، وبالاستنـــاد الى الحســـاب الاقتصادي ، يجب عليكم ان تبنوا ، بادئ الامر ، جسوراً متينة تقود ، في بلد من صغار الفلاحين ، الى الاشتراكية ، عبر رأسمالية الدولة . والا فانكم لن تقتربوا من الشيوعية ؛والا فانكم لن

تقودوا عشرات وعشرات الملايين من الناس الى الشيوعية . هذا ما كشفته لنا الحياة . هذا ما كشفـــه سير الثورة الموضوعي .

ونحن الذين تعلمنـــا قليلاً ، في هذه السنوات الثلاث او الاربع ، كيف نقوم بانعطافات فجائية (حين يقتضي الحال انعطافاً فجائياً) ، شرعنا بحمية ، وانتباه ، ومواظبة (وان بما لا يكفي بعد من الحمية ومن الانتباه ومن المواظبة) نتعلم الانعطاف الجديد ، «السياسة الاقتصادية الجديدة» . يجب ان تصبـــح الدولـــة البروليتارية «رب عمل» محترساً ، معتنياً ، حاذقاً ، **تاجراً بالجملة** مجتهداً – والا فانها لن تتمكن من ان توقف ، اقتصاديـــاً ، هذا البلد من صغار الفلاحين على قدميه . فاليوم ، في الاحوال الراهنة ، والى جانب الغرب الرأسمالي (الذي لا يزال بعد رأسمالياً) ، لا يمكن الانتقال الى الشيوعية على نحو آخر . تاجر بالجملـــة ، هذا يبدو نموذجاً اقتصادياً بعيداً عن الشيوعية بعد الثرى عن الثريا . ولكنه على وجه الضبط تناقض من هذه التناقضات التي تقود ، في الواقع الحي ، من الاستثمارة الفلاحية الصغيرة الى الاشتراكية ، عبر رأسمالية الدولة . ان المصلحة الشخصية تؤدي الى انهاض الانتاج ؛ ونحن بحاجة الى زيادة الانتاج قبل كل شيء ومهمـــا كان الثمن . والتجارة بالجملة توحد اقتصاديـــاً الملايين مـــن صغار الفلاحين ، اذ تثير مصلحتهم ، وتشركهم ، وتقودهم الى الدرجـة التالية : الى مختلف اشكال التشارك والاتحاد في الانتاج بالذات . وقد بدأنا منذ حين عملية لا غنى عنها ، وهي اعادة تنظيم سياستنا الاقتصادية . ومنذ الآن ، نسجل في هذا الميدان بعض النجاحات ، غير الكبيرة حقاً ، الجزئية ، ولكنها مع ذلك اكيدة لا مراء فيها . ونحن في هذا الميدان من «العلم» الجديد ، ننهي صفنا الاعدادي . وبالدراسة بثبات ومثابرة ، بالتحقق ، بواسطة التجربة العملية ، من كل من خطواتنا ، ودون خشية من ان نعيد مراراً عديدة ما

كنا بدأناه ، ومن ان نصلح اخطاءنا ، وبسعينا الى فهم معناهـا ، سننتقل الى الصفوف العليا . سنتابع «الدرس» بكامله ، رغم ان احوال الاقتصاد العالمي والسياسة العالمية قد جعلته اطول بكثير واشق بكثير مما نود . ومهما كان الثمن ، ومهما كانت آلام المرحلة الانتقالية ، والكوارث ، والجوع ، والخراب مضنية ، فاننا لن ندع عزيمتنا تخور ، وسنسير بعملنا حتى النصر النهائي .

١٤-١٠-١٩٢١ .

«البرافدا» ، العدد ٢٣٤ ، ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢١

المجلد ٤٤ ، ص‌ص ١٤٤-١٥٢

حول اهمية الذهب اليوم
وبعد انتصار الاشتراكية التام

ان خير طريقة للاحتفال بذكرى الثورة الكبرى ، تقوم في حصر الانتباه على المهمات التي لم تتحقق بعد من بين مهماتهـــا . وهذه الطريقة للاحتفال بالثورة ملائمة وضرورية خصوصـــاً حين تكون ثمة قضايا اساسية لم تحلها الثورة بعد ويجب ، لأجل حلهـــا ، استيعاب شيء ما جديد (من وجهة نظر ما حققته الثورة حتى الآن) .

والواقع الجديد في الوقت الحاضر بالنسبة لثورتنا هـــو ضرورة اللجوء ، في قضايا البناء الاقتصادى الجذرية ، الى طرائق العمل «الاصلاحية» ، التدريجية ، القائمة على الاحتراس واللـــف والدوران . ان هذه «الجدة» تثير جملة من الاسئلة ، والارتباكات ، والشكوك ، سواء منها النظرية ام العملية .

مسألة نظرية : كيف نفسر الانتقال ، بعد سلسلة من اكثر الاعمال ثورية ، الى اعمال «اصلاحية» فوق العادة ، في الميدان نفسه وفي ظروف سير الثورة المظفر العام ، مأخوذة بمجملهـــا ؟ ألا يوجد ثمة «تخلّ عن المواقع» او «اعتراف بالافلاس» او شيء ما مماثل ؟ ان اعداءنا ، ابتداء من الرجعيين من الطراز شبه الاقطاعي حتى المناشفة او غيرهم من فرسان الاممية الثانيـــة والنصف ،

يقولون ، بالطبع ، انه يوجد . فلأنهم اعداء ، يطلقون تصاريح من هذا النوع ، بذريعة وبلا ذريعة . ان الوحدة المؤثرة في هذه المسألة بين جميع الاحزاب ، من الاقطاعيين حتى المناشفة ، تثبت مرة اخرى ان جميع هذه الاحزاب تؤلف فعلاً ، في وجه الثورة البروليتارية ، «كتلة رجعية واحدة» (ونقول بين هلالين : كما تنبأ بذلك انجلس في رسالتيه الى بيبل في عامي ١٨٧٥ و١٨٨٤) (١٣٩) .

ولكن بعض . . . «الحيرة» ترد ايضاً عند اصدقائنا .

لنرمم الصناعة الضخمة وننظم مبادلة منتجاتها مباشرة مع الزراعة الفلاحية الصغيرة مساعدين على اشاعة التعاون في هذه الزراعة . ولكي نرمم الصناعة الضخمة ، لنأخذ من الفلاحين ، على سبيل الدين ، كمية ما من المأكولات والمواد الاولية ، عن طريق مصادرة الفوائض . هذه هي الخطة (او الطريقة ، او النهج) التي طبقناها اكثر من ثلاث سنوات ، حتى ربيع ١٩٢١ . وكان هذا حلاً ثورياً للقضية ، بمعنى تدمير النمط الاجتماعي الاقتصادي القديم تدميراً مباشراً وكلياً والاستعاضة عنه بنمط جديد .

وعن هذا الحل ، هذه الخطة ، هذه الطريقة ، هذا النهج في العمل نستعيض ، منذ ربيع ١٩٢١ (ولم «نستعض» بعد ، لا نزال بسبيل «الاستعاضة» ، ولم ندرك ذلك بعد ادراكاً كلياً) ، بطريقة اخرى تماماً ، من طراز اصلاحي :الامتناع عن **هدم** النمط الاجتماعي الاقتصادى القديم ، عن هدم التجارة ، والاقتصاد الصغير ، والمشاريع الصغيرة ، والرأسمالية ؛ بل **انعاش** التجارة ، والمشاريع الصغيرة ، والرأسمالية ، والسيطرة عليها باحتراس وتدريج ، او التمكن من وضعها تحت رقابة الدولة وذلك **فقط بقدر** ما تنتعش .

حل مختلف كلياً للقضية .

ان هذا الحل ، بالقياس الى الحل السابق ، الثوري ، انما هو حل اصلاحي (الثورة تغيير يهدم النمط القديم في كل ما هو اساسي ولا اكثر ، في كل ما هو جوهري ولا اكثر ، بدلاً من اصلاحه باحتراس ، وبطء ، وتدريج ، ومن السعي الى هدم اقل ما يمكن) .

ويوضع السؤال التالي : اذا امتحنتَ الطرائق الثورية ، واعترفتَ باخفاقها وانتهجتَ الطرائق الاصلاحية ، أليس في هذا برهان على ان الثورة هي ، بوجه عام ، خطأ حسب رأيك ؟ أليس في هذا برهان على انه لم يكن ينبغي ، بوجه عام ، البدء من الثورة ، انه كان ينبغي البدء من الاصلاحات والاقتصار على الاصلاحات ؟

هذا هو الاستنتاج الذى يستخلصه المناشفة واشباههم . ولكن هذا الاستنتاج هو إما ضرب من السفسطة ومجرد احتيال من جانب اناس خبروا الحلو والمر في حقل السياسة ، واما عمل صبياني من جانب اولئك الذين «لم يخبروا» المحن الحقيقية . ان الخطر الاكبر ، وربما الخطر الوحيد ، هو بالنسبة للثوري الحقيقي ، استعظام الثورية ونسيان الحدود والشروط فيما يخص تطبيق الاساليب الثورية تطبيقاً ملائماً وموفقاً . ففي هذا المجال ، اكثر مما في غيره ، كسّر الثوريون الحقيقيون رقابهم ، حين كانوا يأخذون في كتابة كلمة «الثورة» باحرف ضخمة ، في اعتبار «الثورة» شيئاً شبه الهي ، في تضييع رؤوسهم ، في فقدان القدرة على التفكير مع الحد الاقصى من رباطة الجأش وصفاء الذهن ، على التقدير والتثبت في اية لحظة وفي اية ظروف وفي اى مجال للنشاط يجب معرفة العمل على الطريقة الثورية ، وفي اية لحظة وفي اية ظروف وفي اى مجال للنشاط يجب معرفة الانتقال الى العمل الاصلاحي . ان الثوريين الحقيقيين سيهلكون (لا بمعنى الهزيمة الخارجية ، بل بمعنى الفشل الداخلي تمنى به قضيتهم) في حالة واحدة فقط ، —

ولكنهم لا محالة سيهلكون في هذه الحالة ، – فيما اذا فقدوا صوابهم وتصوروا ان الثورة «الكبرى ، المظفرة ، العالمية» تستطيع وينبغي لها بالضرورة ان تحل جميع القضايا بالسبيل الثوري ، ايّاً كانت الظروف ، وفي جميع ميادين النشاط .

ان كل من «يتصور» هذا مفقود ، لأنه يكون قد تصور حماقة في مسألة جذرية ؛ والواقع ان الهزيمة تعاقب الحماقة في حرب ضروس (والثورة حرب ضروس ولا اشد) .

ما الذي يثبت ان الثورة «الكبرى ، المظفرة ، العالمية» لا تستطيع ولا ينبغي لها ان تلجأ إلا الى الطرائق الثورية ؟ لا شيء يثبت ذلك . هذا خطأ صريح اطلاقاً . ان خطأ هذا الزعم واضح بحد نفسه ، اذا اعتمدنا على اعتبارات نظرية محضة ، ولم نترك ميدان الماركسية . وان خطأ هذا الزعم لتؤكده ايضاً تجربة ثورتنا . رأي نظري : ابان الثورة ، تقترف الحماقات كما في كل زمن آخر ، هكذا قال انجلس (١٤٠) ، وكان على صواب . فيجب السعي الى اقتراف اقل ما يمكن من الحماقات والى اصلاح الحماقات التي اقترفت واصلاحها بأسرع وقت ، مع حسبان الحساب للامر التالي بالحد الاقصى من صفاء الذهن : اية قضايا وفي اية لحظة يمكن او لا يمكن حلها بالسبيل الثوري . تجربتنا الخاصة : ان صلح بريست–ليتوفسك كان مثالاً على عمل غير ثوري اطلاقاً ، بل اصلاحي ، او حتى شر من اصلاحي ، اذ كان عملاً الى الوراء ؛ والحال ، تقدم الاعمال الاصلاحية ، كقاعدة عامة ، ببطء واحتراس وتدريج ، ولكنها لا تعود الى الوراء . ولقد ثبتت اليوم صحة تكتيكنا لدن عقد صلح بريست–ليتوفسك واتضحت للجميع وحظيت بالاعتراف الشامل ، الى حد انه لا يجدر بعد تضييع الكلام في تقديم الدليل على ذلك .

ان ما أنجز تماماً في ثورتنا ، انما هو عملها البرجوازي الديموقراطي فقط . ومن حقنا الشرعي ولا اكثر ان نكون فخورين

بهذا . اما عملها البروليتاري او الاشتراكي فانه ينحصر في ثلاث نقاط رئيسية هي التالية : ١ – الخروج من الحرب العالمية الامبريالية خروجاً ثورياً ؛ فضح **واحباط** المذبحة المنظمة من قبل فئتي الضواري الرأسماليين في العالم ؛ وهذا ما انجزناه كلياً فيما يخصنا ؛ والثورة وحدها في عدة بلدان متقدمة كان في مستطاعها ان تنجز هذا العمل من جميع النواحي . ٢ – انشاء النظام السوفييتي ، بوصفه شكلاً لتحقيق ديكتاتورية البروليتاريا . ان انعطافاً عالمي الشأن قد جرى . وعهد البرلمانية البرجوازية الديموقراطية قد انتهى . وفصل جديد في تاريخ العالم قد انفتح : عهد ديكتاتورية البروليتاريا . وفي وسع عدة بلدان فقط ان تتقن وتستكمل النظام السوفييتي وشتى اشكال ديكتاتورية البروليتاريا . ولا يزال لدينا الكثير ، الكثير من الامور التي يجب استكمالها في هذا الميدان . واننا لنقترف خطأ لا يغتفر اذا لم ندرك هذا . وسيترتب علينا اكثر من مرة ان نستكمل ، ونعدل ، ونبدأ من جديد . وكل درجة نجتازها الى امام ، الى اعلى في قضية تنمية قوانا المنتجة وثقافتنا ، يجب ان يرافقها استكمال نظامنا السوفييتي وتعديله ؛ والحال ، ان مستوانا الاقتصادي والثقافي منخفض جداً . وسيترتب علينا ان نعدل كثرة من الاشياء ، وان «الوقوع في حيرة» من جراء هذا سيكون ذروة الحماقة (ان لم يكن شراً منها) . ٣ – البناء الاقتصادي لاسس النمط الاشتراكي . والشيء الرئيسي ولا اكثر ، الجذري ولا اكثر في هذا الميدان لم ينجز . والحال ، هنا يقوم عملنا الاوثق ، سواء من الناحية المبدئية ام من الناحية العملية ، سواء من حيث وضع جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية اليوم ام من حيث الوضع الدولي .

وبما ان الرئيسي ولا اكثر لم ينجز من حيث الاساس ، فيجب ان نولي هذا الجانب كل انتباهنا . والصعوبة هنا تكمن في شكل الانتقال .

كتبـــت في نيسان (ابريل) ١٩١٨ في «المهام المباشرة امام السلطة السوفييتية» ما يلي : «لا يكفي المرء ان يكون ثوريـــاً ونصيراً للاشتراكية او شيوعياً بوجه عام . انما ينبغي لـــه ان يعرف كيف يجد ، في كل فترة خاصة ، الحلقـــة الخاصـــة في السلسلة ، التي يجب عليه التمسك بها بكل قواه من اجـل عدم اضاعة السلسلة كلها ، وتحضير الانتقال الى الحلقة التاليـــة تحضيراً متيناً ؛ مع العلم ان توالي الحلقات ، وشكلها ، وترابطها ، والخصائص التي تميز بعضها عن بعض ، ليست بسيطـــة ولا بدائية في سلسلة من الاحداث التاريخية كما في سلسلة عاديـــة خرجت من يدي الحداد» .

وهذه الحلقة ، انما هي في الظرف الراهن ، وفي ميدان النشاط موضوع الكلام ، انعاش **التجارة** الداخلية واخضاعها لضبط (توجيه) صحيح من جانب الدولة . التجارة ، هذه هي «الحلقة» في سلسلة الاحداث التاريخية ، في الاشكال الانتقاليـــة لعملنـــا في البنـــاء الاشتراكي في ١٩٢١–١٩٢٢ ، الحلقة «**التي يجب علينا التمسك بها بكل قوانا**» ، نحن سلطة الدولة البروليتاريـــة ، نحن الحزب الشيوعي القائد . فاذا «تمسكنا» **اليوم** بهذه الحلقة بما يكفي مـــن القوة ، فاننا سنجعل انفسنا بكل تأكيد ، وقريبـــاً جداً ، اسياد السلسلة **كلها** . والا فاننا لن نصبح اسياد السلسلة كلهـــا ، ولن ننوصل الى انشاء اساس العلاقات الاجتماعية الاقتصاديـــة الاشتراكية .

قد يبدو هذا غريباً . الشيوعية والتجارة ؟ ! شيء متناقض جداً ، اخرق ، بعيد ! ولكننا اذا فكرنا به من الناحية **الاقتصادية** ، رأينـــا احداهمـــا لا تبعد عن الاخرى اكثر مما تبعد الشيوعية عن الزراعة الفلاحية الصغيرة ، البطريركية .

وحين ننتصر في النطاق العالمي ، سنصنع من الذهب ، كما اعتقد ، مراحيض عامة في شوارع بعض من اكبر مدن العالـــم .

وسيكون ذلك «اعدل» استعمال للذهب واوضحه دلالة للاجيال التي لم تنس انه بسبب من الذهب ، ذُبح عشرة ملايين انسان وشُوّه ثلاثون مليوناً في الحرب «التحريرية الكبرى» التي جرت في ١٩١٤-١٩١٨ والتي شُنّت من اجل حل هذه المعضلة الكبرى ، معضلة معرفة اي من الصلحين اسوأ ؛ صلح بريست-ليتوفسك ام صلح فرساي ؛ وانه من اجل هذا الذهب نفسه ، تجري الاستعدادات ، دون اي ريب ، لذبح عشرين مليوناً من الناس وتشويه ستين مليوناً آخرين في حرب تنفجر اما في نحو عام ١٩٢٥ واما في نحو عام ١٩٢٨ ، اما بين اليابان واميركا ، واما بين بريطانيا واميركا ، او بطريقة من هذا القبيل .

ولكن ، مهما كان استعمال الذهب المشار اليه «عادلاً» ومفيداً وانسانياً ، الا اننا نقول : لبلوغ هذا ، يجب ان نعمل ايضاً نحو عقد او عقدين من السنين بالشدة نفسها والنجاح نفسه كما في ١٩١٧-١٩٢١ ، ولكن في ميدان ارحب بكثير . اما الآن ، فيجب ان نحرص على الذهب في جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية ، وان نبيعه بأغلى ما يمكن وان نشتري البضائع بهذا الذهب بارخص ما يمكن . اذا عشت مع الذئاب ، فاعو مثل الذئاب ؛ اما فيما يخص ابادة الذئاب كافة ، كما يقتضي الحال في مجتمع انساني عاقل ، فلنتقيد بالمثل الروسي الحكيم : «لا تتبجح عند ذهابك الى الحرب ، بل عند عودتك» . . .

ان التجارة هي الصلة الاقتصادية الوحيدة الممكنة بين عشرات الملايين من صغار المزارعين والصناعة الضخمة **اذا** . . . **اذا** لم يكن ثمة الى جانب هؤلاء المزارعين صناعة ضخمة آلية ممتازة مع شبكة من الاسلاك الكهربائية ، صناعة في مقدورها ، سواء من حيث قوتها التكنيكية ام من حيث المنظمات التي تؤلف «بناءها الفوقي» ومن حيث الظاهرات المتعلقة بها ، ان تزود صغار

المزارعين بمنتجات افضل وبكمية اكبر ، وبصورة اسرع وارخص مما مضى . ان هذا الـ«اذا» **قد تحقق** على النطاق العالمي ، هذا الشرط موجود ؛ ولكن بلداً بمفرده ، فضلاً عن انه من اشد البلدان الرأسمالية تأخراً ، حاول ان يحقق ، ان يضع قيد العمل ، ان ينظم عملياً ، بصورة مباشرة ودفعة واحدة ، الصلة **الجديدة** بين الصناعة والزراعة ، فلم يستطع اداء هذه المهمة «بهجوم خاطف» ؛ وينبغي له الآن ان يؤدي هذه المهمة بسلسلة من عمليات «الحصار» ، البطيئة ، التدريجية ، المحترسة .

ان سلطة الدولة البروليتارية تستطيع حقاً ان تستمكن من التجارة ، وتوجهها ، وترسم لها بعض الحدود . اليكم مثالاً صغيراً ، صغيراً جداً : في حوض الدونيتس يلاحظ انتعاش اقتصادي ضعيف ، ولا يزال ضعيفاً جداً ، ولكنه جلي لا مراء فيه ، ومرده جزئياً الى ارتفاع انتاجية العمل في المناجم الكبيرة التابعة للدولة ، وجزئياً ايضاً الى تأجير المناجم الفلاحية الصغيرة . وهكذا تحصل سلطة الدولة البروليتارية على كمية اضافية صغيرة (زهيدة من وجهة نظر البلدان المتقدمة ، ولكنها ملحوظة مع ذلك نظراً لبؤسنا) من الفحم بسعر الكلفة ، لنقل بـ١٠٠ بالمئة ؛ وهي تبيع هذا الفحم من مختلف الدوائر الحكومية بـ١٢٠ بالمئة ومن الافراد بـ١٤٠ بالمئة . (ألاحظ بين هلالين ان هذه الارقام اعتباطية اطلاقاً ، اولاً لأني لا اعرف الارقام الصحيحة ، ثم لأني لن اسلمها اليوم الى النشر اذا كنت اعرفها .) يبدو اننا **نبدأ** ، وان باكثر المقاييس تواضعاً ، بالتمكن من **التداول** بين الصناعة والزراعة ، بالتمكن من التجارة بالجملة ، من حل القضية : ان نتمسك بالصناعة الصغيرة المتأخرة كما هي عليه اليوم ، او بالصناعة الضخمة ، رغم ما هي عليه من ضعف وخراب ؛ ان ننعش التجارة على الاساس الاقتصادي **الراهن** ؛ ان نجعل الفلاح المتوسط ،

الفلاح العادي (الذي هو رجل الجمهور ، ممثل الجمهور ، حامل العنصر العفوي) يشعر بالانتعاش الاقتصادي ؛ ان نستغل هذا لكي نقوم بعمل اكثر دأباً وانتظاماً ومثابرة ، واكثر اتساعاً واكثر توفيقاً من اجل انهاض الصناعة الضخمة .

فلا ندعن انفسنا تستبد بها «اشتراكية العاطفة» او المزاج البطريركي ، الروسي القديم ، نصف الاقطاعي ، نصف الفلاحي ، اللذان يتميزان بازدراء التجارة العفوي . يمكن **ويجب** معرفة استخدام جميع الاشكال الاقتصادية الانتقالية على اختلافها ، اذا اقتضى الامر ، من اجل تعزيز الصلة بين الفلاحين والبروليتاريا ، من اجل انعاش الاقتصاد الوطني فوراً في بلد خرب ومنهوك القوى ، من اجل انهاض الصناعة ، من اجل تيسير تدابير لاحقة اوسع واعمق ، كالكهربة مثلاً .

ان الماركسية وحدها تحدد بصورة دقيقة وصحيحة النسبة بين الاصلاحات والثورة ؛ ولم يكن باستطاعة ماركس ان يرى هذه النسبة الا من جانب واحد : في الظروف التي تسبق اول انتصار ، متين الى هذا الحد او ذاك ، طويل الامد الى هذا الحد او ذاك ، تحرزه البروليتاريا في بلد واحد على الاقل . ففي هذه الاوضاع ، كانت النسبة الصحيحة ترتكز على المبدأ التالي : الاصلاحات نتاج ثانوي لنضال البروليتاريا الطبقي الثوري . وهذه النسبة تؤلف ، فيما يخص العالم الرأسمالي كله ، اساس تكتيك البروليتاريا الثوري ، والالفباء التي يشوهها ويطمسها زعماء الاممية الثانية المباعون وفرسان الاممية الثانية والنصف انصاف الادعياء وانصاف المتصنعين . وبعد انتصار البروليتاريا في بلد واحد على الاقل ، يبرز شيء جديد في النسبة بين الاصلاحات والثورة . مبدئيا ، يبقى كل شيء كما في السابق ، ولكنه يطرأ على الشكل تغير لم يكن في مستطاع ماركس نفسه ان يتنبأ به ، ولكنه لا يمكن

ادراكه الا بالاعتماد على فلسفة الماركسية وسياستها . فلماذا استطعنا ان نقوم بتراجع بريست-ليتوفسك حسب الاصول ؟ لأننا كنا تقدمنا مسافة لعلى درجة من الكبر بحيث كان يتبقى لنا ما يكفي من المجال للتراجع . **ففي بضعة اسابيع** ، من ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ الى صلح بريست-ليتوفسك ، بنينا الدولة السوفييتية ، وخرجنا خروجاً ثورياً من الحرب الامبريالية ، وانجزنا الثورة البرجوازية الديموقراطية ، وكل هذا بدرجة فائقة من السرعة بحيث ان حركة التراجع الهائلة هذه **بالذات** (صلح بريست-ليتوفسك) تركت لنا ما يكفي من المواقع لكي نستطيع استغلال «الهدنة» والقيام بزحف مظفر ضد كولتشاك ودينيكين ويودينيتش وبيلسودسكي وفرانجل .

ان الاصلاحات هي ، قبل انتصار البروليتاريا ، نتاج ثانوى للنضال الطبقي الثوري . وهي بعد الانتصار (مع بقائها على الصعيد العالمي هذا «النتاج الثانوي» نفسه) تؤلف فضلاً عن ذلك بالنسبة للبلد الذي أحرز فيه الانتصار ، هدنة ضرورية ومشروعة فيما اذا نقصت القوى بشكل جلي ، بعد توترها في اقصى الشدة ، من اجل اجتياز هذه المرحلة او تلك اجتيازاً ثورياً . فالانتصار يقدم «مؤونة من القوى» تتيح الصمود حتى اثناء تراجع قهري ، — الصمود مادياً ومعنوياً على السواء . والصمود مادياً انما يعني الاحتفاظ بتفوق يكفي لكي لا يتمكن العدو من سحقنا نهائياً . والصمود معنويا انما يعني ألا ندع همتنا تخمد وصفوفنا تتشوش ؛ انما يعني الاحتفاظ بنظرة سليمة الى الوضع ؛ انما يعني الاحتفاظ بالنشاط وصلابة الروح ؛ انما يعني التراجع ، وان بعيداً الى الوراء ولكن في حدود مقبولة ؛ انما يعني التراجع بصورة تمكّن من وقف التراجع في الوقت اللازم ومن استئناف الهجوم .

لقد تراجعنا نحو رأسمالية الدولة . ولكننا تراجعنا في حدود مقبولة . ونحن نتراجع اليوم نحو ضبط التجارة من قبل الدولة .

ولكننا سنتراجع في حدود مقبولة . وهناك الآن ظواهر تشير الى ان هذا التراجع سينتهي ، وانه تبدو امكانية وقف هذا التراجع في مستقبل غير بعيد جداً . وبقدر ما نقوم بهذا التراجع الضروري عن وعي ، وبصفوف متراصة ، ومع الحد الادنى من الاوهام ، بقدر ما نتمكن من وقفه بمزيد من السرعة ، وبقدر ما يكون تقدمنا المظفر بعد ذلك اثبت واسرع واوسع .

٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢١ .

«البرافدا» ، العدد ٢٥١ ، ٦ و٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢١

المجلد ٤٤ ، ص‌ص ٢٢١–٢٢٩

ملاحظات صحفي

بصدد الصعود الى الجبال الشاهقة ، بصدد ضرر القنوط ، بصدد نفع التجارة ، بصدد الموقف من المناشفة ، وما الى ذلك (١٤١)

١

على سبيل المثال

لنتصور رجلاً يصعد الى جبل عال ، شديد الانحدار ، ولما تتناوله الدراسة . لنفترض انه افلح ، بتذليل مصاعب ومخاطر لا سابق لها ، وصعد الى اعلى بكثير مما صعد سابقون ، ولكنه لم يبلغ القمة مع ذلك . واذا هو في وضع يغدو فيه التحرك الى امام في الاتجاه المختار والطريق المختار ، لا صعباً وخطراً وحسب ، بل ايضاً مستحيلاً حقاً وفعلاً . فاضطر للرجوع الى الوراء ، والنزول الى اسفل ، والبحث عن طرق اخرى ، حتى وان كانت اطول ، ولكنها تبشر مع ذلك بامكان الوصول الى القمة . ان النزول الى اسفل من على هذا الجبل الذي لم يكن له نظير بعد في العالم والذي كان عليه رحالتنا المختلق ، محفوف بمخاطر ومصاعب هي ، على الارجح ، اكبر مما في الصعود : فمن الاسهل ان تزل القدم ؛ وليس من المريح لك ان تلقي نظرة فاحصة الى المكان الذي تضع فيه قدمك ؛ ولا وجود لذلك المزاج المنتعش بخاصة الذي نشأ بفضل التحرك المباشر الى اعلى ، نحو الهدف مباشرة ، والخ . . ولا بد لرحالتنا ان يلف نفسه بحبل ، ويقضي ساعات وساعات لكي يحفر بالمعول حيوداً او امكنة يمكن ربط الحبل فيها ربطاً محكماً ، ولا بد له ان يتحرك

ببطء السلحفاة ، وان يتحرك فضلاً عن ذلك الى الوراء ، الى اسفل ، الى أبعد عن الهدف ، وان لا يرى مع ذلك ما اذا كان سينتهي هذا النزول الخطر والمعذب جداً ، ما اذا كان سيجد دورة مأمونة نوعاً يمكنه ان يتحرك عليها من جديد ، بمزيد من الجرأة ، بمزيد من السرعة ، بمزيد من الاستقامة ، الى الامام ، الى اعلى ، نحو القمة .

ومن الطبيعي او يكاد ان نفترض ان يعرف الرجل الذي وجد نفسه في مثل هذا الوضع دقائق من القنوط رغم انه صعد الى علو لم يسمع بمثله من قبل . وهذه الدقائق ستزداد ، اغلب الظن ، عدداً وتواتراً وارهاقاً لو استطاع ان يسمع بضعة اصوات آتية من اسفل ممن يراقب من البعيد المأمون ، من خلال المنظار ، هذا النزول الفائق الخطر الذي لا يمكن حتى تسميته على حد تعبير «السمينوفيخيين» (١٤٢) «بالنزول على المكابح» ، لأن المكبح يفترض عربة مهيأة جيداً ، وتم اختبارها ، وطريقاً معبدة سلفاً وآليات مختبرة سلفاً . اما هنا ، فلا عربة ، ولا طرق ، ولا شيء اطلاقاً ، لا شيء مجرب سلفاً !

اما الاصوات الآتية من تحت ، فانها تنم عن الشماتة . بعضهم يشمتون على المكشوف ، ويهللون ، ويصيحون : سيسقط الآن ، وهذا جزاء له ، فلا لزوم للجنون ! وبعض آخر يحاولون ان يخفوا شماتتهم ، متصرفين على الاغلب على غرار يهوذا غولوفليف (١٤٣) ، انهم يجزعون رافعين عيون الحزن . واحسرتاه ، ان مخاوفنا تتحقق ! اولسنا نحن الذين امضينا حياتنا كلها على اعداد خطة معقولة للصعود الى هذا الجبل ، طالبنا بتأجيل الصعود طالما لم ينته اعداد خطتنا ؟ واذا كنا ناضلنا بمثل هذه الحماسة ضد الطريق الذي تركه الآن حتى هذا المجنون بالذات (انظروا ، انظروا ، لقد مشى الى الوراء ، انه ينزل الى اسفل ، انه يهيئ لنفسه خلال ساعات وساعات امكانية التقدم وان ذراعاً واحدة !

اما هو ، فقد شتمنا بأسفه الكلمات عندما طالبنـــا بدأب وثبات بالاعتدال والدقة !) ، – واذا كنا قد شجبنا المجنون بمثـل هذه الحرارة وحذرنا الجميع من التشبه به ومن مساعدته ، فاننا قد فعلنا ذلك على وجه الحصر بدافع الحب للخطة العظيمة ، خطـــة الصعود الى الجبل المعني ، لكي لا يساء البتة الى هذه الخطـــة العظيمة !

ولحسن الحظ ان رحالتنا المختلق لا يستطيع في ظروف المثال الذي اخذناه ، ان يسمع اصوات هؤلاء «الاصدقاء الحقيقيين» لفكرة الصعود ، والا لكان تملكه الغثيان . والحال ان الغثيان ، كما يقولون ، لا يساعد على صحو الرأس وصلابة القدمين ، وخاصة في علو كبير جداً .

٢

بدون مجازات

المثال ليس برهاناً . وكل تشبيه ناقص . وهاتان حقيقتان يعرفهما الجميع ولا مراء فيهما ، ولكنه لا ضير من التذكير بهما لكي نتصور بمزيد من الجلاء حدود اهمية كل تشبيه على العموم .

فان بروليتاريا روسيا قد صعدت في ثورتها الى علو شاهق ، لا بالقياس الى عام ١٧٨٩ وعام ١٧٩٣ وحسب ، بل ايضاً بالقياس الى عام ١٨٧١ . يجب ان ندرك باكثر ما يمكن من صفاء الذهن والوضوح والجلاء ما «أتممناه» نحن بالذات ، وما لم نتمه : ففي هذه الحال ، يبقـــى الرأس صاحيـــاً ، ولن يكون الغثيان ، ولا الاوهام ، ولا القنوط .

لقد «أتممنا» الثورة البرجوازية الديموقراطية بدرجة من «الصفاء» لم يسبق لها قط مثيل في العالم . وهذا مكسب عظيـــم للغاية لن تنتزعه اية قوة .

لقد اتممنا الخروج من الحرب الامبريالية المغرقة في الرجعية بالسبيل الثوري . وهذا ايضاً مكسب لن تنتزعه اية قوة في العالم ومكسب تزداد قيمته خصوصاً وان المجازر الامبريالية الرجعية محتمة في المستقبل غير البعيد ، اذا بقيت الرأسمالية ؛ والواقع ان اهل القرن العشرين لن يرضوا ببالغ السهولة للمرة الثانية ببيانات مثل «بيانات بال» التي استغفل بها المرتدون ، ابطال الاممية الثانية والاممية الثانية والنصف ، انفسهم واستغفلوا بها العمال في سنة ١٩١٢ وفي سنوات ١٩١٤–١٩١٨ .

لقد انشأنا طرازاً سوفييتياً للدولة ودشنا بذلك عهداً تاريخياً عالمياً جديداً ، هو عهد سيادة البروليتاريا السياسية الذي حل محل عهد سيادة البرجوازية . وهذا ايضاً يستحيل انتزاعه ، رغم ان «اتمام» الطراز السوفييتي للدولة لن يتحقق الا بفضل التجربة العملية للطبقة العاملة في بضعة بلدان .

ولكننا لم نُتم حتى اساس الاقتصاد الاشتراكي . وهذا لا يزال بوسع قوى الرأسمالية المحتضرة ان تنتزعه منا . يجب ان ندرك هذا بوضوح ونعترف به على المكشوف ، لأنه ليس ثمة ما هو أخطر من الاوهام (ومن الدوخان ، وخاصة في العلو الكبير) . وليس ثمة قطعاً في الاعتراف بهذه الحقيقة المرة اي شيء «رهيب» ، اي شيء يعطي ذريعة مشروعة وان لأقل قنوط ، لأننا تبنينا على الدوام وكررنا تلك الحقيقة الاولية من حقائق الماركسية ، القائلة انه لا بد لأجل انتصار الاشتراكية من تضافر جهود العمال في بضعة بلدان طليعية . والحال اننا لا نزال وحدنا ، ولكننا في بلد متخلف ، في بلد اصابه الخراب أشد من اي بلد آخر ، فعلنا اشياء كثيرة الى حد لا يصدق . وفضلاً عن ذلك ، حافظنا على «جيش» القوى البروليتارية الثورية ، حافظنا على «قدرته على المناورة» ، حافظنا على صحو العقل الذي يتيح لنا ان نحسب بصفاء ذهن اين ومتى والى اي حد يجب التراجع (لأجل القفز بمزيد من

القوة) ؛ – اين ومتى وكيف بالضبط يجب الانصراف الى اعادة فعل ما لم يتم فعله . وسيتعين علينا ، اغلب الظن ، ان نعتبر من عداد الهالكين اولئك الشيوعيين الذين يتصورون انه يمكن بدون اخطاء ، بدون تراجعات ، بدون اعادات متكررة لفعل ما لم يتم فعله وما تم فعله بصورة غير صحيحة ، انهاء هذا «المشروع» التاريخي العالمي الذي هو استكمال بناء الاقتصاد الاشتراكي (وخاصة في بلد من صغار الفلاحين) . ولم يهلك (ولن يهلك ، على الارجح) اولئك الشيوعيون الذين لا يستسلمون ، لا للاوهام ولا للقنوط ، ويحتفظون بقوة الجسم ومرونته لأجل تكرار «البدء من البداية» في اداء مهمة بالغة الصعوبة .

ولذا من الجائز لنا اقل من غيرنا ان نستسلم وان لأقل قدر من القنوط ، ويتوفر لنا من المبررات لهذا الامر اقل مما لغيرنا وذلك لاننا **بدأنا** نوعاً ، رغم كل خرابنا وفقرنا وتأخرنا وجوعنا ، **نتحرك الى امام** في ميدان **الاقتصاد** الاعدادي للاشتراكية ، في حين ان بلداناً الى جانبنا ، وفي العالم كله ، بلداناً اكثر تقدماً منا ، واغنى منا بالف مرة ، واقوى عسكرياً منا بالف مرة ، **تواصل التحرك الى الوراء** في ميدان اقتصاد«ها» «هي» ، في ميدان اقتصاد مجدته ، وتعرفه ، وخبرته منذ مئات السنين ، هو الاقتصاد الرأسمالي .

٣

بصدد صيد الثعالب ؛ بصدد ليفي ؛ بصدد سيراتي

يقولون ان آمن طريقة لصيد الثعالب هي الطريقة التالية : الثعالب المطاردة يطوقونها على بعد معين بحبل مربوطة به رايات حمراء وممدود فوق الثلج على ارتفاع غير كبير ؛ وخوفاً من

التطويق «البشري» ، المصطنع بصورة بيّنة ، لا يخرج الثعلب الا متى وحيث ينفتح قليلاً هذا «السياج» من الرايات ؛ وهناك بالذات ينتظره الصياد . قد يخيل ان الحذر هو بالنسبة لهذا الوحش الذي يطارده الجميع صفة ايجابية للغاية . ولكن «مواصلة الفضيلة» في هذا المجال بالذات تنقلب الى نقيصة . فان الناس يصطادون الثعلب بالاستناد على وجه الضبط الى حذره الفائق الحد .

لا بد لي من الاعتراف بخطأ اقترفته في المؤتمر الثالث للكومنترن بدافع الحذر الفائق الحد ايضاً . ففي هذا المؤتمر وقفت في الجناح اليميني المتطرف . واني لعلى اقتناع بان هذا الموقف كان الموقف الصحيح الوحيد ، لأن مجموعة من المندوبين كبيرة التعداد («النفوذ») جداً وعلى رأسها كثيرون من الرفاق الالمان والمجريين والايطاليين ، شغلت موقفاً «يسارياً» غير معتدل ويسارياً غير صحيح ، مستعيضة احياناً كثيرة اكثر من اللزوم عن حسبان الحساب بصفاء ذهن للوضع الملائم جداً لأجل العمل الثوري الفوري والمباشر بالتلويح الشديد بالرايات الحمراء . وبدافع الحذر ، وبدافع الحرص على ان لا يضفي هذا الانحراف نحو اليسارية المتطرفة الذي لا مراء في خطئه اتجاهاً خاطئاً على كل تكتيك الكومنترن ، دافعت عن ليفي بجميع الوسائل ، واعربت عن فرضية مفادها انه ضيع رأسه (ولم انكر انه ضيّع رأسه) ، وذلك ، اغلب الظن بسبب الذعر الفائق الحد من اخطاء اليساريين ، وانه وقعت حالات كان فيها الشيوعيون الذين ضيعوا رؤوسهم «يجدو ن»ها فيما بعد من جديد . واذ مضيت الى حد الافتراض – امام ضغط «اليساريين» – ان ليفي منشفي ، اشرت الى ان حتى هذا الافتراض لا يفصل بعد في المسألة . مثلاً . ان كل تاريخ نضال المناشفة ضد البلاشفة في روسيا خلال ١٥ سنة (١٩٠٣ – ١٩١٧) يثبت ، كما تثبت الثورات الروسية الثلاث ، ان المناشفة كانوا على العموم مخطئين بصورة بينة اكيدة ، وانهم كانوا بالفعل عملاء

للبرجوازية في الحركة العمالية . وهذا واقع لا جدال فيه . ولكن هذا الواقع الذي لا جدال فيه لا ينفي واقع ان المناشفة كانوا في **بعض** الاحوال على حق ضد البلاشفة ، مثلاً ، في مسألة مقاطعة دوما ستوليبين في سنة ١٩٠٧ .

ومنذ مؤتمر الكومنترن الثالث ، انقضت ٨ أشهر . والظاهر ان جدالنا آنذاك مع «اليساريين» قد شاخ ، قد فصلته الحياة . وتبين انيلم اكن محقاً بصدد ليفي لأنه برهن بنجاح انه سلك الدرب المنشفي لزمن طويل ، بثبات ، وبكل كيانه ، وليس من باب الصدفة ، ولا بصورة موقتة ، ودون ان يكتفي «بالتطرف» في معارضة خطأ «اليساريين» الفائق الخطر . وعوضاً عن الاعتراف بضرورة طلب الانتساب من جديد الى الحزب ، كما كان يجب ان يفعله رجل ضيع رأسه موقتاً بسبب الامتعاض من بعض اخطاء اليساريين ، عمد ليفي الى الحاق الاذى بالحزب في التوافه ، والى تدبير المقالب الغادرة له ، اي بتقديم خدمات فعلية لعملاء البرجوازية من الاممية الثانية والاممية الثانية والنصف . وبديهي ان الشيوعيين الالمان كانوا على حق تام حين ردوا على هذا بطردهم مؤخراً من حزبهم بضعة اسياد آخرين دعموا باول ليفي سراً في هذا المقصد النبيل .

ان تطور الحزبين الشيوعيين الالماني والايطالي بعد مؤتمر الكومنترن الثالث يبرهن انهما اخذا خطأ اليساريين في هذا المؤتمر بعين الاعتبار وانهما يصلحانه – شيئاً فشيئاً ، ببطء ، ولكن بثبات ؛ وانهما يطبقان قرارات المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية بولاء ووفاء . ان تحويل الطراز القديم للحزب البرلماني الاوروبي الاصلاحي في الواقع ، والمصبوغ بخفة فقط باللون الثوري ، **الى طراز** جديد للحزب ، الى حزب ثوري فعلاً ، الى حزب شيوعي فعلاً ، انما هو شيء خارق الصعوبة . وان مثال فرنسا يبين هذه الصعوبة ، على الارجح ، باشد ما يكون من الوضوح . فان تغيير **طراز** العمل الحزبي ، وتحويل جمود الحياة اليومي ، المألوف ، والتوصل الى ان

يصبح الحزب طليعة البروليتاريا الثورية ، دون الانفصال عن الجماهير ، بل بالتقرب منها اكثر فاكثر ، ورفعها الى مستوى الوعي الثوري والنضال الثوري ، – ان كل هذا انما هو في الحياة اليومية الامر الاصعب ولكن الأهم . واذا لم يستغل الشيوعيون الاوروبيون ، لأجل اجراء هذا التغيير الجذري ، الداخلي ، العميق لكل بنية احزابهم ولكل عملها ، تلك الحقبة (القصيرة جداً ، حسب كل احتمال) بين مراحل التأزم الخاص في المعارك الثورية التي مرت بها بلدان رأسمالية عديدة في اوروبا واميركا في عام ١٩٢١ وفي اوائل عام ١٩٢٢ ، فان ذلك سيكون من جانبهم جريمة فادحة للغاية . ولحسن الحظ انه لا مبرر للتخوف من وقوع ذلك . فان العمل غير الصاخب ، غير الساطع ، غير الصياح ، غير السريع ، ولكن العميق ، الرامي الى انشاء احزاب شيوعية حقيقية في اوروبا واميركا ، الى انشاء طلائع ثورية حقيقية للبروليتاريا ، قد بدأ ، ولا يزال قائماً .

ان الدروس السياسية المستخلصة حتى من مراقبة هذه الظاهرة المبتذلة ونعني بها صيد الثعالب ، ليست عقيمة : فمن جهة يؤدي الحذر الفائق الحد الى الاخطاء . ومن الجهة الاخرى ، لا يجوز ان يغيب عن البال انه اذا استعيض عن مراعاة الوضع بصفاء ذهن بمجرد «المزاج» او بتلويح الرايات الحمراء ، فمن الممكن اقتراف خطأ يستحيل اصلاحه ؛ ومن الممكن الهلاك في احوال ليس الهلاك فيها البتة واطلاقاً امراً محتماً حتى وان كانت المصاعب جسيمة .

ان باول ليفي يرغب الآن في التملق بخاصة لكسب رضى البرجوازية ، – **وبالتالي** ، لكسب رضى عميلتيها ، الاممية الثانية والاممية الثانية والنصف ، – وذلك عن طريق طبعه من جديد من مؤلفات روزا لوكسمبورغ تلك التي لم تكن محقة فيها . ونحن نرد على هذا بسطرين من خرافة روسية جيدة : قد تنزل النسور احياناً دون الدجاجات ، ولكن الدجاجات لن تحلق يوماً مثل النسور . ان روزا لوكسمبورغ كانت تخطئ في مسألة استقلال بولونيا ،

وكانت تخطئ عام ١٩٠٣ في تقييم المنشفية ؛ وكانت تخطئ في نظرية تراكم الرأسمال ، وكانت تخطئ بدفاعها في تموز (يوليو) ١٩١٤ ، مع بليخانوف وفاندرفيلده وكاوتسكي وغيرهم ، عن فكرة اتحاد البلاشفة والمناشفة ؛ واخطأت في كتاباتها في السجن عام ١٩١٨ (علماً بانها هي نفسها ، عند خروجها من السجن ، اصلحت في اواخر ١٩١٨ واوائل ١٩١٩ قسماً كبيراً من اخطائها) . ولكنها ، رغم اخطائها هذه ، كانت ولا تزال نسراً ؛ ولن تكون ذكراها وحدها قيمة على الدوام بالنسبة للشيوعيين في العالم اجمع ، بل ان سيرة حياتها والمجموعة **الكاملة** لمؤلفاتها (التي يتأخر الشيوعيون الالمان فائق التأخر في اصدارها ؛ وليس لهم عذر في ذلك سوى عدد ضحاياهم الهائل في نضالهم الشاق) ستكونان كذلك درساً نافعاً للغاية لأجل تربية اجيال عديدة من الشيوعيين في العالم اجمع . «ان الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية بعد ٤ آب (اغسطس) ١٩١٤ – جثة نتنة» – بهذا القول لروزا لوكسمبورغ سيدخل اسمها في تاريخ الحركة العمالية العالمية . اما في الحوش الخلفي للحركة العمالية ، فان الدجاجات من طراز باول ليفي وشيدمان وكاوتسكي وكل هذه الاخوية ستبتهج طبعاً ، ابتهاجاً خاصاً ، وسط المزابل ، باخطاء الشيوعية العظيمة . لكل قسمته .

اما سيراتي ، فانه يتعين تشبيهه ببيضة متعفنة تنشق بضجة و . . . برائحة لاذعة جداً . ان يمرر المرء في مؤتمر «ه» قراراً بالاستعداد للخضوع لقرار مؤتمر الكومنترن ، ثم يرسل الى هذا المؤتمر العجوز لادزاري ويخدع العمال في الختام بخشونة تاجر خيل ، – ألا ان هذا درة . ان الشيوعيين الايطاليين الذين يربون حزباً حقيقياً للبروليتاريا الثورية في ايطاليا سيتوفر لهم الآن مثال جلي على الاحتيال السياسي الحقير والمنشفية امام عيون الجماهير العمالية . وليس دفعة واحدة ، وليس بدون دروس جلية متكررة عديدة سيتبدى التأثير النافع ، **النابذ** لهذا المثال ، ولكنه سيتبدى من كل بد . عدم

الانفصال عن الجماهير ، عـــدم فقدان الصبر في النشاط المرهـــق للتشهير العملي بجميع احتيالات سيراتي امام العامل البسيط ؛ عدم الانسياق وراء قرار مفرط في السهولة وخطر للغاية : حيـــث يقول سيراتي «أ» ، ان يقول «ناقص أ» ؛ تربية الجماهير ابداً ودائماً لتبني العقيدة الثورية وللقيام بالعمل الثوري ؛ الاستفادة فعلاً وبروح عملية من الدروس الرائعة (وان كانت غالية التكاليف) والملموســـة التي نعطيها الفاشية – والنصر مضمون للشيوعيين الايطاليين .

ان ليفي وسيراتي ليسا متميزين بحد نفسيهما ، بل بوصفهما مثالا على الجناح اليساري المتطرف في الديموقراطيـــة البرجوازيـــة الصغيرة ، على المعسكر «الآخر» ، معسكر الرأسماليين العالميين ، ضد معسكرنا . ان المعسكر «الآخر» يشمت او يهلـــل ، او يذرف دموع التماسيح كله ، بكليته ، من غومبرس الى سيراتي ، بصدد تراجعنا ، بصدد «نزولنا الى اسفل» ، بصدد سياستنا الاقتصادية الجديدة . فليشمتوا ، وليقوموا بتهريجاتهـــم . فلكل قسمتـــه . اما نحن ، فاننا لن نستسلم لا للاوهام ولا للقنوط . واذا لم نخش الاعتراف باخطائنا ، واذا لم نخش جهد اصلاحها مراراً وتكراراً ، فاننا سنصعد الى القمة بالذات . ان قضية التكتل العالمي من غومبرس الى سيراتي قضية هالكة .

كتـــب في اواخر شباط (فبراير) ١٩٢٢
صدر للمرة الاولى بنصه غير الكامل ، عام ١٩٢٤ ، في مجلة «كومونيستيتشيسكي انترناسيونال» («الاممية الشيوعيـــة») ، العدد ٢

صدر للمرة الاولى بنصه الكامـــل في ١٦ نيسان (ابريل) ١٩٢٤ في جريدة «البرافدا» العدد ٨٧ وجريدة «ازفيستيا فتسيـــك» («انباء اللجنة التنفيذية المركزية لعامـــة روسيا») ، العدد ٨٨

المجلد ٤٤ ، ص‌ص ٤١٥–٤٢٣

ملاحظات لمقالة «ملاحظات صحفي»

الصفحـــة ١٠ الآن : ١ – على حق تام ، بطرد اتباع ليفي . ٢ – اليساريون في المانيا وايطاليـــا تطوروا بشكل رائـــع ، آخذين بالحسبان اخطاءهم في المؤتمر الثالث . ٣ – ΣΣ* = دروس الثعلـب . ٤ – ليفي وروزا لوكسمبورغ . ٥ – سيراتي = ثعلـــب فقط ، وحش صغير فقط . ٦ – الثانيـــة والثانية والنصف .

كتب في اواخر شباط ١٩٢٢
صدر للمرة الاولى عام ١٩٥٩
في المجموعة اللينينية ، المجلد ٣٦

المجلد ٤٤ ،
ص ٤٢٣

* ـ Summa summarum ـ الحاصل العام . **الناشر** .

التقرير السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا في المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا (١٤٤)
٢٧ آذار (مارس) ١٩٢٢

(**تصفيق .**) ايها الرفاق ! اسمحوا لي بان ابدأ تقرير اللجنة المركزية السياسي لا من بداية السنة ، بل من آخرها . فان ألـــح مسألة في السياســة الآن هي جنوه (١٤٥) . ولكن بما انه قيل الكثير بهذا الصدد في صحافتنـــا ، وبما اني ، في الخطاب الذي القيته في ٦ آذار (مارس) ونشرته الصحافـــة ، اعربت عن الجوهري في هذه المسألة ، فاني ، اذا لم تبد مطالب خاصة من جانبكـم لأجل عرض تفاصيل ما ، ارجو ان تسمحوا لي بعدم الدخول في تفاصيل هـــذه المسألة .

انتم تعرفون عن جنوه كل شيء على العموم ، لان الصحافـــة اولت هذه المسألة مكاناً كبيراً ، بل ، برأيي ، مكاناً كبيراً الى حـــد الافراط ، لما فيه ضرر الحاجات الفعلية ، العملية ، الملحة التـــي يقتضيهـا بناؤنا على العموم ، وبناؤنا الاقتصادي على الخصوص . ومفهوم ان يكون الناس في جميع البلدان البرجوازية في اوروبـــا يحبون كثيراً شغل او حشو الرؤوس بشتى الثرثرات الطنانة بصدد جنوه . ونحن هذه المرة (وليس هذه المرة وحسب) نقلدهم ونقلدهم بافراط كبير .

يجب القول اننا اتخذنا في اللجنة المركزية ادق الاجراءات لانشاء وفد من خيرة ديبلوماسيينا (وعندنا الآن عدد لا بأس به من الديبلوماسيين السوفييت لا كما كان الحال في بدء وجود الجمهورية السوفييتية) . وقد وضعنا في اللجنة المركزية تعليمات مفصلة كفاية من اجل ديبلوماسيينا في جنوه ، واستغرقت صياغة هذه التعليمات زمناً طويلا جداً ، وبحثناها عدة مرات واعدنا بحثها من جديد . وغني عن البيان ان المسألة هنا ، لا اقول انها حربية لأن هذه الكلمة تستتبع تأويلا آخر ، ولكنها على كل حال مسألة مباراة . ففي المعسكر البرجوازي ، تيار قوي للغاية واقوى بكثير من التيارات الاخرى ، تيار يميل نحو احباط مؤتمر جنوه . وهناك تيارات تريد مهما كلف الامر ان تذود عن هذا المؤتمر ، وتتوصل الى انعقاده . وهذه التيارات الاخيرة هي التي احرزت الغلبة الآن . وهناك اخيراً في معسكر جميع البلدان البرجوازية تيار يمكن وصفه بالتيار المسالم وينبغي تصنيف الاممية الثانية والاممية الثانية والنصف على السواء فيه . هذا هو معسكر البرجوازية الذي يحاول ان يذود عن جملة من المقترحات المسالمة ويرسم شيئاً ما يشبه السياسة المسالمة . ونحن ، الشيوعيين ، عندنا نظرات معينة بصدد هذه المسالمة لا طائل اطلاقاً من عرضها هنا . ومفهوم اننا نمضي الى جنوه لا كشيوعيين بل كتجار . نحن بحاجة الى المتاجرة وهم ايضاً بحاجة الى المتاجرة . نحن نود لونتاجر في صالحنا ، وهم يودون لو يتاجروا في صالحهم . اما كيف سيتطور الصراع ، فهذا ما سيتوقف ، وان بدرجة غير كبيرة ، على فن ديبلوماسيينا .

مفهوم اننا اذ نمضي الى جنوه كتجار ، لن نكون لامبالين في مسألة ما اذا كنا سنواجه ممثلي المعسكر البرجوازي الذين يميلون الى حل المسألة حلا حربياً ام ممثلي المعسكر البرجوازي الذين

يميلون الى المسالمة وان باسوأ مظاهرها ، الى المسالمة التي لا تصمد من وجهة النظر الشيوعية حتى لأي ظل من نقد . ويكون رديئاً ذلك التاجر الذي لا يستطيع فهم هذا الفرق ، ولا تكييف خطته لهذا الغرض لكي يبلغ اهدافاً عملية .

نحن نمضي الى جنوه بهدف عملي هو توسيع التجارة وانشاء شروط وظروف تتوسع فيها التجارة الى اقصى حد وتتطور باكبر النجاح . ولكننا لا نكفل ابداً لمؤتمر جنوه النجاح . فمن المضحك ومن الحماقة كفالة النجاح هنا . يجب عليّ ان اقول انه مع تقدير الامكانيات التى يوفرها مؤتمر جنوه الآن التقدير الاكثر واقعية واحتراساً ، لن يكون مع ذلك ، برأيي ، من المبالغ فيه القول اننا سنبلغ هدفنا هذا .

إما عن طريق جنوه ، اذا كان محادثونا هناك على قدر كاف من الذكاء ولم يكونوا مفرطين في العناد ، واما دون جنوه ، اذا طاب لهم العناد . ولكننا سنبلغ هدفنا !

ذلك ان مصالح جميع الدول الرأسمالية ، مصالحها الاكثر الحاحاً وحيوية وعملية ، التي تبدت بحدة في السنوات الاخيرة ، تقتضي تطوير التجارة مع روسيا وتنظيمها وتوسيعها . وما دام هذا النوع من المصالح قائماً ، فمن الممكن الجدال ، من الممكن الشجار ، من الممكن الافتراق بصدد مختلف الحلول المعروضة – بل انه من شديد الاحتمال ان يؤول الامر الى الافتراق – ومع ذلك ، ستشق هذه الضرورة الاقتصادية الاساسية لنفسها بنفسها الطريق في آخر المطاف . واني اعتقد اننا نستطيع ان نكون على اطمئنان في هذا الصدد . انا لا اكفل الموعد ولا اضمن التوفيق ، ولكنه يمكن في هذا الاجتماع بالذات القول بثقة كافية ان تطور العلاقات التجارية المنتظمة بين الجمهورية السوفييتية وكل العالم الرأسمالي الباقي سيسير الى ابعد حتماً اما ما هي الانقطاعات

المحتملة في هذه الحال ، فاني سأنوه بهذا في تقريري في محله ، ولكني اعتقد بانه من الممكن الاكتفاء بهذا فيما يخص مسألة جنوه .

وغني عن البيان ان الرفاق الذين يرغبون في الاطلاع على المسألة بمزيد من التفاصيل ولا يكتفون بلائحة اعضاء الوفد التي نشرتها الجرائد ، يستطيعون ان يختاروا لجنة او شعبة ويطلعوا على جميع مواد اللجنة المركزية ، على المراسلات ، على التوجيهات . وبديهي اننا رسمنا التفاصيل بصورة تقريبية ، موقتة ، لانه غير معروف بدقة حتى الآن من ذا الذي سيجلس الى الطاولة في جنوه هذه وما هي الشروط او الشروط المسبقة او التحفظات التي ستقدم . ومن غير الصائب جداً تحليلها جميعها هنا ، بل انه من المستحيل عملياً ، برأيي ، القيام بذلك . واكرر انه في مستطاع المؤتمر تماماً ، بواسطة الشعبة او اللجنة ، ان يجمع جميع الوثائق المتعلقة بهذه المسألة ، سواء المنشورة منها او الموجودة في حوزة اللجنة المركزية .

اني اكتفي بما قلت ، لأني واثق بان اكبر مصاعبنا لا تكمن في هذه المسألة . وليس هذا ما يجب على الحزب كله ان يصوب نحوه انتباهه الرئيسي . ان الصحافة البرجوازية الاوروبية تضخم وتستعظم ، بصورة مصطنعة وقصداً وعمداً ، اهمية هذا المؤتمر وتخدع الجماهير الكادحة (كما تفعل دائماً تسعة اعشار الصحافة البرجوازية بأسرها في جميع هذه البلدان والجمهوريات الديموقراطية الحرة) . ولقد وقعنا بعض الشيء في شباك هذه الصحافة . فان جرائدنا ، كما هو الحال دائماً ، لا تزال تقع في شباك العادات البرجوازية القديمة ، ولا تريد ان تنتقل الى السبل الاشتراكية الجديدة ، وقد اثرنا من الضجة اكثر مما يستحق الموضوع . ومن حيث جوهر الامر ، لا تنطوي جنوه على مصاعب

كبيرة بالنسبة للشيوعيين ، ولا سيما بالنسبة للشيوعيين الذين عاشوا سنوات خطيرة كالتي عشناها ، ابتداء من سنة ١٩١٧ ، والذين رأوا ملابسات سياسية جدية كالتي رأيناها منذ ذلك الحين . وانا لا اذكر انه نشبت اي خلافات او مجادلات بصدد هذه المسألة ، لا في قوام اللجنة المركزية وحسب ، بل ايضاً في قوام حزبنا . وهذا طبيعي لأنه لا يوجد هنا اي شيء يثير الجدل من وجهة نظر الشيوعيين ، حتى ولو اخذنا بالحسبان مختلف التلاوين فيما بينهم . نحن نمضي الى جنوه ، واكرر قولي ، كتجار لكي نتوصل الى افيد الاشكال من اجل تنمية التجارة التي بدأت والتي تسير امورها والتي ستتطور بلا مرد حتى وان افلح احد ما وقطع مجراها بالعنف لهذه الفترة من الزمن او تلك .

ولهذا اكتفي بهذه الايضاحات الموجزة عن جنوه ، وانتقل الى المسائل التي هي ، برأيي ، المسائل الرئيسية في حقل السياسة في السنة المنصرمة والمسائل الرئيسية في حقل السياسة في السنة القادمة . وانا ارى (او هذه هي عادتي ، على الاقل) انه يجب علينا ان نتناول في تقرير اللجنة المركزية السياسي ، لا مجرد ما حدث في السنة موضوع التقرير ، بل الدروس السياسية الاساسية ، الجذرية ، لكي نحدد سياستنا للسنة التالية بصورة صحيحة ، لكي نتعلم شيئاً في سنة .

ان المسألة الرئيسية هي ، بالطبع ، السياسة الاقتصادية الجديدة (النيب) . وقد انقضت كل هذه السنة التي يشملها التقرير في ظل السياسة الاقتصادية الجديدة . واذا كان صحيحاً اننا سجلنا في هذه السنة انتصاراً هاماً ، جدياً ، راسخاً لا يمكن انتزاعه منا (وانا ، من جهتي ، لست شديد الثقة من ذلك حتى الآن) ، فليس هو إلا الانتصار التالي : لقد تعلمنا بعض الشيء من بداية السياسة الاقتصادية الجديدة . وحتى اذا كنا تعلمنا القليل ، فاننا بالفعل قد

تعلمنا كثيراً جداً خلال هذه السنة في ميدان السياسة الاقتصادية الجديدة . اما فيما يتعلق بالتثبت مما اذا كنا قد تعلمنا فعلا ، والى اي حد ، فان هذا سيجري ، على الارجح ، بواسطة الاحداث المقبلة التي لا تتوقف الا قليلا جداً على ارادتنا ، كالازمة المالية الوشيكة ، مثلا . ويبدو لي ان الامر الرئيسي الذي يجب أخذه بالحسبان فيما يتعلق بسياستنا الاقتصادية الجديدة ، والذي يجب أخذه اساساً لجميع المحاكمات ولحسبان الحساب لتجربة السنة ولاستخلاص الدروس العملية للسنة الجارية ، – انما يتألف من النقاط الثلاث التالية .

اولاً ، ان ما يهمنا بالدرجة الاولى من السياسة الاقتصادية الجديدة هو انها تتيح لنا التثبّت ممّا اذا كنا نحقق فعلاً الاتصال بالاقتصاد الفلاحي . ففي المرحلة السابقة من تطور ثورتنا ، حين كانت مهمة صد الغزو تجتذب اليها بوجه خاص كل الانتباه وكل القوى أو تستهلكها كلها تقريباً ، لم يكن بوسعنا ان نهتم جدّياً بهذا الاتصال ، فقد كانت هناك مهمات اخرى يترتب علينا القيام بها . كان من الجائز والضروري الى حدّ ما ان نهمل هذا الاتصال اذ كانت ثمة مهمة اخرى ، مَلحّة اطلاقاً ، تقع علينا مباشرة ، واعني بها : صد خطر خنقنا فوراً من جانب القوى الهائلة للامبريالية العالمية .

ان الانعطاف نحو السياسة الاقتصادية الجديدة قد قرّره المؤتمر السابق باجماع استثنائي ، وحتى باجماع اكبر من اي اجماع تقرّرت به المسائل الاخرى في حزبنا (الذي يمتاز بوجه عام باجماعه الكبير ، وذلك امر ينبغي الاقرار به) . وقد بيّن هذا الاجماع انه غدا من الضروري اطلاقاً انتهاج طريقة جديدة في الاقتصاد الاشتراكي . فان اناساً كانت تتشعب آراؤهم حول العديد من المسائل ، وكانوا يحكمون على الوضع من وجهات نظر مختلفة ، قد توصلوا ، دون

اي تردّد ، وبالاجماع ، وبسرعة بالغة ، الى الاستنتاج التالي ، وهو انه ليس لدينا طريقة صحيحة فيما يتعلق بالاقتصاد الاشتراكي وببناء أسس هذا الاقتصاد ، وان الوسيلة الوحيدة للتوصل الى الطريقة القويمة ، انما هي السياسة الاقتصادية الجديدة . ولقد ترتب علينا من جرّاء تطور الاحداث الحربية والاحداث السياسية ، ومن جرّاء تطور الرأسمالية في الغرب القديم المتمدن ، ومن جرّاء تطور الاوضاع الاجتماعية والسياسية في المستعمرات ، — ترتب علينا ان نكون اول من يفتح ثغرة في العالم البرجوازي القديم ، وذلك في فترة كانت فيها بلادنا بلداً من اكثر البلدان تأخراً من الناحية الاقتصادية ، ان لم تكن اكثرها تأخراً . ان الاكثرية الكبرى من الاستثمارات الفلاحية في بلادنا هي استثمارات فردية صغيرة . ان تنفيذ تلك النقاط من برنامجنا لبناء المجتمع الشيوعي التي كان بوسعنا تحقيقها فوراً ، قد جرى ، الى حدّ ما ، على هامش ما كان يجري في صفوف جماهير الفلاحين الواسعة الغفيرة ، التي كنا نحمّلها اعباء ثقيلة جداً ، مبرّرين ذلك بحجة ان الحرب لا تسمح باي تردد في هذا الصدد . هذه الحجة ، من حيث مجملها ، قد قبل بها الفلاحون ، رغم الاخطاء التي لم يكن بوسعنا اجتنابها . فقد رأت جماهير الفلاحين ، بمجملها ، وادركت ان الاعباء الباهظة التي فرضت عليها ، كانت ضرورية لصيانة حكم العمال والفلاحين من الملاكين العقاريين ، ولكي لا يخنقنا الغزو الرأسمالي الذي كان يهدّد بانتزاع جميع مكتسبات الثورة . غير انه لم يكن هناك اي اتصال بين الاقتصاد الذي كنا نبنيه في المصانع والمعامل والسوفخوزات المؤممة ، المعممة ، من جهة ، وبين الاقتصاد الفلاحي ، من جهة اخرى .

وقد ادركنا ذلك بوضوح في المؤتمر السابق الذي عقده حزبنا (١٤٦) . لقد ادركنا ذلك بوضوح الى حدّ انه لم يكن ثمة

اي تردد في الحزب حول حتمية السياسة الاقتصاديـــة الجديدة (النيب) .

ومن الطريف ان نلاحظ كيف يقدرون قرارنا هذا في صحافـــة شتى الاحزاب الروسية في الخارج ، وهي صحافة وافرة الى ما لا حدّ له . فان تقديرات هذه الصحافة يختلف بعضها عن بعض اختلافاً تافهاً للغاية : ان هؤلاء الناس ، الذين يعيشون على بقايا الماضي ، ما يزالون يزعمون اليوم ان الشيوعيين اليساريين (١٤٧) يعارضون حتى الآن السياسة الاقتصادية الجديدة . انهم يتذكرون في عام ١٩٢١ الاحداث التي جرت عام ١٩١٨ والتي نسيها عندنـــا الشيوعيون اليساريون انفسهم ، فيجترّون ويجترّون هذه الاحداث حتى الآن زاعمين ان هؤلاء البلاشفـــة هم ، كما هو معلوم ، اناس غدارون وكذابون ، وانهم يخفون عن اوروبا الخلافات القائمة فيما بينهـــم بالذات حول هذه النقطة . عندمـــا تقرأ هذه الترّهات ، تقول في نفسك : لندعهم في غمرة الضلال . فاذا كانت تلك هي الافكار التي يكوّنونها عمّا يجري عندنا ، فانها تتيح لنا ان نحكم على درجة الوعي لدى هؤلاء الاشخاص المتقدمين في السن ، والذين يزعمون انهم على درجة عالية من الثقافة ، والذين نزحوا اليوم الى الخارج . نحن نعلم انه لم يحدث بيننا اي خلاف ، وذلك لأن الجميع كانوا يدركون بداهة ان من الضروري عملياً انتهاج طريقة جديدة في بناء أسس الاقتصاد الاشتراكي .

لم يكن هناك اي اتصال بين الاقتصاد الفلاحي والاقتصاد الجديد الذي سعينا جهدنا لانشائه . فهل هذا الاتصال موجود اليوم ؟ انه ما يزال غير موجود . نحن نقترب منه فقط . ان كل اهمية السياسة الاقتصادية الجديدة ، الاهمية التي ما تزال صحافتنا كثيراً ما تفتش عنها في كل مكان عدا المكان الموجودة فيه ، ان كل اهمية هذه السياسة ، انما تنحصر فيما يلي وفيما يلي فقط ، وهو اقامة اتصال بين الاقتصاد

الفلاحي والاقتصاد الجديد الذي نبنيه بجهد بالغ . وتلك هي مأثرتنا . وبدون ذلك ، لا نكون شيوعيين ثوريين .

لقد شرعنا ببناء الاقتصاد الجديد ، مستخدمين اساليب جديدة تماماً ، وغير آخذين اي شيء من الماضي . ولو لم نبدأ ببناء الاقتصاد الجديد ، لكنا مُنِينا بالهزيمة منذ الاشهر الاولى ، منذ السنين الاولى ، لكنا مُنِينا بالهزيمة التامة . ولكن ذلك لا يعني اننا ، اذا كنا قد باشرنا تنفيذ هذه المهمة بمثل هذه الجرأة المطلقة ، سنصر على مواصلة العمل بالنحو نفسه . فما الذي يثبت ذلك ؟ لا شيء يثبت ذلك .

لقد قلنا منذ البدء انه يترتب علينا القيام بعمل جديد تماماً ، لا سابق له ، وان مهمتنا ستكون صعبة الى حد لا يصدّق واننا سنرتكب بلا ريب جملة من الاخطاء اذا لم يهبّ الرفاق العمال في البلدان التي هي اكثر تقدماً من الناحية الرأسمالية الى مساعدتنا بسرعة . ان الامر الجوهري هو ان نعرف كيف نرى بصفاء ذهن اين اقترفت هذه الاخطاء وان نعيد بناء كل شيء من جديد . واذا حدث لنا ، لا مرتين بل مراراً عديدة ، ان نعيد بناء كل شيء من جديد ، فسيكون ذلك الدليل على اننا ننظر بكل صفاء ذهن وبدون اوهام الى مهمتنا ، التي هي اعظم مهمة قام بها الناس يوماً في العالم .

ان الامر الجوهري اليوم في السياسة الاقتصادية الجديدة هو ان نستوعب بصورة صحيحة تجربة السنة المنصرمة . ينبغي ان نفعل ذلك ، ونحن نريد ان نفعل ذلك . والحال ، اذا كنا نريد بلوغ ذلك مهما كلف الامر (والحال ، اننا نريد ذلك وسنبلغ ذلك !) ، فينبغي لنا ألا ننسى ان مهمة السياسة الاقتصادية الجديدة ، المهمة الاساسية ، الحاسمة ، التي تخضع لها جميع المهمات الاخرى – انما هي اقامة اتصال بين الاقتصاد الجديد الذي بدأنا ببنائه (بصورة سيئة جداً ، وخرقاء ولكننا بدأنا مع ذلك ببنائه على أساس اقتصاد

جديد تماماً ، على أساس اقتصاد اشتراكي ، وانتاج جديد وتوزيع جديد) ، من جهة ، وبين الاقتصاد الفلاحي الذي يعيش منه الملايين والملايين من الفلاحين ، من جهة اخرى .

هذا الاتصال كان معدوماً ، وينبغي لنا ، قبل كل شيء ، ان نخلقه . ينبغي اخضاع كل شيء لهذه المهمة . وينبغي لنا ايضاً ان نستوضح الى اي حدّ نجحت السياسة الاقتصادية الجديدة في خلق هذا الاتصال دون ان تهدم ما بدأنا بتشييده بصورة خرقاء .

اننا نبني اقتصادنا مع جماهير الفلاحين . ويترتب علينا اعادة بنائه مراراً عديدة لكي نتوصل الى اقامة اتصال بين عملنا الاشتراكي في ميدان الصناعة الضخمة والزراعة ، وبين العمل الذي يقوم به كل فلاح ، العمل الذي ينفذه كما يستطيع ، وهو يناضل ضد البؤس كما يعرف دون ان يلجأ الى الحذلقة (وكيف يمكنه اللجوء الى الحذلقة حين يتعيّن عليه الخلاص من ورطة يقـــع فيها ، والخلاص من الخطر المباشر ، خطر الموت في عذاب الجوع ؟) .

ينبغي ان نبيّن هذا الاتصال لكي نراه بوضوح ، لكي يراه الشعب بأسره ، ولكي يرى كل جمهور الفلاحين ان هناك صلة بين حياتهم الشاقّة اليوم ، الحياة المشوشة الى حدّ لا يُصدّق ، الحياة البائسة ، المؤلمة ، الى حدّ لا يصدّق ، وبين العمل الذي يجري في سبيل المثل العليا الاشتراكية البعيدة . ينبغي لنا ان نعمل بصورة يدرك معها الشغيل البسيط ، الشغيل العادي ، ان وضعه قد تحسن الى حد ما ، وانه حصل على هذا التحسن بطريقة غير التي كان يحصل بها عدد قليل من الفلاحين على هذا التحسن ، في ظل سلطة الملاكين العقاريين وفي ظل الرأسمالية ، حين كان كل تحسن (اذ انه حصلت تحسّنات لا جدال حولها ، واحياناً كبيرة جداً) يقترن بتسليط الاذلال والتهكم والاهانة على الفلاح واستعمال اساليب العنف ضد الجمهور ، وتلك أمور لم ينسها اي فلاح روسي ولن ينساها خلال عشرات

السنين . ان هدفنا هو ان نعيد الاتصال ، هو ان نثبت للفلاح بأعمالنا اننا بدأنا بما هو مفهوم لديه ، بما هو مألوف لديه وبمتناوله اليوم ، رغم كل بؤسه ، واننا لم نبدأ بشيء ما بعيد ، خيالي من وجهة نظر الفلاح . ان هدفنا هو ان نثبت اننا نعرف كيف نساعد الفلاح ، وان الشيوعيين يقدّمون في هذه الاوضاع المضنية مساعدة فعلية للفلاح الصغير الذي اصابه الخراب ، ومزّقه الجوع ، والذي يتخبط في لجّة البؤس . فامّا ان نثبت ذلك ، وامّا ان يطردنا الفلاح الى جهنم ، ذلك امر لا مناص منه .

تلك هي اهمية السياسة الاقتصادية الجديدة ، ذلك هو أساس كل سياستنا . ذلك هو درسنا الاساسي من تطبيق السياسة الاقتصادية الجديدة خلال السنة المنصرمة ، تلك هي ، اذا جاز القول ، قاعدتنا السياسية الرئيسية للسنة الجارية . لقد محضنا الفلاح ثقته على سبيل الدَيْن ، وهو ، بالطبع ، لا يستطيع ألاّ يمحضنا ثقته ، بعد كل ما مرّ به . ان الفلاحين ، بسوادهم ، يقولون ضمناً : «اذا كنتم لا تعرفون كيف تتصرفون ، فننتظر ؛ فقد تتعلمون في نهاية الامر» . بيد انه لا يمكن لمعين هذه الثقة ألا ينضب .

ينبغي لنا ان نعرف هذا ، وينبغي لنا ان نعجّل ، إذ اننا قد أُوليْنا الثقة . ينبغي لنا ان نعرف ان الوقت يقترب ، الوقت الذي ستكف فيه بلادنا الفلاحية عن محضنا الثقة ، الوقت الذي ستطالبنا فيه ، حسب التعبير التجاري ، بان ندفع لها نقداً وعداً . «وفي نهاية الامر ، بعد مهلة طالت العديد من الاشهر والعديد من السنين ، اكتسبتم اليوم ، ايها الحكام الاعزاء ، آمن الوسائل واشدّها فعالية لمساعدتنا على التخلص من العوز والبؤس والجوع والخراب . انكم تعرفون كيف تتصرّفون ، وقد اثبتم ذلك» . ذلك هو الامتحان الذي يزحف علينا زحفاً ، وهذا الامتحان هو الذي سيبتّ في كل شيء في آخر تحليل : في مصير السياسة الاقتصادية الجديدة ، وفي مصير الحكم الشيوعي في روسيا .

فهل نتمكن من انجاز مهمتنـــا المباشرة ، نعم ام لا ؟ وهذه السياسة الاقتصادية الجديدة ، أتراها ستأتي بفائدة ام لا ؟ اذا كان التراجع صحيحاً ، فلنتراجع ، بالاتصال مع جمهور الفلاحين . وفيما بعد ، لنتقدم مع جمهور الفلاحين ، بصورة ابطأ مائة مرة ، ولكن بخطوات ثابتة ، لا مردّ لها ، لكي يرى جمهور الفلاحين دائماً اننا نتقدم رغم كل شيء . حينذاك سيستحيل اطلاقاً قهر قضيتنا ، ولن تتمكن اية قوة في العالم من التغلب علينا . غير اننا حتى الآن ، بعد السنة الاولى ، لمّا نبلغ هذا الهدف . ينبغي ان نقول ذلك بصراحة . واني لعلى عميق الاقتناع (وسياستنا الاقتصادية الجديدة تتيح لنا استخلاص هذا الاستنتاج الواضح الثابت تماماً) باننا سنتمكن من تحقيق هذه المهمة اذا ما ادركنا الخطر البالغ الذي تنطوي عليـــه السياسة الاقتصادية الجديدة ، واذا ما وجّهنا كل قوانا نحو النقاط الضعيفة .

ينبغي لنا ان نتصل بجماهير الفلاحين ، بالفلاحين الشغيلـــة البسطاء ، وان نشرع في التقدم بسرعة اقل بكثير ، بصورة ابطأ بكثير مما كنا نحلم به ، ولكن بصورة تتقدم بها معنا ، فعلا ، الجماهير بكليتها . وحينذاك يأتي وقت تتسارع فيه هذه الحركة بصورة لا نستطيع حتى ان نحلـــم بها اليوم . ذلك ، برأيي ، هو الدرس السياسي الاساسي الاول الذي يستخلص من السياسة الاقتصادية الجديدة .

والدرس الثاني ، وهو أخص ، انما هو امتحان مؤسسات الدولة والمؤسسات الرأسمالية عن طريق المباراة . فعندنا تؤلّف الآن شركات مختلطة ، — سأتحدث عنها قليلا فيما بعد ، — هي ، شأنها شأن كل تجارتنا الحكومية وكل سياستنا الاقتصادية الجديدة (النيب) ، تطبيق من جانبنا ، نحن الشيوعيين ، للطرائق التجارية ، للطرائق الرأسمالية . وهي تتسم كذلك باهمية مفادها انه تقوم

فيها مباراة عملية بين الاساليب الرأسمالية وأساليبنا . قارنوا عملياً . نحن حتى الآن كتبنا برنامجاً ووعدنا . وكان ذلك في حينه ضرورياً اطلاقاً . فبدون برنامج ووعود ، يستحيل الشروع بثورة عالمية . واذا كان رجال الحرس الابيض ، بمن فيهم المناشفة ، يشتموننا بسبب من ذلك ، فان هذا يبين فقط ان المناشفة واشتراكيي الاممية الثانية والاممية الثانية والنصف ليست لهم اي فكرة عن كيفية تطور الثورة على العموم . وما كان باستطاعتنا ان نبدأ عن غير هذا السبيل .

ولكن الوضع الآن بلغ حداً بحيث يجب علينا ان نبسط على عملنا تثبتاً جدياً لا يشبه ذلك التثبت الذي يجري بواسطة مؤسسات الرقابة ، اي تلك التي ينشئها الشيوعيون انفسهم ، وإن كانت مؤسسات الرقابة هذه رائعة وإن كانت سواء في نظام المؤسسات السوفييتية ام في نظام المؤسسات الحزبية وإن كانت مؤسسات رقابية مثالية تقريباً . فان تثبتاً كهذا سخر من حيث حاجة الاقتصاد الفلاحي الفعلية ، ولكنه ليس ابداً بسخر من حيث البناء الذي نقوم به . نحن الآن ننشئ مؤسسات الرقابة هذه ، بيد انني لا اقصد الآن هذا التثبت ، بل اقصد ذلك التثبت الذي هو امتحان من وجهة نظر الاقتصاد العام .

كان الرأسمالي يعرف كيف يزوّد . كان يفعل ذلك سيئاً ، كان يفعله بالنهب والسلب ، كان يهيننا ، وكان ينهبنا . وهذا ما يعرفه العمال والفلاحون البسطاء الذين لا يحاكمون بصدد الشيوعية لأنهم لا يعرفون ما هو هذا الشيء .

«ولكن الرأسماليين كانوا يعرفون مع ذلك كيف يزوّدون ، وانتم هل تعرفون ؟ انتم لا تعرفون» . هذه هي الاصوات التي سمعت في ربيع السنة الماضية ، — وليس دائماً بوضوح ، — والتي شكلت السبب الاولي لكل الازمة التي نشبت في ربيع السنة الماضية . «انتم

اناس ممتازون ، ولكن تلك المهمة ، المهمة الاقتصاديـــة ، التي تعهدتم بها ، لا تعرفون كيف تنفذونها» . هذا هو النقد الابسط والاشد فتكاً الذي وجهه الفلاحون في السنة الماضية ، وبواسطة الفلاحين جملة كاملة من فئات العمال ، ضد الحزب الشيوعي . ولهذا السبب يكتسب هذا البند القديم ، فيما يخص السياسة الاقتصادية الجديدة ، مثل هذه الاهمية .

ينبغي امتحان حقيقي . فالى جانبنا ، يعمل الرأسمالي ، يعمل عن طريق النهب والسلب ، ويبتز الارباح ، ولكنه يعرف ويستطيع . اما انتم فتجربون بطريقة جديدة : لا ارباح عندكم ، المبادئ شيوعية ، المثل العليا جيدة ، — وانتم مرسومون كأنكم قديسون يصعدون احياء الى الفردوس ، — ولكن هل تعرفون كيف تعملون ؟ ينبغي امتحان ، امتحان حقيقي ، امتحان لا تحقق بموجبه لجنة الرقابة المركزية وتقرر لوماً وتفرض بموجبه اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا عقوبة ، — كلا ، انما ينبغي امتحان حقيقي ، من وجهة نظر الاقتصاد الوطني .

لقد أعطي الشيوعيون شتى التأجيلات ، وأعطي من التسليفات ما لم تنله اي حكومـــة اخرى . صحيح ان الشيوعيين ساعدوا على التخلص من الرأسماليين ومن الملاكين العقاريين ، والفلاحون يقدّرون هذا ، وقد اعطوا تأجيلات من باب التسليف ، ولكن كلها الى أجل معين . ثم جاء الامتحان : هل تعرفون كيف تديرون الاقتصاد بطريقة ليست اسوأ من طريقة الآخرين ؟ الرأسمالي القديم يعرف ، اما انتم فلا تعرفون .

هذا هو الدرس الاول ، القسم الرئيسي الاول من تقرير اللجنة المركزية السياسي . نحن لا نعرف كيف ندير الاقتصاد . وهذا ما أعطي البرهان عنه في سنة . واني لأرغب شديد الرغبة في ان اورد

مثال بضعة غوستروستات * (اذا تكلمنا بهذه اللغة الروسية الممتازة التي طالما اطنب تورغينيف في اطرائها) وابيّن كيف نعرف ادارة الاقتصاد .

الا اني ، مع الأسف ، لم استطع ان احضر هذا القسم من التقرير ، لجملة من الاسباب ، والى حد كبير بسبب من المرض ، فلا يبقى لي غير ان اكتفي بالاعراب عن اقتناعي المرتكز على مراقبة ما يجري . في هذه السنة ، أثبتنا بكامل الوضوح اننا لا نعرف كيف ندير الاقتصاد . وهذا درس اساسي . فإمّا ان نثبت العكس ، في السنة التالية ، واما لن تستطيع السلطة السوفييتية وجوداً . وليس الجميع يدركون هذا ، وهنا الخطر الاكبر . فاذا ادرك جميع الشيوعيين ، العاملين المسؤولين ، ادراكاً واضحاً : نحن لا نعرف ، فهيّا نتعلم من البداية ، لكسبنا القضية ، — ولكان هذا ، برأيي ، الاستنتاج الاساسي ، الجذري . ولكنهم لا يدركون هذا ، وهم واثقون بانه اذا كان ثمة من يفكر هكذا ، فهو شعب غير متطور ، لم يتعلم ، حسب قولهم ، الشيوعية ، — ولربما سيفهم ويتعلم . كلا ، عفواً ، فليست المسألة في كون الفلاح والعامل اللاحزبي لم يتعلما الشيوعية ، بل المسألة في انها انصرمت تلك الازمان التي كان ينبغي فيها وضع البرنامج ودعوة الشعب الى تنفيذ هذا البرنامج العظيم . لقد ولت هذه الازمنة ، والآن ينبغي تقديم البرهان على انكم تعرفون في الوضع الصعب الراهن كيف تساعدون عملياً اقتصاد العامل والفلاح لكي يريا انكم صمدتم في المباراة .

ان الشركات المختلطة التي شرعنا في تأليفها والتي يشترك فيها على السواء الرأسماليون الخصوصيون من روس واجانب ،

---

* غوستروست — كلمة مركبة تعني تروست الدولة ، التروست الحكومي . **المعرب** .

والشيوعيون ، ان هذه الشركات هي شكل من الاشكال التي يمكننا بها ان نقيم المباراة على نحو صحيح ، ونبين بها اننا نعرف ، ونتعلم بها ، كيف نقيم الصلة مع الاقتصاد الفلاحي بطريقة ليست اسوأ من طريقة الرأسماليين ، ونبين اننا نستطيع تلبية حاجاته ، ونستطيع ان نساعد الفلاح على السير الى امام بحالته الراهنة ، ورغم كل جهله ، لأنه يستحيل تغييره في مدة وجيزة .

هذه هي المباراة التي تواجهنا كمهمة مطلقة لا تقبل تأجيلا . هنا عقدة السياسة الاقتصادية الجديدة ، وكذلك ، حسب اقتناعي ، كل جوهر سياسة الحزب . ونحن نواجه من المسائل والمصاعب السياسية الصرف قدر ما تريدون . وانتم تعرفونها : جنوه ، وخطر التدخل المسلح . المصاعب كبيرة ، ولكنها ضئيلة جميعها بالقياس الى هذه الصعوبة . لقد رأينا هناك كيف يتحقق هذا ، هناك تعلمنا الكثير ، واختبرنا الديبلوماسية البرجوازية . وهذا شيء علّمنا اياه المناشفة طيلة ١٥ سنة وتعلمنا منه ما ينفع . وليس هذا جديداً .

ولكن اليكم شيئاً يترتب علينا تحقيقه في ميدان الاقتصاد : ينبغي لنا الآن ان نصمد في المباراة ضد العميل التجاري العادي ، ضد الرأسمالي العادي ، ضد التاجر الذي سيمضي الى الفلاح ولن يجادل بصدد الشيوعية — تصوروا : لن يجادل بصدد الشيوعية ، — بل سيجادل على النحو التالي : اذا كان ينبغي الحصول ، والمتاجرة بصورة صحيحة ، ومعرفة البناء ، فاني سأبني غالياً ، ولكن الشيوعيين سيبنون ، حسب كل احتمال ، بنحو اغلى ان لم يكن بنحو أغلى بعشر مرات . هذا هو التحريض الذي يشكل الآن جوهر المسألة ، وهنا يكمن جذر الاقتصاد .

واكرر قولي اننا نلنا من الشعب تأجيلات وتسليفات بفضل سياستنا الصحيحة ، وهذه سفاتج ، — اذا تكلمنا بلغة السياسة الاقتصادية الجديدة ، — ولكن المواعيد غير مسجلة على هذه

السفاتج ، ولن تعرف ، بالرجوع الى نصوصها ، متى ستقدم للدفع . هنا يكمن الخطر ، هنا تقوم الخاصة التي تميز هذه السفاتج السياسية عن السفاتج التجارية العادية . والى هذا يجب ان نوجه كل انتباهنا ، ويجب ألا نخلد الى راحة البال لأنه يوجد شيوعيون مسؤولون وخيرة الشيوعيين في كل مكان في تروستات الدولة والشركات المختلطة – ولا فائدة من هذا ، لأنهم لا يعرفون كيف يديرون الاقتصاد وهم بهذا المعنى اسوأ من العميل التجاري الرأسمالي العادي الذي مر بمدرسة المصنع الكبير والشركة الكبيرة . ونحن لا ندرك هذا ، فهنا بقيت الغطرسة الشيوعية ، «الكومتشفانستفو» * ، اذا تكلمنا باللغة الروسية العظيمة . والمسألة ان الشيوعي المسؤول – وان كان الافضل ، وكان معروفاً باستقامته واخلاصه ، وتحمل الاشغال الشاقة ولم يخش الموت ، – لا يعرف كيف يمارس التجارة ، لأنه ليس رجل اعمال ، ولم يتعلم هذا ولا يريد ان يتعلمه ولا يفهم انه يجب ان يتعلم ابتداء من الالفباء . وهو ، الشيوعي ، الثوري ، الذي قام باعظم ثورة في العالم ، وهو الذي ينظر اليه ان لم يكن اربعون هرماً ، فاربعون بلداً اوروبياً ، بأمل الخلاص من الرأسمالية ، – انما يجب عليه ان يتعلم من العميل التجاري البسيط الذي ركض الى المخزن طيلة عشر سنوات ، والذي يعرف هذا العمل ، وهو ، الشيوعي المسؤول والثوري المخلص ، لا يعرف هذا ، بل انه لا يعرف انه لا يعرف هذا .

وهكذا ، ايها الرفاق ، اذا اصلحنا هذه اللامعرفة الاولى على الاقل ، احرزنا انتصاراً هائلا جداً . وينبغي لنا ان نغادر هذا المؤتمر

---

* «الكومتشفانستفو» ، كلمة مركبة تعني الغطرسة الشيوعية . **المعرب .**

ونحن على اقتناع باننا لم نعرف هذا وباننا سنتعلم ابتداء من الألفباء. فنحن مع ذلك لمّا نكف عن ان نكون ثوريين (رغم ان كثيرين يقولون، وحتى بصورة ليست باطلة تماماً، باننا تشبعنا بالروح البيروقراطية) وفي وسعنا ان نفهم هذا الشيء البسيط وهو انه ينبغي معرفة البدء من البداية عدة مرات في قضية جديدة، خارقة الصعوبة: بدأت فعلقت في مأزق، فابدأ من جديد، وهكذا أعد عشر مرات، ولكن توصل الى ما تريد، ولا تتكبر، ولا تتبجح بانك شيوعي، في حين انه يوجد هناك عميل تجاري لاحزبي، ولربما رجل من الحرس الابيض، بل من الحرس الابيض اغلب الظن، يعرف كيف يقوم بالعمل الذي ينبغي القيام به في الميدان الاقتصادي بأي ثمن كان، بينما انت لا تعرف. واذا كنت شيوعياً مسؤولا، واذا كنت تملك مئات الرتب والالقاب، واذا كنت «بطلا» شيوعياً وسوفييتياً، فانك ستبلغ هدفك، اذا كنت تفهم هذا، لأنه يمكن تعلم هذا.

لقد احرزنا في هذه السنة نجاحات ما، وان طفيفة، ولكنها زهيدة لا يؤبه لها. والرئيسي انه لا يوجد ادراك واقتناع واسع الانتشار يشاطره جميع الشيوعيين بان هذه المعرفة اقل عندنا، عند الشيوعي الروسي المسؤول والفائق الاخلاص، مما عند اي عميل تجاري قديم. واكرر قولي: يجب بدء التعلم من البداية. فاذا ادركنا هذا، نجحنا آنذاك في الامتحان، وانه لجدي هذا الامتحان الذي ستجريه الازمة المالية المقتربة، الامتحان الذي ستجريه السوق الروسية والعالمية التي نحن خاضعون لها ومرتبطون بها والتي لا يمكن الانفصال عنها. ان هذا الامتحان جدي لانهم يستطيعون فيه ان يهزمونا اقتصادياً وسياسياً.

ان المسألة توضع على هذا النحو وعلى هذا النحو فقط، لأن المباراة في هذا المجال جدية ولأن هذه المباراة فاصلة. لقد كانت

شتى السبل والمخارج من مصاعبنا السياسية والاقتصادية كثيرة عندنا . وفي مقدورنا ان نتباهى باعتزاز باننا عرفنا حتى الآن كيف نستغل كل هذه السبل والمخارج بمختلف التنسيقات ، طبقاً لمختلف الاحوال ، ولكنه لم يبق لنا بعد الآن اي مخرج . واسمحوا لي ان اقول لكم هذا دون اي مبالغـــة : وهكذا ، بهذا المعنى ، نخوض «المعركة الاخيرة والفاصلة» * ، فعلا ، لا ضد الرأسماليـــة العالمية ، – فضدها ستدور ايضاً رحى كثرة من «المعارك الاخيرة والفاصلة» ، كلا – بل ضد الرأسمالية الروسية ، ضد الرأسمالية التي تنمو من الاقتصاد الفلاحي الصغير ، ضد الرأسمالية التي يدعمها هذا الاقتصاد . وهنا ستدور في المستقبل القريب رحى معركة يستحيل تحديد موعدها بدقة . هنا ستدور رحى «المعركة الاخيرة والفاصلة» ، هنا لن تبقى اي مجالات للتهرب ، لا سياسية ولا اي مجالات اخرى ، لأن هذا امتحان مباراة ضد الرأسمال الخاص . فاما ان ننجح في هذا الامتحان ضد الرأسمال الخاص ، واما ان نمنى بالاخفاق التام . ولأجل النجاح في هذا الامتحان ، نملك السلطـــة السياسية وكثرة من شتى الموارد الاقتصادية وغيرها من الموارد ، وكل ما تريدونه ، باستثناء المعرفة . فلا معرفة . وهكذا ، اذا استخلصنا هذا الدرس البسيط من تجربة السنة المنصرمة وجعلناه مرشداً لنا طيلة سنة ١٩٢٢ ، فاننا آنذاك سننذل هذه الصعوبة ايضاً ، رغم انها اكبر بكثير من الصعوبة السابقة ، لأنها تكمن في نفوسنا بالذات . وهي لا تشبه ما هو عليه عدو خارجي ما . فان هذه الصعوبة تتقوم في كوننا لا نريد ان ندرك تلك الحقيقة غير المستطابة ، المفروضة علينا ، ولا نريد ان نقع في ذلك الوضع غير

---

* «المعركة الاخيرة والفاصلة» ، كلمات من نشيد الاممية . **المعرب .**

المستطاب الذي ينبغي الوقوع فيه : إبدأ التعلم من البداية . وهذا هو الدرس الثاني الذي ينبع ، بنظري ، من السياسة الاقتصادية الجديدة .

اما الدرس الثالث ، الاضافي ، فهو يتعلق بمسألة رأسمالية الدولة . من المؤسف ان الرفيق بوخارين غير حاضر في المؤتمر ؛ فاني اود لو اتجادل معه بعض الشيء ، ولكنه من الافضل ان ارجئ الجدال الى المؤتمر التالي . ففي مسألة رأسمالية الدولة ، ارى ان صحافتنا على العموم وحزبنا على العموم يقترفان خطأ مفاده اننا نقع في ميوعة المثقفين الفكرية ، في الليبيرالية ، ونتيه في تأملات بيزنطية لفهم رأسمالية الدولة ، ونتصفح الكتب القديمة . ولكن ما كتب فيها لا يتعلق اطلاقاً بالمقصود ؛ فقد كتب فيها عن رأسمالية الدولة التي تقوم في ظل الرأسمالية ، ولكنه لا يوجد اي كتاب كتب فيه عن رأسمالية الدولة التي تقوم في ظل الشيوعية . بل ان ماركس نفسه لم يخطر بباله ان يكتب اي كلمة في هذا الصدد ، ومات دون ان يترك اي مرجع دقيق واي اشارات لا تدحض . ولهذا يتعين علينا الآن ان نخرج من الورطة بأنفسنا . واذا استعرضنا في الفكر بنظرة عامة واحدة ، ما تكتبه صحافتنا في مسألة رأسمالية الدولة ، كما حاولت ان افعل هذا عندما كنت أحضّر هذا التقرير ، اقتنعنا بانهم هناك يطلقون النار بصورة طائشة تماماً ، وينظرون الى جانب آخر تماماً .

ان رأسمالية الدولة ، حسبما يستفاد من كل الادب الاقتصادي ، انما هي تلك الرأسمالية التي تقوم في ظل النظام الرأسمالي عندما تخضع سلطة الدولة لنفسها مباشرة هذه المؤسسات الرأسمالية او تلك . اما عندنا فالدولة بروليتارية ، وعلى البروليتاريا تعتمد ، وللبروليتاريا تمنح جميع الافضليات السياسية ، وبواسطة البروليتاريا تجتذب اليها الفلاحين من القاعدة

(وانتم تذكرون اننا بدأنا هذا العمـــل من لجان الفلاحين الفقراء) (١٤٨) . ولهذا بالذات تحير رأسمالية الدولة وتربك عدداً كبيراً جداً جداً من الناس . ولكي لا يحدث هذا ، ينبغي ان نتذكر الامر الاساسي ، وهو ان رأسمالية الدولة ، بالصورة الموجودة بهـــا عندنا ، لا توضحها اي نظرية ولا يفسرها اي ادب وذلك لسبب بسيط ، هو ان جميع المفاهيم العادية المرتبطة بهاتين الكلمتين تتعلق بالسلطة البرجوازية في المجتمع الرأسمالي . اما عندنا ، فيقوم نظام اجتماعي خرج عن السبيل الرأسمالي ولمّا يلج سبيلا جديداً ، ولكن هذه الدولة لا تقودها البرجوازية ، بل البروليتاريا . ونحن لا نريد ان نفهم اننا عندما نقول «الدولة» ، انما نقصد ان الدولة هي نحن ، انها البروليتاريا ، انها طليعة الطبقة العاملة . ان رأسمالية الدولة انما هي تلك الرأسمالية التي سنستطيع الحدّ منها ، والتي سنستطيع رسم حدودها ؛ ان رأسمالية الدولة هذه مرتبطة بالدولة ، والدولة هي العمال ، هي القسم المتقدم من العمال ، هي الطليعة ، هي نحن .

ان رأسمالية الدولة ، انما هي تلك الرأسمالية التي يترتب علينا ان نضعها ضمن نطاق معين والتي لا نعرف حتى الآن كيف نضعها ضمن هذا النطاق . هنا المشكلة كلها . وعلينا نحن يتوقف الآن الشكل الذي ستتخذه رأسمالية الدولة هذه . فان السلطة السياسية عندنا كافية ، كافية تماماً ؛ والوسائل الاقتصادية الموجودة في حوزتنا كافية ايضاً ، ولكن ما لا يكفي هو معرفة طليعة الطبقة العاملة ، تلك الطليعة التي قُدّمت لكي تشرف على الشؤون مباشرة ، ولكي تحدد الحدود ، ولكي تحدد موقعها ، ولكي تخضـــع لنفسها لا ان تكون خاضعة . وهنا تنبغي المعرفة فقط ، ولكن المعرفة تنقصنا .

وضع لا سابق له ابداً في التاريخ : تملك البروليتاريا ، تملك الطليعة الثورية ما يكفي تماماً من السلطة السياسية ، والى جانب

هذا ، توجد رأسمالية الدولة . وعقدة المسألة ، ان نفهم ان هذه هي تلك الرأسمالية التي نستطيع ويجب علينا ان نسمح بها ، والتي نستطيع ويجب علينا ان نضعها ضمن نطاق معين ، لأن هذه الرأسمالية ضرورية لأجل جماهير الفلاحين الواسعة ولأجل الرأسمال الخاص الذي يجب ان يتاجر بشكل يلبي به حاجات الفلاحين . ومن الضروري ترتيب الامور بحيث يمكن للاقتصاد الرأسمالي والتداول الرأسمالي مواصلة سيرهما العادي ، لأن هذا ضروري للشعب ، ولأنه يستحيل العيش دون هذا . والباقي كله ليس ضرورياً ضرورة مطلقة لهم ، لهذا المعسكر ، وفي وسعهم ان يسلموا بالباقي كله . فاستطيعوا انتم الشيوعيين ، انتم العمال ، انتم القسم الواعي من البروليتاريا ، الذي اخذ على عاتقه تصريف شؤون الدولة ، إستطيعوا ان تفعلوا بحيث تعمل الدولة التي اخذتموها في ايديكم وفق مشيئتكم . وها قد عشنا سنة والدولة في ايدينا ، فهل فعلت وفق مشيئتنا خلال هذه السنة في حقل السياسة الاقتصادية الجديدة ؟ كلا . وهذا لا نريد ان نعترف به : انها لم تفعل وفق مشيئتنا . ولكن كيف فعلت ؟ السيارة تفلت من الايدي : فكأن رجلاً يجلس ويقودها ، ولكن السيارة لا تسير الى حيث يوجهونها ، بل الى حيث يوجهها شخص ما ، إما شيء غير شرعي ، إما شيء خارج القانون ، إما شيء الله يعرف من اين جاء ، إما مضاربون إما رأسماليون خاصون ، إما هؤلاء واولئك ، — ولكن السيارة لا تسير تماماً بالصورة التي يتصورها ذلك الذي يجلس الى مقودها ، بل كثيراً جداً ما تسير بصورة تختلف تماماً عما يتصوره . هذا هو الشيء الاساسي الذي يجب تذكره في مسألة رأسمالية الدولة . وفي هذا الميدان الاساسي يجب التعلم من البداية ، وعندما نمتلك ذلك وندركه تماماً ، عند ذلك فقط يغدو في مستطاعنا ان نؤكد اننا نتعلم هذا .

والآن انتقل الى مسألة وقف التراجع ، التي تحدثت عنهـــا في خطابي في مؤتمر المعدّنين . ومذ ذاك لم الق اي اعتراض ، لا في الصحافة الحزبية ولا في رسائل الرفاق الشخصية ولا في اللجنة المركزية . وقد وافقت اللجنة المركزية على خطتي ، وكانت هذه الخطة ترمي الى الاشارة ، بكل العزم والقوة ، في التقرير المقدم باسم اللجنة المركزية ايضاً امام المؤتمر الحالي ، الى وقف التراجع هذا ، ومطالبة المؤتمر باعطاء توجيه مناسب يكون هذه المرة باسم الحزب كله ، يكون هذه المرة توجيهاً الزامياً . لقد تراجعنا سنة . فيجـــب علينا الآن ان نقول باسم الحزب: — كفى ! ان الهدف الذي ابتغاه التراجع قد تحقق . ان هذه المرحلة توشـــك ان تنتهي او انها قد انتهت . والآن يبرز هدف آخر هو اعادة تنظيم القوى . لقد جئنا الى مكان جديد ، وبالاجمال قمنا مع ذلك بالتراجع بنظام نسبي . صحيح انه لم يكن ثمة نقص في الاصوات المرتفعة من مختلف الجوانب والتي ارادت ان تحول هذا التراجع الى تراجع مذعور . بعضها ارتفع من ذلك الجانب الذي زعم : انكم تراجعتم في هذا القطاع او ذاك بصورة غير صحيحة ، كما زعم ، مثلا ، بعض ممثلي الفئة التي حملت اسم «المعارضة العمالية» . (وانا اعتقد انهم حملوا هذا الاسم بصورة غير صحيحة .) ومن بالغ الحمية ، اتجهوا نحو باب واذا بهم يدخلون من باب آخر ، وها هم الآن قد اكتشفوا هذا بكل جلاء . وآنذاك لم يروا ان نشاطهم لم يكن موجهاً نحو اصلاح حركتنا ، وان نشاطهم كان في الواقع يلعب دوراً واحداً هو نشر الذعر والحيلولة دون التراجع بنظام .

ان التراجع امر صعب ، وخاصة بالنسبة لاولئك الثوريين الذين اعتادوا الهجوم ، وخاصة عندما اعتادوا الهجوم بضعة اعوام بنجاح هائل ، وخاصة اذا كانوا محاطين بثوريين في بلدان اخرى يحلمون بفارغ الصبر ببدء الهجوم . وحين رأى بعضهم اننا نتراجع ، ذهبوا الى

حد البكاء كالاطفال وبشكل غير جائز ، كما حدث في الاجتماع الاخير الموسع للجنة التنفيذية للاممية الشيوعية (١٤٩) . وبدافع أطيب المشاعر الشيوعية والمطامح الشيوعية ، شرع بعض الرفاق يبكون لأن الشيوعيين الروس الاخيار – تصوروا هذا – يتراجعون . قد يكون من الصعب عليّ الآن ان اتمثل هذه النفسية الاوروبية الغربية ، مع اني عشت كمهاجر ما يكفي من السنين في هذه البلدان الديموقراطية الرائعة . ولكنه قد يصعب فهم هذا من وجهة نظرهم الى حد انه يمكن الانخراط في البكاء . اما نحن ، فلا يتسنى لنا الوقت ، على كل حال ، للتوقف عند العاطفيات . وقد كان واضحاً لنا ما يلي : بما اننا على وجه الضبط هاجمنا بفائق النجاح في سياق سنوات عديدة واحرزنا كثرة كثيرة من الانتصارات غير العادية (وكل هذا في بلد مدمر بشكل لا يصدق ، وخال من المقدمات المادية !) ، كان من الضروري لنا اطلاقاً ، لأجل توطيد هذا الهجوم ، وما دمنا قد احرزنا هذا القدر الكبير من المكاسب ، كان من الضروري لنا اطلاقاً ان نتراجع . ولم يكن في وسعنا ان نحتفظ بجميع المواقع التي استولينا عليها بزحف سريع ؛ ولأننا ، من جهة اخرى ، قد استولينا على مساحات شاسعة كثيرة بزحف سريع ، على رأس موجة حماسة العمال والفلاحين ، لهذا السبب وحده ، كان لدينا مجال شاسع الى حد انه كان في وسعنا ان نتراجع بعيداً جداً ، وانه لا يزال في وسعنا الآن ان نتراجع بعيداً ، دون ان نفقد ابداً الرئيسي والاساسي . لقد جرى التراجـــع ، بالاجمال ، في نظام كاف ، رغم ان اصواتاً مذعورة ، كانت في عدادها «المعارضة العمالية» (وفي هذا كان ضررها الافدح !) ، قد تسببت عندنا بمخالفات جزئية للانضباط ، وانحرافات عن التراجع المنتظم . ان اخطر شيء اثناء التراجع هو الذعر . واذا كان الجيش كله (وهنا اتكلم بمعنى مجازي) يتراجع ، فلا يمكن ان يقوم ذلك المزاج الذي يحدث عندما يسير الجميع الى امام . ففي هذه الحال تجدون لدى كل

خطوة مزاجاً ينم عن قدر معين من الانسحاق . بل انه ظهر عندنا شعراء كتبوا ان الجوع والبرد على السواء يسودان في موسكو وانه من قبل كان النقاء والجمال ، بينما الآن تسود التجارة والمضاربة . وعندنا جملة كاملة من امثال هذه المؤلفات الشعرية .

ومفهوم ان هذا ينجم عن التراجع . وهنا يكمن خطر جسيم جداً : فالتراجع بعد هجوم كبير مظفر صعب واي صعوبة ؛ فهنا ، في التراجع ، تقوم علاقات مختلفة تماماً ؛ وهناك ، في الهجوم ، حتى وان كنت لا تدعم الانضباط ، كر الجميع من تلقاء انفسهم وطاروا طيراناً الى الامام ؛ وهنا ، في التراجع ، يجب ان يكون الانضباط اوعى ، وهو هنا اكثر ضرورة بمائة مرة لأنه عندما يتراجع الجيش كلـــه ، لا يعرف ، لا يرى ، اين يجب عليه ان يتوقف ، لا يرى غير التراجع ، — هنا تكفي احياناً بعض الاصوات المذعورة حتى يفر الجميع . هنا الخطر جسيم جداً . وعندما يحدث تراجـــع كهذا لجيش حقيقي ، ينصبون الرشاشات ، وعندما يتحول التراجع المنتظم الى تراجع بلا نظام ، يأمرون : «اطلق النار !» . وصواباً يفعلون .

وعندما ينشر بعضهم الذعر ، وان بدافـــع خيرة الاعتبارات والمشاعر ، في لحظة نقوم فيها بتراجع لا سابق لصعوبته وتنحصر كل المسألة فيها في صيانة نظام جيد ، عند ذاك تنبغي معاقبة اقل انتهاك للانضباط بصرامة وقساوة وبلا هوادة ، وليس فقط فيما يخص بعض شؤوننا الحزبية الداخلية ، بل ينبغي كذلك ان نولي هذا مزيداً من الانتباه فيما يخص سادة كالمناشفة او جميع السادة من الاممية الثانية والنصف .

في الايام الاخيرة ، طالعت في الكتـــاب العشرين «للاممية الشيوعية» مقالا للرفيق راكوشي عن كتاب جديد اصدره باور الذي تعلمنا منه جميعنا في وقت ما ، والذي امسى ، بعد الحرب ، مثـــل كاوتسكي ، برجوازياً صغيراً حقيراً ضيق الافق (١٥٠) . فهو يكتب

الآن : «ها هم يتراجعون نحو الرأسمالية ؛ ولقد قلنا دائماً : الثورة برجوازية» .

ان المناشفة والاشتراكيين-الثوريين الذين يروجون جميعهم مثل هذه الاشياء ، يتملكهم العجب على السواء ، عندما نقول اننا سنعدم رمياً بالرصاص عقاباً على مثل هذه الاشياء . ويستحوذ عليهم العجب مع ان المسألة واضحة : عندما يتراجع الجيش ، ينبغي في هذه الحال انضباط اكبر بمائة مرة مما في حال الهجوم لأن الجميع يندفعون الى الامام في حال الهجوم . واذا شرع الجميع يندفعون الآن الى الوراء ، فان هذا سيؤول الى الهلاك المحتم والعاجل .

وفي لحظة كهذه على وجه التدقيق ، يكون التراجع في نظام ، والدقة في وضع حد للتراجع ، وعدم الاستسلام للذعر ، هو الامر الرئيسي ، الأهم . وعندما يقول المنشفي : «انتم تتراجعون الآن ، وانا كنت دائماً من مؤيدي التراجع ، انا موافق معكم ، انا من جماعتكم ، فهيا نتراجع معاً» ، – فاننا نرد عليه قائلين : «ينبغي على محاكمنا الثورية ان تأمر بالاعدام رمياً بالرصاص عقاباً على المجاهرة العلنية بالمنشفية ، والا لم تكن محاكم لنا ، بل الله يعرف ما هي» .

انهم لا يستطيعون اطلاقاً ان يفهموا ، وهم يقولون : «اي طرائق ديكتاتورية عند هؤلاء القوم !» . وهم يظنون حتى الآن اننا نلاحق المناشفة لانهم تشاجروا معنا في جينيف (١٥١) . ولكننا لو سرنا في هذا السبيل ، لما كنا ، اغلب الظن ، صمدنا في دست الحكم حتى مدة شهرين . والواقع ان هذه الموعظة التي يروجها سواء بسواء اوتو باور وقادة الاممية الثانية والاممية الثانية والنصف والمناشفة والاشتراكيون-الثوريون تشكل طبيعتهم بالذات : «لقد تجاوزت الثورة الحدود . وقد قلنا دائماً ما تقوله انت الآن . فاسمح لنا ان نكرر هذا مرة اخرى» . ونحن نرد على هذا : «اسمحوا لنا جزاء هذا ان نعدمكم رمياً بالرصاص . اما ان تأخذوا على عاتقكم عبء الامتناع عن

الادلاء بآرائكم ، إما ، اذا كنتم ترغبون في الادلاء بآرائكم السياسية في الوضع الراهن ، ونحن في ظروف اصعب بكثير مما في ظروف زحف البيض المباشر ، فاننا ، عفواً ، سنعاملكم كما نعامل اسوأ وأضر عناصر الحرس الابيض» . وهذا ما يجب علينا ألا ننساه .

وعندما اتكلم عن وقف التراجع ، فانا لا اقصد البتة ان اقول بهذا اننا تعلمنا المتاجرة . بل بالعكس . فاني أرى رأياً معاكساً ، واذا ما ترك خطابي انطباعاً كهذا ، فان هذا سيعني انهم اساؤوا فهمي وانهم اقاموا الدليل على اني لا اعرف كيف اعرض افكاري بصورة صحيحة .

ولكن المسألة تقوم في وقف ذلك التهيج العصبي وذلك الاضطراب اللذين برزا عندنا من جرّاء النيب ، وذلك السعي الى صنع كل شيء بطريقة جديدة والى التكييف . فعندنا الآن جملة من الشركات المختلطة . صحيح ان عددها قليل جداً . فقد تأسست عندنا ، بمشاركة الرأسماليين الاجانب ، تسع شركات صادقت عليها مفوضية الشعب للتجارة الخارجية ، وصادقت لجنة سوكولنيكوف (١٥٢) على ست وعقدت ادارة سيفيرولس (١٥٣) اثنتين . وهكذا توجد الآن سبع عشرة شركة يبلغ رأسمالها الملايين والملايين وصادقت عليها هيئات مختلفة . (ويقيناً ان في هيئاتنا ايضاً من التشوش ما يكفي لأن يكون الاهمال ممكناً هنا ايضاً .) ولكن ، على كل حال ، توجد عندنا الآن شركات يساهم فيها الرأسماليون الروس والاجانب . وعدد هذه الشركات قليل . ان هذه البداية صغيرة ولكنها عملية ، وهي تبين انهم قدّروا الشيوعيين وقدّروهم من وجهة نظر نشاطهم ؛ وليست مؤسسات عالية كما هما عليه لجنة الرقابة المركزية واللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا هي التي قدرتهم . يقيناً ان لجنة الرقابة المركزية مؤسسة جيدة جداً ، ونحن الآن سنخولها مزيداً من الصلاحيات . ولكن ، مع ذلك ، عندما تتحقق هاتان المؤسستان من الشيوعيين ، فانهم ... تصوروا انهم لا

يعترفون بسلطتهما في السوق العالمية . (ضحك .) ولكن عندما يدخل رأسماليون عاديون ، من روس واجانب ، في شركة مختلطة مع الشيوعيين ، فاننا نقول : «ومع ذلك ، نحن نستطيع شيئاً ما ، ومع ذلك ، نملك الآن شيئاً ما بمعنى البداية ، مهما كان هذا الشيء رديئاً ، مهما كان هذا الشيء حقيراً» . وليس هذا بالطبع كثيراً جداً ؛ فكروا باننا منذ سنة نادينا اننا بذلنا كل همتنا (ويقولون اننا نملك من الهمة قدراً كبيراً) في هذه القضية ، وخلال سنة كان الحاصل سبع عشرة شركة فقط .

ان هذا يبين الى اي حد نحن مفرطون في البطء والتثاقل والكسل ، واي قدر من الاوبلوموفية (١٥٤) لا يزال ظاهراً عندنا وسيضربوننا ايضاً بسببه حتماً . ولكنه مع ذلك – واكرر قولي – أرسيت البداية ، وتحقق الاستكشاف . ولو لم تتوافر عندنا الظروف الاولية لنشاط الرأسماليين ، لما جاؤوا الينا . ولكن حتى اذا كان قسم ضئيل قد جاء ، فان هذا يبين بحد ذاته انه أُحرز نصر جزئي .

يقينا انهم سيخبطوننا ايضاً داخل هذه الشركات ، سيخبطوننا الى حد ان تصليح الحال فيما بعد سيستغرق بضعة اعوام . ولكن لا بأس . انا لا اقول ان هذا نصر ، – فان هذا استكشاف يبين انه يوجد الآن عندنا مجال للنشاط ، توجد قطعة من الارض ، وان في مقدورنا الآن ان نوقف التراجع .

لقد أثبت الاستكشاف ان عدد الاتفاقات مع الرأسماليين ضئيل جداً ، ولكنها مع ذلك قد عقدت . ومن هذا يجب ان نستخلص الدروس ونواصل العمل . وبهذا المعنى آن الكف عن النرفزة والصياح والاضطراب . فالمذكرات تعقب المذكرات ، والرسائل التلفونية تعقب الرسائل التلفونية . «ألا تمكن اعادة تنظيمنا نحن ايضاً ما دامت السياسة الاقتصادية الجديدة (النيب) قائمة عندنا ؟» . الجميع يضطربون ، ويسود الهرج والمرج ؛ ولا احد يقوم بالشؤون

العملية ، بل يحاكم الجميع في طريقة التكيف للسياسة الاقتصادية الجديدة (النيب) ، فلا تحصل اي نتيجة .

والحال ، يضحك التجار من الشيوعيين ، ويرددون ، على الارجح ، قائلين : «من قبل كان هناك المقنعون الاعالي (١٥٥) ، والآن الثرثارون الاعالي» . اما ان الرأسماليين سخروا منا لأننا تأخرنا ، واهملنا ، فهذا ما لا ظل لشك فيه ، وبهذا المعنى اقول انه تنبغي المصادقة على هذا التوجيه باسم المؤتمر ايضاً .

انتهى التراجع . ورسمت الاساليب الرئيسية للعمل مع الرأسماليين . وهناك نماذج وان بعدد تافه .

كفوا عن التفلسف والمحاكمة بصدد النيب ، ولينظم الشعراء الاشعار ، فلهذا هم شعراء . ولكن ، ايها الاقتصاديون ، لا تحاكموا بصدد النيب ، بل زيدوا عدد هذه الشركات ، تحققوا من عدد الشيوعيين الذين يعرفون كيف ينظمون المباراة مع الرأسماليين .

انتهى التراجع ، والقضية الآن قضية اعادة تنظيم القوى . هذا هو التوجيه الذي يجب على المؤتمر اقراره ، والذي لا بدّ له ان يضع حداً للتشوش والهوشة . فاهدأوا ولا تتيهوا في التحليلات البيزنطية ، فان هذا سيحسب من النواقص . ينبغي ان تبرهن عملياً انك لا تعمل شراً من الرأسماليين . ان الرأسماليين يقيمون صلة اقتصادية مع الفلاحين لكي يغتنوا ؛ اما انت فينبغي عليك ان تقيم صلة مع الاقتصاد الفلاحي لكي تعزز سلطة دولتنا البروليتارية في الميدان الاقتصادي . وكفتك راجحة على كفة الرأسماليين لان سلطة الدولة في يديك وجملة كاملة من الوسائل الاقتصادية في يديك ، إلا انك لا تعرف كيف تستغلها ، فانظر الى الاشياء نظرة اصفى ، انزع عنك اللمعان ، جلباب الأبهة الشيوعية ، وتعلم بساطة العمل البسيط ، وآنذاك سنتغلب على الرأسمالي الخاص . عندنا سلطة الدولة ، وعندنا كثرة من الوسائل الاقتصادية ؛ واذا تغلبنا على

الرأسمالية واقمنا صلة مع الاقتصاد الفلاحي ، غدونا قوة يستحيل اطلاقاً قهرها . وآنذاك لن يكون بناء الاشتراكية قضية تواجه قطرة في بحر اسمها الحزب الشيوعي ، بل قضية تواجه جمهور الكادحين كافة : وآنذاك سيرى الفلاح العادي : انهم يساعدونني ؛ وآنذاك سيسير وراءنا بحيث ان سيره هذا ، وإن كان ابطأ بمائة مرة ، سيكون بالمقابل امتن وارسخ بمليون مرة .

بهذا المعنى يجب التحدث عن وقف التراجع ، ومن الصحيح تحويل هذا الشعار الى قرار يتخذه المؤتمر بهذا الشكل او ذاك .

وبالارتباط مع ذلك ، اريد ان ألمس المسألة التالية : ما هي سياسة البلاشفة الاقتصادية الجديدة ، أتطور ام تكتيك ؟ هكذا طرح المسألة «السمينوفيخيون» الذين ، كما تعرفون ، يمثلون تياراً مد جذوره في اوساط المهاجرين من روسيا ، تياراً اجتماعياً سياسياً يقف على رأسه كبار رجالات الكاديت وبعض وزراء الحكومة الكولتشاكية السابقة ، – الذين خلصوا الى الاقتناع بان السلطة السوفييتية تبني دولة روسية وبانه ينبغي لهذا السبب السير وراءها . «ولكن اي دولة تبني هذه السلطة السوفييتية ؟ الشيوعيون يقولون انها دولة شيوعية ، ويؤكدون ان هذا تاكتيك : في اللحظة الصعبة ، يسبق البلاشفة الرأسماليين الخصوصيين ثم يتوصلون الى غرضهم . في وسع البلاشفة ان يقولوا ما يطيب لهم ، ولكن هذا ليس في الواقع تاكتيكاً بل تطور ، انتكاس داخلي ، وسينتهون الى الدولة البرجوازية العادية ، ويجب علينا ان ندعمهم . ان التاريخ يسير بسبل مختلفة» . هكذا يحاكم السمينوفيخيون .

ان بعضهم يتظاهرون بانهم شيوعيون ، ولكنه يوجد اناس اكثر صراحة ، بينهم اوستريالوف . يخيل اليّ انه كان وزيراً عند كولتشاك . وهو لا يوافق مع رفاقه ، ويقول : «فكروا انتم عن الشيوعية ما يحلو لكم ، اما انا فأؤكد ان هذا ليس تاكتيكاً عندهم

بل تطور» . وانا اعتقد ان اوستريالوف هذا يجلب لنا فائدة كبيرة بتصريحه السافر هذا . وفي حالات كثيرة جداً يتأتى لنا ان نسمع ، ويتأتى لي بخاصة بحكم الوظيفة ان اسمع كذباً شيوعياً معسولا ، او «كومفرانيو» * ، كل يوم ، يتسبب بغثيان قاتل في بعض الاحيان . واذا عدد من «سمينا فيخ» يأتي بدلا عن هذا «الكومفرانيو» ويقول صراحة : «هذا ليس عندكم هكذا ابداً ، انتم تتخيلون هذا وحسب ؛ اما في الواقع ، فانكم تنزلقون الى المستنقع البرجوازي العادي ، وهناك ستتدلى رايات شيوعية مكتوب عليها شتى الكليشات» . هذا مفيد جداً لأننا لا نرى في هذا ترديداً بسيطاً لما نسمعه على الدوام في محيطنا ، بل نرى فيه حقيقة طبقية صرفاً من عدو طبقي . ومن المفيد جداً رؤية شيء كهذا يكتب ، لا لأنه المألوف في الدولة الشيوعية الكتابة على هذا النحو او لانه من الممنوع الكتابة على نحو آخر ، بل لأن هذه بالفعل حقيقة طبقية يفصح عنها عدو طبقي بشكل فظ ، سافر . «انا اؤيد السلطة السوفييتية في روسيا ، — يقول اوستريالوف ، مع انه كان كاديتياً ، برجوازياً ، وساند التدخل المسلح ، — انا اؤيد السلطة السوفييتية لأنها سلكت الطريق الذي تنزلق عليه الى السلطة البرجوازية العادية» .

هذا شيء مفيد جداً ينبغي ، برأيي ، أخذه بالحسبان ؛ ومن الافضل لنا بكثير ان يكتب السمينوفيخيون هكذا من ان يتظاهر بعضهم بانهم شيوعيون او يكاد ، بحيث انك ، حسب كل احتمال ، لن تميز عن بعد ما اذا كان واحدهم يؤمن بالله او يؤمن بالثورة الشيوعية . ويجب القول صراحة ان امثال هؤلاء الاعداء السافرين مفيدون . ويجب القول صراحة ان امثال هذه الاشياء التي يتحدث عنها اوستريالوف ممكنة . فالتاريخ يعرف تحولات من كل شاكلة

* «الكومفرانيو» ، كلمة مركبة تعني الكذب الشيوعي . **المعرب** .

وطراز ؛ ان الاتكال على الاقتناع والاخلاص وما شابه من الخصال الروحية الممتازة انما هو في السياسة شيء غير جدي ابداً . فان الخصال الروحية الممتازة تكون عند قلة من الناس ، بينما المآل التاريخي تقرره الجماهير العملاقة التي ، اذا كانت القلة من الناس لا تلائمها ، لا تعامل احياناً هذه القلة من الناس بافراط في اللطف .

وقد كانت الامثلة على هذا كثيرة ، ولهذا يجب الترحيب بهذا البيان الصريح من السمينوفيخيين . ان العدو ينطق بحقيقة طبقية ، مشيراً الى الخطر الذي يواجهنا . والعدو يبذل جهده لكي يغدو هذا امراً محتماً لا ندحة عنه . والسمينوفيخيون يفصحون عن مزاج الآلاف وعشرات الآلاف من شتى البرجوازيين او من شتى المستخدمين السوفييتيين ، ممن يشتركون في سياستنا الاقتصادية الجديدة . وهذا خطر اساسي وفعلي . ولهذا يجب ايلاء هذه المسألة الانتباه الرئيسي : وبالفعل ، لمن ستكون الغلبة ؟ لقد تحدثت عن المباراة . لا ضغط مباشراً علينا ، ولا يأخذون بخناقنا . اما ماذا سيكون غداً ، فهذا ما سنراه ،ولكنهم اليوم لا يهاجموننا بالسلاح ، ومع ذلك اصبح النضال ضد المجتمع الرأسمالي اشد ضراوة وخطراً بمائة مرة لأننا لسنا دائماً نرى بوضوح اين يواجهنا العدو ، ومن هو صديقنا .

لقد تكلمت عن المباراة الشيوعية ، لا من وجهة نظر العطف الشيوعي ، بل من وجهة نظر تطور اشكال الاقتصاد واشكال النظام الاجتماعي . وليس هذا بالمباراة ، انما هو نضال يائس ، مسعور ، ان لم يكن الاخير ، فهو قريب من الاخير ، نضال مستميت بين الرأسمالية والشيوعية .

وهنا يجب طرح المسألة بوضوح : اين تكمن قوتنا ، وماذا لا يكفينا ؟ السلطة السياسية كافية تماماً. ومن المشكوك فيه ان يوجد احد هنا يبين ان سلطة الشيوعيين ، سلطة الحزب الشيوعي غير كافية في هذه المسألة العملية او في هذه الدائرة العملية . فهناك

من يفكرون دائماً بهذا ، ولكنهم جميعاً مصابون بمرض لا شفاء لهم منه ، بمرض النظر الى الوراء ، ولا يدركون انه يجب النظر الى الامام . والقوة الاقتصادية الاساسية في ايدينا . فان جميع المؤسسات الكبيرة الحاسمة والسكك الحديدية والخ . ، – جميعها في ايدينا . والتأجير ، مهما كان واسع التطور في بعض الاماكن ، يؤدي بالاجمال دوراً تافهاً للغاية ، وهو على العموم نصيب تافه تماماً . ان القوة الاقتصادية الموجودة في يد الدولة البروليتارية في روسيا كافية تماماً لتأمين الانتقال الى الشيوعية . فما الذي لا يكفي اذن ؟ واضح ما لا يكفي : لا تكفي درجة ثقافة تلك الفئة من الشيوعيين التي تدير وتوجه . ولكن اذا اخذنا موسكو – ٤٧٠٠ شيوعي مسؤول – واخذنا هذه الآلة الدواوينية ، هذه الكومة الهائلة ، – فمن يقود من ؟ انا اشك كثيراً في انه يمكن القول ان الشيوعيين يقودون هذه الكومة . واذا شئنا الحقيقة ، فليسوا هم الذين يقودون ، بل الذين يقادون . فهنا حدث شيء يشبه ما كانوا يروونه لنا في دروس التاريخ في زمن طفولتنا . كانوا يعلموننا : يحدث ان يستولي شعب على شعب آخر ، وآنذاك يكون الشعب الذي استولى شعباً ظافراً ، فاتحاً ، والشعب الذي استولي عليه شعباً مغلوباً . هذا بسيط جداً ومفهوم للجميع . ولكن ماذا يحدث لثقافة هذين الشعبين ؟ هنا ليس الامر بسيطاً جداً . اذا كان الشعب الذي استولى اوفر ثقافة من الشعب المغلوب ، فرض ثقافته عليه ؛ واذا كان العكس ، يحدث ان يفرض المغلوب ثقافته على الفاتح . أولم يحدث شيء من هذا القبيل في عاصمة جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية ؟ أولم يحدث هنا ان ظهر ٤٧٠٠ شيوعي (فرقة كاملة تقريباً ، وجميعهم من خيرة الشيوعيين) خاضعين لثقافة غريبة ؟ قد يخيل هنا ان ثقافة المغلوبين راقية . لا شيء من هذا القبيل . فان ثقافتهم حقيرة ، زهيدة ، تافهة ، ولكنها مع ذلك اكبر من ثقافتنا . ومهما كانت حقيرة ، ومهما كانت تافهة ،

تبقى مع ذلك اكبر من ثقافة موظفينا الشيوعيين المسؤولين لأنهم لا يملكون ما يكفي من معرفة الادارة . فان الشيوعيين الذين يصبحون رؤساء الدوائر ، – واحياناً ينصبهم المخربون بحذاقة وقصداً وعمداً لكي يكون الحاصل لافتة شركة ، – يقعون احياناً كثيرة ضحية خداع وتضليل . ان هذا الاعتراف كريه جداً ، او هو ، على اقل تقدير ، غير مستطاب كثيراً ، ولكنه يبدو لي انه ينبغي القيام به لأن عقدة المسألة تكمن هنا الآن . وفي هذا ينحصر ، برأيي ، درس السنة السياسي ، وفي جو هذا الامر ، سيدور النضال في عام ١٩٢٢ .

ترى ، هل يتمكن الشيوعيون المسؤولون في جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية والحزب الشيوعي في روسيا من ان يفهموا انهم لا يعرفون كيف يديرون ؟ ان يفهموا انهم يتصورون بانهم يقودون بينا يقادون في الواقع ؟ فاذا استطاعوا ان يفهموا ، فانهم بالطبع سيتعلمون ، لأنه يمكن التعلم ، ولكنه يجب لهذا الغرض التعلم ، ولكنهم لا يتعلمون عندنا .فعندنا يلوحون يساراً ويميناً بالاوامر والمراسيم ، ويكون الحاصل مختلفاً تماماً عمّا يريدون .

ان المباراة ، المنافسة التي وضعناها في جدول الاعمال عندما اعلنّا السياسة الاقتصادية الجديدة ، انما هي مباراة جدية . يبدو انها تجري في جميع دوائر الدولة ولكنها بالفعل شكل آخر من اشكال النضال بين طبقتين متعاديتين عداء مستحكماً . انها شكل آخر من اشكال النضال بين البرجوازية والبروليتاريا ، انها نضال لم ينته بعد ، بل انه لم ينجز من الناحية الثقافية في الدوائر المركزية بموسكو . لأن القادة البرجوازيين يعرفون في معظم الاحيان القضية خيراً مما يعرفها خيرة شيوعيينا الذين يملكون السلطة كلها وجميع الامكانيات ولا يعرفون ان يخطوا اي خطوة رغم حقوقهم وسلطتهم .

واني اود لو اورد مقطعاً من كتاب الكسندر تودورسكي (١٥٦) . صدر كتاب في مدينة فيسييغونسك (يوجد مدينة بهذا الاسم في احد اقضية محافظة تفير) ، وصدر في الذكرى السنوية الاولى للثورة السوفييتية في روسيا – ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ ، اي في وقت ولى من زمان بعيد . وهذا الرفيق من فيسييغونسك هو ، على الارجح ، عضو في الحزب . وقد قرأت هذا الكراس من زمان وانا لا اضمن باني لن اقترف اي خطأ في المجال . فهو يقول كيف شرع يجهز مصنعين سوفييتيين ، وكيف اجتذب برجوازيين اثنين وفعل ذلك بطريقة ذلك الوقت : بالتهديد بحرمان الحرية ومصادرة جميع الاموال . وهكذا اجتذبا الى ترميم مصنع . نحن نعرف كيف كانوا في عام ١٩١٨ يجتذبون البرجوازية (ضحك) ، ولذا لا يجدر تناول هذا الامر بالتفصيل : فنحن الآن نجتذبها بطرائق اخرى . ولكن اليكم استنتاجه : «ليس هذا بعد إلا نصف القضية ؛ فلا يكفي التغلب على البرجوازية والاجهاز عليها ، انما ينبغي ايضاً اجبارها على العمل من اجلنا» .

هذه كلمات رائعة . كلمات رائعة تبين انه حتى في مدينة فيسييغونسك ، حتى في عام ١٩١٨ ، كان هناك فهم صحيح للعلاقة بين البروليتاريا الغالبة والبرجوازية المغلوبة .

اذا ضربنا على ايدي المستثمِرين ، وحرمناهم امكانية الحاق الاذى ، واجهزنا عليهم ، فليس هذا بعد إلا نصف القضية . والحال ، يتصور عندنا في موسكو كل ٩٠ شخصاً من اصل ١٠٠ شخص من الموظفين المسؤولين ان المسألة كلها تنحصر في هذا ، اي في الاجهاز والحرمان من امكانية الحاق الاذى والضرب على الايدي . ان ما قلته عن المناشفة والاشتراكيين-الثوريين والحرس الابيض يؤدي كله في كثير جداً من الاحيان الى الحرمان من امكانية الحاق الاذى ، والضرب على الايدي (ولربما ليس على الايدي فقط ، بل لربما على مكان آخر

ايضاً) والاجهاز . ولكن هذا نصف القضية . فحتى في عام ١٩١٨ ، عندما قال ذلك الرفيق من فيسييغونسك ، كان ذلك نصف القضية ؛ اما الآن فان ذلك هو حتى اقل من ربع القضية . ينبغي ان نجبر وندبر الامور بحيث تشتغل ايديهم من اجلنا ، لا بحيث يترأس الشيوعيون المسؤولون ويحصلون على الرتب ، ويسبحون في التيار مع البرجوازية . هنا يكمن الجوهر كله .

ان بناء المجتمع الشيوعي بايدي الشيوعيين انما هو فكرة صبيانية ، صبيانية تماماً . فان الشيوعيين انما هم نقطة في بحر ، نقطة في بحر الشعب . ولن يتمكنوا من قيادة الشعب في سبيلهم الا اذا حددوا السبيل بصورة صحيحة ، لا بمعنى الاتجاه التاريخي العالمي وحسب . وبهذا المعنى ، حددنا سبيلنا بصورة صحيحة تماماً ، وكل دولة تأتي بما يؤكد اننا حددناه بصورة صحيحة ؛ وفي بلادنا ، في وطننا ، ينبغي ان نحدد هذا السبيل بصورة صحيحة . وهو لا يتحدد بهذا وحسب ، بل ايضاً بانه لن يقع تدخل مسلح ، بكوننا سنتمكن من اعطاء الفلاحين البضائع مقابل الحبوب . ان الفلاح سيقول : «انت انسان ممتاز ، انت دافعت عن وطننا ؛ ومقابل هذا ، اطعناك ، ولكنك اذا كنت لا تعرف كيف تدير الاقتصاد ، فرح من هنا» . اجل ، ان الفلاح سيقول هذا .

اننا سنتمكن من ادارة الاقتصاد اذا نجح الشيوعيون في بناء هذا الاقتصاد بايدي الآخرين ، وتعلموا هم انفسهم على يد هذه البرجوازية ووجهوها في السبيل الذي يريدون . اما اذا تصور الشيوعي وقال زاعماً : انا اعرف كل شيء لأني انا شيوعي مسؤول ، انا تغلبت على اناس من غير طراز العميل التجاري ، ونحن ضربنا على الجبهات ؛ — فهل ضربنا ، يا ترى ، امثال هؤلاء ، — فان مثل هذا المزاج السائد هو الذي يقصم ظهورنا .

اذا حرمنا المستثمرين امكانية الحاق الاذى وضربناهم على ايديهم وجذمنا انوفهم ، فان هذا هو القسم الاقل شأناً من القضية .

هذا يجب فعله . ويجب على الادارة السياسية الحكومية عندنا وعلى محاكمنا سواء بسواء ألا تفعل هذا بمثل الرخاوة التي تفعله بها حتى الآن ، بل ان تتذكر انها محاكم بروليتارية مطوقة بالاعداء في العالم كله . وهذا غير صعب ، وهذا ما تعلمناه اساساً . وهنا يجب اجراء بعض الضغط ، ولكن هذا سهل .

اما القسم الثاني من النصر ، – اي بناء الشيوعية بايد غير شيوعية ، ومعرفة عمل ما ينبغي عمله في المضمار الاقتصادي معرفة ملموسة – فهو ايجاد الصلة مع الاقتصاد الفلاحي وتلبية مطالب الفلاحين لكي يقول الفلاح : «مهما كان الجوع صعباً ، ومهما كان مرهقاً ، ومهما كان معذباً ، الا اني ارى ان السلطة ، وان كانت غير مألوفة وان كانت غير عادية ، انما يأتي منها نفع عملي ، محسوس فعلا» . ينبغي التوصل الى ان تعمل العناصر العديدة التي تتفوق علينا مراراً كثيرة والتي نتعاون معها ، ان تعمل على نحو بحيث نستطيع مراقبة عملها ، بحيث نفهم هذا العمل ، بحيث تصنع ايديها شيئاً ما ينفع الشيوعية . هنا تكمن عقدة الوضع الراهن ، لأنه اذا كان بعض الشيوعيين قد ادرك هذا ورآه ، فان جماهير حزبنا الواسعة لا تدرك ضرورة اجتذاب اللاحزبيين الى العمل . ولكَمْ كتب من التعميمات في هذا الصدد ، وكم قيل ، ولكن هل تحقق شيء في سنة ؟ لا شيء . فمن مائة لجنة في حزبنا ، لن تستطيع حتى خمس لجان ان تعرض نتائجها العملية . الى هذا الحد تأخرنا عن ذلك المطلب الوارد حالياً في جدول الاعمال ، الى هذا الحدّ نعيش في تقاليد عام ١٩١٨ وعام ١٩١٩ . كان هذان عامين عظيمين ، وقد كانت تلك قضية تاريخية عالمية عظيمة جداً . واذا القينا نظرة الى الوراء الى هذين العامين ولم نر اي مهمة ترد الآن في جدول الاعمال ، فان هذا سيعني الهلاك ، الهلاك الاكيد ، الهلاك المطلق ، وعقدة الامر كلها اننا لا نريد ان ندرك هذا .

والآن اود ان اسوق مثلين عمليين يبينان حال ادارتنا . لقد سبق وقلت انه من الاصح ان نأخذ لهذا الغرض احد تروستات الدولة . يجب ان اعتذر لأني لا استطيع اللجوء الى هذا الاسلوب الصحيح لان هذا يتطلب دراسة المواد المتعلقة وان بتروست واحد دراسة ملموسة جداً ، ولكني ، مع الأسف ، كنت محروماً من امكانية اجراء هذه الدراسة ، ولهذا آخذ مثالين غير كبيرين . احدهما التالي : ج . ا . م . (جمعية الاستهلاك في موسكو) اتهمت مفوضية الشعب للتجارة الخارجية بالبيروقراطية ؛ المثال الثاني من ميدان حوض الدونيتس .

المثال الاول قلما يصلح ، ولكنه لا تتوافر لي امكانية أخذ مثال افضل . ولكن حتى بهذا المثال استطيع ان اوضح الفكرة الاساسية . في الاشهر الاخيرة ، كما تعرفون من الجرائد ، لم تسنح لي الفرصة للمس القضية مباشرة ، فلم اعمل في مجلس مفوضي الشعب ولم اكن كذلك في اللجنة المركزية . واثناء اسفاري الموقتة والنادرة الى موسكو ، فقأت عينيّ شكاوى يائسة ورهيبة من مفوضية التجارة الخارجية . اما ان مفوضية التجارة الخارجية سيئة ، وان المماطلة البيروقراطية تسود هناك ، فهذا ما لم اشك فيه ابداً اي دقيقة . ولكن عندما غدت الشكاوى شديدة الانفعال على نحو خاص ، حاولت ان اتفهم المشكلة ، ان آخذ حادثة ملموسة ، وان اتعمق ، وان مرة واحدة ، حتى الجذور ، واستوضح كيف يحصل هذا هناك ، لماذا لا تعمل هذه الآلة .

كانت ج . ا . م . بحاجة الى شراء معلبات . ولهذا الغرض ، ظهر مواطن فرنسي . انا لا اعرف ما اذا كان قد فعل هذا في مصلحة السياسة الدولية وبعلم قادة دول الوفاق ام اثر موافقة بوانكاره وغيره من اعداء السلطة السوفييتيـــة (اعتقد بان مؤرخينـــا سيستوضحون هذا بعد مؤتمر جنوه) ، ولكنـــه من الواقع ان

البرجوازية الفرنسية لم تشترك نظرياً وحسب ، بل اشتركت عملياً ايضاً في هذه الصفقة ، لأن ممثل البرجوازية الفرنسية كان في موسكو وباع المعلبات . موسكو تجوع ، وستجوع في الصيف اكثر ، ولم يستجلبوا اللحوم ولن يستجلبوها ، اغلب الظن ، اذا اخذنا بالحسبان ما يعرفه الجميع عن صفات مفوضية الشعب للمواصلات .

يبيعون معلبات من اللحوم (هذا اذا لم تكن ، بالطبع ، قد تهرأت كلياً ، — وهذا ما سيبينه التحقيق المقبل) بالعملة السوفييتية . فهل هناك ما هو ابسط ؟ يبدو ان هذا غير بسيط ابداً اذا حلل المرء بالطريقة السوفييتية وكما ينبغي . انا لم تسنح لي الفرصة للاشراف مباشرة على القضية ، ولكني نظمت التحقيق ، وها آنذا احوز الآن سجلا يروي كيف تطورت هذه الحكاية الشهيرة . لقد بدأت من الواقعة التالية : بناء على تقرير للرفيق كامينيف ، اتخذ المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي ، في ١١ شباط (فبراير) ، قراراً يقول انه من المرغوب فيه شراء السلع الغذائية من الخارج . وطبعاً ، كيف يمكن للمواطنين الروس ان يحلوا مسألة كهذه دون المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي في روسيا ! تصوروا : كيف كان يمكن لـ٤٧٠٠ موظف مسؤول (هذا حسب الاحصاء فقط) (١٥٧) ان يحلوا مسألة شراء السلع الغذائية من الخارج دون المكتب السياسي للجنة المركزية ؟ هذا ، بالطبع ، تصور يفوق الطبيعة . يبدو ان الرفيق كامينيف يعرف سياستنا وواقعنا معرفة رائعة ولهذا لم يفرط في الاعتماد على عدد الموظفين المسؤولين الكبير ، بل بدأ بان أخذ الثور من قرنيه ، واذا لم يكن الثور ، فالمكتب السياسي على كل حال ، وحصل فوراً (انا لم اسمع انه قامت مناقشات بهذا الصدد) على قرار : «لفت انتباه مفوضية الشعب للتجارة الخارجية الى انه من المرغوب فيه استيراد المأكولات من الخارج ، مع العلم ان الرسوم الجمركية» الخ . . تم لفت انتباه

مفوضية الشعب للتجارة الخارجية . تبدأ القضية تتحرك . كان ذلك في ١١ شباط (فبراير) . واني اذكر اني كنت في موسكو في آخر شباط بالذات او نحو هذا الوقت ، وما اصطدمت به على الفور ، انما هو عويل الرفاق الموسكوفيين ، عويلهم اليائس فعلاً . فما الحكاية ؟ لا نستطيع اطلاقاً شراء المأكولات . لماذا ؟ المماطلات البيروقراطية في مفوضية الشعب للتجارة الخارجية . لقد كنت بقيت زمناً طويلا لا اشترك في تصريف الامور ولم اكن اعرف آنذاك انه يوجد في هذا الشأن قرار من المكتب السياسي ، فاكتفيت بالقول لرئيس مكتب مجلس مفوضي الشعب : لاحق ، استحصل على الورقة ، واطلعني . وانتهت هذه القضية بكون كامينيف تحدث مع كراسين عندما جاء كراسين ، فترتبت القضية ، واشترينا المعلبات . حسن كل ما ينتهي حسناً .

اما ان كامينيف وكراسين يعرفان كيف يتفاهمان وكيف يرسمان بصورة صحيحة الخط السياسي اللازم للمكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي في روسيا ، فهذا ما لا اشك فيه البتة . ولو كان كامينيف وكراسين هما اللذان يبتان في الخط السياسي في القضايا التجارية ايضاً ، لكانت عندنا افضل الجمهوريات السوفييتية في العالم ، ولكنه لا يجوز العمل بحيث في كل صفقة نجر عضو المكتب السياسي كامينيف وكراسين – وهذا الاخير منهمك في الشؤون الديبلوماسية قبل مؤتمر جنوه ، وهي شؤون تتطلب عملا مستميتاً ، فوق طاقة البشر – نجر هذين الرفيقين لأجل شراء المعلبات من مواطن فرنسي . ما هكذا يجوز العمل . فهنا لا سياسة جديدة ولا سياسة اقتصادية ولا سياسة ، بل مجرد هزء وتهكم . وانا الآن احوز تحقيقاً في هذه القضية . بل اني احوز تحقيقين : احدهما اجراه غوربونوف ، رئيس مكتب مجلس مفوضي الشعب ، ومعاونه ميروشنيكوف ، والثاني ، ذاك الذي اجرته الادارة السياسية الحكومية . انا لا اعرف

لماذا اهتمت أصلا الادارة السياسية الحكومية بهذه القضية ولست واثقاً راسخ الثقة بان هذا صحيح ، ولكني لن اتوقف عند هذا لأني اخشى ان نحتاج الى تحقيق جديد . انما المهم ان المادة قد جمعت وانها في يدي الآن .

كيف حدث اني ، عندما جئت الى موسكـــو في اواخر شباط (فبراير) ، وجدت عويلا حقيقياً باننا «لا نستطيـــع ان نشتري المعلبات» بينما الباخرة ترسو في ليبافا والمعلبات متراكمة هناك ، بل يأخذون العملة السوفييتية مقابل معلبات حقيقية ! (**ضحك** .) اذا لم تكن هذه المعلبات مهترئة كلياً (وانا اؤكد الآن بـ«اذا» ، لأني لست واثقاً تماماً باني لن آمر آنذاك باجراء تحقيق جديد ، ولكنه في هذه الحال ، سيترتب علينا ان نحدثكم عن نتائجه في مؤتمـــر آخر) ، — وهكذا ، اذا لم تكن المعلبات مهترئة ، اذا كانت مشتراة ، فاني اسأل : لماذا لم تستطع قضية كهذه ان تتحرك دون كامينيف وكراسين ؟ من التحقيق الذي بين يدي ، ارى ان شيوعياً مسؤولا طرد شيوعياً مسؤولا آخر بغضب . ومن التحقيق نفسه ارى ان شيوعياً مسؤولا قال لشيوعي مسؤول آخر : «لن اتكلم معك في المستقبل بدون كاتب عدل» . عندما قرأت هذه القصة ، تذكرت كيف تأتى لي ان اكون محامياً منذ ٢٥ سنة عندما كنت في المنفى في سيبيريا . لقد كنت محامياً سرياً لاني كنت منفياً بصورة ادارية ، ولذا كان هذا ممنوعاً ؛ ولكن بما انه لم يكن هناك محامون آخرون ، فقد كان الناس يأتون اليّ ويحدثونني عن بعض القضايا . ولكن اصعب شيء كان فهم جوهـــر الامر . تأتي امرأة ، وتبدأ طبعاً بالاقارب ، وكان من الصعب صعوبـــة لا تصدق فهم جوهر الامر . واقول : «اجلبي نسخة» . فتحدثني عن البقرة البيضاء . اقول لها : «اجلبي نسخة» ؛ آنذاك تمضي قائلة : «لا يريد ان يسمع بدون نسخة عن البقرة البيضاء» . وهكذا ضحكنا في جاليتنـــا على هذه النسخة . ولكني توفقت وحققت تقدماً بسيطاً : فعندما كانوا يأتون

اليّ ، كانوا يجلبون نسخة ، ولذا كان من الممكن تفهم جوهر الامر وسبب الشكوى ومكان الوجع . كان ذلك منذ ٢٥ سنة في سيبيريا (في مكان يبعد مئات ومئات الفراسخ عن اقرب محطة حديدية) .

ولكن لماذا ، بعد مرور ثلاث سنوات على الثورة ، اقتضى الامر في المدينة عاصمة الجمهورية السوفييتية الى تحقيقين والى تدخل كامينيف وكراسين والى توجيهات المكتب السياسي من اجل شراء المعلبات ؟ ما الذي كان ينقص ؟ السلطة السياسية ؟ كلا . ولقد وجدوا المال ، وهكذا كانت السلطة الاقتصادية والسياسية على السواء مؤمنة . وكانت جميع المؤسسات موجودة . فما الذي ينقص ؟ – تثقف ٩٩ بالمئة من موظفي ج . ا . م . الذين ليس عندي اي شيء ضدهم والذين اعتبرهم شيوعيين ممتازين ومن موظفي مفوضية الشعب للتجارة الخارجية ، – فما كان بوسعهم تناول المسألة بطريقة مثقفة .

عندما سمعت بهذا للمرة الاولى ، تقدمت باقتراح خطي الى اللجنة المركزية : برأيي ، يجب الزج بالجميع ، باستثناء اعضاء اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا الذين هم ، كما تعرفون ، يتمتعون بالحصانة ، يجب الزج بجميع العاملين في دوائر موسكو ، باستثناء اعضاء اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا ، في اسوأ سجن بموسكو لمدة ٦ ساعات ، والزج بالعاملين في مفوضية الشعب للتجارة الخارجية لمدة ٣٦ ساعة . والحال ، تبين الآن انهم لم يجدوا المذنب . (**ضحك** .) وبالفعل ، يتضح تماماً مما قلته انك لن تجد المذنب . انه هنا مجرد العجز الروسي العادي الملازم للمثقفين في تسيير الامور بصورة عملية – انما هو الفوضى والتشوش . اولا يدسون انوفهم ، ويعملون ، ثم يفكرون ، وعندما لا يفلحون ، يهرعون الى كامينيف يتشكون ، ويجرونه الى المكتب السياسي . يقيناً انه ينبغي احالة جميع قضايا الدولة الصعبة الى المكتب

السياسي – وعن هذا سأتحدث مرة اخرى – ولكنه ينبغي التفكير اولا ، ثم العمل . واذا تدخلت ، فحاول ان تتدخل متسلحاً بالوثائق . اولا ارسل برقية ، وفي موسكو توجد ايضاً تلفونات ، ارسل برقية تلفونية الى الدوائر المعنية ، اعط تسوروبا نسخة ، وقل : اني اعتبر الصفقة عاجلة ، وسألاحق جزاء المماطلة . وبهذا التثقف البدائي يجب التفكير ، وتناول الامر بامعان في التفكير ؛ واذا لم تحل المسألة فوراً بدقيقتين ، بالحديث بالتلفون ، فخذ الوثائق ، تزود بها وقل : «اذا ابديت مماطلة ، وضعتك في السجن» . ولكن لا ذرة من التفكير العميق ، لا اعداد ، الاضطراب العادي ، بضع لجان ، الجميع هدّ هم التعب ، الجميع معذبون ، مرضى ، ولا يمكن تحريك القضية الا متى امكن جمع كامينيف مع كراسين . ان هذه القضية نموذجية . فهي لا تقتصر ابداً على المدينة العاصمة موسكو ، بل تظهر كذلك في عواصم اخرى ، في عواصم جميع الجمهوريات المستقلة ومختلف المقاطعات ، وكذلك في المدن غير العواصم تتحقق امثال هذه الاشياء على الدوام وحتى بصورة اسوأ بمائة مرة .

ينبغي ان نتذكر في نضالنا بان الشيوعيين في حاجة الى امعان الفكر . انهم يحدثونك بروعة عن النضال الثوري ، عن حالة النضال الثوري في العالم كله . ولأجل الخلاص من العوز المدقع والفقـــر اليائس ، لأجل هذا الغرض يجب امعان الفكر ، ينبغي ان يكون المرء مثقفاً ، شريفاً – وهذا ما لا يستطيعونه . واذا رحنا نتهم الشيوعيين المسؤولين بانهم يتناولون الامور بغير وجدان ، فان هذا سيكون غير صحيح . فان الاغلبية الساحقة منهم – ٩٩ بالمئة – اناس ليسوا ذوي وجدان وحسب ، بل كذلك اناس أثبتوا اخلاصهم للثورة في اصعب الظروف ، سواء أقبل سقوط القيصرية ام بعد الثورة ، مضحين حقاً وفعلا بحياتهم . واذا بحثنا عن السبب في هذا ، فان ذلك سيكون غير صحيح اصلا . ينبغي موقف ثقافي من ابسط شؤون

الدولة ، ينبغي ان نفهم ان هذه قضية تخص الدولة ، قضية تجارية ، واذا ظهرت عقبات ، اقتضى الامر معرفة ازالتها واحالة المسؤولين عن المماطلة الى المحكمة .فعندنا في موسكو محكمة بروليتارية ، وينبغي عليها ان تدعو الى المثول امامها المذنبين عن عدم شراء بضع عشرات الآلاف من بودات * المعلبات . اني اعتقد ان المحكمة البروليتارية ستعرف كيف تعاقب ، ولأجل المعاقبة ، يجب ايجاد المذنبين ؛ اما انا فأني اضمن لكم بانه يستحيل ايجاد المذنبين فلينظر كل منكم في هذه القضية ، — لا مذنبين ، بل هرج ومرج وهوشة وحماقة . ان احداً لا يعرف كيف يتناول القضية ، لا يفهم انه يجب تناول شؤون الدولة على هذا النحو لا على ذاك . وهذا ما يستغله جميع رجال الحرس الابيض وجميع المخربين . لقد مرت بنا مرحلة من النضال المسعور ضد المخربين ، واليوم ايضاً ، يرد هذا النضال في جدول الاعمال . صحيح ، بالطبع ، ان هناك مخربين وانه ينبغي النضال ضدهم . ولكن هل يمكن النضال ضدهم عندما يكون الوضع كالوضع الذي تحدثت عنه ؟ ان هذا أضرّ من كل تخريب ، واشد ما يحتاج اليه المخرب ان يرى شيوعيين يتجادلان في مسألة معرفة اللحظة التي ينبغي فيها التوجه الى المكتب السياسي لأجل الحصول على توجيه مبدئي بصدد شراء المأكولات ، وان يتسلل عبر هذه الثغرة . واذا وقف مخرب ذكي الى حد ما الى جانب هذا الشيوعي او ذاك ، او الى جانبهما معاً بالدور ودعمهما ، حلّت الآخرة ، وهلكت القضية الى الابد . ومن المذنب ؟ لا احد . لأن شيوعيين ، ثوريين مخلصين ، مسؤولين ، يتجادلان بصدد شيء لا معنى له ، يتجادلان في مسألة معرفة اللحظة التي يجب فيها طرح المسألة امام المكتب السياسي بغية الحصول على توجيه مبدئي من اجل شراء المأكولات .

---

* البود يوازي ١٦ر٣٨٠ كيلوغراماً . **المعرب** .

هكذا توضع المسألة ، هنا تكمن الصعوبة . وان اي عميل تجاري ، مر بمدرسة المؤسسة الرأسمالية الكبيرة ، يعرف كيف يفعل هذا الشيء ، بينا ٩٩ بالمئـــة من الشيوعيين المسؤولين لا يستطيعون ولا يريدون ان يفهموا انهم لا يملكون هذه المعرفة وانه ينبغي عليهم ان يتعلموا ابتداء من الالفباء . واذا لم نفهم هذا ، ولم نجلس من جديد لكي نتعلم ابتداء من الصف الاعدادي ، فاننا لن نحل في اي حال من الاحوال المهمة الاقتصادية التي تقوم الآن في اساس السياسة كلها .

المثال الآخر الذي اريد سوقه هو حوض الدونيتس . انتم تعرفون ان حوض الدونيتس مركز ، اساس حقيقي لاقتصادنا كله . ولا يمكن حتى الحديث عن اي بعث للصناعة الكبيرة في روسيا وعن اي بناء حقيقي للاشتراكية لأنه يستحيل بناؤها عن غير سبيـــل الصناعة الكبيرة ، اذا لم نبعث حوض الدونيتس ونرفعه الى المستوى اللازم . ونحن في اللجنة المركزية تتبعنا هذا .

وفيما يتعلق بهذه المنطقة ، ولم تكن هناك احالة مسألة تافهة بصورة غير قانونية ، سخيفة ، خرقاء ، الى المكتب السياسي ، بل كانت هناك قضية حقيقية لا تقبل التأجيل اطلاقاً .

ينبغي للجنة المركزية (الاوكرانية – **المعرب**) ان تراقب ما اذا كانوا يعملون فعلاً كما ينبغي في مثل هذه المراكز الحقيقية ، في مثل هذه الاسس والقواعد الحقيقية لكامل اقتصادنا ، والحال انه كان هناك ، على رأس ا . م . ص . ف . (على رأس الادارة المركزية لصناعة الفحم) اناس ليسوا مخلصين بلا ريب وحسب ، بل ايضاً اناس متعلمون فعلا وذوو كفاءات كبيرة جداً ، – بل اني لا اخطئ اذا قلت : اناس موهوبون ، ولهذا السبب وجهت اللجنة المركزية انتباهها الى هناك . ان اوكرانيا جمهورية مستقلة ، وهذا حسن جداً ، ولكنها على الصعيد الحزبي ، تأخذ احياناً – وكيف اجد تعبيراً

ألطف ؟ – سبيل اللف والدوران ، وسيترتب علينا ان نصل اليهم ، لان هناك يجلس اناس دهاة ، ولا اقول ان اللجنة المركزية الاوكرانية تخدعنا ، بل كأنما تبتعد عنّا بعض الشيء . ولكي نرى هذه القضية برمتها ، تفحصناها هنا ، في لجنتنا المركزية ، ورأينا احتكاكات واختلافات . هناك توجد «كيمكا» ، اي لجنة استخدام المناجم الصغيرة . يقيناً ان احتكاكات قوية تقوم بين «كيمكا» وا . م . ص . ف . . ولكننا نحن ، اللجنة المركزية نملك مع ذلك بعض التجربة ، فقررنا بالاجماع عدم حل الاوساط القيادية ، وابلاغنا اذا ما وقعت احتكاكات ، حتى وان بجميع التفاصيل ، لانه متى كان عندنا في المنطقة لا اناس مخلصون وحسب ، بل ايضاً اكفاء ، ترتب بذل الجهد لدعمهم لكي يستكملوا تعلمهم ، اذا افترضنا انهم لم يتعلموا . وانتهت المشكلة بان انعقد مؤتمر حزبي في اوكرانيا ، وانا لا اعرف ماذا حصل هناك ؛ لقد حدثت اشياء شتى . وقد استعلمت من الرفاق الاوكرانيين ، وطلبت خصيصاً من الرفيق اورجونيكيدزه ، وكلفت كذلك اللجنة المركزية بالسفر ورؤية ما حدث هناك . فهناك ، على الارجح ، حيكت دسيسة واختلط الحابل بالنابل ، ولن تتفهم «ايستبارت» (١٥٨) المشكلة حتى بعد عشر سنوات اذا انصرفت الى دراستها . ولكنه وقع فعلا ان هذا الفريق حل محله فريق آخر خلافاً للتوجيهات التي اقرتها اللجنة المركزية بالاجماع . فما كان جوهر الامر هنا ؟ اساساً ، اقترف قسم من هذا الفريق خطأ معيناً ، رغم كل صفاته الرفيعة . فقد وقعوا في وضع اناس افرطوا في الادارة (١٥٩) . هناك المسألة مسألة عمال . وعندما يقولون : «عمال» ، يظنون في كثير جداً من الاحيان بان هذا يعني بروليتاريا المصانع والمعامل . كلا اطلاقاً . فمنذ زمن الحرب ، راح عندنا الى المصانع والمعامل اناس ليسوا بروليتاريين اطلاقاً ، وراحوا لكي يتهربوا من الحرب ؛ وهل الظروف الاجتماعية والاقتصادية عندنا ، يا ترى ، هي

الآن على نحو بحيث يروح البروليتاريون الحقيقيون الى المصانع والمعامل ؟ هذا غير صحيح . هذا صحيح حسب ماركس ، ولكن ماركس لم يكتب عن روسيا ، بل كتب عن الرأسمالية برمتها ، ابتداء من القرن الخامس عشر . وهذا صحيح في سياق ستمئة سنة ، ولكنه غير صحيح بالنسبة لروسيا الحالية . ان الذين يروحون الى المصانع ليسوا ، في احيان كثيرة ، من البروليتاريا ، بل من شتى العناصر العرضية .

ان المهمة تتقوم في معرفة تنظيم العمل تنظيماً صحيحاً بحيث لا نتأخر ، بحيث نفض في الوقت المناسب الاحتكاكات التي تنشب ، بحيث لا نفصل الادارة عن السياسة . لأن سياستنا وادارتنا تعتمدان على مبدأ ربط الطليعة كلها بكل الجمهور البروليتاري وكل الجمهور الفلاحي . فاذا نسي احد هذه الدواليب الصغيرة ، اذا انغمس في الادارة وحسب ، وقعت مصيبة . ان الخطأ الذي اقترفه العاملون في حوض الدونيتس ضئيل لا يؤبه له بالقياس الى اخطائنا الاخرى ، ولكنه مثال نموذجي عن تقدم اللجنة المركزية بطلب اجماعي : «ابقوا هذا الفريق ، اعطونا ، نحن اللجنة المركزية ، وان نزاعات صغيرة ، لأن حوض الدونيتس ليس بمنطقة عرضية ، انما هو منطقة يبقى البناء الاشتراكي بدونها مجرد امنية طيبة» ، — ولكنه تبين ان كل سلطتنا السياسية وكل مكانة اللجنة المركزية غير كافيتين .

هذه المرة ، وقع الخطأ في الادارة طبعاً ؛ وفضلا عن ذلك ، وقعت كثرة من الاخطاء الاخرى .

هذا مثل يبين ان الصعوبة كلها لا تكمن في السلطة السياسية بل في معرفة الادارة ، في معرفة وضع الناس بصورة صحيحة في المناصب التي يصلحون لها ، في معرفة تحاشي الاصطدامات الصغيرة بحيث لا ينقطع عمل الدولة الاقتصادي . وهذا لا وجود له عندنا ، وهنا بالضبط يكمن الخطأ .

اني اظن انه ينبغي لنا ، عندما نتحدث عن ثورتنا ونزن مصائر الثورة ، ان نميّز بدقة بين مهام الثورة تلك التي حلّت كلياً والتي دخلت تاريخ الانعطاف التاريخي العالمي عن الرأسمالية كجزء منه لا يتجزأ اطلاقاً . وفي تاريخ ثورتنا توجد قضايا كهذه . وطبعاً ليزعق المناشفة واوتو باور ، ممثل الاممية الثانية والنصف : «عندهم هناك ثورة برجوازية» ؛ اما نحن ، فاننا نقول ان مهمتنا ان نسير بالثورة البرجوازية الى النهاية . لقد قالت نشرة للحرس الابيض : خلال ٤٠٠ سنة جمعوا الزبل في دوائرنا الحكومية ؛ اما نحن فقد كنسنا كل هذا الزبل في ٤ سنوات ، — وهذه مأثرة عظيمة جداً اجترحناها . ولكن ماذا فعل المناشفة والاشتراكيون-الثوريون ؟ لا شيء . فلا عندنا ولا حتى في المانيا المتقدمة ، المستنيرة ، حتى هناك لا يستطيعون تكنيس زبل القرون الوسطى . وبعد ذلك ، يعيبوننا بمأثرتنا العظيمة . ان السير بقضية الثورة الى النهاية انما هو مأثرة لنا يستحيل انتزاعها .

والآن ، تتصاعد في الجو رائحة الحرب . وتتخذ نقابات العمال ، كالنقابات الاصلاحية مثلاً ، القرارات ضد الحرب وتهدد بالاضراب ضد الحرب . ومنذ وقت قريب ، ان لم اكن على خطأ ، رأيت برقية صحفية تفيد ان شيوعياً رائعاً القى في مجلس النواب الفرنسي خطاباً ضد الحرب واشار الى ان العمال سيفضلون الانتفاضة على الحرب (١٦٠) . لا يجوز طرح المسألة كما طرحناها نحن في عام ١٩١٢ عندما صدر بيان بال . فان الثورة الروسية وحدها دون غيرها بينت كيف يمكن الخروج من الحرب واي جهود يكلف هذا ، وما يعني الخروج من الحرب الرجعية بالسبيل الثوري . ان الحروب الامبريالية الرجعية في جميع انحاء الكرة الارضية امر محتم لا مناص منه . ان البشرية لا تستطيع ان تنسى ولن تنسى ان عشرات الملايين قد هلكوا آنذاك وسيهلكون ايضاً الآن عند حل جميع القضايا من هذا الطراز . ذلك اننا نعيش في القرن العشرين ، والشعب الوحيد الذي خرج من الحرب

الرجعية بالسبيل الثوري لغير مصلحة هذه الحكومة او تلك ، بله محبطاً مقاصدهما ، انما هو الشعب الروسي ، والثورة الروسية هي التي اخرجته . وما ظفرت به الثورة الروسية يستحيل انتزاعه . وهذا ما لا تستطيع اي قوة ان تنتزعه ، كما لا تستطيع اي قوة في العالم ان تسترجع واقع ان الدولة السوفييتية قد انشئت . وهذا نصر تاريخي عالمي . خلال مئات السنين ، كانت الدول تشاد حسب النموذج البرجوازي ، وللمرة الاولى وجد شكل دولة غير برجوازية . قد يكون جهازنا رديئاً ، ولكنهم يقولون ان اول آلة بخارية تم اختراعها كانت ايضاً رديئة ، بل انه غير معروف ما اذا كانت اشتغلت ام لا . ولكن المسألة لا تقوم في هذا ، بل تقوم في كون الاختراع قد تحقق . لا بأس إن كانت الآلة البخارية الاولى غير صالحة من حيث شكلها ، ولكننا نملك الآن بالمقابل قاطرة بخارية . لا بأس إن كان جهازنا الحكومي رديئاً للغاية ، ولكنه انشئ مع ذلك ، وتحقق اختراع تاريخي عظيم جداً ، وانشئت دولة بروليتارية الطراز ، — ولهذا لتنشر اوروبا كلها وآلاف الجرائد البرجوازية عن القباحة والفقر عندنا وان الشعب الكادح يعاني العذابات وحسب ، — ومع ذلك ، يميل جميع العمال في العالم كله الى الدولة السوفييتية . هذه هي المكتسبات العظيمة التي احرزناها والتي يستحيل انتزاعها . ولكن هذا لا يعني بالنسبة لنا ، نحن ممثلي الحزب الشيوعي ، غير فتح الباب . فالآن تواجهنا مهمة ارساء اساس الاقتصاد الاشتراكي . فهل تحقق هذا ؟ كلا ، لم يتحقق . وحتى الآن لا يوجد عندنا اساس اشتراكي . واولئك الشيوعيون الذين يتخيلون بانه موجود ، يقترفون خطأ فادحاً جداً . ان عقدة الامر كلها تقوم في ان نفصل بحزم ووضوح وصفاء ذهن ما يشكل عندنا المأثرة التاريخية العالمية للثورة الروسية ، عمّا ننفذه بأسوأ صورة ، عما لم نصنعه بعد ، وعما لا تزال تترتب اعادة صنعه مراراً عديدة .

ان الاحداث السياسية هي دائماً متشابكة ومعقدة جداً . ومن الممكن مقارنتها بسلسلة . فلأجل الاحتفاظ بالسلسلة كلها ، يجب امساك حلقتها الاساسية . فلا يجوز لك ان تختار بصورة مصطنعة الحلقة التي تريد التمسك بها . وفي عام ١٩١٧ ، اين كانت العقدة كلها ؟ في الخروج من الحرب ، الامر الذي كان يطالب به الشعب بأسره ، وهذا ما غطى كل شيء . وقد توصلت روسيا الثورية الى الخروج من الحرب . لقد بذلت جهود كبيرة ، ولكن بالمقابل أخذ مطلب الشعب الاساسي بالحسبان ، وهذا ما اعطانا النصر لسنوات عديدة . ولقد احس الشعب ورأى الفلاح ، وفهم كل جندي عاد من الجبهة فهماً رائعاً انه يتلقى في شخص السلطة السوفييتيـــة سلطـــة اوفر ديموقراطية ، واقرب الى الكادحين . وما دمنا قد اخذنا بالحسبان هذه المهمة الرئيسية ، فهذا يعني ان كل شيء كان صحيحاً ، مهما كثرت الغباوات والقبائح التي ارتكبناها في الميادين الاخرى .

اين كانت العقدة في عامي ١٩١٩ و١٩٢٠ ؟ – الرد العسكري . هنا زحفت علينا دول الوفاق العالمي الجبروت وأخذت تخنقنا ، ولم تكن ثمة حاجة الى الدعاية : فقد ادرك كل فلاح لاحزبي ما يجري . يأتي الملاك العقاري . الشيوعيون يعرفون كيف يناضلون ضده . ولهذا أيد الفلاحون بسوادهم الشيوعيين ، ولهذا انتصرنا .

في عام ١٩٢١ كانت العقدة في التراجع بنظام . ولهذا كان ينبغي انضباط صارم . لقد قالت «المعارضة العمالية» : «انتم تستصغرون شأن العمال ، ينبغي ان يبدي العمال المزيد من المبادرة» . ينبغي ان تقوم المبادرة في التراجع بنظام والتقيد بكل صرامة بالانضباط . وكل من ينشر الذعر باي قدر كان او يتسبب بمخالفة الانضباط باي قدر كان يهلك الثورة لأنه ثمة ما هو اصعب من التراجع مع قوم اعتادوا الانتصار وتشبعوا بالمفاهيم والمثل العليا الثورية ويعتبرون في نفوسهم كل تراجع ضرباً من السفالة والخساسة . ان الخطر الاكبر يكمن في مخالفة النظام ، والمهمة الكبرى في صيانة النظام .

والآن اين العقدة ؟ ان هذه العقدة – وهذا ما اريد ان اسوق اليه تقريري واضع خلاصته – ان العقدة ليست في السياسة ، بمعنى تغيير الاتجاه ؛ وهذا ما يتحدثون عنه بكثرة لا تصدق لمناسبة السياسة الاقتصادية الجديدة . وكل هذا يقولونه عبثاً . وهذه ثرثرة ضارة للغاية . ولمناسبة السياسة الاقتصادية الجديدة ، شرعوا يتحركون ، ويعيدون بناء الدوائر ، ويؤسسون الدوائر الجديدة . هذه ثرثرة ضارة للغاية . لقد خلصنا الى ان عقدة الوضع في الناس ، في اختيار الناس . وهذا يصعب فهمه على الثوري الذي اعتاد النضال ضد الشؤون الصغيرة ، ضد الادعاء بالثقافة . ولكننا توصلنا الى وضع يجب تقديره بالمعنى السياسي بصفاء ذهن ، – فقد تقدمنا بعيداً الى حد اننا لا نستطيع ان نحتفظ بجميع المواقع ولا ينبغي لنا ان نحتفظ بها .

ان تحسن وضعنا على الصعيد العالمي في هذه السنوات الاخيرة هائل جداً . فلقد ظفرنا بنموذج الدولة السوفييتي ، – وهذه خطوة تخطوها البشرية قاطبة الى امام ، والاممية الشيوعية تؤكد لنا هذا كل يوم بمعلومات من جميع البلدان . ولا ظل لشك عند احد . ولكن المسألة على صعيد النشاط العملي هي على النحو التالي : اذا لم يستطع الشيوعيون ان يمدوا يد المساعدة العملية الى جماهير الفلاحين ، فان جماهير الفلاحين لن تدعمهم . ان مركز الانتباه ليس في التشريع ، في اصدار افضل المراسيم ، الخ . . لقد مرت عندنا مرحلة كانت المراسيم فيها شكلاً للدعاية . وقد ضحكوا منا وقالوا ان البلاشفة لا يفهمون ان مراسيمهم لا تنفذ ؛ ان صحافة الحرس الابيض مليئة كلها بالتهكمات في هذا الصدد ؛ ولكن هذه المرحلة كانت مشروعة ، عندما أخذ البلاشفة السلطة وقالوا للفلاح العادي ، للعامل العادي : هكذا نود لو تدار الدولة ، اليك مرسوماً ، فجرّب . ولقد اعطينا العامل البسيط والفلاح البسيط ، دفعة واحدة ، تصوراتنا

عن السياسة بشكل مراسيم . وكانت النتيجة اننا ظفرنا بتلك الثقة الكبرى التي تمتعنا بها ولا نزال نتمتع بها بين الجماهير الشعبية . كان ذلك زمناً ضرورياً ، كانت تلك مرحلة ضرورية في بداية الثورة ، ولولاها ، لما سرنا في مقدمة الموجة الثورية ، بل في مؤخرتها . ولولاها ، لما كسبنا ثقة جميع العمال والفلاحين الذين ارادوا ان يبنوا الحياة على اسس جديدة . ولكن هذه المرحلة تصرمت ، وهذا ما لا نريد ان نفهمه . والآن سيضحك العمال والفلاحون عندما تصدر الاوامر ببناء او باعادة تنظيم هذه الدائرة او تلك . فالآن ، لن يهتم العامل البسيط والفلاح البسيط بهذا ، وهما على حق ، لأن مركز الثقل لا يقوم هنا . والآن ، يجب عليك ، انت الشيوعي ، ان تذهب الى الشعب بغير هذا . صحيح اننا ، نحن الجالسين في دوائر الدولة ، غارقون دائماً في مثل هذه الصغائر ، ولكنه لا ينبغي التمسك بهذه الحلقة ، وليست العقدة هنا ؛ فالعقدة تقوم في كون الناس موزعين على المناصب بصورة غير صحيحة ، وفي كون الشيوعي المسؤول الذي اجتاز الثورة كلها بصورة ممتازة ، مكلف بقضية تجارية صناعية لا يفقه منها شيئاً ويحول دون رؤية الحقيقة لأن الجشعين والمحتالين يتخفون وراء ظهره بصورة ممتازة . والمشكلة انه لا وجود عندنا للتحقق العملي مما تم فعله . وهذه مهمة عادية ، صغيرة ، هذه من صغائر الامور ، ولكننا نعيش بعد اعظم انقلاب سياسي ، وفي احوال ينبغي لنا فيها ان نعيش بعض الوقت وسط النموذج الرأسمالي ؛ ان عقدة الوضع كله ليست في السياسة ، بمعنى الكلمة الضيق (ان ما يتناوله الكلام في الجرائد ، انما هو قرقعة سياسية ، ولا شيء اشتراكياً هنا) ، ان عقدة الوضع كله ليست في القرارات ولا في الدوائر ولا في اعادة التنظيم . وبما ان هذه ضرورية لنا ، فاننا سنفعلها ، ولكن لا تعرضوا هذا على الشعب ، بل اختاروا الناس اللازمين وتحققوا من التنفيذ العملي ، — وسيقدر الشعب هذا .

ومع ذلك ، نحن بين جماهير الشعب قطرة في بحر ، ولا نتمكن من الادارة الا متى عبرنا بشكل صحيح عما يدركه الشعب . وبدون هذا ، لن يقود الحزب الشيوعي البروليتاريا ، ولن تقود البروليتاريا الجماهير وراءها ، فتتفكك الآلة كلها . والآن لا يرى الشعب وجميع الجماهير الكادحة الامر الاساسي بالنسبة لها الا في مد يد العون الفعلي للعوز اليائس والجوع الضاري وفي تبيان ان التحسين الذي يحتاج اليه الفلاح والذي تعوّد عليه يجري فعلاً . فان الفلاح يعرف السوق ويعرف التجارة . ولم يكن في وسعنا ان نطبق التوزيع الشيوعي المباشر . فلهذا الغرض لم تكن تكفي المصانع ولا التجهيزات من اجل المصانع . وفي هذه الحال ، ينبغي الاعطاء بواسطة التجارة ، ولكنه يجب الاعطاء بصورة ليست اسوأ من الصورة التي كان يعطي بها الرأسمالي ، وإلا ، فان الشعب لن يطيق ادارة كهذه . وهنا كل عقدة الوضع . واذا لم يقع اي شيء غير متوقع ، فينبغي ان يصبح هذا عقدة كل عملنا في عام ١٩٢٢ ، بثلاثة شروط .

اولا ، شرط ألا يحدث تدخل مسلح . نحن نفعل كل شيء بواسطة ديبلوماسيتنا لكي نتحاشى التدخل المسلح ، ومع ذلك ، فهو محتمل الحدوث كل يوم . ينبغي لنا ان نكون فعلا على أتم اليقظة والاستعداد وينبغي لنا في صالح الجيش الاحمر ان نقدم على تضحيات جسيمة معينة ، محددين ، طبعاً ، مقاييس هذه التضحيات بكل دقة . فنحن نواجه كل عالم البرجوازية التي تبذل قصارى جهدها لايجاد الاشكال لأجل خنقنا . وما مناشفتنا واشتراكيونا-الثوريون غير عملاء لهذه البرجوازية . وهذا هو وضعهم السياسي .

الشرط الثاني : اذا لم تأت الازمة المالية مفرطة القوة . فهي تزحف . وعنها ستسمعون في مسألة السياسة المالية . فاذا جاءت مفرطة القوة والارهاق ، ترتب علينا اعادة بناء الكثير من جديد ، وتوجيه جميع القوى نحو امر واحد . واذا لم تأت مفرطة الارهاق ،

فقد تكون حتى نافعة ، اذ تطهر الشيوعيين من شتى تروستات الدولة . انما سيتعين فقط ألا ننسى القيام بهذا . ان الازمـــة المالية تنفض الدوائر والمؤسسات نفضاً ، وغير الصالحة منها تنهار في المقام الاول . انما سيتعين فقط ألا ننسى ان نحول دون ان يلقوا الذنب كلـه على عاتق الاختصاصيين ، دون ان يقولوا ان الشيوعيين المسؤولين طيبون جداً ، وانهم حاربوا في الجبهات ، وعملوا دائماً بصورة جيدة . وهكذا اذا لم تأت الازمة المالية مرهقة بشكل لا يطاق ، غدا من الممكن استخلاص فائدة منها والتطهير بغير الطريقة التي تطهر بها لجنة الرقابة المركزية او لجنة التحقيق المركزية (١٦١) ، بل تطهير جميع الشيوعيين المسؤولين في الدوائر الاقتصادية كما ينبغي .

والشرط الثالث ، هو عدم اقتراف الاخطاء السياسية في هذا الوقت . فاذا اقترفنا اخطاء سياسية ، تكسرت آنذاك ، بالطبـــع ، اجنحة البناء الاقتصادي كله ، وترتب آنذاك الانصراف الى خوض المجادلات بشأن الاصلاح والتوجيه . ولكن اذا لم تقع مثل هذه الاخطاء المؤسفة ، فان العقدة في المستقبـــل القريب لن تكون في السياسة ، بمعنى هذه الكلمة الضيـــق ، ولا في الدوائر ، ولا في تنظيمها ، – فهذه القضية سيهتمون بها قدر الاقتضاء في اوساط الشيوعيين المسؤولين وفي المؤسسات السوفييتية ، – فان العقدة بالنسبة للعمل كله ستكون في اختيار الناس وفي التثبت من التنفيذ . واذا تعلمنا عملياً في هذا المضمار ، وحققنا فائدة عملية ، فاننا سنتغلب آنذاك من جديد على جميع المصاعب .

وختاماً يجب ان ألمس الجانب العملي من مسألة هيئاتنـــا السوفييتية ، الدوائر العليا ، وعلاقات الحزب بها . لقد نشأت عندنا علاقة غير صحيحة بين الحزب والدوائر السوفييتية ، وعندنا في هذا الصدد اجماع تام . ولقد بينت بمثال واحد كيف يرفعون كل قضية تافهة ملموسة الى المكتب السياسي . من الصعب جداً الخروج شكلاً

من هذا الوضع ، لأن حزباً حكومياً واحداً وحيداً يحكم عندنا ، فلا يمكن منع عضو الحزب من التشكي . ولهذا يسحبون كل شيء من مجلس مفوضي الشعب ويرفعونه الى المكتب السياسي . وهنا كان كذلك ذنبي الكبير ، لأني كنت احتفظ شخصياً بكثرة من الصلات بين مجلس مفوضي الشعب والمكتب السياسي . وعندما تأتى لي ان انصرف عن العمل ، تبين ان الدولابين الاثنين لا يعملان ، وترتب على كامينيف ان يقوم بعمل ثلاثي لأجل الاحتفاظ بهذه الصلات . وبما انه من المشكوك فيه ان اعود الى العمل في القريب العاجل ، فان جميع الآمال ستعلق على وجود نائبين آخرين الآن هما الرفيق تسوروبا الذي طهره الالمان والرفيق ريكوف الذي طهره الالمان تطهيراً رائعاً تماماً . ويبدو ان غليوم ذاته ، الامبراطور الالماني ، قد نفعنا ، وهذا ما لم اكن اتوقعه . فقد كان عنده طبيب جراح ، وهذا الطبيب عالج الرفيق ريكوف فقطع له اسوأ جزء وابقى هذا الجزء في المانيا . وابقى له خير جزء وارسل الينا هذا الجزء من الرفيق ريكوف مطهراً تماماً . واذا استمر العمل بهذا الاسلوب مستقبلا ، فان ذلك سيكون حسناً تماماً .

ولكن لا نمزحنّ بصدد التوجيهات الاساسية . فالاتفاق تام في هذه المسألة ، في اللجنة المركزية ، وآمل ان يتناول المؤتمر هذه المسألة بقدر كبير من الانتباه ويصادق على التوجيهات بمعنى انه ينبغي تحرير المكتب السياسي واللجنة المركزية من صغائر الامور ورفع مستوى عمل الموظفين المسؤولين . ينبغي ان يكون مفوضو الشعب مسؤولين عن اعمالهم ، لا ان يتوجهوا اولا الى مجلس مفوضي الشعب ، ثم الى المكتب السياسي . نحن ، من حيث الشكـــل ، لا نستطيع ان نلغي حق تقديم الشكاوى الى اللجنة المركزية ، لأن حزبنا هو الحزب الحكومي الوحيد . هنا يجب قطع دابر كل مراجعة في صغائر الامور ، ولكنه يجب رفع مكانة مجلس مفوضي الشعب لكي

يشترك فيه مفوضو الشعب على نطاق اكبر ، لا نوابهم ، يجب تغيير طابع عمل مجلس مفوضي الشعب في الناحية التي لم اتوفق باجرائه فيها في السنة الاخيرة ، اي توجيه قدر اكبر بكثير من الانتباه لمراقبة التثبت من التنفيذ . وسيكون عندنا نائبان ايضاً هما ريكوف وتسوروبا . ان ريكوف ، عندما كان يعمل في «تشوسوسنابارم» (١٦٢) ، استطاع ان يحسن الامور ، فسارت الامور . وتسوروبا نظم عمل واحدة من خيرة مفوضيات الشعب . واذا اوليا معاً اقصى الانتباه لتحسين عمل مفوضيات الشعب من حيث التنفيذ والمسؤولية ، فاننا سنخطو هنا خطوة وإن صغيرة . عندنا ١٨ مفوضية للشعب ، ١٥ منها على الاقل غير صالحة ابداً ؛ ومن المستحيل ان نجد في كل مكان مفوضين للشعب صالحين ؛ ونرجو من الله ان يولي الناس هذا الامر المزيد من الانتباه . فيجب ان يكون الرفيق ريكوف عضو مكتب اللجنة المركزية وعضو هيئة رئاسة اللجنة التنفيذية المركزية لعامـــة روسيا ، لانه يجب ان تقوم صلة بين هاتين المؤسستين ، لأنه بدون هذه الصلة تسير الدواليب الاساسية احياناً بلا نتيجة .

ونظراً لهذا ، ينبغي ايلاء الانتباه من اجل تقليل عدد لجان مجلس مفوضي الشعب ومجلس العمل والدفاع ، من اجل ان يعرفا ويحلا شؤونهما الخاصة ، فلا يبعثرا قواهما في عدد لا نهاية له من اللجان . في الايام الاخيرة ، جرى تطهير اللجان . عدّوا ١٢٠ لجنة . ولكن كم لجنة كانت ضرورية؟ ١٦٩ لجنة . وهذا ليس التطهير الاول . انهم يتسترون باللجان بدلاً من ان يتحملوا مسؤولية عملهم ، وبدلاً من ان يتخذ مجلس مفوضي الشعب قراراً ، وبدلاً من ان يعرفوا انهم مسؤولون عن هذا . لقد اختلط الحابل بالنابل في اللجان ، وما احد يفهم شيئاً او يعرف من هو المسؤول ؛ لقد تشابك كل شيء واختلط ؛ وفي آخر المطاف ، يصدر قرار يعلن الجميع مسؤولين .

ونظراً لهذا تجب الاشارة الى انه من الضروري توسيع وتطوير

نشاط «ايكوسو» (١٦٣) في المقاطعات ومبادرتها الذاتية . فان تقسيم روسيا الى مقاطعات محقق عندنا الآن على اسس علمية ، مع حسبان الحساب للاحوال الاقتصادية والمناخية والمعيشية ، وشروط الحصول على الوقود ، واوضاع الصناعة المحلية ، الخ . . واستناداً الى هذا التقسيم انشئت المداولات الاقتصادية على صعيد النواحي والمقاطعات . يقيناً انه ستجري تصليحات جزئية ، ولكنه ينبغي رفع مكانة هذه المداولات الاقتصادية .

ثم يجب التوصل الى ان تعمل اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا بمزيد من الحزم والعزم ، وان تجتمع على نحو صحيح في دوراتها التي ينبغي ان تكون أطول . وينبغي ان تبحث الدورات مشاريع القوانين ، التي تحال احياناً بتسرع الى مجلس مفوضي الشعب دون حاجة ماسّة . ومن الافضل التأجيل وافساح المجال امام العاملين المحليين للتفكير بانتباه وامعان ، والتشدد في مطالبة واضعي القوانين ، الامر الذي لا يتحقق عندنا .

واذا غدت دورات اللجنة التنفيذية لعامة روسيا اطول ، انقسمت الى فروع ولجان ثانوية واستطاعت ان تتثبت من العمل بمزيد من الدقة ، فتتوصل بالتالي الى ما يشكل ، برأيي ، كل عقدة ، كل جوهر الظرف السياسي الراهن ، إلا وهو نقل مركز الثقل الى اختيار الافراد ، الى التثبت من التنفيذ العملي .

يجب ان ندرك وألا نخشى ان ندرك ان الشيوعيين المسؤولين مكلفون ، في ٩٩ حالة من كل ١٠٠ ، بالامور التي لا يصلحون لها الآن ، وانهم لا يعرفون كيف يسيّرون امورهم ، وانه ينبغي عليهم الآن ان يتعلموا . فاذا اعترفنا بهذا ، وما دامت تتوافر لنا الامكانية الكافية لكي نتعلم ، — والحال ، يبدو من الوضع الدولي العام ان الوقت سيكفينا لكي نتعلم ، — فانه ينبغي علينا ان نفعل هذا باي ثمن كان . (**تصفيق عاصف .**)

صدرت التقارير الصحفية في ٢٨ آذار (مارس) عام ١٩٢٢ في جريدة «ازفيستيا فتسيك» ، العدد ٧٠ ، وفي ٢٨ و٢٩ آذار في جريدة «البرافدا» ، العددان ٧٠ و٧١

المجلد ٤٥ ، ص ص ٦٩–١١٦

لمناسبة مرور عشر سنوات
على صدور «البرافدا»

مرت عشر سنوات على تأسيس الجريدة اليومية البلشفية العلنية «البرافدا» ، العلنية من وجهة نظر القوانين **القيصرية** . وقد انصرمت قبل هذه السنوات العشر حوالى عشر سنوات اخرى : تسع سنوات (١٩٠٣–١٩١٢) اذا حسبنا منذ نشوء البلشفية ، وثلاث عشرة سنة (١٩٠٠–١٩١٢) اذا حسبنا منذ تأسيس «الايسكرا» القديمة (١٩٠٠) التي كانت «بلشفية» تماماً من حيث اتجاهها .

الاحتفال بالذكرى العاشرة لجريدة بلشفية يومية تصدر في روسيا . . . لم تنصرم منذ ذلك الحين غير عشر سنوات ! ولكنها من حيث مضمون النضال والحركة تعادل مئة سنة . ان سرعة التطور الاجتماعي خلال السنوات الخمس الاخيرة هي والحق يقال سرعة خارقة اذا قسنا بالمقاييس القديمة ، بمقاييس التافهين الضيقي الافق الاوروبيين من امثال ابطال الاميتين الثانية والثانية والنصف ، بمقاييس هؤلاء التافهين الضيقي الافق المتمدنين الذين يرون من «الطبيعي» ان يوافق مئات الملايين من الناس (اكثر من مليار اذا اردنا الدقة) في المستعمرات والبلدان شبه التابعة والفقيرة جداً على احتمال معاملتهم كما يعامل الهنود والصينيون ، على احتمال الاستثمار المنقطع النظير والنهب الصريح والجوع والعسف والسخرية ، على احتمال كل هذا لا لشيء غير اتاحة الفرصة للناس «المتمدنين» لكي

يقروا بصورة «حرة» و«ديموقراطية» و«برلمانية» قضية ما اذا كانوا سيقتسمون الغنيمة بصورة سلمية او انهم سيقتلون عشرة ملايين او عشرات الملايين بغية تقسيم الغنيمة الامبريالية ، بالامس بين المانيا وانجلترا وفي الغد بين اليابان واميركا (باشتراك فرنسا وانجلترا لهذا الحد او ذاك) .

ان السبب الرئيسي لتسارع التطور العالمي لهذه الدرجة الكبرى هو انجرار مئات ومئات ملايين جديدة من الناس الى لجة هذا التطور . فاوروبا البرجوازية والامبريالية الهرمة التي اعتادت ان تعتبر نفسها غرة الارض قد تقيحت وانفجرت في المجزرة الامبريالية الاولى انفجار دملة متفسخة . وكيفما تباكى بهذا الصدد اضراب شبينغلر والمستعدون للاعجاب به (او على الاقل للانصراف اليه) من المتعلمين التافهين الضيقي الافق ، فان انحطاط اوروبا الهرمة هذا ليس الا واقعاً من وقائع انحطاط البرجوازية العالمية التي اصيبت بالتخمة من النهب الامبريالي ومن ظلم اكثرية سكان الارض .

لقد استيقظت هذه الاكثرية الآن وانتظمتها حركة تعجز عن وقفها اقوى دول الارض واكثرها «جبروتا» . هيهات هيهات ! ان «المنتصرين» الحاليين في المجزرة الامبريالية الاولى ليس في طاقتهم ان ينتصروا حتى على بلد صغير ، صغير جداً كارلنده ، ليس في طاقتهم ان يتغلبوا حتى على ذلك التشويش الذى نشأ بينهم بالذات في الشؤون المالية وشؤون العملة . والغليان يشمل الهند والصين . وفي هذين البلدين اكثر من ٧٠٠ مليون نسمة ، اي ما يؤلف بالاضافة الى البلدان الآسيوية المجاورة والتي تشبههما كل الشبه اكثر من نصف سكان الكرة الارضية . في هذه البلدان تتقدم سنة ١٩٠٥ ، تتقدم بسرعة متزايدة واندفاع لا مرد له ، ولكن مع فارق كبير وجوهري يتلخص في واقع ان ثورة ١٩٠٥ في روسيا كان بامكانها (في البداية على الاقل) ان تجري بصورة منعزلة ، اي بدون ان تجتذب

على التو الى الثورة بلداناً اخرى . اما الثورتان المتعاظمتان في الهند وفي الصين فهما منذ الآن تنجذبان وقد انجذبتا الى النضال الثوري ، الى الحركة الثورية ، الى الثورة العالمية .

ان الاحتفال بالذكرى العاشرة لصدور «البرافدا» البلشفية العلنية اليومية يظهر لنا بجلاء مرحلة من مراحل التسارع الهائل للثورة العالمية العظمى . فقد بدا في سنتي ١٩٠٦-١٩٠٧ ان القيصرية حطمت الثورة تحطيماً كاملاً . وبعد بضع سنوات استطاع الحزب البلشفي ان يتقدم - **بشكل آخر وبطريقة اخرى** - في حصن العدو وان يشرع بصورة يومية «علنية» بتفجير الحكم المطلق القيصري الاقطاعي اللعين من داخله . ولم تمض بضع سنوات أخرى حتى انتصرت الثورة البروليتارية التي نظمتها البلشفية .

حينما تأسست «الايسكرا» القديمة في سنة ١٩٠٠ ، اشترك في ذلك قرابة عشرة من الثوريين . وحينما انبثقت البلشفية اشترك بذلك في المؤتمر السري المنعقد في بروكسل ولندن سنة ١٩٠٣ قرابة اربعين من الثوريين (١٦٤) .

وحينما انبثقت «البرافدا» ، البلشفية العلنية في سنتي ١٩١٢-١٩١٣ ، ساندها عشرات ومئات الالوف من العمال ، وانتصروا بالكوبيكات التي تبرعوا بها على ظلم القيصرية وعلى منافسة خونة الاشتراكية صغار البرجوازيين ، على منافسة المناشفة .

وفي تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٧ ، صوت للبلاشفة اثناء انتخابات الجمعية التأسيسية (١٦٥) ٩ ملايين من ٣٦ مليونا . والواقع انه في اواخر تشرين الاول (اكتوبر) وفي نوفمبر سنة ١٩١٧ ، كانت تساند البلاشفة لا في التصويت ، بل في الكفاح **اكثرية** البروليتاريا والفلاحين الواعين ممثلة في اكثرية المندوبين للمؤتمر الثاني للسوفييتات في عامة روسيا ، ممثلة في اكثرية القسم الاكثر نشاطاً ووعياً من الشعب الكادح ، ونعني الجيش الذي كان يتألف آنذاك من اثني عشر مليونا .

هذه صورة صغيرة بالارقام عن «تسارع» الحركة الثورية العالمية خلال العقدين الاخيرين من السنين . انها صورة صغيرة جداً وناقصة جداً تعطي بالخطوط العريضة تاريخ شعب واحد يعد مئة وخمسين مليوناً وحسب ، هذا في حين انه بدأت خلال العقدين الاخيرين من السنين وصارت الى قوة لا تقهر ثورة في بلدان يرتفع عدد سكانها الى مليار نسمة واكثر (آسيا من اقصاها الى اقصاها ، وينبغي الا تغيب عن بالنا افريقيا الجنوبية التي ذكّرت منذ قريب برغبتها في ان تكون من **الناس** ، لا من العبيد والتي اختارت لهذه الذكرى طريقة ليست «برلمانية» تماماً) .

واذا ما ظهر «اولاد شبينغلر» ، ونرجو ان يغفر لنا التعبير ، واستنتجوا مما قلناه (كل الحماقات امر متوقع من «العقلاء» زعماء الاميتين الثانية والثانية والنصف) ان هذا الحساب ينفي من القوى الثورية البروليتاريا الاوروبية والاميركية فنحن نجيب : ان تفكير الزعماء «العقلاء» المذكورين يتجه بهم على الدوام على نحو يجعلهم يستنتجون من انتظار ولادة طفل بعد مرور تسعة اشهر على الحمل انه يمكن بالتالي معرفة ساعة ودقيقة الوضع ووضعية المولود اثناء ولادته وحالة الوالدة اثناء الوضع ومبلغ الآلام والاخطار التي سيعانيها المولود والوالدة . اناس «عقلاء» ! لا يخطر لهم ببال ابداً ان الانتقال من الشارتية (١٦٦) الى اضراب هندرسون من الذين يحنون الرؤوس امام البرجوازية كالعبيد ، او من فارلان الى رينوديل ، او من ولهلم ليبكنخت وبيل الى زوديكوم وشيدمان ونوسكه ليس من وجهة نظر تطور الثورة العالمية ، الا بمثابة «انتقال» سيارة **من** طريق سهل املس يمتد مئات الفراسخ **الى** حفرة قذرة من الوحل العفن تقع على الطريق نفسه ولا يزيد طولها على اذرع .

ان الناس يصنعون تاريخهم بانفسهـــم . بيد ان الشارتيين وامثال فارلان وليبكنخت يصنعونه برؤوسهم وقلوبهم . اما زعماء الاميتين الثانية والثانية والنصف ، فـ«يصنعون»ه باجزاء اخرى من اجسامهم : انهم يسمدون التربة لظهور رعيل جديد من الشارتيين وامثال فارلان وليبكنخت .

ان مخادعة النفس ضرر بالغ بالنسبة للثوريين في هذا الظرف الراهن . صحيح ان البلشفية غدت قوة اممية وان الرعيل الجديد من الشارتيين ومن امثال فارلان وليبكنخت قد ولد في جميع البلدان المتمدنة والراقية وهو ينمو بشكل احزاب شيوعية علنية (كما كانت جريدتنا «البرافدا» علنية منذ عشر سنوات في عهد القيصرية) ، إلا ان البرجوازية العالمية ما تزال حتى الآن اقوى بما لا يقاس من خصمها الطبقي . وهذه البرجوازية التي فعلت كل ما في طاقتها لاعاقة ولادة السلطة البروليتارية في روسيا ولمضاعفة اخطار وآلام الوضع ، ما تزال قادرة على ان تعرض للعذابـــات والموت الملايين وعشرات الملايين من الناس عن طريـــق حروب يشنهـــا الحرس الابيض والامبرياليون ، الخ . . ولا ينبغي لنا ان ننسى ذلك . وينبغي لنا ان نكيف خطتنـــا بمهارة طبقاً لوضـــع الامور الراهن . ما تزال البرجوازية قادرة على ان تضني وتعذب وتقتل بحرية . ولكنها لا تقدر على ايقاف البروليتاريا الثورية وانتصارها الكامل المحتوم الذى اصبح قريباً جداً من وجهة نظر التاريخ العالمي .

٢-٥-١٩٢٢ .

«البرافدا» ، العدد ٩٨ ، ٥ ايار (مايو) ١٩٢٢

المجلد ٤٥ ، ص ص ١٧٣-١٧٧

السنوات الخمس من الثورة في روسيا وآفاق الثورة العالمية

تقرير في المؤتمر الرابع للكومنترن في ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٢ (١٦٧)

(القاعة كلها تستقبل الرفيق لينين بتصفيقات وهتافات عاصفة تستمر زمناً طويلا . الجميع يقفون وينشدون نشيد «الاممية» .) ايها الرفاق ! لقد ورد اسمي في لائحة الخطباء بصفتي المقرر الرئيسي ، ولكنكم تدركون اني لا استطيع ، بعد مرضي الطويل ، تقديم تقرير كبير . ليس في وسعي ان اعطي غير مقدمة لأهم القضايا . ان موضوعي سيكون محدوداً جداً . فان موضوع «السنوات الخمس من الثورة في روسيا وآفاق الثورة العالمية» لعلى درجة بالغة من السعة والكبر بحيث لا يستطيع ، على العموم ، خطيب واحد ان يستنفده في خطاب واحد . ولهذا لا آخذ لنفسي سوى قسم غير كبير من هذا الموضوع ، الا وهو مسألة «السياسة الاقتصادية الجديدة» . وانا قصداً وعمداً لا آخذ سوى هذا القسم الصغير لكي اطلعكم على هذه المسألة التي غدت الآن المسألة الأهم ، الاهم بالنسبة لي ، على الاقل ، لأني انكب عليها الآن .

وهكذا ، سأتكلم واقول كيف بدأنا السياسة الاقتصادية الجديدة ، واي نتائج احرزنا بواسطة هذه السياسة . واذا اقتصرت على هذه المسألة ، فلربما أفلح في عرض لمحة عامة واعطاء فكرة عامة عن هذه المسألة .

اذا بدأت من كيف قررنا انتهاج السياسة الاقتصادية الجديدة ، ترتب عليّ ان اعود الى مقالة كتبتها في عام ١٩١٨ (١٦٨) . فى مستهل عام ١٩١٨ ، تطرقت بالضبط في مناظرة قصيرة الى المسألة التالية : اي موقف يجب ان نقفه من رأسمالية الدولة . وقد كتبت آنذاك :

«ان رأسمالية الدولة **خطوة الى الامام** بالنسبة للوضع الراهن (اي آنذاك) في جمهوريتنا السوفييتية . فاذا استقرت رأسمالية الدولة عندنا ، بعد ستة اشهر مثلاً ، كان هذا نجاحاً هائلاً وخير ضمانة بان الاشتراكية في بلادنا ستصبح الى الابد ، بعد سنة ، راسخة الاسس لا تقهر» .

لقد قيل هذا ، طبعاً ، عندما كنا اكثر غباوة مما نحن عليه الآن ، ولكننا لم نكن على درجة من الغباوة بحيث لا نعرف كيف نبحث قضايا كهذه .

وعليه ، كنت اتمسك في عام ١٩١٨ برأي مفاده ان رأسمالية الدولة كانت تمثل خطوة الى الامام بالنسبة لوضع الجمهورية السوفييتية الاقتصادي آنذاك . ان هذا الرأي يبدو غريباً جداً ولربما حتى اخرق لأن جمهوريتنا كانت ، حتى في ذلك الوقت ، جمهورية اشتراكية ؛ في ذلك الوقت ، كنا نتخذ كل يوم ، بأعظم التسرع ، — واغلب الظن بنافل التسرع — مختلف التدابير الاقتصادية الجديدة التي لا يمكن وصفها إلا بانها اشتراكية . ومع ذلك ، رأيت آنذاك ان رأسمالية الدولة تمثل خطوة الى الامام بالقياس الى وضع الجمهورية السوفييتية الاقتصادي آنذاك . وقد اوضحت هذه الفكرة بعد ذاك بمجرد تعداد عناصر النظام الاقتصادي في روسيا . كانت هذه العناصر ، برأيي ، العناصر التالية : «١ — الشكل البطريركي للزراعة ، اي الاكثر بدائية ؛ ٢ — الانتاج البضاعي الصغير (وهو يشمل كذلك معظم الفلاحين ممن يتاجرون بالحبوب) ؛ ٣ — الرأسمالية الخاصة ؛ ٤ — رأسمالية الدولة ، و٥ — الاشتراكية» . جميع هذه العناصر

الاقتصادية كانت ممثلة في روسيـــا آنذاك . وقد اخذت على عاتقي آنذاك ان اوضح النسبة بين هذه العناصر . ثم ، أولا ، يجدر تقدير احد العناصر غير الاشتراكية ، اي رأسمالية الدولة ، تقديراً اعلى من تقدير الاشتراكية . واكرر : ان هذا يبدو غريباً جداً للجميع ، اذ يقدر عنصر غير اشتراكي تقديراً اعلى ، ويعتبر في مرتبة اعلى من مرتبة الاشتراكية ، وذلك في جمهورية اعلنت نفسها جمهوريـــة اشتراكية . ولكن الامر يتضح اذا تذكرتم اننا لم نعتبر اطلاقاً النظام الاقتصادي في روسيا شيئاً متجانساً وعالي التطور ، بل ادركنا كامل الادراك ان لدينا في روسيا زراعة بطريركية ، اي ان لدينا الشكل الاكثر بدائية من اشكال الزراعة الى جانب الشكل الاشتراكي . فاي دور اذن كان في مستطاع رأسمالية الدولة ان تضطلع به في وضع كهذا ؟

ثم تساءلت : اي من هذه العناصر هو العنصر المهيمن ؟ واضح ان العنصر البرجوازي الصغير هو الذي يســـود في وسط برجوازي صغير . آنذاك ادركت ان العنصر البرجوازي الصغير هو الذي يهيمن ؛ وكان من المستحيل التفكير على نحو آخر . والسؤال الذي طرحته آنذاك على نفسي – وكان ذلك في مناظرة خاصة لا علاقة لها بالمسألة موضع بحثنا – كان السؤال التالي : ما هو موقفنا من رأسماليـــة الدولة ؟ وأجبت نفسي : ان رأسمالية الدولة تكون بالنسبة لنا ولروسيا شكلا اكثر ملاءمة من الشكل الحالي رغم انها ليست شكلا اشتراكياً . فما يعني هذا ؟ هذا يعني اننا لم نستعظـــم لا جنين الاقتصاد الاشتراكي ولا مبادئه رغم اننا قد قمنا بالثورة الاجتماعية ؛ وخلافاً لذلك ، ادركنا آنذاك الى درجة معينة وقلنا : اجل ، كان من الافضل لو اننا توصلنا اولاً الى رأسمالية الدولة ، ثم الى الاشتراكية .

ولا بدّ لي من ان اشير بخاصة الى هذا القسم لأني اعتقد انه لا يمكن ، اولاً ، توضيح ماهية السياسة الاقتصادية الحالية الا

انطلاقاً من هذا ، وانه يمكن ، ثانياً ، استخلاص استنتاجات عملية هامة جداً من هذا بالنسبة للاممية الشيوعية ايضاً . انا لا اريد ان اقول انه كانت لدينا خطة مهيأة سلفاً من اجل التراجع . فان هذا لم يكن . فان هذه الاسطر القصيرة في سياق المناظرة لم تكن آنذاك في اي حال من الاحوال خطة للتراجع . فليس ثمة هنا اي كلمة بصدد نقطة هامة جداً ، مثلا بصدد حرية التجارة التي تتسم باهمية اساسية بالنسبة لرأسمالية الدولة . ومع ذلك ، اعطى هذا فكرة عامة مبهمة عن التراجع . واعتقد انه يجب علينا ان ننتبه لهذا الامر ، ليس فقط من وجهة نظر بلد كان ولا يزال متأخراً جداً من حيث نظامه الاقتصادي ، بل ايضاً من وجهة نظر الاممية الشيوعية والبلدان الطليعية الاوروبية الغربية . نحن الآن ، مثلا ، منصرفون الى وضع برنامج . وانا شخصياً ارى ان خير ما نفعله هو ان نبحث الآن جميع البرامج بصورة عامة فقط ، او كما يقال ، من القراءة الاولى ، وان نحيلها للطبع ، ونصدر القرار النهائي بشأنها ، لا الآن ، لا في السنة الجارية . لماذا ؟ لانه من المشكوك فيه قبل كل شيء ، طبعاً ، كما اعتقد ، اننا احسنّا التفكير فيها جميعاً . ثم ايضاً لأننا لم نمعن الفكر اطلاقاً تقريباً في مسألة احتمال التراجع وتنظيم هذا التراجع . والحال ، ان هذه مسألة ينبغي لنا بالضرورة ان نوليها الانتباه نظراً لمثل هذه التغيرات الجذرية الطارئة في العالم كله كالاطاحة بالرأسمالية وبناء الاشتراكية مع كل ما يرافقه من مصاعب هائلة . ينبغي لنا لا ان نعرف وحسب كيف نعمل عندما ننتقل مباشرة الى الهجوم وننتصر . ففي الزمن الثوري ، ليس هذا صعباً بالقدر المظنون ، ولكنه ليس هاماً بالقدر المظنون ايضاً ، فليس هذا ، على كل حال ، العنصر الاحسم . ففي زمن الثورة ، تأتي دائماً لحظات يضيع فيها الخصم رأسه ، واذا ما هاجمناه في لحظة كهذه ، امكننا ان نحرز النصر بسهولة . بيد ان هذا لا يعني بعد شيئاً لأن خصمنا ،

اذا كان يملك ما يكفي من رباطة الجأش ، يستطيع ان يجمع سلفاً القوى وغير ذلك . ويستطيع بسهولة ان يستفزنا آنذاك للهجوم وان يقذفنـــا بعد ذاك سنوات عديدة الى الوراء . ولهذا اظن ان الفكرة القائلة انه ينبغي ان نهيئ لانفسنا امكانية التراجع ، تتسم باهمية كبيرة جداً ، وليس فقط من الوجهة النظرية . فمن الوجهة العملية ايضاً ينبغي الآن على جميع الاحزاب التي تستعد للانتقال في المستقبل القريب الى الهجوم المباشر على الرأسمالية ، ان تفكر الآن كذلك في كيف تؤمن لنفسها التراجع . واني اعتقد اننا اذا اخذنا هذا الدرس بعين الاعتبار الى جانب جميع الدروس الاخرى من تجربة ثورتنا ، فان ذلك لن يلحق بنا اي ضرر ، وليس هذا وحسب ، بل انه من المحتمل كثيراً جداً ان يعود علينا بالنفع في حالات عديدة .

بعد ما اشرت الى اننا اعتبرنا رأسمالية الدولة عام ١٩١٨ خطة ممكنة للتراجع ، انتقل الى نتائج سياستنا الاقتصادية الجديدة . اني اكرر : لقد كانت تلك فكرة غامضة جداً آنذاك ، ولكننا بعد مـــا اجتزنا في عام ١٩٢١ أهم مرحلة من الحرب الاهلية ، واجتزناهـــا مظفرين ، اصطدمنا بازمة سياسية داخلية كبيرة – واظنها اكبر ازمة في السياسة الداخلية – في روسيا السوفييتيـــة . وقد اظهرت هذه الازمة الداخلية الاستياء لا بين قسم مرموق من الفلاحين وحسب ، بل ايضاً بين العمال . وقد كانت تلك هي المرة الاولى ، – وآمل ان تكون الاخيرة في تاريخ روسيا السوفييتية ، – التي كانت فيها جماهير كبيرة من الفلاحين ضدنا ، لا عن وعي ، بل بصورة عفوية ، من حيث مزاجها . فما الذي استتبع هذا الوضع الفريد وغير المستطاب جداً بالنسبة لنا طبعاً ؟ كان السبب اننا تمادينا بعيداً جداً في اندفاعنا الى الامام في زحفنا الاقتصادي ، واننا لم نؤمن لانفسنا قاعدة كافية ، وان الجماهير شعرت بما لم نعرف بعد آنذاك كيف نصوغه صياغة واعية ، ولكننا نحن ايضاً اعترفنا به بعد فترة وجيزة ، بعد بضعة

اسابيع ، واعني به ان الانتقال المباشر الى الاشكال الاشتراكية الصرف ، الى التوزيع الاشتراكي الصرف هو فوق قوانا الحالية ، وان الهلاك يتهددنا اذا ظهرنا عاجزين عن اجراء التراجع بحيث نقتصر على مهام أخف . لقد بدأت الازمة ، كما يبدو لي ، في شباط (فبراير) ١٩٢١ . وفي ربيع السنة نفسها ، قررنا بالاجماع – ولم أرَ عندنا خلافات كبيرة في هذا الصدد – الانتقال الى السياسة الاقتصادية الجديدة . والآن بعد انقضاء سنة ونصف السنة ، اي في اواخر ١٩٢٢ ، بمقدورنا ان نجري بعض المقارنات . ما الذي حدث ؟ كيف عشنا هذه المدة التي تزيد على سنة ونصف السنة ؟ ما هي النتيجة ؟ أعاد علينا هذا التراجع بالنفع وانقذنا فعلاً ام ان النتيجة لا تزال غير واضحة ؟ هذا هو السؤال الرئيسي الذي اطرحه على نفسي واظن ان هذا السؤال الرئيسي يرتدي كذلك أهمية من الدرجة الاولى بالنسبة لجميع الاحزاب الشيوعية ، لأنه لو جاء الجواب سلبياً عن هذا السؤال ، لحكم علينا جميعاً بالهلاك . واظن ان في وسعنا جميعاً ان نجيب بضمير مطمئن عن هذا السؤال بالتأكيد ، اي بالضبط بمعنى ان السنة ونصف السنة الماضيين يبينان بايجاب واطلاق اننا نجحنا في هذا الامتحان .

وانى احاول الآن ان أثبت هذا . لهذا الغرض يجب ان اعدد بايجاز جميع الاجزاء التي تكوّن اقتصادنا .

قبل كل شيء ، اتناول نظامنا المالي والروبل الروسي الشهير . اني اعتقد انه يمكن اعتبار الروبل الروسي شهيراً وان على الاقل لأن كمية هذه الروبلات تربو الآن على مليون مليار مليار . (**ضحك .**) هذا شيء . هذا رقم فلكي . اني واثق بان ليس الجميع هنا يعرفون ما يعنيه هذا الرقم . (**ضحك عام .**) ولكننا لا نعتبر ، حتى من وجهة نظر العلم الاقتصادي ، ان هذه الارقام مفرطة الاهمية ، لأنه يمكن شطب الاصفار . (**ضحك .**) ونحن في هذا الفن الذي لا يتسم كذلك

اطلاقاً باي اهمية من وجهة النظر الاقتصادية بلغنا بعض الشيء ، وانا واثق باننا سنبلغ في هذا الفن الكثير ايضاً في سياق سير الامور لاحقاً . اما المهم فعلا ، فهو مسألة استقرار الروبل . وعلى هذه المسألة نعمل وتعمل خيرة قوانا ، وهذه المهمة نوليها اهمية حاسمة . فاذا توفقنا وأثبتنا الروبل لمدة طويلة وفيما بعد على الدوام ، فهذا يعني اننا كسبنا . وفي هذه الحال لن تعني شيئاً جميع هذه الارقام الفلكية ، جميع هذه الآلاف والملايين من المليارات . وفي هذه الحال يصبح في مستطاعنا ان نضع اقتصادنا في تربة راسخة ونطوره لاحقاً على تربة راسخة . وفي هذه المسألة اعتقد ان في مقدوري ان اقدم لكم وقائع هامة وفاصلة نسبياً . في عام ١٩٢١ ، دامت مرحلة ثبات سعر الروبل الورقي اقل من ثلاثة اشهر . وفي عام ١٩٢٢ الجاري ، رغم انه لم ينته بعد ، دامت هذه المرحلة اكثر من خمسة اشهر . اني اظن ان هذا يكفي . يقيناً انه لا يكفي اذا اردتم منا دليلا علمياً على اننا سنحل هذه المشكلة حلا كاملا في المستقبل . ولكن تقديم الدليل التام والكامل على هذا هو ، برأيي ، امر مستحيل على العموم . ان المعطيات التي اوردها تثبت اننا تعلمنا السير الى امام منذ السنة الماضية ، عندما بدأنا سياستنا الاقتصادية الجديدة ، حتى ايامنا الحاضرة . واذا كنا تعلمنا هذا ، فانا واثق باننا سنتعلم في المستقبل ايضاً كيف نحرز في هذا السبيل نجاحات لاحقة ، هذا اذا لم نقترف غباوة خاصة ما . ولكن الأهم انما هو التجارة ، وبالضبط التداول التجاري الضروري لنا . واذا كنا قد افلحنا في التجارة خلال سنتين ، رغم اننا كنا في حالة حرب (لأن فلاديفوستوك ، كما تعرفون ، لم نسترجعها إلا منذ بضعة اسابيع) ، رغم اننا نستطيع الآن فقط ان نبدأ بتنظيم نشاطنا الاقتصادي بدأب وانتظام كليين ، — واذا كنا مع ذلك قد وصلنا الى كون مرحلة استقرار الروبل الورقي قد ارتفعت من ثلاثة اشهر الى خمسة ، فاني اظن اني

استطيع القول بان في مقدورنا ان نكون مرتاحين لهذه النتيجة . ذلك اننا نقف وحدنا . فنحن لم نحصل ولا نحصل على اي قروض . ان واحدة من الدول الرأسمالية القوية التي تنظم اقتصادها الرأسمالي بشكل «باهر» لا تعرف معه حتى الآن الى اين تمضي ، لم تساعدنا . وبصلح فرساي انشأت نظاماً مالياً لا تتفهمه هي ذاتها . واذا كانت هذه الدول الرأسمالية الكبيرة تدير الاقتصاد على هذا النحو ، فاني اظن ان في مستطاعنا نحن المتأخرين وغير المتعلمين ان نكون مرتاحين ولو لكوننا ادركنا الامر الأهم : لقد ادركنا شروط استقرار الروبل . وهذا لا يثبته تحليل نظري ما ، بل يثبتـــه النشاط العملي ، والنشاط العملي هو ، كما اعتبر ، أهم من جميع المناقشات النظرية في الدنيا . ان النشاط العملي يبين اننا احرزنا هنا نتائج فاصلة واعني بها اننا بدأنا نسيّر الاقتصاد في اتجاه استقرار الروبل ، الامر الذى يتسم باعظم الاهمية بالنسبة للتجارة ، بالنسبة للتداول التجاري الحـر ، بالنسبـة للفلاحين وللسواد الاعظـم مـن صغار المنتجين .

والآن انتقل الى اهدافنا الاجتماعية . ان الرئيسي ، الأهم ، هو الفلاحون بالطبع . في عام ١٩٢١ ، واجهنا بكل تأكيد استياء قسم هائل من الفلاحين . ثم واجهنا المجاعة . وكان ذلك يعني اصعب محنة بالنسبة للفلاحين . ومن الطبيعي تماماً ان صاح آنذاك جميع من هم خارج حدودنا : «اليكم ، انظروا ، هذه هي نتائج الاقتصاد الاشتراكي» . وطبيعي تماماً ، ويقيناً انهم لزموا الصمت حول ان المجاعة كانت بالفعل نتيجة فظيعة للحرب الاهلية . ان جميع الملاكين العقاريين وجميع الرأسماليين الذين بدأوا الهجوم علينـــا في عام ١٩١٨ ، قد صوروا الامر وكأن المجاعة نتيجة للاقتصاد الاشتراكي . لقد كانت المجاعة فعلا مصيبة كبيرة وجدية ، مصيبة هددت بالقضاء على كل عملنا التنظيمي والثوري .

وهكذا اتساءل الآن : بعد هذه المصيبة غير المتوقعة والتي لا سابق لها ، ما هو الحال الآن ، بعد ان طبقنا السياسة الاقتصادية الجديدة ، بعد ان منحنا الفلاحين حرية التجارة ؟ الجواب واضح وجلي للجميع ، وهو : ان الفلاحين لم يتغلبوا على المجاعة في بحر سنة واحدة وحسب ، بل دفعوا الضريبة العينية بمقادير من الكبر بحيث اننا حصلنا الآن على مئات الملايين من البودات ، مع العلم اننا حصلنا عليها دون اللجوء تقريباً الى اي من تدابير الاكراه . ان الانتفاضات الفلاحية التي كانت سابقاً ، قبل عام ١٩٢١ ، تشكل ، كما يقال ، ظاهرة عامة في روسيا ، قد زالت كلياً تقريباً . فالفلاحون راضون بوضعهم الحالي . وهذا ما نستطيع ان نؤكده باطمئنان . نحن نعتبر ان هذه الادلة أهم من اي ادلة احصائية . اما ان الفلاحين هم العنصر الحاسم عندنا ، فهذا ما لا يشك فيه احد . وهؤلاء الفلاحون هم الآن في حالة لا يتأتى لنا فيها ان نخشى من جانبهم اي حركة ضدنا . ونحن نقول هذا عن ادراك تام ، دون مبالغة . ان هذا قد تحقق . من الممكن ان يستاء الفلاحون من هذا الجانب او ذاك من عمل سلطتنا ، ومن الممكن ان يتذمروا ويشتكوا من ذلك . هذا بالطبع امر ممكن ومحتم لأن جهازنا واقتصاد دولتنا لا يزالان على درجة بالغة من الرداءة بحيث يستحيل درء هذا ، ولكنه من المستبعد اطلاقاً ، في كل حال من الاحوال ، وجود استياء جدي منا ، ايّاً كان ، بين عموم الفلاحين . وقد تحقق هذا في بحر سنة واحدة . واظن ان مجرد هذا كثير جداً .

ثم انتقل الى الصناعة الخفيفة . ينبغي لنا على وجه الضبط ان نميز في الصناعة بين الصناعة الثقيلة والصناعة الخفيفة لأنهما تختلفان من حيث الوضع . ففيما يخص الصناعة الخفيفة ، استطيع القول باطمئنان : هنا يلاحَظ نهوض عام . انا لن اخوض في التفاصيل . ولا يدخل في مهمتي ايراد المعطيات الاحصائية . ولكن هذا الانطباع العام مبني على الوقائع ، وفي وسعي ان أضمن بانه لا يرتكز على اي شيء

غير صحيح او غير دقيق . ونحن نلاحظ نهوضاً عاماً في الصناعة الخفيفة يرافقه تحسن معين في وضع عمال بتروغراد وموسكو على السواء . اما في المناطق الاخرى فان هذا يلاحظ بدرجة اقل ، لأن الصناعة الثقيلة هي المهيمنة هناك ، وهكذا لا يجوز تعميم هذا . ومع ذلك ، اكرر ان الصناعة الخفيفة تمر بنهوض اكيد وان تحسن وضع عمال بتروغراد وموسكو امر لا ريب فيه . في هاتين المدينتين ، ظهر الاستياء بين العمال في ربيع ١٩٢١ . اما الآن فلا وجود لهذا اطلاقاً ، ونحن الذين نتتبع يوماً بعد يوم وضع العمال ومزاجهم ، لا نخطئ في هذه المسألة .

المسألة الثالثة تتعلق بالصناعة الثقيلة . هنا يجب ان اقول ان الوضع لا يزال مع ذلك صعباً . لقد جرى انعطاف معين في هذا الوضع في ١٩٢١-١٩٢٢ . وهكذا يمكننا ان نأمل بتحسن الوضع في المستقبل القريب . ولهذا الغرض جمعنا جزئياً الموارد الضرورية . ان تحسين وضع الصناعة الثقيلة في بلد رأسمالي يتطلب قرضاً بمئات الملايين وبدونها يستحيل التحسين . ان تاريخ البلدان الرأسمالية الاقتصادي يبين ان القروض الطويلة الأجل بمئات الملايين من الدولارات او من الروبلات الذهبية هي وحدها التي يمكنها ان تكون وسيلة لانهاض الصناعة الثقيلة في البلدان المتخلفة . هذه القروض لم تكن عندنا ، وحتى الآن لم نحصل على شيء . ما يكتبونه الآن عن الامتيازات وخلافها لا يمثل شيئاً تقريباً غير الورق . وعن هذا كتبنا نحن الكثير في الآونة الاخيرة وخاصة كذلك عن امتياز اوركارت (١٦٩) . ولكن سياستنا بشأن الامتيازات تبدو لي حسنة جداً . بيد اننا ، رغم هذا ، ليس عندنا بعد امتياز رابح . وارجو ألا يغيب هذا عن البال . وعليه ، يمثل وضع الصناعة الثقيلة فعلاً مسألة صعبة جداً بالنسبة لبلدنا المتأخر ، لأننا لم نتمكن من الاعتماد على اخذ القروض من البلدان الغنية . ورغم هذا ، نراقب تحسناً ملحوظاً ثم

نرى ان نشاطنا التجاري قد جلب لنا بعض الرأسمال . صحيح انه لا يزال بسيطاً جداً ، اكثر من عشرين مليون روبل ذهبي بقليل . على كل حال ، أرسيت البداية ، فان تجارتنا تدر علينا اموالاً نستطيع استغلالها لانهاض الصناعة الثقيلة . وفي الوقت الحاضر ، لا تزال صناعتنا الثقيلة تجد نفسها على كل حال في وضع صعب جداً . ولكني اظن ان الشيء الحاسم هو انه صار في مقدورنا ان نوفر مبلغاً ما . وهذا ما سنفعله في المستقبل ايضاً . ينبغي لنا الآن ان نوفر رغم ان هذا يتحقق غالباً على حساب السكان . نحن نعمل الآن من اجل تخفيض ميزانية دولتنا ، من اجل اختصار جهاز دولتنا . وفيما بعد سأقول ايضاً بضع كلمات عن جهاز دولتنا . ينبغي لنا ، على كل حال ، ان نختصر جهاز دولتنا ، ينبغي لنا ان نوفر كل ما نستطيع . نحن نوفر في كل شيء ، حتى على حساب المدارس . وهكذا يجب ان يكون لأننا نعرف اننا لن نستطيع ان نبني اي صناعة اذا لم ننقذ الصناعة الثقيلة ، اذا لم نبعثها ، واننا بدون الصناعة سنهلك على العموم كبلد مستقل . وهذا نعرفه جيداً .

ان خلاص روسيا لا يقتصر على وفرة الغلـــة في الاقتصاد الفلاحي – فهذا لا يكفي بعد – ولا يقتصر على حسن وضع الصناعة الخفيفة التي تقدم للفلاحين سلع الاستهلاك – فهذا ايضاً لا يكفي بعد ، – انما نحن بحاجـــة ايضاً الى الصناعـــة **الثقيلة** . ولحسن تنظيمها ، لا بد من العمل بضع سنوات .

ان الصناعة الثقيلة تحتاج الى مخصصات الدولة . فاذا لم نجدها ، فاننا سنهلك كدولة متمدنة – وبالاحرى كدولة اشتراكية . وهكذا خطونا في هذا المضمار خطوة حاسمة . لقد بدأنا ندخر اموالاً ضرورية لوضع الصناعة الثقيلة على قدميها . صحيح ان المبلغ الذي حصلنا عليه حتى الآن يكاد لا يزيد عن عشرين مليون روبل ذهبي

ولكن هذا المبلغ موجود على كل حال ، وهو معد لانهاض صناعتنا الثقيلة فقط .

اني اعتقد اني عرضت عليكم بايجاز ، كما وعدت ، أهم عناصر اقتصادنا الوطني ، واعتقد انه يمكن من كل هذا استخلاص استنتاج مفاده ان السياسة الاقتصادية الجديدة قد عادت منذ الآن بفائدة . ولدينا الآن البرهان عن اننا كدولـــة قادرون على معاطاة التجارة ، والاحتفاظ لانفسنا بمواقع متينة في الزراعة والصناعة ، والسير الى امام . وهذا ما اثبته النشاط العملي . واني اعتقد ان هذا يكفينا الآن . وسيتأتى لنا ان نتعلم الكثير ايضاً ، ولقد فهمنا انه لا بدّ لنا بعد من ان نتعلم المزيد . نحن نقبض على زمام السلطة منذ خمس سنوات ، مع العلم اننا في هذه السنوات الخمس كلها كنا في حالة حرب . وهذا يعني اننا احرزنا نجاحاً .

وهذا مفهوم لأن الفلاحين كانوا معنا . ومن الصعب ان يكون احد معنا اكثر مما كان الفلاحون معنا . فقد فهم الفلاحون ان وراء البيض يقف الملاكون العقاريون الذين يكرههم الفلاحون أشد من يكرهون في الدنيا . ولهذا دعمنا الفلاحون بكل حماسة واخلاص . ولم يكن من الصعب التوصل الى ان يحمينا الفلاحون من البيض . ان الفلاحين الذين كانوا يكرهون الحرب سابقاً ، قد فعلوا كل ما يمكن من اجل الحرب ضد البيض ، من اجل الحرب الاهلية ضد الملاكين العقاريين . ومع ذلك ، لم يكن هذا كل شيء ، لأن الامر هنا كان ينحصر من حيث الجوهر في مسألة واحدة : أتبقى السلطة في ايدي الملاكين العقاريين ام في ايدي الفلاحين . كان هذا لا يكفينا . ان الفلاحين يفهمون اننا استولينا على السلطة من اجل العمال وان امامنا هدفاً هو انشاء النظام الاشتراكي بمساعدة هذه السلطة . ولهذا كان الأهم بالنسبة لنا اعداد الاقتصاد الاشتراكي من الناحية الاقتصادية . ولم يكن بوسعنا ان نعده بسبيل مباشر فاضطررنا الى اعداده بسبل ملتويـــة . ان

رأسمالية الدولة ، كما اقمناها عندنا ، هي ضرب فريد اصيل من رأسمالية الدولة . وهي لا تناسب المفهوم العادي عن رأسمالية الدولة . ففي ايدينا جميع المراكز العليا القيادية ، وفي ايدينا الارض ، والارض تخص الدولة . وهذا هام جداً ، رغم ان اخصامنا يصورون الامر كأن هذا لا يعني شيئاً . هذا غير صحيح . فواقع ان الارض تخص الدولة فائق الاهمية ، وهو كذلك على جانب كبير من الاهمية العملية في المضمار الاقتصادي . ولقد توصلنا الى هذا ، ويجب عليّ ان اقول ان كل نشاطنا اللاحق ينبغي له ايضاً ان يتطور ضمن هذا الاطار فقط . لقد توصلنا الى واقع ان فلاحينا راضون ، الى واقع ان الصناعة تنتعش والتجارة تنتعش . لقد سبق وقلت ان رأسمالية دولتنا تمتاز عن رأسمالية الدولة حسب مفهومها الحرفي بكوننا نملك في يد الدولة البروليتارية ، لا الارض وحسب ، بل ايضاً أهم فروع الصناعة جميعها . قبل كل شيء ، أجّرنا قسماً معيناً فقط من الصناعة الصغيرة والمتوسطة ، والباقي لا يزال كله في ايدينا . اما التجارة ، فاني اريد ان اشير ايضاً بصددها الى اننا نسعى وراء تأسيس شركات مختلطة ، واننا نؤسسها منذ حين ، اي نؤسس شركات يخص فيها قسم من الرأسمال رأسماليين خصوصيين ، فضلاً عن انهم اجانب ، بيننا القسم الآخر يخصنا نحن . اولاً ، بهذا السبيل نتعلم كيف نتاجر ، وهذا ضروري لنا ، وثانياً ، يكون في مستطاعنا دائماً ، اذا اعتبرنا ذلك ضرورياً ، ان نصفي شركات كهذه ، بحيث اننا ، كما يقال ، لا نخاطر بشيء . ونحن نتعلم من الرأسمالي الخصوصي ، ونحن ندرس بانتباه كيف نستطيع النهوض ، واي اخطاء نقترف . ويخيل اليّ ان في وسعي الاكتفاء بهذا .

واود لو اتطرق ايضاً الى بعض النقاط غير الهامة . لا ريب إننا ارتكبنا وسنرتكب جملة ضخمة من الحماقات . ان احداً لا يستطيع ان يحكم على هذا خيراً مني ويراه بجلاء خيراً مني .

(**ضحك .**) فلماذا نرتكب الحماقات ؟ هذا مفهوم : اولاً ، نحن بلد متأخر ، ثانياً ، التعليم في بلدنا بمستوى الحد الادنى ، ثالثاً ، نحن لا نلقى مساعدة من الخارج ؛ فان دولة واحدة من الدول المتمدنة لا تساعدنا . بل بالعكس . فان جميعها تعمل ضدنا . رابعاً ، بذنب من جهاز دولتنا . فقد اخذنا جهاز الدولة القديم ، وكانت تلك مصيبتنا . وكثيراً جداً ما يعمل جهاز الدولة ضدنا . فالحكاية ان جهاز الدولة قد قام باعمال تخريبية ضدنا في عام ١٩١٧ بعد استيلائنا على السلطة . آنذاك تملكنا خوف شديد وتوسلنا : «عودوا الينا ، من فضلكم» . فاذا بهم يعودون جميعهم ، وكانت تلك مصيبتنا . وعندنا الآن جماهير هائلة من المستخدمين ، ولكنه ليس لدينا ما يكفي من القوى المتعلمة لكي تأمرهم وتقودهم فعلا . وكثيراً جداً ما يحدث في الواقع ان يعمل الجهاز كيفما اتفق هنا ، في اعلى ، حيث نملك سلطة الدولة ، بينا في اسفل يتصرفون على هواهم ويتصرفون على نحو بحيث كثيراً جداً ما يعملون ضد تدابيرنا . في اعلى ، لدينا ، لا اعرف كم ، ولكني اعتقد انه ليس لدينا في كل حال غير بضعة آلاف ، والحد الاقصى بضع عشرات الآلاف من المخلصين لنا . ولكن في اسفل ، مئات الآلاف من الموظفين القدامى الذين تلقيناهم من القيصر ومن المجتمع البرجوازي يعملون ضدنا ، جزئياً عن وعي وجزئياً عن غير وعي . وهنا لن نفعل شيئاً في مدة قصيرة ، وهذا امر لا ريب فيه . هنا ينبغي لنا ان نعمل في سياق سنوات عديدة ، لكي نرقي الجهاز ونغيره ونجتذب قوى جديدة . وهذا ما نعمله بوتيرة سريعة نسبياً ، ولربما بوتيرة مفرطة السرعة . وقد تأسست المدارس السوفييتية ، والكليات العمالية ، وبضع مئات الآلاف من الشباب يتعلمون ، ولربما يتعلمون بسرعة مفرطة ، ولكن العمل بدأ على كل حال ، واني اعتقد ان هذا العمل سيؤتي أكله . واذا عملنا

بتسرع غير مفرط ، فسيكون لدينا بعد بضعة اعوام جمهور من الشباب القادرين على تغيير جهازنا من جذوره .

لقد قلت اننا ارتكبنا جملة هائلة من الحماقات ولكنه يجب عليّ ان اقول كذلك شيئاً في هذا الصدد عن اخصامنا ايضاً . اذا كان اخصامنا يشيرون الينا بالاصابع ويقولون ان لينين نفسه يعترف بان البلاشفة ارتكبوا جملة هائلة من الحماقات ، فاني اريد ان اجيب عن هذا : اجل ، ولكن أوتعرفون ان حماقاتنا هي مع ذلك من نوع يختلف تماماً عن نوع حماقاتكم . لقد بدأنا نتعلم للتو ، ولكننا نتعلم بدرجة من الدأب والانتظام بحيث اننا واثقون في اننا سنحرز نتائج طيبة . ولكن اذا اشار اخصامنا ، اي الرأسماليون وابطال الاممية الثانية الى الحماقات التي ارتكبناها ، فاني اسمح لنفسي بان اورد هنا ، على سبيل المقارنة ، اقوال كاتب روسي مشهور اعدلها بعض الشيء ، فتأتي كما يلي : اذا كان البلاشفة يرتكبون الحماقات ، فان البلشفي يقول : «اثنان باثنين – خمسة» ؛ ولكن اذا كان اخصامه ، اي الرأسماليون وابطال الاممية الثانية ، يرتكبون الحماقات ، فان ما يحصل عندهم هو التالي : «اثنان باثنين – شمعة» (١٧٠) . وليس من الصعب تقديم البرهان عن هذا . خذوا ، مثلا ، المعاهدة التي عقدتها اميركا وبريطانيـــا وفرنسا واليابان مع كولتشاك . اني اسألكم : هل وجدت في العالم دول اكثر تنوراً وجبروتاً ؟ وما الذي حصل ؟ لقد وعدت كولتشاك بالمساعدة دون ان تحسب ، ولا ان تفكر ، ولا ان تراقب . وكان ذلك افلاساً من الصعب ، برأيي ، حتى فهمه من وجهة نظر الفكر البشري .

او خذوا مثلا آخر ، أقرب وأهم : صلح فرساي . اني اسألكم : ماذا فعلت هنا الدول «الكبرى» «المكللة باكاليـــل المجد» ؟ كيف يمكنها ان تجد الآن مخرجاً من هذه الفوضى وهذا المحال ؟ اني اعتقد اني لن ابالغ اذا كررت ان حماقاتنا ليست شيئاً بالمقارنة مع الحماقات التي ترتكبها الدول الرأسمالية والعالم الرأسمالي والاممية

الثانية سوية . ولهذا اظن ان آفاق الثورة العالمية – الموضوع الذي يجب ان اتناوله بايجاز – ملائمة . وبشرط معين واحد ، اعتقد انها ستتحسن . وعن هذه الشروط اود لو اقول بضع كلمات .

في عام ١٩٢١ ، اتخذنـــا قراراً في المؤتمر الثالث للكومنترن (للاممية الشيوعية) حول بناء الاحزاب الشيوعية التنظيمي وحول طرائق عملها ومضمونه (١٧١) . القرار رائع ، ولكنه روسي من اوله الى آخره تقريباً ، اي ان كل شيء فيه مأخوذ من الظروف الروسية . وهنا جانبه الطيب ، ولكنه السيئ كذلك . السيئ لأنني على اقتناع بان اي اجنبي تقريباً لا يستطيع قراءته – فانا اعدت قراءة هذا القرار من جديد قبل ان اقول هذا . اولاً ، انه مفرط في الطول ، وهو يشتمل على ٥٠ فقرة او اكثر . ان مثل هذه الاشياء لا يستطيع الاجانب عادة ان يقرأوها . ثانياً ، وحتى اذا قرأه الاجانب ، فان احداً منهم لن يفهمه ، للسبب التالي على وجه الضبط وهو انه روسي بافراط . لا لأنه مكتوب بالروسية ، – فهو مترجم ترجمة رائعة الى جميع اللغات – بل لأنه مفعم من اوله الى آخره بالروح الروسية . وثالثاً ، اذا فهمه اجنبي ما ، من باب الاستثناء ، فانه لن يستطيع تنفيذه . وهذا هو عيبه الثالث . لقد تحادثت مع بعض المندوبين الذين جاؤوا الى هنا وآمل في مجرى المؤتمر لاحقاً ، وان لم اشترك فيه شخصياً – فهذا ، مع الأسف ، مستحيل عليّ – ان اتحدث بالتفصيل مع عدد كبير من المندوبين من مختلف البلدان . وقد نشأ في نفسي انطباع مفاده اننا اقترفنا خطأ كبيراً بهذا القرار ، واعني به اننا قطعنا بانفسنا الطريق امام انفسنا الى النجاح اللاحق . ان القرار ، كما سبق وقلت ، مكتوب بروعة ، واني لأوقع امضائي تحت جميع فقراته الخمسين او اكثر . ولكننا لم نفهم كيف نقترب من الاجانب بتجربتنا الروسية . ان كل ما قيل في القرار بقي حرفاً ميتاً . ولكننا اذا لم نفهم هذا ، فاننا لن نتمكن من السير الى ابعد . اني اظن ان الأهم بالنسبة لنا جميعاً ،

سواء بالنسبة للرفاق الروس ام بالنسبة للرفاق الاجانب ، انه يجب علينا ان نتعلم بعد مرور خمس سنوات على الثورة في روسيا . والآن فقط توافرت لنا امكانية التعلم . انا لا اعرف كم من الوقت ستدوم هذه الامكانيـــة . انا لا اعرف كم من الوقت ستتيح لنا الدول الرأسمالية فرصة التعلم بهدوء واطمئنان . ولكن كل لحظة حرة من النشاط الحربي ، من الحرب ، انما يترتب علينا ان نستغلها من اجل الدراسة ، والدراسة من البدء .

ان الحزب كله وجميع فئات روسيا تثبت ذلك بتعطشها الى المعرفة . ان هذا الطموح الى التعلم يبين ان أهم مهمة بالنسبة لنا الآن هي ان نتعلـــم . ولكنه ينبغي على الرفاق الاجانب ايضاً ان يتعلموا ، لا بمعنى كيف يجب علينا نحن ان نتعلم : القراءة والكتابة وفهم المقروء ، الامر الذي لا نزال بحاجة اليه . ويتناقشون فيما اذا كان هذا من باب الثقافة البروليتارية ام من باب الثقافة البرجوازية ؟ اني اترك هذا السؤال معلقاً . على كل حال ، لا ريب في انه مـــن الضروري لنا قبل كل شيء ان نتعلم القراءة والكتابة وفهم المقروء . وهذا لا يحتاجه الاجانب . فهم يحتاجون الى شيء اعلى : والمقصود هنا قبل كل شيء انه يجب ان يفهموا كذلك ما كتبناه عن بناء الاحزاب الشيوعية التنظيمي وما وقعه الرفاق الاجانب دون قراءة ولا فهم . فيجب ان يصبح هذا مهمتهم الاولى . ومن الضروري وضع هذا القرار موضع التنفيذ . وهذا لا يمكن فعله في ليلة واحدة ، هذا مستحيل اطلاقاً . ان القرار روسي بافراط : فهو يعكس التجربة الروسية ولهذا كان غير مفهوم اطلاقاً للاجانب ، ولا يمكنهم ان يكتفوا ويرضوا بتعليقه في الزاوية كايقونة وبالصلاة امامه . بهذا يستحيل بلوغ اي شيء . يجب عليهم ان يتقبلوا قسماً من التجربة الروسية . اما كيف يجري هذا ، فلا اعرفه . ربما يقدم لنا خدمة كبرى ، مثلا ، الفاشيون في ايطاليا بكونهم يوضحون للايطاليين انهم غير منوّرين

بعد كفاية وان بلدهم لا يزال بعد غير مضمون دون المائة السود (١٧٢) . لعل هذا سيكون نافعاً جداً . ونحن الروس يتعين علينا ان نبحث كذلك عن السبل لكي نوضح للاحزاب اسس هذا القرار . وإلا فانهم عاجزون اطلاقاً عن تنفيذ هذا القرار . اني مقتنع بانه يجب علينا في هذا الصدد ان نقول ، لا للرفاق الروس وحسب بل للرفاق الاجانب ايضاً ، ان الأهم في المرحلة التي تحل الآن هو التعلم . اننا نتعلم بالمعنى العام . اما هم فيجب عليهم ان يتعلموا بمعنى خاص لكي يستوعبوا فعلاً تنظيم العمل الثوري وبناءه وطرائقه ومضمونه . واذا تحقق هذا ، فان آفاق الثورة العالمية ، كما انا مقتنع ، لن تكون طيبة وحسب ، بل ستكون ايضاً ممتازة . (**تصفيق عاصف يستمر وقتاً طويلا . هتافات** :« عاش رفيقنـــا لينين !» **تستتبع تصفيقات عاصفة جديدة .**)

« البرافدا » ، العدد ٢٥٨ ، ١٥ تشريـــن الثاني (نوفمبر) ١٩٢٢

المجلد ٤٥ ، ص‌ص ٢٧٨ـ٢٩٤

١

رسالة الى المؤتمر (١٧٣)

اني لأنصح جداً باجراء جملة من التعديلات في نظامنا السياسي في هذا المؤتمر .

واريد ان اشاطركم الاعتبارات التي اراها أهم الاعتبارات .

في المقام الاول ، اطرح زيادة عدد اعضاء اللجنة المركزية حتى بضع عشرات ، بل حتى مئة . واعتقد ان اخطاراً كبيرة قد تهدد لجنتنا المركزية فيما اذا كان مجرى الاحداث غير ملائم كلياً لنا (وهذا ما لا يمكننا التعويل عليه) ، – فيما اذا لم نقم باصلاح كهذا .

ثم اني افكر بان اقترح على المؤتمر اضفاء الطابع التشريعي ، بشروط معينة ، على قرارات الغوسبلان (لجنة الدولة للتخطيط) ، وفي هذا الصدد نستجيب لرأي الرفيق تروتسكي الى درجة معينة وبشروط معينة .

اما فيما يخص النقطة الاولى ، اي زيادة عدد اعضاء اللجنة المركزية ، فاني اعتقد ان امراً كهذا ضروري سواء من اجل رفع هيبة اللجنة المركزية ام من اجل العمل الجدي لتحسين جهازنا ام لدرء احتمال اكتساب نزاعات اقسام غير كبيرة من اللجنة المركزية اهمية مبالغ فيها بالنسبة لجميع مصائر الحزب .

واني اظن ان من حق حزبنا ان يطلب من الطبقة العاملـــــة ٥٠–١٠٠ عضو للجنة المركزية وان حزبنا يستطيع ان يحصل منها عليهم دون توتر خارق العادة في قواها .

ان اصلاحاً كهذا من شأنه ان يزيد كثيراً متانة حزبنا ويسهل عليه النضال في وسط الدول المعادية ، هذا النضال الذي يمكن له ولا بدّ له ، برأيي ، ان يتأزم بشدة في السنوات القريبة القادمة . ويبدو لي ان متانة حزبنا من شأنها ان تكسب الف مرة بفضل تدبير كهذا .

لينين

٢٣-١٢-١٩٢٢
تسجيل م . ف .

٢

مواصلة المذكرات
٢٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٢

بمتانة اللجنة المركزية ، التي تحدثت عنها اعلاه ، اقصد التدابير ضد الانشقاق بقدر ما يمكن على العموم اتخاذ تدابير كهذه . لأن عضو الحرس الابيض الذي كتب في «روسكايا ميسل» (١٧٤) (كان هذا ، على ما يبدو ، س . س . اولدنبورغ) كان ، طبعاً ، على حق عندما عوّل ، اولاً ، في لعبتهم ضد روسيا السوفييتية ، على الانشقاق في حزبنا ، وعندما عوّل ، ثانياً ، على الخلافات الجدية في حزبنا من اجل هذا الانشقاق .

ان حزبنا يعتمد على طبقتين ولهذا كان تقلقله ممكناً وسقوطه محتماً اذا استحال قيام التفاهم بين هاتين الطبقتين . وفي هذه الحال ، لا جدوى من اتخاذ هذه التدابير او تلك ، ومن المحاكمة على العموم بصدد متانة لجنتنا المركزية . فان اية تدابير في هذه الحال لن تكون قادرة على درء الانشقاق . ولكني آمل بان هذا مستقبل بعيد كل البعد وحدث مستحيل كل الاستحالة بحيث لا يجدر التحدث عنه .

اني اقصد المتانة بوصفها ضمانة دون الانشقاق في الوقت القريب القادم ، واعتزم ان احلل هنا جملة من الاعتبارات الخاصة بالاشخاص على وجه الحصر .

اني اعتقد ان عضوين من اللجنة المركزية واعني بهما ستالين وتروتسكي هما ، من وجهة النظر هذه ، النقطة الاساسية في مسألة المتانة . فالعلاقات بينهما ، برأيي ، تشكل اكثر من نصف خطر ذلك الانشقاق الذي يمكن اجتنابه والذي لا بدّ ، برأيي ، لزيادة عدد اعضاء اللجنة المركزيـــة حتى ٥٠ شخصاً ، حتى ١٠٠ شخص ، ان تؤمن ، فيما تؤمن ، اجتنابه .

ان الرفيق ستالين ، الذي اصبح امينا عاماً ، قد حصر في يديه سلطة لا حدّ لها ، وانا لست على ثقة في انه سيعرف على الدوام كيف يستعمل هذه السلطة بما يكفي من الاحتراس . ومن جهة اخرى ، لا يتميز الرفيق تروتسكي بكفاءات بارزة وحسب ، كما برهن على ذلك نضاله ضد اللجنـــة المركزية بصدد مسألة مفوضية الشعب لطرق المواصلات . ولعله شخصياً اكفأ رجل في اللجنة المركزية الحالية ، ولكنه كذلك تستحوذ عليه الى ما لا حد له الغطرسة والولوع الذي لا حد له بالجانب الاداري الصرف من العمل .

وبمقدور هاتين الصفتين في زعيمي اللجنة المركزية الحالية البارزين ان تفضيا عن غير عمد الى الانشقاق ؛ واذا لم يتخذ حزبنا التدابير للحيلولة دون هذا ، فقد يحدث الانشقاق فجأة .

انا لن اصف سائر اعضاء اللجنة المركزية من حيث صفاتهم الشخصية . انما اذكر فقط ان تصرف زينوفييف وكامينيف (١٧٥) في تشرين الاول لم يكن بالطبع من باب الصدفة . ولكنه قلما يمكن كذلك القاء جريرته عليهما شخصياً كما قلما يمكن القاء جريرة اللابلشفية على تروتسكي .

ومن بين اعضاء اللجنة المركزية الشباب ، اريد ان اقول بضع كلمات عن بوخارين وبياتاكوف . انهما ، برأيي ، ابرز قوتين (بين افتى القوى) ، وبصددهما يجب ألا يغيب عن البال الامر التالي : ان بوخارين ليس نظرياً من اثمن واكبر نظريي الحزب وحسب ، بل يعتبر كذلك عن حق محبوب الحزب كله ، ولكنه ببالغ الشك يمكن اعتبار مفاهيمه النظرية مفاهيم ماركسية تماماً لأنه ينطوي على شيء ما كلامي (فهو لم يتعلـــم بانتظام قط واظن انه لم يفهـــم قط الديالكتيك فهماً تاماً) .

٢٥-١٢ . ثم بياتاكوف - انه انسان لا ريب في ارادته الفذة وكفاءاته الفذة ، ولكنه يهوى الادارة والجانب الاداري من العمل بافراط الى حد انه يستحيل الاعتماد عليه في مسألة سياسية جدية .

وطبيعي اني لم ابد هذه الملاحظة وتلك على السواء الا انطلاقا مما هو عليه الحال فى الظرف الحاضر ، وتحوطا لاحتمال ان هذين المناضلين البارزين والمخلصين لن يجدا الفرصة لاكمال معارفهما واصلاح ما لديهما من تضخم فى بعض جوانبهما المحدودة .

لينين

٢٥-١٢-١٩٢٢
تسجيل م . ف .

اضافة الى الرسالة
بتاريخ ٢٤ كانون الاول ١٩٢٢

ان ستالين مفرط في الفظاظة ، وهذه النقيصـــة التي يمكن احتمالها تماماً في بيئتنا نحن الشيوعيين وفي الاتصالات فيما بيننا ، تصبح امراً غير محتمل في منصب الامين العام . ولهذا اقترح على الرفاق ان يفكروا في اسلوب لنقل ستالين من هذا المنصب وتعيين شخص

آخر لهذا المنصب يمتاز من جميع النواحي الاخرى عن الرفيق ستالين بمزية واحدة فقط ، هي ان يكون اكثر تسامحاً ، واكثر ولاء ، واوفر لطفاً ، واشد انتباهاً للرفاق ، واقـــل تقلباً في الاهواء ، الخ . . هذا الاعتبار قد يبدو امراً تافهاً لا يؤبه له . ولكني اعتقد ان هذا ليس بالامر التافه من وجهة نظر درء الانشقاق ومن وجهة نظر ما كتبته سابقاً عن العلاقات بين ستالين وتروتسكي ، او ان هذا امر تافه ولكنه قد يكتسب اهمية فاصلة .

لينين

تسجيل ل . ف .
٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٣

٣

مواصلة المذكرات
٢٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٢

ان زيادة عدد اعضاء اللجنة المركزية حتى ٥٠ شخصاً او حتى ١٠٠ شخص انما ينبغي لها ، برأيي ، ان تخدم هدفاً مزدوجاً وحتى ثلاثياً : فبقدر ما يزداد عدد اعضاء اللجنة المركزية ، يزداد تعليم العمل الخاص باللجنة المركزية وتقل مخاطر الانشقاق بسبب من عدم احتراس ما . ان اشراك عدد كبير من العمال في اللجنة المركزيـــة سيساعد العمال على تحسين جهازنا الرديء جداً . فهو ، من حيث جوهر الامر ، موروث عندنا من النظام القديم لأنه كان من المستحيل اطلاقاً تحويله في مثل هذه الفترة القصيرة وخاصة في زمن الحرب ، في زمن المجاعة ، الخ . . ولهذا يمكن الجواب بهدوء على اولئك «النقاد» الذين يعرضون علينا بابتسامات السخرية او بخبث وشر اشارات الى عيوب جهازنا ، بان هؤلاء القوم لا يفهمون اطلاقاً ظروف الثورة العصرية .

فمن المستحيـــل على العموم في خمس سنوات تحويل الجهاز بصورة كافية ، وخاصة في الظروف التي جرت فيها الثورة عندنا . يكفي اذا كنا في خمس سنوات قد انشأنا نموذجاً جديداً من الدولة يسير فيه العمال امام الفلاحين ضد البرجوازية ، وهذا ما يشكل عملاً عملاقاً في ظروف وضع دولي معاد . ولكن ادراك هذا يجب في كل حال مـــن الاحوال ألا يخفي عنّا واقع اننا ، من حيث جوهر الامر ، اخذنا الجهاز القديم من القيصر ومن البرجوازية وانه ، مع حلول السلام وتأمين الحد الادنى من الحاجات ضد المجاعة ، يجب الآن توجيه العمل كله نحو تحسين الجهاز .

اني اتصور المسألة على نحو يستطيع معه بضع عشرات من العمال يدخلون في قوام اللجنة المركزية ان يقوموا خيراً من اي آخر بالتثبت من جهازنا وتحسينه واعادة بنائه . ان هيئة التفتيش العمالي الفلاحي التي اوليت هذه الوظيفة في البدء ، ظهرت عاجزة عن ادائها ولا يمكن استعمالها الا «ذيلا» او معاونة ، بشروط معينة ، لاعضاء اللجنة المركزية هؤلاء . والعمال الذين يدخلون اللجنة المركزية ، انما يجب ان يكونوا في الاغلب ، برأيي ، لا من عداد العمال الذين مروا بخدمة طويلة في الهيئات السوفييتية (وفي هذا القســـم مـــن رسالتي ، اصنف الفلاحين ايضاً في كل مكان في عداد العمال) ، لأنه تكونت لدى هؤلاء العمال تقاليد معينة وآراء مسبقة معينة من المرغوب فيه النضال ضدها على وجه الضبط .

في عداد العمال اعضاء اللجنة المركزية ، يجب ان يدخل في الاغلب عمال يقفون ادنى من تلك الفئة التي تقدمت عندنا خلال خمس سنوات الى عداد موظفي الهيئات السوفييتية ، ويكونون اقرب الى عداد العمال والفلاحين العاديين ، ولكنهم لا يقعون مباشرة او بصورة غير مباشرة في صف المستثمِرين . اني اعتقد ان عمالا كهؤلاء يحضرون جميع جلسات اللجنة المركزية ، جميع جلسات المكتب السياسي ،

ويطالعون جميع وثائق اللجنة المركزية ، يمكنهم ان يشكلوا ملاكاً من الانصار المخلصين للنظام السوفييتي والقادرين ، اولا ، على اضفاء المتانة على اللجنة المركزية نفسها والقادرين ، ثانياً ، على العمل حقاً وفعلا على تجديد الجهاز وتحسينه .

لينين

تسجيل ل . ف .
٢٦-١٢-١٩٢٢

صدر لاول مرة عام ١٩٥٦ في مجلة «كومونيست» ، العدد ٩ المجلد ٤٥ ، ص‌ص ٣٤٣-٣٤٨

مواصلة المذكرات
٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٢

حول مسألة القوميات او «الحكم الذاتي» (١٧٦)

يخيل الي اني اقترفت ذنباً كبيراً جداً امام عمال روسيا لأني لم اتدخل بما يكفي من النشاط وبما يكفي من الشدة في مسألة الحكم الذاتي (١٧٧) السيئة الذكر ، المسألة التي تسمى رسمياً ، على ما احسب ، بمسألة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية .

في الصيف ، حين انبثاق هذه المسألة ، كنت مريضاً ؛ وبعد ذلك ، في الخريف ، عقدت آمالاً جساماً على شفائي وعلى دورتي تشرين الاول (اكتوبر) وكانون الاول (ديسمبر) اعتقاداً مني انهما ستتيحان لي فرصة التدخل في هذه المسألة (١٧٨) . غير انه لم يتح لي ان احضر لا دورة تشرين الاول (اكتوبر) (حول هذه المسألة) ولا دورة كانون الاول (ديسمبر) ، وعلى هذه الصورة ضاعت مني بصورة تكاد تكون تامة فرصة تناول هذه المسألة .

كل ما تسنى لي ان افعل هو محادثة مع الرفيق دزرجينسكي الذي عاد من القفقاس وحدثني عن وضع هذه المسألة في جورجيا . وتسنى لي كذلك ان اتبادل عبارتين مع الرفيق زينوفييف وان اعرب له عن مخاوفي بصدد هذه المسألة . ومما بلغني اياه الرفيق دزرجينسكي الذي كان على رأس اللجنة التي اوفدتها اللجنة المركزية بقصد «التحقيق» في حادث جورجيا ، لم يمكن ان اخرج الا باكبر المخاوف . فما دامت الامور قد بلغت حداً اخرج اورجونيكيدزه عن طوره حتى

استخدم العنف الجسدي كما بلغني الرفيق دزرجينسكي ، يمكننا ان نتصور الى اي درك هوينا . يبدو ان فكرة «الحكم الذاتي» كانت فكرة مغلوطة من اساسها وفي غير اوانها .

يقال ان الامور تطلبت وحدة الجهاز الاداري . من اين انبثقت هذه المزاعم ؟ أليس منشؤها جهاز روسيا نفسه الذي سبق لي ان قلت في عدد سابق من اعداد مذكراتي اننا اقتبسناه عن القيصرية واننا لم نفعل اكثر من مسحه بعض الشيء بالميرون السوفييتي .

ليس من شك في انه كان ينبغي لنا ان نتريث في هذا التدبير حتى نصبح قادرين على القول ان جهازنا هو جهازنا وانه في عهدتنا . والآن يتوجب علينا ، اذا وضعنا ايدينا على قلوبنا ، ان نقول العكس وان الجهاز الذي نقول انه جهازنا ما يزال في حقيقة الامر غريباً عنا في اعماقه ، ما يزال خليطـاً برجوازياً وقيصرياً لم يكن بالامكان تغييره بوجه من الوجوه في غضون خمس سنوات وفي حالة انعدام المساعدة من البلدان الاخرى وتفوق «المشاغل» العسكرية ومكافحة المجاعة .

من الطبيعي تماماً في هذه الظروف ان تظهر «حرية الخروج من الاتحاد» التي نبرر انفسنا بها مجرد ورقة ليس في طاقتها ان تدفع عن رعايا روسيا من ابناء الاقوام غير الروسية غزو ذلك الروسي القح ، ابن الامة الروسية العظمى ، غزو ذلك الشوفيني الذي هو في الجوهر سافـل ومعتد ، واعني البيروقراطي الروسي النموذجي . وليس من شك في ان النسبـة الضئيلة من العمال السوفييتيين والمصبوغين بالصبغـة السوفييتيـة ستغرق في بحر الاوباش الشوفينيين الروس كالبرغوث في اللبنية .

يقولون في الدفاع عن هذا التدبير انهم خصصوا لهذا الغرض مفوضيات شعب تهتم مباشرة بالحالات النفسية القومية وبالتثقيف القومي . غير انه ينبثق هنا السؤال التالي : هل يمكننا ان نخصص

مفوضيات الشعب هذه بصورة تامة ، والسؤال الثاني : هل اتخذنا بما يكفي من الاهتمام التدابير كي ندفع فعلاً عن ابناء الاقوام الاخرى شر درجيموردا الروسي (١٧٩) القح ؟ اعتقد اننا لم نتخـــذ هذه التدابير ، مع انه كان يمكننا ، بل كان من واجبنا اتخاذها .

اظن ان عجلة ستالين وشغفه باصدار الاوامر الادارية وكذلك نقمته على «الاشتراكية القومية» السيئة الطالع قد كانت هنا عامل النحس . والنقمة تلعب عادة اردأ دور في السياسة .

واخشى كذلك ان يكون الرفيق دزرجينسكي الذي سافر الى القفقاس للتحقيق في «جرائم» هؤلاء «الاشتراكيين القوميين» لم يبرز في هذا الامر الا بمزاجه الروسي الصرف (والمعروف ان المتروسين من ابناء القوميات الاخرى يزايدون على الدوام فيما يتعلق بالنفسية الروسية الصرف) ، وان «تشغيل اورجونيكيدزه للأيدي» يصف نزاهة لجنته . واني اظن انه ليس من استفزاز ، وحتى ليس من اهانة يمكنها ان تكون مبرراً لتشغيل الأيدي الروسي هذا ، وان الرفيق دزرجينسكي قد وقع في افحش الخطأ ما دام لم ينظر لهذا التشغيل للأيدي نظرة جد .

لقد كان اورجونيكيدزه سلطة حيال جميع المواطنين الآخرين في القفقاس . وليس لاورجونيكيدزه اي حق بذلك الانفعال الذي تعلل هو ودزرجينسكي به . بالعكس ، لقد كان اورجونيكيدزه ملزماً بأن يظهر من متانة الاعصاب ما لا يطلب من اي مواطن عادي ولا سيما من مواطن متهم باقتراف جريمة «سياسية» . واذا ما تكلمنا في الجوهر فان الاشتراكيين القوميين هم مواطنون متهمون باقتراف جريمـــة سياسية ، وظرف الاتهام بأكمله لا يسمح بوصفها وصفاً آخر .

ينبثق هنا سؤال مبدئي هام : كيف ينبغي لنا ان نفهم الاممية ؟

لينين

٣٠-١٢-١٩٢٢ .

تسجيل م . ف .

مواصلة المذكرات
٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٢

حول مسألة القوميات او «الحكم الذاتي»

(مواصلة)

سبق لي ان كتبت في مؤلفاتي في المسألة القومية ان الحديث عن القوميـــــة بوجه عام ، بصورة مجردة ، لا يصلح ابداً . فمن الضروري التفريق بين قومية الامة الظالمة وقومية الامة المظلومة ، بين قومية الامة العظمى وقومية الامة الصغيرة .

ونحن ، ابناء الامة الكبيرة ، نقترف بصورة دائمة تقريباً في الواقع التاريخي عدداً لا يحصى من اعمال العنف حيال قومية النوع الثاني ، اضف الى ذلك اننا نقترف دون ان نلاحظ عدداً لا يحصى من اعمال العنف والاهانات ؛ حسبي ان اتذكر ما شهدته على الفولغا من معاملة ابناء القوميات غير الروسية من رعايا روسيا وكيف انهم لا يذكرون البولوني الا بقولهم «بولويني» ويسخرون من التتري بقولهم «الامير» ومن الاوكراني بقولهم «ابو شوشة» ومن الجورجي وغيره من ابناء الاقوام القفقاسية بقولهم «انسان كابكازي» .

ولذلك فالاممية من جانب الامة الظالمة او المسماة بـ«العظمى» (وان كانت عظمتهـــا لا تتجاوز اعمال العنف ، لا تتجاوز عظمـــة درجيموردا) لا تستقيم بمجرد مراعاة المساواة الشكلية بين الامم ، بل بنوع من عدم المساواة يعوض من جانب الامة الظالمة ، من جانب الامة العظمى ، عدم المساواة التي تتكون في الحياة فعلاً . ومن لا يفهم ذلك ، لا يفهم الموقف البروليتاري الحق في المسألة القومية ، ويبقى في الجوهر على وجهة النظر البرجوازية الصغيرة ، ولذلك ينزلق لا محالة في كل لحظة الى وجهة النظر البرجوازية .

ما هو المهم بالنسبة للبروليتاري ؟ من المهم للبروليتاري ، بل قل من الضروري للبروليتاري ضرورة مطلقـــة ان يضمن له في

النضال الطبقي البروليتاري الحد الاقصى من ثقـــة ابناء الاقوام الاخرى . وماذا ينبغي لذلك ؟ لا تكفي المساواة الشكلية ، لذلك ينبغي له ، بمعاملته لابن القومية الاخرى او بتساهله معه ان يعوض بشكل او بآخر عما خلقت فيه حكومة امة «الدولة العظمى» خلال الماضي التاريخي من ريبة وظنون وشعور بالاهانة .

وفي اعتقادي ان ذلك لا يتطلب بالنسبة للبلاشفة ، بالنسبة للشيوعيين ، مزيداً من الشرح والتفصيل . وفي اعتقادي اننا ، في هذه الحالة ، نواجه ، حيال الامة الجورجية ، المثل النموذجي حيث يتطلب الموقف البروليتاري الحق منتهى الاحتراس والاكرام والتساهل . ان الجورجي الذى يقف من هذا الجانب من الامر موقف عدم الاكتراث ويوجه بعدم اكتراث الاتهامات بـ«الاشتراكية القومية» (في حين انه هو نفسه «اشتراكي قومي» قلباً وقالباً فضلاً عن انه درجيموردا روسي فقط) ، يخـــل في الجوهر بمصالـــح التضامن الطبقي البروليتاري ، لانه ما من شيء يعيق تطور وتوطد التضامن الطبقي البروليتاري كالظلم القومي ولان ابناء الامة الصغيرة «المهانين» لا يحسون شيئاً كما يحسون المساواة والاخلال بهذه المساواة من قبل رفاقهم البروليتاريين حتى ولو جاء هذا الاخلال نتيجة لعدم الانتباه ، حتى ولو جاء بشكل مزاح . ولذا فان الزيادة في اتجاه التساهل واللين حيال الاقليات القومية هي في هذه الحالة خير من النقص . ولذا فان المصلحة الاساسية للتضامـــن البروليتاري ، وبالتالي ، للنضال الطبقي البروليتاري تتطلب في هذه الحالة ان لا نقف ابداً موقفـــاً شكلياً في المسألة القومية ، وان نأخذ بعين الاعتبار على الدوام الفرق الاكيد في علاقات بروليتاري الامة المظلومة (او الصغيرة) حيال الامة الظالمة (او الكبيرة) .

لينين

تسجيل . م . ف .
٣١-١٢-١٩٢٢ .

مواصلة المذكرات
٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٢

ما هي التدابير العملية التي ينبغي اتخاذها في الحالة الناشئة ؟

اولاً ، ينبغي الحفاظ على اتحاد الجمهوريات الاشتراكية وتعزيزه ، وليس من شك بصدد هذا التدبير . فنحن بحاجة اليه كما تحتاج اليه البروليتاريا الشيوعية العالمية للنضال ضد البرجوازية العالمية ولدفع مكائدها .

ثانياً ، ينبغي الحفاظ على اتحاد الجمهوريات الاشتراكية من ناحية الجهاز الديبلوماسي . اقول بالمناسبة ان هذا الجهاز في حال استثنائي ضمن اطار جهاز دولتنا . فنحن لم نبق فيه من اعضاء الجهاز القيصري السابق اي شخص متنفذ ولو لحد ما . فكل متنفذ ولو لحد ما هو في هذا الجهاز من الشيوعيين . ولذلك اكتسب هذا الجهاز (ويمكننا ان نعلن ذلك بجرأة) اسم الجهاز الشيوعي المجرب والمطهر من عناصر الجهاز القديم القيصري ، البرجوازي والبرجوازي الصغير لحد اكبر بما لا يقاس من الجهاز الذي نضطر الى تحمله في مفوضيات الشعب الاخرى .

ثالثاً ، ينبغي ان يعاقب الرفيق اورجونيكيدزه للعبرة (اقول ذلك آسفاً اكبر الاسف ما دمت شخصياً من اصدقائه وما دمت عملت معه في الخارج اثناء الهجرة) وينبغي ايضاً ان يكمل التحقيق او ان يعاد التحقيق في جميع وثائق لجنة دزرجينسكي بغية اصلاح ما تضمنته هذه الوثائق على التأكيد من آراء كثيرة متحيزة ومغلوطة . وبالطبع ينبغي ان يعتبر ستالين ودزرجينسكي المسؤولين السياسيين عن كل هذه الحملة التي هي حقاً حملة قومية روسية .

رابعاً ، ينبغي وضع قواعد دقيقة منتهى الدقة فيما يتعلق باستخدام اللغة القومية في الجمهوريات القومية غير الروسية المنضمة لاتحادنا ومراقبة تطبيق هذه القواعد بدقة كبيرة . فليس من شك في

ان حالات سوء الاستعمال ذات الطابع الروسي الصرف ستظهر بكثرة كبيرة في ظل جهازنا الراهن بذريعة وحدة السكك الحديدية ووحدة الضرائب ، الخ . . ولمكافحة سوء الاستعمال هذا ، يتطلب الامر حذاقة خاصة فضلاً عن انه يتطلب الاخلاص التام من جانب الذين يأخذون على عاتقهم هذا النضال . ويتطلب الامر قوانين مفصلة لا يمكن ان يضعها ولو بشيء من النجاح غير ابناء القومية التي تقطن الجمهورية المعنية . هذا ولا ينبغي لنا بحال من الاحوال ان نقطع سلفاً باننا ، بعد هذا العمل كله ، لن نرجع في مؤتمر السوفييتات المقبل الى الوراء ، اي ان نبقي اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية فقط في الناحيتين العسكرية والديبلوماسية ، وان نعيد في جميع النواحي الاخرى الاستقلال الكامل لكل مفوضية من مفوضيات الشعب .

ينبغي لنا ان نأخذ بعين الاعتبار ان تجزؤ مفوضيات الشعب وعدم تنسيق عملها حيال موسكو والمراكز الاخرى هو امر يمكن شله لحد كاف عن طريق نفوذ الحزب ، اذا ما استخدم هذا النفوذ بما يكفي من التبصر والنزاهة ؛ فالضرر الذي قد يصيب دولتنا من جراء انعدام الاجهزة الادارية الموحدة في الجمهوريات غير الروسية مع الجهاز الروسي هو اقل جداً ، اقل بما لا يقاس من الضرر الذي ينجم لا بالنسبة لنا وحسب ، بل ايضاً بالنسبة للاممية كلها ، بالنسبة لمئات الملايين من ابناء شعوب آسيا التي يترتب عليها ان تبرز في اثرنا على مسرح التاريخ في مستقبل قريب . واذا ما قوضنا نفوذنا في الشرق ، في عشية بروز الشرق الى المسرح وفي بداية يقظته ، باقترافنا ولو اقل فظاظة ، ولو اقل ظلم حيال الشعوب غير الروسية في بلادنا نقع في انتهازية لا تغتفر . ان ضرورة التراص ضد الامبرياليين الغربيين المدافعين عن العالم الرأسمالي هي امر . وهذا الامر واضح ، ومن باب تحصيل الحاصل ان اقول اني اؤيد هذه

التدابير بصورة قاطعة . ولكن الامر آخر اذا ما وقعنا نحن انفسنا ، ولو في التوافه ، في علاقات امبريالية حيال الاقوام المظلومة ، مقوضين بذلك بصورة تامة كل اخلاصنا المبدئي ، كل دفاعنا المبدئي عن النضال ضد الامبريالية . والغد في التاريخ العالمي سيكون على التأكيد يوماً تتم فيه يقظة الشعوب المستيقظة التي تظلمها الامبريالية وتبدأ فيه المعركة الفاصلة الطويلة والقاسية من اجل تحررها .

لينين

٣١-١٢-١٩٢٢ .
تسجيل م . ف .

صدر لاول مرة في ١٩٥٦
في مجلة «كومونيست» ، العدد ٩

المجلد ٤٥ ،
ص‌ص ٣٥٦-٣٦٢

اوراق من دفتر مذكرات (١٨٠)

المؤلف الذي صدر في هذه الايام عن التعليم في روسيا وفقاً لمعطيات احصاء ١٩٢٠ («التعليم في روسيا» ، موسكو ، ١٩٢٢ ، مكتب الاحصاءات المركزي ، قسم احصاءات التعليم العام) ، يشكل حدثاً على جانب كبير من الاهمية .

وفيما يلي انقل لوحة مأخوذة عن هذا المؤلف تبين حالة التعليم في روسيا في عامي ١٨٩٧ و١٩٢٠ :

	عدد الرجال الذين يعرفون القراءة والكتابة (من كل ١٠٠٠ رجل)		عدد النساء اللواتي يعرفن القراءة والكتابة (من كل ١٠٠٠ امرأة)		عدد الاشخاص الذين يعرفون القراءة والكتابة (من كل ١٠٠٠ شخص)	
	١٨٩٧	١٩٢٠	١٨٩٧	١٩٢٠	١٨٩٧	١٩٢٠
١–روسيا الاوروبية	٣٢٦	٤٢٢	١٣٦	٢٥٥	٢٢٩	٣٣٠
٢–القفقاس الشمالي	٢٤١	٣٥٧	٥٦	٢١٥	١٥٠	٢٨١
٣–سيبيريا (الغربية)	١٧٠	٣٠٧	٤٦	١٣٤	١٠٨	٢١٨
بالمتوسط	٣١٨	٤٠٩	١٣١	٢٤٤	٢٢٣	٣١٩

بينا نثرثر بصدد الثقافة البروليتارية وعلاقاتها بالثقافة البرجوازية ، تقدم لنا الوقائع ارقاما تدل على ان الامور تسير بصورة سيئة جداً عندنا حتى فيما يخص الثقافة البرجوازية . والحقيقة ، كما كان ينبغي توقعها ، هي اننا لا نزال بعيدين جداً عن المعرفة الشاملة للقراءة والكتابة ، وان تقدمنا بالذات بالنسبة للعهد القيصري (١٨٩٧) بطيء جداً . وهذا تحذير صارم ولوم لاولئك الذين كانوا ولا يزالون يحلقون في سماء «الثقافة البروليتارية» (١٨١) . فان هذه الارقام تبين لنا اي عمل شاق وعاجل لا يزال يترتب علينا القيام به لكي نبلغ مستوى بلد متمدن عادي في اوروبا الغربية . وكذلك تبين هذه الارقام اي قدر هائل من العمل يترتب علينا القيام به الآن لكي نبلغ فعلاً ، على اساس مكتسباتنا البروليتارية ، مستوى من الثقافة رفيعاً نوعاً ما .

وينبغي لنا الا نقتصر على هذه الحقيقة التي لا جدال فيها ، ولكنها حقيقة نظرية جداً . انما ينبغي لنا ان ننكب على المهمة من الناحية العملية ايضاً لدن اعادة النظر المقبلة في ميزانيتنا لثلاثة اشهر . ان ما يجب تخفيضه بالدرجة الاولى ، ليس ، بالطبع ، نفقات مفوضية الشعب للتعليم العام ، بل نفقات الدوائر الاخرى ، قصد استخدام المبالغ المتوفرة على هذا النحو في تلبية حاجات مفوضية الشعب للتعليم العام . ويجب الا نقتر في زيادة حصة المعلمين من الخبز في سنة كهذه السنة ، اذ ان مؤونتنا من الحبوب حسنة نسبياً .

ان العمل الذي يجري حالياً في مضمار التعليم العام لا يمكن ، على العموم ، اعتباره ضيقاً جداً . فان جهوداً كبيرة تبذل لتحريك سلك المعلمين القديم ، ولاشراكه في القيام بمهام جديدة ، واثارة اهتمامه في الطريقة الجديدة لطرح قضايا التربية ، واثارة اهتمامه في مسائل كمسألة الدين .

ولكننا نهمل الاساسي . فاننا لا نهتم ، او اننا نهتم بصورة ناقصة جداً ، بتوفير وضع رفيع للمعلم الشعبي لا يمكن بدونه ان تكون اي ثقافة ، لا بروليتارية ولا حتى برجوازية . فينبغي التحدث عن هذه اللاثقافة نصف الآسيوية التي لم نخرج منها حتى الآن ، والتي لن نستطيع الخروج منها دون جهود جدية ، هذا مع العلم انه تتوافر لنا امكانية الخلاص من هذه الحال ، طالما الجماهير الشعبية لا تهتم بالثقافة الحقيقية في اي بلد من العالم قدر ما تهتم بها عندنا ، طالما ان قضايا هذه الثقافة لا توضع في اي بلد بنفس القدر من العمق والانسجام الذي توضع به عندنا ؛ وان سلطة الدولة في اي بلد من بلدان العالم لا تمارسها الطبقة العاملة التي يدرك سوادها تمام الادراك النواقص ، ولا اقول في ثقافتها ، بل في تعليمها الابتدائي ، وان الطبقة العاملة ليست مستعدة لان تبذل ولا تبذل فعلاً في اي بلد آخر تضحيات بمثل هذه الجسامة ، التي تبذلها بها عندنا ، من اجل تحسين حالتها في هذا الميدان .

اننا لا نزال نفعل القليل ، القليل الى ما لا حد له ، من اجل تعديل كل ميزانية الدولة بصورة تلبي بالدرجة الاولى حاجات التعليم الابتدائي العام . وحتى في نطاق مفوضية الشعب للتعليم العام ، يمكننا ان نجد في معظم الاحيان عدداً مضخماً بصورة فظيعة من الموظفين في مؤسسة كدار الدولة للطبع والنشر مثلاً ، وهذا دون اي اهتمام بانه يجب على الدولة ان تعنى ، قبل كل شيء ، لا بالطبع والنشر ، بل بان يكون هناك قراء ، بان يزداد عدد الاشخاص الذين يعرفون القراءة ، لكي تأخذ حركة الطبع والنشر مدى سياسياً واسعاً في روسيا المقبلة . ونحن ، حسب عادتنا القديمة (والسيئة) ، نخصص للمسائل التكنيكية كمسألة الطبع والنشر ، من الوقت والجهود اكثر بكثير مما نخصص لمسألة سياسية عامة ، هي مسألة تعليم الشعب القراءة والكتابة .

واذا اخذنا الادارة العامة للتعليم المهني ، فنحن على يقين بانه يمكننا ان نجد هناك ايضاً كثرة كثيرة من الامور النافلـــة ، التي تضخمها مصلحة ادارية ضيقة ، والتي لا تستوحي ضرورات التعليم العام الواسع . وما يجري في الادارة العامة للتعليم المهني لابعد من ان ينبعث كله من الرغبة المشروعة في انهاض تعليم شبيبتنـــا في المصانع والمعامل قبل كل شيء ، وتوجيه هذا التعليم توجيهاً عملياً . واذا درسنا بانتباه قوام هذه الادارة ، لوجدنا في هذا المجال كثرة كثيرة من العناصر المتضخمة والصورية من وجهة النظر هذه ، يجب الغاؤها . ففي الدولة البروليتارية الفلاحية ، يمكن ويجب ، قصد تطوير التعليم العام ، توفير الكثير والكثير ، سواء بالغاء جميـــع اللعبات من الطراز نصف الاريستقراطي ، او بالغاء المؤسسات التي نستطيع وسنستطيع ويترتب علينا زمناً طويلاً الاستغناء عنها ، نظراً لحالة التعليم العام التي كشفتها الاحصاءات .

ينبغي لنا ان نؤمن للمعلم الشعبي عندنا مكانة رفيعة لم يملكها قط ولا يملكها ولا يمكن له ان يملكها في المجتمع البرجوازي . وهذه حقيقة لا تحتاج الى برهان . وينبغي لنا ان نسير نحو هذا الوضع ، عاملين بانتظام ومثابرة ودأب على رفع مستوى المعلم فكرياً ، على اعداده في جميع الميادين لرسالته السامية حقاً ؛ ولكن الرئيسي ، الرئيسي ابداً ودائماً ، انما هو تحسين وضعه المادي .

يجب تعزيز العمـــل التنظيمي بين المعلمين الشعبيين بدأب وانتظام ؛ لكي نحولهم من سند للنظام البرجوازي ، كما هم عليه حتى الآن في جميع البلدان الرأسمالية دون استثناء ، الى سند للنظام السوفييتي ، لكي نستطيع بواسطتهم انتزاع الفلاحين من التحالف مع البرجوازية واجتذابهم الى التحالف مع البروليتاريا .

وتجدر الاشارة بايجاز الى ان الزيارات الدائبة المنتظمة الى الريف يجب ان تضطلع بدور خاص في هذا الصدد ، مع العلم ان

هذه الزيارات تجري عندنا منذ حين ، وانه ينبغي لها ان تتطور بانتظام . وللتدابير من نوع هذه الزيارات ، يجدر تخصيص اعتمادات غالباً جداً ما نبددها بلا فائدة على جهاز دولة يعود بكليته تقريباً الى مرحلة تاريخية قديمة .

لقد كنت اجمع المواد للخطاب الذي لم استطع ان القيه في مؤتمر السوفييتات ، في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٢ ، والذي كان يعالج رعاية عمال المدن لسكان الارياف . وبعض هذه المواد قدمها لي الرفيق خودوروفسكي . واني اعرض اليوم هذه المسألة على الرفاق ليدرسوها ، طالما قد استحال علـّي بحثها بنفسي واذاعتها بواسطة مؤتمر السوفييتات .

والمسألة السياسية الاساسية هنا انما هي مسألة موقف المدينة من الريف ، هذه المسألة التي تتسم باهمية حاسمة بالنسبة لكامل ثورتنا . فبينا الدولة البرجوازية تبذل جهدها بدأب وانتظام لتخبيل عمال المدينة ، مكيفة لهذا الغرض جميع المنشورات المطبوعة على نفقة الدولة ، على نفقة الاحزاب القيصرية والبرجوازية ، نستطيع ويجب علينا ان نستخدم سلطتنا لكي نجعل فعلاً من عامل المدينة ناشراً للافكار الشيوعية في صفوف البروليتاريا الريفية .

قلت «الشيوعية» ، ولكني ابادر الى ابداء بعض التحفظات ، خوفاً من اثارة سوء فهم او من ان يفهمني القارئ فهماً حرفياً بالغاً . ان ما قلته انما يجب الا يفهم في اي حال من الاحوال بمعنى انه يترتب علينا ان نحمل فوراً الى الريف افكاراً شيوعية صرفاً ضيقة المفهوم . فيمكن البت بان ذلك سيعني القيام بعمل ضار ، بعمل مشؤوم على الشيوعية ، طالما لا نملك في الارياف قاعدة مادية من اجل الشيوعية .

كلا . يجب البدء باقامة صلة بين المدينة والريف ، دون ان نستهدف مسبقاً غرس الشيوعية في الارياف . فان هذا الهدف لا يمكن

بلوغه اليوم . وليس الوقت وقته . ان ابتغاء هذا الهدف لن يفيد قضيتنا بل يسيء اليها .

اما ان نقيم صلة بين عمال المدينة وشغيلة الريف ، ان نقيم بينهم شكل الرفقة الذي يمكن بسهولة ايجاده ، فهذا هو واجبنا ، وهذه هي مهمة من المهام الاساسية التي تواجه الطبقة العاملة القابضة على زمام السلطة . ولهذا الغرض ، من الضروري تأسيس جملة من الاتحادات (الحزبية والنقابية والخاصة) تتألف من عمال المصانع والمعامل ، ويكون هدفها المساعدة بانتظام على تطوير الارياف في المضمار الثقافي .

فهل نتمكن من «ربط» جميع خلايا المدينة بجميع خلايا الريف ، لكي تترصد كل خلية عمالية «مربوطة» بخلية ريفية ، تترصد على الدوام جميع الفرص من اجل تلبية هذه الحاجة الثقافية او تلك من حاجات الخلية المربوطة بها ؟ ام اننا سنتمكن من ايجاد اشكال اخرى للصلة ؟ اني اقتصر هنا على طرح المسألة لكي الفت اليها انتباه الرفاق ، لكي اشير الى تجربة سيبيريا الغربية (ان الرفيق خودوروفسكي هو الذي افادني عنها) ، لكي اطرح هذه القضية الثقافية الهائلة ذات الاهمية التاريخية العالمية ، بكل مداها .

اننا نكاد لا نفعل شيئاً من اجل الارياف خارج ميزانيتنا الرسمية او خارج علاقاتنا الرسمية . يقيناً ان العلاقات الثقافية بين المدينة والارياف ترتدي بحد نفسها وترتدي حتماً طابعاً آخر تماماً . فالتأثير الذي كانت تمارسه المدينة في ظل النظام الرأسمالي على الريف كان يفسد الريف سياسياً واقتصادياً واخلاقياً وجسدياً ، الخ . . اما عندنا فان المدينة تبدأ تلقائياً في ممارسة تأثير معاكس اطلاقاً على الريف . ولكن هذا كله يجري بالضبط تلقائياً ، عفوياً ؛ ومن الممكن تعزيز كل ذلك (ثم مضاعفته مئة ضعف) اذا جعلنا هذا العمل واعياً ، دائباً ، منتظماً .

اننا لن نشرع في التقدم الا عندما ندرس هذه المسألة ، عندما نؤسس اتحادات عمالية من كل شاكلة ونوع ، – مع وقايتها بجميع الوسائل من تفشي الروح البيروقراطية فيها ، – لكي نطرح هذه القضية ونبحثها ونحلها عملياً . (وحينذاك سنتقدم بكل تأكيد بسرعة تزيد مئة مرة) .

٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٣ .

«البرافدا» ، العدد ٢ ، ٤ كانون الثانـــي (يناير) ١٩٢٣

المجلد ٤٥ ، ص‌ص ٣٦٣–٣٦٨

حول التعاون (١٨٢)

١

يخيل لى اننا لا نولي التعاون اهتماماً كافياً . ومن المشكوك فيه ان يكون الجميع يدركون ان التعاون يكتسب عندنا اهمية استثنائية تماماً ، وذلك منذ ثورة اكتوبر وبصورة مستقلة عن السياسة الاقتصادية الجديدة (بل بالعكس ، ينبغي القول بهذا الصدد : بفضل السياسة الاقتصادية الجديدة على وجه الضبط) . ان احلام التعاونيين القدماء تنطوي على الكثير من الخيال . وهي سخيفة في كثير من الاحيان لأنها خيالية . ولكن ، ما هو وجه الخيال فيها ؟ ذلك ان الناس لا يفهمون المغزى الاساسي ، الجوهري ، للنضال السياسي الذي تقوم به الطبقة العاملة من اجل دك سيطرة المستثمِرين . وقد تحقق هذا الهدف في بلادنا اليوم ، والعديد من الاشياء الخيالية ، بل الرومانطيقية ، بل المبتذلة ، التي كانت تنطوي عليها احلام التعاونيين القدماء تغدو واقعاً مجرداً من كل تمويه وتزيين .

وبالفعل ، لما كانت الطبقة العاملة تمارس سلطة الدولة في بلادنا ، وكانت سلطة الدولة هذه تضع يدها على جميع وسائل الانتاج ، فلا يبقى لنا عملياً سوى اشاعة التعاونيات بين السكان . وعندما ينضم الحد الاقصى من السكان الى التعاونيات ، تتحقق من تلقاء نفسها تلك الاشتراكية التى كانت تثير فيما مضى السخريات

المشروعة ، والبسمات ، وازدراء الناس المقتنعين على حق بضرورة النضال الطبقي ، بضرورة النضال في سبيل السلطة السياسية ، الخ . . ولكن ليس جميع الرفاق يدركون الاهمية البالغة ، التي لا حد لها ، والتي تكتسبها اليوم بالنسبة لنا اشاعة التعاونيات في روسيا . فبواسطة السياسة الاقتصادية الجديدة ، قمنا بتنازل للفلاح بوصفه تاجراً ، ولمبدأ التجارة الخاصة ؛ ومن هنا بالضبط (على عكس ما يعتقد بعضهم) اهمية التعاون الهائلة . وكل ما ينبغي لنا ، من حيث جوهر الامر ، في ظل سيادة السياسة الاقتصادية الجديدة ، هو اشاعة التعاونيات بين السكان الروس بصورة واسعة وعميقة الى حد كاف ؛ لأننا وجدنا اليوم الدرجة اللازمة لتنسيق المصلحة الخاصة ، المصلحة التجارية الخاصة ، مع قيام الدولة بالتثبت من هذه المصلحة وبمراقبتها ، لأننا وجدنا اليوم درجة اخضاع هذه المصلحة الخاصة للمصلحة العامة ، الامر الذى كان فيما مضى حجر عثرة امام الكثيرين والكثيرين من الاشتراكيين . وبالفعل ، هناك سلطة الدولة على جميع وسائل الانتاج الكبيرة ، وسلطة الدولة في ايدي البروليتاريا ، وتحالف هذه البروليتاريا مع الملايين والملايين من صغار الفلاحين ومن الفلاحين الصغار جداً ، وتأمين قيادة الفلاحين من قبل هذه البروليتاريا ، الخ . . أليس ذلك كل ما ينبغي لكي نبني بواسطة التعاون ، وبواسطة التعاون وحده ، الذي كنا نقف منه سابقاً موقفنا من شيء تجاري ، والذي لا يزال يحق لنا ، من بعض الوجوه ، ان نقف منه الموقف نفسه اليوم ايضاً ، في عهد السياسة الاقتصادية الجديدة ، — أليس ذلك كل ما هو ضروري لكي نبني المجتمع الاشتراكي الكامل ؟ ان ذلك ليس بعد بناء المجتمع الاشتراكي ، ولكنه كل ما هو ضروري وكاف لبنائه .

وهذا بالذات ما يستصغر من شأنه الكثيرون من مناضلينا العمليين . انهم ينظرون الى التعاون عندنا نظرة ازدراء ، ولا يدركون

الاهمية الاستثنائية التي يرتديها اولاً من الناحية المبدئية (الدولة تملك وسائل الانتاج) وثانياً من ناحية الامكانيات التي يوفرها لنا لأجل الانتقال الى وضع جديد **بالسبيل الابسط ، والاسهل ، والاقرب الى متناول الفلاح** .

وذلك هو ، مرة اخرى ، الامر الجوهري . ان تتخيل جميع انواع المشاريع لتأليف جمعيات عمالية بقصد بناء الاشتراكية ، شيء ؛ وان تتعلم بناء هذه الاشتراكية عملياً ، بصورة يتمكن معها **كل فلاح** صغير من الاشتراك في هذا العمـــل البنائي ، شيء آخر . **الى هذه** المرحلة وصلنا اليوم . ومن المؤكد اننا نستغل الآن هذه المرحلة التي بلغناها ، استغلالاً غير كاف الى حد كبير .

حين انتقلنا الى السياسة الاقتصادية الجديدة ، سلكنا طريق المبالغة ، وليس ذلك بمعنى اننا افسحنا مجالاً رحباً جداً امام مبدأ الصناعة الحرة ، والتجارة الحرة ، بل بمعنى اننا نسينا التعاون ، واننا نستصغر من شأنه اليوم ، واننا بدأنا ننسى اهمية التعاون الهائلة ، من وجهتي النظر المشار اليهما آنفاً .

والآن ، اود لو اتحدث مع القارئ عما يمكن وعما يجب القيام به عملياً وفوراً ، استناداً الى هذا المبدأ «التعاوني» . بأية وسائل يمكن ويجب ، منذ الآن ، تطوير هذا المبدأ «التعاوني» ، بصورة يدرك معها كل امرئ بوضوح اهمية هذا المبدأ الاشتراكية ؟

من الناحية السياسية ، ينبغي العمل بصورة لا تفيد معهـــا التعاونيات ، بوجه عام وعلى الدوام ، من بعض التسهيلات وحسب ، بل تكون معها ايضاً هذه التسهيلات مادية صرفاً (معدل الفائدة التي تتقاضاها المصارف ، الخ .) . ينبغي على الدولـــة ان تسلّف التعاونيات مبالغ تتجاوز ، بعض الشيء على الاقل ، الاموال التي نسلفها للمشروعات الخاصة ، حتى ولو كانت من مشروعات الصناعة الثقيلة ، الخ . .

لا يظهر اي نظام اجتماعي للوجود إلا بتأييد مالي من طبقة معينة . ولا حاجة الى التذكير بما كلفته ولادة الرأسمالية «الحرة» من مئات ومئات الملايين من الروبلات . فينبغي لنا اليوم ان نفهم وان نضع موضع التطبيق هذه الحقيقة وهي ان النظام الاجتماعي الذي يجب علينا ان ندعمه في الوقت الحاضر اكثر من المعتاد ، هو النظام التعاوني . ولكن يجب ان ندعمه بمعنى الكلمة الحقيقي ؛ وذلك يعني انه لا يكفي ان نفهم هذا التأييد كتأييد لكل نشاط تعاوني ، بل يجب ان نفهم هذا التأييد على انه تأييد لنشاط تعاوني **تشترك فيه اشتراكاً حقيقياً جماهير السكان الحقيقية** . ان منح مكافأة للفلاح الذي يشترك في النشاط التعاوني ، انما هو شكل صحيح اطلاقاً . ولكن ان نتثبت من هذا الاشتراك ، ودرجة فائدته ، ان نرى الى اي حد تم عن ادراك ، فتلك عقدة المسألة . فعندما يصل تعاوني ما الى احدى القرى ليفتح فيها دكانة تعاونية صغيرة ، فان السكان ، اذا تكلمنا بدقة ، لا يشتركون ابداً في تأسيس هذا المشروع . ولكنهم ، بدافع مصلحتهم الخاصة ، سيسعون الى الاشتراك فيه بأسرع ما يمكن .

ولهذه المسألة وجه آخر ايضاً . فمن وجهة نظر الاوروبي «المتمدن» (الذي يعرف على الاقل ، مبادئ القراءة والكتابة) ، يترتب علينا بذل القليل من الجهد لكي ندفع جميع السكان بلا استثناء على الاشتراك في عمليات التعاونيات ولكي يكون هذا الاشتراك نشيطاً لا خاملاً . وبتعبير اوضح ، يترتب علينا «**فقط**» ان نجعل السكان في بلادنا «متمدنين» الى حد ان يدركوا جميع المنافع التي يوفرها تعميم الاشتراك في التعاونيات ، وان ينظموا هذا الاشتراك على خير وجه . «**فقط**» هذا . هنا زبدة الحكمة . هذا كل ما يقتضى لنا من اجل الانتقال الى الاشتراكية . ولكن هذا الـ«فقط» يتطلب ثورة بأكملها ، ومرحلة كاملة من التطور الثقافي لدى جماهير السكان بكليتها . ولهذا ينبغي لنا ان نلجأ اقل ما يمكن الى الحذلقة والابهام . ومن هذه الناحية ، تكون

السياسة الاقتصادية الجديدة بمثابة خطوة الى امام بمعنى انها تتكيف بالنسبة لمستوى الفلاح العادي تماماً ، ولا تطلب منه شيئاً يفوق طاقته ؛ ولكن ، اذا اردنا ، عن طريق السياسة الاقتصادية الجديدة ، ان نتوصل الى جذب مجموع السكان الى الاشتراك في التعاونيات ، فينبغي لهذا الغرض مرحلة تاريخية كاملة . واذا حالفنا التوفيق ، فاننا نتمكن من اجتياز هذه المرحلة في مدى عشر سنوات او عشرين سنة . ومع ذلك ، ستكون هذه المرحلة مرحلة تاريخية خاصة ، وبدون اجتياز هذه المرحلة التاريخية ، دون تعميم التعليم ، ودون بلوغ درجة كافية من الذكاء ، دون تعويد السكان الى حد كاف على استخدام الكتب ، دون أساس مادي لذلك ، دون بعض الضمانات ، مثلاً ، ضد رداءة الموسم ، ضد المجاعة ، الخ . ، — بدون كل ذلك لن نبلغ هدفنا . وكل ما في الامر الآن هو ان نعرف كيف نؤالف هذا الاندفاع الثوري ، هذه الحماسة الثورية التي سبق لنا ان ابديناها الى حد كاف والتي تكللت بالنجاح التام ، — ان نعرف كيف نؤالف هذه الحماسة الثورية (وهنا اكاد اقول) مع حنكة تاجر ذكي ومتعلم ، وذلك كاف تماماً لتعاوني صالح . واني اعني بحنكة تاجر حنكة تاجر متمدن . هذا ما ينبغي ان يدركه جيداً الروس او بالاحرى الفلاحون الذين يفكرون على النحو التالي : طالما انه يتاجر ، فذلك يعني ان لديه حنكة تاجر . هذا تفكير خاطئ اطلاقاً . اجل انه يتاجر ، ولكن ثمة بون شاسع بين هذه المتاجرة وبين حنكة تاجر متمدن . انه يتاجر الآن على الطريقة الآسيوية . بينما يقتضى على التاجر الحقيقي ان يتاجر على الطريقة الاوروبية . والحال ثمة مرحلة كاملة تفصله عن هذه الطريقة الاوروبية .

وانهي كلامي قائلاً : ينبغي منح التعاون جملة من الامتيازات الاقتصادية والمالية والمصرفية ؛ على هذا ينبغي ان يقوم التأييد الذي توليه دولتنا الاشتراكية الى المبدأ الجديد لتنظيم السكان .

ولكن ذلك لا يشكل سوى الخطوط العامة من المهمة ؛ اذ ما يزال يتعين علينا توضيح الناحية العملية من المهمة ووصفها بالتفصيل ، اي انه ما يزال يتعين علينا ايجاد شكل «المكافآت» (وكذلك الشروط التي ستمنح بها) التي سنعطيها لقاء العمل في حقل التعاون ، الشكل الذي يتيح لنا تقديم ما يكفي من المساعدة للتعاونيات واعداد تعاونيين متمدنين . والحال ، ان نظام التعاونيين المتمدنين ، عندما يملك المجتمع وسائل الانتاج وتكون البروليتاريا قد تغلبت على البرجوازية بوصفها طبقة ، انما هو النظام الاشتراكي .

٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٣ .

٢

كلما تحدثت عن السياسة الاقتصادية الجديدة ، استشهدت بمقالي الذي كتبته عام ١٩١٨ عن رأسمالية الدولة . وقد اثار ذلك اكثر من مرة الشكوك عند بعض الرفاق الشبان . ولكن شكوكهم كانت تدور بوجه خاص حول مسائل سياسية مجرّدة .

كانوا يفكرون بأنه لا يجوز لنا ان نطلق اسم رأسمالية الدولة على نظام تكون فيه وسائل الانتاج ملكاً للطبقة العاملة وتتسلم فيه هذه الطبقة العاملة زمام الحكم . ولكنهم لم يلاحظوا اني استعملت تعبير «رأسمالية الدولة» : **اولا** ، لأوضح الصلة التاريخية بين موقفنا الحالي وبين الموقف الذي وقفته في جدالي مع الذين يطلق عليهم اسم الشيوعيين اليساريين ؛ ففي ذلك الحين ، بيّنت ايضاً ان رأسمالية الدولة تفوق النظام الاقتصادي القائم في بلادنا ؛ وكان المهم بنظري ان ابسط الصلة المنطقية القائمة بين رأسمالية الدولة العادية ورأسمالية الدولة غير العادية ، بل غير العادية اطلاقاً ، التي تحدثت عنها عندما عرضت للقارئ السياسة الاقتصادية

الجديدة . **ثانيا** ، ان ما شغل بالي على الدوام ، انما هو الهدف العملي . والحال ، كان الهدف العملي من سياستنا الاقتصادية الجديدة ان تكون في بلادنا امتيازات : وهذه الامتيازات كان من البديهي انها ستكون في ظروفنا شكلا صرفاً من رأسمالية الدولة . هكذا فهمت الآراء بصدد رأسمالية الدولة .

بيد ان هناك مظهراً آخر للقضية قد نكون فيه بحاجة الى اللجوء الى رأسمالية الدولة ، أو على الأقل ، الى مقارنة مع رأسمالية الدولة . واقصد بذلك مسألة التعاون .

من المؤكد ان التعاونيات في ظروف دولة رأسمالية هي مؤسسات رأسمالية جماعية . ومن المؤكد كذلك اننا ، اذ نجمع في واقعنا الاقتصادي الراهن ، بين المشروعات الرأسمالية الخاصة (ولكن فقط على الارض التي تخص المجتمع ، لا بشكل آخر ، وفقط تحت رقابة سلطة الدولة التي تعود للطبقة العاملة ، لا بشكل آخر) وبين المشروعات ذات الطراز الاشتراكي المنسجم (ان وسائل الانتاج تخص الدولة ، وكذلك الارض التي تقوم عليها المشروعة والمشروعة بمجملها) ، لا بد من ان توضع هنا مسألة طراز ثالث من مشروعات كانت ، من حيث الاهمية المبدئية ، لا تتمتع فيما مضى بالاستقلال واعني بها المشروعات التعاونية . في ظل الرأسمالية الخاصة تتميز المشروعات التعاونية عن المشروعات الرأسمالية كما تتميز المشروعات الجماعية عن المشروعات الخاصة . وفي ظل رأسمالية الدولة ، تتميز المشروعات التعاونية عن المشروعات الرأسمالية التابعة للدولة ، اولا من حيث انها مشروعات خاصة ، وثانياً من حيث انها مشروعات جماعية . وفي ظل نظامنا الحالي تتميز المشروعات التعاونية عن المشروعات الرأسمالية الخاصة ، من حيث انها مشروعات جماعية ، ولكنها لا تتميز عن المشروعات الاشتراكية اذا كانت وسائل الانتاج ، والارض التي بنيت عليها هذه المشروعات ، تخص الدولة ، اي الطبقة العاملة .

تلك نقطة لا نحسب لها الحساب الكافي عندما نعالج امـــر التعاون . واننا ننسى ان التعاون يرتدي عندنا اهمية استثنائية جداً بفضل الطابع الخاص الذي يتصف به نظامنا السياسي . فاذا طرحنا جانباً الامتيازات التي نقول عنها للمناسبة انها لم تبلغ حداً كبيراً من التطور في بلادنا ، فان التعاون في اوضاعنا الراهنة ، ينطبق في غالب الاحيان على الاشتراكية تمام الانطباق .

واني لأشرح ما قلت . اين وجه الخيال في برامـــج قدماء التعاونيين ، ابتداء من روبرت اوين ؟ ذلك ان هؤلاء القوم كانوا يحلمون بتحويل المجتمـــع المعاصر بصورة سلمية وبواسطـــة الاشتراكية ، دون ان يحسبوا حساباً لهذه المسائل الاساسية التي هي النضال الطبقي ، واستيلاء الطبقة العاملة على السلطة السياسية ، ودكّ سيطرة طبقة المستثمِرين . ولهذا نكون على حق حين نقول ان هذه الاشتراكية ، «التعاونية» لا تنطوي إلاّ على كل خيالي وعلى شيء رومانطيقي ، بل مبتذل ، اذ انها تحلم بتحويل الاعداء الطبقيين الى معاونين طبقيين ، والنضال الطبقي الى سلام طبقي (الى ما يسمى بالسلام الاهلي) ، بمجرّد اشاعة التعاونيات بين السكان .

من المؤكد اننا على صواب من وجهة نظر المهمة الاساسيـــة الموضوعة امام عصرنا ، لأنه يستحيل تحقيق الاشتراكية دون نضال طبقي من اجل السلطة السياسية في الدولة .

ولكن انظروا كيف تغيّرت الاحوال الآن حين غدت سلطة الدولة بيد الطبقة العاملة ، وحين تم اسقاط سلطة المستثمِرين السياسية ، وحين اصبحت جميع وسائل الانتاج بيد الطبقة العاملة (باستثناء وسائل الانتاج التي تعطيها دولة العمال بملء رضاها الى المستثمِرين ، وذلك عن طريق الامتيازات ، ولفترة معينـــة من الزمن ، وببعض الشروط) .

فاليوم يحق لنا ان نقول ان مجرّد تطور التعاون يعني في نظرنا

تطور الاشتراكية بالذات (مع أخذ الاستثناء «الصغير» المشار اليه اعلاه بعين الاعتبار) . ومع ذلك يترتب علينا ان نقرّ ان كل وجهة نظرنا حول الاشتراكية قد تغيرت تغيراً جذرياً . اما قوام هذا التغير الجذري فهو التالي : فيما مضى كنا نوجّه وكان ينبغي علينا ان نوجه محور النشاط نحو النضال السياسي ، والثورة ، والاستيلاء على السلطة ، الخ . . اما اليوم ، فان محور النشاط ينتقل الى مكان آخر : الى العمل «الثقافي» التنظيمي السلمي . وقد أقول ان محور النشاط ينتقل بنظرنا نحو النشاط التثقيفي ، لولا العلاقات الدولية ، لولا الواجب الذي يقضي علينا بالنضال من اجل موقعنا على النطاق الدولي . ولكن اذا طرحنا جانباً الوضع الدولي واكتفينا بعلاقاتنا الاقتصادية الداخلية ، فان محور عملنا ينحصر اليوم في النشاط التثقيفي .

ثمة مهمتان اساسيتان تقعان على عاتقنا وتشكلان مرحلة من المراحل . المهمة الاولى هي اعادة تنظيم جهازنا الاداري الذي لا يصلح لشيء والذي ورثناه بكليته عن العهد السابق ؛ ففي مدى خمس سنوات من النضال ، لم يتوافر لنا الوقت لاجراء اي تعديل جدّي في هذا الميدان ولم يكن بوسعنا القيام بذلك . اما المهمة الثانية ، فهي القيام بعمل ثقافي بين جماهير الفلاحين . والحال ، ان الهدف الاقتصادي من هذا العمـــــل الثقافي بين الفلاحين ، انما هو التعاون بالضبط . فاذا استطعنا تنظيم جميع السكان في التعاونيات ، رسخت اقدامنا في الميدان الاشتراكي . ولكن هذا الشرط ، – اي تنظيم جميع السكان في التعاونيات – يفترض درجة من الثقافة لدى الفلاحين (واقول الفلاحين ، لأنهم يشكلون جمهوراً غفيراً جداً) يستحيل معها تعميم هذا التنظيم في التعاونيات دون ثورة ثقافية كاملة .

لقد قال لنا اخصامنا مراراً عديدة اننا نقوم بعمل أخرق ، لأننا نريد غرس الاشتراكية في بلد غير مثقف ثقافة كافية . ولكنهم كانوا

على ضلال حين اتهمونا باننا لم نبدأ من حيث كان يقتضى البدء حسب النظرية (نظرية المتحذلقين من كل شاكلة وطراز) وبأن الانقلاب السياسي والاجتماعي في بلادنا قد سبق هذا الانقلاب الثقافي ، هذه الثورة الثقافية التي نواجهها مع ذلك الآن .

يكفي لنا اليوم ان نقوم بهذه الثورة الثقافية لكي تغدو بلادنا بلاداً اشتراكية تماماً . ولكن هذه الثورة الثقافية تنطوي ، بالنسبة لنا ، على مصاعب لا تصدّق ، مصاعب ثقافية صرفاً (فنحن اميون) ، ومصاعب مادية ايضاً (فلكي نصبح اناساً مثقفين ، ينبغي ان تكون وسائل الانتاج المادية قد بلغت درجة معينة من التطور ، ينبغي امتلاك قاعدة مادية معينة) .

٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٣ .

صدر لاول مرة في «البرافدا» في العددين ١١٥ و١١٦ ، بتاريخ ٢٦ و٢٧ ايار (مايو) ١٩٢٣

المجلد ٤٥ ، ص‌ص ٣٦٩–٣٧٧

حول ثورتنا

(بصدد مذكرات ن . سوخانوف (١٨٣))

١

تصفحت في هذه الايام مذكرات سوخانوف عن الثورة . ان ما يبرز بخاصة ، انما هو حذلقة جميع ديموقراطيينا البرجوازيين الصغار ، مثلهم مثل جميع فرسان الأممية الثانية . ان ما يبرز بخاصة ، انما هو تقليدهم الذليل للماضي ، هذا فضلا عن انهم جبناء الى حد لا يصدق ، حتى ان خيرتهم يناورون ويتهربون ما ان يكون المقصود أقل ابتعاد عن النموذج الألماني ، هذا فضلا عن هذه الصفة من طباع جميع الديموقراطيين البرجوازيين الصغار ، التي ابدوها كفاية طوال الثورة .

جميعهم يقولون عن أنفسهم انهم ماركسيون ولكنهم يفهمون الماركسية بأكثر ما يمكن من الحذلقة . انهم لم يفهموا قط ما في الماركسية من أساسي ، أي ديالكتيكها الثوري . انهم لم يفهموا اطلاقاً حتى اشارات ماركس الصريحة ، حيث قال أنه ينبغي الحد الأقصى من المرونة في أيام الثورة (١٨٤) ، بل انهم لم يلاحظوا ، مثلا ، اشارات ماركس في مراسلته التي تعود ، كما أذكر ، الى عام ١٨٥٦ ، حيث أعرب عن الأمل بأن يتحقق في ألمانيا اتحاد حرب الفلاحين ، القادرة على خلق وضع ثوري ، مع الحركة العمالية (١٨٥) . حتى هذه الاشارة الصريحة ، يتهربون منها ويطمسونها ، ويدورون حولها كما يفعل القط حول مرق ساخن .

انهم ، بكل سلوكهم ، يبدون اصلاحيين رعاديد يخافون الابتعاد عن البرجوازية ، وبالأحرى ، قطع كل صلة بها ؛ وهم ، في الوقت نفسه ، يغطون جبانتهم وراء غلو في التبجح وفي استعمال الجمل الطنانة . ولكن ما يبرز لديهم جميعهم حتى من الناحية النظرية الصرف ، انما هو عجزهم الكلّي عن فهم الفكرتين التاليتين من أفكار الماركسية ، ذلك انهم رأوا ان تطور الرأسمالية والديموقراطية البرجوازية قد اتبع ، حتى الآن ، طريقاً معيناً في اوروبا الغربية . وها هم لا يستطيعون ان يتصوّروا أنه يمكن اعتبار هذه الطريق نموذجاً mutatis mutandis * ، شرط اجراء بعض التغييرات (الزهيدة تماماً من وجهة نظر حركة التاريخ العالمي العامة) .

اولاً ، الثورة المرتبطة بالحرب الامبريالية العالمية الأولى . في مثل هذه الثورة ، كان لا بدّ ان تبرز ميزات جديدة او ميزات معدّلة بسبب هذه الحرب على وجه الضبط ، لأنه لم تقع قط في العالم ، فيما مضى ، حرب كهذه وفي ظروف كهذه . واننا نرى حتى اليوم ان برجوازية أغنى البلدان لا تستطيع ، بعد هذه الحرب ، ان تنظم علاقات برجوازية «عادية» ، «طبيعية» . والحال ، ان اصلاحيينا ، هؤلاء البرجوازيين الصغار الذين يظهرون انفسهم بمظهر ثوريين ، كانوا وما يزالون يعتبرون ان العلاقات البرجوازية الطبيعية تشكل حداً (لا يمكن تجاوزه) وهم يتصوّرون هذه «الطبيعة» بأقصى ما يكون من الابتذال وضيق الأفق .

ثانياً ، سنة التطور العامة في التاريخ العالمي كله ، لا تستبعد ، بل بالعكس ، تفترض بعض مراحل أصيلة من التطور ، اما من حيث شكل التطور ، واما من حيث تسلسل مراحله ، — وهذه الفكرة غريبة عنهم اطلاقاً . حتى انه لا يخطر ببالهم ، ان روسيا الواقعة بين بلدان

---

* شرط تغيير ما يجب تغييره . **الناشر** .

متمدّنة وبين بلدان حملتها هذه الحرب ، للمرة الاولى ، وبصورة نهائيـــة ، الى المدنيـــة ، اي بلدان الشرق كلـــه ، البلدان غير الاوروبية ، — ان روسيا كانت تستطيع بالتالي وكان يجب عليها ان تقدم بعض الميزات الخاصة التي تقع ، بالطبع ، في الخط العام للتطور العالمي ، ولكنها تميّز ثورتها عن جميـــع الثورات السابقة في بلدان أوروبا الغربية وتحمل بعض التجديدات الجزئية ما ان يتعلق الأمر بالبلدان الشرقية .

وهكذا نراهم يستشهدون بذريعة في اقصى الابتذال حفظوها غيباً خلال تطور الاشتراكية-الديموقراطية في اوروبا الغربيـــة ، وقوامها القول اننا لم ننضج للاشتراكية ؛ واننا لا نملك المقدمات الاقتصادية الموضوعية للاشتراكية ، حسب تعبير بعض السادة من «علمائ»هم . ولا يخطر على بال أحد ان يتساءل : اذا ما جابه شعب وضعاً ثورياً كالوضع الذي تبدّى لدن الحرب الامبرياليـــة الاولى ، أليس بوسع هذا الشعب ان يندفع ، تحت طائلة حالة لا مخرج منها ، الى خوض نضال يوفرله ولو بعض الأمل بالظفر بشروط غير مألوفة تماماً من أجل تطوير مدنيته ؟

«ان روسيا لم تبلغ ، من حيث تطور القوى المنتجة ، الدرجة الضرورية التي تجعل الاشتراكية أمراً ممكناً» . ان هذه الموضوعة ، انما يبرزها ويتباهى بها جميع فرسان الأممية الثانية ، بمن فيهم سوخانوف ، طبعاً . هذه الموضوعة التي لا جدال حولها ، انما يلوكونها ويكررونها بمختلف الأشكال ويبدو لهم انها حاسمة لتقدير ثورتنا .

ولكن ، ماذا اذا كان تراكم اصيل من الظروف قد قاد روسيا في بادئ الأمر الى الحرب الامبريالية العالمية التي اشتركت فيها جميع بلدان اوروبا الغربية ، التي تتمتع ولو ببعض النفوذ ؛ واذا كان ذلك قد قاد تطور روسيا على حافة الثورات الناشئة والثورات التي بدأت جزئياً في الشرق ، الى ظروف تتيح لنا ان نحقق بالضبط هذا

الاتحاد بين «حرب الفلاحين» والحركة العمالية ، الذي كان يعتبره «ماركسي» كماركس ، في ١٨٥٦ ، احتمالاً من الاحتمالات الممكنة بالنسبة لبروسيا ؟

وماذا اذا كان الوضع الذي لا مخرج منه اطلاقاً ، قد ضاعف قوى العمال والفلاحين عشر مرات ، فأتاح لنا امكانية الشروع بتوفير المقدمات الأساسية للمدنية ، على نحو غير النحو الذي نحته جميع الدول الاخرى في أوروبا الغربية ؟ فهل تعدّل من جراء ذلك الخط العام لتطور التاريخ العالمي ؟ هل تغيّرت النسب الأساسية بين الطبقات الاساسية في كل دولة تنجز او انجرت في حركة التاريخ العالمي العامة ؟

اذا كان ينبغي ، في سبيل انشاء الاشتراكية ، بلوغ مستوى معيّن من الثقافة (مع العلم انه ما من أحد يستطيع ان يقول بدقة ما هو هذا «المستوى» المعين «من الثقافة» ، لانه يختلف في كل من دول اوروبا الغربية) ، فلماذا لا يمكن لنا ان نبدأ أولا بالظفر ، عن طريق الثورة ، بالشروط المسبّقة لهذا المستوى المعيّن ، لكي نتحرك **فيما بعد** للحاق بالشعوب الاخرى ، مستندين الى حكم العمال والفلاحين والى النظام السوفييتي ؟

١٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٣ .

٢

تقولون : لأجل بناء الاشتراكية ، ينبغي ان نكون متمدنين جيّد جداً . ولكن ، لِمَ لا نستطيع أن نبدأ بتوفير هذه الشروط المسبّقة للمدنية عندنا كطرد الملاكين العقاريين وطرد الرأسماليين الروس لكي نبدأ سيرنا بعد ذلك نحو الاشتراكية ؟ في أية كتب قرأتم ان مثل هذه التغييرات في التسلسل التاريخي العادي هي أمر غير مقبول او غير ممكن ؟

اذكر ان نابليون قال : "On s'engage et puis . . . on voit" وهذا يعني بالترجمة الحرة : «اولاً ، يدخل المرء معركة جدية ثم . . . يرى» . وهذا ما فعلناه : اولاً ، دخلنا معركة جدّية في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، ثم بيّن لنا مجرى الاحداث تفاصيل (ليست بلا ريب ، من وجهة نظر التاريخ العالمي ، سوى تفاصيل) كصلح بريست ، او «النيب» (السياسة الاقتصادية الجديدة) ، الخ . . ولا سبيل الى الشك ، في الوقت الحاضر ، أننا ، من حيث الاساس ، قد أحرزنا النصر .

غير ان سوخانوف وأضرابه في بلادنا ، وبالاحرى الاشتراكيين-الديموقراطيين الواقفين أبعد منهم الى اليمين ، حتى لا يحزرون انه لا يمكن للثورات ، بوجه عام ، ان تتم على نحو آخر . بل ان برجوازيينا الصغار الاوروبيين حتى لا يحزرون ان الثورات اللاحقة – في بلدان الشرق حيث عدد السكان أكثر الى ما لا حد له وحيث الأوضاع الاجتماعية أكثر تنوعاً الى ما لا حد له ، – ستفاجئهم ، بكل تأكيد ، بقدر من الميزات الخاصة أكثر بكثير مما أعطته الثورة الروسية .

يقيناً ان الكتاب الدراسي الموضوع حسب مفاهيم كاوتسكي ، قد كان جدّ مفيد في حينه . ولكنه آن الأوان ، في الحقيقة ، للتخلي عن الفكرة التي تزعم ان هذا الكتاب قد توقّع جميع أشكال التطور اللاحق في التاريخ العالمي . ان من يعتقدون ذلك ، انما آن الأوان لنعتهم بكل بساطة بانهم أغبياء .

١٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٣ .

صدر في ٣٠ ايار (مايو) ١٩٢٣ في جريدة «البرافدا» ، العدد ١١٧

المجلد ٤٥ ، ص‌ص ٣٧٨–٣٨٢

كيف نعيد تنظيم التفتيش العمالي والفلاحي ؟

(اقتراح مقدم الى المؤتمر الثاني عشر للحزب) (١٨٦)

يقيناً ان التفتيش العمالي والفلاحي يواجهنا بصعوبة قصوى لم تحل حتى الآن . واني اعتقد انهم على ضلال اولئـــك الرفاق الذين يحاولون حلها بانكار فائدة او ضرورة التفتيش العمالي والفلاحي . ولكنني لا انكر في الوقت نفسه ان تكون مسألة جهاز دولتنا واتقانه صعبة جداً ، فهي ابعد من ان تحل ، وهي في الوقت نفسه مسألة ملحة الحاحاً .

ان جهاز دولتنـــا ، باستثناء مفوضيـــة الشعب للشؤون الخارجية ، يشكل ، الى اكبر حد ، بقية من بقايا الماضي طرأ عليها الحد الادنى من التعديلات الجدية نوعاً ما . وقد طليت واجهته بطلاء خفيف من اجل الجمال وحسب ؛ اما فيما يخص الباقي ، فانه لا يزال النموذج القديم الحقيقي لجهاز دولتنا القديم . ولايجاد وسيلة من أجل تجديده حقاً . يجب الاعتماد ، كما اعتقد ، على تجربة حربنا الاهلية .

فاي سلوك سلكنا في اخطر لحظات الحرب الاهلية ؟

لقد ركّزنا خيرة قوى حزبنا في الجيش الاحمر ؛ وعبأنا نخبة عمالنا ؛ وسعياً وراء قوى جديدة ، توجهنا الى حيث تمتد اعمق جذور ديكتاتوريتنا .

وبهذا الاتجاه ايضاً يجب علينا ، حسب اقتناعي ، ان نبحث عن وسيلة لاعادة تنظيم التفتيش العمالي والفلاحي . واني اقترح على

مؤتمر حزبنا الثاني عشر ان يوافق على الخطة التالية لاعادة التنظيم هذه ، وهي ترتكز على اجراء توسيع من نوع خاص في لجنتنا المركزية للرقابة .

ان دورة لجنة حزبنا المركزية ابدت ميلا الى ان تصبح نوعاً من مجلس عام اعلى للحزب . فهي ، بصورة وسطية ، لا تلتئم اكثر من مرة كل شهرين ؛ اما العمل الجاري فيقوم به نيابة عن اللجنة المركزية ، كما هو معروف ، مكتبنا السياسي ، ومكتبنا التنظيمي وامانتنا ، الخ . . واعتقد انه ينبغي لنا ان نسير الى النهاية في الطريق التي شرعنا نسير عليها وان نحوّل نهائياً دورات اللجنة المركزية الى مجالس عامة عليا للحزب ، تنعقد مرة كل شهرين ، وتشترك فيها اللجنة المركزية للرقابة . اما هذه الاخيرة ، فتندمج بالقسم الاساسي من هيئة التفتيش العمالي والفلاحي المعاد تنظيمها ، مع التقيد بالشروط التالية .

اني اقترح على المؤتمر ان ينتخب الى اللجنة المركزية للرقابة ٧٥–١٠٠ عضو جديد (هذه الارقام هي بالطبع تقريبية) يختارهم من صفوف العمال والفلاحين . والرفاق الذين يُنتخبون على هذا النحو ، سيخضعون للتحقيق الحزبي الذي يخضع له جميع اعضاء اللجنة المركزية ، طالما انهم سيتمتعون بجميع الحقوق التي يتمتع بها اعضاء اللجنة المركزية .

ومن جهة اخرى ، يجب تخفيض ذاتية هيئة التفتيش العمالي والفلاحي الى ٣٠٠ او ٤٠٠ مستخدم ممن اجري تحقيق خاص بصدد ذمتهم ووجدانهم وكذلك بصدد معرفتهم لجهاز دولتنا ؛ ويجب ان يخضعوا ايضاً لامتحان خاص يبين انهم يعرفون اسس التنظيم العلمي للعمل بوجه عام ، وللعمل الاداري ، للعمل المكتبي ، الخ . ، بوجه خاص .

واني اعتقد ان دمج هيئة التفتيش العمالي والفلاحي واللجنة المركزية للرقابة سيفيد هاتين المؤسستين معاً . فان هيئة التفتيش العمالي والفلاحي ستكتسب على هذا النحو مكانة معنوية كبيرة توازي على الاقل مكانة مفوضية الشعب للشؤون الخارجية . هذا من جهة ؛ ومن جهة اخرى ، ستسير لجنتنا المركزية مع اللجنة المركزية للرقابة في سبيل تحولها الى مجلس عام اعلى للحزب ، في سبيل يصح القول انه سبق وشرعت تسير عليه ويتعين عليها المضي فيه الى النهاية لكي تتمكن من اداء مهمتها بسداد من ناحيتين : ان تجعل تنظيمها وعملها منهاجيين وعقلانيين ودائبين ، وان تؤمن الصلة مع الجماهير الغفيرة حقاً بواسطة نخبة عمالنا وفلاحينا .

واني اتوقع اعتراضاً بصورة مباشرة او بصورة غير مباشرة من الاوساط التي تجعل جهازنا قديماً ، اي من جانب اولئك الذين يرغبون في الاحتفاظ بجهازنا في شكله السابق للثورة ، الفاحش ، غير الممكن ، كما لا يزال عليه اليوم (وبالمناسبة نقول انه تسنح لنا الآن فرصة نادرة نسبياً في التاريخ لتحديد الآجال الضرورية من اجل الاصلاحات الاجتماعية الجذرية ، ونحن نرى جيداً جداً اليوم ما يمكن فعله خلال خمس سنوات وما يتطلب آجالاً اطول بكثير) .

ان هذا الاعتراض يرمي الى الايهام بان الاصلاح الذي اقترحته لن يؤول الا الى الفوضى وبان اعضاء اللجنة المركزية للرقابة سيتيهون عبر المؤسسات غير عارفين الى اين يتوجهون والى من ، ولماذا ، حاملين معهم التشوش في كل مكان ، صارفين المستخدمين عن عملهم الجاري ، الخ . ، الخ . .

اني اعتقد ان سوء نية هذا الاعتراض لعلى درجة من الوضوح بحيث انه لا حاجة حتى للاجابة عليه . غني عن البيان انه سيترتب على هيئة رئاسة اللجنة المركزية للرقابة ومفوض الشعب للتفتيش العمالي والفلاحي ، وكذلك هيئته الادارية (وكذلك امانة اللجنة

المركزية في بعض الحالات) ان يبذلوا الجهود الدائبة في خلال اكثر من سنة لكي ينظموا بصورة سديدة مفوضيتهم للشعب ، وعمل هذه المفوضية سوية مع اللجنة المركزية للرقابة . وبرأيي ان في مستطاع مفوض الشعب للتفتيش العمالي والفلاحي ان يبقى (ويجب ان يبقى) ، مثله مثل كل الهيئة الادارية ، مفوضاً للشعب ؛ وسيحتفظ لنفسه بتوجيه نشاط كل هيئة التفتيش العمالي والفلاحي ، بما فيها جميع اعضاء اللجنة المركزية للرقابة ، الذين سيعتبرون على انهم «انتدبوا» ليكونوا تحت تصرف هذا المفوض . اما الـ٣٠٠ الى ٤٠٠ مستخدم الذين يبقون في هيئة التفتيش العمالي والفلاحي ، فانهم حسب خطتي ، سيؤدون من جهة وظائف امناء لدى اعضاء هيئة التفتيش العمالي والفلاحي الآخرين ، وكذلك لدى الاعضاء الاضافيين من اللجنة المركزية للرقابة ؛ ومن جهة اخرى ، يجب ان يكونوا عالي الكفاءة ، ويكونوا موضع تحقيق دقيق ، ويكونوا امناء امانة خاصة ، ويتقاضوا رواتب عالية تنتشلهم من هذا الوضع البائس حقاً (لكي لا نقول اكثر) ، الذي هو عليه اليوم وضع موظفي التفتيش العمالي والفلاحي .

اني متأكد من اننا اذا انقصنا عدد المستخدمين الى الرقم الذي اشرت اليه ، حسنّا كثيراً صفة شغيلة التفتيش العمالي والفلاحي وكذلك صفة العمل بمجمله ؛ وهذا يتيح في الوقت نفسه لمفوض الشعب ولاعضاء هيئته الادارية تركيز جميع جهودهم على تنظيم العمل ورفع نوعيته بدأب وانتظام واستمرار ، وهذا امر ضروري ضرورة قصوى جداً لسلطة العمال والفلاحين ولنظامنا السوفييتي على السواء .

ومن جهة اخرى ، اعتقد ايضاً انه سيتعين على مفوض الشعب للتفتيش العمالي والفلاحي ان يعمل ، جزئياً ، لدمج المعاهد العليا لتنظيم العمل ، وجزئياً ، لتنسيق نشاط هذه المعاهد

(المعهد المركزي للعمل ، معهد التنظيم العلمي للعمل ، الخ .) ، وعدد هذه المعاهد ١٢ على الاقل في جمهوريتنا . ان التماثل المفرط والميل الذي ينجم عنه نحو الدمج من شأنهما الحاق الضرر . فيجب ، على العكس ، ايجاد حل وسط معقول ، صحيح ، بين دمج جميع هذه المؤسسات في كل موحد وتحديدها تحديداً سديداً ، مع ترك بعض الاستقلال لكل منها .

ولا سبيل الى الريب في ان لجنتنا المركزية ستكسب من هذا الاصلاح بقدر لا يقل عما يكسبه التفتيش العمالي والفلاحي : فانها ستكسب سواء من وجهة نظر صلتها مع الجماهير ام من وجهة نظر انتظام عملها ودأبه . وحينذاك يكون في المستطاع (ومن الواجب) اقرار نظام اشد صرامة واوفر مسؤولية لاعداد جلسات المكتب السياسي ، التي يجب ان يحضرها عدد معين من اعضاء اللجنة المركزية للرقابة ، معين اما لفترة من الزمن واما وفقاً لخطة تنظيمية معينة .

وسوية مع هيئة رئاسة اللجنة المركزية للرقابة ، سيهتم مفوض الشعب للتفتيش العمالي والفلاحي بتوزيع العمل بين اعضاء هذه اللجنة وفقاً لمختلف واجباتهم ، فاما يحضرون جلسات المكتب السياسي ويحققون في جميع الوثائق التي تعرض عليه بشكل او بآخر ، واما يخصصون يوم عملهم للدراسة النظرية ، لدراسة تنظيم العمل تنظيماً علمياً ، واما يشتركون عملياً في رقابة واتقان جهاز دولتنا ، ابتداء من المؤسسات العليا حتى المؤسسات الدنيا المحلية ، الخ . .

واعتقد ايضا انه بالاضافة الى الفائدة السياسية التي ينطوي عليها هذا الاصلاح – اي ان اعضاء اللجنة المركزية واعضاء اللجنة المركزية للرقابة سيكونون اوسع اطلاعاً واحسن استعداداً الى حد كبير لجلسات المكتب السياسي (ان جميع الوثائق المتعلقة بهذه الجلسات انما يجب تسليمها لجميع اعضاء اللجنة المركزية واللجنة

المركزية للرقابة قبل جلسة المكتب السياسي باربع وعشرين ساعة على الاقل ، باستثناء الحالات التي لا يجوز فيها اطلاقاً اي تأثير والتي تتطلب نظاماً خاصاً لابلاغ اعضاء اللجنة المركزية واعضاء اللجنة المركزية للرقابة ، ونظاماً خاصاً للفصل فيها) ، ستكون ثمة هذه الفائدة الاخرى ومفادها ان تأثير العوامل الشخصية والعرضية سيقل في قلب لجنتنا المركزية ، وهذا ما يؤول الى التقليل ايضاً من خطر حدوث الانشقاق .

ان لجنتنا المركزية قد غدت هيئة ممركزة بكل دقة وتتمتع بمكانة معنوية كبيرة . ولكن عمل هذه الهيئة لا يقوم في ظروف تناسب هذه المكانة . والاصلاح الذي اقترحه من شأنه ان يعالج هذا الوضع . واعضاء اللجنة المركزية للرقابة الملزمون بان يحضر عدد معين منهم كل جلسة من جلسات المكتب السياسي ، سيؤلفون فرقة متراصة يترتب عليها – «دون اي اعتبار للاشخاص» – ان تحرص على ألا يحول اي تأثير ، سواء كان من جانب الامين العام ام من جانب اي كان من سائر اعضاء اللجنة المركزية ، دون تقدم الفرقة بالاستفسار والتحقيق في الملفات ، والحصول بوجه عام على الوضوح المطلق والدقة الصارمة في جميع الشؤون .

يقيناً ان النظام الاجتماعي قائم في جمهوريتنا السوفييتية على التعاون بين طبقتي العمال والفلاحين ، – تعاون مقبولون فيه اليوم ايضاً ، ببعض الشروط ، «النيبيون» اي البرجوازية . فلو نشبت خلافات طبقية جدية بين هاتين الطبقتين ، لغدا الانشقاق محتماً لا مناص منه . ولكن نظامنا الاجتماعي لا ينطوي بالضرورة على بذور حتمية مثل هذا الانشقاق . والمهمة الرئيسية التي تواجه لجنتنا المركزية ولجنتنا المركزية للرقابة ، وكذلك مجمل حزبنا ، تتلخص في رقابة العوامل التي قد تثير الانشقاق ، ورقابتها بانتباه ودرئها ، لأن مصير جمهوريتنا يتوقف في آخر الامر على ما يلي : أيسير جمهور

الفلاحين مع الطبقة العاملة ، امانة لتحالفه معها ، ام يترك «النيبيين» ، اي البرجوازية الجديدة ، تفرق صفوفه عن العمال ، تفصله عنهم . وبقدر ما يتضح لنا هذا الاحتمال المزدوج ، وبقدر ما يدركه جميع عمالنا وفلاحينا بمزيد من الوضوح ، يتوافر لنا مزيد من الامكانيات لدرء الانشقاق الذي سيكون ، في حال حصولـــه ، شؤماً عـــلى الجمهورية السوفييتية .

٢٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٣ .

«البرافدا» ، العدد ١٦ ، ٢٥ كانـــون الثاني (يناير) ١٩٢٣
المجلد ٤٥ ، ص ص ٣٨٣–٣٨٨

من الافضل اقل ، شرط ان يكون احسن

فيما يخص اتقان جهاز دولتنا ، برأيي انه لا ينبغي لهيئة التفتيش العمالي والفلاحي ان تستعجل الامور ولا ان تركض وراء الكمية . فحتى اليوم ، قلما توافر لنا الوقت للتفكير بنوعية جهاز دولتنا والسهر عليه ، ولذا يكون من المشروع الاهتمام باعداده بعناية خاصة ، بتركيز مادة بشرية حديثة حقاً في هيئة التفتيش العمالي والفلاحي ، اي مادة لا تقل في شيء عن خيرة النماذج الاوروبية الغربية . يقيناً ان هذا الشرط متواضع جداً بالنسبة لجمهورية اشتراكية . ولكن السنوات الخمس الاولى قد حشت رؤوسنا بقدر كبير من الحذر والارتياب . فنحن ميالون عفواً الى التشرب بهذا الشعور ازاء اولئك الذين يسهبون في الكلام كثيراً جداً وبسهولة فائقة حول الثقافة «البروليتارية» ، مثلاً : فحسبنا في البداية ان تكون لنا ثقافة برجوازية حقيقية ؛ حسبنا في البداية ان نعرف كيف نستغني عن النماذج الغليظة الفظة جداً من الثقافات السابقة للثقافات البرجوازية ، اي من الثقافة الدواوينية ومن الثقافة الاقطاعية ، الخ . . ان العجلة المفرطة والمزايدة هما الاشد ضرراً في مضمار الثقافة . وهذا ما يجب على الكثيرين من ادبائنا وشيوعيينا الشباب ان يحطوه جيداً في رؤوسهم .

والآن ، ينبغي لنا ، فيما يخص جهاز الدولة ، ان نستخلص من تجربة الماضي هذا الاستنتاج ومفاده انه من الافضل السير بسرعة اقل .

ان الامور في جهاز دولتنا لعلى درجة من السوء ، لكي لا نقول انها مقيتة ، بحيث انه ينبغي لنا بادئ بدء ان نفكر عن كثب في كيفية مكافحة عيوبه التي – ولا ننسين هذا – تعود الى الماضي الذي ، رغم قلبه ، لم يقض عليه بعد ، لم يصبح بعد من ميدان ثقافة ولت منذ زمن بعيد . واني اطرح هنا مسألة الثقافة على وجه الضبط ، لأنه يجب في هذا الصدد الا نعتبر من الامور المحققة الا ما دخل في الثقافة ، في الحياة اليومية ، في العادات . والحال ، ان ما هو صالح في تنظيمنا الاجتماعي يؤخذ عندنا بعجلة ، وباقل ما يكون من التأمل ، والفهم ، والاحساس ، والتثبت ، والامتحان ، والتأكيد بالتجربة ، والتوطيد ، الخ . . ويقيناً انه لم يكن من الممكن ان تسير الامور على غير هذا النحو في عهد ثوري ، وفي تطور بمثل هذه السرعة والقوة قادنا ، في خمس سنوات ، من القيصرية الى النظام السوفييتي .

ينبغي لنا ان نضع عقولنا في رؤوسنا في الوقت اللازم . ينبغي لنا ان نتشبع بحذر نافع من كل ركض الى امام بدون روية ، من كل ضرب من التباهي ، الخ . . ينبغي الامعان في التحقق من الاجراءات التي نعلنها في كل ساعة والتي نتخذها في كل دقيقـــة والتي نقدم البرهان بعد ذاك في كل ثانية على ضعفها ، على وهنها وغموضها . والاضرّ هنا ، انما هو العجلة . والاضر ، الاعتقاد اننا نعرف شيئاً ما ، او اننا نملك عدداً كبيراً الى هذا الحد او ذاك من العناصر لبناء جهاز جديد حقاً ، ويستحق فعلاً اسم جهاز اشتراكي ، سوفييتي ، الخ . .

كلا ، ان هذا الجهاز لا نملكه ، بل اننا نملك عدداً قليلاً مضحكاً من عناصره . وعلينا ألا ننسى انه ينبغي لنا لانشائه ألا

نبخل في الوقت ، وان هذا سيطلب الكثير ، الكثير ، الكثير مـــن السنين .

فاي عناصر نملك لانشاء هذا الجهاز ؟ عنصرين فقط . اولاً ، العمال المندفعين في غمرة النضال من اجل الاشتراكية . ان هؤلاء العمال ليسوا على درجة كافية من التعليم . وهم يودون حقاً ان يعطونا جهازاً افضل ولكنهـــم لا يعرفون كيف يدبرون الامر . وليس في مستطاعهم ان يفعلوه . انهم لم يبلغوا بعد درجة كافية من التكوين ، ولم يبلغوا المستوى الثقافي المطلوب . والحال ، لا بد لهذا الغرض من امتلاك الثقافة على وجه الضبط . وهنا لا يمكن حل المشكلة بقوة او بهجوم مفاجئ بشجاعة او بعزم او ، على العموم ، بصفة من خير الصفات الانسانية ، ايا كانت . ثانياً ، عناصر المعرفة ، التعلم ، التحصيـــل ، وهي عناصر نملك منهـــا قدراً قليلاً مضحكاً بالقياس الى جميع البلدان الاخرى .

ويجب ألا ننسى اننا لا نزال ميالين جداً الى الرغبة في التعويض عن هذه المعرفة (او الى التصور بانه يمكن التعويض عنها) بالحمية ، بالعجلة المفرطة ، الخ . .

فلتجديد جهاز دولتنا ينبغي لنا مهما كلف الامر ان نضع نصب عيوننا المهمة التالية : اولاً ، ان نتعلم ؛ ثانياً ، ان نتعلم ايضاً ؛ ثالثاً ، ان نتعلم دائماً . ثم العناية بان لا يبقى العلم عندنا حرفاً ميتاً او جملة شائعة على الموضة (وهذا – وليس لنا ان نخفيه – ما يحدث لنا في اغلب الاحيان) ؛ بان يدخل العلم حقاً في العادات ، ويصبح جزءاً لا يتجزأ من حياتنا ، كلياً وفعلاً . وبالمختصر ، ينبغي لنا ان نتطلب لا ما تتطلبه اوروبا الغربية البرجوازية ، بل ما يجدر ويليق تطلبه بالنسبة لبلد يعتزم ان يصير بلداً اشتراكياً .

النتيجة : ينبغي لنا ان نجعل من هيئة التفتيش العمالي والفلاحي بصفتها اداة لتحسين جهاز دولتنا ، مؤسسة نموذجية حقاً .

ولكي يمكنها بلوغ المستوى المنشود ، يجب التقيد بالقاعدة القائلة : قس سبع مرات ، وقص مرة واحدة .

ولهذا يجب استغلال خير ما في نظامنا الاجتماعي حقاً باقصى الاحتراس والتفكير والمعرفة ، من اجل انشاء مفوضية الشعب الجديدة هذه .

ولهذا يجب على خيرة عناصر نظامنا الاجتماعي ، اي : العمال المتقدمين ، اولاً ، وثانياً ، العناصر المتعلمة حقاً ، التي يمكن الضمان على انها لن تصدق شيئاً استناداً الى الاقوال وانها لن تقول شيئاً يخالف وجدانها ، — ألا تخشى من الاعتراف باي صعوبة كانت ، وألا تتراجع عن خوض اي نضال في سبيل بلوغ الهدف الذي وضعته نصب عيونها بصورة جدية .

منذ خمس سنوات ونحن نتسرع لاتقان جهاز دولتنا . ولكن هذا التسرع لم يكن سوى جهد باطل بيّن لنا فقط ، في بحر خمس سنوات ، انه كان عديم الفعالية ، او حتى عديم الجدوى ، بل ضاراً . ان هذا التسرع كان يعطينا مظهر العمل ؛ ولكنه كان في الواقع يوسخ مؤسساتنا وادمغتنا .

ينبغي اخيراً ان يتغير هذا .

ينبغي اتباع هذه القاعدة : من الافضل اقل من حيث الكمية ، شرط ان يكون احسن من حيث الكيفية . ينبغي اتباع هذه القاعدة : من الافضل بعد سنتين او حتى بعد ثلاث سنوات ؛ وهذا افضل من تعجيل الامور دون اي امل في تكوين مادة بشرية جيدة .

اني اعرف انه سيكون من الصعب التقيد بهذه القاعدة وتطبيقها في واقعنا . وانا اعرف ان القاعدة المعاكسة ستتشبث لنفسها طريقاً بالف لفة ودورة . وانا اعرف انه سيترتب ابداء مقاومة هائلة ، وانه سيتعين التحلي بمثابرة هائلة ؛ وان هذا العمل سيكون ، في السنوات الاولى على الاقل ، سيئ المردود جداً . ومع ذلك فاني

مقتنع باننا بهذا العمل وحده سنبلغ هدفنا وسنتمكن ، بعد بلوغ هذا الهدف ، من تكوين جمهورية جديرة فعلاً باسم الجمهورية السوفييتية ، الاشتراكية ، الخ . ، الخ . ، الخ . .

ومن المحتمل ان يكون عدد عديد من القراء قد وجدوا الارقام التي اوردتها على سبيل المثال في مقالي الاول * زهيدة جداً . واني على يقين بانه يمكن ايراد كثرة من الحسابات لتبيان النقص في هذه الارقام . ولكني اعتقد انه يجب علينا ان نضع فوق جميع هذه الحسابات وغيرها ، شيئاً واحداً : مصلحتنا في كيفية مثالية حقاً .

اني اعتبر انه آن بالضبط الاوان الذي يجب علينا فيه ان نهتم اخيراً بجهاز دولتنا كما ينبغي ، بكامل الجد ، والذي قد تتسبب فيه العجلة بافدح الضرر لعملنا . ولذا اريد ان احذر بالغ التحذير من تضخيم هذه الارقام . بل اني اعتقد ، على العكس ، انه ينبغي لنا هنا ان نكون بخيلين جداً بالارقام . ولنتكلم بصراحة . ان مفوضية الشعب للتفتيش العمالي والفلاحي لا تتمتع في الوقت الحاضر باي ظل من النفوذ . والجميع يعرفون انه ليس ثمة مؤسسات اسوأ تنظيماً من مؤسسات تفتيشنا العمالي والفلاحي وانه لا يمكن في الظروف الراهنة مطالبة هذه المفوضية بشيء . ينبغي لنا ان نتذكر هذا جيداً اذا شئنا ان نتوصل حقاً خلال بضعة اعوام الى انشاء مؤسسة تكون ، اولاً ، مثالية ، ثانياً توحي للجميع بثقة مطلقة ، ثالثاً ، تبين للجميع ولكل فرد اننا برزنا فعلاً عمل هذه المؤسسة العالية التي هي اللجنة المركزية للرقابة . ان مختلف القواعد العامة فيما يخص عدد العاملين في دوائرها يجب ، برأيي ، ابطالها فوراً

* راجعوا هذا الكتاب ، ص ٥٦٥–٥٧١ . **الناشر** .

وبلا مرد . وينبغي لنا ان نختار مستخدمي التفتيش العمـــالي والفلاحي بعناية خاصة ، وذلك بفرض اقسى الامتحانات عليهم ، لا بطريقة اخرى . وبالفعل ، اي جدوى من انشاء مفوضية للشعب يجري فيها العمل بين بين ، دون ان يوحي باقل ثقة ، كمـــا في السابق ، ولا يكون لكلماتها سوى وزن زهيد جداً ؟ اني اعتقد ان مهمتنا الرئيسية انما هي مهمة اجتناب هذا لدن اعادة التنظيم التي نضع تصميمها في الوقت الحاضر .

ان العمال الذين نختارهم اعضاء في اللجنة المركزية للرقابة يجب ان يكونوا شيوعيين لا عيب فيهم ، واعتقد انه لا بد من بذل جهد طويل النفس لتعليمهم طرائق عملهم واهدافه . وبعد ذاك ، يجب ان يكون ثمة عدد محدد من الامناء ، بصفة معاونين في هذا العمل ، ينبغي اخضاعهم لرقابة مثلثة قبل قبولهم في العمل ، واخيراً ، ينبغي لاولئك المستخدمين الذين نقدم على تعيينهم فوراً ، على سبيل الاستثناء ، في مناصب التفتيش العمالي والفلاحي ، ان يستجيبوا للشروط التالية :

اولاً ، ان يوصي بهم عدة شيوعيين ؛

ثانياً ، ان يخضعوا لامتحان يثبت انهم يعرفون جهاز دولتنا ؛

ثالثاً ، ان يخضعوا لامتحان يثبت انهم يعرفون اسس النظرية المتعلقة بجهاز دولتنا ، واسس العلم الاداري ، واصول تصريف الامور الادارية ، الخ . ؛

رابعاً ، يجب ان يحققوا حسن التفاهم في العمل مع اعضاء اللجنة المركزية للرقابة ومع امانتهم بالذات ، بصورة نتمكن معها من ان نتعهد بحسن عمل هذا الجهاز بكليته .

اني اعرف ان هذه المقتضيات تفترض شروطاً قاسية الى ما لا قياس له ، واخشى شديد الخوف ان تعلن اغلبية «عمليي» التفتيش العمالي والفلاحي انها غير قابلة للتطبيق ، او ان يستقبلوهـــا

بابتسامة الازدراء . ولكني اسأل اياً من القادة الحاليين في التفتيش العمالي والفلاحي او من الاشخاص المرتبطين بهـــذه المفوضيـــة : هل يستطيع ان يقول لي صراحة ما هي الفائدة العملية من مفوضية الشعب هذه التي هي التفتيش العمالي والفلاحي ؟ اني اعتقد ان هذا السؤال سيتيح له ايجاد معنى الاعتدال . فاما انه لا يجدر اللجوء الى اعادة تنظيم هذه المؤسسة الميؤوس منها التي هي التفتيش العمالي والفلاحي – فلكم رأينا من امثال اعادة التنظيم هذه ؛ – واما انه ينبغي حقاً ان نضع نصب عيوننا مهمة قوامها ان نخلق بطريق بطيء ، صعب ، غير مألوف ، وليس دون اللجوء الى التثبت مراراً وتكراراً ، شيئاً ما مثالياً حقاً ، من شأنه ان يوحي للجميع ولكل فرد بالاحترام ، وليس فقط لان الرتب والدرجات تفرض ذلك .

فاذا لم نتسلح بالصبر ، واذا لم نكرس لهذه المهمة عدة سنوات فمن الافضل ألا نشرع بها اطلاقاً .

واعتقد انه بين المؤسسات التي سبق وانشأنا كثرة منها ، من معاهد عليا للعمـــل ، الخ . ، يجب اختيـــار الحد الادنى ، والتثبت مما اذا كانت منظمة بكل الجد المنشود ، ومواصلة العمل ، ولكن بشرط واحد ، شرط ان يكون فعلاً في مستوى العلم الحديث ، وان يعطينا جميع ضماناته . واذ ذاك ، لن يكون من باب الطوبوية الامل في الحصول خلال عدة سنوات على مؤسسة يكون في مقدورها اداء مهمتها ، اي العمل لاتقان جهاز دولتنا بدأب وانتظام ، دون اي وهن او كلل ، متمتعة بثقة الطبقة العاملة والحزب الشيوعي في روسيا وجميع سكان جمهوريتنا .

ومن الممكن ان يبدأ العمل التحضيري منذ الآن . واذا وافقت مفوضية التفتيش العمالي والفلاحي على خطة هذا الاصلاح ، امكنها الشروع فوراً بالتحضيرات والعمل بدأب وانتظام حتى ايصال هذه

التحضيرات الى غايتها ، دون الاستعجال ودون الامتناع عن اعادة ما تم فعله مرة .

ومن شأن أنصاف التدابير هنا ان تؤول الى الحد الاقصى من الضرر . وجميع الاعتبارات الاخرى التي يمكن الادلاء بها بصدد عدد اعضاء التفتيش العمالي والفلاحي ستكون في الواقع مبنية على المبادئ البيروقراطية القديمة ، على الاوهام القديمة ، على كل ما سبق وشجب ويثير ضحك الجميع ، الخ . .

وفي الحقيقة ، توضع المسألة هنا كما يلي :

اما ان نبين منذ الآن اننا اكتسبنا بعض المعارف الجدية في مضمار بناء الدولة (ليس من المحرّم تعلّم شيء ما في بحر خمس سنوات) ، واما اننا لا نزال بعد غير ناضجين لهذا الغرض ، واذ ذاك لا يجدر التعهد به .

اني اعتقد اننا لن نتخطى حدود التواضع اذا افترضنا ، نظراً للمادة البشرية المتوافرة لنا ، اننا نملك قدراً كافياً من المعارف نستطيع به ان نبني من جديد ، وبدأب وانتظام ، مفوضية للشعب واحدة على الاقل . صحيح انه يترتب على هذه المفوضية الواحدة ان تكون نموذجاً لجهاز دولتنا بمجمله .

يجب الاعلان فوراً عن مباراة لاعداد كتابين دراسيين او اكثر ، تبحث في تنظيم العمل على العموم وفي العمل الاداري على الخصوص . ويمكن اتخاذ كتاب يرمانسكي الموجود عندنا اساساً ، مع العلم ، ونقول هذا بين هلالين ، ان هذا المؤلف يعطف بشكل واضح على المنشفية ولا يمكن الاعتماد عليه لوضع كتاب دراسي يمكنه ان يلائم سلطة السوفييتات . ثم يمكن اتخاذ كتاب كرجنتسيف الذي صدر مؤخراً ، اساساً ؛ واخيراً ، قد يفيد ايضاً بعض الكتب الدراسية الاخرى التي تبحث في مختلف وجوه المسألة .

ينبغي ارسال بضعة اشخاص ذوي اطلاع ووجدان وذمة الى المانيا او الى بريطانيا لجمع المعلومات والمستندات ودراسة المسألة . لقد ذكرت بريطانيا فيما اذا استحال السفر الى اميركا او الى كندا .

ينبغي تعيين لجنة يعهد اليها بوضع البرنامج التمهيدي للامتحانات التي يجب ان يخضع لها الراغبون في ترشيح انفسهم للاستخدام في التفتيش العمالي والفلاحي ؛ والامر نفسه فيما يخص الراغبين في ترشيح انفسهم لمناصب اعضاء اللجنة المركزية للرقابة .

ان هذه الاعمال والاعمال المماثلة الاخرى لن تعيق بالطبع لا مفوض الشعب ، ولا اعضاء هيئة التفتيش العمالي والفلاحي الادارية ، ولا هيئة رئاسة اللجنة المركزية للرقابة .

والى جانب هذا ، يجب تعيين لجنة تحضيرية يعهد اليها بايجاد المرشحين لمناصب اعضاء اللجنة المركزية للرقابة . وآمل ان يتوافر لنا اليوم من اجل هذه المناصب عدد من المرشحين اكثر مما يكفي ، سواء بين موظفي مختلف الدوائر ذوي الخبرة ام بين طلاب مدارسنا السوفييتية . ومن المشكوك فيه ان يكون من الصواب استبعاد هذه الفئة او تلك مسبقاً . ومن المحتمل ان يترتب علينا اختيار ذاتية متنوعة في هذه المؤسسات حيث يجب علينا ان نبحث عن ائتلاف بين الصفات العديدة ، بين الكفاءات المتباينة . وهكذا سيتعين بذل جهد كبير هنا لوضع لائحة المرشحين . مثلاً ، سيكون من غير المرغوب فيه قبل كل شيء ان نؤلف هذه المفوضية الجديدة حسب نموذج واحد ، مثلاً ، من الناس من طراز الموظف ، او بان نقصي منها الناس من طراز المحرض ، او الناس الذين سمتهم المميزة روح العشرة او القدرة على الدخول في اوساط غير اليفة على هذا النوع من الشغيلة ، الخ . .

* * *

يبدو لي اني اعبر على نحو افضل عن فكرتي اذا قارنت خطتي بالمؤسسات من الطراز الاكاديمي . يجب على اعضاء اللجنة المركزية للرقابة ان ينكبوا ، تحت ادارة هيئة رئاستهم ، على دراسة جميع ملفات ووثائق المكتب السياسي دراسة دائبة منهاجية . ويجب عليهم ، من جهة اخرى ، ان يوزعوا وقتهم بصورة عقلانيـــة بين مختلف اعمال التثبت من تصريف الامور في مؤسساتنا ، ابتداء من اصغر المؤسسات الخاصة حتى اعلى مؤسسات الدولة . واخيراً ، يجب عليهم ايضاً ان يدرسوا النظرية ، اي نظرية تنظيم العمل الذي يعتزمون الانصراف اليه كلياً ؛ ويجب عليهم كذلك ان يقوموا باعمال تطبيقية اما باشراف رفاق قدامى واما باشراف اساتذة من المعاهد العليا لتنظيم العمل .

ولكني اعتقد انه لن تسنح لهم الفرصة لحصر نشاطهم في هذه الاعمال الاكاديمية الصرف . انما يجب عليهم ان يستعدوا ، فضلاً عن ذلك ، لاعمال لا استحي اذا اسميتها باعمال التحضير للصيد ، ولا اقول لصيد المحتالين ، بل لصيد شيء ما من هذا القبيل ، وباعمال اختراع الحيل المعدة لاخفاء حملاتهم وهجماتهم ، الخ . .

ان اقتراحات كهذه من شأنها ، في مؤسسات اوروبا الغربية ، ان تثير غضباً لا سابق له ، ان تبعث شعوراً بالسخط الاخلاقي ، الخ . ، ولكني آمل اننا لم نبلغ بعد هذه الدرجة من البيروقراطية لكي نستعد لهذا . فالسياسة الاقتصادية الجديدة لم تكتسب بعـــد عندنا قدراً من المهابة بحيث يترتب علينا ان نستاء من الفكرة انه من الممكن ان يُقبض على احدهم . ان جمهوريتنا السوفييتية قد بنيت منذ وقت قصير جداً ، واننا لنرى عليها من النوافل اكواماً واكواماً ، بحيث ان احداً لن يفكر في الاستياء من فكرة انه من المحتمل اجراء التنقيبات في هذه الاكوام بواسطة بعض الحيل وبعض محاولات السبر التي تقصد احياناً مصادر بعيدة نسبياً ، او تجري بسبل ملتويـــة

نسبياً . وحتى اذا ما فكّر احدهم في الاستياء من هذه الفكرة ، ففي المستطاع التأكيد اننا سنضحك عليه جميعاً بكل طيبة قلب .

ان تفتيشنا العمالي والفلاحي الجديد ، كما نأمل ، سيترك بعيداً عنه وراءه هذه الصفة التي يسميها الفرنسيون pruderie والتي يمكننا ان نسميها التكلف المضحك او التزمت المضحك ، والتي تخدم بكل روعة مآرب كل بيروقراطيتنا ، سواء في مؤسساتنا السوفييتية ام في مؤسسات الحزب ، لأن البيروقراطية ، ونقول هذا بين هلالين ، موجودة عندنا لا في المؤسسات السوفييتية وحسب ، بل ايضاً في مؤسسات الحزب .

واذا كنت قد كتبت اعلاه انه ينبغي لنا ان نتعلم وان نتعلم في المعاهد للتنظيم العالي للعمل ، الخ . ، فهذا لا يعني ابداً اني افهم هذا «التعليم» فهماً مدرسياً الى حد ما ، او اني اقتصر على فكرة التعليم على النحو المدرسي . وآمل ألا يظن اي ثوري حقيقي باني تخليت هنا عن فهم «التعليم» على انه ملحة نصف داعبة ، حيلة ، احبولة او شيء ما من هذا القبيل . وانا اعرف ان هذه الفكرة من شأنها ان تثير الرعب حقاً في دولة جدية ومفرطة في مراعاة الترتيب من دول اوروبا الغربية ، وان اي موظف يحترم نفسه لن يوافق حتى على مجرد مناقشتها . ولكني آمل اننا لم نبلغ بعد هذه الدرجة من البيروقراطية وآمل ألا تثير مناقشة هذه الفكرة عندنا الا المزاج الطيب .

وبالفعل ، لماذا لا نجمع بين اللذيذ والنافع ؟ لماذا لا نستفيد من ملحة داعبة او نصف داعبة لكي نكتشف شيئاً ما مضحكاً ، شيئاً ما ضاراً ، نصف مضحك ، نصف ضار ، الخ . ؟

ويبدو لي ان تفتيشنا العمالي والفلاحي سيكسب كثيراً اذا ما راعى هذه الاعتبارات ، وان لائحة الحالات الغريبة المضحكة التي احرزت بواسطتها لجنتنا المركزية للرقابة او زملاؤها في التفتيش

العمالي والفلاحي بعضاً من ابهر انتصاراتهم ، ستغتني بمآثر كثيرة جديدة يحققها «مفتشونا» و«مراقبونا» المقبلون ، في اماكن لا يليق ابداً ذكرها في كتب دراسية رزينة ورصينة .

* * *

كيف يمكن الجمع بين مؤسسات حزبية وادارات سوفييتية ؟ أليس في هذا شيء غير مقبول ؟

اني لا اطرح هذا السؤال باسمي ، بل باسم اولئك الذين المحت اليهم اعلاه ، حين قلت ان عندنا بيروقراطيين لا في دوائرنا السوفييتية وحسب ، بل ايضاً في مؤسسات الحزب .

وبالفعل ، لماذا لا نجمع بين هذه وتلك حين تقضي المصلحة بذلك ؟ أولم يلاحظ احد يوماً ان جمعاً كهذا لعلى درجة قصوى من الفائدة في مفوضية للشعب كمفوضية الشؤون الخارجية ، مثلاً ، وانه مطبق فيها منذ تأسيسها ؟ أولا يبحث المكتب السياسي ، من وجهة نظر الحزب ، جملة من المسائل الكبيرة والصغيرة المتعلقة «بالمناورات المعاكسة» التي نلجأ اليها للرد على «مناورات» الدول الاجنبية ، وذلك لكي ندرأ ، مثلاً ، حيلة ما من جانبها ، وتعبيرنا هنا من قبيل التهذيب ؟ أليس هذا الجمع المرن بين العنصر السوفييتي الاداري وعنصر الحزب ينبوع قوة فوق العادة لسياستنا ؟ اني اعتقد ان ما برر وجوده ، ما رسخ في سياستنا الخارجية ، وما دخل في العادات الى حد انه لم يعد يثير اي شك في الموضوع ، سيكون على الاقل مناسباً بالقدر نفسه (واعتقد انه سيكون مناسباً حتى بقدر اكبر بكثير) فيما يتعلق بمجمل جهاز دولتنا . والحال ، يجب على التفتيش العمالي والفلاحي ان ينصرف على وجه الضبط الى تحسين جهاز دولتنا بكليته ، ويجب ان يتناول نشاطه جميع مؤسسات الدولة دون اي استثناء ، المحلية منها والمركزية ، والتجارية ،

والدواوينية الصرف ، والمدرسية ، والمسرحية ، والارشيف الخ . ، اي بكلمة ، جميع المؤسسات دون اي استثناء .

فلماذا اذن بالنسبة لمؤسسة تعمل على نطاق واسع كهذا وتتطلب فضلاً عن ذلك مرونة فوق العادة من حيث اشكال نشاطها ، لماذا اذن لا يصار بالنسبة لها الى القبول بدمج خاص بين هيئة الرقابة الحزبية وهيئة الرقابة السوفييتية الادارية ؟

انا ، فيما يخصني ، لا ارى اي مانع . وفضلاً عن ذلك ، اعتقد ان هذا الدمج هو الضمانة الوحيدة لنشاط مثمر . واعتقد ان جميع الشكوك في هذا الصدد تنبثق من اكثر زوايا دولتنا غباراً وقذارة ، وانها لا تستحق سوى شيء واحد ، هو السخر منها .

* * *

شك آخر : هل من الملائم الجمع بين النشاط المدرسي وممارسة وظيفة من الوظائف ؟ يبدو لي ان هذا ليس ملائماً وحسب ، بل ضروري ايضاً . فعلى العموم ، ورغم كل موقفنا الثوري من انظمة الدولة في اوروبا الغربية ، لقحتنا هذه الانظمة بجملة من اشد الاوهام ضرراً وحماقة . وهذه العدوى تأتينا الى حد ما كذلك من بيروقراطيينا الطيبين الذين نقلوها الينا قصداً وعمداً ، بأمل ان يتمكنوا غير مرة من الصيد في ماء هذه الاوهام العكر . وقد اصطادوا في هذا الماء العكر الى حد ان العميان حقاً بيننا لم يلحظوا ، هم وحدهم ، على اي نطاق واسع يجري هذا الصيد .

نحن ثوريون بشكل «رهيب» في كامل ميدان العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . ولكن «ثوريتنا» فيما يخص احترام المراتب ، والتقيد بالاشكال والعادات في الاصول الادارية ، تخلي المكان على الدوام لروح النمطية الاشد تعفناً . وفي الامكان هنا ملاحظة واقع على اعظم جانب من الاهمية ، وهو ان اروع قفزة الى

الامام في الحياة الاجتماعية ، غالباً ما يصحبها تردد فاضح حيال اقل التغيرات .

وهذا مفهوم ، لأن اجرأ الخطوات الى الامام قد تمت في ميدان كان منذ زمن بعيد مجالا للنظريـــــة ، في ميدان معنى به بصورة رئيسية ، وحتى بوجه الحصر تقريباً ، من الناحية النظرية . فان الروسي ، الذي تقززت نفسه من الواقع البيروقراطي الكريه ، كان يفرج عن قلبه في بيته بتشييد المناهج النظرية الفائقة الجرأة ؛ ولهذا كانت هذه المناهج النظرية الفائقة الجرأة ترتدي عندنا طابعاً وحيد الجانب للغاية . وعندنا كانت الجرأة النظرية في الانشاءات ذات الطابع العام تتعايش مع جبانة مدهشة امام اتفه الاصلاحات الادارية . كانت فكرة اعظم ثورة زراعية عالمية تصاغ بجرأة غير معروفة في البلدان الاخرى ؛ والى جانب هذا ، كان ثمة نقص في الخيال لتحقيق اصلاح اداري من الدرجة العاشرة ؛ كان ثمة نقص في الخيال او في الصبر لتطبيق المبادئ العامة نفسها على هذا الاصلاح ، هذه المبادئ التي كانت ، عند تطبيقها على القضايا العامة ، تؤول الى نتائج «باهرة» جداً .

ولهذا تجمع حياتنا الراهنة في ذاتها بصورة مدهشة سمات من الجرأة والاقدام وسمات من الجبانة الفكرية امام اتفه التغيرات .

اني اعتقد ان الحال لم يكن قط على نحو آخر في جميع الثورات الكبيرة حقاً لان الثورات الكبيرة حقاً تولد من التناقضات بين ما هو قديم ويرمي الى اعادة تكوين القديم ، وبين الميل الاكثر تجريداً الى ما هو جديد ، جديد الى حد انه لا يعود يتسع لأي حبة من الماضى القديم .

وكلما ازدادت هذه الثورة حزماً وعزماً ، دامت هذه الجملة من التناقضات زمناً اطول .

* * *

ان الميزة العامة التي تصف حياتنا الحالية هي التالية : لقد حطمنا الصناعة الرأسمالية ، وسعينا قصارى جهدنا لهدم مؤسسات القرون الوسطى من جذورها ، لهدم الملكية العقارية الاقطاعية ، وانشأنا على هذا الاساس طبقة الفلاحين الصغار والصغار جداً ، الذين يسيرون وراء البروليتاريا ، بدافع من الثقة بنتائج عملها الثوري . ولكنه لن يكون من السهل علينا ان نصمد ، بهذه الثقة وحدها ، حتى انتصار الثورة الاشتراكية في البلدان التي هي اكثر تقدماً ؛ لان الفلاحين الصغار والفلاحين الصغار جداً ، ولا سيما في عهد السياسة الاقتصادية الجديدة ، يظلون ، بحكم الضرورة الاقتصادية ، في مستوى منخفض جداً من حيث انتاجية العمل . هذا مع العلم ان الوضع الدولي قد قذف بروسيا اليوم الى الوراء ، وجعل انتاجية عمل الشعب في بلادنا اليوم اقل بوجه عام وبصورة محسوسة مما كانت عليه قبل الحرب . وقد بذلت الدول الرأسمالية الاوروبية الغربية ، عن قصد وبدون قصد ، كل ما في وسعها لكي تقذف بنا الى الوراء ، لكي تستغل عناصر الحرب الاهلية في روسيا ، بغية اشاعة الحد الاقصى من الخراب في البلاد . يقيناً ان هذه النهاية للحرب الامبريالية هي التي كانت تبدو ، على وجه الدقة ، النهاية التي تنطوي على افضليات محسوسة : اذا لم ندك النظام الثوري في روسيا ، عرقلنا على الاقل تطوره نحو الاشتراكية ، — هكذا على وجه التقريب كانت تحلل وتفكر هذه الدول ولم يكن بوسعها ، من وجهة نظرها ، ان تحلل وتفكر على نحو آخر . ولم تنجز ، في نهاية الامر ، إلا نصف مهمتها . فانها لم تدك النظام الجديد الذي انشأته الثورة ، غير انها لم تسمح له كذلك بان يخطو فوراً خطوة الى امام تبرر تنبؤات الاشتراكيين ، وتمكنهم من تطوير القوى المنتجة بوتيرة سريعة جداً ؛ كما انها لم تسمح له بتطوير جميع الامكانيات التي كان من الممكن ان يشكل مجموعها الاشتراكية ؛ ولم تسمح له بان

يظهر امام الجميع وامام كل فرد بوضوح ، بكل جلاء ، ان الاشتراكية تنطوي على قوى هائلة وان الانسانية قد انتقلت الآن الى مرحلة جديدة من التطور تتضمن امكانيات في اقصى الروعة .

وان نظام العلاقات الدولية هو الآن على نحو بحيث ان الدول الغالبة تستعبد احدى الدول في اوروبا ، وهي المانيا . ثم ان جملة من الدول ، ومن أعرقها في الغرب ، قد وجدت نفسهـــا ، عقب الانتصار ، في اوضاع تمكنها من استخدام هذا الانتصار لاجراء بعض التنازلات التافهة في صالح الطبقات التي تضطهدها ، وهي تنازلات ، رغم تفاهتها ، تؤخر الحركة الثورية في هذه البلدان وتخلق ما يشبه بعض الشيء «سلاماً اجتماعياً» .

وفي الوقت نفسه ، ومن جراء الحرب الامبريالية الاخيرة على وجه الدقة ، نرى عدداً كبيراً من البلدان – الشرق ، الهند ، الصين ، الخ . ، – قد قذف به خارج طريقه بصورة نهائية . فقد سلكت هذه البلدان نهائياً سبيل الرأسمالية الاوروبيـــة العام . والغليان الذي يخض كل اوروبا اخذ يشمل هذه البلدان . وواضح الآن بنظر العالم بأسره انها سارت في سبيل من التطور لا بد له ان يؤدي الى نشوب ازمة في مجمل الرأسمالية العالمية .

ولذا نواجه الآن السؤال التالي : أترانا نستطيـــع الصمود بانتاجنا الفلاحي الصغير والصغير جداً ، وبما نحن فيه من تلف وخراب ، حتى تستكمل البلدان الرأسمالية في اوروبا الغربية تطورها نحو الاشتراكية ؟ ولكنها تستكمل تطورها هذا على غير ما توقعناه فيما مضى . انها لا تستكمله عن طريق «نضوج» الاشتراكية فيها بانتظام ، بل عن طريق استثمار بعض الدول بعضها الآخر ، عن طريق استثمار الدولة الاولى المغلوبـــة في الحرب الامبرياليـــة بالاضافة الى استثمار الشرق كله . ومن جهة اخرى ، ومن جراء

هذه الحرب الامبريالية الاولى على وجه الدقة ، دخل الشرق نهائياً في الحركة الثورية واجتذب نهائياً الى مجمل الحركة الثورية العالمية .

فاي تكتيك يفرضه هذا الوضع على بلادنا ؟ بكل تأكيد ، التكتيك التالي : ينبغي لنا ان نبدي اقصى الحذر والاحتراس لكي نحافظ على سلطتنا العمالية ، لكي نبقي ، تحت نفوذها وقيادتها ، الفلاحين الصغار والصغار جداً في بلادنا . واننا لنتمتع بافضلية ان العالم بأسره ينتقل الآن الى حركة لا بد ان تؤدي الى الثورة الاشتراكية العالمية . ولكن ثمة عائق يعوقنا وهو ان الامبرياليين قد نجحوا في شق العالم كله الى معسكرين ؛ وهذا الانشقاق يزداد تعقداً لكون المانيا ، لكون هذا البلد حيث الثقافة الرأسمالية راقية فعلاً ، لا يستطيع النهوض اليوم إلا ببالغ الصعوبة . فان جميع الدول الرأسمالية في ما يسمونه الغرب تنقرها تنقيراً وتمنع نهوضها . ومن جهة اخرى ، نرى ان الشرق بأسره ، مع مئات الملايين من الشغيلة المستثمَرين ، الذين يعانون اقصى الضنك والاعياء ، يواجه اوضاعاً لا تستطيع معها قواه الجسدية والمادية ان تصمد ابداً للمقارنة مع القوى الجسدية والمادية والعسكرية في اي بلد من بلدان اوروبا الغربية ، مهما كان صغيراً .

أترانا نستطيع تلافي الاصطدام المقبل مع هذه البلدان الامبريالية ؟ أترانا نستطيع الأمل بان تدع لنا التناقضات والنزاعات الداخلية بين البلدان الامبريالية المزدهرة في الغرب والبلدان الامبريالية المزدهرة في الشرق ، مهلة للمرة الثانية كما جرى للمرة الاولى ، حين أخفقت الحرب الصليبية التي شنتها الثورة المضادة في اوروبا الغربية لأجل مساعدة الثورة المضادة في روسيا ، من جراء التناقضات في معسكر اعداء الثورة الغربيين والشرقيين ، في معسكر المستثمرين الشرقيين والمستثمرين الغربيين ، في معسكر اليابان واميركا ؟

يبدو لي انه ينبغي الجواب عن هذا السؤال بمعنى ان الحل يتوقف هنا على عدد كبير جداً من العوامل ، بمعنى ان ما يتيح بوجه عام التنبؤ بمآل النضال ، انما هو مجرد كون الاغلبية الساحقة من سكان الكرة الارضية تعلمهم الرأسمالية بنفسها وتربيهم من اجل النضال .

ومآل النضال يتوقف في آخر المطاف على كون روسيا والهند والصين ، الخ . ، تضم الاغلبية الساحقة من سكان الكرة الارضية . وهذه الاغلبية هي التي تنجذب منذ بضع سنوات ، وبسرعة لا تصدق ، الى النضال في سبيل تحررها . وبهذا الشأن ، لا يمكن ان يكون ثمة اي شك فيما يتعلق بنهاية النضال العالمي . وبهذا الشأن ، كان انتصار الاشتراكيـــة النهائي امراً مضموناً بصورة مطلقة كاملة .

ولكن ما نحن بصدده ، ليس هذا الانتصار النهائي المحتوم للاشتراكية . ان ما نحن بصدده ، انما هو التكتيك الواجب علينا اتباعه ، نحن الحزب الشيوعي في روسيا ، نحن السلطة السوفييتية في روسيا ، لكي نمنع الدول الاوروبية الغربية المعادية للثورة من سحقنا . فلكي نتمكن من البقاء حتى النزاع العسكري المقبل بين الغرب الامبريالي المعادي للثورة وبين الشرق الثوري والقومي ، بين اكثر دول العالم مدنيـــة وحضارة وبين البلدان المتأخرة كبلدان الشرق ، والتي تؤلف مع ذلك الاكثرية ، – ينبغي ان يتوافر الوقت لهذه الاكثرية لكي تتمدن وتتحضر . فنحن ايضاً نشكو نقصاً في المدنية والحضارة ، فلا نتمكن من الانتقال مباشرة الى الاشتراكية ، مع اننا نملك المقدمات السياسية لهذا الغرض . ينبغي لنا ان نتبع هذا التكتيك او ان ننتهج السياسة التالية من اجل خلاصنا .

ينبغي لنا ان نسعى جهدنا لبناء دولة يستمر العمال فيها على تولي قيادة الفلاحين ويحتفظون فيها بثقة الفلاحين ، دولة يقضي فيها

العمال ، عن طريق توفير صارم ، حتى على اقـــل مظاهر الافراط والتبديد في ميدان علاقاتهم الاجتماعية .

ينبغي لنا تحقيق الحد الاقصى من التوفير في جهاز دولتنا ، ينبغي ان نقضي فيه على جميع آثار الافراط التي خلفت روسيا القيصرية وجهازها الرأسمالي البيروقراطي عدداً كبيراً منها .

فهل لن يكون ذلك ملكوت الضيق الفلاحي ؟

كلا . فاذا استمرت الطبقة العاملة في تولي قيادة الفلاحين ، استطعنا ، عن طريق اشد ما يكون من الصرامة في التوفير في ادارة اقتصاد دولتنا ، ان نستخدم اقل مبلغ موفر من اجل تطوير صناعتنا الآلية الكبيرة ، من اجل تطوير الكهربة واستخراج الفحم النباتي بواسطة الماء ، من اجل انجاز بناء محطة فولخوف الكهرمائية (١٨٧) ، الخ . .

هنا ، وهنا فقط يكمن املنا . وحينذاك فقط نستطيع ، حسب تعبير مجازي ، ان نستعيض عن حصان بحصان آخر ، اي عن الحصان الهزيل لدى الفلاح ، حصان التوفيرات المقررة لبلد فلاحي خرب ، بحصان تبحث عنه البروليتاريا ولا يمكنها ألا تبحث عنه من اجل صالحها ، بحصان الصناعة الآلية الكبيرة ، بحصان الكهربة ، بحصان محطة فولخوف الكهرمائية ، الخ . .

هكذا اربط في فكري الخطة الاجمالية لعملنا وسياستنـــا وتكتيكنا وستراتيجيتنا بمهمات التفتيش العمالي والفلاحي المعاد تنظيمه . وهذا ما يبرر بنظري الاهتمام الاستثنائي والعناية الفائقة العادة اللذين يجب ان نبديهمـــا ازاء التفتيش العمالي والفلاحي ، فنضعه على علو استثنائي ونخوّل قادته حقوق اللجنة المركزية ، الخ . ، الخ . .

اما هذا التبرير ، فقوامه اننا لا نستطيع الصمود بكل تأكيد إلا اذا طهرنا جهازنا الى الحد الاقصى ، وخفضنا الى الحد الاقصى كل

ما ليس ضرورياً ضرورة قصوى فيه . هذا ، وسنستطيع الصمود لا في مستوى بلد ذي زراعة فلاحية صغيرة ، لا في مستوى هذا الضيق الشامل ، بل في مستوى يرتفع اكثر فاكثر نحو الصناعة الآليـــة الكبيرة .

هذه هي المهام الكبيرة التي احلم بهـــا لتفتيشنا العمالي والفلاحي . ولهذا اقترح له الدمج بين هيئة حزبية عليا كبيرة النفوذ ومفوضية «عادية» .

٢ آذار (مارس) ١٩٢٣ .

«البرافدا» ، العدد ٤٩ ، ٤ آذار (مارس) ١٩٢٣

المجلد ٤٥ ، ص‌ص ٣٨٩–٤٠٦

ملاحظات

١ ــ تحية لينين «**الى الجمعية الثورية الهندية**» ارسلت بالراديو في ١٠ ايار (مايو) ١٩٢٠ جواباً عن قرار اتخذه اجتماع للثوريين الهنود انعقد في كابول في ١٧ شباط (فبراير) ١٩٢٠ ، ووجهه الى لينين . جاء في قرار الاجتماع قوله : «ان الثوريين الهنـــود يعربون عن عميق الشكر والاعجاب للنضال العظيم الذي تخوضه روسيا السوفييتيـــة من اجل تحرير جميع الطبقات والشعوب المضطهَدة ، وخاصة من اجل تحرير الهند . الشكر الجزيل لروسيا السوفييتية على انها سمعت صرخة الاحتضار المنطلقة من صدور ٣١٥٠٠٠٠٠٠ شخص يتالمون بشكل لم يسمع بمثله من قبل ، تحت نير الامبريالية . بسرور ياخذ الاجتماع الجماهيري يـــد الصداقة والمساعدة ، اليد الممدودة الى الهنـــد المظلومة» . («البرافدا» ، العدد ١٠٨ ، ٢٠ ايار ١٩٢٠) . ــ ص ١٠ .

٢ ــ المقصود هنا **جمهورية الشرق الاقصى (ج ش ا)** التي انشئت في نيسان (ابريل) ١٩٢٠ في اراضي ما وراء بايكال ، ومقاطعات آمور وبريموريه وكامتشاتكا وساخالين الشمالية . ان تاسيس ج ش ا ، كدولة برجوازية ديموقراطية من حيث الشكل ، ولكنها تطبق السياسة السوفييتية من حيث الاساس ، كان يتفق مع مصالح روسيا السوفييتية الساعية الى تامين فترة استراحة طويلة لنفسها في الجبهة الشرقية ، وتفادي الحرب مع اليابان . وفي الوقت نفسه كان تاسيس دولة «مصدّة» في الشرق الاقصى تدبيراً اضطرارياً .

بعد تطهير اراضي الشرق الاقصى (ما عدا ساخالين الشمالية) من المتدخلين الاجانب ومن رجال الحرس الابيض ، اتخذت الجمعية الشعبية في ج ش ا في ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٢ قراراً بالانضمام الى جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية . — ص ١٢ .

٣ — **خطة كهربة روسيا كلها** . اول خطة علمية بعيدة المدى لبعث وتطوير الاقتصاد الوطني للجمهورية السوفييتية ، وضعتها ، بناء على تكليف من لينين ، لجنة الدولة لكهربة روسيا (غويلرو) في عام ١٩٢٠ . كانت الخطة محسوبة لمرحلة تتراوح بين ١٠ سنوات و١٥ سنة ؛ وقد رسمت بناء ٢٠ محطة كهرحرارية و١٠ محطات كهرمائية قدرتها الاجمالية ١,٥ مليون كيلوواط ساعة ، وزيادة قدرة جميع المحطات الكهربائية المنطقية خلال ١٥ سنة الى ١٧٥٠ الف كيلوواط ساعة . وكان من المرسوم ان يبلغ الانتاج السنوي الاجمالي من الطاقة الكهربائية ٨,٨ مليارات كيلوواط ساعة مقابل ١,٩ مليار كيلوراط ساعة انتجتها روسيا عام ١٩١٣ . ونصت الخطة على توزيع الصناعة بصورة عقلانية ، منهاجية ، منتظمة في عموم اراضي البلاد ، كما نصت على زيادة المنتوج الصناعي ٨٠ — ١٠٠٪ بالقياس الى عام ١٩١٣ ، ومراراً عديدة بالقياس الى مستوى الانتاج في عام ١٩٢٠ . تم تنفيذ خطة غويلرو من حيث الاساس في عام ١٩٣١ . ففي عام ١٩٣١ ، بلغ انتاج الطاقة الكهربائية في الاتحاد السوفييتي ١٠,٧ مليارات كيلوواط ساعة ، اي انه ازداد في غضون ١٠ سنوات اكثر من ٢٠ مرة . — ص ١٣ .

٤ — يقصد لينين المفاوضات مع بوليت الذي جاء في آذار (مارس) ١٩١٩ الى روسيا السوفييتية لأجل استيضاح الشروط التي قد توافق الحكومة السوفييتية بموجبها على عقد الصلح مع الحلفاء ، وكذلك مع حكومات الحرس الابيض المتشكلة في اراضي روسيا . وبواسطة بوليت ، تم تسليم مقترحات رئيس الولايات المتحدة الاميركية ويلسون ورئيس وزراء بريطانيا العظمى لويد جورج .

سعياً الى عقد الصلح باسرع وقت ، وافقت الحكومة السوفييتية على اجراء المفاوضات حول الشروط المقترحة ، ولكن بعد ادخالها عليها تعديلات جوهرية .

بعد مغادرة بوليت اراضي روسيا السوفييتية بفترة وجيزة ، تسنى لكولتشاك ان يحرز بعض النجاحات في الجبهة الشرقية ، فرفضت الحكومات الامبريالية اجراء مفاوضات الصلح أملاً منها في سحق الدولة السوفييتية . ومنع ويلسون نشر مشروع الاتفاقية الذي حمله بوليت ، واعلن لويد جورج في كلمة امام البرلمان ان لا علاقة له اطلاقاً بالمفاوضات مع الحكومة السوفييتية . — ص ١٣ .

٥ — **الوفاق (الانتانت)** — كتلة من الدول الامبريالية (بريطانيا وفرنسا وروسيا) تشكلت نهائياً في عام ١٩٠٧ ، وكانت موجهة ضد امبرياليي التحالف الثلاثي (المانيا ، النمسا — المجر ، ايطاليا) . أسميت الكتلة بهذا الاسم استنادا الى الاتفاقية الانجلو-فرنسية المعقودة عام ١٩٠٤ « Entente Cordiale » (« انتانت كورديال » — « الوفاق القلبي ») . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤—١٩١٨) ، انضمت الى الوفاق الولايات المتحدة الاميركية واليابان وغيرهما من البلدان . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، كانت كبريات الدول المشتركة في هذه الكتلة — بريطانيا ، وفرنسا ، والولايات المتحدة الاميركية ، واليابان — هي التي اوحت بالتدخل المسلح ضد البلاد السوفييتية ، ونظمته ، واشتركت فيه . — ص ١٣ .

٦ — **معاهدة صلح فرساي** ، التي انتهت بها الحرب العالمية الاولى (١٩١٤—١٩١٨) ، وقعتها في ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩١٩ الولايات المتحدة الاميركية ، والامبراطورية البريطانية ، وفرنسا ، وايطاليا ، واليابان ، والدول المتحالفة معها من جهة والمانيا من جهة اخرى .

كان الهدف من معاهدة صلح فرساي توطيد اعادة تقسيم العالم الرأسمالي في صالح الدول المنتصرة ، وكذلك انشاء نظام

من العلاقات بين الدول يكون موجهاً نحو خنق روسيا السوفييتية ونحو سحق الحركة الثورية في العالم اجمع . — ص ١٧ .

٧ — **معاهدة بريست-ليتوفسك** — معاهدة صلح بين روسيا السوفييتية ودول التحالف الرباعي (المانيا ، النمسا — المجر ، بلغاريا ، تركيا) تم التوقيع عليها في ٣ آذار (مارس) ١٩١٨ بشروط مرهقة للغاية بالنسبة لروسيا السوفييتية . — ص ١٧ .

٨ — **عصبة الأمم** — هيئة عالمية ، دولية ، قامت في المرحلة الواقعة بين الحرب العالمية الاولى والحرب العالمية الثانية . انشاتها في عام ١٩١٩ في مؤتمر الصلح بباريس الدول المنتصرة في الحرب العالمية الاولى . كان ميثاق عصبة الامم جزءاً من معاهدة صلح فرساي المعقودة في عام ١٩١٩ ؛ وقد وقعته ٤٤ دولة .

في الحقبة الممتدة من عام ١٩٢٠ الى عام ١٩٣٤ اتسم نشاط عصبة الامم بمعاداة البلاد السوفييتية . وفي عامي ١٩٢٠ و١٩٢١ كانت عصبة الامم احد مراكز تنظيم التدخل الاجنبي المسلح ضد الدولة السوفييتية .

في عام ١٩٣٤ ، وجهت ٣٤ دولة من اعضاء عصبة الامم ، بمبادرة من الديبلوماسية الفرنسية ، الى الاتحاد السوفييتي دعوة للاشتراك في العصبة . وانضم الاتحاد السوفييتي الى عصبة الامم بغية النضال من اجل توطيد السلام . ولكن محاولات الاتحاد السوفييتي لانشاء جبهة سلام اصطدمت بمقاومة الاوساط الرجعية في الدول الغربية . منذ بداية الحرب العالمية الثانية ، توقف فعلاً نشاط عصبة الامم . حلّت عصبة الامم رسمياً في نيسان (ابريل) ١٩٤٦ بقرار من جمعية عقدت خصيصاً لهذا الغرض . — ص ١٧ .

٩ — اقيمت السلطة السوفييتية في المجر في ٢١ آذار (مارس) ١٩١٩ . اتسمت الثورة الاشتراكية في المجر بطابع سلمي . فان البرجوازية المجرية لم تستطع ان تقاوم الجماهير الشعبية ؛ وبما انها كانت عاجزة عن تذليل المصاعب الداخلية والخارجية ، فقد قررت ان

تحيل السلطة موقتا الى الاشتراكيين-الديموقراطيين اليمينيين من اجل اعاقة تطور الثورة . ولكن مكانة الحزب الشيوعي المجري بين الجماهير كانت آنذاك على درجة من العظمة ، ومطالب الاعضاء العاديين في حزب الاشتراكيين-الديموقراطيين بالتحالف مع الشيوعيين على درجـــة من الشدة ، بحيث ان قيادة الحزب الاشتراكي-الديموقراطي تقدمت من قادة الحزب الشيوعي المعتقلين باقتراح تشكيل الحكومة معا . كان زعماء الاشتراكيين-الديموقراطيين مضطرين الى القبول بالشروط التي تقدم بها الشيوعيون اثناء المفاوضات : تشكيل حكومة سوفييتية ، نزع سلاح البرجوازية ، انشاء جيش احمر وميليشيا شعبية ، مصادرة اراضي الملاكين العقاريين ، تاميم الصناعة ، عقد حلف مع روسيا السوفييتية ، وغير ذلك من الشروط . وفي الوقت نفسه تم التوقيع على اتفاقية بتوحيد الحزبين في الحزب الاشتراكي المجري . عند تحقيق توحيد الحزبين ، اقترفت اخطاء تبدى تاثيرها فيما بعد ؛ فقد تم التوحيد عن طريق الامتزاج الآلي ، بدون اقصاء العناصر الاصلاحية .

قابل امبرياليو دول الوفاق بالعداء اقامة ديكتاتوريـــة البروليتاريا في المجر : تعرضت الجمهورية السوفييتية المجرية للحصار الاقتصادي ، وتم تنظيم التدخل المسلح ضدها . نشّط هجوم قوات المتدخلين الثورة المضادة المجريـــة . كذلك كانت خيانـــة الاشتراكيين-الديموقراطيين اليمينيين الذين تحالفوا مع الامبريالية العالمية احد اسباب هلاك الجمهورية السوفييتية المجرية .

ثم ان الوضع الدولي غير الملائم الذي نشأ في صيف ١٩١٩ عندما كانت روسيا السوفييتية مطوقة بالاعداء من جميع الجوانب فلم تستطع ان تساعد الجمهورية السوفييتية المجرية ، كان له هو ايضاً دوره السلبي . في اول آب (اغسطس) ١٩١٩ اطيح بالسلطة السوفييتيـــة في المجر من جراء توحيد اعمال التدخـــل الامبريالي الخارجي المسلح والثورة المضادة الداخلية . — ص ١٨ .

١٠ — المقصود هنا الجمهورية الاشتراكية الفنلندية التي نودي بها بعد انتقال السلطة الى ايدي العمال في اواخر كانون الثاني (يناير)

١٩١٨ . في اول آذار (مارس) ١٩١٨ تم التوقيع في بتروغراد على معاهدة بين الجمهورية العمالية الاشتراكية الفنلندية وجمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية . كانت المعاهدة ترتكز على مبادئ المساواة التامة في الحقوق واحترام سيادة الطرفين ، وكانت اول معاهدة في التاريخ بين دولتين اشتراكيتين .

في ايار (مايو) ١٩١٨ تم قمع الثورة في فنلنده بعد حرب اهلية طاحنة ، وبنتيجة تدخل القوات المسلحة الالمانية .

دامت الجمهورية الاشتراكية الفنلندية من كانون الثاني (يناير) الى ايار (مايو) ١٩١٨ . ــ ص ١٨ .

١١ ــ بنتيجة النضالات والاعمال الجماهيرية التي قامت بها البروليتاريا اللاتفية والفلاحون اللاتفيون ضد المحتلين الالمان وحكومة اولمانيس المعادية للثورة ، تشكلت في ١٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ الحكومة السوفييتية الموقتة ؛ واصدرت هذه الحكومة بيانا بانتقال سلطة الدولة الى ايدي السوفييتات . في آذار (مارس) ١٩١٩ ، شنت الوحدات الالمانية ورجال الحرس الابيض الذي سلحهم وجهزهم امبرياليو الولايات المتحدة الاميركية والوفاق هجوماً واسعاً على لاتفيا السوفييتية . بعد معارك طاحنة ، اقامت الثورة المضادة البرجوازية في البلاد نظام الارهاب الدموي نحو اوائل كانون الثاني (يناير) ١٩٢٠ . ــ ص ١٨ .

١٢ ــ يقصد لينين مقالة مارخليفسكي «المسالة الزراعية والثورة العالمية» التي صدرت في مجلة «كومونيستيتشيسكي انترناسيونال» ، العدد ١٢ ، بتاريخ ٢٠ تموز (يوليو) ١٩٢٠ . اطلع لينين على هذه المقالة قبل صدور هذا العدد من المجلة . ــ ص ٢٤ .

١٣ ــ يقصد لينين الاممية الثانية (امية برن) التي انشاها زعماء الاحزاب الاشتراكية في اوروبا الغربية في مؤتمر الاحزاب الاشتراكية المنعقد في شباط (فبراير) ١٩١٩ ، عوضاً عن الاممية الثانية التي زالت من الوجود منذ بداية الحرب العالمية الاولى . ــ ص ٢٤ .

١٤ – المقصود هنا الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني المستقل وحزب العمال البريطاني المستقل .

الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني المستقل – حزب وسطي تأسس في نيسان (ابريل) ١٩١٧ في المؤتمر التأسيسي في غوتا . روج «المستقلون» «بالوحدة» مع الاشتراكيين-الشوفينيين ، وانزلقوا الى العدول عن النضال الطبقي . بعد تأسيس الاممية الشيوعية (١٩١٩) ، خرج «المستقلون» من الاممية الثانية . في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٠ وقع انشقاق في مؤتمر الحزب الاشتراكي-الديموقراطي المستقل في هاله . فاتحد قسم كبير منه في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ مع الحزب الشيوعي الالماني ، وشكلت العناصر اليمينية حزباً منفرداً واخذت الاسم السابق – الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني المستقل . دام هذا الحزب حتى عام ١٩٢٢ .

حزب العمال البريطاني المستقل – Independent Labour Party منظمة اصلاحية تأسست عام ١٨٩٣ في ظروف انتعاش النضال الاضرابي واشتداد الحركة من اجل استقلال الطبقة العاملة في بريطانيا عن الاحزاب البرجوازية . كان كير هاردي رئيس الحزب .

شغل حزب العمال المستقل منذ نشوئه مواقف برجوازية اصلاحية ، وعلق جل اهتمامه على الشكل البرلماني للنضال وعلى الصفقات البرلمانية مع الحزب الليبيرالي (حزب الاحرار) .

في بداية الحرب العالمية الاولى ، اصدر حزب العمال المستقل بياناً ضد الحرب ولكن سرعان ما وقف مواقف الاشتراكية-الشوفينية . – ص ٣٦ .

١٥ – **اللونغيتية** – تيار وسطي داخل الحزب الاشتراكي الفرنسي ، ترأسه جان لونغه . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤–١٩١٨) ، انتهج اللونغيتيون سياسة توفيقية حيال الاشتراكيين-الشوفينيين ؛ وانكروا النضال الثوري ووقفوا مواقف «الدفاع عن الوطن» في الحرب الامبريالية . نعت لينين اللونغيتيين بالقوميين البرجوازيين الصغار . بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية ، اعلن اللونغيتيون بالاقوال انهم من انصار ديكتاتورية البروليتاريا ، بينما كانوا بالفعل من

اخصامها . في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ انفصل اللونغيتيون مع الاصلاحيين السافرين عن الحزب ، والتحقوا بما يسمى بالاممية الثانية والنصف . ـ ص ٣٦ .

١٦ ـ راجعوا الملاحظة رقم ٩ .

١٧ ـ هذا التعبير اقتبسه لينين من كتاب كارل ماركس «مساهمة في نقد فلسفة الحق الهيغلية . المقدمة» . ـ ص ٤٧ .

١٨ ـ في ٥ (١٨) كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ افتتحت في قصر توريدا في بتروغراد الجمعية التأسيسية التي دعت الحكومة السوفييتية الى عقدها . وبعدما رفضت الاغلبية المعادية للثورة في الجمعية التأسيسية الاعتراف بالسلطة السوفييتية ومراسيمها ، وردت «اعلان حقوق الشعب الشغيل والمستثمَر» الذي عرضته اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا ، اصدرت اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا في ٦ (١٩) كانون الثاني (يناير) مرسوما بحل الجمعية التأسيسية البرجوازية . ـ ص ٥٠ .

١٩ ـ **عمال العالم الصناعيون**(Industrial Workers of the World—I.W.W.) ـ منظمة نقابية لعمال الولايات المتحدة الاميركية ، تأسست في سنة ١٩٠٥ ؛ وكانت تضم اساسا العمال غير الاكفاء وذوي الاجور المنخفضة من مختلف المهن . اشترك في تأسيسها قادة الحركة العمالية الاميركية دي ليون ، ودبس ، وهيفود اشتراكا نشيطا . قام عمال العالم الصناعيون بعدد من الاضرابات الجماهيرية الناجحة ، وناضلوا ضد سياسة التعاون الطبقي التي كان ينتهجها الزعماء الاصلاحيون في اتحاد العمل الاميركي والاشتراكيون اليمينيون . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ـ ١٩١٨) ، قامت الطبقة العاملة الاميركية بعدد من النضالات الجماهيرية ضد الحرب باشتراك اتحاد العمل . رحب بعض قادة منظمة عمال العالم الصناعيين (هيفود وغيره) بثورة اكتوبر الاشتراكية وانتسبوا الى الحزب الشيوعي الاميركي . وفي الوقت

نفسه ، ظهرت في نشاط المنظمة سمات فوضوية سنديكالية : فانها لم تعترف بنضال البروليتاريا السياسي ، وانكرت دور الحزب القيادي ، وضرورة ديكتاتورية البروليتاريا ، ورفضت العمل بين اعضاء النقابات المنتسبة الى اتحاد العمل الاميركي . استغل زعماء المنظمة الفوضويون السنديكاليون وجود عدد كبير من القادة الثوريين في السجن ، فرفضوا في سنة ١٩٢٠ ، خلافاً لارادة الجماهير النقابية ، دعوة اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية بالانتساب الى الاممية الشيوعية . تحولت منظمة «عمال العالم الصناعيون» ، من جراء السياسة الانتهازية التي انتهجتها القيادة ، الى منظمة انعزالية سرعان ما فقدت كل تاثير في الحركة العمالية . — ص ٥٣ .

٢٠ — **الحزب الاشتراكي الفرنسي** . تاسس في سنة ١٩٠٥ بنتيجة اندماج الحزب الاشتراكي في فرنسا (الغيديين) والحزب الاشتراكي الفرنسي (الجوريسيين) . سار الاصلاحيون على رأس الحزب الموحد . منذ بداية الحرب العالمية الاولى ، انتقلت قيادة الحزب الى مواقف الاشتراكية-الشوفينية ، والى دعم الحرب الامبريالية على المكشوف ، والى الاشتراك في الحكومة البرجوازية . وكان يوجد في الحزب اتجاه وسطي يرأسه لونغه ويقف مواقف الاشتراكية-المسالمة وينتهج سياسة توفيقية حيال الاشتراكيين-الشوفينيين . كذلك كان يوجد في الحزب الاشتراكي الفرنسي جناح يساري ، ثوري ، يقف مواقف اممية ويمثل اساساً اعضاء الحزب العاديين .

بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، نشب في الحزب صراع حاد بين الاصلاحيين والوسطيين السافرين من جهة ، والجناح اليساري ، الثوري الذي قد تقوى بفضل تدفق العمال العاديين بالجملة على صفوف الحزب ، من جهة ثانية . وفي مؤتمر الحزب الذي انعقد بمدينة تور في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ ، نال الجناح الثوري الاغلبية . اتخذ المؤتمر قراراً بانضمام الحزب الى الاممية الشيوعية وأسس الحزب الشيوعي الفرنسي . انفصلت الاغلبية الاصلاحية

الوسطية عن الحزب وشكلت حزباً منفرداً احتفظ بالاسم السابق ـ الحزب الاشتراكي الفرنسي . ـ ص ٥٥ .

٢١ ـ **الحزب الاشتراكي الاميركي** . تشكل في تموز (يوليو) ١٩٠١ في مؤتمر انديانابوليس بنتيجة اتحاد عدد من الفرق الاشتراكية . كان يوجين دبس مؤسس الحزب . لم يكن التركيب الاجتماعي للحزب منسجماً : فقد انتسب اليه قسم من العمال الاميركيين ، والعمال المهاجرون ، وكذلك المزارعون الصغار ، والمتحدرون من البرجوازية الصغيرة . انكرت قيادة الحزب الوسطية والانتهازية اليمينية (برغر ، هيلكويت وغيرهما) ضرورة ديكتاتورية البروليتاريا ، ورفضت طرائق النضال الثورية ، حاصرة نشاط الحزب اساساً في الاشتراك في الحملات الانتخابية . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ـ١٩١٨) ، تكونت في الحزب الاشتراكي ثلاثة تيارات : الاشتراكيون-الشوفينيون الذين يؤيدون السياسة الامبريالية للحكومة ؛ الوسطيون الذين لم يعارضوا الحرب الامبريالية الا باقوال ؛ الاقلية الثورية التي وقفت مواقف اممية وناضلت ضد الحرب .

بالاعتماد على العناصر البروليتارية ، ناضل الجناح اليساري في الحزب الاشتراكي ، برئاسة روتنبرغ وفوستر وهيفود وغيرهم ، ضد قيادة الحزب الانتهازية ، ومن اجل اعمال سياسية مستقلة تقوم بها البروليتاريا ، ومن اجل تأسيس نقابات انتاجية قائمة على مبادئ النضال الطبقي . في سنة ١٩١٩ حدث انشقاق في الحزب الاشتراكي . بادر الجناح اليساري الذي انفصل عن الحزب الاشتراكي الى تأسيس الحزب الشيوعي الاميركي ، وكان نواته الاساسية . ـ ص ٥٥ .

٢٢ ـ **الحزب الاشتراكي السويسري** (الحزب الاشتراكي الديموقراطي السويسري) . تأسس في السبعينيات من القرن التاسع عشر . انضم الى الاممية الاولى . ثم تأسس للمرة الثانية في سنة ١٨٨٨ . كان

الانتهازيون يتمتعون في الحزب بنفوذ قوي ؛ وابان الحرب العالمية الاولى شغلوا موقف الاشتراكية-الشوفينية . في خريف ١٩١٦ انفصل اليمينيون عن الحزب وشكلوا منظمة خاصة بهم . شغلت اغلبية الحزب برئاسة غريم موقفاً وسطياً ، اشتراكياً-مسالماً . اما الجناح اليساري من الحزب ، فقد شغل موقفاً اممياً . بتأثير ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا ، تقوى الجناح اليساري من الحزب الاشتراكي الديموقراطي السويسري . وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ ، خرج اليساريون من الحزب الاشتراكي-الديموقراطي السويسري واتحدوا في سنة ١٩٢١ مع الحزب الشيوعي السويسري . — ص ٥٦ .

٢٣ — **حزب العمال البريطاني** (Labour Party) . تأسس عام ١٩٠٠ بوصفه اتحاداً يضم النقابات والمنظمات والفرق الاشتراكية بغية ايصال ممثلي العمال الى البرلمان (« لجنة تمثيل العمال ») . في عام ١٩٠٦ ، غيرت اللجنة اسمها وتسمت باسم حزب العمال (الحزب اللايبوري) . ان اعضاء التريديونيونات هم اوتوماتيكياً اعضاء الحزب شرط دفع الاشتراكات الحزبية . ان حزب العمال الذي تكوّن بادئ ذي بدء بوصفه حزباً عمالياً من حيث تركيبه (فيما بعد ، انضم اليه عدد كبير من العناصر البرجوازية الصغيرة) هو منظمة انتهازية من حيث ايديولوجيته وتكتيكه . فمنذ تأسيس الحزب ، ينتهج زعماؤه سياسة التعاون الطبقي مع البرجوازية .

شكل حزب العمال غير مرة حكومات كانت تنتهج سياسة الامبريالية البريطانية . — ص ٥٧ .

٢٤ — **الحزب الاشتراكي الايطالي** . تأسس عام ١٨٩٢ . نشب الصراع الفكري الضاري في قلب الحزب منذ تأسيسه بين اتجاهين — الاتجاه الانتهازي والاتجاه الثوري . اثناء انعقاد المؤتمر في ردجو-اميليا ، سنة ١٩١٢ ، طرد الاصلاحيون الاشد سفوراً ، وهم انصار الحرب والتعاون مع الحكومة والبرجوازية (بونومي ، بيسولاتي وغيرهما) ، من الحزب تحت ضغط اليساريين . منذ بداية الحرب العالمية الاولى وحتى دخول ايطاليا في الحرب ، وقف الحزب الاشتراكي الايطالي

ضد الحرب ورفع شعار : «ضد الحرب ، في سبيل الحياد !» . في كانون الاول (ديسمبـــــر) ١٩١٤ طرد من الحزب فريق المرتدين (موسوليني وغيره) الذي دافع عن السياسة الامبريالية للبرجوازية وأيد الحرب . ولمناسبة دخول ايطاليا في الحرب الى جانب الوفاق (ايار – مايو ١٩١٥) ، تجلت بكـــــل حدة في الحزب الاشتراكي الايطالي ثلاثـــة اتجاهات : ١ – الاتجاه اليميني الذي ساعـــد البرجوازية في خوض غمار الحرب ؛ ٢ – الاتجاه الوسطي الذي يضم اغلبية اعضاء الحزب ورفع شعار : «عدم الاشتراك في الحرب وعدم التخريب» ؛ ٣ – الاتجاه اليساري الذي شغل موقفا اشد صلابة ضد الحرب ولكنه لم يستطع ان ينظم النضال الدائب ضدها . لم يدرك اليساريون ضرورة تحويل الحرب الامبريالية الى حرب اهلية ، وضرورة القطيعة الحاسمة مع الاصلاحيين .

بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، تقوى الجناح اليساري في صفوف الحزب الاشتراكي الايطالي . اتخذ مؤتمر الحزب السادس عشر المنعقد في مدينة بولونيا من ٥ الى ٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٩ قرارا بالانضمام الى الاممية الثالثة . اشترك ممثلو الحزب الاشتراكي الايطالي في عمل مؤتمر الكومنترن (الاممية الشيوعية) الثاني . وقف سيراتي ، رئيس الوفد ، موقفا وسطيا ، وعارض بعد المؤتمر القطيعة مع الاصلاحيين . اثناء مؤتمر الحزب السابع عشر في ليفورنو في كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ ، رفض الوسطيون الذين كانت لهم الاغلبية في المؤتمر ، القطيعة مع الاصلاحيين كما رفضوا الاعتراف كلياً بشروط القبول في الكومنترن . في ٢١ كانون الثاني ١٩٢١ غادر المندوبون اليساريون المؤتمـــــر واسسوا الحزب الشيوعي الايطالي . – ص ٥٨ .

٢٥ – **«النظام الجديد»** (« L'Ordine Nuovo ») – صحيفة اسبوعية ، صدرت في تورينو منذ عام ١٩١٩ . منذ عام ١٩٢١ ، جريدة يومية ؛ في البدء لسان حال الجناح اليساري من الحزب الاشتراكي الايطالي ، ثم (منذ عام ١٩٢١) – لسان حال الحزب الشيوعي الايطالي . روجت الجريدة ، باشراف غرامشي وتولياتي ، افكار الماركسية اللينينية ، وعرضت باسلوب بسيط تجربة ثورة اكتوبر الاشتراكية ودروسها ،

وفضحت السياسة التوفيقية للزعماء الانتهازيين في الحزب الاشتراكي الايطالي . التف حول الجريدة فريق من الثوريين اصبح فيما بعد النواة القيادية للحزب الشيوعي الايطالي . في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٢ منعت الحكومة الفاشية الجريدة ، وحطمت مقر تحريرها ومطبعتها . ولكن الجريدة واصلت الصدور بصورة سرية حتى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٢ . في سنة ١٩٢٤ استؤنف صدور الجريدة في روما ، ولكن سرعان ما أغلقت من جديد . — ص ٥٨ .

٢٦ — **فرع تورينو للحزب الاشتراكي الايطالي** (وآنذاك كان الفرع يضم غرامشي وتولياتي وتيراتشيني وغيرهم من ممثلي الجناح اليساري ، الثوري في الحزب) اتهم قيادة الحزب الوسطية بأنها في ظروف النهوض الثوري في ايطاليا (١٩١٩ — ١٩٢٠) الذي اوجد امكانية الاستيلاء على السلطة السياسية من قبل البروليتاريا ، لم تعط تحليلاً صحيحاً للاحداث ، ولم توحد وتنسق نضال الجماهير الثوري ، ولم تطرد الاصلاحيين من الحزب . تقدم الفرع بجملة من المقترحات العملية : طرد الانتهازيين من الحزب ، انشاء فرق شيوعية في جميع المصانع وفي النقابات وفي الثكنات ؛ تنظيم اللجان المصنعية المعملية لمراقبة الانتاج في الصناعة والزراعة . طالب الفرع بالشروع فوراً باعداد الجماهير الشعبية لتأسيس السوفييتات .

كان غرامشي هو الذي كتب المقترحات التي قدمها فرع تورينو الى المجلس الوطني للحزب الاشتراكي الايطالي والتي ذكرهـــا لينين . — ص ٥٨ .

٢٧ — **حزب العمال الشيوعي الالماني** . تشكل في نيسان (ابريل) ١٩٢٠ من الشيوعيين «اليساريين» المفصولين من الحزب الشيوعي الالماني في مؤتمر هيدلبرغ سنة ١٩١٩ . في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠ ، قبـــل حزب العمال الشيوعي الالماني في الكومنترن (الاممية الشيوعية) بحقوق عضو محبذ ، وذلك تسهيلاً لاتحاد جميع القوى الشيوعية في المانيا واستجابة لرغبة خيرة العناصر البروليتارية في هذا الحزب . ولكن اللجنة التنفيذية للكومنترن اعتبرت الحزب

الشيوعي الالماني الموحد الفرع الوحيد المطلق الصلاحية . وعند قبول حزب العمال الشيوعي الالماني في الكومنترن ، وضع امام ممثليه شرط الاندماج في الحزب الشيوعي الالماني الموحد ومساندته في جميع اعماله . لم تعمل قيادة حزب العمال الشيوعي الالماني بموجب تعليمات اللجنة التنفيذية للكومنترن . قرر المؤتمر الثالث للكومنترن ، رغبة في كسب العمال الذين كانوا لا يزالون يسيرون وراء حزب العمال الشيوعي الالماني ، منح هذا الحزب مدة شهرين او ثلاثة يتعين عليه فيها ان يعقد مؤتمراً ويبت في مسالة التوحيد . فاذا رفض هذا المؤتمر توحيد الشيوعيين الالمان ، فان حزب العمال الشيوعي الالماني ، كما جاء في قرار المؤتمر الثالث للكومنترن ، سيعتبر مفصولاً من الكومنترن . لم تنفذ قيادة حزب العمال الشيوعي الالماني قرارات المؤتمر الثالث للكومنترن ، وواصلت نشاطها الانشقاقي ، فاضطرت اللجنة التنفيذية للكومنترن ان تقطع علاقاتها معه ، فاصبح خارج الكومنترن . فيما بعد ، انحط حزب العمال الشيوعي الالماني الى فريق انعزالي تافه ليس له اي سند في صفوف الطبقة العاملة ، ومعاد للطبقة العاملة في المانيا . — ص ٥٨ .

٢٨ — في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ اتحد قسم من الاشتراكيين-الديموقراطيين السويسريين اليساريين في **الحزب الشيوعي السويسري** الذي كان لا يزال بعد آنذاك منظمة قليلة التعداد . في المؤتمر الثاني للكومنترن ، حضر مندوبان عن هذه المنظمة .

في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ ، انفصل عن الحزب الاشتراكي-الديموقراطي جناحه اليساري الذي كان قد طرح مسالة انشاء فرع قوي للاممية الشيوعية في سويسرا . في المؤتمر الذي انعقد في زوريخ في آذار (مارس) ١٩٢١ والذي حضره ٢٨ مندوباً عن الحزب الشيوعي و١٤٥ مندوباً كانوا يمثلون من قبل الجناح اليساري في الحزب الاشتراكي-الديموقراطي ، حدث توحيد هذين الفريقين رسمياً في حزب موحد ، هو الحزب الشيوعي السويسري . — ص ٥٨ .

٢٩ ـ **اتحاد العمال الاشتراكي** (Workers' Socialist Federation) **منظمة** قليلة الاعضاء ، انبثقت في ايار (مايو) ١٩١٨ من جمعية الدفاع عن حقوق النساء الانتخابيـــــة وتشكلت بصورة رئيسيـــة من النساء .

في عام ١٩٢٠ تاسس الحزب الشيوعي في بريطانيا العظمى ، وادرج في برنامجه بنداً ينص على الاشتراك في الانتخابات البرلمانية وعلى الانضمام الى حزب العمال ؛ ولكن اتحاد العمال الاشتراكي لم ينضم الى الحزب الشيوعي . في كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ ، توحد اتحاد العمال الاشتراكي الذي كان قد اتخذ لنفسه آنذاك اسم «الحزب الشيوعي (الفرع البريطاني للاممية الثالثة)» مع الحزب الشيوعي في بريطانيا العظمى» . ـ ص ٥٨ .

٣٠ ـ **«لجان وكلاء المصانع والمعامـل»** (Shop Stewards Committees) ـ منظمات عمالية منتخبة قامت في بريطانيا في عدد من الفروع الصناعية وانتشرت على نطاق واسع في سنوات الحرب العالمية الاولى . في ظروف نهوض الحركة العمالية وتفاقم الاستياء من السياسة الاصلاحية لزعماء التريديونيونات ، اتحد وكلاء المعامل في لجان على صعيد النواحي والمدن وفي لجنة وطنية عامة وترأسوا عدداً من نضالات العمال الهامة ضد الحرب الامبرياليـــــة وفي سبيل تحسين شروط الحياة .

بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية وفي مرحلة التدخـــل الاجنبي المسلح ضد الجمهورية السوفييتية ، اشتركت لجان وكلاء المعامل اشتراكاً نشيطاً في دعم روسيا السوفييتية . انتسب عدد من قادة لجان وكلاء المعامل الى الحزب الشيوعي في بريطانيـــا العظمى . ـ ص ٥٨ .

٣١ ـ **المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية** ، الذي ارسى الاسس البرنامجية والتكتيكية والتنظيمية للكومنترن (الاممية الشيوعية) ،انعقد من ١٩ تموز (يوليو) الى ٧ آب (اغسطس) ١٩٢٠ في روسيا السوفييتية .

افتتح المؤتمر في بتروغراد . انعقدت الجلسات التالية ابتداء من ٢٣ تموز في موسكو . حضر المؤتمر ١٦٩ مندوباً بصوت تقريري و٤٩ مندوباً بصوت استشاري ، يمثلون ٦٧ منظمة عمالية من ٣٧ بلداً . وفضلاً عن ممثلي الاحزاب والمنظمات الشيوعية (من ٣١ بلداً) اشترك في اعمال المؤتمر ،ممثلو الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني المستقل ، والحزبين الاشتراكيين في ايطاليا وفرنسا ، ومنظمة عمال العالم الصناعيين (اوستراليا ، بريطانيا ، ارلندا) ، واتحاد العمل الوطني في اسبانيا ، ومنظمات اخرى .

اشرف لينين على كل العمل التحضيري الهادف الى عقد المؤتمر الثاني ، وعلق اهمية كبيرة على هذا المؤتمر العالمي للمنظمات الشيوعية والعمالية .

اقر المؤتمر جدول الاعمال التالي : ١ ــ الوضع الدولي والمهمات الاساسية امام الاممية الشيوعية ؛ ٢ ــ دور وبنية الاحزاب الشيوعية قبل وبعد ظفر البروليتاريا بالسلطة ؛ ٣ ــ النقابات واللجان المصنعية المعملية ؛ ٤ ــ مسالة البرلمانية ؛ ٥ ــ المسالة القومية ومسالة المستعمرات ؛ ٦ ــ المسالة الزراعية ؛ ٧ ــ الموقف من تيارات «الوسط» الجديدة ، وشروط الانتساب الى الاممية الشيوعية ؛ ٨ ــ النظام الداخلي للاممية الشيوعية ؛ ٩ ــ المسائل التنظيمية (المنظمات الشرعية وغير الشرعية ، المنظمات النسائية ، والخ .) ؛ ١٠ ــ حركة الشباب الشيوعية ؛ ١١ ــ الانتخابات ؛ ١٢ ــ مسائل متفرقة .

في جلسة المؤتمر الاولى ، القى لينين تقريراً عن الوضع الدولي والمهمات الاساسية امام الاممية الشيوعية .

اشترك لينين اشتراكاً فعالاً في اعمال اغلبية لجان المؤتمر : في المسالة القومية ومسالة المستعمرات ، في المسالة الزراعية ، في شروط القبول في الاممية الشيوعية ، في الوضع الدولي ومهمات الكومنترن . ورغبة في النضال من اجل تلاحم القوى الثورية البروليتارية وتوطيد الاحزاب الشيوعية ، طرح لينين مهمة تطهير الاحزاب الشيوعية من العناصر الانتهازية والوسطية ؛ واشار الى

ضرورة توسيع العمل الثوري بين الجماهير الواسعة من الطبقة العاملة ، وفي الريف ، وفي الجيش ، وانتقد بشبات وانسجام الاخطاء الانعزالية والميول الفوضوية السنديكالية في عدد من الاحزاب والمنظمات الشيوعية .

اضطلع المؤتمر الثاني للكومنترن بدور هائل في تطور الحركة الشيوعية العالمية . فبعد المؤتمر ، كما اشار لينين ، «اصبحت الشيوعية المسالة المركزية في كل الحركة العمالية بمجملها» . (المؤلفات الكاملة . الطبعة الروسية . المجلد ٤٣ ، ص ١٨) — ص ٦١ .

٣٢ — **«التايمس»** («The Times» — «الازمنة») — جريدة يومية تاسست في لندن سنة ١٧٨٥ . من كبريات الجرائد المحافظة التابعة للبرجوازية الانجليزية . — ص ٦٨ .

٣٣ — **«نشرة مفوضية الشعب للشؤون الخارجية في جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية»** — مجلة ، لسان الحال الرسمي لمفوضية الشعب للخارجية . صدرت في موسكو من ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩١٩ الى حزيران ١٩٢٢ . — ص ٦٩ .

٣٤ — المقصود هنا المنظمة العالمية التي تشكلت في تلك المرحلة وضمت الاحزاب والجماعات الاشتراكية الوسطية التي خرجت من الاممية الثانية تحت ضغط الجماهير الثورية . هذه المنظمة ، المعروفة باسم «الاممية الثانية والنصف» او «اممية فيينا» (الاسم الرسمي — «الاتحاد العالمي للاحزاب الاشتراكية») تشكلت رسميا في مؤتمر فيينا في شباط (فبراير) ١٩٢١ . انتقد زعماء الاممية الثانية والنصف الاممية الثانية بالاقوال ، ولكنهم انتهجوا بالفعل في جميع اهم مسائل الحركة البروليتارية سياسة انتهازية ، انشقاقية في صفوف الطبقة العاملة ، وسعوا الى استغلال الاتحاد القائم لأجل مقاومة نفوذ الشيوعيين المتعاظم في جماهير العمال .

في ايار (مايو) ١٩٢٣ ، اتحدت الاممية الثانية والاممية الثانية والنصف فيما يسمى الاممية العمالية الاشتراكية . — ٧١ .

٣٥ — **«البنود الاربعة عشر»** — «برنامج» ديماغوجي «للسلام» تقدم به رئيس الولايات المتحدة الاميركية ويلسون في كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ . — ص ٧١ .

٣٦ — **المناشفة** — انصار التيار الانتهازي البرجوازي الصغير في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية . اثناء انتخاب هيئات الحزب المركزية في المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا ، عام ١٩٠٣ ، نال الاشتراكيون-الديموقراطيون الثوريون برئاسة لينين الاغلبية (ومن هنا اسم «البلاشفة» ، من الكلمة الروسية «بولشنستفو» ومعناها الاغلبية) ، وحصل الانتهازيون على الاقلية (ومن هنا اسم «المناشفة» ، من الكلمة الروسية «منشنستفو» ومعناها الاقلية) .

في مرحلة ثورة ١٩٠٥—١٩٠٧ ، عارض المناشفة زعامة الطبقة العاملة في الثورة ، كما عارضوا التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين ، وطالبوا بالتوافق مع البرجوازية الليبيرالية . بعد هزيمة الثورة ، في سنوات الردة الرجعية (١٩٠٧—١٩١٠) ، صار المناشفة باغلبيتهم تصفويين . بعد انتصار ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديموقراطية (عام ١٩١٧) ، دخل المناشفة مع الاشتراكيين-الثوريين في قوام الحكومة الموقتة البرجوازية ودعموا سياستها الامبريالية وناضلوا ضد الثورة الاشتراكية المتنامية .

بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، أمسى المناشفة حزباً معادياً للثورة على المكشوف ينظم المؤامرات والانتفاضات الهادفة الى اسقاط السلطة السوفييتية . — ص ٧٦ .

٣٧ — **الاشتراكيون-الثوريون** — حزب للبرجوازية الصغيرة في روسيا . انبثق في اواخر ١٩٠١ واوائل ١٩٠٢ بنتيجة توحيد مختلف فرق وحلقات الشعبيين . ابان الحرب العالمية الاولى ، وقفت اغلبية الاشتراكيين-الثوريين مواقف الاشتراكية-الشوفينية .

بعد ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديموقراطية (عام ١٩١٧) ، كان الاشتراكيون-الثوريون مع المناشفة السند الرئيسي للحكومة الموقتة البرجوازية ، واشترك زعماء الحزب (كيرنسكي ، افكسنتييف ، تشيرنوف) في قوامها . عشية انتفاضة اكتوبر المسلحة ، انتقل الحزب على المكشوف الى جانب البرجوازية المعادية للثورة ، ودافع عن النظام الرأسمالي ، فانعزل عن جماهير الشعب الثوري . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، ناضل الاشتراكيون-الثوريون بنشاط ضد السلطة السوفييتية .

في اواخر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ شكل الجناح اليساري من الاشتراكيين-الثوريين حزباً مستقلاً ، هو حزب الاشتراكيين-الثوريين اليساريين . عمد الاشتراكيون-الثوريون اليساريون ، سعياً منهم للاحتفاظ بنفوذهم بين جماهير الفلاحين ، الى الاعتراف شكلاً بالسلطة السوفييتية والى الاتفاق مع البلاشفة ، ولكن سرعان ما سلكوا سبيل النضال ضد السلطة السوفييتية . — ص ٧٦ .

٣٨ — **الاشتراكيون «الغيلديون»** ، «الاشتراكية الغيلدية» — تيار اصلاحي في صفوف التريديونيونات البريطانية ، انبثق قبل الحرب العالمية الاولى . انكر الاشتراكيون «الغيلديون» طابع الدولة الطبقي ، ونشروا بين العمال الاوهام في امكان الخلاص من الاستثمار بدون النضال الطبقي ، وروجوا بفكرة مفادها ان يصار على اساس التريديونيونات القائمة ، الى انشاء اتحادات خاصة للمنتجين تسمى «الغيلدات» ، ووضع ادارة الصناعة في ايدي هذه المنظمات المتحدة في اتحاد . وعن هذا السبيل كان الاشتراكيون «الغيلديون» يعتقدون بناء المجتمع الاشتراكي تدريجيا .

قام الاشتراكيون «الغيلديون» بدعايتهم بنشاط خاص بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، سعياً منهم الى معارضة فكرة النضال الطبقي وفكرة ديكتاتورية البروليتاريا «بنظرية» «الاشتراكية الغيلدية» . في العشرينيات ، فقدت «الاشتراكية الغيلدية» كل تأثير في صفوف الطبقة العاملة في بريطانيا . — ص ٨٣ .

٣٩ ـ **الحزب الاشتراكي البريطاني** (British Socialist Party—BSP) . تاسس عام ١٩١١ في منشستر بنتيجة اتحاد الحزب الاشتراكي-الديموقراطي مع الفرق الاشتراكية الاخرى . قام الحزب الاشتراكي البريطاني بالتحريض بروح افكار الماركسيـــــة وكان حزباً «غير انتهازي ، مستقلاً **فعلاً** عن الليبيراليين» (لينين) (المؤلفات الكاملة . الطبعة الروسية . المجلد ٢٣ ، ص ٣٤٤) . ولكن قلة عدد اعضاء الحزب وضعف الصلة مع الجماهير اضفت عليه طابعاً انعزالياً نوعاً . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ـ١٩١٨) ، نشب في الحزب صراع ضار بين التيار الاممي (غالاخـــر ، اينكبين ، ماكلين ، روتشتين ، وغيرهم) والتيار الاشتراكي-الشوفيني الذي يرأسه هايندمان . وفي قلب التيار الاممي كانت توجد عناصر متقلقلة تشغل في عدد من المسائل موقفاً وسطياً . في شباط (فبراير) ١٩١٦ أسس فريق من قادة الحـــزب الاشتراكي البريطاني جريـــدة «The Call» («النداء») التي اضطلعت بدور هام في تلاحم الامميين . شجب المجلس العام السنوي للحزب الاشتراكي البريطاني الذي انعقد في نيسان (ابريل) ١٩١٦ في سولفورد الموقف الاشتراكي-الشوفيني الذي وقفه هايندمان وانصاره ، فخرجوا من الحزب . في عام ١٩١٩ ، اعربت الاغلبية الساحقة من منظمات الحزب (٩٨ مقابل ٤) عن تاييدها لانضمام الحزب الى الاممية الشيوعية . اضطلـــع الحزب الاشتراكي البريطاني مع فريق الوحدة الشيوعية بالدور الرئيسي في تشكيل الحزب الشيوعي في بريطانيا العظمى . في المؤتمر التوحيدي الاول المنعقد عام ١٩٢٠ انضمت الاغلبية الساحقة من المنظمات المحلية للحزب الاشتراكي البريطاني الى الحزب الشيوعي . ـ ص ٨٦ .

٤٠ ـ المقصود هنا اتحاد العمل الاميركي وحزب العمال البريطاني (راجعوا الملاحظة رقم ٢٣) .

اتحاد العمل الاميركي ـ اتحـــاد نقابي في الولايات المتحدة الاميركية تاسس عام ١٨٨١ . كان اتحاد العمل الاميركي منظما حسب مبدأ الحرفة ، وكان يضم في الاغلب «اريستقراطية العمال» .

تنكر قيادة الاتحاد الاصلاحية مبادئ الاشتراكية والنضال الطبقي ، وتروج «بالتعاون الطبقي» وتقف مواقف الدفاع عن النظم الرأسمالية ، وتنتهج سياسة اثارة الانشقاق في صفوف الحركة العمالية وتدعم بنشاط السياسة الخارجية العدوانية التي تنتهجها الامبريالية الاميركية . في عام ١٩٥٥ اندمج اتحاد العمل الاميركي مع اتحاد نقابي آخر هو مؤتمر النقابات الانتاجية . يسمى الاتحاد الجديد : اتحاد العمل الاميركي – مؤتمر النقابات الانتاجية . – ص ٨٦ .

٤١ – المقصود هنا كتاب «مرض «اليسارية» الطفولي في الشيوعية» . – ص ٨٧ .

٤٢ – **اللجنة المختصة بالمسألة القومية ومسألة المستعمرات** . شكلها المؤتمر الثاني للكومنترن (الاممية الشيوعية) من ٢٠ عضواً . وقد اشترك فيها ممثلو بريطانيا والنمسا وبلغاريا والمجر والمانيا وهولندا والهند واندونيسيا وايران وايرلنده والصين وكوريا والمكسيك وروسيا والولايات المتحدة الاميركية وتركيا وفرنسا ويوغوسلافيا . اشرف لينين على عمل اللجنة . بدأت اللجنة عملها في ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٢٠ بمناقشة موضوعات لينين في المسألة القومية ومسألة المستعمرات ثم طرحتها على بساط البحث امام المؤتمر في ٢٦ تموز . وفضلاً عن ذلك ، تناول البحث في لجنة المسألة القومية ومسألة المستعمرات وفي جلسات المؤتمر العامة الموضوعات الاضافية التي تقدم بها روي . – ص ٩١ .

٤٣ – **الدجينغوية** – شوفينية كفاحية ؛ وعظ بانتهاج سياسة عدوانية ، امبريالية . نجم هذا التعبير من كلمة «دجينغو» التي تستحيل ترجمتها والتي ترد في لازمة اغنية انجليزية شوفينية من السبعينيات في القرن التاسع عشر . – ص ٩٧ .

٤٤ – **بيان بال** – بيان عن الحرب اقره المؤتمر الاشتراكي العالمي فوق العادة الذي انعقد في بال (سويسرا) في ٢٤ و٢٥ تشرين الثاني

(نوفمبر) ١٩١٢ . حذر البيان الشعوب من خطر الحرب الامبريالية العالمية ، وكشف الاهداف اللصوصية من هذه الحرب ، ودعا عمال جميع البلدان الى النضال الحازم من اجل السلام بمعارضة «الامبريالية الرأسمالية بباس تضامن البروليتاريا العالمي» . شجب بيان بال قطعاً السياسة التوسعية للدول الامبريالية ودعا الاشتراكيين الى النضال ضد كل اضطهاد للشعوب الصغيرة وكل مظهر من مظاهر الشوفينية . — ص ٩٧ .

٤٥ — يقصد لينين النظريات الغريبة عن الماركسية ، التي نشرها اعضاء المنظمة الثقافية التنويرية «بروليت كولت» («الثقافة البروليتارية») تحت اسم «الثقافة البروليتارية» . ظهرت منظمة «بروليت كولت» في ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ كمنظمة عمالية هاوية مستقلة ، كانت قيادتها محصورة في ايدي بوغدانوف وانصاره ، وظلت بعد ثورة اكتوبر تدافع عن «استقلالها» ، وبذلك جعلت من نفسها معارضة للدولة البروليتارية . ومن جراء هذا ، تسرب المثقفون البرجوازيون الى «بروليت كولت» واخذوا يمارسون التاثير الحاسم في موقفها . انكر اعضاء «بروليت كولت» عملياً اهمية التراث الثقافي الماضي وسعوا الى التخلي عن مهمات العمل التثقيفي التنويري الجماهيري ، والى خلق «ثقافة بروليتارية» خاصة ، في معزل عن الحياة و«بالسبيل المختبري» . كان كبير ايديولوجيي «بروليت كولت» بوغدانوف يعترف بالماركسية قولاً ، ولكنه كان يروج فعلاً الفلسفة المثالية الذاتية ، الماخية . لم تكن «بروليت كولت» منظمة متجانسة . فعلاوة على المثقفين البرجوازيين الذين كانوا يرأسون الكثير من منظمات «بروليت كولت» ، كانت «بروليت كولت» تضم كذلك عمالاً شباناً كانوا يسعون بكل صدق واخلاص الى مد يد العون في بناء الدولة السوفييتية في الميدان الثقافي . في عام ١٩١٩ بلغت منظمات «بروليت كولت» اعلى درجات تطورها . في اوائل العشرينيات ، بدأت تنحط ؛ في عام ١٩٣٢ ، زالت «بروليت كولت» من الوجود . — ص ١٠٣ .

٤٦ – برنامج حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (ح ع ا د ر) اقره المؤتمر الثاني للحزب في آب (اغسطس) ١٩٠٣ .– ص ١٢٠ .

٤٧ – **«زاريا»** («الفجر») – مجلة علمية سياسية ماركسية . اصدرتها هيئة تحرير «الايسكرا» بصورة شرعية وعلنية في سنتي ١٩٠١ و١٩٠٢ في شتوتغارت . صدر منها بالاجمال ٤ اعداد .

انتقدت مجلة «زاريا» التحريفية العالمية والروسية ، ودافعت عن الاسس النظرية للماركسية .

«الايسكرا» («الشرارة») – اول جريدة ماركسية سرية لعامة روسيا . أسسها لينين في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٠ في الخارج ؛ ومن هناك كانت ترسل سراً الى روسيا . اضطلعت «الايسكرا» بدور هائل في تحقيق التلاحم الفكري بين الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس ، وفي اعداد توحيد المنظمات المحلية المتفرقة في حزب ماركسي ثوري . بعد انشقاق ح ع ا د ر في المؤتمر الثاني (عام ١٩٠٣) الى بلاشفة ومناشفة ، انتقلت «الايسكرا» الى ايدي المناشفة (ابتداء من العدد ٥٢) وصارت تسمى «بالايسكرا» **الجديدة** تمييزاً لها عن «الايسكرا» **القديمة** اللينينية . لم تبق «الايسكرا» الجديدة صحيفة كفاحية للماركسية الثورية ؛ وحولها المناشفة الى صحيفة للنضال ضد الماركسية ، ضد الحزب ، والى منبر للوعظ بالانتهازية .– ص ١٢٠ .

٤٨ – يستشهد لينين هنا بقرار المؤتمر الثالث ح ع ا د ر «حول الانتفاضة المسلحة» . وكان لينين هو الذي كتب مشروع هذا القرار .– ص ١٢١ .

٤٩ – **«بروسفيشينيه»** («التنوير») – مجلة نظرية بلشفية شهرية . صدرت علناً وشرعاً في بطرسبورغ من عام ١٩١١ الى عام ١٩١٤ ، ثم في عام ١٩١٧ .– ص ١٢١ .

٥٠ – اورد لينين في مقالة «حول احصاء الاضرابات في روسيا» ومقالة «المغزى التاريخي للصراع الحزبي الداخلي في روسيا» تحليل

المعطيات الشهرية عن الاضرابات الاقتصادية والسياسية في مرحلة الثورة الروسية الاولى . صدرت المقالة الاولى في كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٠ وكانون الثاني (يناير) ١٩١١ في العددين الاول والثاني من مجلة «ميسل» («الفكر») ، وصدرت المقالة الثانية في ٢٩ نيسان – ابريل (١٢ ايار – مايو) ١٩١١ في العدد ٣ من «ديسكوسيوني ليستوك» («ورقة المناقشة») . – ص ١٢١ .

٥١ – المقصود هنا الاضراب السياسي في عموم روسيا في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥ ابان الثورة الروسية الاولى . بلغ عدد المشتركين في اضراب تشرين الاول العام اكثر من مليونين . جرى اضراب تشرين الاول تحت شعارات اسقاط الحكم المطلق ، ومقاطعة دوما بوليغين مقاطعة فعالة ، وعقد الجمعية التاسيسية ، واقامة الجمهورية الديموقراطية . اظهر الاضراب السياسي في عموم روسيا قوة الحركة العمالية وباسها ، وأسهم في تطور النضال الثوري في الريف والجيش والاسطول . – ص ١٢٣ .

٥٢ – **«الجريدة الرينانية الجديدة»** («Neue Rheinische Zeitung») . صدرت يومياً في كولونيا بتحرير ماركس من حزيران (يونيو) ١٨٤٨ الى ايار (مايو) ١٨٤٩ . – ص ١٢٥ .

٥٣ – كارل ماركس . «الازمة والثورة المضادة» . – ص ١٢٦ .

٥٤ – **جمعية فرانكفورت** – جمعية وطنية لعامة المانيا دعيت الى الانعقاد بعد ثورة آذار (مارس) ١٨٤٨ في المانيا وبدأت جلساتها في ايار (مايو) من العام نفسه في فرانكفورت على الماين . كانت مهمتها الرئيسية تنحصر في تصفية التبعثر السياسي وفي وضع دستور لعامة المانيا . ولكن الجمعية ، بسبب من جبن وتذبذب اغلبيتها الليبيرالية ، وبسبب من تردد وميوعة الجناح اليساري البرجوازي الصغير ، خافت ان تأخذ في يدها زمام السلطة العليا في البلاد ولم تستطع ان تتخذ موقفاً حازماً في المسائل الرئيسية في الثورة الالمانية لسنتي ١٨٤٨–١٨٤٩ .
في حزيران (يونيو) ١٨٤٩ ، حلّت الجمعية . – ص ١٢٧ .

٥٥ ــ ماركس وانجلس . «برنامجا الحزب الراديكالي الديموقراطي والجناح اليساري في فرانكفورت» . ــ ص ١٢٧ .

٥٦ ــ بناء على امر القيصر ، اطلقت النار في ٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥ على مظاهرة سلمية للعمال كانت متجهة الى قصر الشتاء (مقر القيصر) لتقديم عريضة الى القيصر . لقي اكثر من الف شخص مصرعهم ، واصيب زهاء خمسة آلاف شخص بجراح . أسمى يوم ٩ كانون الثاني بيوم الاحد الدامي . واصبح بداية ثورة ١٩٠٥ . ــ ص ١٢٧ .

٥٧ ــ **الكاديت** ــ اعضاء الحزب الدستوري الديموقراطي ، الحزب الرئيسي للبرجوازية الملكية الليبيرالية في روسيا . تأسس حزب الكاديت في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥ . وقد انتسب اليه ممثلو البرجوازية ، ورجال الزيمستفوات من الملاكين العقاريين الاقطاعيين ، والمثقفون البرجوازيون . في سنوات الحرب العالمية الاولى ، دعم الكاديت بنشاط السياسة الخارجية الاغتصابية التي انتهجتها الحكومة القيصرية . في مرحلة ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديموقراطية (عام ١٩١٧) ، حاولوا انقاذ الملكية . شغل الكاديت الوضع القيادي في الحكومة الموقتة البرجوازية ، وسلكوا سياسة معادية للشعب ، معادية للثورة . بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية ، برز الكاديت كاعداء ألداء للسلطة السوفييتية ، واشتركوا في جميع عمليات المتدخلين الاجانب المسلحة وغزواتهم العسكرية المعادية للثورة . ــ ص ١٢٨ .

٥٨ ــ في ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥ ، اي في اوج نهوض الاضراب السياسي في تشرين الاول (اكتوبر) في عموم روسيا ، صدر بيان قيصري يعد «بالحريات المدنية» وبالدوما «التشريعي» . كان البيان تنازلاً انتزعته الثورة من القيصرية . فقد ارادت الحكومة القيصرية ان تكسب الوقت ، وتشق صفوف القوى الثورية ، وتحبط الاضراب في عموم روسيا ، وتخنق الثورة . فضح البلاشفة مناورة الحكم المطلق السياسية هذه . ــ ص ١٢٩ .

٥٩ ـ المقصود هنا الجريدة اليومية «**ناشا جيزن**» («حياتنا») التي صدرت في بطرسبورغ مع انقطاعات من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٤ الى تموز (يوليو) ١٩٠٦ . ـ ص ١٢٩ .

٦٠ ـ **دوما الدولة** (مجلس الدولة) ـ مؤسسة تمثيلية اضطرت الحكومة القيصرية الى عقدها بنتيجة الاحداث الثورية في عام ١٩٠٥ . كان دوما الدولة شكلاً ، هيئة تشريعية ، بينما كان في الواقع لا يملك اي سلطة فعليـــــة . لم تكن الانتخابات الى دوما الدولة مباشرة ومتساوية وعامة . وكانت الحقوق الانتخابية للطبقات الكادحة ، وللقوميات غير الروسية القاطنة في روسيا مبتورة جداً ، وكان قسم كبير من العمال والفلاحين لا يملك البتة اية حقوق انتخابية . حلت الحكومة القيصرية دوما الدولة الاول (نيسان ـ تموز ١٩٠٦) ودوما الدولة الثاني (شباط ـ حزيران ١٩٠٧) . بعد ان قامت الحكومة بانقلاب سياسي في ٣ حزيران (يونيو) ١٩٠٧ ، سنّت قانوناً انتخابياً جديداً بتر حقوق العمال والفلاحين والبرجوازيـــة الصغيرة المدينية فوق ما هي عليه من ضيق ، وأمن السيادة المطلقة للكتلة الرجعية من الملاكين العقاريين الاقطاعيين وكبار الرأسماليين في دوما الدولة الثالث (١٩٠٧ ـ ١٩١٢) ودوما الدولة الرابـــع (١٩١٢ـ١٩١٧) . ـ ص ١٣٠ .

٦١ ـ **دوما بوليغين** ـ هيئة استشارية ، صممت الحكومة القيصرية عقدها في آب (اغسطس) ١٩٠٥ .

أسمي الدوما «دوما بوليغين» باسم وزير الداخلية بوليغين الذي اعد مشروع قانون بعقده . بموجب المشروع ، لم يكن يحق للدوما سن القوانين ، ولم يكن يحق ان يشترك في انتخاب اعضائه غير الملاكين العقاريين والرأسماليين وقسم صغير من الفلاحين الاغنياء .

لم تجر الانتخابات الى دوما بوليغين . فان تعاظم نهوض الثورة والاضراب السياسي في تشرين الاول قد كنساه . ـ ص ١٣١ .

٦٢ ـ «**البرينتانية**» ـ مذهب برجوازي ليبيرالي يقول بامكان حل المسالة العمالية في اطار الرأسمالية عن طريق التشريع المصنعي وتنظيـــم

العمال في النقابات . اسمى باسم لويو برينتانو ، استاذ الاقتصاد السياسي في جامعة مونيخ ، واحد كبار ممثلي اشتراكية المنابر . — ص ١٣٩ .

٦٣ — **البرنشتينيون** — انصار تيار انتهازي في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية والعالمية انبثق في اواخر القرن التاسع عشر وأسمي باسم الاشتراكي-الديموقراطي الالماني ادوارد برنشتين . من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٨٩٨ نشر برنشتين في لسان الحال النظري للاشتراكية-الديموقراطية الالمانية مجلة « Die Neue Zeit » سلسلة من المقالات عنوانها العام «قضايا الاشتراكية» ؛ وقد حاول فيها ، تحت ستار «حرية النقد» ، ان يعيد النظر في الأسس الفلسفية والاقتصادية والسياسية للماركسية الثورية ويستعيض عنها بالنظريات البرجوازية القائلة بالتوفيق بين التناقضات الطبقية وبالتعاون بين الطبقات . لقيت افكار برنشتين التاييد من جانب الجناح اليميني في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية ومن جانب العناصر الانتهازية في الاحزاب الاخرى المنضمة الى الاممية الثانية . — ص ١٣٩ .

٦٤ — **«بز زاغلافيا»** («بلا اسم») — صحيفة اسبوعية سياسية صدرت في بطرسبورغ عام ١٩٠٦ . كانت جماعة «بز زاغلافيا» جماعة نصف كاديتية ، نصف منشفية من الانتلليجنسيا (المثقفين) البرجوازية الروسية . وراء ستار اللاحزبية الشكلية ، كانوا ينشرون افكار الليبيرالية البرجوازية وافكار الانتهازية ، ويدعمون المحرفين في الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا على الصعيد العالمي . — ص ١٣٩ .

٦٥ — **الاورثوذكسيون** — الاشتراكيون-الديموقراطيون الالمان الذين عارضوا تحريف الماركسية . — ص ١٤٠ .

٦٦ — المقصود هنا الخلافات في الكتلة الاشتراكية-الديموقراطية في الريخستاغ (البرلمان) الالماني بصدد مسالة الاعانات لشركات البواخر (Dampfersubvention) . ففي اواخر ١٨٨٤ ، طلب مستشار المانيا بيسمارك ، من الريخستاغ ، دعما منه للسياسة الالمانية

الرامية الى الاستيلاء على المستعمرات ، المصادقة على اعانات مالية لشركات البواخر من اجل تنظيم رحلات بحرية منتظمة الى آسيا الشرقية واوستراليا وافريقيا . رفض الجناح اليساري في الكتلة الاشتراكية-الديموقراطية ، بقيادة بيبل وليبكنخت ، الموافقة على منح الاعانات ؛ اما الجناح اليميني الذي يشكل اغلبية الكتلة ويرأسه اوير وديتس وغيرهما ، فقد اعرب حتى قبل المناقشات الرسمية عن تاييده لمنح الاعانات لشركات البواخر . اثناء مناقشة المسألة في الريخستاغ في آذار (مارس) ١٨٨٥ ، صوت الجناح اليميني من الكتلة الاشتراكية-الديموقراطية بالموافقة على تنظيم خطوط ملاحية الى آسيا الشرقية واوستراليا ؛ ولكنه اشترط موافقته على مشروع بيسمارك بتحقيق بعض من مطالبه ، وبينها على الاخص بناء البواخر الجديدة في الترسانات الالمانية . رفض الريخستاغ هذا المطلب ؛ وبعد ذلك فقط ، صوتت الكتلة الاشتراكية-الديموقراطية كلها ضد مشروع الحكومة . استثار مسلك اغلبية الكتلة الرد من جانب جريدة « سوسيال-ديموقراط » والمنظمات الاشتراكية-الديموقراطية . وكانت الخلافات على درجة من الحدة بحيث انها كادت تؤدي الى انشقاق الحزب . — ص ١٤٢ .

٦٧ — **« الشبان »** (« الشباب ») في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية — معارضة برجوازية صغيرة شبه فوضوية ، نشأت في سنة ١٨٩٠ . كانت نواتها الاساسية تتالف من ادباء شبان وطلاب (ومن هنا اسم المعارضة) يدعون بدور نظريي الحزب وقادته . لم تفهم هذه المعارضة ظروف نشاط الحزب التي تغيرت بعد الغاء القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين (١٨٧٨) فانكرت ضرورة الاستفادة من اشكال النضال العلنية وعارضت اشتراك الاشتراكية-الديموقراطية في البرلمان ، واتهمت الحزب بالدفاع عن مصالح البرجوازية الصغيرة ، وبالانتهازية . — ص ١٤٢ .

٦٨ — **« سيفيرني غولوس »** (« صوت الشمال ») — جريدة شرعية ، علنية ؛ لسان الحال الموحد ح ع ا د ر . صدرت بتحرير البلاشفة والمناشفة

المشترك في بطرسبورغ في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٥ بعد ان اغلقت الحكومة جريدة «نوفايا جيزن» («الحياة الجديدة») وجريدة «ناتشالو» («البداية»). بعد العدد الثالث، اغلقت الحكومة الجريدة. ــ ص ١٤٣.

٦٩ ــ «**ناتشالو**» («البداية») ــ جريدة منشفية شرعية، علنية يومية. صدرت في بطرسبورغ في تشرين الثاني وكانون الاول (نوفمبر وديسمبر) ١٩٠٥، صدر منها ١٦ عدداً. ــ ص ١٤٣.

٧٠ ــ «**نوفايا جيزن**» («الحياة الجديدة») ــ اول جريدة بلشفية شرعية علنية. صدرت في حقبة تشرين الاول ــ كانون الاول (اكتوبر ــ ديسمبر) ١٩٠٥ في بطرسبورغ. كانت عملياً لسان الحال المركزي ح ع ا د ر. ــ ١٤٣.

٧١ ــ «**بوليارنايا زفيزدا**» («نجمة الشمال») ــ مجلة اسبوعية. لسان حال الجناح اليميني في حزب الكاديت. صدرت في بطرسبورغ من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٥ الى آذار (مارس) ١٩٠٦ بتحرير ستروفه. صدر منها ١٤ عدداً فقط. ــ ص ١٤٥.

٧٢ ــ **مؤتمر السوفييتات الثامن لنواب العمال والفلاحين والجنود الحمر والقوزاق لعامة روسيا**. انعقد في موسكو من ٢٢ الى ٢٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠.

انعقد المؤتمر في مرحلة النهاية المظفرة للحرب ضد التدخل الاجنبي المسلح وضد القوى الداخلية للثورة المضادة. وقد تضمن جدول الاعمال المسائل التالية: التقرير عن نشاط اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا ومجلس مفوضي الشعب، كهربة روسيا، بعث الصناعة والنقليات، تطوير الزراعة ومساندة الاقتصاد الفلاحي، تحسين نشاط الهيئات السوفييتية والنضال ضد البيروقراطية.

جرى عمل المؤتمر بقيادة لينين مباشرة. وقد القى في جلسات المؤتمر العامة في ٢٢ كانون الاول تقريراً عن نشاط اللجنة التنفيذية

المركزية لعامة روسيا ومجلس مفوضي الشعب وفي ٢٣ كانون الاول كلمة الختام بصدد التقرير . وفضلاً عن ذلك تكلم ست مرات في جلسات الكتلة الشيوعية في المؤتمر في مسالة الامتيازات ولمناسبة مناقشة مشروع القانون المتعلق باجراءات تدعيم وتنمية الاقتصاد الفلاحي .

اقر مؤتمر السوفييتات الثامن خطة كهربة البلاد (خطة غويلرو) الموضوعة بمبادرة لينين وتوجيهاته . كانت هذه الخطة اول خطة بعيدة المدى لتطوير الاقتصاد الوطني في الدولة السوفييتية ؛ وقد نعتها لينين بانها «البرنامج الثاني للحزب» .

كان مشروع القانون المتعلق باجراءات تدعيم وتنمية الزراعة الفلاحية الذي اقره مجلس مفوضي الشعب في ١٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ من أهم المسائل الواردة في جدول الاعمال .

كان الانتقال الى البناء السلمي يتطلب تحسين الجهاز السوفييتي كله واعادة بنائه . اتخذ المؤتمر قراراً مسهباً حول بناء الجهاز السوفييتي . واضفى الصفة القانونية على العلاقات المتبادلة بين هيئات السلطة والادارة المركزية والمحلية . وشغلت المسائل المتعلقة باعادة بناء كل نظام ادارة الاقتصاد الوطني وفقاً للمهمات الاقتصادية الجديدة مكاناً كبيراً في عمل المؤتمر .ـ ص ١٤٧ .

٧٣ ـ المقصود هنا مرسوم مجلس مفوضي الشعب بشأن الامتيازات الصادر في ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠ .ـ ص ١٤٧ .

٧٤ ـ المقصود هنا اجتماع منظمة موسكو للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا في ٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ .ـ ص ١٤٨ .

٧٥ ـ راجعوا الملاحظة رقم ٢ .

٧٦ ـ في ٢٦ ايار (مايو) ١٩١٩ وجه المجلس الاعلى لدول الوفاق الى كولتشاك مذكرة بتوقيع ويلسون ولويد جورج وكليمانسو واورلاندو وسايوندزي ، اعرب فيها عن الاستعداد للاعتراف بكولتشاك ومساعدته بالتجهيزات الحربية والمؤن والذخائر لكي يتمكن من

توطيد موقعه كحاكم لعامة روسيا . كذلك طلب الحلفاء بدورهم من كولتشاك ان ينفذ بعض الشروط : عقد جمعية تاسيسية بعد احتلال موسكو ؛ الاعتراف باستقلال بولونيا وفنلنده ؛ فيما اذا استحالت تسوية مسالة العلاقات المتبادلة بين روسيا من جهة واستونيا ولاتفيا وليتوانيا ومناطق القفقاس وما وراء بحر قزوين ، تجب احالة المسالة الى عصبة الامم ؛ وحين ذاك يجب الاعتراف بالاستقلال الذاتي لهذه المناطق ؛ وغير ذلك من الشروط . اعرب كولتشاك في رسالته الجوابية الى المجلس الاعلى لدول الوفاق عن استعداده لقبول عدد من شروط الحلفاء . في ١٢ تموز (يوليو) ، اعتبرت بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الاميركية وايطاليا جواب كولتشاك مرضياً واكدت مرة اخرى استعدادها لمساعدته . — ص ١٥١ .

٧٧ — «**لجان العمل**» («**مجالس العمل**») ، التي انشاها العمال البريطانيون لمقاومة دخول بريطانيا في الحرب ضد روسيا السوفييتية بدأت تظهر في اوائل آب (اغسطس) ١٩٢٠ . في اواخر آب ، كان يوجد في بريطانيا اكثر من ١٥٠ منظمة من هذا النوع ؛ وبعد شهر تضاعف عددها . اضطلع الحزب الشيوعي في بريطانيا العظمى بدور كبير في تنظيم «لجان العمل» . تحت ضغط الحركة الثورية الجماهيرية اضطرت «لجنة العمل» المركزية التي كان يرأسها الزعماء الانتهازيون من اعضاء التريديونيونات وحزب العمال ، الى معارضة سياسة العداء للسوفييت التي كانت تنتهجها الحكومة . ولكن عندما عدلت الحكومة عن الحرب ضد روسيا السوفييتية ، لخوفها وذعرها من تعاظم النهوض الثوري ، امتنعت «لجنة العمل» المركزية عن مواصلة توسيع النضال وشرعت تحد من نشاط المنظمات المحلية ، الامر الذي قوض نشاط «لجان العمل» واضعف الحركة ، وفي اوائل ١٩٢١ ، انحلت هذه اللجان . — ص ١٥٧ .

٧٨ — المقصود هنا شروط القبول في الاممية الشيوعية ، التي اقرها المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية في ٦ آب (اغسطس) ١٩٢٠ . — ص ١٥٩ .

٧٩ ـ المقصود هنا **المؤتمر الاول لشعوب الشرق** الذي انعقد من اول ايلول (سبتمبر) ١٩٢٠ الى السابع منه في باكو . توافد الى المؤتمر ١٨٩١ مندوباً ، وممثلو ٣٧ قوميـــة (القفقاس ، آسيـــا الوسطى ، افغانستان ، مصر ، الهند ، ايران ، الصين ، كوريا ، سوريـــة ، تركيا ، اليابان ، وغيرها من البلدان) . كان ثلثا مندوبي المؤتمـر (١٢٧٣ مندوباً) شيوعيين .

بحث مؤتمر شعوب الشرق المسائل التالية : ١ ـ الوضع الدولي ومهمات الشعوب الكادحة في الشرق ؛ ٢ ـ المسالة القومية ومسالة المستعمرات ؛ ٣ ـ المسالة الزراعية ؛ ٤ ـ السوفييتات في الشرق ؛ ٥ ـ مسالة التنظيم ؛ وغير ذلك . لأجل اعداد المواد ، انشئت في المؤتمر اربعة فروع : في المسالة الزراعية ، في المسالة القومية ومسالة المستعمرات ، في مسالة البناء السوفييتي ، مسالة التنظيم .

تبنّى مؤتمر شعوب الشرق قرارات المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية ، ووضع على اساسها عدداً من القرارات . اتخذ المؤتمر قراراً بنشر النداءين التاليين : نداء الى شعوب الشرق يدعوها الى النضال ضد المستعمرين ، ونداء الى شغيلة اوروبا واميركا واليابان يدعوهم الى مساندة الحركة التحررية لشعوب الشرق . ولأجل تطبيق القرارات ، انشأ المؤتمر لدى اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية هيئة دائمة هي مجلس الدعاية والعمل لشعوب الشرق . ـ ص ١٥٩ .

٨٠ ـ **السبارتاكيون** ـ منظمة ثورية للاشتراكيين-الديموقراطيين اليساريين الالمان شكلها في بداية الحرب العالمية الاولى كارل ليبكنخت وروزا لوكسمبورغ وفرانتس مهرينغ وكلارا تسيتكين وغيرهم .

في نيسان (ابريل) ١٩١٥ أسس مهرينغ ولوكسمبورغ مجلة « Die Internationale » (« دي انترناسيونالـه » ـ « الامميـــة ») ، فالتف حولها الفريـــق الاساسي من الاشتراكيين-الديموقراطيين اليساريين في المانيـــا . في كانون الثاني (يناير) ١٩١٦ تشكلوا تنظيمياً في فريق « انترناسيونال » . منذ عام ١٩١٦ شرع فريق

«انترناسيونال» يصدر وينشر بصورة سرية «رسائل سياسية» بتوقيع «سبارتاك» ؛ ونظراً لذلك أسمي فريق «انترناسيونال» باسم فريق «سبارتاك» .

قام السبارتاكيون بالدعاية الثورية بين الجماهير ، ونظموا اعمالاً ونضالات جماهيرية ضد الحرب ، وقادوا الاضرابات ، وفضحوا طابع الحرب العالميـــة الامبريالي وخيانـــة زعماء الاشتراكية-الديموقراطية الانتهازيين .

في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ ، تشكل السبارتاكيون ، اثناء الثورة في المانيا ، في «اتحاد سبارتاك» ، ثم اسسوا الحزب الشيوعي الالماني في المؤتمر التاسيسي المنعقد من ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ الى اول كانون الثاني (ينايـــر) ١٩١٩ .— ص ١٦٢ .

٨١ — في عـــام ١٩٢١ نشرت مجلـــة « Russische Korrespondenz » («المراسلات الروسية») ، في العدد المزدوج الاول والثاني ، باللغة الالمانيـــة ، مرسوم مجلس مفوضي الشعب بصدد الامتيـازات ، وخرائط امتيازات الغابات والمزن والمناجم ، وكذلك عدداً من مقالات القادة السوفييتيين .— ص ١٦٣ .

٨٢ — المقصود هنا اجتماع نشطاء منظمـــة موسكو للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا في ٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ .— ص ١٦٩.

٨٣ — **سوخاريفكا** . سوق في موسكو أمست في سنوات التدخل الاجنبي المسلح والحرب الاهلية مركزاً للمضاربة . سوخاريفكا هي مرادف للتجارة الخاصة «الحرة» . في سنة ١٩٣٢ ، اغلقت سوخاريفكا .— ص ١٧٢ .

٨٤ — حرب بولونيا البرجوازية والاقطاعية ضد روسيا السوفييتية نظمها وشنها امبرياليو الولايات المتحدة الاميركية ودول الوفاق . فتحضيراً لزحف عسكري جديد ضد البلاد السوفييتية قرروا استعمال بولونيا

النبلاء البيض وبقايا جيش دينيكين التي جمعها الجنرال فرانجل في القرم بوصفها القوة الضاربة الرئيسية . بلغ مجمل عدد افراد الجيشين قرابة مليون رجل ؛ وكانا يتفوقان على قوات الجيش الاحمر من حيث التجهيزات والمعدات .

بتحريض من الامبرياليين ، تهربت بولونيا بعناد عن الرد على المقترحات السلمية التي تقدمت بها الحكومة السوفييتية ، معتبرة اياها دليل ضعف . في ٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٢٠ اقتحمت القوات البولونية بامرة بيلسودسكي حدود الدولة السوفييتية دون اعلان الحرب .

في ٣٠ نيسان (ابريل) ، اصدرت اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا ومجلس مفوضي الشعب نداء «الى جميع العمال والفلاحين والمواطنين الشرفاء في روسيا» . وفي ٢٣ ايار (مايو) نشرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا موضوعات «الجبهة البولونية ومهماتنا» . غدت هاتان الوثيقتان بمثابة برنامج كفاحي لتعبئة قوى الشعب في روسيا السوفييتية من اجل سحق المتدخلين . في اواخر ايار بدأت قوات الجبهة الجنوبية الغربية هجوماً معاكساً . في ١٢ حزيران (يونيو) تم تحرير كييف . نحو اواسط آب (اغسطس) اقتربت القوات السوفييتية من فرصوفيا ولفوف . ولكن قيادة الجيش البولوني الابيض استطاعت بمساعدة دول الوفاق تعبئة الاحتياطيات ، فسدد العدو جملة من الضربات القوية في ١٦ آب الى القوات السوفييتية المنهوكة والتي تكبدت الخسائر . في ١٥ تشرين الاول (اكتوبر) احتل البولونيون مينسك من جديد . ولكن الاخفاقات في منطقة فرصوفيا لم تعن هزيمة الدولة السوفييتية . استعدت القوات السوفييتية لهجوم جديد . خوفاً من الهزيمة التامة ، وقعت بولونيا البرجوازية الاقطاعية في ١٢ تشرين الاول اتفاقية هدنة . في ١٨ آذار (مارس) ١٩٢١ تم التوقيع نهائياً على معاهدة الصلح بين جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية وجمهورية اوكرانيا الاشتراكية السوفييتية من جهة ، وبولونيا من جهة اخرى . — ص ١٧٨ .

٨٥ ـ في ١٠ آب (اغسطس) ١٩٢٠ اعلنت حكومة فرنسا رسميا اعترافها بفرانغل «حاكما لجنوب روسيا» وعينت دي مارتل ممثلاً ديبلوماسياً عنها لدى «حكومة» فرانغل ، علما بان دي مارتل كان قبل ذاك ممثلاً لفرنسا لدى كولتشاك ، ثم لدى الحكومات البرجوازية في القفقاس . ـ ص ١٧٩ .

٨٦ ـ في ٢٦ شباط (فبراير) ١٩٢١ تم التوقيع في موسكو على معاهدة باقامة علاقات الصداقة بين جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية وبلاد فارس ، رغم العوائق التي اقامتها الاوساط الحاكمة البريطانية . كانت المعاهدة تقوم على مبادئ التعايش السلمي والتعاون بين الدول : المساواة ، احترام السيادة ، عدم التدخل في الشؤون الداخلية ، النفع المتبادل . الغت هذه المعاهدة جميع اتفاقيات روسيا القيصرية مع بلاد فارس والدول الثالثة التي تمس سيادة الشعب الايراني ؛ واعادت الى بلاد فارس جميع الامتيازات التي كانت الحكومة القيصرية قد حصلت عليها في اراضي بلاد فارس . وتخلت الحكومة السوفييتية عن جميع الحقوق في القروض التي قدمتها الحكومة القيصرية لبلاد فارس . وكانت البنود التي تلزم الطرفين بالحيلولة دون تشكل او دون اقامة منظمات او جماعات في اراضيهما غايتها النضال ضد روسيا او ضد بلاد فارس تتسم باهمية خاصة . كانت المعاهدة اول معاهدة تعقدها بلاد فارس على اساس المساواة في الحقوق . ـ ص ١٨٢ .

٨٧ ـ **مجلس الدفاع** (مجلس الدفاع العمالي والفلاحي) . انشاته اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ . كان مجلس الدفاع هيئة استثنائية من هيئات الدولة السوفييتية ، املى الوضع الخارق الصعوبة الناشئ في البلاد ضرورة انشائها . وقد خُوِّل مجلس الدفاع صلاحيات مطلقة فيما يتعلق بتعبئة قوى البلاد ومواردها من اجل الدفاع . وعُين لينين رئيساً لمجلس الدفاع .

كانت قرارات مجلس الدفاع الزامية على المصالح والدوائر المركزية والمحلية ، وعلى جميع مواطني الجمهورية السوفييتية . وكان مجلس الدفاع المركز الحربي الاقتصادي والتخطيطي الرئيسي في الجمهورية في مرحلة التدخل الاجنبي والحرب الاهلية . خضع نشاط المجلس الثوري العسكري وسائر الهيئات العسكرية لمراقبة مجلس الدفاع المتصلة .

في اوائل نيسان (ابريل) ١٩٢٠ اعيد تنظيم مجلس الدفاع العمالي والفلاحي ، واصبح يسمى مجلس العمل والدفاع . وبقرار اتخذه مؤتمر السوفييتات الثامن لعامة روسيا في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ شرع مجلس العمل والدفاع يقوم بوظائفه بحقوق لجنة من لجان مجلس مفوضي الشعب ، مهمتها الرئيسية تنسيق عمل جميع المصالح في مضمار البناء الاقتصادي . دام مجلس العمل والدفاع حتى عام ١٩٣٧ . ــ ص ١٨٧ .

٨٨ ــ المقصود هنا «ست موضوعات عن المهام المباشرة امام السلطة السوفييتية» التي كتبها لينين في نيسان (ابريل) ١٩١٨ . ــ ص ١٨٨ .

٨٩ ــ بقرار من دورة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا بتاريخ ٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ ، تأسس **مكتب عامة روسيا للدعاية الانتاجية لدى مجلس النقابات المركزي لعامة روسيا** . أنيط بالمكتب وضع خطة عامة للعمل ، والاشراف والرقابة على قيام مختلف الهيئات والمؤسسات بالتحريض الانتاجي والدعاية الانتاجية . ــ ص ١٩٤ .

٩٠ ــ **اللجنة المركزية للتثقيف السياسي** . تأسست في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠ . دخلت في قوام مفوضية الشعب للمعارف وخضعت لها على الصعيد الاداري والتنظيمي ، ولكنها كانت تخضع مباشرة للجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا فيما يتعلق بالمضمون الفكري لعملها . وحدت اللجنة المركزية للتثقيف السياسي كل العمل السياسي والتثقيفي وكل العمل التحريضي والدعائي ،

واشرفت على التثقيف الشيوعي الجماهيري للراشدين (تصفية الامية ، المدارس ، النوادي ، المكاتب ، البيوت الفلاحية للمطالعة) ، كما اشرفت على التثقيف الحزبي (مؤسسات التعليم العالي الشيوعي ، المدارس الحزبية) . — ص ١٩٤ .

٩١ — **الامر رقم ١٠٤٢** اصدرته الادارة العليا لطرق المواصلات في ٢٢ ايار (مايو) ١٩٢٠ . وقد نص على ترميم القاطرات المدمرة ابان الحرب الامبريالية والحرب الاهلية ، وعين مدة ٤ سنوات ونصف السنة (ابتداء من اول تموز — يوليو ١٩٢٠) يجب ان تقل خلالها النسبة المئوية للقاطرات الجاري تصليحها من ٦٠ الى ٢٠ . — ص ٢٠٦ .

٩٢ — المقصود هنا كراس غوسيف «الخطة الاقتصادية الواحدة والجهاز الاقتصادي الواحد» الذي صدر لمناسبة مؤتمر السوفييتات الثامن لعامة روسيا . وقد صدر كراسه السابق «المسائل المباشرة في البناء الاقتصادي (حول موضوعات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا)» لمناسبة المؤتمر التاسع للحزب . — ص ٢٠٨ .

٩٣ — كان الخطاب الذي القاه لينين اثناء الجلسة الموحدة لكتل الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا في مؤتمر السوفييتات الثامن ومجلس النقابات المركزي لعامة روسيا ومجلس النقابات بمدينة موسكو ، في بلشوي تياتر ، في ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ ، اول خطاب يلقيه امام النشطاء الحزبيين لمناسبة المناقشة في دور النقابات ومهامها في البناء الاشتراكي .

وهذه المناقشة كان قد فرضها تروتسكي على الحزب ، حين تكلم في ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) اثناء جلسة كتلة الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا في المؤتمر النقابي الخامس لعامة روسيا ضد خط الحزب الرامي الى تطوير مبادئ الديموقراطية في النقابات ودعا الى «شد براغي الشيوعية الحربية» .

تلخص كنه الخلافات «في الخلاف في مسألة طرائق **التقرب** من الجمهور ، واكتساب الجمهور ، **والصلة** مع الجمهور .» (راجعوا ص ٢٢٢ من هذا الكتاب) . وقد طرحت

الخلافات التي نشبت في الكتلة على بساط البحث امام دورة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا . ولكن المناقشة بصدد النقابات اتسعت وتعاظمت نحو اواخر كانون الاول (ديسمبر) وتجاوزت اطار اللجنة المركزية . وفي ٢٤ كانون الاول تكلم تروتسكي في اجتماع العاملين النشطاء في الحركة النقابية ومندوبي مؤتمر السوفييتات الثامن لعامة روسيا . وفي ٢٥ كانون الاول ، نشر كراساً عنى تشكيل كتلة معادية للحزب . وكان ذلك بمثابة اشارة لتحرك واعمال الكتل الاخرى المعادية للحزب : فرقة «المصدّة» ، فرقة «المعارضة العمالية» ، فرقة «المركزية الديموقراطية» ، وخلافها .

كان لينين ضد المناقشة لاعتباره انها تصرف انتباه الحزب وقواه عن المهام الاقتصادية الملحة الهادفة الى مكافحة الخراب الاقتصادي والجوع . ولكن لينين شن نضالاً حازماً ضد المعارضين ، عندما بدأوا ينشطون ، مصوباً الضربة الرئيسية الى التروتسكيين بوصفهم القوة الاساسية في التكتلات المعادية للحزب . وفي عدد من الخطابات اللاحقة ، وكذلك في مقالة «مرة اخرى عن النقابات ، وعن الظرف الراهن ، وعن اخطاء تروتسكي وبوخارين» (راجعوا هذا الكتاب ص ٢٤٨ ــ ٣٠١) ، كشف لينين المغزى الفعلي للصراع الحزبي الداخلي ، وفضح الطابع التكتلي لاعمال المعارضين التي تقوض وحدة الحزب ، وبيّن ضرر المناقشة المفروضة على الحزب . وفي الوقت نفسه عرض لينين وطور جملة من الموضوعات المبدئية والبالغة الاهمية حول دور النقابات في نظام ديكتاتورية البروليتاريا ومهماتها في البناء الاشتراكي .

استغرقت المناقشة حول النقابات اكثر من شهرين . وفي سياقها صادقت الاغلبية الساحقة من المنظمات الحزبية على المنهج اللينيني . ومنيت المعارضة بالهزيمة التامة في جميع المنظمات الحزبية الاساسية . وقد تم استخلاص رصيد المناقشة في مؤتمر الحزب العاشر الذي انعقد من ٨ الى ١٦ آذار (مارس) ١٩٢١ . ــ ص ٢١٧ .

٩٤ ــ **سمولني** ــ مبنى معهد سمولني السابق في بتروغراد . مقر الحكومة

السوفييتية قبل انتقالها الى موسكو في آذار (مارس) ١٩١٨ .ـ ص ٢٢١ .

٩٥ ـ المقصود هنا قرار الكونفرنس (المجلس العام) التاسع لعامة روسيا للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا «حول المهام المباشرة في البناء الحزبي» .ـ ص ٢٢٨ .

٩٦ ـ **«كتلة المصدة»** («الكتلة الصادّة») ـ احدى الفرق التكتلية المعادية للحزب التي نشطت في مرحلة المناقشة بصدد النقابات (١٩٢٠ـ ١٩٢١) . ترأس بوخارين الكتلة . اسميت الكتلة بكتلة «المصدة» (او الكتلة «الصادّة») لأنها حاولت ان توفّق بين التروتسكية واللينينية ، وتضطلع بدور مصدّة عند تصادم المنهجين ، ولكنها حرصت من حيث جوهر الامر على التروتسكيين ودافعت عنهم وساعدتهم في النضال ضد لينين وفي النضال ضد سياسة الحزب . بعد فترة وجيزة ، اتحد البوخارينيون على المكشوف مع التروتسكيين . وصف لينين منهج «كتلة المصدة» بانها انحراف نحو السنديكالية يؤدي الى التخلي عن قيادة الحزب ونعتها «بذروة التفسخ الفكري» .ـ ص ٢٢٨ .

٩٧ ـ **«غلاف بوليت بوت» (القسم السياسي المركزي في مفوضية الشعب لطرق المواصلات)** انشئ في شباط (فبراير) ١٩١٩ بوصفه هيئة سياسية موقتة تعمل مباشرة تحت قيادة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا ؛ في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٠ ، اعيد تنظيمه واسمي «الادارة السياسية المركزية في مفوضية الشعب لطرق المواصلات» . انشئ «غلاف بوليت بوت» لأجل تطبيق تدابير استثنائية ترمي الى تلافي انهيار النقليات انهياراً تاماً من جراء الحرب الامبريالية والحرب الاهلية ، ولأجل تعزيز قيادة العمل السياسي الحزبي بين عمال النقليات ، وتدعيم نقابة شغيلة السكك الحديدية .

فرض «غلاف بوليت بوت» الانضباط العسكري في السكك الحديدية ، مخضعاً اياها كلياً لمهمات زمن الحرب . اتاحت طرائق العمل الاستثنائية التي لجأ اليها «غلاف بوليت بوت» انقاذ النقليات من الخراب ولكنها عززت في الوقت نفسه البيروقراطية وادت الى نشوء ميل الى الانفصال عن الجماهير ، الى العدول عن طرائق العمل الديموقراطية في النقابات .

في عام ١٩٢٠ الغي «غلاف بوليت بوت» بقرار من دورة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا بتاريخ ٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ ، لمناسبة نهاية الحرب الاهلية والانتقال الى البناء السلمي .ـ ص ٢٣٧ .

٩٨ ـ «التسيكتران» («اللجنة المركزية للنقابة المتحدة للنقل الحديدي والنقل المائي») . انشئت في ايلول (سبتمبر) ١٩٢٠ . فان توحيد نقابتي النقل قد املته ضرورة انشاء قيادة مركزية قوية بمقدورها ان تؤمن تنفيذ المهمات الرامية الى ترميم النقليات التي كان خرابها يهدد بشل الاقتصاد الوطني . كانت صعوبة المهمات المطروحة تتطلب اللجوء موقتاً الى سياسة التدابير الاستثنائية وطرائق العمل العسكرية داخل التنظيم النقابي . فيما بعد ، انحطت التسيكتران ، بعد قيامها بعمل كبير لبعث النقليات ، الى هيئة بيروقراطية منعزلة عن جماهير النقابيين . ثم ان البيروقراطية ، والطرائق الادارية الصرف ، والتعيينية ، والتخلي عن طرائق العمل الديموقراطية ، التي بذل التروتسكيون قصارى جهدهم لغرسها بعد استيلائهم على قيادة التسيكتران قد أثارت العمال ضد الحزب وشقت صفوف العاملين في النقليات . شجبت لجنة الحزب المركزية هذه الطرائق الفاسدة . اتخذت دورتا اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا المنعقدتان في ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) و٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ قراراً بضم التسيكتران الى النظام العام لعمل مجلس النقابات المركزي لعامة روسيا بنفس الحقوق التي تتمتع بها النقابات الاخرى ، وأوصتا التسيكتران بتغيير طرائق عملها باتجاه توسيع الديموقراطية النقابية ، وتطبيق مبدأ انتخاب الهيئات النقابية كافة تطبيقاً واسعاً .ـ ص ٢٣٧ .

٩٩ – **«بوليت فود»** (**«غلاف بوليت فود» – الادارة السياسية المركزية للنقليات المائية في مفوضية الشعب لطرق المواصلات**) . تأسست في نيسان (ابريل) ١٩٢٠ بوصفها شعبة من «غلاف بوليت بوت» . عهد اليها ببسط الرقابة السياسية على الجهاز الاداري والتكنيكي ، وبالاشراف على العمل السياسي التثقيفي الهادف الى بعث النقليات المائية بسرعة ، والنضال من اجل زيادة انتاجية العمل ومن اجل اقامة وتوطيد الطاعة والانضباط في العمل . حلت في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ . – ص ٢٣٧ .

١٠٠ – **«بتروغرادسكايا برافدا»** («برافدا بتروغراد») – جريدة يومية . بدأت تصدر في ٢ نيسان (ابريل) ١٩١٨ بوصفها لسان حال اللجنة المركزية ولجنة بتروغراد للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا . في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٤ أسميت الجريدة باسم «لينينغرادسكايا برافدا» («برافدا لينينغراد») . وبهذا الاسم تصدر في الوقت الحاضر . – ص ٢٤٨ .

١٠١ – **«البرافدا»** («الحقيقة») – جريدة بلشفية شرعية ، علنية ، يومية . صدر العدد الاول منها في بطرسبورغ في ٢٢ نيسان – ابريل (٥ ايار – مايو) ١٩١٢ .

تعرضت «البرافدا» على الدوام للملاحقات البوليسية . وقد أغلقت في ٨ (٢١) تموز (يوليو) ١٩١٤ ، قبل بداية الحرب العالمية الاولى .

استأنفت «البرافدا» صدورها بعد ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديموقراطية (عام ١٩١٧) . منذ ٥ (١٨) آذار (مارس) ١٩١٧ ، شرعت «البرافدا» تصدر بوصفها لسان حال اللجنة المركزية ولجنة بتروغراد لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا .

انضم لينين الى هيئة تحرير «البرافدا» منذ عودته الى بتروغراد ، فاخذت «البرافدا» تناضل على نطاق متسع من اجل

الخطة اللينينية الرامية الى تحويل الثورة البرجوازية الديموقراطية الى ثورة اشتراكية .

من تموز (يوليو) الى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، تعرضت «البرافدا» لملاحقات الحكومة الموقتة المعادية للثورة ، فغيرت اسمها مراراً وصدرت باسم «ليستوك برافدي» («ورقة الحقيقة») ، «بروليتاري» ، «رابوتشي» («العامل») ، «رابوتشي بوت» («طريق العمال») . بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية ، اخذت الجريدة تصدر منذ ٢٧ تشرين الاول (٩ تشرين الثاني – نوفمبر) باسمها السابق – «البرافدا» . – ص ٢٤٨ .

١٠٢ – نشر **امر زوف بتاريخ ٣ ايار (مايو) . ١٩٢** في السنة نفسها في العدد ٥ من «نشرة ادارة النقليات المائية في مقاطعة ماريينسك» . وقد جاء فيه قوله : «وهكذا ، يحل انعطاف حاسم في حياة النقليات المائية . تزول الحرفية ، والروح اللجنوي ، وانعدام النظام ، وانعدام السلطة ، وتصبح شؤون النقليات المائية من شؤون الدولة . وعلى رأسها سيقف مفوضون سياسيون ذوو صلاحيات مناسبة . ان سلطة اللجان والنقابات والمندوبين المنتخبين تلغى فيما يتعلق بالتدخل في القضايا التكنيكية والادارية» .

كان هذا الامر مثالاً على البيروقراطية وعلى طريقة اصدار الاوامر والنواهي التي حاولت القيادة التروتسكية «للتسيكتران» قصارى جهدها ان تفرضها ، ودليلاً جلياً على عدم فهم دور النقابات في ميدان بعث النقليات . وقد وضعت النقليات في مصف واحد مع اللجان العسكرية التي ولى زمنها ، ونعتت «باللجنوية» ، واستبعدت ، بالاوامر ، عن الاشتراك في تنظيم وضبط العمل في النقليات المائية . – ص ٢٦١ .

١٠٣ – **التفتيش العمالي والفلاحي (رابكرين)** – انشئ بمبادرة لينين في شباط (فبراير) ١٩٢٠ على اساس اعادة تنظيم مفوضية الشعب لرقابة الدولة التي تشكلت في الاشهر الاولى من قيام السلطة السوفييتية . – ص ٢٨٨ .

١٠٤ – **«المعارضة العمالية»** – فرقة فوضوية سنديكالية تكتلية معادية للحزب ، ترأسها شليابنيكوف ومدفيديف وكولونتاي وكوتوزوف ولوتوفينوف وغيرهم . برزت الكتلة للمرة الاولى بهذا الاسم الديماغوجي في ايلول (سبتمبر) ١٩٢٠ اثناء الكونفرنس (المجلس العام) التاسع لعامة روسيا للحزب الشيوعي الروسي (البلشفي) في روسيا . تشكلت «المعارضة العمالية» نهائياً في سياق المناقشة بصدد النقابات (١٩٢٠–١٩٢١) . كانت آراؤها تعبيراً عن الانحراف الفوضوي السنديكالي في الحزب . وقد وردت هذه الآراء على اكمل نحو في كراس كولونتاي «المعارضة العمالية» الذي صدر عشية المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا . اقترحت المعارضة وضع ادارة الاقتصاد الوطني كله في يد «مؤتمر المنتجين لعامة روسيا» ، علماً بان المنتجين يتحدون في نقابات انتاجية يتعين عليها ان تنتخب هيئة مركزية تدير الاقتصاد الوطني كله . وطالبت المعارضة بان تنتخب جميع هيئات ادارة الاقتصاد الوطني من قبل النقابات المعنية فقط ، علماً بانه لا يحق للهيئات الحزبية والسوفييتية ان تستبعد الترشيحات التي تتقدم بها النقابات . كانت هذه المطالب تعني انكار دور الحزب القيادي وديكتاتورية البروليتاريا بوصفها الاداة الاساسية في البناء الاشتراكي . عارضت «المعارضة العمالية» الدولة السوفييتية والحزب الشيوعي بالنقابات ، واعتبرت ان الشكل الاعلى لتنظيم الطبقة العاملة ليس الحزب بل النقابات .

كان منهج «المعارضة العمالية» في المسائل الحزبية الداخلية يتألف من اتهامات افترائية ضد قيادة الحزب «بالانفصال عن الجماهير الحزبية» ، «باستصغار القوى الخلاقة للبروليتاريا» ، «بانحطاط القمم الحزبية» .

اعتبر مؤتمر الحزب العاشر الدعاية لافكار «المعارضة العمالية» امراً يتنافى مع الانتساب الى الحزب الشيوعي . طالب القرار بشان وحدة الحزب الذي اقره المؤتمر بحل الفرق المتشكلة على هذا المنهج او ذاك ، وحلها جميعها بلا استثناء وعلى الفور . بعد

المؤتمر ، قطع معظم الاعضاء العاديين كل صلة لهم «بالمعارضة العمالية» وايدوا خط الحزب بلا تحفظ . انتهى تحطيم «المعارضة العمالية» على الصعيد التنظيمي في عام ١٩٢٢ اثناء المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا . — ص ٢٩٩ .

١٠٥ — **«الحياة الاقتصادية»** («ايكونوميتشيسكايا جيزن») — جريدة يومية . صدرت من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ الى تشرين الثاني ١٩٣٧ بوصفها لسان حال المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني ، ومفوضية الشعب للمالية ، ومصرف الدولة وسائر مفوضيات الشعب الاقتصادية . — ص ٣٠٢ .

١٠٦ — **«نشرة لجنة الدولة لكهربة روسيا»** . اصدرتها دار الدولة التكنيكية للطبع والنشر لدى الشعبة العلمية والتكنيكية في المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني من نيسان (ابريل) الى آب (اغسطس) ١٩٢٠ في موسكو . صدر منها خمسة اعداد فقط . — ص ٣٠٤ .

١٠٧ — المقصود هنا عمل البروفسور الالماني في الاقتصاد السياسي كارل بالود «Der Zukunftsstaat, Produktion und Konsum im Sozial-staat» («دولة المستقبل ، الانتاج والاستهلاك في الدولة الاشتراكية») . صدر الكتاب في المانيا عام ١٨٩٨ . في عام ١٩١٩ صدرت طبعة ثانية منقحة . في عام ١٩٢٠ صدر الكتاب في موسكو باللغة الروسية . — ص ٣٠٧ .

١٠٨ — هنا وفيما بعد ، يستشهد لينين ببرنامج الحزب الذي اقره المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا في آذار (مارس) ١٩١٩ . — ص ٣١١ .

١٠٩ — **تيت تيتيتنش** — تاجر غني صوره الكاتب الروسي الكسندر نيقولايفيتش اوستروفسكي (١٨٢٣—١٨٨٦) في مسرحيته الكوميدية «الآباء ياكلون الحصرم والابناء يضرسون» . — ص ٣١٢ .

١١٠ – **المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا** . انعقد في موسكو من ٨ الى ١٦ آذار (مارس) ١٩٢١ . يستفاد من معطيات لجنة الطعون ان ٦٩٤ مندوباً بصوت تقريري و٢٩٦ مندوباً بصوت استشاري يمثلون ٧٣٢٥٢١ عضواً في الحزب قد اشتركوا في اعمال المؤتمر . وردت في جدول اعمال المؤتمر المسائل التالية : ١ – تقرير اللجنة المركزية ؛ ٢ – تقرير لجنة الرقابة ؛ ٣ – النقابات ودورها في حياة البلد الاقتصادية ؛ ٤ – الجمهورية الاشتراكية في المحيط الرأسمالي ، التجارة الخارجية ، الامتيازات ، وخلافها ؛ ٥ – العمل التمويني ، والمصادرة العينية ، والضريبة العينية ، ومسألة ازمة الوقود ؛ ٦ – مسائل البناء الحزبي ؛ ٧ – مهمات الحزب المباشرة في المسألة القومية ؛ ٨ – اعادة تنظيم الجيش ومسألة الميليشيا ؛ ٩ – «غلاف بوليت بروسفيت» («اللجنة المركزية للسياسة والتثقيف») وعمل الحزب في حقل التحريض والدعاية ؛ ١٠ – تقرير ممثل الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا في الكومنترن (الاممية الشيوعية) ومهماته المباشرة ؛ ١١ – تقرير اعضاء الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا في ميجسوفبروف (مجلس النقابات العالمي) ؛ ١٢ – الانتخابات الى اللجنة المركزية والى لجنة الرقابة والتفتيش .

اتخذ المؤتمر قرارات في المسائل الجذرية المتعلقة بحياة البلد السياسية والاقتصادية . اشرف لينين على عمل المؤتمر . وقد القى خطابين عند افتتاح المؤتمر واختتامه ، وتقارير عن نشاط اللجنة المركزية السياسي ، وعن الاستعاضة عن المصادرة العينية بالضريبة العينية ، وعن وحدة الحزب والانحراف الفوضوي السنديكالي ، وعن النقابات ، وعن مسألة الوقود . كذلك أعد لينين مشاريع أهم قرارات المؤتمر . وفي التقرير عن نشاط اللجنة المركزية وفي التقرير عن الاستعاضة عن المصادرة العينية بالضريبة العينية ، اعطى لينين تعليلاً نظرياً وسياسياً عميقاً لضرورة الانتقال الى «النيب» (السياسة الاقتصادية الجديدة) . بموجب تقرير لينين ، اتخذ المؤتمر قراراً تاريخياً بالاستعاضة عن المصادرة العينية

بالضريبة العينية ، وبالانتقال من الشيوعية الحربية الى السياسة الاقتصادية الجديدة التي تستهدف اجتذاب الملايين والملايين من الفلاحين الى بناء الاشتراكية .

اولى المؤتمر مسالة وحدة الحزب اهتماماً خاصاً . وانتقد لينين في كلماته النظريات المعادية للماركسية عند التكتلات المعارضة انتقاداً حاداً . وقد امر القرار «حول وحدة الحزب» الذي اتخذه المؤتمر بناء على اقتراح من لينين بان يصار على الفور الى حل جميع الفرق التكتلية التي كانت تؤدي الى اضعاف الحزب وتقوض وحدته . وخوّل المؤتمر اللجنة المركزية صلاحية اللجوء الى فصل اعضاء اللجنة المركزية الذين سلكوا طريق التكتلية من صفوف الحزب بوصفه اقصى التدابير .

صادق المؤتمر على القرار الذي اعده لينين ايضاً «حول الانحراف السنديكالي والفوضوي في حزبنا» . وقد جاء فيه ان نظرات «المعارضة العمالية» هي تعبير عن التذبذبات البرجوازية الصغيرة ، الفوضوية . واعتبر القرار ان ترويج افكار الانحراف الفوضوي السنديكالي امر يتنافى مع الانتساب الى الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا . وفي ظروف البناء الاشتراكي السلمي ، طالب المؤتمر بتوسيع الديموقراطية الحزبية الداخلية ، واعادة بناء نشاط الحزب على اوسع اساس ديموقراطي .

شغلت مسالة دور النقابات في البناء الاقتصادي مكاناً هاماً في عمل المؤتمر العاشر . استخلص المؤتمر رصيد المناقشة بصدد النقابات ، وشجب قطعاً نظرات التروتسكيين و«المعارضة العمالية» وفرقة «المركزية الديموقراطية» وسائر التيارات الانتهازية ، وصادق بالاغلبية الساحقة من الاصوات على المنهج اللينيني الذي كان يحدد دور ومهام النقابات بوصفها مدرسة للشيوعية ويعرض تدابير لتوسيع الديموقراطية النقابية .

رسم المؤتمر السبل الملموسة للانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، وعين طرائق بناء الاشتراكية في الظروف الجديدة . — ص ٣١٧ .

١١١ ــ راجعوا الملاحظة رقم ٨٤ .

١١٢ ــ يقصد لينين هنا مداخلات شليابنيكوف وكيسيليف في جلسات كتلة الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا اثناء مؤتمر عمال المناجم الثاني لعامة روسيا . ــ ص ٣٢٩ .

١١٣ ــ اقر المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية «شروط القبول في الاممية الشيوعية» المتالفة من ٢١ شرطاً . وقد عرضت الشروط الاسس التنظيمية للحزب الجديد الطراز ، وعينت بايجاز المبادئ البرنامجية والتكتيكية للاممية الشيوعية .

جاء في الشرط الحادي والعشرين : «ان اعضاء الحزب الذين يرفضون مبدئيا الواجبات والموضوعات التي طرحتها الاممية الشيوعية ، يجب فصلهم من الحزب . وهذا يصح كذلك على مندوبي المؤتمرات الحزبية الاستثنائية» . ــ ص ٣٣١ .

١١٤ ــ في ١٦ آذار (مارس) ١٩٢١ تم التوقيع على اتفاقية تجارية بين روسيا السوفييتية وبريطانيا . ــ ص ٣٣٢ .

١١٥ ــ في ٢٨ شباط (فبراير) ١٩٢١ ، بدأت في كرونشتادت فتنة معادية للثورة نظمها الاشتراكيون-الثوريون والمناشفة ورجال الحرس الابيض ، ودعمها الامبرياليون الاجانب . رفع زعماء الفتنة شعار «السوفييتات بدون الشيوعيين» ، آملين على هذا النحو ان يزيحوا الشيوعيين من قيادة السوفييتات ، ويقضوا على النظام السوفييتي ، ويعيدوا النظام الرأسمالي في روسيا .

خلق استيلاء اصحاب الفتنة على كرونشتادت خطراً مباشراً على بتروغراد . وجهت الحكومة السوفييتية الى قمع الفتنة وحدات نظامية من الجيش الاحمر . وارسل الحزب الشيوعي الى مهاجمة كرونشتادت اكثر من ٣٠٠ مندوب من مندوبي مؤتمر الحزب العاشر . في ١٨ آذار تم سحق الفتنة كلياً . ــ ص ٣٣٦ .

١١٦ ـ في حزيران (يونيو) ١٩١٨ ، انشئت في مدينة سامارا حكومة معادية للثورة مؤلفة من ممثلي المناشفة والاشتراكيين-الثوريين والحرس الابيض ، وأسميت لجنة اعضاء الجمعية التاسيسية . في خريف ١٩١٨ زالت هذه الحكومـــــة من الوجود تحت ضربات الجيش الاحمر .ـ ص ٣٣٨ .

١١٧ ـ هذا التعبير هو ، اغلب الظن ، لونستون تشرتشل ، وقد نقله الى لينين النحات الانجليزي كلير شيريدان الذي زار روسيا السوفييتية في عام ١٩٢٠ .ـ ص ٣٦٠ .

١١٨ ـ المقصود هنا **الكونفرنس الحزبي الخامس لعامة اوكرانيا** الذي انعقد في خاركوف في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠ . في الكونفرنس (المجلس العام) ، صوت ٢٣ شخصاً من اصل ٣١٦ شخصاً اي ٧٪ بالموافقة على منهج «المعارضة العمالية» .ـ ص ٣٦٩ .

١١٩ ـ **كتلة «المركزية الديموقراطية»** ـ كتلة انتهازية معارضة ، وقفت للمرة الاولى في المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا ضد المبادئ اللينينية للبناء الحزبي والسوفييتي . وفي المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا ، قدم اعضاء كتلة «المركزية الديموقراطية» مقرريهم في مسائل البناء الاقتصادي وفي مسالة التنظيم . انكر اعضاء كتلة «المركزية الديموقراطية» دور الحزب القيادي في السوفييتات والنقابات ، وعارضوا احاديـــــة القيادة والمسؤولية الشخصية للمدراء في الصناعة ، ووقفوا ضد المبادئ اللينينية في مسائل التنظيم ، وطالبوا بحرية الكتل والتكتلات . فضح المؤتمر النظرات المعادية للحزب ، نظرات اعضاء فرقة «المركزية الديموقراطية» ورد عليهم رداً حاسماً .

لم يتمتع اعضاء كتلة «المركزية الديموقراطية» باي تاثير في صفوف الجماهير الحزبية ؛ ولقي نشاطهم التحبيذ من جانب المناشفة الذين تضامنوا معهم في كثير من المسائل .

اثناء المناقشة بصدد النقابات (١٩٢٠ـ١٩٢١) نشرت كتلة

«المركزية الديموقراطية» منهجها التكتلي ودافعت عنه في الاجتماعات السابقة للمؤتمر ، جامعة اصواتاً معدودات لتأييده . في المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا ، نقلت الكتلة مركز ثقل النضال ضد الحزب الى مسائل البناء الحزبي التي تكلم فيها نيابة عن الفرقة مكسيموفسكي امام المؤتمر بصفته مقرراً ثانياً . في عام ١٩٢٣ ، انحلت كتلة «المركزية الديموقراطية» ، وتكتل قادتها مع المعارضة التروتسكية . — ص ٣٦٩ .

١٢٠ — **«ورقة المناقشة»** — نشرة غير دورية للجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا . صدرت بقرار من الكونفرنس التاسع لعامة روسيا للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا المنعقد في ايلول (سبتمبر) ١٩٢٠ .

قبل المؤتمر العاشر ، صدر عددان من الورقة — الاول في كانون الثاني (يناير) والثاني في شباط (فبراير) ١٩٢١ .

بعد المؤتمر العاشر ، توقفت «ورقة المناقشة» عن الصدور ، ثم استؤنف صدورها فيما بعد في مراحل المناقشة وقبل مؤتمرات الحزب . — ص ٣٧٢ .

١٢١ — في ١٦ آذار (مارس) ١٩٢١ القى لينين في الجلسة الاخيرة ، السادسة عشرة ، للمؤتمر ، تقريراً عن وحدة الحزب والانحراف الفوضوي السنديكالي . اشترك ممثلو «المعارضة العمالية» و«المركزية الديموقراطية» في المناقشات التي جرت ضد القرارين اللذين اقترحهما لينين «حول وحدة الحزب» و«حول الانحراف السنديكالي والفوضوي في حزبنا» .

بعد كلمة لينين الختامية ، صادق المؤتمر بالاغلبية الساحقة من الاصوات على القرارين اللذين اقترحهما . — ص ٣٧٤ .

١٢٢ — كارل ماركس : «نقد برنامج غوتا» . رسالة ماركس الى فيديماير بتاريخ ٥ آذار (مارس) ١٨٥٢ ؛ انجلس : «ضد دوهرينغ» ، «اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة» . — ص ٣٧٦ .

١٢٣ – يقصد لينين فرقة «اليساريين» الفوضوية التي انفصلت عن الحزب الشيوعي الالماني وشكلت في نيسان (ابريل) ١٩٢٠ ما يسمى بحزب العمال الشيوعي الالماني (راجعوا الملاحظة رقم ٢٧) . دافع «اليساريون» عن النظرات البرجوازية الصغيرة ، السنديكالية الفوضوية . في المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية ، لم يلق مندوبا حزب العمال الشيوعي الالماني اوتو رولە ومرغس التأييد من جانب الاممية الشيوعية ، فغادرا المؤتمر . – ص ٣٧٩ .

١٢٤ – المقصود هنا القرار في المسالة الزراعية الذي اتخذه المؤتمر الثاني للكومنترن (الاممية الشيوعية) في ٤ آب (اغسطس) ١٩٢٠ . – ص ٣٧٩ .

١٢٥ – **المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية** . انعقد في موسكو من ٢٢ حزيران (يونيو) الى ١٢ تموز (يوليو) ١٩٢١ . اشترك في عمل المؤتمر ٦٠٥ مندوبين (٢٩١ مندوباً بصوت تقريري و٣١٤ بصوت استشاري) عن ١٠٣ منظمات من ٥٢ بلداً ، بينها : ٤٨ حزباً شيوعياً ، و٨ احزاب اشتراكية ، و٢٨ اتحاداً للشبيبة ، و٤ منظمات سنديكالية ، وحزبان شيوعيان معارضان (حزب العمال الشيوعي الالماني وحزب العمال الشيوعي الاسباني) ، و١٣ منظمة اخرى . كان وفد الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا يتألف في المؤتمر من ٧٢ مندوباً برئاسة لينين .

بحث المؤتمر مسائل الازمة الاقتصادية العالمية والمهمات الجديدة امام الاممية الشيوعية ؛ التقرير عن نشاط اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية ؛ عن حزب العمال الشيوعي الالماني ؛ عن المسالة الايطالية ؛ عن تكتيك الاممية الشيوعية ؛ عن موقف مجلس النقابات العالمي الاحمر من الاممية الشيوعية ؛ عن النضال ضد امميستردام ؛ عن تكتيك الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا ؛ عن الاممية الشيوعية وحركة الشباب الشيوعي ؛ عن الحركة النسائية ؛ عن الحزب الشيوعي الالماني الموحد ؛ وغير ذلك . القى لينين في المؤتمر تقريراً عن تكتيك الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا ،

وخطاباً دفاعاً عن تكتيك الاممية الشيوعية ، وخطاباً في المسألة الايطالية ، كما القى كلمات في لجان المؤتمر وفي الجلسات الموسعة للجنة التنفيذية للاممية الشيوعية ، وفي مداولات مندوبي المؤتمر . عشية المؤتمر واثناء عمل المؤتمر ، تقابل لينين مع المندوبين وتحادث معهم عن الوضع في الاحزاب الشيوعية .

اضطلع المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية بدور كبير في تكوين وتطوير الاحزاب الشيوعية الفتية . ركز المؤتمر جل اهتمامه على رسم تكتيك الكومنترن وتنظيمها بالارتباط مع الظروف الجديدة لتطور الحركة الشيوعية العالمية . فضلاً عن النضال ضد الخطر الوسطي ، اضطر لينين الى ايلاء النضال ضد العقائدية «اليسارية» وضد الجملة اليسارية المتطرفة الثورية المزعومة وضد الانعزالية قدراً كبيراً من الانتباه . وبنتيجة النضال العنيد الذي خاضه لينين ضد الخطر «اليساري» ، احرزت الماركسية الثورية الغلبة في المؤتمر . — ص ٣٨٨ .

١٢٦ — في ١٣ نيسان (ابريل) ١٩١٩ اطلقت القوات البريطانية النار في امريتسار — وهي مركز صناعي هام في البنجاب — على اجتماع حاشد ضم الآلاف والآلاف من الشغيلة احتجاجاً على ارهاب المستعمرين . فسقط قرابة الف قتيل وقرابة الفي جريح . رداً على مذبحة امريتسار ، تفجرت في البنجاب انتفاضة شعبية ، وشملت الاضطرابات مناطق اخرى من الهند . قمع المستعمرون البريطانيون انتفاضة البنجاب بقساوة . — ص ٣٩٠ .

١٢٧ — انعقد المؤتمر الكهرتكنيكي الثامن لعامة روسيا في موسكو من اول تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢١ الى التاسع منه . — ص ٣٩٧ .

١٢٨ — «**بوسلدنيه نوفوستي**» («الانباء الاخيرة») — جريدة يومية للمهاجرين البيض . لسان حال حزب الكاديت المعادي للثورة . صدرت في باريس من نيسان (ابريل) ١٩٢٠ الى تموز (يوليو) ١٩٤٠ . كان ميليوكوف رئيس تحرير الجريدة . — ص ٣٩٩ .

١٢٩ – «كومونيستيتشيسكي ترود» («العمل الشيوعي») – جريدة يومية . لسان حال لجنة موسكو للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا وسوفييت موسكو لنواب العمال والفلاحين . تصدر منذ آذار (مارس) ١٩١٨ . تصدر في الوقت الحاضر باسم «موسكوفسكايا برافدا» . – ص ٣٩٩ .

١٣٠ – المقصود هنا التعديلات التي تقدم بها الوفد الالماني والوفد النمساوي والوفد الايطالي على مشروع الموضوعات عن التكتيك الذي طرحه الوفد الروسي امام المؤتمر الثالث للكومنترن . صدرت هذه التعديلات باللغة الالمانية في جريدة «Moskau» («موسكو») ، لسان حال المؤتمر الثالث للكومنترن . – ص ٤٠١ .

١٣١ – راجعوا ملاحظة رقم ٢٧ .

١٣٢ – المقصود هنا «الرسالة المفتوحة» («Offener Brief») التي وجهتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الالماني الموحد الى الحزب الاشتراكي الالماني والحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني المستقل وحزب العمال الشيوعي الالماني وجميع المنظمات المهنية ، والتي نشرتها جريدة «Die Rote Fahne» («الراية الحمراء») في ٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ . في هذه الرسالة دعا الحزب الشيوعي الالماني الموحد جميع المنظمات العمالية والمهنية والاشتراكية الى النضال المشترك ضد الرجعية المشتدة وضد هجوم الرأسمال على حقوق الكادحين الحيوية . كان برنامج الاعمال المشتركة الذي تقدم به الشيوعيون يدعو الى النضال من اجل زيادة معاشات مشوهي الحرب ، والقضاء على البطالة وتحسين اوضاع البلد المالية على حساب الاحتكارات ، ومراقبة اللجان المصنعية المعملية على كل ما يتوفر من مؤن وخامات ووقود ، وتشغيل جميع المؤسسات المتوقفة عن العمل ، ومراقبة اعمال البذر والحصاد والبيع المتعلقة بكل منتوج الزراعة من قبل سوفييتات الفلاحين وبالتعاون مع منظمات الاجراء الزراعيين ، ونزع سلاح جميع المنظمات

البرجوازية شبه العسكرية وحلها على الفور ، وانشاء الدفاع الذاتي العمالي ، العفو عن جميع المعتقلين السياسيين ، واستئناف العلاقات التجارية والديبلوماسية على الفور مع روسيا السوفييتية .

رفضت القيادة اليمينية للمنظمات التي أرسلت اليها «الرسالة المفتوحة» اقتراح القيام باعمال مشتركة مع الشيوعيين ، رغم ان العمال طالبوا بانشاء جبهة واحدة للبروليتاريا . — ص ٤٠٤ .

١٣٣ — كان جوهر **نظرية النضال الهجومي** او «نظرية الهجوم» التي أعلنت في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ في المؤتمر الموحد للحزب الشيوعي الالماني والجناح اليساري من الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني المستقل يتلخص فيما يلي : يجب على الحزب ان يتبع تكتيك الهجوم بصرف النظر عما اذا كانت المقدمات الموضوعية الضرورية تتوفر لأجل الهجوم الثوري وعما اذا كانت الجماهير الواسعة من الشغيلة تؤيد الحزب الشيوعي .

كان «لنظرية الهجوم» اتباع كذلك بين «اليساريين» في المجر وتشيكوسلوفاكيا وايطاليا والنمسا وفرنسا . وقد قامت في اساس هزيمة انتفاضة البروليتاريا في المانيا في آذار (مارس) ١٩٢١ وكانت احد اسباب هذه الهزيمة (راجعوا الملاحظة رقم ١٣٥) . بعد هزيمة انتفاضة آذار ، حاول «اليساريون» تبرير اخطاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الالماني الموحد ؛ وقد جاء في الموضوعات التي اقرتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الالماني الموحد في ٨ نيسان (ابريل) ١٩٢١ عن انتفاضة آذار انه يجب على الحزب الشيوعي الالماني الموحد ان «يسير» دائماً «على خط الهجوم الثوري» القائم في اساس انتفاضة آذار ؛ وان الاعمال الهجومية ، «حتى ولو منيت بالهزيمة ، هي مقدمة النصر المقبل والوسيلة الوحيدة الممكنة بالنسبة للحزب الثوري لأجل كسب الجماهير ...» . في المؤتمر الثالث للكومنترن ، سعى انصار «نظرية الهجوم» الى ارسائها في اساس القرارات عن تكتيك الاممية الشيوعية . وقد بين لينين في كلماته امام المؤتمر ما يلازم هذه «النظرية» من خطأ وروح مغامرة ؛

صادق المؤتمر على المقترحات اللينينية بشان العمل التحضيري الصبور والمتاني وبشان كسب اغلبية الطبقة العاملة الى جانب الحركة الشيوعية .ـ ص ٤٠٦ .

١٣٤ ـ **الاشتراكيون-الثوريون اليساريون** ـ حـــزب الاشتراكيين-الثوريين اليساريين (الاميين) تشكل تنظيميا في مؤتمره الاول لعامة روسيا الذي انعقد من ١٩ الى ٢٨ تشرين الثاني ـ نوفمبر (٢ ـ ١١ كانون الاول ـ ديسمبر) ١٩١٧ . وقبل ذاك ، كان الاشتراكيون-الثوريون اليساريون يتواجـدون كجناح يساري في حزب الاشتراكيين-الثوريين (راجعوا الملاحظة رقم ٣٧) . في مؤتمر السوفييتات الثاني لعامة روسيا ، صوت الاشتراكيون-الثوريون اليساريون مع البلاشفة في أهم المسائل الواردة في جدول الاعمال ، ولكنهم ردوا بالرفض على عرض البلاشفة بالاشتراك في الحكومة السوفييتية . بعد ذبذبات طويلة ، اقدم الاشتراكيون-الثوريون اليساريون ، سعيا منهـــم للاحتفاظ بنفوذهم بين الفلاحين ، على الاتفاق مع البلاشفة ، فتم ادخالهم الى عدد من الهيئات الادارية في مفوضيات الشعب . سلك الاشتراكيون-الثوريون اليساريون سبيل التعاون مع البلاشفة ، ولكنهم اختلفوا معهم في المسائل الجذرية المتعلقة ببناء الاشتراكيـــة ، وعارضوا ديكتاتورية البروليتاريـــا . في كانون الثاني وشباط (يناير ـ فبراير) ١٩١٨ ، بدأت اللجنـــة المركزيـــة لحزب الاشتراكيين-الثوريين اليساريين النضال ضد عقد معاهدة صلـــح بريست ؛ وبعد التوقيع عليها وابرامها من قبل مؤتمر السوفييتات الرابـــع في آذار (مارس) ١٩١٨ ، خرج الاشتراكيون-الثوريون اليساريون من مجلس مفوضي الشعب ، ولكنهـــم ظلوا في الهيئات الادارية لمفوضيات الشعب وفي هيئات السلطة المحلية . ومع تطوير وتوسيع الثورة الاشتراكية في الريف ، اخذت تشتد بين الاشتراكيين-الثوريين اليساريين امزجة العداء للسلطة السوفييتية . وفي تموز (يوليو) ١٩١٨ نظمت اللجنة المركزيـــة لحزب الاشتراكيين-الثوريين اليساريين اغتيال السفير الالماني في موسكو ، حاسبة ان

تستثير الحرب بالتالي بين روسيا السوفييتية والمانيا ، واثارت فتنة مسلحة ضد السلطة السوفييتية . ونظراً لذلك ، اتخذ مؤتمر السوفييتات الخامس لعامة روسيا ، بعد قمع الفتنة ، قراراً بطرد الاشتراكيين-الثوريين اليساريين الذين يشاطرون قمتهم القيادية الآراء من قوام السوفييتات .— ص ٤٠٦ .

١٣٥ — المقصود هنا الانتفاضة المسلحة التي قامت بها البروليتاريا الالمانية في آذار (مارس) ١٩٢١ .

فان البرجوازية الالمانية ، وقد تملكها الذعر من جراء نمو نفوذ الشيوعيين في الجماهير ، قررت ان تستثير الطليعة الثورية للبروليتاريا الى القيام بانتفاضة مسلحـــــة قبل الاوان وبدون تحضير ، وان تسحق المنظمات الثورية للطبقة العاملة . بذريعة النضال ضد العناصر الاجرامية التي استثارت الاضرابات حسبما زعـــــم ، اصدر الرئيس الاول للبوليس البروسي ، الاشتراكي-الديموقراطي غرزينغ ، في ١٦ آذار ، امراً بادخال فصائل البوليس الى مؤسسات المانيا الوسطى . استثارت الاعمال الاستفزازية من جانب السلطة الاستياء العاصف بين العمال ، وبدأت المصادمات مع رجال البوليس . ثم ان الاغلبية اليسارية في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الالماني الموحد دفعت العمال الى طريق الانتفاض قبل الاوان ، انطلاقاً منها مما يسمى «بنظرية الهجوم» (راجعوا الملاحظة رقم ١٣٣) . وفي ١٧ آذار ، اتخذت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الالماني الموحد قراراً يقول ان «البروليتاريا ملزمة بقبول المعركة» ودعت البروليتاريا الالمانية الى الاضراب العام لمساعدة عمال المانيا الوسطى . ولكن اغلبية الطبقة العاملة لم تكن مهياة للانتفاض ولم تشترك في المعارك . في المانيا الوسطى فقط ، اتخذت الانتفاضة طابع النضال المسلح . واثناء انتفاضة آذار ، اقترف الحزب الشيوعي الالماني الحديث العهد جملة من الاخطاء .

رغم نضال العمال البطولي ، تم قمع انتفاضة آذار ، ونزلت بالحزب الشيوعي والطبقة العاملة ضربة شديدة . كانت السياسة

التي انتهجهـــا الاشتراكيون-الديموقراطيون وزعماء النقابـــات الاصلاحية ، سياسة الخيانة والغدر ، سياسة شق القوى وتفريقها ، سبباً من أهم اسباب فشل الانتفاضة . وتسببت اعمال بول ليفي الانتهازية بضرر كبير للانتفاضة وللحزب الشيوعي .ـ ص ٤٠٧ .

١٣٦ ـ المقصود هنا اضراب عمال المناجم البريطانيين من نيسان الى حزيران (ابريل ـ يونيو) ١٩٢١ . كان الاضراب رداً على مطلب اصحاب المناجم بتخفيض اجور العمال تخفيضاً كبيراً . اشترك في الاضراب اكثر من مليون شخص ؛ وتحول الاضراب من اضراب لعمال المناجم الى اضراب وطني عام . اقترح اتحاد عمال المناجم على اللجان التنفيذية لتريديونيونات شغيلة النقل وشغيلة السكك الحديديـة الاشتراك في اضراب التضامن ، ولكن الزعماء الاصلاحيين في هذه اللجان لم يساندوا عمال المناجم ، بل قاموا بمفاوضات فيما وراء الكواليس مع الحكومة واصحاب المناجم ، سعياً منهم الى اجراء مساومة واحباط الاضراب . بعد نضال بطولي دام ثلاثة أشهر ، اضطر عمال المناجم البريطانيون للعودة الى العمل .ـ ص ٤١١ .

١٣٧ ـ **اسطبلات اوجياس** . تقول الاساطير اليونانية القديمة انها اسطبلات هائلـــة لاوجياس ، ملك أليدا ، ظلت سنوات وسنوات بدون تنظيف ، ونظفها البطل هرقل في يوم واحد . ويعني تعبيـــر «اسطبلات اوجياس» تراكم الاقذار والاوساخ ، او الحد الاقصى من الاهمال والفوضى في الاعمال .ـ ص ٤١٦ .

١٣٨ ـ **نرسيس** ـ تقول الاساطير اليونانية القديمة انه فتى جميل عشق صورته . بالمعنى المجازي ، شخص محب لذاته .

هملت ـ شخصية اسطوريـــة ؛ ابن ملك دانماركي تظاهر بالجنون لكي يثار من قاتل والده ، الذي استولى على العرش . حظيت شخصية هملت بشهرة عالمية بفضل مسرحية وليام شكسبير بالاسم نفسه .

اصبح اسم هملت اسم نكرة للاشارة الى شخص مفعم بالتناقضات والشكوك الداخلية ، وغير قادر على التصرفات الحازمة . — ص ٤١٦ .

١٣٩ — فريدريك انجلس . رسالتان الى بيبل بتاريخ ١٨ — ٢٨ آذار (مارس) ١٨٧٥ وبتاريخ ١١ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٨٤ . — ص ٤٢٧ .

١٤٠ — فريدريك انجلس . «الادب المهجري» . — ص ٤٢٩ .

١٤١ — **مقالة «ملاحظات صحفي . بصدد الصعود الى الجبال الشاهقة ، بصدد ضرر القنوط ، بصدد نفع التجارة ، بصدد الموقف من المناشفة ، وما الى ذلك»** لم تنته . — ص ٤٣٧ .

١٤٢ — «**السمينوفيخيون**» — ممثلو تيار اجتماعي سياسي نشأ عام ١٩٢١ بين المثقفين المهاجرين البيض الروس . اتخذوا اسمهم من مجموعة «سمينا فيخ» («تعاقب الاجيال») التي صدرت في براغ عام ١٩٢١ . كان المهاجرون البيض ذوو الميول الكاديتية ايديولوجيي السمينوفيخيين . كذلك حظيت السمينوفيخية بمؤازرة قسم من المثقفين القدماء ، البرجوازيين ، الذين لم يهاجروا من روسيا السوفييتية . اصدر السمينوفيخيون مجلة «سمينا فيخ» في براغ من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢١ الى آذار (مارس) ١٩٢٢ .

كان بعض الانتعاش الذي شعرت به العناصر الرأسمالية في الجمهورية السوفييتية لمناسبة انتهاج «النيب» (السياسة الاقتصادية الجديدة) السبب الاجتماعي لظهور السمينوفيخية . اقتنع السمينوفيخيون بان لا أمل البتة في اسقاط السلطة السوفييتية عن طريق التدخل الاجنبي المسلح ، فعمدوا الى التعاون مع السلطة السوفييتية معولين على انحطاط الدولة السوفييتية وانتكاسها الى دولة برجوازية . اعتبر السمينوفيخيون ان الانتقال الى «النيب» يعني تطور السلطة السوفييتية في اتجاه اعادة الرأسمالية . اعرب قسم من السمينوفيخيين عن الاستعداد للتعاون

باستقامة وصدق مع السلطة السوفييتية وللاسهام في نهضة البلد الاقتصادية .

فيما بعد ، وفقت اغلبية السمينوفيخيين مواقف معادية للثورة . — ص ٤٣٨ .

١٤٣ — **يهوذا غولوفليف** — بطل مؤلف للكاتب الهجائي الساخر الروسي سالتيكوف-شدرين «السادة آل غولوفليف» ، ملاك عقاري اقطاعي ملقب بيهوذا بسبب ريائه ونفاقه وقساوته . — ص ٤٣٨ .

١٤٤ — **المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا** انعقد في موسكو من ٢٧ آذار (مارس) الى ٢ نيسان (ابريل) ١٩٢٢ .

انعقد المؤتمر بعد سنة من انتهاء الحرب الاهلية وانتقال البلاد السوفييتية الى البناء الاقتصادي السلمي . كانت مهمة المؤتمر استخلاص رصيد السنة الاولى من تطبيق السياسة الاقتصادية الجديدة ورسم خطة لاحقة للبناء الاشتراكي .

اشترك في عمل مؤتمر الحزب الحادي عشر ٥٢٢ مندوباً بصوت تقريري و١٦٤ مندوباً بصوت استشاري .

القى لينين تقريراً عن النشاط السياسي للجنة الحزب المركزية .

صادق المؤتمر على الخط السياسي التنظيمي للجنة الحزب المركزية واعتبر ان التنازلات الضرورية في صالح الرأسمالية الخاصة قد نفذت ، وان التراجع في هذا المعنى قد انتهى . قرر المؤتمر ان مهمة الحزب الاساسية هي اعادة تجميع وتوزيع القوى الحزبية لأجل تامين تطبيق سياسة الحزب . اشار المؤتمر الى ضرورة الفصل بمزيد من الدقة بين وظائف الهيئات الحزبية ووظائف الهيئات السوفييتية لكي يضمن الحزب ، الذي يشرف على سياسة الدولة السوفييتية ، ارتفاع دور السوفييتات في مجال البناء الاقتصادي . صادق المؤتمر على نشاط وفد الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا في الاممية الشيوعية ، واعرب عن تضامنه مع الخط السياسي للجنة التنفيذية للكومنترن ، ومع تكتيك الجبهة الموحدة التي اقرتها وطبقتها . — ص ٤٤٨ .

١٤٥ – يقصد لينين المؤتمر الاقتصادي والمالي العالمي الذي كان من المزمع عقده في جنوى (ايطاليا) . كانت الحكومة السوفييتية صاحبة المبادرة الى عقد المؤتمر لاجل بحث قضية اقرار السلام والتعاون الاقتصادي في اوروبا ، بما في ذلك مسالة ديون روسيا ؛ وكانت الحكومة السوفييتية قد اصدرت في هذا الصدد مذكرة في ٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢١ وارسلتها الى بريطانيا وايطاليا والولايات المتحدة الاميركية وفرنسا واليابان . في ٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٢ اتخذ المجلس الاعلى لبلدان الوفاق اثناء اجتماعه في مدينة كانّ (فرنسا) قراراً بعقد المؤتمر .

جرى مؤتمر جنوى من ١٠ نيسان (ابريل) الى ١٩ ايار (مايو) ١٩٢٢ . واشترك فيه ممثلو ٢٩ بلداً بينها روسيا السوفييتية ، بريطانيا العظمى ، فرنسا ، ايطاليا ، بلجيكا ، اليابان ، المانيا وغيرها . رفضت حكومة الولايات المتحدة الاميركية الاشتراك في المؤتمر .

في جلسة المؤتمر الاولى ، ادلى رئيس الوفد السوفييتي تشيتشيرين ببيان للحكومة السوفييتية ينطلق من مبدأ السياسة الخارجية السوفييتية الاساسي – مبدأ التعايش السلمي بين الدول ذات النظام الاجتماعي المختلف – النظام الراسمالي والنظام الاشتراكي . وقد جاء في البيان قوله ان وفد روسيا ، مع تمسكه بوجهة نظر مبادئ الشيوعية ، يرى في الوقت نفسه انه من الضروري اقامة التعاون الاقتصادي بين الدول التي تمثل نظامي الملكية المختلفين ، ويؤكد عزم الحكومة السوفييتية على اقامة علاقات اعمال مع جميع البلدان على اساس المعاملة بالمثل ، والتكافؤ ، والاعتراف التام والمطلق . وقد عرضت الحكومة السوفييتية عدداً من الاجراءات التي تؤمن التعاون الاقتصادي بين الدول الغربية وروسيا السوفييتية . واعلن الوفد السوفييتي عن تصميمه على ان يطرح على بساط البحث امام المؤتمر اقتراحاً بتخفيض السلاح تخفيضاً عاماً ، وبعقد مؤتمر عالمي لاقرار السلام العام .

استثار بيان الحكومة السوفييتية ، ولا سيما اقتراح تخفيض

الاسلحة ، موقفا سلبيا حاداً من جانب ممثلي البلدان الرأسمالية . وقد طلبت الدول الامبريالية من الدولة السوفييتية الاعتراف بجميع ديون الحكومة القيصرية والحكومة الموقتة ، واعادة المؤسسات المؤممة الى اصحابها الاجانب ؛ واقرار امتيازات اقتصادية وحقوقية للاجانب ؛ واتخاذ جملة من التدابير التي تعني عملياً الغاء احتكار التجارة الخارجية ، وغير ذلك من المطالب .

رد الوفد السوفييتي رداً حازماً على محاولات الامبرياليين هذه للتدخل في الشؤون الداخلية للدولة السوفييتية ، ورفض مطالبهم الرامية الى استعباد روسيا السوفييتية اقتصاديا وسياسيا ، وتصفية السلطة السوفييتية ، وتحويل روسيا الى ذيل شبه استعماري للرأسمالية العالمية ، وتقدم من الدول الحليفة بمطالب معاكسة قوامها التعويض عن الخسائر التي تكبدتها روسيا السوفييتية من جراء التدخل الاجنبي المسلح والحصار .

ونظراً للموقف المتصلب الذي وقفته بلدان الوفاق ، لم يسفر المؤتمر عن نتائج عملية مباشرة من حيث قيام علاقات طبيعية بين روسيا السوفييتية والدول الرأسمالية . وفي ١٩ ايار (مايو) ، اي في الجلسة العامة الاخيرة ، اتخذ المؤتمر قراراً بتشكيل لجنتين من الخبراء (لجنة سوفييتية ولجنة من الدول الغربية) كان يتعين عليهما ان تجتمعا في حزيران (يونيو) ١٩٢٢ في لاهاي لأجل مواصلة البحث في المسائل التي لم يبت فيها مؤتمر جنوى . — ص ٤٤٨ .

١٤٦ — المقصود هنا المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا . — ص ٤٥٥ .

١٤٧ — «**الشيوعيون اليساريون**» — فرقة معادية للحزب نشأت في اوائل ١٩١٨ ، بالارتباط مع مسألة عقد معاهدة الصلح مع المانيا (صلح بريست) . وراء ستار من الجمل والتعابير اليسارية حول الحرب الثورية ، دافعت فرقة «الشيوعيين اليساريين» عن سياسة مغامرة قوامها دفع الجمهورية السوفييتية التي لما تكن تملك جيشا ، الى

حرب ضد المانيا الامبريالية ، وتعريض السلطة السوفييتية لخطر الزوال .

كذلك عارض «الشيوعيون اليساريون» تطبيق مبدأ احادية القيادة ومبدأ الانضباط والطاعة في العمل ، واستخدام الاختصاصيين البرجوازيين في الصناعة . رد الحزب بقيادة لينين رداً قاطعاً على سياسة «الشيوعيين اليساريين» . — ص ٤٥٥ .

١٤٨ — **لجان الفلاحين الفقراء** تأسست بموجب مرسوم صادر في حزيران (يونيو) ١٩١٨ . القى المرسوم عـــلى عاتق هذه اللجان مهمات تتعلق بحساب الاحتياطيات من المؤن في الاستثمارات الفلاحية ، وكشف الاحتياطيات والفوائض من المؤن عند الكولاك (الفلاحين الاغنياء الذين يستثمرون عمل الغير) ، ومساعدة هيئات التموين السوفييتية في انتزاع هذه الفوائض ؛ ومهمات تتعلق بتزويد الفلاحين الفقراء بالمؤن على حساب الاستثمارات الكولاكية وتوزيع الاعتدة الزراعية والبضائع الصناعية ، وما الى ذلك . ولكن نشاط لجان الفلاحين الفقراء شمل عملياً جميع جوانب الحياة في الريف ؛ وغدت لجان الفلاحين الفقراء بالفعل نقاط ارتكاز ، وهيئات لديكتاتورية البروليتاريا في الريف .

في اواخر ١٩١٨ ، جرى دمج لجان الفلاحين الفقراء ، بعد ادائها للمهمات الملقاة على عاتقها ، في سوفييتات النواحي والقرى . — ص ٤٦٨ .

١٤٩ — المقصود هنا ، على ما يبدو ، قسم من وفد الحـــزب الشيوعي الفرنسي الى الدورة الموسعة الاولى للجنة التنفيذيـــة للكومنترن (الاممية الشيوعية) — اي دانيال رينو ، لويس سيليه ، وغيرهما الذين لم يفهموا كنه واهمية السياسة الاقتصاديـــة الجديدة («النيب») للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا ، وظنوا ان «النيب» تؤدي الى عودة الرأسمالية في روسيا والى اضعاف الحركة الثورية العالمية .

الدورة الموسعة الاولى للجنة التنفيذية للكومنترن . انعقدت

في موسكو من ٢١ شباط (فبراير) الى ٤ آذار (مارس) ١٩٢٢ . كانت مسالة تكتيك الجبهة الموحدة المسالة المركزية في الدورة . اكدت موضوعات «السياسة الاقتصادية الجديدة في روسيا السوفييتية» صحة «النيب» واشارت الى اهميتها العالمية . — ص ٤٧١ .

١٥٠ — يقصد لينين مقالة راكوشي «السياسة الاقتصادية الجديدة في روسيا السوفييتية» التي تحلل كراس اوتو باور «Der neue Kurs» in Sowjetrußland», Wien, 1921 («النهج الجديد» في روسيا السوفييتية» ، فيينا . ١٩٢١) . صدرت المقالة في آذار (مارس) ١٩٢٢ في مجلة «كومونيستيتشيسكي انترناسيونال» («الاممية الشيوعية») ، العدد ٢٠ .

«كومونيستيتشيسكي انترناسيونال» — مجلة ، لسان حال اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية ؛ صدرت بالروسية والالمانية والفرنسية والانجليزية والاسبانية والصينية . صدر العدد الاول في اول ايار (مايو) ١٩١٩ . توقف صدورها في حزيران (يونيو) ١٩٤٣ بالارتباط مع قرار هيئة رئاسة اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية بتاريخ ١٥ ايار ١٩٤٣ حول حل الاممية الشيوعية . — ص ٤٧٢ .

١٥١ — المقصود هنا النضال بين البلاشفة والمناشفة في المهجر . — ص ٤٧٣ .

١٥٢ — المقصود هنا لجنة شؤون الشركات المختلطة لدى مجلس العمل والدفاع ، التي تاسست في شباط (فبراير) ١٩٢١ . كان سوكولنيكوف رئيس اللجنة . — ص ٤٧٤ .

١٥٣ — **سيفيرولس** — مصلحة خاصة لصناعة الاخشاب في منطقة الشمال والبحر الابيض ، تاسست عام ١٩٢١ . — ص ٤٧٤ .

١٥٤ — **الاوبلوموفية** — مرادف للرتابة والجمود والتحجر . اوبلوموف الشخص الرئيسي في رواية بالاسم نفسه للكاتب الروسي ايفان غونتشاروف (١٨١٢ — ١٨٩١) . — ص ٤٧٥ .

١٥٥ ـ **«المقنع الاعلى»** . لقب اطلقه الجنود على وزير الحربية والبحرية في الحكومة الموقتة كيرنسكي ، لأنه حاول اثناء جولته على الجبهة في صيف ١٩١٧ ان يقنع الجنود بشن الهجوم . ـ ص ٤٧٦ .

١٥٦ ـ المقصود هنا كتاب تودورسكي «سنة مع البندقية والمحراث» الذي اصدرته في عام ١٩١٨ اللجنة التنفيذية لقضاء فيسييغونسك . ـ ص ٤٨٢ .

١٥٧ ـ المقصود هنا احصاء العاملين المسؤولين الذي جرى في تموز (يوليو) ١٩٢١ بغية تحديد التركيب الكمي والنوعي لملاكات الحزب (الكوادر) القيادية في مراكز المحافظات والاقضية ، وتوزيعها على المناطق ، وعقلانية وصواب استعمالها . ـ ص ٤٨٦ .

١٥٨ ـ **ايستبارت** ـ لجنة لأجل جمع ودراسة المواد في تاريخ ثورة اكتوبر وتاريخ الحزب الشيوعي في روسيا . انشئت لدى مفوضية الشعب للمعارف بقرار من مجلس مفوضي الشعب بتاريخ ٢١ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٠ . ـ ص ٤٩٣ .

١٥٩ ـ المقصود هنا الادارة المركزية لصناعة الفحم الحجري في دونباس (حوض دونيتسك) . فان بياتاكوف الذي كان يرأس هذه الادارة قد سلك طريق اصدار الاوامر والنواهي الادارية ، وتطبيق الطرائق العسكرية البيروقراطية لقيادة الصناعة . وفي هذه التربة نشبت الخلافات سواء بين القادة الاقتصاديين ام بين الادارة المركزية لصناعة الفحم الحجري والملاكات (الكوادر) المحلية . في المجلس العام (الكونفرنس) السادس للحزب الشيوعي (البلشفي) في اوكرانيا الذي انعقد من ٩ الى ١٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢١ ، شجب مندوبو منظمة دونيتسك والمنظمات الاخرى قطعاً طرائق عمل بياتاكوف . ـ ص ٤٩٣ .

١٦٠ – المقصود هنا مداخلة جان رينو لمناسبة مناقشة قانون مدة الخدمة العسكرية . – ص ٤٩٥ .

١٦١ – **لجنة التحقيق المركزية** . انشاتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا لمرحلة تطهير الحزب لأجل الاشراف على عمل لجان التحقيق المحلية . – ص ٥٠١ .

١٦٢ – **«تشوسوسنابارم»** – المفوض المطلق الصلاحية لمجلس الدفاع العمالي والفلاحي لتزويد الجيش الاحمر والاسطول . تاسست هذه الوظيفة بمرسوم من اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا بتاريخ ٨ تموز (يوليو) ١٩١٩ . وفي ١٦ آب (اغسطس) ١٩٢١ ، اصدرت اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا قراراً بتصفية جهاز «تشوسوسنابارم» واحالة العاملين فيه ومقتنياته الى هيئات المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني . – ص ٥٠٣ .

١٦٣ – **«ايكوسو» – المداولات (او المجالس) الاقتصادية في المقاطعات** – هيئات محلية تابعة لمجلس العمل والدفاع انشئت في اوائل ١٩٢١ بغية تنسيق وتعزيز نشاط جميع الهيئات الاقتصادية المحلية والمداولات الاقتصادية في المقاطعات . كانت المهمات الرئيسية الملقاة على عاتق المداولات الاقتصادية في المقاطعات تتلخص في مراقبة تنفيذ اوامر جميع الهيئات العليا في المسائل الاقتصادية تنفيذاً دقيقاً في الوقت المناسب ، ودراسة وتنسيق الخطط الاقتصادية في المقاطعات ، ومراقبة تنفيذها ، والاشراف على استعمال الموارد المادية استعمالاً صحيحاً ، وتطوير المبادرة المحلية . – ص ٥٠٣ .

١٦٤ – المقصود هنا المؤتمر الثاني ح ع ا د ر (حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا) الذي انعقد في عام ١٩٠٣ ، اولاً في بروكسل ، ثم في لندن . – ص ٥٠٧ .

١٦٥ – في ١٤ (٢٧) حزيران (يونيو) ١٩١٧ ، اتخذت الحكومة الموقتة قراراً بتعيين موعد الانتخابات الى الجمعية التاسيسية

في ١٧ (٣٠) ايلول(سبتمبر) ١٩١٧ . وفي آب (اغسطس) ارجئت الانتخابات الى ١٢ (٢٥) تشرين الثاني (نوفمبر) .

جرت الانتخابات الى الجمعية التاسيسية ، بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية ، في الموعد المعين ـ ١٢ (٢٥) تشرين الثاني ١٩١٧ . وقد جرت بموجب قوائم موضوعة قبل ثورة اكتوبر ، فعكس قوام الجمعية التاسيسية نسبة القوى التي كانت قائمة عندما كانت البرجوازية في دست الحكم . ومن هنا حصلت القطيعة بين ارادة الاغلبية الساحقة من الشعب الذي يدعم السلطة السوفييتية وبين السياسة التي انتهجتها الاغلبية الاشتراكية-الثورية والمنشفية والكاديتية في الجمعية التاسيسية ، والتي كانت تعرب عن مصالح البرجوازية والاقطاعيين . وبما ان الجمعية التاسيسية رفضت ان تبحث «اعلان حقوق الشعب الشغيل والمستثمَر» وان تصادق على مراسيم مؤتمر السوفييتات الثاني حول السلام والارض وانتقال السلطة الى السوفييتات ، فقد حُلّت بقرار من اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا بتاريخ ٦ (١٩) كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ . ـ ص ٥٠٧ .

١٦٦ ـ **الشارتية** ـ اول حركة جماهيرية في التاريخ للطبقة العاملة في بريطانيا خلال العقدين الرابع والخامس من القرن التاسع عشر . نشر المشتركون في الحركة ميثاقاً شعبياً (او شرعة شعبية ؛ بالانجليزية «charter» «شارتر» . ومن هنا اسم «الشارتيين») ، وناضلوا في سبيل المطالب الواردة فيها : الحق الانتخابي العام ، الغاء نصاب ملكية الارض لأجل انتخاب النواب الى البرلمان ، والخ . . في غضون سنوات عديدة ، قامت في عموم البلاد اجتماعات ومظاهرات حاشدة اشترك فيها ملايين العمال والحرفيين .

رفض البرلمان البريطاني المصادقة على الشرعة الشعبية ورد جميع عرائض الشارتيين . وانقضت الحكومة على الشارتيين باعمال القمع القاسي واعتقلت زعماءهم . تم قمع الحركة ، ولكن تاثير الشارتية في تطور الحركة العمالية العالمية لاحقاً كان كبيراً جداً . ـ ص ٥٠٨ .

١٦٧ – **المؤتمر الرابع للكومنترن (للاممية الشيوعية)** . انعقـــد من ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) الى ٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٢ . جرى افتتاح المؤتمر في بتروغراد . وانعقدت الجلسات التالية ، منذ ٩ تشرين الثاني ، في موسكو . اشترك في اعمال المؤتمر ممثلو ٥٨ حزباً شيوعيـــاً ، والحزب الاشتراكي الايطالي ، وحزب العمال الاسلندي ، والحزب الشعبي الثوري المنغولي وكذلك ممثلو اممية الشباب الشيوعية ، واممية النقابات الحمراء (بروف انترن) ، وامانة النساء العالمية ، ومنظمة الزنوج في الولايات المتحدة الاميركية ، ومنظمة المساعدة العمالية العالميـــة . بحث المؤتمر تقرير اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية والمسائل التاليـــة : السنوات الخمس من الثورة في روسيا وآفاق الثورة العالمية ، هجوم الرأسمال ، برنامج الكومنترن (الاممية الشيوعيـــة) ، مهمات الشيوعيين في النقابات ، المسالة الشرقية والمسالة الزراعيـــة ، وغير ذلك من المسائل .

ترأس لينين مكتب وفد الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا الى المؤتمر ، واشرف على كل عمل الوفد الروسي ، واشترك بقسط نشيط وفعال في صياغة اهم قرارات المؤتمر . القى لينين تقرير «السنوات الخمس من الثورة في روسيا وآفاق الثورة العالمية» باللغة الالمانية في ١٣ تشرين الثاني اثناء جلسة المؤتمر الصباحية . كان التقرير الحدث المركزي في المؤتمر .

اقر المؤتمر الموضوعات بشان الجبهة العمالية الموحدة ، وصادق على الموضوعات بشان تكتيك الاممية الشيوعية وبشان مهمات الشيوعيين في الحركة النقابية ، وبشان المسالة الشرقية ، واتخذ قراراً بصدد الثورة الاشتراكية في روسيا وقراراً بصدد اممية الشباب الشيوعية ، وغير ذلك من القرارات .– ص ٥١٠ .

١٦٨ – يقصد لينين مقالته «حول الصبيانية «اليساريـــة» والنزعـــة البرجوازية الصغيرة» .– ص ٥١١ .

١٦٩ – المقصود هنا المفاوضات بشان منح امتياز لاستكشاف واستخراج الدفائن النافعة للصناعي والمالي الانجليزي اوركارت ، الذي كان

قبل ثورة اكتوبر رئيس الشركة المتحدة الروسية الآسيوية وصاحب مؤسسات منجمية ضخمة في روسيا . في ٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٢ وقع مفوض الشعب للتجارة الخارجية ، كراسين ، اتفاقية امتيازية اولية مع اوركارت . بموجب الاتفاقيـــة ، وضعت تحت تصرف اوركارت على سبيل الامتياز المؤسسات السابقة للشركة المتحدة الروسية الآسيوية في الاورال وفي سيبيريـــا لمدة ٩٩ سنة (مع حق الحكومة السوفييتية ، عند انقضاء ٤٠ سنة منذ يوم توقيـــع الاتفاقية ، في استعادة جميع المؤسسات الامتيازية قبل الموعد مع دفع تعويض لقاء ذلك) . وبموجب شروط الاتفاقية ، كان يتعين على الجانب السوفييتي ان يقدم لصاحب الامتياز العون المادي بغية تجديد رأسماله التداولي والمؤسسات نفسها بمبلغ يتحدد عند استيضاح مقدار الخسارة اللاحقة بصاحب الامتياز في المؤسسات التي تخصه ، من جراء الاوامر الصادرة عن الحكومة السوفييتية .

اطلع لينين على الاتفاقية التي وقعها كراسين ، فاعتبر ان من الجلي انها ليست في صالح الدولة السوفييتية وعارض المصادقة عليها . اتخذت دورة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا في ٥ تشرين الاول (اكتوبر) ومجلس مفوضي الشعب في ٦ تشرين الاول ١٩٢٢ قراراً برفض الاتفاقية مع اوركارت .

ولم ينل اوركارت الامتياز . — ص ٥١٩ .

١٧٠ — تعبير «اثنان باثنين — شمعة» هو لاحد اشخاص رواية الكاتب الروسي ايفان تورغينيف (١٨١٨ — ١٨٨٣) «رودين» . — ص ٥٢٤ .

١٧١ — يقصد لينين موضوعات «البناء التنظيمي للاحزاب الشيوعية ، طرائق العمل ومضمونه» التي اقرها المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية . — ص ٥٢٥ .

١٧٢ — **المائة السود** — عصابات ملكية انشاها البوليس القيصري لمكافحة الحركة الثورية . كان رجال المائة السود يغتالون الثوريين ويعتدون على المثقفين التقدميين ، وينظمون مذابح اليهود . اصبح تعبير «المائة السود» مرادفاً للرجعية السوداء المنفلتة . — ص ٥٢٦ .

١٧٣ – في ١٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٢ اصيب لينين بنوبة مرضية حادة . في الايام التالية ، ازدادت حالة لينين الصحية سوءاً على سوء . فلم يستطع ان يكتب – فقد شُلّت يده اليمنى – واضطر الى املاء تسجيلاته على المختزلة . والرسائل والمقالات الواردة في هذا المجلد املاها لينين منـــذ اواخر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٢ حتى اوائل آذار (مارس) ١٩٢٣ .

تتضمن «رسالة الى المؤتمر» تسجيلات املاها لينين في ٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٦ كانون الاول ١٩٢٢ وفي ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٣ (الاضافة الى الرسالة بتاريخ ٢٤ كانون الاول ١٩٢٢) .

نزولاً عند مشيئة لينين ، احالت زوجته ناديجدا كروبسكايا التسجيلات بتاريخ ٢٤ و٢٥ كانون الاول ١٩٢٢ و٤ كانون الثاني ١٩٢٣ عن مواصفات اعضاء اللجنة المركزية ، الى لجنة الحزب المركزية بعد وفاة لينين . في ايار (مايو) ١٩٢٤ ، تليت «رسالة الى المؤتمر» على مندوبي مؤتمر الحزب الثالث عشر .

في كانون الاول ١٩٢٧ ، اتخـــذ المؤتمر الخامس عشر للحزب الشيوعي (البلشفي) لعامة الاتحاد السوفييتي قراراً بضم «رسالة الى المؤتمر» (تسجيلات ٢٤ و٢٥ كانون الاول ١٩٢٢ و٤ كانون الثاني ١٩٢٣) الى محضر المؤتمر الاختزالي ، وبنشر هذه التسجيلات ورسائل لينين الاخرى المتعلقة بالمسائل الحزبية الداخلية في مجموعات مؤلفات لينين . بموجب هذا القرار ، صدرت تسجيلات ٢٤ و٢٥ كانون الاول ١٩٢٢ و٤ كانون الثاني ١٩٢٣ في العدد ٣٠ من نشرة المؤتمـــر الخامس عشر للحزب الشيوعي (البلشفي) لعامة الاتحاد السوفييتي . اما القسم الثاني من قرار المؤتمر الخامس عشر ، فقد ظل زمناً طويلاً جداً حبراً على ورق ، ولم ينفذ : فلم تنشر رسائل لينين المتعللقة بالمسائل الحزبية الداخلية لا في مجموعات لينين ولا في اي مطبوعات اخرى . بموجب قرار من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي ، جرى في عام ١٩٥٦ اطلاع مندوبي مؤتمر الحزب العشرين على هذه الرسائل ، ثم جرى توزيعها على المنظمات الحزبية ، ونشرها على نطاق واسع . – ص ٥٢٨ .

١٧٤ ــ «روسكايا ميسل» («الفكر الروسي») ــ مجلة . في سنة ١٩٢٢ صدرت في براغ بتحرير ستروفه . ــ ص ٥٢٩ .

١٧٥ ــ المقصود هنا المسلك الاستسلامي الذي سلكه زينوفييف وكامينيف في مرحلة اعداد انتفاضة اكتوبر المسلحة . ففي جلستي لجنة الحزب المركزية في ١٠ (٢٣) و١٦ (٢٩) تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، تكلما وصَوّتا ضد مشروع القرار اللينيني بتحضير الانتفاضة المسلحة بلا ابطاء . وعندما لقي كامينيف وزينوفييف الرد القاطع في جلستي اللجنة المركزية ، نشرا في ١٨ تشرين الاول في الجريدة شبه المنشفية «نوفايا جيزن» («الحياة الجديدة») بيانا باعداد البلاشفة للانتفاضة وباعتبارهما الانتفاضة مغامرة ، وبالتالي أفشيا للحكومة الموقتة البرجوازية قرار اللجنة المركزية بتنظيم الانتفاضة في اقرب وقت . وفي اليوم نفسه ، ندد لينين في «رسالة الى اعضاء حزب البلاشفة» بهذا التصرف ونعته بكسر للاضراب لم يسمع بمثله من قبل . ــ ص ٥٣٠ .

١٧٦ ــ كانت الذريعة المباشرة التي حملت لينين على كتابة هذه الرسالة النزاع الذي نشب في الحزب الشيوعي الجورجي ــ بين لجنة اقليم ما وراء القفقاس للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا ، برئاسة اورجونيكيدزه ، وفريق مديفاني الذي كان يكبح عملياً توحيد جمهوريات ما وراء القفقاس اقتصادياً وسياسياً ، ويسعى من حيث جوهر الامر الى الحفاظ على عزلة جورجيا ، ويخدم بالتالي مآرب التعصب القومي البرجوازي ، ومآرب المناشفة الجورجيين . وفي الوقت نفسه ، اقترف اورجونيكيدزه هو ايضاً اخطاء جدية . فلم يبد ما ينبغي من المرونة والاحتراس في تطبيق سياسة الحزب القومية في جورجيا ، واجاز الطرائق الادارية والتسرع في تطبيق بعض الاجراءات ، ولم ياخذ دائماً بالحسبان آراء وحقوق اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الجورجي . كذلك لم يتحلّ اورجونيكيدزه بما ينبغي من رباطة الجاش في العلاقات مع فريق مديفاني .

القى لينين النور في الرسالة «حول مسالة القوميات او

«الحكم الذاتي» على أهم القضايا في سياسة الحزب القومية . واعتبر هذه الرسالة رسالة توجيهية ، وعلق عليها اهمية كبيرة ، وازمع على نشرها فيما بعد كمقالة . ولكن ، نظراً لاشتداد مرضه بشكل حاد وبصورة غير متوقعة ، لم يتسنّ له بعد ٦ آذار (مارس) ١٩٢٣ ان يصدر الامر النهائي بصدد الرسالة «حول مسالة القوميات او «الحكم الذاتي»» . وفي ١٦ نيسان (ابريل) ١٩٢٣ بعثت فوتييفا ، سكرتيرة لينين ، هذه الرسالة الى المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) لعامة الاتحاد السوفييتي . وفي المؤتمر الثاني عشر للحزب ، تليت الرسالة على كل من الوفود على حدة . وفقاً لتوجيهات لينين ، أدخلت جملة من التعديلات والاضافات الهامة على مشروع قرار المؤتمر في مسالة القوميات . — ص ٥٣٥ .

١٧٧ — **«الحكم الذاتي»** — فكرة دخول جميع الجمهوريات القومية السوفييتية في جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية على مبادئ الحكم الذاتي . اقترح ستالين مشروع «الحكم الذاتي» . انتقد لينين هذا المشروع انتقاداً حاداً واقترح حلاً للمسالة مختلفاً مبدئياً هو توحيد جميع الجمهوريات في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية على مبدأ المساواة التامة في الحقوق . في ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٢ ، اتخذ مؤتمر السوفييتات الاول لعامة الاتحاد السوفييتي قراراً بتشكيل الاتحاد السوفييتي (اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية) . — ص ٥٣٥ .

١٧٨ — المقصود هنا دورتا اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا في تشرين الاول (اكتوبر) وكانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٢ . وردت مسالة تشكيل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية في جدول اعمال الدورتين . — ص ٥٣٥ .

١٧٩ — **درجيموردا** — اسم رجل بوليس في مسرحية «المفتش» الكوميدية للكاتب الروسي نيقولاي غوغول (١٨٠٩ — ١٨٥٢) . اصبح اسم نكرة يعني عسافاً ومستبداً وقحاً وقظاً . — ص ٥٣٧ .

١٨٠ ـ اسم المقالة غير وارد في النص المطبوع على الآلة الكاتبة . وقد نشرت المقالة في «البرافدا» بعنوان «اوراق من دفتر مذكرات» .

كان لمقالة لينين تاثير مباشر تماما في شؤون التعليم في البلاد . ففي ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٣ اقترحت مفوضية الشعب للمعارف في برقية لاسلكية الى اقسام التعليم العام نشر مقالة لينين على نطاق واسع ووضع تدابير ملموسة لتنفيذ التوجيهات اللينينية الواردة فيها . ـ ص ٥٤٣ .

١٨١ ـ راجعوا الملاحظة رقم ٤٥ .

١٨٢ ـ في ايار (مايو) ١٩٢٣ ، احالت ناديجدا قسطنطينوفنا كروبسكايا ، عقيلة لينين ، مقالة «**حول التعاون**» ومقالة «**حول ثورتنا (بصدد مذكرات سوخانوف)**» الى اللجنة المركزية . وفي ٢٤ ايار ، اتخذ المكتب السياسي القرار التالي : «يعتبر من الضروري طبع مقالتي فلاديمير ايليتش اللتين احالتهما ناديجدا قسطنطينوفنا ، واصدارهما باسرع وقت مع التاريخ المذكور فيهما» . في ٢٦ حزيران (يونيو) بحث المكتب السياسي مسالة التعاون على ضوء الطريقة الجديدة التي طرحها بها لينين في مقالته .

قامت الافكار اللينينية بصدد اشاعة التعاون بين الفلاحين في اساس قراري المؤتمر الثالث عشر للحزب الشيوعي (البلشفي) لعامة الاتحاد السوفييتي «حول التعاون» و«حول العمل في الريف» . ـ ص ٥٥٠ .

١٨٣ ـ مقالة «**حول ثورتنا**» كتبها لينين لمناسبة الكتاب الثالث والكتاب الرابع من «مذكرات عن الثورة» للمنشفي سوخانوف .

احالت ناديجدا كروبسكايا المقالة الى هيئة تحرير «البرافدا» بدون عنوان ؛ والعنوان وضعته هيئة تحرير الجريدة . ـ ص ٥٦٠ .

١٨٤ ـ يقصد لينين ، على الارجح ، وصف كومونة باريس بانها «الشكل السياسي المرن اقصى المرونة» الوارد في مؤلف ماركس «الحرب

الاهلية في فرنسا» ، والتقدير الرفيع «لمرونة الباريسيين» الذي اعرب عنه ماركس في رسالة الى كوغلمان بتاريخ ١٢ نيسان (ابريل) ١٨٧١ .ـ ص ٥٦٠ .

١٨٥ ـ يقصد لينين المقطع التالي من رسالة ماركس الى انجلس بتاريخ ١٦ نيسان (ابريل) ١٨٥٦ : «سيتوقف كل شيء في المانيا على امكانية دعم الثورة البروليتارية بطبعة ما ، جديدة ، لحرب الفلاحين . وآنذاك سيكون كل شيء على ما يرام» .ـ ص ٥٦٠ .

١٨٦ ـ مقالة «**كيف نعيد تنظيم التفتيش العمالي والفلاحي ؟**» ترتبط مباشرة برسالة لينين «رسالة الى المؤتمر» وتطور افكارها . ثم جاءت مقالة «من الافضل اقل ، شرط ان يكون احسن» مواصلة مباشرة وتطويراً مباشراً لمقالة «كيف نعيد تنظيم التفتيش العمالي والفلاحي ؟» .

انطلاقاً من توجيهات لينين ، وضعت اللجنة المركزية لمناسبة المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي (البلشفي) لعامة الاتحاد السوفييتي موضوعات حول اعادة تنظيم عمل مؤسسات الحزب المركزية وتحسينه ، كما وضعت مشروع قرار للمؤتمر حول اعادة تنظيم التفتيش العمالي والفلاحي واللجنة المركزية للرقابة .

صادق مؤتمر الحزب الثاني عشر على القرارين اللذين صاغتهما اللجنة المركزية في المسالة التنظيمية و«حول مهمات التفتيش العمالي والفلاحي واللجنة المركزية للرقابة» . وفقاً لمقترحات لينين ، وسع المؤتمر قوام لجنة الحزب المركزية واللجنة المركزية للرقابة وانشأ هيئة موحدة هي : التفتيش العمالي والفلاحي ـ اللجنة المركزية للرقابة .ـ ص ١٨٦ .

١٨٧ ـ بناء **محطة فولخوف الكهرمائية** على بعد ١٢٠ كم من بتروغراد (لينينغراد) على نهر فولخوف وهي اول محطة كهرمائية كبرى في البلاد السوفييتية . بدأ البناء في عام ١٩١٨ ، ولكنه لم يجر على قدم وساق الا في عام ١٩٢١ ، اي بعد انتهاء الحرب الاهلية .ـ ص ٥٩٠ .

دليل الاسماء

ادوراتسكي فلاديمير فكتوروفيتش (١٨٧٨ـ١٩٤٥) ـ داعيـــة بارز للماركسية . عالـــم . عضو الحزب البلشفى منذ عام ١٩٠٤ . ـ ص ٣٩٩ .

افراموف ب . ف . (حوالى ١٨٧٥ـ١٩٠٦) ـ ضابط قوزاقي . دلل على قساوة كبيرة عندما قمعت القوات القيصرية حركة الفلاحين فى محافظة تامبوف عام ١٩٠٥ . اغتاله الاشتراكيون-الثوريون . ـ ص ١٣٦ـ ١٣٩ .

انجلس (Engels) **فريدريـك** (١٨٢٠ـ١٨٩٥) ـ ص ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٨٢ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩ .

اورجونيكيدزه غريغوري قسطنطينوفيتش (١٨٨٦ـ١٩٣٧) ـ قائد بارز فى الحزب الشيوعي والدولـــة السوفييتيـــة . عضو حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا منذ عام ١٩٠٣ . بلشفي . في عامي ١٩٢٠ و ١٩٢١ ، احد منظمي النضال من اجل السلطـــة السوفييتية فى اذربيجان وارمينيا وجورجيا . من ١٩٢١ الى ١٩٢٦ ، رئيس مكتب القفقاس للجنة المركزية ، ثم امين لجنة الحزب فى اقليم ما وراء القفقاس . منذ ١٩٢٦ ، رئيس اللجنة المركزية للرقابة في الحزب الشيوعي (البلشفي) لعامة الاتحاد السوفييتى ، ومفوض الشعب للتفتيش العمالي والفلاحي في الاتحاد السوفييتي . منذ ١٩٣٠ ، رئيس المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني في الاتحاد السوفييتي . منذ ١٩٣٢

مفوض الشعب للصناعة الثقيلة في الاتحاد السوفييتي . منذ ١٩٢١ ، عضو لجنة الحزب المركزية . منذ ١٩٢٦ ، مرشح لعضوية المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) لعامة الاتحاد السوفييتي . منذ ١٩٣٠ ، عضو المكتب السياسي للحزب . — ص ٤٩٣ ، ٥٣٥ ، ٥٣٧ ، ٥٤٠ .

اوركارت لسلي (١٨٧٤—١٩٣٣) — من رجال المال والصناعة في بريطانيا . كان عضواً في مجلس ادارة عدد من الشركات البريطانية القائمة في روسيا ؛ وكان رئيساً «للشركة الموحدة الروسية-الاسيوية» ، وصاحب مؤسسات منجمية ضخمة . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية كان احد منظمي النضال ضد السلطة السوفييتية . في ١٩٢١ بدأ مفاوضات بشأن الحصول على ممتلكاته السابقة بصورة امتيازات . بعد ان رفضت الحكومة السوفييتية الشروط التي تقدم بها اوركارت ، جدد هذا الاخير مقترحاته بشأن الامتيازات حتى عام ١٩٢٩ ضمناً ، ولكن عبثاً . — ص ٥١٩ .

اورلاندو (Orlando) **فيتّوريو ايمانويله** (١٨٦٠—١٩٥٢) — رجل دولة ايطالي . احد زعماء الليبراليين البرجوازيين . من ١٩١٧ الى ١٩١٩ ، رئيس وزراء ايطاليا ؛ ترأس الوفد الايطالي الى مؤتمر الصلح في باريس . فى عامي ١٩١٩ و ١٩٢٠ كان رئيساً للبرلمان . — ص ٧٣ .

اوستريالوف ن . ف . (من مواليد ١٨٩٠) — حقوقي . كاتب اجتماعي وسياسي . شخصية بارزة فى حزب الكاديت . فى عام ١٩١٨ كان اثناء وجوده في سيبيريا رئيس القسم الشرقي للجنة المركزية لحزب الكاديت . اصدر جريدة «روسكويه ديلو» («القضية الروسية») (مدينة اومسك) وترأس مكتب الصحافة في حكومة كولتشاك . بعد هزيمة الكولتشاكية ، مهاجر ابيض . في ١٩٢١ و ١٩٢٢ ، عاون فى مجموعة ومجلة «سمينا فيخ» اللتين صدرتا فى براغ وباريس . — ص ٤٧٧ ، ٤٧٨ .

اوسينسكي ن . (اوبولنسكي فاليريان فاليريانوفيتش) (١٨٨٧ـ١٩٣٨) ـ عضو الحزب البلشفي منذ عام ١٩٠٧ . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، شغل مناصب قيادية في ميدان بناء السوفييتات وفي العمل الحزبي . في ١٩١٨ «شيوعي يساري» . في ١٩٢٠ و ١٩٢١ ، عضو نشيط في فريق «المركزية الديموقراطية» المعادي للحزب ؛ في ١٩٢٣ التحق بالمعارضة التروتسكية . في السنوات التالية شغل مناصب قيادية في العمل الاداري-الاقتصادي .ـ ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

اولدنبورغ س . س . (توفي في عام ١٩٤٠) ـ مراقب سياسي ومعاون قريب جداً لمجلة الحرس الابيض «روسكايا ميسل» («الفكر الروسي») التي صدرت في براغ عام ١٩٢٢ .ـ ص ٥٢٩ .

اوين (Owen) **روبرت** (١٧٧١ـ١٨٥٨) ـ اشتراكي-طوبوي انجليزي عظيم .ـ ص ٥٥٧ .

ايشنكو أ . غ . (من مواليد عام ١٨٩٥) ـ في عام ١٩١٧ انتسب الى الحزب . من ١٩١٩ الى ١٩٢١ ، ومن ١٩٢٤ الى ١٩٢٧ ، رئيس اللجنة المركزية لنقابة شغيلة النقليات المائية . عضو نشيط من اعضاء المعارضة التروتسكية . في عام ١٩٢٥ طرد من الحزب لنشاطه المعادي للثورة .ـ ص ٢٣٩ .

بالود (Ballod) **كارل** (١٨٦٤ـ١٩٣٨) ـ اقتصادي احصائي . قام بنشاط علمي وتعليمي في المانيا ولاتفيا . وضع عدداً من الاعمال في قضايا الاقتصاد بينها كتاب «Der Zukunftsstaat» («دولة المستقبل») .ـ ص ٣٠٧ .

باور (Bauer) **اوتو** (١٨٨٢ـ١٩٣٨) ـ احد زعماء الاشتراكية-الديموقراطية النمساوية والاممية الثانية . ايديولوجي ما يسمي «بالماركسية النمساوية» التي تستر بالجمل والتعابير الماركسية التخلي عن الماركسية الثورية . احد اصحاب النظرية البرجوازية القومية

التعصبية ، نظرية «استقلال الثقافة القومية الذاتي» .ـ ص ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٩٥ .

بتروفسكي غريغوري ايفانوفيتش (١٨٧٨ـ١٩٥٨) ـ من اقدم المشتركين في الحركة العمالية الثورية . بلشفي . قائد بارز في السوفييتات والحزب ، ورجل دولة بارز . عضو حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا منذ عام ١٨٩٧ .ـ ص ٢٦٠ .

براون م . اي . (برونسكي م . غ .) (١٨٨٢ـ١٩٤١) ـ اشتراكي-ديموقراطي بولوني ، ثم عضو في الحزب البلشفي . عضو الاشتراكية-الديموقراطية في مملكة بولونيا ولاتفيا منذ عام ١٩٠٢ . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ـ١٩١٨) اممي . كان ممثل الاشتراكية-الديموقراطية البولونية في كونفرنس (مجلس عام) كينتال . التحق بجناح زيميرفالد اليساري . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، نائب مفوض الشعب للتجارة والصناعة . في عام ١٩١٨ وقف مواقف «الشيوعيين اليساريين» .ـ ص ٦٧ ، ٦٨ .

برنشتين (Bernstein) **ادوارد** (١٨٥٠ـ١٩٣٢) ـ زعيم الجناح الانتهازي المتطرف في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية والاممية الثانية . نظري التحريفية والاصلاحية .ـ ص ١٢١ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ .

بروكوبوفيتش سرغي نيقولاييفيتش (١٨٧١ـ١٩٥٥) ـ اقتصادي روسي . كاتب اجتماعي وسياسي . ممثل بارز «للاقتصادية» . من اوائل مروجي البرنشتينية في روسيا . في ١٩٠٦ ، عضو اللجنة المركزية لحزب الكاديت . بعد ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديموقراطية (عام ١٩١٧) اشترك في الحكومة الموقتة البرجوازية . في ١٩٢٢ ، نفي الى الخارج بسبب نشاطه المعادي للسوفييت .ـ ص ١٣٩ .

بريوبراجنسكي يفغيني الكسييفيتش (١٨٨٦ـ١٩٣٧) ـ في ١٩٠٣ ، انتسب الى الحزب البلشفي . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، اشترك في العمل الحزبي والعمل السياسي العسكري . في ١٩١٨ ، «شيوعي

يساري» . اثناء المناقشة بصدد النقابات (١٩٢٠ـ١٩٢١) ، ناصر منهج تروتسكي . منذ ١٩٢٣ ، عضو نشيط في المعارضة التروتسكية ، ومن جراء ذلك طرد من الحزب في عام ١٩٢٧ . فى ١٩٢٩ ، اعيد الى الحزب . ولكنه طرد فيما بعد من جديد من صفوف الحزب لنشاطه ضد الحزب .ـ ص ٢١١ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٥٢ ، ٢٦١ ، ٢٩٤ ، ٣٦٠ .

بلانك روفيم ماركوفيتش (من مواليد عام ١٨٦٦) ـ كاتب سياسي واجتماعي روسي . التحق بالجناح اليساري في حزب الكاديت . اشترك في هيئة تحرير جريدة «ناشا جيزن» ، ثم غدا عملياً رئيس تحريرها .ـ ص ١٣٠ ، ١٣٦ ، ١٣٩ـ١٤٢ ، ١٤٤ـ١٤٦ .

بليخانوف غيورغي فالنتينوفيتش (١٨٥٦ـ١٩١٨) ـ من الشخصيات البارزة في الحركة العمالية الروسية والعالمية . اول داعية للماركسية في روسيا . بعد المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (عام ١٩٠٣) وقف بليخانوف مواقف التصالح والتوافق مع الانتهازية ثم التحق بالمناشفة . ابان الحرب العالمية الاولى ، وقف مواقف الاشتراكية-الشوفينية .

بعد ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديموقراطية (عام ١٩١٧) ترأس الفريق الايمن المتطرف ، فريق المناشفة-الدفاعيين «ايدينستفو» («الوحدة») ، ووقف ضد البلاشفة ، وضد الثورة الاشتراكية ، لاعتباره ان روسيا لم تنضج لأجل الانتقال الى الاشتراكية . وقف من ثورة اكتوبر الاشتراكية موقفاً سلبياً ، ولكنه لم يشترك في النضال ضد السلطة السوفييتية .ـ ص ١٢٠ ، ١٤٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٤٤٥ .

بونكاره (Poincaré) **ريمون** (١٨٦٠ـ١٩٣٤) ـ سياسي فرنسي . منذ ١٨٩٣ اشترك غير مرة في الحكومة الفرنسية . كان يعبّر عن اشد اوساط البرجوازية الفرنسية عدوانية . فى ١٩١٢ ، اصبح رئيس الوزارة ؛ ومن ١٩١٣ الى ١٩٢٠ ، كان رئيس فرنسا . بعد ثورة

اكتوبر الاشتراكية ، كان احد منظمي التدخل المسلح الاجنبي ضد روسيا السوفييتية . من ١٩٢٢ الى ١٩٢٤ ومن ١٩٢٦ الى ١٩٢٩ رئيس الوزارة في فرنسا . — ص ٤٨٥ .

بوبوف بافل ايليتش (١٨٧٢—١٩٥٠) — احصائي . عضو الحزب البلشفى منذ ١٩٢٤ . منذ ١٩١٨ ترأس ادارة الاحصاء المركزية . كان عضواً في هيئة رئاسة غوسبلان (لجنة الدولة للتخطيط) الاتحاد السوفييتي . مؤلف عدد من البحوث العلمية فى الاحصاء . — ص ٣٦٦ .

بوخارين نيقولاي ايفانوفيتش (١٨٨٨—١٩٣٨) — اشتراكي-ديموقراطي روسي . انتسب الى الحزب البلشفي في عام ١٩٠٦ . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، شغل عدداً من المناصب الرفيعة ، المسؤولة . وقف غير مرة ضد سياسة الحزب اللينينية ؛ في سنة ١٩١٨ ترأس فريق «الشيوعيين اليساريين» المعادي للحزب . اثناء مناقشة الحزب لمسألة النقابات ، شغل في البدء موقف «المصدة» ، ثم انضم الى فريق تروتسكي المعادي للينينية . منذ سنة ١٩٢٨ ترأس المعارضة اليمينية فى الحزب . في سنة ١٩٣٧ طرد من الحزب بسبب نشاطه المعادي للحزب . — ص ٢١١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧—٢٤٠ ، ٢٤٥—٢٥٥ ، ٢٥٧—٢٦٤ ، ٢٦٦—٢٧٣ ، ٢٧٧—٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٤٦٧ ، ٥٣١ .

بوليت (Bullit) **وليام كريستيان** (من مواليد ١٨٩١) — صحفي وديبلوماسي اميركي رجعي . من المناصرين النشاطاء لسياسة الامبرياليين الاميركيين المعادية للسوفييت . في عام ١٩١٩ ارسله ويلسون ولويد جورج الى روسيا السوفييتية بمهمة خاصة . استقال فيما بعد . — ص ١٣ ، ١٥٢ .

بوليغين الكسندر غريغورييفيتش (١٨٥١—١٩١٩) — رجل دولة في روسيا القيصرية . منذ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥ ، وزير الداخلية . اشرف

على اعداد مشروع قانون بعقد دوما الدولة الاستشاري بغية اضعاف النهوض الثوري المتعاظم في البلاد . ولكن هذا الدوما لم ينعقد ، لأن ثورة ١٩٠٥–١٩٠٧ قد كنسته .– ص ١٣١ .

بياتاكوف غيورغي ليونيدوفيتش (١٨٩٠–١٩٣٧) – في عام ١٩١٠ ، انتسب الى الحزب البلشفي . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، اشترك في الحكومة السوفييتية في اوكرانيا . منذ ١٩٢٠ ، عمل في ميدان بناء السوفييتات وفي الميدان الاقتصادي . وقف غير مرة ضد سياسة الحزب اللينينية : في ١٩١٨ ، ترأس فريق «الشيوعيين اليساريين» المعادي للحزب في اوكرانيا ؛ اثناء المناقشة في الحزب بصدد النقابات (١٩٢٠–١٩٢١) ، ناصر منهج تروتسكي ؛ منذ ١٩٢٣ عضو نشيط في المعارضة التروتسكية . طرد من الحزب لنشاطه المعادي للحزب .– ص ٢٠٤ ، ٥٣١ .

بيبل (Bebel) **اوغست** (١٨٤٠–١٩١٣) – من ابرز قادة الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية والحركة العمالية العالمية .– ص ٣٩٩ ، ٤٢٧ ، ٥٠٨ .

بيلسودسكي (Pilsudski) **يوسف** (١٨٦٧–١٩٣٥) – رجل دولة رجعي في بولونيا البرجوازية الاقطاعية . ديكتاتور فاشي . ابان الحرب العالمية الاولى ، كان آمر التشكيلات المسلحة البولونية العاملة الى جانب المانيا . من ١٩١٨ الى ١٩٢٢ ، كان على رأس الدولة البولونية ، وقمع بقساوة حركة الكادحين الثورية . في ١٩٢٠ كان احد منظمي حرب بولونيا البرجوازية الاقطاعية الرجعية ضد الدولة السوفييتية .– ص ٤٣٥ .

تانر (Tanner) **جاك** (من مواليد ١٨٨٩) – احد زعماء التريديونيونات البريطانية . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤–١٩١٨) ، قائد في الحركة البروليتارية الجماهيرية لوكلاء المعامل والمصانع في بريطانيا . منذ ١٩١٨ ، احد منظمي تريديونيونات صانعي الآلات وبناة السفن والمعدنين . روج نظرات انعزالية يسارية . كان مندوبا الى المؤتمر

الثانى للكومنترن (الاممية الشيوعيـة) . فى ١٩٢٠ و ١٩٢١ كان عضواً فى الحزب الشيوعي في بريطانيا العظمى . فيما بعد ، التحق بحزب العمال واشترك بنشاط في عمله .ـ ص ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ .

تروتسكي (برونشتين) ليف دافيدوفيتش (١٨٧٩ـ١٩٤٠) ـ اشتراكي-ديموقراطي روسي . منشفي . بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥ـ١٩٠٧ ، تصفوي . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ـ١٩١٨) شغل موقفاً وسطياً . ناضل ضد لينين والبلاشفة في مسائل الحرب والسلم والثورة . في ١٩١٧ ، قبل في الحزب البلشفي . ولكن تروتسكي لم ينتقل الى مواقع البلشفية ، بل ناضل سراً وعلناً ضد اللينينية وضد سياسـة الحزب .

بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، شغل عدداً من المناصـب المسؤولة . في ١٩٢٠ و١٩٢١ ، ترأس المعارضـة في المناقشـة بصدد النقابات . في ١٩٢٣ شن نضالاً تكتلياً ضارياً ضد الخط العام للحزب ، وضد بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي . في ١٩٢٧ ، طرد تروتسكي مـن الحزب . في ١٩٢٩ نفي من الاتحاد السوفييتي لنشاطه المعادي للسوفييـت ؛ فى ١٩٣٢ حرم من المواطنيـة السوفييتية .ـ ص ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ـ ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ـ٢٥٨ ، ٢٦٠ـ٢٨٠ ، ٢٨٢ـ ٢٩١ ، ٢٩٣ـ٣٠٠ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٢ .

تسوروبا الكسندر دمتريفيتش (١٨٧٠ـ١٩٢٨) ـ قائد بارز في الحزب الشيوعي والدولة السوفييتيـة . عضو حزب العمـال الاشتراكي-الديموقراطى في روسيا منذ ١٨٩٨ . بلشفي .

منذ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ ، نائب مفوض الشعـب للتموين . منذ اوائل ١٩١٩ ، مفوض الشعب للتموين . منذ اواخر ١٩٢١ ، نائب رئيس مجلس مفوضي الشعب ومجلس العمل والدفاع . فى ١٩٢٢ و ١٩٢٣ ، مفوض الشعب للتفتيش العمالي والفلاحي . من ١٩٢٣ الى ١٩٢٥ رئيس غوسبلان (لجنة الدولة للتخطيط) الاتحاد

السوفييتي . في ١٩٢٥ ، مفوض الشعب للتجارة الداخلية والخارجية . في مؤتمرات الحزب الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر انتخب عضواً في اللجنة المركزية . كان عضواً في هيئة رئاسة اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا واللجنة التنفيذية المركزية للاتحاد السوفييتي . ــ ص ٤٩٠ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ .

تشيتشيرين غيورغى فاسيلييفيتش (١٨٧٢–١٩٣٦) ــ رجل دولة سوفييتي . ديبلوماسي بارز . من ١٩٠٤ الى ١٩١٧ ، كان في المهجر حيث انتسب في ١٩٠٥ الى حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا . من ١٩١٨ الى ١٩٣٠ ، مفوض الشعب للخارجية . ترأس الوفدين السوفييتيين الى مؤتمر جنوى ولوزان الدوليين . كان عضواً في اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا واللجنة التنفيذية المركزية للاتحاد السوفييتي . في مؤتمري الحزب الرابع عشر والخامس عشر انتخب عضواً في اللجنة المركزية . ــ ص ١٥٥ .

تشيرنوف فكتور ميخايلوفيتش (١٨٧٦–١٩٥٢) ــ احد زعماء ونظريى حزب الاشتراكيين-الثوريين . من ايار آلى آب (مايو ــ اغسطس) ١٩١٧ . وزير الزراعة في الحكومة الموقتة البرجوازية . انتهج سياسة القمع القاسي ضد الفلاحين الذين استولوا على اراضي الاقطاعيين . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، احد منظمي الفتن المعادية للسوفييت . في ١٩٢٠ ، هاجر الى الخارج . وفى الخارج واصل نشاطه المعادي للسوفييت . ــ ص ٤١٨ .

تودورسكي الكسندر ايفانوفيتش (١٨٩٤–١٩٦٥) ــ عضو الحزب الشيوعي منذ ١٩١٨ . فى ١٩١٨ و ١٩١٩ ، عضو اللجنة التنفيذية فى قضاء فيسييغونسك (محافظة تفير) . كان رئيس تحرير «ازفيستيا (انباء) سوفييت النواب في فيسييغونسك» وجريدة «كراسني فيسييغونسك» . مؤلف كتاب «سنة مع البندقية والمحراث» . اشترك بنشاط في الحرب الاهلية (١٩١٨–١٩٢٠) . آمر لواء ثم آمر فرقة . فيما بعد ، شغل وظائف قيادية عالية في عدد من المؤسسات العسكرية . ــ ص ٤٨٢ .

توراتي (Turati) **فيليبو** (١٨٥٧–١٩٣٢) – قائد اصلاحي في الحركة العمالية الايطالية . كان احد منظمي الحزب الاشتراكي الايطالي (عام ١٨٩٢) . انتهج سياسة التعاون الطبقى بين البروليتاريا والبرجوازية . وقف ضد حركة الكادحين الايطاليين الثورية . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤–١٩١٨) وقف مواقف وسطية . قابل ثورة اكتوبر الاشتراكية بالعداء . بعد انشقاق الحزب الاشتراكي الايطالي (١٩٢٢) ، ترأس الحزب الاشتراكي التوحيدي الاصلاحي . فى ١٩٢٦ هاجر من ايطاليا الفاشية الى فرنسا . – ص ٥٢ ، ٨٨ ، ١٢٤ ، ١٤٦ ، ٤١٨ .

تورغينيف ايفان سرغييفيتش (١٨١٨ – ١٨٨٣) – كاتب روسي . – ص ٤٦٢ .

توما (Thomas) **البر** (١٨٧٨ – ١٩٣٢) – سياسي فرنسي . اشتراكي يميني . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨) ، اشتراكي-شوفيني . اشترك في الحكومة البرجوازية الفرنسية بصفته وزيراً للتسلح . بعد ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديموقراطية (١٩١٧) ، جاء الى روسيا للتحريض من اجل مواصلة الحرب . في ١٩١٩ ، احد منظمي اممية برن (الاممية الثانية) . من ١٩١٩ الى ١٩٣٢ ترأس مكتب العمل الدولي لدى عصبة الامم . – ص ٨١ .

تومسكي ميخائيل بافلوفيتش (١٨٨٠ – ١٩٣٦) – في عام ١٩٠٤ انتسب الى الحزب البلشفي . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، رئيس مجلس النقابات في موسكو . منذ ١٩١٩ ، رئيس هيئة رئاسة مجلس النقابات المركزي لعامة روسيا . غير مرة وقف ضد سياسة الحزب اللينينية . في ١٩٢٨ و١٩٢٩ كان احد زعماء الانحراف الانتهازي اليميني في الحزب الشيوعي (البلشفي) لعامة الاتحاد السوفييي . – ص ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٢٩٨ .

تيراتسيني (Terracini) **اومبرتو** (من مواليد ١٨٩٥) – قائد بارز في الحركة العمالية الايطالية . احد مؤسسي الحزب الشيوعي الايطالي . في بداية

نشاطه ، التحق بالجناح اليساري في الحزب الاشتراكي الايطالي . ودعا الى انضمام الحزب الى الكومنترن (الاممية الشيوعية) . منذ ١٩١٩ ، احد منظمي وقادة الفريق الثوري من اشتراكية مدينة تورينو « L'Ordine Nuovo » (« النظام الجديد ») الذي شكل نواة الحزب الشيوعي الاساسية . منذ تاسيس الحزب الشيوعي الايطالي (١٩٢١) ، كان عضواً في لجنته المركزية ولجنته التنفيذية . اقترف اخطاء انعزالية يسارية شجبها لينين في مؤتمر الكومنترن الثالث . بتاثير النقد ، استطاع بعد فترة وجيزة ان يتغلب على اخطائه . بعد مؤتمر الكومنترن الثالث انتخب عضواً في اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية . من ١٩٢٦ الى ١٩٤٣ كان في السجون الفاشية وفي المنفى . من ١٩٤٣ الى ١٩٤٥ ، اشترك بنشاط في النضال التحرري الوطني الذي خاضه الشعب الايطالي ضد الفاشية . منذ ١٩٤٥ ، مرشح لعضوية اللجنة المركزية ، منذ ١٩٥٥ عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الايطالي . في ١٩٤٧ و١٩٤٨ ، رئيس الجمعية التاسيسية . منذ ١٩٥٠ ، عضو مجلس السلم العالمي . — ص ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١٢ .

خودوروفسكي اي . اي . (١٨٨٥—١٩٤٠) — عضو حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا منذ عام ١٩٠٣ . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، اشترك في العمل الحزبي والعسكري وفى بناء السوفييتات . في ١٩١٨ عضو في الهيئة الادارية لمفوضية الشعب للعمل . فى ١٩١٨ و١٩١٩ رئيس القسم السياسي وعضو المجلس العسكري الثوري للجبهة الجنوبية . فى ١٩١٩ و١٩٢٠ رئيس اللجنة التنفيذية لمحافظة قازان ثم رئيس اللجنة التنفيذية لمحافظة تولا . امين مكتب سيبيريا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا . — ص ٥٤٧ ، ٥٤٨ .

دزرجينسكي فليكس ادموندوفيتش (١٨٧٧—١٩٢٦) — قائد بارز في الحزب الشيوعي والدولة السوفييتية . عضو الحزب منذ عام ١٨٩٥ . احد منظمي الاشتراكية-الديموقراطية في بولونيا وليتوانيا . اشترك في العمل الحزبي في بولونيا وروسيا . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، كان رئيس اللجنة الاستثنائية لعامة روسيا لمكافحة الثورة المضادة والتخريب . فى اوائل

١٩١٨ شغل موقفا خاطئا فيما يتعلق بعقد صلح بريست . في عام ١٩٢١ عين مفوضا للشعب لسبل المواصلات مع بقائه في منصب رئيس اللجنة الاستثنائية وفي منصب مفوض الشعب للداخلية . منذ عام ١٩٢٤ ، رئيس المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني . منذ حزيران (يونيو) ١٩٢٤ ، مرشح لعضوية المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا وعضو المكتب التنظيمي للجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا . — ص ٥٣٥ ، ٥٣٧ ، ٥٤٠ .

دوباسوف فيودور فاسيلييفيتش (١٨٤٥–١٩١٢) — جنرال-ادجودانت . اميرال . احد زعماء الرجعية القيصرية . جلاد الثورة الروسية الاولى (١٩٠٥–١٩٠٧) . فى عام ١٩٠٥ اشرف على قمع الحركة الزراعية في عدد من المحافظات . منذ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٥ ، المحافظ العام (الجنرال-المحافظ) لموسكو ؛ اشرف على سحق الانتفاضة المسلحة في كانون الاول (ديسمبر) في موسكو . منذ عام ١٩٠٦ ، عضو مجلس الدولة . منذ عام ١٩٠٧ ، عضو مجلس الدولة للدفاع . — ص ١٢٨ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ .

دورنوفو بيوتر نيقولاييفيتش (١٨٤٤–١٩١٥) — من اشد رجال الدولة في روسيا القيصرية اغراقا في الرجعية . في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥ ، عُيِّن وزيراً للداخلية ، فاتخذ تدابير قاسية لقمع الثورة الروسية الاولى ، وشجع منظمات المائة السود على اقتراف المجازر . ومنذ عام ١٩٠٦ ، عضو مجلس الدولة . — ص ١٣٨ .

دوهرينغ اوجين (Dühring) (١٨٣٣–١٩٢١) — فيلسوف واقتصادي الماني . كانت نظرات دوهرينغ عبارة عن خليط اختياري ، اعتباطي ، من الوضعية ، والمادية الميتافيزيائية ، والمثالية . — ص ١٤٢ .

ديتمان ولهلم (Dittmann) (١٨٧٤–١٩٥٤) — احد زعماء الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية . كاتب اجتماعي وسياسي . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤–١٩١٨) ، التحق بفرقة هآزه-كاوتسكي الوسطية . من

١٩١٧ الى ١٩٢٢ ، احد زعماء الجناح الايمن في الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني المستقل . حضر المؤتمر الثاني للكومنترن (الاممية الشيوعية) عضواً في وفد حزب «المستقلين» مع الحق في صوت استشاري . تعرض موقفه الوسطي في المؤتمر لانتقاد حاد . بعد عودته الى المانيا ، عارض مبادئ الكومنترن ؛ شغل موقفاً معادياً لروسيا السوفييتية . عاد الى الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني واصبح منذ عام ١٩٢٢ عضواً في مجلس ادارته . — ص ١٤٦ .

دينيكين انطون ايفانوفيتش (١٨٧٢—١٩٤٧) — جنرال قيصري . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، احد زعماء حركة رجال الحرس الابيض ، والقائد الاعلى للقوات المسلحة المعادية للسوفييت في جنوب روسيا . هاجر الى الخارج بعد ان سحقت القوات السوفييتية جيوشه (آذار — مارس ١٩٢٠) . — ص ١٣ ، ١١٤ ، ١٦٩ ، ١٩٠ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٩ ، ٤٣٥ .

رادك كارل برنغاردوفيتش (١٨٨٥—١٩٣٩) — منذ اوائل القرن العشرين ، اشترك في الحركة الاشتراكية-الديموقراطية في غاليسيا وبولونيا والمانيا . في عام ١٩١٧ انتسب الى الحزب البلشفي . غير مرة وقف ضد سياسة الحزب اللينينية في ١٩١٨ ، «شيوعي يساري» ؛ منذ ١٩٢٣ ، عضو نشيط في المعارضة التروتسكية . فيما بعد ، طرد من الحزب لنشاطه المعادي للحزب . — ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١١ .

راكوشي (Rákosi) **ماتياس** (١٨٩٢—١٩٧١) — عضو الحزب الشيوعي المجري منذ ١٩١٨ . بعد قيام السلطة السوفييتية في المجر (٢١ آذار — (مارس) — اول آب (اغسطس) ١٩١٩) اشترك في الحكومة الثورية . من ١٩٢٠ الى ١٩٢٤ عمل في اللجنة التنفيذية للكومنترن (الاممية الشيوعية) . في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٤ ، عاد الى العمل السري في المجر . منذ ١٩٤٥ ، الامين العام للحزب الشيوعي المجري . منذ ١٩٤٨ ، الامين العام ثم الامين الاول للجنة المركزية لحزب الشغيلة المجري . من ١٩٤٥ الى ١٩٥٢ ، نائب رئيس الوزراء ؛ من ١٩٥٢

الى ١٩٥٣ ، رئيس وزراء الجمهورية المجرية . اثناء وجوده في منصب رئيس الحكومة وفي قيادة الحزب ، اقترف جملة من الاخطاء ؛ ومن جراء ذلك اعفته دورة اللجنة المركزية لحزب الشغيلة المجري في تموز (يوليو) ١٩٥٦ من المناصب القيادية التي كان يشغلها . — ص ٤٧٢ .

رمسي (Ramsay) **دافيـــد** (١٨٨٢–١٩٤٨) — اشتراكي بريطاني ، ثم شيوعي . اشترك بنشاط في الحركة العمالية ، ولكنه اقترف اخطاء انعزالية يسارية . في المؤتمر الثاني للكومنترن (الاممية الشيوعية) الذي كان مندوبا اليه ، عارض انضمـــام الشيوعيين الى حزب العمال (الحزب الليبوري) . في ١٩٢٠ ، انتسب الى الحزب الشيوعي في بريطانيا العظمى ، فيما بعد ، انصرف الى العمل الحزبي . — ص ٨٧ ، ٨٩ .

رودزوتاك يان ارنستوفيتش (١٨٨٧–١٩٣٨) — قائد بارز في الحـزب الشيوعي والدولة السوفييتية . عضو الحزب منذ ١٩٠٥ ، بعد ثورة اكتوبر الاشتراكيـــة ، شغل مناصب قيادية في ميدان العمل النقابي والحزبي . — ص ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

روي مانابندرا نات (١٨٩٢ — ١٩٤٨) — سياسي هندي . من ١٩١٠ الى ١٩١٥ اشترك في الحركة الثورية ضد المستعمرين الانجليز في الهند . فيما بعد ، التحق بالشيوعيين . مندوب الى مؤتمرات الكومنترن (الاممية الشيوعية) الثاني والثالث والرابع والخامس . منذ ١٩٢٢ ، مرشـــح لعضوية ، ثم منذ ١٩٢٤ ، عضو اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية . فيما بعد ، انصرف عن الحزب الشيوعي . — ص ٩١ ، ٩٢ ، ٩٦ .

ريازانوف دافيد بوريسوفيتش (١٨٧٠ — ١٩٣٨) — اشتراكي-ديموقراطـي روسي . منشفي . في مؤتمر الحزب السادس (عام ١٩١٧) ، قبل في حزب العمال الاشتراكي — الديموقراطي في روسيا (البلاشفة) . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، انصرف الى العمل القيادي في النقابات . اثناء المناقشة بصدد النقابات (١٩٢٠–١٩٢١) شغل موقفاً مضاداً للحزب ، فاعفى

من العمل في النقابات . في شباط (فبراير) ١٩١٨ طرد من الحزب الشيوعي (البلشفي) لعامة الاتحاد السوفييتي بسبب اشتراكه في نشاط المناشفة المعادي للثورة . — ص ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٣٨٠ .

ريكوف الكسي ايفانوفيتش (١٨٨١—١٩٣٨) — عضو في الحزب منذ ١٨٩٩ . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، شغل عدداً من المناصب الرفيعة ، المسؤولة . غير مرة وقف ضد سياسة الحزب اللينيني . فى ١٩٢٨ ، احد زعماء الانحراف الانتهازي اليميني في الحزب الشيوعي (البلشفي) لعامة الاتحاد السوفييتي . فى ١٩٣٧ طرد من الحزب لنشاطه المعادي للحزب . — ص ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢٦١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ .

رينوديل (Renaudel) **بيير** (١٨٧١—١٩٣٥) — من الزعماء الاصلاحيين في الحزب الاشتراكي الفرنسي . من ١٩١٤ الى ١٩١٩ ، وفي ١٩٢٤ ، كان عضواً في مجلس النواب . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤—١٩١٨) اشتراكي-شوفيني . في ١٩٢٧ ، انصرف عن قيادة الحزب الاشتراكي . في ١٩٣٣ طرد من الحزب . فيما بعد ، نظم فريقاً اشتراكياً جديداً صغيراً . — ص ٥٠٨ .

زوديكوم (Südekum) **ألبرت** (١٨٧١—١٩٤٤) — احد الزعماء الانتهازيين في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية . محرّف . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤—١٩١٨) اشتراكي-ديموقراطي . من ١٩١٨ الى ١٩٢٠ ، وزير المالية في بروسيا . فى ١٩٢٠ ، انصرف عن الحياة السياسية النشيطة . — ص ٥٠٨ .

زوف فياتشيسلاف ايفانوفيتش (١٨٨٩—١٩٤٠) — رجل دولة وقائد عسكري سوفييتي . عضو الحزب منذ عام ١٩١٣ . اشترك (١٩١٨—١٩٢٠) في الحرب الاهلية . منذ ١٩٢٠ ، عضو في الهيئة الادارية للادارة السياسية المركزية للنقليات المائية ، ثم رئيس هذه الادارة . — ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

زينوفييف (رادوميسلسكي) غريغوري يفسييفيتش (١٨٨٣—١٩٣٦) — فى عام ١٩٠١ انتسب الى الحزب البلشفي .

بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، شغل عدداً من المناصب الرفيعة ، المسؤولة . وقف غير مرة ضد سياسة الحزب اللينينية . في ١٩٢٥ ، احد منظمي «المعارضة الجديدة» ؛ في ١٩٢٦ احد زعماء الكتلة التروتسكية الزينوفييفية المعادية للحزب . في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٧ طرد من الحزب لنشاطه التكتلي ، ثم اعيد مرتين الى الحزب وطرد منه من جديد بسبب نشاطه المعادي للحزب . — ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٥٣٠ ، ٥٣٥ .

سافينكوف بوريس فكتوروفيتش (١٨٧٩–١٩٢٥) — احد قادة حزب الاشتراكيين-الثوريين . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، منظم عدد من الفتن المعادية للثورة . أسهم في التدخل المسلح الاجنبى ضد الجمهورية السوفييتية . مهاجر ابيض . في ١٩٢٤ جاء سراً الى الاتحاد السوفييتي ، فاعتقل . حكمت الغرفة العسكرية في المحكمة العليا للاتحاد السوفييتي على سافينكوف بالاعدام رمياً بالرصاص . بقرار من اللجنة التنفيذية المركزية لعامة الاتحاد السوفييتي ، استعيض عن حكم الاعدام بالسجن لمدة ١٠ سنوات . في ١٩٢٥ انتحر اثناء وجوده في السجن . — ص ١٧٤ .

سبيريدونوفا ماريا الكسندروفنا (١٨٨٤–١٩٤١) — من زعماء حزب الاشتراكيين-الثوريين . بسبب اعتدائها في عام ١٩٠٦ على لوجينوفسكي ، رئيس عصابات المائة السود التى نظمت المجازر في محافظة تامبوف ، حوكمت وأرسلت الى الاشغال الشاقة . بعد ثورة فبراير (شباط) البرجوازية الديموقراطية (عام ١٩١٧) ، قامت بنشاط معاد للسلطة السوفييتية . عارضت ابرام صلح بريست . فيما بعد ، انصرفت عن النشاط السياسي . — ص ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ .

ستالين (دجوغاشفيلي) يوسف فيساريونوفيتش (١٨٧٩–١٩٥٣) — عضو الحزب منذ ١٨٩٨ . بلشفي . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، مفوض الشعب لشؤون القوميات . في ١٩١٩ و١٩٢٠ ، مفوض الشعب لرقابة

الدولة . فيما بعد ، ترأس مفوضية الشعب للتفتيش العمالي والفلاحي . من ١٩٢٢ الى ١٩٥٢ ، الامين العام للجنة المركزية للحزب ، ثم امين اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي . من ١٩٤١ الى ١٩٥٣ ، رئيس مجلس مفوضي الشعب ثم مجلس وزراء الاتحاد السوفييتي .

مع القادة الآخرين ، ناضل ستالين بنشاط ، اثناء وجوده مرحلة طويلة فى منصب الامين العام للجنة الحزب المركزية ، من اجل بناء الاشتراكية ، واضطلع بدور كبير في سحق التيارات المعادية للحزب ، ولا سيما منها التروتسكية والانتهازية اليمينية .

وفى الوقت نفسه ترتبط باسمه تلك التشويهات فى حياة المجتمع السوفييتي التي وصفها الحزب الشيوعي بانها ظاهرات عبادة الفرد ، وهي ظاهرات غريبة عن الماركسية-اللينينية .

شجب الحزب الشيوعي السوفييتي قطعاً عبادة شخص ستالين الغريبة عن الماركسية-اللينينية واتخذ التدابير لدرء وقوع مثل هذه الاخطاء والتشويهات في المستقبل . — ص ٢٦٠ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٧ ، ٥٤٠ .

ستروفه بيوتر برنغاردوفيتش (١٨٧٠—١٩٤٤) — اقتصادي روسي . كاتب اجتماعي وسياسي . في العقد العاشر من القرن التاسع عشر ، ممثل بارز « للماركسية الشرعية » ، تقدم « باضافات » و « نقد » لتعاليم كارل ماركس الاقتصادية والفلسفية ، وسعى الى تكييف الماركسية والحركة العمالية لمصالح البرجوازية . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، عدو السلطة السوفييتية . مهاجر ابيض . — ص ١٣١ ، ١٤٥ .

ستوليبين بيوتر اركاديفيتش (١٨٦٢—١٩١١) — رجل دولة في روسيا القيصرية . من ١٩٠٦ الى ١٩١١ ، رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية . باسم ستوليبين ترتبط مرحلة الردة الرجعية السياسية القاسية منتهى القساوة (١٩٠٧—١٩١٠) . — ص ٤٤٣ .

سرغييف فيودور اندرييفيتش (ارتيوم) (١٨٨٣—١٩٢١) — قائد بارز في الحزب الشيوعي والدولة السوفييتية . عضو الحزب منذ ١٩٠١ . اشترك بنشاط في ثورة اكتوبر الاشتراكية . احد منظمي النضال ضد

الثورة المضادة والمحتلين الالمان في اوكرانيا . بعد الثورة ، رئيس مجلس مفوضي الشعب في جمهورية دونيتسك-كريفوي روغ السوفييتية ، وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في اوكرانيا . في ١٩٢٠ و ١٩٢١ ، امين لجنة موسكو للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا . منذ ١٩٢١ ، رئيس اللجنة المركزية لنقابة عمال المناجم لعامة روسيا . عضو اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا . — ص ٢٦٠ .

سنودن (Snowden) **فيليب** (١٨٦٤–١٩٣٧) — سياسي بريطاني . من ١٩٠٣ الى ١٩٠٦ ، ومن ١٩١٧ الى ١٩٢٠ كان رئيساً لحزب العمال المستقل ؛ ممثل جناحه الايمن . منذ ١٩٠٦ ، عضو في البرلمان . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤–١٩١٨) ، وسطي . — ص ١٤٦ .

سوخانوف ن . (غيمر نيقولاي نيقولاييفيتش) (من مواليد عام ١٨٨٢) — اقتصادي وكاتب اجتماعي وسياسي . برجوازي صغير . منشفي . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية عمل في الهيئات والدوائر الاقتصادية السوفييتية . في ١٩٣١ ، حوكم بوصفه قائد منظمة منشفية سرية . — ص ٥٦٠ ، ٥٦٢ ، ٥٦٤ .

سوسنوفسكي ليف سيميونوفيتش (١٨٨٦–١٩٣٧) — في عام ١٩٠٤ انتسب الى الحزب البلشفي . من ١٩١٨ الى ١٩٢٤ (مع انقطاعات) ، رئيس تحرير جريدة «بدنوتا» («الفقراء» . اثناء المناقشة بصدد النقابات (١٩٢٠–١٩٢١) دعم منهج تروتسكي . في ١٩٢٧ ، اثناء المؤتمر الخامس عشر للحزب الشيوعي (البلشفي) لعامة الاتحاد السوفييتي ، طرد من الحزب بوصفه عضواً نشيطاً في المعارضة التروتسكية . — ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ .

سوكولنيكوف غريغوري ياكوفليفيتش (١٨٨٨–١٩٣٩) — في عام ١٩٠٥ ، انتسب الى الحزب البلشفي . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، عمل في

ميدان الحزب والسوفييتات . عضو نشيط في المعارضة التروتسكية . في ١٩٣٦ ، طرد من الحزب لنشاطه ضد الحزب .ـ ص ٤٧٤ .

سيراتي (Serrati) **دجاتشينتو مينوتّي** (١٨٧٢ـ١٩٢٦) ـ قائد بارز في الحركة العمالية الايطالية . احد منظمي الحزب الاشتراكي الايطالي . من ١٩١٥ الى ١٩٢٣ مدير لسان الحال المركزي للحزب الاشتراكي ، جريدة «Avanti!» («افانتي !» ـ «الى الامام !») . ابان الحرب العالمية الاولى ، اممي . بعد تاسيس الكومنترن (الاممية الشيوعية) ، الّح على دخول الحزب الاشتراكي الايطالي في الكومنترن . في مؤتمر الكومنترن الثاني ، ترأس الوفد الايطالي ، وعارض قطع الصلة بالاصلاحيين بلا قيد ولا شرط . فيما بعد ، تغلب على اخطائه الوسطية ؛ وفي ١٩٢٤ انتسب على رأس كتلة «انصار الاممية الثالثة» الى الحزب الشيوعي الايطالي ، فظل يناضل فيه بنشاط حتى وفاته .ـ ص ٨٨ ، ٤٤١ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ .

سيريبرياكوف ليونيد بتروفيتش (١٨٨٨ـ١٩٣٧) ـ في عام ١٩٠٥ انتسب الى الحزب . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، عضو لجنة الحزب في مقاطعة موسكو . امين اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا وامين اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا . اثناء المناقشة بصدد النقابات (١٩٢٠ـ١٩٢١) احد نشطاء المعارضة التروتسكية . في ١٩٢٧ طرد من الحزب ؛ في ١٩٣٠ اعيد الى الحزب ؛ في ١٩٣٦ طرد من الحزب من جديد لنشاطه المعادي للحزب .ـ ص ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٥٢ ، ٢٦١ .

شبينغلر (Spengler) **اوسفالد** (١٨٨٠ـ١٩٣٦) فيلسوف مثالي الماني . في مؤلفه الرئيسي «غروب اوروبا» ، عرض نظرة متشائمة الى تاريخ المجتمع معتبراً اياه تاريخ نشوء «ثقافات» منغلقة مختلفة ، ومنها على الاخص الثقافة الاوروبية المعاصرة ، وتاريخ ازدهارها وهلاكها المحتم . تبنت الفاشية الالمانية الكثير من افكار شبينغلر .ـ ص ٥٠٦ .

شليابنيكـوف الكسندر غفريلوفيتش (١٨٨٥–١٩٣٧) – في عـام ١٩٠١ انتسب الى الحزب البلشفي . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، اشترك في مجلس مفوضي الشعب بوصفه مفوض الشعب للعمل . ثم عمـل في الميدان النقابي والاقتصادي . من ١٩٢٠ الى ١٩٢٢ ، منظم وزعيم فريق «المعارضة العمالية» المعادي للحزب ، في عام ١٩٣٣ ، طرد من صفوف الحزب الشيوعي (البلشفي) لعامة الاتحاد السوفييتي اثنـاء تطهير الحزب . – ص ٢٣٩ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ .

شيدمان (Scheidemann) **فيليب** (١٨٦٥–١٩٣٩) – احد زعماء الجناح الانتهازي اليميني المتطرف في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية . اثناء ثورة تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ في المانيا ، اشترك فيما يسمى بمجلس وكلاء الشعب الذي كانت مصالح البرجوازية تقرر نشاطه . من شباط (فبراير) الى حزيران (يونيو) ١٩١٩ ترأس الحكومـة الائتلافية في جمهورية فيمار ، وكان احد منظمي القمع الدامي للحركة العمالية الالمانية من ١٩١٨ الى ١٩٢١ . فيما بعد ، انصرف عـن العمل السياسي النشيط . – ص ٧٨ ، ٤٤٥ ، ٥٠٨ .

صن يات-صن (١٨٦٦–١٩٢٥) – ثوري ديموقراطي ورجل دولة صيني بارز جداً . – ص ٢٨٣ .

غليوم الثاني (هوهنزوللرن) (١٨٥٩–١٩٤١) – امبراطور المانيا وملـك بروسيا (١٨٨٨–١٩١٨) . – ص ٥٠٢ .

غوربونوف نيقولاي بتروفيتش (١٨٩١–١٩٣٨) – عضو الحزب البلشفي منذ عام ١٩١٧ . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، امين مجلس مفوضي الشعب ، ورئيس قسم العلم والتكنيـك لدى المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني . منذ عام ١٩٢٠ ، رئيس ديوان مجلس مفوضي الشعب في جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية ، ثم رئيس ديوان مجلس مفوضي الشعب في الاتحاد السوفييتي ومجلس العمل والدفاع ؛ عضو غوسبلان (لجنة الدولة للتخطيط) الاتحاد السوفييتي . فيما بعد ، شغل منصباً قيادياً في ميدان العمل العلمي والتعليمي . – ص ٤٨٧ .

غوسيف سرغي ايفانوفيتش (١٨٧٤–١٩٣٣) – اشتراكي-ديموقراطي روسي . بلشفي . من ١٩٢١ الى ١٩٢٣ رئيس الادارة السياسية وعضو المجلس العسكري الثوري للجمهورية . منذ ١٩٢٣ ، امين اللجنة المركزية للرقابة في الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا وعضو مفوضية الشعب للتفتيش العمالي والفلاحي . وضع جملة من البحوث في مسائل البناء الاشتراكي . – ص ٢٠٨ .

غومبرس (Gompers) **صموئيل** (١٨٥٠–١٩٢٤) – قائد في الحركة النقابية الاميركية . احد مؤسسي اتحاد العمل الاميركي . منذ عام ١٨٩٥ ، ظل رئيسه باستمرار . انتهج سياسة التعاون الطبقي مع الرأسماليين ووقف ضد نضال الطبقة العاملة الثوري . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤–١٩١٨) اشتراكي-شوفيني . قابل ثورة اكتوبر الاشتراكية والدولة السوفييتية بالعداء . – ص ٨٦ ، ٤٤٧ .

فارلان (Varlin) **لويس اوجين** (١٨٣٩–١٨٧١) – ثوري فرنسي . قائد بارز في كومونة باريس سنة ١٨٧١ . في سنة ١٨٦٥ ، انضم الى الاممية الاولى ، وكان احد منظمي وقادة فروعها الباريسية . – ص ٥٠٨ ، ٥٠٩ .

فاندرفيلده (Vandervelde) **اميل** (١٨٦٦–١٩٣٨) – زعيم حزب العمال في بلجيكا . رئيس المكتب الاشتراكي العالمي للاممية الثانية . شغل مواقف انتهازية متطرفة . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤–١٩١٨) اشتراكي شوفيني ؛ اشترك في الحكومة البرجوازية . وقف من ثورة اكتوبر الاشتراكية موقفاً عدائياً واسهم بنشاط في التدخل المسلح ضد روسيا السوفييتية . – ص ٤٤٥ .

فاندرليب (Vanderlip) **واشنطن ب .** (من مواليد عام ١٨٦٦) – مهندس . ممثل للاوساط الصناعية الاميركية . في عام ١٩٢٠ راح الى روسيا السوفييتية حاملاً اقتراحاً بعقد اتفاقية بشأن امتيازات البترول والفحم في كامتشاتكا . – ص ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ، ٣٦٢ .

فرانجل بيوتـــر نيقولاييفيتش (١٨٧٨–١٩٢٨) – جنـــرال في الجيش القيصري . ملكي . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، احد قادة الثورة المضادة في جنوب روسيا . في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠ ، فرّ الى الخارج بعد ان سحق الجيش الاحمر قواته .– ص ١٦١ ، ١٧٩ ، ٢٣٥ ، ٣١٨ ، ٤٣٥ .

فوسه كاتسودزي (١٨٨٦–١٩٥٣) – صحفي ياباني . في ١٩٢٠ جاء الى موسكو بوصفه ممثل جريدة «اوساكا ماينيتي» وجريدة «طوكيـــو نيتي – نيتي» ، اخذ حديثاً من لينين في ٣ او ٤ حزيران (يونيو) .– ص ١٢–١٤ .

كالينين ميخائيل ايفانوفيتش (١٨٧٥–١٩٤٦) – قائـــد بارز في الحزب الشيوعي والدولة السوفييتية . عضو الحزب منذ عام ١٨٩٨ . منذ آذار (مارس) ١٩١٩ رئيس اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا ؛ منذ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٢ رئيس اللجنة التنفيذية المركزية للاتحاد السوفييتي ؛ منذ ١٩٣٨ ، رئيس هيئة رئاسة السوفييت الاعلى للاتحاد السوفييتي . منذ ١٩١٩ عضو اللجنة المركزية ؛ منذ ١٩٢٦ عضو المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) لعامة الاتحاد السوفييتي .– ص ٢٦٠ .

كامبهاوزن (Camphausen) **لودولف** (١٨٠٣–١٨٩٠) – رجل دولـــة بروسي . من زعماء البرجوازية الليبيرالية في منطقة الراين . من آذار (مارس) الى حزيران (يونيو) ١٨٩٨ ترأس في بروسيا الحكومـــة البرجوازية الليبيرالية .– ص ١٢٦ .

كامينيف (روزنفلد) ليف بوريسوفيتش (١٨٨٣–١٩٣٦) – في عام ١٩٠١ انتسب الى حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا . بعد المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (عام ١٩٠٣) انضم الى البلاشفة .

بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، شغل عدداً من المناصب الرفيعة ،

المسؤولة . غير مرة ابدى ترددات وذبذبات ، ووقف ضد سياسة الحزب الليينينية . في عام ١٩٢٧ ، اثناء المؤتمر الخامس عشر للحزب الشيوعي (البلشفي) لعامة الاتحاد السوفييتي ، طرد من الحزب بوصفه قائداً نشيطاً في المعارضة التروتسكية ، ثم اعيد مرتين الى الحزب وطرد منه من جديد بسبب نشاطه المعادي للحزب .ـ ص ١٦١ ، ٢٦٠ ، ٣٠٠ ، ٤٨٦ـ٤٩٠ ، ٥٠٢ ، ٥٣٠ .

كاوتسكي (Kautsky) **كارل** (١٨٥٤ـ١٩٣٨) احد زعماء الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية والاممية الثانية . في البدء ماركسي . فيما بعد ، مرتد عن الماركسية ، وايديولوجي احد تيارات الانتهازية في الحركة العمالية ـ تيار الوسطية (الكاوتسكية) .ـ ص ٣٨ ، ٥٢ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٤٦ ، ٤١٨ ، ٤٤٥ ، ٤٧٢ ، ٥٦٤ .

كراسين ليونيد بوريسوفيتش (١٨٧٠ـ١٩٢٦) ـ رجل دولة سوفييتي بارز . اشترك في الحركة الاشتراكية-الديموقراطية منذ العقد العاشر من القرن التاسع عشر . بلشفي .

بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، عمل على تنظيم تزويد الجيش الاحمر ، وكان عضواً في هيئة رئاسة المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني ، ومفوض الشعب للتجارة والصناعة ، ومفوض الشعب لسبل المواصلات . منذ ١٩٢١ ، مفوض الشعب للتجارة الخارجية . منذ ١٩٢٤ ، الممثل المطلق الصلاحية للاتحاد السوفييتي في فرنسا . منذ ١٩٢٥ ، الممثل الديبلوماسي للاتحاد السوفييتي في بريطانيا .ـ ص ٦٦ ، ١٥٤ ، ١٦١ ، ٣٣٢ ، ٤٨٧ـ٤٩٠ .

كريتسمان ليف ناتانوفيتش (١٨٩٠ـ١٩٣٨) ـ اقتصادي . عضو الحزب البلشفي منذ ١٩١٨ . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، عمل في الميدان الاقتصادي بصفة رئيس لعدد من اللجان لدى المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني ومجلس العمل والدفاع في الاتحاد السوفييتي ، ونائب رئيس غوسبلان (لجنة الدولة للتخطيط) الاتحاد السوفييتي . منذ ١٩٣٢ انصرف الى البحث العلمي .ـ ص ٣٠٢ .

كريسبين (Krispien) **ارتور** (١٨٧٥–١٩٤٦) – احد زعماء الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية . كاتب اجتماعي وسياسي . من ١٩١٧ الى ١٩٢٢ تراس الجناح الايمن في الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني المستقل . في عام ١٩٢٠ ، حضر المؤتمر الثاني للكومنترن (الاممية الشيوعية) بصفته عضواً في وفد حزب «المستقلين» . بعد عودته الى المانيا ، عارض الانضمام الى الكومنترن . في عام ١٩٢٢ ، انضم الى الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني واصبح عضواً في لجنته المركزية . – ص ١٤٦ .

كريستينسكي نيقولاي نيقولاييفيتش (١٨٨٣–١٩٣٨) – رجل دولة سوفييتي . بلشفي . من ١٩١٨ الى ١٩٢١ ، مفوض الشعب للمالية في جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية . من كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٩ الى آذار (مارس) ١٩٢١ ، امين اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا . في المناقشة بصدد النقابات عام ١٩٢١ ، ناصر منهج تروتسكي-بوخارين . فيما بعد ، عمل في الحقل الديبلوماسي . – ص ٢٤٥ ، ٢٩٤ .

كليمانسو (Clemenceau) **جورج بنيامين** (١٨٤١–١٩٢٩) – سياسي ورجل دولة فرنسي . زعيم حزب اراديكاليين خلال سنوات عديدة . من ١٩٠٦ الى ١٩٠٩ ، تراس الحكومة الفرنسية . دافع عن مصالح الرأسمال الكبير ، وانتهج سياسة القمع القاسي حيال الطبقة العاملة . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤–١٩١٨) شوفيني . منذ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ تراس كليمانسو من جديد الحكومة الفرنسية ، وطبق نظام الديكتاتورية العسكرية في البلاد . كان احد منظمي وملهمي الحصار والتدخل المسلح ضد روسيا السوفييتية . – ص ٧١ ، ٧٣ .

كورايف فاسيلي فلاديميروفيتش (١٨٩٢–١٩٣٨) – عضو الحزب البلشفي منذ ١٩١٤ . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، رئيس اللجنة التنفيذية لسوفييت محافظة بنزا ، امين لجنة الحزب في محافظة بنزا . في ١٩١٨ اشترك بنشاط في سحق الفتنة التشيكوسلوفاكية

المضادة للثورة ، ثم عمل في الحقل السياسي والعسكري في الجيش الاحمر . منذ آذار (مارس) ١٩٢٠ ، عضو الهيئة الادارية لمفوضية الشعب للزراعة ، عضو هيئة رئاسة المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني ، ثم اشترك في العمل القيادي في غوسبلان (لجنة الدولة للتخطيط) الاتحاد السوفييتي .ـ ص ١٩٨ .

كوسكوفا ايكاتيرينا دمتريفنا (١٨٦٩ـ١٩٥٨) ـ شخصية اجتماعية برجوازية روسية . كاتبة اجتماعية وسياسية . ممثلة بارزة «للاقتصادية» . اعربت الوثيقة التي كتبتها كوسكوفا بروح البرنشتينية والتي أسميت «الكريدو» «Credo» ، باشد ما يكون من السطوع ، عن كنه «الاقتصادية» الانتهازي . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، وقفت ضد السلطة السوفييتية . في عام ١٩٢٢ ، نفيت الى الخارج حيث اصبحت من نشطاء المهاجرين البيض .ـ ص ١٤٠ .

كولتشاك الكسندر فاسيلييفيتش (١٨٧٣ـ١٩٢٠) ـ اميرال في الاسطول الروسي . ملكي . احد كبار قادة الثورة المضادة في روسيا في سنتي ١٩١٨ و ١٩١٩ . صنيع دول الوفاق . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، اعلن نفسه ، بمساندة امبرياليي الولايات المتحدة الاميركية ودول الوفاق ، حاكماً اعلى لروسيا وترأس الديكتاتورية العسكرية البرجوازية الاقطاعية في الاورال وسيبيريا والشرق الاقصى . ادت ضربات الجيش الاحمر ونمو الحركة الانصارية الثورية الى زوال الكولتشاكية .ـ ص ١٣ ، ١١٤ ، ١٥١ ، ١٦٩ ، ١٩٠ ، ٣٢١ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٦٨ ، ٤٣٥ ، ٤٧٧ ، ٥٢٤ .

كيرجينتسيف (ليبيديف) بلاتون ميخايلوفيتش (١٨٨١ـ١٩٤٠) ـ رجل دولة سوفييتي وقائد حزبي . مؤرخ . كاتب اجتماعي وسياسي . عضو حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا منذ ١٩٠٤ . بلشفي . من ١٩١٨ الى ١٩٢٠ ، نائب رئيس تحرير «ازفستيا فتسيك» («انباء اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا») ، وقائد مسؤول في روستا (وكالة الانباء البرقية في روسيا) . من ١٩٢١ الى ١٩٢٣ ، الممثل السياسي للدولة السوفييتية في اسوج .ـ ص ٥٧٨ .

كيرنسكي الكسندر فيودوروفيتش (١٨٧١–١٩٧٠) – اشتراكي-ثوري . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤–١٩١٨) اشتراكي- شوفيني . بعد ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديموقراطية (عام ١٩١٧) ، كان وزير-رئيس الحكومة الموقتة البرجوازية والقائد العام الاعلى . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، ناضل ضد السلطة السوفييتية . في عام ١٩١٨ فرّ الى الخارج . – ص ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٠ .

كيزيفيتّر الكسندر الكسندروفيتش (١٨٦٦–١٩٣٣) – مؤرخ وكاتب اجتماعي وسياسي برجوازي ليبيرالي روسي . احد زعماء حزب الكاديت . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، ناضل كيزيفيتّر بنشاط ضد السلطة السوفييتية ، ومن جراء ذلك نفي في عام ١٩٢٢ الى خارج روسيا السوفييتية . في الخارج ، اشترك بنشاط في صحافة الحرس الابيض . – ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ .

كيسيليف الكسي سيميونوفيتش (١٨٧٩–١٩٣٨) – عضو الحزب منذ عام ١٨٩٨ . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، عمل في ميدان بناء السوفييتات والميدان الاقتصادي والميدان النقابي . في عام ١٩١٨ ، انتخب رئيساً لتسنتروتكستيل ، ثم عضواً في هيئة رئاسة المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني . في عام ١٩٢٠ ، رئيس نقابة عمال المناجم . في عام ١٩٢١ ، اشترك في الفريق الفوضوي السنديكالي «المعارضة العمالية» . من ١٩٢٤ الى ١٩٣٨ ، امين اللجنة التنفيذية المركزية لعامة الاتحاد السوفييتي . – ص ٣٠٠ .

كيلتش (Quelch) **توماس** (١٨٨٦–١٩٥٤) – اشتراكي انجليزي ، ثم شيوعي . قائد نقابي وكاتب اجتماعي وسياسي . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤–١٩١٨) ، شغل مواقف اممية . منذ ١٩١٩ عمل بنشاط على تاسيس الحزب الشيوعي في بريطانيا . كان مندوباً الى المؤتمر الثاني للكومنترن (الاممية الشيوعية) . في عام ١٩٢٠ انتسب الى الحزب الشيوعي فى بريطانيا العظمى ؛ من ١٩٢٣ الى ١٩٢٥ كان عضواً في لجنته المركزية . من ١٩٢٠ الى ١٩٣١ ، كان

عضواً في هيئة تحرير مجلة «الاممية الشيوعية» . في السنوات الاخيرة من حياته ، انصرف عن الحزب الشيوعي .ـ ص ٩٧ .

كينس (Keynes) **جون مينارد** (١٨٨٣ـ١٩٤٦) ـ اقتصادي انجليزي . مدّاح رأسمالية الدولة الاحتكارية . منذ ١٩١٥ ، موظف في وزارة المالية في بريطانيا . في عام ١٩١٩ اشترك في عمل مؤتمر الصلح في باريس . استقال في حزيران (يونيو) ١٩١٩ ، وانتقد في عدد من البحوث انتقاداً حاداً بطلان نظام صلح فرساي الامبريالي من الناحية الاقتصادية .ـ ص ٦٥ـ٦٨ ، ٧١ـ٧٣ .

لابينسكي بافل لودفيغوفيتش (ليفينسون يا .) (١٨٧٩ـ١٩٣٧) ـ شيوعي بولوني . اقتصادي وكاتب اجتماعي وسياسي . في العشرينيات ، عمل في الحقل الديبلوماسي في الخارج بوصفه معاوناً لمفوضية الشعب للخارجية في الاتحاد السوفييتي . فى الثلاثينيات عمل في ميدان العلم والادب الاجتماعي والسياسي في الاتحاد السوفييتي . وضع جملة من البحوث في الاقتصاد العالمي والسياسة الدولية .ـ ص ٦٩ .

لادزاري (Lazzari) **قسطنطينو** (١٨٥٧ـ١٩٢٧) ـ قائد بارز في الحركة العمالية في ايطاليا . احد مؤسسي الحزب الاشتراكي الايطالي ؛ عضو لجنته المركزية . من ١٩١٢ الى ١٩١٩ ، الامين العام للحزب الاشتراكي الايطالي . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ـ١٩١٨) احد قادة التيار «المكسيمالي» (الوسطي) في الحزب . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، دعا الى مساندة روسيا السوفييتية . اشترك في عمل مؤتمري الكومنترن (الاممية الشيوعية) الثاني والثالث . في عام ١٩٢٢ ، قطع صلته التنظيمية بالاصلاحيين ، ولكنه لم يستطع ان يتبرأ نهائياً منهم .ـ ص ٤٤٥ .

لارين يو . (لوريه ميخائيل الكسندروفيتش) (١٨٨٢ـ١٩٣٢) ـ اشتراكي-ديموقراطي روسي . منشفي . بعد ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديموقراطية (عام ١٩١٧) ترأس فريق المناشفة-

الاممیین . في آب (اغسطس) ١٩١٧ ، قبل في الحزب البلشفي . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، عمل في الهيئات السوفييتية والاقتصادية . اثناء المناقشة بصدد النقابات (عامي ١٩٢٠-١٩٢١) ، ناصر منهج بوخارين ، ثم منهج تروتسكي . ـ ص ٣٠٢ .

لوتوفينوف يوري خريسانوفيتش (١٨٨٧-١٩٢٤) ـ عضو حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا منذ عام ١٩٠٤ . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، عمل في الميدان النقابي وميدان بناء السوفييتات . في مرحلة المناقشة بصدد النقابات (١٩٢٠-١٩٢١) احد المشتركين النشطاء في فريق «المعارضة العمالية» المعادي للحزب . ـ ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

لوزوفسكي (دريدزو) سولومون ابراموفيتش (١٨٧٨-١٩٥٢) ـ اشتراكي-ديموقراطي روسي . بلشفي . في عام ١٩٢٠ ، رئيس مجلس النقابات في محافظة موسكو . من ١٩٢١ الى ١٩٣٧ ، الامين العام للاممية النقابية . ـ ص ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٦٠ .

لوكسمبورغ (Luxemburg) **روزا** (١٨٧١-١٩١٩) ـ شخصية بارزة في الحركة العمالية العالمية . احد زعماء الجناح اليساري في الاممية الثانية . كانت من مؤسسي وقادة الحزب الاشتراكي-الديموقراطي البولوني ، واشتركت بنشاط في الحركة الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية .

منذ بداية الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨) ـ شغلت موقفا امميا . كانت من المبادرين الى انشاء «اتحاد سبارتاك» في المانيا . اثناء ثورة تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ في المانيا ، كانت من قادة الطليعة الثورية للعمال الالمان . كانت من منظمي الحزب الشيوعي الالماني . في كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ ، اعتقلها اعداء الثورة واغتالوها بوحشية . ـ ص ١٢٢ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ .

لونغه (Longuet) **جان** (١٨٧٦-١٩٣٨) ـ احد زعماء الحزب الاشتراكي الفرنسي والاممية الثانية . كاتب اجتماعي وسياسي . ابن شارل

لونغه وجيني ماركس . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ـ١٩١٨) تراس الاقلية الوسطى المسالمة في الحزب الاشتراكي الفرنسي . عارض انضمام الحزب الاشتراكي الفرنسي الى الكومنترن (الاممية الشيوعية) وتاسيس الحزب الشيوعي الفرنسي . منذ ١٩٢٣ ، احد قادة ما يسمى باممية العمال الاشتراكية . ـ ص ٣٦ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٤٦ ، ٤١٨ .

لويد جورج (Lloyd, George) **دافيد** (١٨٦٣ـ١٩٤٥) ـ رجل دولة وديبلوماسي بريطاني . زعيم حزب الليبيراليين (حزب الاحرار) . من ١٩١٦ الى ١٩٢٢ ، رئيس الوزراء . ـ ص ٦٦ ، ٧١ ، ٧٣ .

ليبكنخت (Liebknecht) **ولهلم** (١٨٢٦ـ١٩٠٠) ـ قائد بارز في الحركة العمالية الالمانية والعالمية . احد مؤسسي وزعماء الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني . منذ عام ١٨٧٥ وحتى آخر حياته ، كان ليبكنخت عضواً في مجلس ادارة الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني ، وسكرتير تحرير لسان حاله المركزي «Vorwarts» («فورفارتس» ـ «الى الامام») . ـ ص ٥٠٨ ، ٥٠٩ .

ليجافا انطون ماتفييفيتش (١٨٧٠ـ١٩٣٧) ـ رجل دولة سوفييتي . عضو الحزب منذ ١٩٠٤ . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، شغل مناصب قيادية في ميدان الاقتصاد وميدان بناء السوفييتات . من ١٩١٨ الى ١٩٢٠ ، رئيس تسنتروسويوز ؛ من عام ١٩٢٠ الى عام ١٩٢٥ ، نائب مفوض الشعب للتجارة الخارجية . عضو اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا وعضو اللجنة التنفيذية المركزية لعامة الاتحاد السوفييتي . ـ ص ٣٦٤ .

ليزيس (Lysis) **(ليتايور** (Letailleur) **اوجين)** ـ اقتصادي فرنسي . مؤلف عدد من البحوث في المسائل المالية والسياسية . ـ ص ٦٢ .

ليفي (Levi) **باول** (١٨٨٣ـ١٩٣٠) ـ اشتراكي-ديموقراطي الماني . اشترك في مجلس زيميرفالد العام (عام ١٩١٥) . عضو الفريق السويسري في جناح زيميرفالد اليساري . انضم الى «اتحاد سبارتاك» . في المؤتمر

التاسيسي للحزب الشيوعي الالماني ، انتخب عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الالماني . مندوب المؤتمر الثاني للكومنترن (الاممية الشيوعية) . في عام ١٩٢٠ ، انتخب نائباً الى الريخستاغ عن الحزب الشيوعي الالماني . في شباط (فبراير) ١٩٢١ خرج من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الالماني ؛ في نيسان (ابريل) طرد من الحزب الشيوعي بسبب انتهاكه الفظ للطاعة الحزبية . فيما بعد ، عاد الى الحزب الاشتراكي-الديموقراطي . ـ ص ٦٦ ، ٧٠ ، ٤٠٧ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ .

لينين فلاديمير ايليتش (اوليانوف ف . اي .) (١٨٧٠ـ١٩٢٤) ـ ص ١٢ ، ١٣ ، ١٢٥ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٥٢٤ .

مارتوف ل . (تسيديربـــاوم يولـــي اوسيبوفيتش) (١٨٧٣ـ١٩٢٣) ـ اشتراكي-ديموقراطي روسي . احد زعماء المنشفية . في عام ١٩٠٠ ، اشترك في اعداد واصدار جريدة «الايسكرا» ، كما اشترك في هيئة تحريرها . في المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (١٩٠٣) ، مندوب عن منظمة «الايسكرا» . ترأس الاقليـــة الانتهازية في المؤتمر ؛ وظل مذ ذاك احد قادة مؤسسات المناشفـــة المركزية ورئيس تحرير المطبوعات المنشفية . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ـ١٩١٨) شغل موقفاً وسطياً . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، وقف ضد السلطة السوفييتية . في ١٩٢٠ هاجر الى المانيا . ـ ص ٤١٨ .

مارخليفسكي (Marchlewski) **يوليان** (١٨٦٦ـ١٩٢٥) ـ شخصية بارزة في الحركة العمالية البولونية والروسية والالمانية . في عام ١٩١٨ جاء الى روسيا السوفييتية . انتخب عضواً في اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا . في ١٩١٩ ، قبل في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الالماني . في ١٩١٩ ، اشترك بوصفه احد ممثلي حزب العمال الشيوعي البولوني في تاسيس الاممية الشيوعية ، وعكف على صياغة الاسس النظريـــة لبرنامجها الزراعي . مؤلف عدد من البحوث في المسائل الاقتصادية وتاريخ بولونيا والعلاقات الدولية . ـ ص ٢٤ .

ماركس (Marx) كارل (١٨١٨–١٨٨٣) .–ص ١٠٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٩٩ ، ٤٣٤ ، ٤٦٧ ، ٤٩٤ ، ٥٦٠ ، ٥٦٣ .

مارينغ (Maring) **هنريك** (١٨٨٣–١٩٤٢) – اشتراكي – ديموقراطي هولندي . من ١٩١٣ الى ١٩١٩ عاش في جزيرة جاوه حيث التحق بالاشتراكيين-الديموقراطيين اليساريين ، ثم اصبح عضواً في الحزب الشيوعي في جاوه والحزب الشيوعي الهولندي . كان مندوباً الى المؤتمر الثاني للكومنترن (الاممية الشيوعية) . من ١٩٢١ الى ١٩٢٣ ، ممثل اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية لأجل بلدان الشرق الاقصى في الصين . من ١٩٢٤ الى ١٩٢٧ ، كان عضواً في قيادة الحزب الشيوعي الهولندي ، وانضم الى المعارضة فيه . في ١٩٢٧ ، خرج من الحزب الشيوعي ووقف مواقف تروتسكية .–ص ٩١ .

ماكدونالد (MacDonald) **جيمس رمسي** (١٨٦٦–١٩٣٧) – سياسي بريطاني . احد مؤسسي وزعماء حزب العمال المستقل وحزب العمال (الحزب الليبوري) . احد زعماء الاممية الثانية . انتهج سياسة انتهازية متطرفة ، وروّج نظرية تنامي الراسمالية وصيرورتها بصورة سلمية الى اشتراكية . في بداية الحرب العالمية الاولى (١٩١٤–١٩١٨) ، شغل موقفاً مسالماً ، ثم سلك طريق الدعم المكشوف للبرجوازية الامبريالية . من ١٩١٨ الى ١٩٢٠ ، حاول ان يعيق نضال العمال البريطانيين الذين عارضوا التدخل ضد روسيا السوفييتية . في ١٩٢٤ ومن ١٩٢٩ الى ١٩٣١ شغل منصب رئيس الوزراء .–ص ٧٦ ، ٧٩ ، ١٤٦ ، ٤١٨ .

ماك-لين (Mac Laine) **وليام** (١٨٩١–١٩٦٠) – اشتراكي وقائد نقابي بريطاني كاتب اجتماعي وسياسي . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤–١٩١٨) . انتسب الى الحزب الاشتراكي البريطاني ؛ في ١٩١٨ و١٩١٩ كان عضواً في لجنته المركزية . من ١٩١٩ الى ١٩٢٩ قام بالدعوة الماركسية بين العمال في اسكتلنده وانجلترا . كان مندوباً الى المؤتمر الثاني للكومنترن (الاممية الشيوعية) عن الحزب الاشتراكي البريطاني . في العشرينيات كان عضو الحزب الشيوعي في بريطانيا العظمى ؛ عام ١٩٢٩ خرج منه .–ص ٨٥ ، ٨٨ .

مهرينغ (Mehring) **فرانتس** (١٨٤٦–١٩١٩) – قائد بارز في الحركة العمالية الالمانية . احد زعمـــاء ونظريي الجناح اليساري في الاشتراكيـــة-الديموقراطية الالمانية . مؤرخ . كاتب اجتماعي وسياسي . باحث ادبي . اضطلع بدور بارز في تأسيس الحزب الشيوعـــي الالماني . – ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

مياسنيكوف غ . اي . (١٨٨٩–١٩٤٦) – في عام ١٩٠٦ انتسب الى الحزب البلشفي . اشترك بنشاط في فريق «المعارضة العمالية» في عام ١٩٢٢ ، طرد من الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا بسبب نشاطه المعادي للحزب وانتهاكه المتواصل للطاعة الحزبية . فيما بعد ، منظم الفريق المعادي للثورة المسمى «بالفريق العمالي» . هاجر الى الخارج . – ص ٣٨٧ .

ميرباخ (Mirbach) **ولهلم** (١٨٧١–١٩١٨) – كونت . ديبلوماسي الماني . منذ نيسان (ابريل) ١٩١٨ ، سفير المانيا في موسكو . في ٦ تموز (يوليو) ١٩١٨ اغتاله الاشتراكيون-الثوريون اليساريون بقصد استثارة الحرب بين المانيا وروسيا السوفييتية . – ص ١٥٥ .

ميروشنيكوف ايفان ايفانوفيتش (١٨٩٤–١٩٣٩) – عضو الحزب البلشفي منذ آذار (مارس) ١٩١٧ . في مرحلة التدخل الاجنبي المسلح والحرب الاهلية (١٩١٨–١٩٢٠) ، قاتل في صفوف الجيش الاحمر . من ١٩٢١ الى ١٩٣٧ عمل معاونا لرئيس ديوان مجلس مفوضي الشعب ورئيسا لديوان مجلس مفوضي الشعب . – ص ٤٨٧ .

ميليوتين فلاديمير بافلوفيتش (١٨٨٤–١٩٣٨) – اشترك في الحركـــة الاشتراكية-الديموقراطية منذ سنة ١٩٠٣ . في البدء التحق بالمناشفة . منذ سنة ١٩١٠ بلشفي . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، شغل مناصب مسؤولة في ميدان بناء السوفييتات وميدان الاقتصاد . انتخب مرشحا لعضوية لجنة الحزب المركزية . عضو اللجنة المركزية للرقابة . – ص ١٦٩ ، ٢٧٣ ، ٣٠٢ .

ميليوكوف بافل نيقولاييفيتش (١٨٥٩–١٩٤٣) – ايديولوجي بارز للبرجوازية الامبريالية الروسية . مؤرخ . كاتب اجتماعي وسياسي . في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥ ، احد مؤسسي حزب الكاديت . نائب في دوما الدولة الثاني والرابع . في ١٩١٧ ، وزير الخارجية في القوام الاول للحكومة الموقتة البرجوازية . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، احد منظمي التدخل المسلح الاجنبي ضد روسيا السوفييتية ، واحد نشطاء المهاجرين البيض . – ص ٣٩٨ ، ٣٩٩ .

مين غيورغي الكسندروفيتش (١٨٥٥–١٩٠٦) – عقيد . آمر فوج سيميونوف الحرسي . تميز بفائق القساوة في قمع الانتفاضة المسلحة في موسكو في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٥ ، ومن جراء ذلك رفعه القيصر الى رتبة لواء . اغتاله اشتراكي-ثوري . – ص ١٣٨ .

ميولبيرغر (Mülberger) **ارتور** (١٨٤٧–١٩٠٧) – كاتب اجتماعي وسياسي برجوازي صغير الماني . من اتباع برودون . كتب بضعة بحوث في تاريخ الفكر الاجتماعي في فرنسا والمانيا . انتقد الماركسية . – ص ١٤٢ .

نابليون الاول (بونابرت) (١٧٦٩–١٨٢١) – امبراطور فرنسي (١٨٠٤ – ١٨١٤ ، و١٨١٥) . – ص ٥٦٤ .

نوسكه غوستاف (١٨٦٨–١٩٤٦) – احد الزعماء الانتهازيين في الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني . في عام ١٩١٩ و١٩٢٠ كان وزيراً للحربية . منظم اعمال التنكيل بعمال برلين واغتيال كارل ليبكنخت وروزا لوكسمبورغ . – ص ٥٠٨ .

هاردينغ (Harding) **وارّين** (١٨٦٥–١٩٢٣) – شخصية سياسية اميركية . صحفي . من ١٩٢١ الى ١٩٢٣ رئيس الولايات المتحدة الاميركية عن الحزب الجمهوري . – ص ١٥٣ .

هلتس (Hölz) **ماكس** (١٨٨٩–١٩٣٣) – شيوعي يساري الماني . في ١٩٢٠ ، قاد النضال المسلح الذي خاضه عمال فوغتلند (المانيا الوسطى) ضد «بوتش» كاب . طرد من الحزب الشيوعي الالماني بسبب ميوله الفوضوية . في آذار (مارس) ١٩٢١ ، ترأس نضال العمال المسلح في

المانيا الوسطى ، فحكمت عليه المحكمة الاستثنائية بالسجن المؤبد . في ١٩٢٢ ، انتسب الى الحزب الشيوعي من جديد اثناء وجوده في السجن . فيما بعد ، عاش واشتغل في الاتحاد السوفييتي . — ص ٤٠٧ .

همبل (Hempel) — احد مندوبي حزب العمال الشيوعي الالماني في المؤتمر الثالث للكومنترن (الاممية الشيوعية) . — ص ٤٠٤ .

هندرسون (Henderson) **ارتور** (١٨٦٣—١٩٣٥) — احد زعماء حزب العمال والحركة النقابية في انجلترا . من ١٩٠٨ الى ١٩١٠ ، ومن ١٩١٤ الى ١٩١٧ ، رئيس الكتلة البرلمانية لحزب العمال . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤—١٩١٨) اشتراكي-شوفيني ؛ اشترك في حكومة أسكويت الائتلافية ، ثم في وزارة لويد جورج الحربية . في ١٩١٩ ، احد منظمي اممية برن (الاممية الثانية) . منذ ١٩٢٣ ، رئيس اللجنة التنفيذية لما يسمى باممية العمال الاشتراكية . اشترك غير مرة في الحكومات البرجوازية في بريطانيا . — ص ٨٦ ، ٨٨ ، ٥٠٨ .

هيغل (Hegel) **غيورغ ولهلم فريدريخ** (١٧٧٠—١٨٣١) — فيلسوف الماني كبير جداً . مثالي موضوعي . ومأثرته التاريخية انه حلل بصورة عميقة وشاملة الدياليكتيك المثالي الذي غدا فيما بعد احد المصادر النظرية للمادية الديالكتيكية . — ص ٢٨٢ .

هيلفردينغ (Hilferding) **رودولف** (١٨٧٧—١٩٤١) — احد الزعماء الانتهازيين في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية والاممية الثانية . نظري ما يسمى «بالماركسية النمساوية» .

ابان الحرب العالمية الاولى ، وسطي . ذاد عن الوحدة مع الاشتراكيين-الامبرياليين . بعد الحرب ، برز بوصفه صاحب نظرية «الرأسمالية المنظمة» ، ومدّاح رأسمالية الدولة الاحتكارية . منذ عام ١٩١٧ ، زعيم الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني المستقل . عدو لدود للسلطة السوفييتية ولديكتاتورية البروليتاريا . اشترك غير مرة في الحكومة البرجوازية لجمهورية فيمار . — ص ١٤٦ ، ٤١٨ .

هيلكويت (Hillquit) **موريس** (١٨٦٩—١٩٣٣) — اشتراكي اميركي . في البدء التحق بالماركسية ، ثم انزلق الى الاصلاحية والانتهازية . منذ

١٩٠٤ ، اصبح عضواً في المكتب الاشتراكي العالمي . اشترك في اعمال مؤتمرات الاممية الثانية . ـ ص ١٢٢ ، ٤١٨ ،

واشنطن (Washington) **جورج** (١٧٣٢ـ١٧٩٩) ـ رجل دولة وقائد عسكري اميركي . من ١٧٧٥ الى ١٧٨٣ ، القائـــد الاعلى لقوات المعمّرين الاميركيين في الحرب من أجل الاستقلال ضد انجلترا . من ١٧٨٩ الى ١٧٩٧ ، اول رئيس للولايات المتحدة الاميركية . ـ ص ١٥٣ .

ويلسون (Wilson) **ودرو** (١٨٥٦ـ١٩٢٤) ـ رجل دولة اميركي . رئيس الولايات المتحدة من ١٩١٣ الى ١٩٢٠ . بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية ، كان احد منظمي التدخل المسلح من جانب الولايات المتحدة الاميركية ضد روسيا السوفييتية . ـ ص ٧١ ، ٧٤ .

يرمانسكي ا . (كوغان اوسيب اركادييفيتش) (١٨٦٦ـ١٩٤١) ـ اشتراكي-ديموقراطي روسي . منشفي . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ـ ١٩١٨) وسطي . في ١٩١٧ ، منشفي اممي . في ١٩١٨ كان عضو اللجنة المركزية للمناشفة . في ١٩٢١ خرج من حزب المناشفة ، وانصرف الى العمل العلمي في موسكو . ـ ص ٥٧٨ .

يمشاتوف الكسندر ايفانوفيتش (١٨٩١ـ١٩٤١) ـ عضو الحزب منذ عام ١٩١٧ . من العاملين في السكك الحديدية . في ١٩٢٠ و١٩٢١ مفوض الشعب لسبل المواصلات . فيما بعد ، استغل في جهاز مفوضية الشعب لسبل المواصلات . ـ ص ٢٠٦ .

يودينيتش نيقولاي نيقولاييفيتش (١٨٦٢ـ١٩٣٣) ـ جنـــرال في الجيش القيصري . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، عضو في «حكومة الشمال الغربي» المعادية للثورة ؛ القائد العام لجيش الحرس الابيض في الشمال الغربي . حظي بواسع المساندة من جانب امبرياليي دول الوفاق . في ١٩١٩ ، حاول مرتين الاستيلاء على بتروغراد ولكن عبثاً . بعد ان سحقه الجيش الاحمر ، تراجع الى استونيا في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٩ ثم هاجر الى انجلترا . ـ ص ١٣ ، ٣٢١ ، ٣٣٠ ، ٣٣٧ ، ٣٥٨ ، ٣٧٩ ، ٤٣٥ .

محتويات

من الدار ٥

الى الجمعية الثورية الهندية ١١

حديث مع المراسل الياباني ك . فوسه ، ممثل جريدتي «اوساكا ماينيتي» و«طوكيو نيتي – نيتي» ١٢

الموضوعات الى المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية ١٥

١ – مسودة اولية للموضوعات في المسالة القومية ومسالة المستعمرات (الى المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية) . . ١٥

٢ – المسودة الاولى للموضوعات المتعلقة بالمسالة الزراعية (الى المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية) ٢٤

٣ – موضوعات عن المهام الاساسية امام المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية ٤٠

١ – جوهر ديكتاتورية البروليتاريا والسلطة السوفييتية ٤١

٢ – فيم يجب ان يقوم الاستعداد الفوري والشامل لديكتاتورية البروليتاريا ؟ ٤٥

٣ – تقويم خط – وكذلك احيانا تعديل تركيب – الاحزاب التمنتسبة او الراغبة في الانتساب الى الأممية الشيوعية ٥٥

المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية ، ١٩ تموز (يوليو) – ٧ آب (اغسطس) ١٩٢٠ . . . . . ٦١

١ – تقرير عن الوضع الدولي وعن المهام الاساسية التي تواجه الأممية الشيوعية ١٩ تموز ٦١

٢ – خطاب عن دور الحزب الشيوعى ٢٣ تموز (يوليو) . . ٨٥
٣ – تقرير اللجنة المختصة بالمسالة القوميـــــة ومسالة
المستعمرات ٢٦ تموز (يوليو) ٩١
مهمات منظمات الشباب (خطاب القي في المؤتمر الثالث لعامة روسيا
لاتحاد الشبيبة الشيوعي في روسيا في الثاني من تشرين الاول
(اكتوبر) ١٩٢٠) ٩٨
اضواء على تاريخ مسالة الديكتاتورية (نبذة) ١٢٠
مؤتمر السوفييتات الثامن لعامة روسيا ، ٢٢ – ٢٩ كانون الاول
(ديسمبر) ١٩٢٠ . . . . . ١٤٧
١ – تقرير عن الامتيازات أمام كتلة الحزب الشيوعي (البلشفي)
في روسيا في مؤتمر السوفييتات الثامن ٢١ كانون الأول
(ديسمبر) ١٤٧
٢ – تقرير اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا ومجلس
مفوضي الشعب عن السياسة الخارجية والداخلية ٢٢ كانون
الاول (ديسمبر) ١٧٧
عن النقابات ، وعن الوضع الراهن ، وعن اخطاء الرفيق تروتسكي .
خطاب في الجلسة المشتركة لمندوبي مؤتمر السوفييتات الثامن ،
واعضاء مجلس النقابات المركزي لعامة روسيا ومجلس النقابات
بمدينة موسكو – اعضاء الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا
٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ . . . . . ٢١٧
الى كونفرنس النقابات الخامس لعامة روسيا . مهام النقابات
في الانتاج (موضوعات تقرير الرفيق رودزوتاك) ١٤١
مرة اخرى عن النقابات ، وعن الظرف الراهن ، وعن اخطاء الرفيقين
تروتسكي وبوخارين ٢٤٨
خطر المساعي التكتلية على الحزب ٢٤٩
الديموقراطية الشكلية والعقلانية الثورية ٢٥٣

الخطر السياسي من الانشقاقات في الحركة النقابية . . . ٢٥٤
بصدد الخلافات المبدئية ٢٦٢
السياسة والاقتصاد . الديالكتيك والاختيارية ٢٦٦
الديالكتيك والاختيارية . المدرسة و«الجهاز» ٢٧٧
الخاتمة ٢٩٠
بصدد الخطة الاقتصادية الواحدة ٣٠١
يوم العاملات العالمي ٣١٤
المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا ٨–١٦
آذار (مارس) ١٩٢١ . . . . . ٣١٧
١ – تقرير عن النشاط السياسي للجنة المركزية للحزب
الشيوعي (البلشفي) في روسيا ٨ آذار . . . ٣١٧
٢ – تقرير حول الاستعاضة عن المصادرة بالضريبة العينية
١٥ آذار (مارس) ٣٤٩
٣ – مشروع اولي لقرار المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي
في روسيا حول وحدة الحزب ٣٦٩
٤ – تقرير حول وحدة الحزب وعن الانحراف السنديكالي –
الفوضوي ١٦ آذار (مارس) ٣٧٤
الى الرفاق الشيوعيين في آذربيجان وجورجيا وارمينيا وداغستان
والجمهورية الجبلية ٣٨٤
المؤتمر الثالث للأممية الشيوعية ٢٢ حزيران (يونيو) – ١٢
تموز (يوليو) ١٩٢١ . . . . . ٣٨٨
١ . موضوعات التقرير عن تكتيك الحزب الشيوعي في
روسيا ٣٨٨
١ – الوضع الدولي لجمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية
السوفييتية ٣٨٨
٢ – نسبة القوى الطبقية على النطاق العالمي . . . ٣٨٩
٣ – نسبة القوى الطبقية في روسيا ٣٩١
٤ – البروليتاريا والفلاحون في روسيا ٣٩١

٥ ـ التحالف الحربي بين البروليتاريا والفلاحين في جمهورية
روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية . . . ٣٩١
٦ ـ الانتقال الى علاقات اقتصادية صحيحة بين البروليتاريا
والفلاحين ٣٩٣
٧ ـ لماذا وباية شروط تقبل سلطة السوفييتات
بالرأسمالية والامتيازات ٣٩٤
٨ ـ نجاحات سياستنا التموينية ٣٩٥
٩ ـ القاعدة المادية للاشتراكية وبرنامج كهربة روسيا ٣٩٦
١٠ ـ دور حلفاء الرأسمال : «الديموقراطية الخالصة» ،
والأممية الثانية والأممية الثانية والنصف ،
والاشتراكيين-الثوريين والمناشفة ٣٩٧
٢ . خطاب دفاعا عن تكتيك الأممية الشيوعية في اول تموز
(يوليو) ٤٠١
لمناسبة الذكرى الرابعة لثورة اكتوبر ٤١٥
حول اهمية الذهب اليوم وبعد انتصار الاشتراكية التام . . ٤٢٦
لمناسبة الذكرى الرابعة لثورة اكتوبر ٤١٤
ملاحظات صحفي بصدد الصعود الى الجبال الشاهقة ، بصدد ضرر
القنوط ، بصدد نفع التجارة ، بصدد الموقف من المناشفة ،
وما الى ذلك ٤٣٧
١ ـ على سبيل المثال ٤٣٧
٢ ـ بدون مجازات ٤٣٩
٣ ـ بصدد صيد الثعالب ؛ بصدد ليفي ؛ بصدد سيراتي ٤٤١
ملاحظات لمقالة «ملاحظات صحفي» ٤٤٧
التقرير السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي)
في روسيا في المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي (البلشفي)
في روسيا ٢٧ آذار (مارس) ١٩٢٢ . . . . . ٤٤٨
لمناسبة مرور عشر سنوات على صدور «البرافدا» . . . ٥٠٥

السنوات الخمس من الثورة في روسيـــا وآفاق الثورة العالمية . تقرير في المؤتمـــر الرابع للكومنترن في ١٣ تشرين الثاني (نوفمبـــر) ١٩٢٢ . . . . . ٥١٠
١ . رسالة الى المؤتمـــر ٥٢٨
٢ . مواصلـــة المذكرات ٢٤ كانون الاول (ديسمبـــر) ١٩٢٢ ٥٢٩
اضافة الى الرسالة بتاريخ ٢٤ كانون الاول ١٩٢٢ . . ٥٣١
٣ . مواصلة المذكرات ٢٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٢ ٥٣٢
حول مسالة القوميات او «الحكم الذاتي» ٥٣٥
حول مسالة القوميات او «الحكم الذاتي» (مواصلة) . . ٥٣٨
اوراق من دفتر مذكرات ٥٤٣
حول التعـــاون ٥٥٠
١ ـ ٥٥٠
٢ ـ ٥٥٥
حول ثورتنا (بصدد مذكرات ن . سوخانوف) ٥٦٠
١ ـ ٥٦٠
٢ ـ ٥٦٣
كيف نعيد تنظيـــم التفتيش العمالي والفلاحي ؟ (اقتراح مقدم الى المؤتمر الثاني عشر للحزب) ٥٦٥
من الافضل اقـــل ، شرط ان يكون احسن ٥٧٢
ملاحظـــات ٥٩٢
دليـــل الاسماء ٦٦٥

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول ترجمة الكتاب ، وشكل عرضه ، وطباعته ، واعربتم لها عـــن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكي بولفار ، ٢١
موسكو ـ الاتحاد السوفييتي